

مظاهر دعم واسناد القضاة لحكام الاندلس من خلال كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض

أ.د. صباح ابراهيم الشخيلي

أنيس محمد جاسم المشهداني

الملخص :

يُعد موضوع ((مظاهر دعم واسناد القضاة لحكام الاندلس من خلال كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض)) من المواضيع المهمة لانه يسلط الضوء على مؤسسة مهمة من مؤسسات الدولة الا وهي المؤسسة القضائية، وبيان موقفها الداعم للسلطة الحاكمة وتقوية موقفها، بما ينسجم مع مبادئ التعاليم الاسلامية، وكيف لعبت هذه الطبقة من القضاة دوراً كبيراً في تقديم النصح والاستشارة والنقد لحكام الاندلس بما انعكس ذلك الدور في استقرار اوضاع البلاد سياسياً وإدارياً وأمنياً.

وقد قسم الباحث بحثه الى مقدمة وثلاثة محاور تناولت في المحور الاول : (الاشهاد على الكتب، وكسب الحكام للصفة الشرعية)، وتطرق في المحور الثاني الى (الاستشارة والارشاد)، وخصص المحور الثالث لـ(دور القضاة في تهذيب الفتن والاضطرابات) ، ثم خاتمة بينت فيها اهم النتائج التي توصلت اليها.

ABSTRACT

The subject ((manifestations of support and assigning judges to the rulers of Andalusia through the book Order perceptions judge Ayaz)) of subjects important because it highlights the important institution of the State, namely the judiciary, and the statement of its support to the ruling waist and strengthen its position, in line with Islamic principles teachings and how this class of judges played a major role in providing advice and counseling and criticism of the rulers of Andalusia including reflected role in stabilizing the situation of the country's political, administrative and security.

The department researcher discussed the introduction and three axes dealt with in the first axis: (certification of the books, and earn the rulers of legalized), and touched on the second axis to (counseling and guidance), and allocated the third axis for (the role of judges in calm dissension and unrest), then the finale showed where the most important findings.

المقدمة.

هذا بحث يتناول ((مظاهر دعم واسناد القضاة لحكام الاندلس من خلال كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض))، وهو موضوع جدير بالبحث والدراسة، وذلك لانه يسלט الضوء على نخبة مميزة من حملة العلم وهم القضاة، وفي رقعة جغرافية لها اهميتها الكبيرة في تاريخ العرب والمسلمين الا وهي بلاد الاندلس، وتأتي اهمية هذه الدراسة كونها ستكشف عن أثر القضاة الاندلسيين الريادي في جانب من الجوانب السياسية في بلادهم، الا وهي اسناد ودعم ولاية امور المسلمين في بلاد الاندلس من خلال تقديم النصح والمشورة لهم، وتوثيق ما يصدره من كتب ومراسيم لاضفاء الصفة الشرعية والرسمية عليها، فضلاً عن دورهم في القضاء على الفتن والثورات التي عصفت ببلاد الاندلس، فكان لهم الدور الكبير في ارساء الامن والامان في عموم البلاد، وتثبيت وتقوية مركز الحكام الاندلسيون بها ما دام هؤلاء الحكام يسيرون وفقاً لمبادئ وتعاليم الدين الاسلامي الحنيف، فضلاً عن دورهم في تحقيق العدل والمساواة وحفظ حقوق الناس، وكان القاضي عياض المغربي احد اعلام المعرفة ممن اولى مفكري وعلماء الاندلس حيزاً مهماً في مؤلفاته العديدة ومن بينها كتابه (ترتيب المدارك) الذي ولد حافزاً لدي كطالب علم للخوض فيه، بعد ان تصفحت متون نصوصه التي تمثل درراً قيمة في طبيعة المادة العلمية التي قدمها عن قضاة الاندلس كجزء من تراجمه لاعلام المالكية ما بين الفترة من القرن الثاني الى القرن السادس الهجريين / القرن الثامن الى القرن الثاني عشر الميلاديين، فكان لكتابه دور ريادي في اماطة اللثام عن شخصيات اندلسية احتلت مكانة مرموقة في خطة القضاء في بلاد الاندلس، مبيناً كفاءتهم العلمية، وحذقهم، ومعارفهم، وسجاياهم، ودورهم في

تسيير دفة الحكم في تلك البلاد بما هم اهلأ له، فتضافرت جهود اولئك القضاة مع حكام الاندلس لادارة البلاد على النحو الامثل بما قاموا به من نشر العدل ورفع الحيف والجور في حالات وظروف عدة شهدتها تلك البلاد في عهدها المختلفة، بحيث اثبتوا حضوراً سياسياً فاعلاً.

وقد اقتضت ضرورة البحث ان ينتظم بمقدمة وثلاثة محاور وخاتمة، تناولت في المحور الاول : (الاشهاد على الكتب، وكسب الحكام للصفة الشرعية)، وتطرق في المحور الثاني الى (الاستشارة والارشاد)، وخصصت المحور الثالث لـ(دور القضاة في تهدئة الفتن والاضطرابات).

اولاً- الاشهاد على الكتب، وكسب الحكام للصفة الشرعية.

عمل قضاة الاندلس على مساندة الحكام، بكل ما استطاعوا فالقاضي وهيأة الفقهاء المشاورين كانوا هم الذين يعطون الصفة الشرعية لكل الكتب والمراسيم والعهود الصادرة من قبل الحاكم الاندلسي وكتب الوثائق والحرب والسلم والبيع والشراء والصدقة والحسبة، وبدون شهادتهم عليها يبطل العمل فيها، فالحاكم الاندلسي في كل ما يصنعه ويقيده ويحله من بداية خلافته مرهون بشهادة القاضي ومعه الفقهاء المشاورون^(١).

وقد اورد لنا عياض انواعاً من الكتب التي تصدر من السلطة، ويشهد عليها القضاة، وتدخل ضمن اختصاصاتهم، والتي لا تتم الا بشهادة رجالات الاشهاد، فقد ذكر ان احد الفقهاء المشاورين الذين كانوا يشهدون على الكتب رد على اساءة الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)^(٢)، عندما رفضوا تنفيذ احد رغباته قائلاً : ((... فلو كنا عنده على الحالة التي وصفتها عنه، - ونعوذ بالله من ذلك - لبطل عليه كل ما صنعه، وعقده وحله، من أول خلافته الى هذا الوقت. فما بت له كتاب حرب، ولا سلم، ولا بيع ولا شراء، ولا صدقة ولا حبس ولا هبة ولا عتق، ولا غير ذلك، إلا بشهادتنا. هذا ما عندنا والسلام...))^(٣).

وعندما وصل هذا الرد الى مسامع الخليفة الناصر، ندم كثيراً، وادرك مدى تسرعه، واساءته لهم، وادرك مدى اهميتهم في دعم قراراته التي لا تتعارض مع الدين الاسلامي الحنيف، فنقل لهم مبعوث الخليفة رسالة منه اليهم جاء فيها: ((...ان امير المؤمنين يعتذر إليكم من موجدته، ويعلمكم بندمه على ما فرط منه، وأنه متبصر في أذاركم، وقد أمر لكل واحد منهم بصلة وكسوة علامة لرضائه عنكم...))^(٤).

وقد اورد لنا القاضي عياض معلومات مهمة عن دور القضاة في الاشهاد على الكتب الصادرة من السلطة، ومن ذلك ان يحيى بن معمر (ت، ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م)^(٥) الذي تولى قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م، للامير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)، كان الامير يستشيريه في الشهادات، ويعتمد على شهادته في الكتب، لما عُرف به هذا القاضي من الورع والزهد والعفاف والفضل والخير والتواضع والتحري^(٦)، اذ ذكر عياض ان الامير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٧هـ/ ٨٢١-٨٨٦م) نظر في شهادات الفقهاء، ولم ير شهادة قاضي الجماعة يحيى بن معمر، فكتب له: ((...تصفحت الشهادات فلم أر فيها شهادتك، وقد وجهتها اليك لتتصفحها، وتكتب برأيك فيها...))^(٧)، ومن هذا النص يتضح لنا مدى اهمية شهادة هذا القاضي في هذه المسألة، ومدى احترام الامير لرأيه، بحيث ان الامير لا يقطع أمراً الا بعد ان يسمع رأي قاضيه ويرى شهادته على هذا الكتاب.

وان الحاكم الاندلسي كان حريصاً على اشهاد العلماء والفقهاء الكبار في الكتب، فاسندوا هذه المهمة للقاضي ليقوم باستدعائهم نيابة عنهم، فاورد عياض بان القاضي سليمان بن اسود (ت، بعد ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)^(٨)، ارسل في طلب الفقيه (عبد الله بن خالد)^(٩) ليشهده في كتب الامير محمد بن عبدالله (٢٣٨- ٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م)^{١٠} فرفض ذلك، فكتب القاضي الى الامير يخبره برفض الفقيه عبدالله بن خالد، ووصف

تثاقله، فكتب الامير للقاضي قائلاً : ((نحن احق من عظم العلم وأهله فاذا اردت ان تشهد في كتبنا فاجلس الى الفقيه عبد الله بن خالد))^(١١).

ومن هذا يتضح لنا ان تثاقل بعض الفقهاء من القيام بمهمة الشهادة على كتب الحكام، امام القاضي أجبرت الامير محمد بن عبد الله ان يطلب من القاضي بالذهاب اليه واخذ شهادته، وهذا اعتراف بمكانته واهمية شهادة هذا الفقيه على كتب الامير.

وتأكيداً لاهمية الاشهاد على الكتب الصادرة من السلطة في الاندلس، نجد ان بعض أمراء الاندلس يعينون عدداً من القضاة والفقهاء من ذوي المكانة العلمية الكبيرة ليقوموا بمهمة الاشهاد على الكتب الصادرة من الحكام، وقد سجل لنا القاضي عياض عددهم في قوله : ان الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) اختار اربعة من العلماء المالكية ليدخلوا في الشهادات عليه^(١٢).

ونجد تأكيداً اكثر في هذه المسألة فقد ذكر الخشني في ترجمته للقاضي سليمان بن اسود بانه كان ((...حظياً عند الامير - الامير محمد - مقدماً لديه، وكان احد الاربعة الداخلين على الامير محمد (رحمه الله) فيما يحتاج من اشهاد واستفتاء...))^(١٣).

ويبدو ان هذا المجلس هو الذي اطلق عليه المحدثون من المؤلفين بانه مجلس النشمة، الذي تأسس في عصر الامارة، وهو عبارة عن مجلس شورى او مشاورة، يجتمع فيه قاضي الجماعة مع فقهاء الاندلس الكبار للتشاور والتباحث مع الامير في القضايا المهمة والاساسية التي تخص الدولة والاحكام القضائية الخطيرة والاشهاد على الكتب الصادرة من السلطة الحاكمة^(١٤).

ولمعرفة حرص الحكام على كسب الصفة الشرعية على عهود الحكم والكتب والمراسيم الصادرة من قبلهم اورد لنا ابن عذارى نصاً يخص قاضي الجماعة وصاحب

مظاهر دعم واسناد القضاة لحكام الاندلس من خلال كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض.....

الصلاة بقرطبة احمد بن بقي(ت، ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م)^(١٥) جاء فيه بان الخليفة الناصر لدين الله طلب منه بعد ان تسمى بامير المؤمنين سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، بان تكون خطبة الجمعة حاوية على هذا اللقب وهذا من اجل كسب الصفة الشرعية لحكمة^(١٦). وورد نص عند القاضي عياض يبين نوع الكتب التي كان يشهد عليها القضاة والفقهاء الكبار لكسبها الصفة الشرعية، فقد استشار قاضي الجماعة ابن بقي في أمر ضرورة شراء ارض المحشر، وطلب منه ان يقنع الفقهاء والمشاورين عندما لم يوافقوا، على طلبه والحاحه بذلك، بل قالوا بعد ان اساء لهم وزير الناصر بكلامه نقله عنه لهم، ((...فلو كنا عنده على الحالة التي وصفتها عنه، - ونعوذ بالله من ذلك - لبطل عليه كل ما صنعه، وعقده وحله، من أول خلافته الى هذا الوقت. فما بت له كتاب حرب، ولا سلم، ولا بيع ولا شراء، ولا صدقة ولا حبس ولا هبة ولا عتق، ولا غير ذلك، إلا بشهادتنا...))^(١٧)

وفي عهد الحجابة قلد الحاجب المنصور بن ابي عامر(٣٦٦-٣٩٢هـ / ٩٧٦ - ١٠٠١م)^(١٨) قاضي قرطبة ابن وافد(ت، بعد ٤٠١هـ/ ١٠١٠م)^(١٩) الشورى والشهادة على كل ما يصدر من السلطة في عهد الدولة العامرية^(٢٠).

ونجد ان القضاة كانوا من بين ممن يدعون مع غيرهم من أجل الاشهاد على عقود وعهود سياسية، فمثلاً ان مرسوم تولية العهد الذي اصدره الخليفة هشام المؤيد(٣٦٦ - ٣٩٩ هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٨م)^(٢١) لحاجبه عبد الرحمن المنصور قد ذُيل بشهادة قاضي الجماعة احمد بن ذكوان(ت، ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)^(٢٢)، وشهادة الوزراء وهم تسعة وعشرون وزيراً، ومائة وثمانون رجلاً من اكابر أهل الدولة والحكام والفقهاء وغيرهم^(٢٣).

وهكذا نجد ان أشهاد القضاة (وغيرهم) على مراسيم الدولة وعهودها تهدف منه السلطة التوثيق واعطاء الصفة الشرعية من أجل تنفيذها.

الا ان القاضي عياض لم يذكر هذه المعلومة رغم تقديمه ترجمة وافيه عن القاضي احمد بن ذكوان.

ثانياً : الاستشارة والارشاد.

ساهم القضاة مع أهل العلم والفقه في تقديم النصيح والارشاد عندما يشاورهم او يستشيرهم حكام الاندلس، بل نجدهم يقومون بالتوجيه والارشاد للطبقة الحاكمة عندما يرون ان ذلك واجبٌ عليهم^(٢٤).

وقد ذهب احد الباحثين المحدثين الى تسمية هؤلاء بالمستشارين تفريقاً لهم عن الفقهاء المشاورين الذين تنحصر مهمتهم بالمشاورة في الامور الفقهية ولا سيما الاحكام وما يتعلق بها^(٢٥).

في حين ان المستشارين مهنتهم المشاورة في الشؤون الخاصة بالدولة، وفي تراجم وسير القضاة عند القاضي عياض (وغيره)، نجد ان حكام الاندلس دأبوا على استشارة القضاة والاستعانة برأيهم ومساندتهم، فقد ذكر القاضي عياض بان الامير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٧هـ / ٨٢١ - ٨٨٦م) قد احاط نفسه بمجموعة من العلماء يشاورهم ويستمع لآرائهم ونصائحهم، تتكون من قاضٍ واحد وثلاثة فقهاء، وهم القاضي (يحيى بن مزين)^(٢٦)، والفقيه (عبد الملك بن حبيب السلمي)^(٢٧)، و(سعيد بن حسان الصائغ)^(٢٨)، و(محمد بن يوسف ابن مطروح)^(٢٩)، وكان هؤلاء الاربعة من رجالات العلم والفقه، والذي يهمننا هنا القاضي يحيى بن مزين (ت ٢٥٩هـ / ٨٧٢م) الذي تميز بفضل العلم، وفصل الخلق، فضلاً عن كونه شيخاً وسيماً ذا وقار وتدين وفصل حافضاً للموطأ، فقيهاً فيه، وله حظ من علم العربية، متقن الحفظ، جيد العقل^(٣٠).

ومما يلاحظ ان عدد اعضاء جماعة الشورى قد ازداد مع مرور الوقت، ففي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ / ٩١٢ - ٩٦١م) بلغ عددهم ستة عشر مشاوراً، ونستدل بهذا من خلال نصّ اورده القاضي عياض، اذ ذكر في ترجمته

للفقيه (اسحاق بن ابراهيم بن مرسة)^(٣١)، اذ قال : ((...وقدّم للشورى على يد القاضي ابن أبي عيسى^(٣٢)، دل عليه وليّ العهد الحكم، في عدة أريدوا لها، فكمّلت عدتهم إذ ذاك ستة عشر مشاوراً...))^(٣٣).

ان هذه الزيادة توضح لنا اهمية دور القضاة في دولتهم، لذا حرصوا على تقريبهم اليهم والاستعانة بأرائهم الصائبة، وتوجيهاتهم السديدة في ادارة دفة الحكم فعدّ قضاة الاندلس جزء من البطانة التي اعتمد عليها الحكام، فكانوا من مشاوريهم والمقربين اليهم، فتطافرت آراء ولاة الأمر في الاندلس مع آراء القضاة للتوصل الى اقوم وانجع القرارات التي قوموا بها المجتمع واداروا بها البلاد.

والجدير بالذكر اننا سنركز على دور القضاة في تقديم النصح والمشورة للحكام لانه يقع ضمن اطار دراستنا، مستثنين دور الفقهاء غير القضاة في هذه المسألة^(٣٤)، وهنا نؤكد ان حكام الاندلس دأبوا على استشارة القضاة والاستعانة برأيهم ومساندتهم وهو أمر ثابت في سياسة الحكام، وهذا يظهر واضحاً من خلال ما اورده القاضي عياض من امثلة تؤكد ذلك وان القضاة قاموا بمهمة تقديم الاستشارة والنصح للحكام عندما يطلب منهم ذلك، وذهب عياض الى ان هذا العمل يدخل ضمن واجبهم الديني، اذ قال : ((حق على كل مسلم أو رجل فعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقّه أن يدخل إلى ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر ويعظه حتى يتبين دخول العالم على غيره، لأن العالم إنما يدخل يأمره بالخير وينهاه عن الشر فإذا كان فهو الفضل الذي لا بعده فضل))^(٣٥).

ففي عهد الامارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م) استفاد الأمراء انفسهم من مشورة القضاة فيما اشكل عليهم من المواضيع، ويبدو ان القضاة قد اخلصوا في الرأي، فلم يحابوا الأمراء ويجاملوهم، الأمر الذي كان له الوقع المؤثر في نفوس أمرائهم تجاههم، ومن ذلك القاضي محمد بن بشير (ت، ١٩٨هـ/٨١٣م)^(٣٦)، الذي

قدم النصح للامير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م)^(٣٧)، فكان أول ما أنفذه من أحكامه، هو تسجيل مخالفة شرعية على الأمير الحكم بن هشام، في شرائه لرحى القنطرة بباب قرطبة، إذ أثبت عند القاضي حق صاحبها الاول، وبطلان شرائها من قبل الامير، ولم يكن عند الأمير مستند يستند عليه، فسجل القاضي على الامير بطلان الشراء، وبعد ان مضت فترة قصيرة من الوقت حتى ابتاعها الامير ابتياعاً صحيحاً، فسر بذلك الامير، واخذ بالثناء عليه، اذ قال: ((رحم الله ابن بشير فقد أحسن فيما فعل بنا على كره منا، إذ كان في أيدينا شيء مشتبّه فصحح ملكه لنا))^(٣٨).

وكذلك اختار الامير الحكم بن هشام، قاضي الجماعة بقرطبة الفرّج بن كنانة (ت، بعد ٢٠٠هـ / ٨١٥م)^(٣٩) ليكون جليسه ومشاوره، لانه كان ((...من أهل العلم والعبادة... شريفاً حكيماً جزلاً خيراً فاضلاً... للفرّج قدر جليل، في الناس، ومكان عند السلطان...))^(٤٠)، فاخلص هذا القاضي في تقديم النصّح والمشورة للامير في المواقف التي استشير فيها، لا سيما فيما يتعلق بأمن البلاد وسلامتها، فمثلاً عندما حدثت (هيجة الرّيض)^(٤١)، في عهد الامير الحكم بن هشام، وبعد معالجة الهيجة بكلّ قساوة لمدة ثلاثة ايام اقدم هذا الامير على استشارة القاضي الفرّج بن كنانة في أمر المشتركين فيها ضده، ومن بينهم القضاة والفقهاء، فكان رأيه هو الصّفح والعفو عن المشاركين بالثورة والمتهمين بها، والعمل على تهدئة الرأي العام، بسبب ما احدثته هذا الثورة من تأزم الاوضاع في الاندلس، ونصح القاضي اميره بان يقتدي برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويحتذي حذوه مع قرّيش عندما فتح مكة عام ٨هـ / ٦٢٩م، وأنك أحق الناس بالاعتداء به لمكانك من قرابته وخلافة الله في عباده^(٤٢).

فأمر الامير باصدار عفوٍ عن جميع المشاركين في هذه الثورة، وبسط الأمان لهم، وأمر بردهم الى منازلهم ومناطقهم بعد ان رحلوا منها^(٤٣)، وبذلك اسهمت حسن مشورة هذا القاضي لاميره في انقاذ قرطبة وأهلها بل وعلمائها وقضاتها، فهدأت

الاحوال، بل ان مشورة ونصيحة هذا القاضي كان لها فعلها في تغير الامير الحكم لسياسته مع الرعية حيث اخذ يسوس الناس بالحسنى وندم على ما فعل.

كما ولي الحكم الرضي(١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) قاضي طليطلة عيسى بن دينار(ت، ٢١٢هـ/ ٨٢٧م)^(٤٤) الشورى بقرطبة^(٤٥)، لما لمسه به من امكانات علمية فذة اذ عرف عنه بانه كان عالماً، فقيهاً، مفتياً، ورعاً، خيراً، فاضلاً، من مقدمي العلماء بالاندلس لا يعد في الاندلس افقه منه في نظرائه، ولم يخلف بعده افقه منه ولا اورع^(٤٦)، وعلى حد وصف القاضي عياض له، بل واخرون من المؤلفين الذين ترجموا لهذا القاضي^(٤٧).

وهذا الفقيه ابان بن عيسى بن دينار(ت، ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م)، الذي تولى احكام القضاء بمدينة طليطلة وجيان للامير محمد بن عبد الرحمن، كان بقرطبة مشاوراً للامير، كونه فقيهاً، زاهداً ورعاً^(٤٨).

وهكذا كان أمراء الاندلس يختارون وينتقون المشاورين من بين أهل العلم والفقه والورع وغيرها من الصفات والمميزات التي تؤهلهم الى تولي هذا المنصب. وفي عهد الخلافة ايضاً، كانت سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر تقوم على اختيار المشاورين من قضاته، من ذوي العلم والأدب والمكانة الاجتماعية والكفاءة العسكرية والحنكة الادارية مع قوة الشخصية والمستوى الخلقي الرفيع، فكانوا موضع ثقة الخلفاء وصندوق اسرارهم ومحل استشارتهم^(٤٩).

ومما يذكر عن قاضي الجماعة بقرطبة الحبيب بن زياد(ت، ٣١٢هـ/ ٩٢٤م) انه كان كثير الركوب إلى الأمير عبد الرحمن الناصر والدخول اليه، حتى عد ابن سعيد المغربي تردده هذا الى السلطان اهانة لخطه القضاء لما فيه من تبذل^(٥٠).

ولكن يمكن الاستدراك عن ذلك والقول انه ربما كانت حاجة الخليفة لمشورة هذا القاضي في امور متنوعة هي التي ادت الى كثرة التردد الى دار الخلافة. وكان القضاة يراقبون الفقهاء المشاورين، ويرفعون التوصيات الى الحكام، وخاصة اذ لم يكونوا أهلاً لها، وخاصة اذ كان الفقيه المشاور سيء الذكر فإن العزل مصيره، فهذا الفقيه المشاور محمد بن يحيى بن لبابه لم يكن بالمرضي في نفسه وكان الثناء عليه من أقرانه قليلاً، وكان يتبع الهوى في فتياه ويخلط، ولذا فقد سجل عليه قاضي الجماعة الحبيب بن زياد سخطه، ثم رفع ذلك إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي أصدر ظهيراً بإسقاط ابن لبابه عن منزلة الشورى، وأمره بلزوم بيته وعدم إفتاء أحد^(٥١).

وعن القاضي احمد بن بقي(ت، ٣٢٤هـ/٩٣٥م) الذي لزم عياض الصمت في تقديم معلومات وافيه عنه، في حين اسهبت المصادر في الحديث عنه، وعن مكانته عند الخليفة الناصر الذي كان يحترمه ويجله كثيراً، وولاه سنة ٣١٤هـ/٩٢٥م قضاء الجماعة في قرطبة^(٥٢)، وكان هذا القاضي في شبابه مشاوراً للامير عبد الله بن محمد(٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)^{٥٣} في جميع اموره وهو ابن خمس وعشرين سنة قبل ان يلي القضاء فيما بعد للخليفة الناصر، لنبوغه بالعلم والفقه مبكراً، ارتفاع منزلته بين العامة والخاصة، حتى ان الخليفة الناصر كان يوجه اليه الوزراء للجلوس معه ومشاورته في امورهم^(٥٤)، وبذلك يكون هذا القاضي مشاوراً في امور ادارة الخلافة. ومن اخبار القاضي احمد بن بقي نجد ان الخليفة الناصر شاوره في أمر شراء ارض المحشر، وهي من احباس (اوقاف) المرضى بقرطبة، فابدى القاضي رفضه لذلك رغم اصرار الخليفة، وما بذله من اضعاف قيمة هذه الارض لشرائها، ولقد بين القاضي للخليفة بانه لا يسوّغ له شراء تلك الارض، لانه ولي الأمر، وولي الأمر اولى الناس في المحافظة على حرمة الاحباس(الاوقاف)من غيره^(٥٥).

وولى الخليفة الناصر قاضي اشبونة محمد بن خالد (ت، ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م)^(٥٦)، الشورى بقرطبة، لانه كانت له عناية بالرأي والفتيا والوثائق^(٥٧)، وهي سمات مهمة في اختيار المشاورين من قبل حكام الاندلس.

وبرز اهتمام الخليفة الناصر بتحصين الثغور، وتقويتها لكونها خط المواجهة الاول لاي اعتداء على البلاد، فقد كان مهتماً بكل قرار يتخذه في هذا الشأن، فاقدم على مشاورة الثقات، ممن كانوا أهلاً للشورى الصائبة، وكان للقضاة نصيبهم في المشورة التي تتعلق بامن البلاد وحمايتها، ومنهم القاضي عبد الله بن حسين (ت، ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)^(٥٨) الذي : ((... كانت له حظوة عظيمة من أمراء الثغر، وكان الناصر يشاوره في امور الثغر...))^(٥٩).

وكان احمد بن دحيم (ت، ٣٣٨هـ/ ٩٦٩م)^(٦٠)، قد ولي الشورى بقرطبة للخليفة عبد الرحمن الناصر، ثم اضاف اليه ولاية القضاء على مدينة طليطلة، ثم قضاء مدينة البيرة وبجانة^(٦١).

وعندما تقلد الخلافة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١-٩٧٦ م)^(٦٢) سار على سيرة آبائه واجداده، في مشاورة العلماء والفقهاء، ولا سيما القضاة منهم، فقد اشتهر بمجالسه الاستشارية التي اصبحت صفة من صفات سيرة هذا الخليفة، فبعد ان قلد الخليفة الحكم المستنصر الفقيه ابا بكر بن السليم (ت، ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)^(٦٣) قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م، ثم رقاها الى منصب الشورى^(٦٤) للاستفادة من آرائه وما يبيده من مشورة للخليفة لانه: ((...فقيه مذهب مالك، حافظ متقدم من أهل المعرفة بالحديث والرجال، عالماً بالحديث والفقه...))^(٦٥).

وكافأ الخليفة الحكم المستنصر الفقيه محمد بن عبيد الله بن الوليد (ت، ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)^(٦٦)، على اتمامه لكتاب الاستيعاب للخليفة الحكم المستنصر، فقدمه الى رتبة الشورى بقرطبة وولاه قضاء الجماعة بها^(٦٧).

وكان العالم ابو بكر بن القوطية(ت، ٣٦٧ هـ/٩٧٧م)^(٦٨)، ممن تقلد احكام القضاء للخليفة الحكم المستنصر، كما ولي الشورى له بقرطبة الى جانب القضاء^(٦٩). وذكر عياض بان القاضي قاسم بن خلف(ت، ٣٧١ هـ/٩٨١م)^(٧٠) كانت له منزله ومكانة عالية من الخليفة الحكم المستنصر بالله(٣٥٠ - ٣٦٦ هـ/٩٦٦-٩٧٦ م)، الى حد ان اسكنه معه الزهراء، وتوسع له، وولاه قضاء مدينة بلنسية وطرطوشة فحكمها مدة من الزمن^(٧١)، وعهد الحكم الى وزرائه واعيان دولته بمشاورته، فكان صدرًا في أهل الشورى، وكان الخليفة يجتمع معه وينظره في الفقه^(٧٢)، فهذا القاضي عمل مشاوراً للحاكم ولجهازه الاداري في الوقت نفسه.

ومن هذا يتضح لنا بان مشاورة القضاة من قبل الحكام لم تقتصر على الامور السياسية فقط، وانما كانت مشاورات تخص السياسة والدين وكذلك مشاورات علمية، وان المشاورة لهم شملت الوزراء وكبار رجال الدولة.

وقد حافظ القضاة على مكانتهم، كمستشارين بتوالي العهود التي مرت على الاندلس، فنجد ان عهد الحجابة كان حافلاً بخيرة المشاورين من القضاة، ومنهم قاضي الجماعة محمد بن يبقى(ت، ٣٨١ هـ/٩٩١م)^(٧٣)، الذي لم يذكر عياض معلومات عنه فيما يخص مشاورة الحاجب المنصور له، اذ ذكرت مصادر اخرى ان الحاجب المنصور استشاره في أمر مهم، وهو عندما حقق الحاجب المنصور كل مايصبو إليه، وبسط نفوذه على سائر السلطات السياسية والادارية والعسكرية بالاندلس، ولم يبق إلا الخطوة الأخيرة ليكمل مراده، وذلك باعلان نفسه خليفة بدلاً من الخليفة هشام المؤيد، ويدفعه إلى فعل ذلك نجاحه في تجاوز العقبات التي اعترضته، ويؤيده في ذلك جيش هو عماد دولته، وفي الوقت نفسه يدين له بتكوينه وتنظيمه، إلا أن العقبة الحقيقية التي كان المنصور يخشاها تتمثل بالرعية، فهو يخشى ثورتها في

وجهه عندما يعلن نفسه خليفة بدلاً من خليفته المويّد، فجمع المنصور قاضي الجماعة محمد بن يبيّ وكبار الفقهاء وخواصه لاستشارتهم في ذلك^(٧٤).

وقد ذكر ابن حزم تفاصيل ذلك الاجتماع، وملخص ذلك، بأن المنصور عقد اجتماعاً مع كبار أهل قرطبة ليرى موقفهم مما عزم عليه، وكان من بين المدعويين لحضور هذا الاجتماع (ابن فطيس)^(٧٥)، وقاضي الجماعة محمد بن يبيّ بن زرب و(أبو عمر بن المكوي)^(٧٦)، و(أبو محمد الأصيلي)^(٧٧)، ومجموعة من الفقهاء والمشاورين، وبعد أن أيده أغلب الحاضرين فيما يصبو إليه، جاء دور القاضي محمد بن يبيّ بن زرب ليبيّن رأيه في الأمر فقال: ((وصاحب الأمر ماشأناه؟ فقال له: لا يصلح لهذا، فقال له: يرى ويجرب، فقال له: أفي مسائل الفقه؟ يريد أن يسأله، قال: لا، ولكن في مسائل السياسة وتدبير المملكة، قال: فإن لم يقم، قال: يُنظر في قریش، فأعرض عنه - الحاجب المنصور - مغضباً))^(٧٨)، وبهذه المشورة وقف المنصور على حقيقة الأمر فعدل عن رأيه، وسار على رأي قاضيه، رغم أنه لم يكن راضياً عليهم في بادئ الأمر.

وفي عهد الحجابة كان القاضي أبو محمد الأصيلي (ت، ٣٩٢هـ/١٠٠١م)، رأساً في أهل الشورى، وشاوره الحاجب المنصور بأمور كثيرة، منها أن الحاجب المنصور استشار الفقهاء والقضاة في أرض موقوفة على بعض كنائس أهل الذمة، أراد شراءها، فمنعه جماعة الفقهاء منها، غير القاضي أبي محمد الأصيلي فإنه أفتاه بجواز شرائها^(٧٩)، وكذلك استشاره المنصور في جواز الصلاة في العمارية التي كان يلزم الركوب فيها في أسفاره، فافتى الأصيلي له بجواز وإباحة ذلك في الفريضة، دون النزول بالأرض^(٨٠).

وذكر عياض بأن القاضي عبد الرحمن بن محمد الرعيني (ت، ٣٩٦هـ/١٠٠٥م)^(٨١) الذي تولى القضاء بعدة مدن اندلسية ولي الشورى للحاجب

المنصور بن ابي عامر (٣٦٦ - ٣٩٣هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٢ م)، وكانت له منزلة كبيرة عند المنصور ويستشير في اغلب اموره^(٨٢).

وكان قاضي مدينة سالم ابو عثمان سعيد بن محسن الغاسل(ت، ٤٠١هـ / ١٠١٠م)^(٨٣)، مشاوراً للحاجب المنصور بن ابي عامر بقرطبة وكان من الداخلين على الحاجب المنصور، وله منه مكانة ووجاهة^(٨٤).

وبلغت منزلة بعض القضاة عند الحاجب المنصور مكاناً عالياً لم يحظ به غيرهم لاسيما القضاة المشاورون، والذي حرص الحاجب المنصور على ملازمتهم له، وبقائهم الى جانبه ليستأنس بأرائهم، ويستفيد من مشورتهم، ومن اولئك قاضي الجماعة الشهير احمد بن ذكوان(ت، ٤١٣ هـ / ١٠٢٢م) الذي كان من جملة اصحاب وخواص الحاجب المنصور، ومحلّه من المنصور فوق محل الوزراء، وأفرد له المنصور بيتاً خاصاً داخل القصر لكي يكون قريباً منه حتى يشاوره ويفاوضه في تدبير الملك، وسائر شؤونه، وجميع ما يحتاج اليه^(٨٥).

وحافظ هذا القاضي على مكانته لدى الحجاب من حكام الاندلس بعد وفاة الحاجب المنصور، اذ عمل ولدا الحاجب المنصور عبد الملك المظفر (٣٩٤- ٣٩٩هـ / ١٠٠٣- ١٠٠٨م)^(٨٦) والمأمون (٣٩٩هـ / ١٠٠٨م) اللذان تقلدا الحجابة بعد وفاة والدهما، برأي ومشورة القاضي احمد بن ذكوان، فكانا بعد تقلدهم أمر الحجابة، يفاوضانه في جميع امور الدولة، ولم يجر شيء من أمر المملكة الا عن مشورته ورأيه^(٨٧).

وفي عهد الفتنة قلد الخليفة محمد المهدي (٣٩٩- ٤٠٠هـ / ١٠٠٨- ١٠٠٩م)^(٨٨)، قاضي طليطلة خلف بن مروان بن أمية(ت، ٤٠١هـ / ١٠١٠م)^(٨٩)، الشورى بقرطبة، كونه أحد أكابر الفقهاء بقرطبة، وكانت له عناية بطلب العلم وذا نزاهة وتفقه^(٩٠).

وقدم الخليفة المهدي في ايام الفتنة، الفقيه (أحمد بن ابراهيم بن أبي سفيان)^(٩١) الى الشورى مع القاضي عبد الرحمن بن احمد المعروف بان الحصار(ت، ٤٢٢هـ/١٠٣٠م)، كون ان هذا الفقيه عرف بفقهه، وأدبه، وعفافه، وغناه، وبانه من وجوه أهل قرطبة^(٩٢).

وعندما آل الحكم الى سليمان الملقب بالمستعين (٤٠٠هـ - ٤٠٧هـ / ١٠٠٩ - ١٠١٦م للمرتين)^(٩٣)، كان حريصاً على مشاورة قاضيه بقرطبة عبدالله بن محمد بن قيد(ت، ٤٠٠هـ/١٠٠٩م)^(٩٤)، والاخذ برأيه، فقدمه للشورى في الفتنة تنوياً بمكانته^(٩٥)، ذلك لانه: ((... من أهل البراعة في الفقه والحديث، والافتتان في ضروب من العلوم، والتحقق منها.... مع مروءة وعفة...))^(٩٦).

ونرجح بان هذا القاضي لم يبخل على الخليفة في تقديم افضل الاراء، واكثرها سداداً، في وقت عاشت فيه الاندلس ايام فوضى وفتنة ومحنة عصفت بالبلاد ومزقتها. ولم يذكر القاضي عياض بان ابا عبد الله بن الحذاء(ت، ٤١٦هـ/١٠٢٥م)^(٩٧)، تولى احكام القضاء بعدة مدن اندلسية، وازافة الى القضاء كان في عداد المشاورين في الامور السياسية بقرطبة^(٩٨).

وآلت رئاسة الشورى بقرطبة للقاضي ابي محمد الشقاق (ت ٤٢٦هـ/١٠٣٤م)^(٩٩)، الذي كان آخر العلماء الأندلسيين النحارير المبرزين في الفقه والحفظ والحنق بالفتوى والشروط^(١٠٠).

ويمكن القول ان بفضل آراء القضاة الصائبة وحسن نصحتهم لحكامهم، قد ادوا دوراً فاعلاً في توجيه الحكام الوجهة الصحيحة في ادارة البلاد على الوجه الامثل، مما يوضح لنا اهمية المشاورة وفائدة النصيحة الصادقة في تجنب الوقوع في الخطأ فيما لو انفرد الحاكم برأيه، ليكون ذلك عبرة لكل ذي لب سليم في عدم الاستغناء عن

مشاركة الآخرين في الامور قبل الاقدام على العمل بها، لذا فقد تمسك الحكام الاندلسيون بمشاورة أهل العلم ولا سيما قضاتهم مدركين عظيم نفعها على الجميع.

ثالثاً : دور القضاة في تهدئة الفتن والاضطرابات:

عمل قضاة الاندلس على تقديم الدعم السياسي والاجتماعي للحكام، انطلاقاً من الواجب الذي فرضه عليهم الدين الاسلامي الحنيف، لان مساهمة القضاة في الحفاظ على وحدة الامة ودرء الخطر السياسي عنها من خلال تهدئة الفتن والثورات التي تهدد وحدة الاراضي الاندلسية التي تربص بها الاعداء، لا سيما الممالك الاسبانية واجب عليهم، فعمدوا الى تقديم الدعم والاسناد للسلطة الحاكمة وساهموا في تثبيت قواعد الحكم الاسلامي في الاندلس، ومساندة الحكام والتأكيد على طاعتهم، انطلاقاً من قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ))^(١٠١)، وورد في الآثار النبوي الشريف، احاديث كثيرة تحت على طاعة ولي الأمر، ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) : (اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)^(١٠٢)، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : (عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك)^(١٠٣).

وقد جهد القاضي عياض في عرض نصوص برهن من خلالها على أثر القضاة في إعادة الهدوء والاستقرار الى الاندلس، ودرء الفتن والاضطرابات التي عصفت في البلاد، واخلت بالبنية الاجتماعية، فافلح اولئك القضاة في استتباب الامن، وتأکید طاعة الرعية لولاة الامور، ففي ايام هيجة الرض على الامير الحكم بن هشام، استقدم الامير الفرج بن كنانة (ت، بعد ٢٠٠هـ / ٨١٥م) من مدينة شذونة الى قرطبة وولاه قضاء الجماعة بها سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م، وكان صلب القناة في حكومته^(١٠٤)، وبرز دوره في تهدئة الاحوال بين الناس، ((فاستنقذ الله بشفاعته كثيراً، وسكن الأمر عند الامير))^(١٠٥)، ويذكر لنا القاضي عياض ان الفرج بن كنانة قال

للامير الحكم بن هشام إن قريشاً حاربت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وطردته، وبالغت في أذاه، وهو يدعوهم الى الهدى، ثم كان من صفحه عنهم لما أظهره الله عليهم ما علمت، وأنت أحق الناس بالافتداء به لمكانك من قرابته وخلافة الله في عبادته، فسكن عنهم وبذل لسيئاتهم الأمان على الجلاء عن قرطبة^(١٠٦).

وان قول ونصح القاضي اعلاه سبقتة حادثة، لم يذكرها لنا عياض، في حين ذكر النباهي تفاصيلها قائلاً : ((...أن بعض أصحاب الأمير الحكم، الذين أرسلهم على الناس، تعلقوا بجار الفرّج بن كنانة، أتهموه بالحركة...، وتسوروا عليه. وصاح نساؤه ؛ فسمع القاضي الصراخ ؛ فقال : ما هذا ؟ فقيل : جارك فلان تعلق به الحرس ؛ فأخرجوه ليقتل فبادر الخروج، وكف القوم عن جاره، وقال لهم : إن جاري هذا بريء الساحة، سليم الناحية، وليس فيه شيء مما تظنون. فقال له رئيس الحرس، المرسل معهم : ليس هذا من شأنك عليك بالنظر في أحباسك وحكومتك ودع ما لا يعينك فغضب الفرّج عند ذلك، ومشى إلى الأمير الحكم ؛ فاستأذن عليه. فلما دخل، قال له بعد السلام : أيها الأمير إن قريشاً حاربت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وناصبته العداوة في الله تعالى ؛ ثم إنه صفح عنهم، لما اظفره الله تعالى بهم، وأحسن عليهم. وأنت أحق الناس بالافتداء به، لقرابتك منه، ومكانك من خلافته في عباد الله ثم حكي له قصة جاره، وما عرض له في الدفاع عنه. فأمر بتخليه سبيله، وبعقاب الناظر الذي عارض القاضي ؛ وعفا عند ذلك عن بقية أهل قرطبة، وبسط الأمان بجماعتهم، وردهم إلى أوطانهم...))^(١٠٧).

وبذلك اسهمت شفاعة هذا القاضي بدور فاعل في تهدئة غضب الامير الحكم وعودته الى رشده، بحيث تصرف بحكمة واتزان، وعفا عن المسيئين بحقه، فكسب بذلك ود الناس واسهم في تفريج موقف قدر له ان يتأزم وينتج اموراً لا تحمد

عقباها، وبذلك سجل التاريخ موقفاً مشرفاً لهذا القاضي في حقن دماء المسلمين من جانب، والحفاظ على سلطة ومكانة الامير من جانب آخر.

كما ساهم القضاة باصلاح ذات البين بين ابناء المجتمع الاندلسي انفسهم، فعندما اندلعت الفتنة بين المولدين والعرب في مدينة استجة، وذلك في عهد الامير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م)، على أثر رفض المولدين الصلاة خلف امام عربي، ذلك ان رسوم الدولة الاموية في الاندلس كانت تقتضي الا يقدم للامامة في الصلاة الا العربي، فكلف الامير عبد الرحمن بن الحكم قاضي استجة عبد الرحمن بن موسى الهواري (ت، بعد ٢٢٨هـ/٨٤٢م)^(١٠٨)، ليتدخل لحل الازمة، واستطاع هذا القاضي ان يطفئ نار الفتنة تلك، على أثر ارضاء الطرفين عندما تولى امامتهم بنفسه في الصلاة^(١٠٩).

الا ان القاضي عياض اغفل هذه الحادثة، وما قام به القاضي الهواري في تهدئة الفتنة والقضاء عليها بحكمته واجتهاده، ولمكانته الكبيرة عند طرفي النزاع.

وعندما ثار أهل قرطبة على الامير عبد الرحمن بن الحكم، استجلب الامير قاضيه يحيى بن مزين (ت، ٢٥٩هـ/٨٧٢م) من مدينة طليطلة الى قرطبة، واقطعه القطائع الشريفة، وابتنى له داراً، ووصله بصلات جزلة^(١١٠)، لما التمس به من فضل العلم، وفضل الخلق^(١١١)، ويبدو ان استدعاء الامير له هو للتشاور والتباحث لحل مشكلة ثورة أهل قرطبة عليه، فكان قرار الامير صائباً في ذلك.

ومن جانب آخر نجد ان بعض القضاة قد سعوا وبمجهودهم الذاتي الى الدفاع عن ابناء المجتمع ومحاولة الحيلولة بينهم وبين المعايينة والمؤاخذه من قبل ولاة الامور في الاندلس، عندما تبدر منهم زلة او تصرف من شأنه ان يخلّ بموقع الحاكم الاندلسي، وهذا ما اقدم عليه القاضي محمد بن يبيقى (ت، ٣٨١هـ/٩٩١م)، الذي كانت له منزلة كبيرة عند الحاجب المنصور بن ابي عامر، فحاول ان يُهَدِّيَ غضب

الحاجب على المتهمين في اذكاء الثورة على الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦ - ٣٩٩ هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٨ م)، والحاجب المنصور، بقيادة (عبد الملك بن منذر البلوطي)^(١١٢) صاحب الرد (المظالم) بقرطبة، بسبب تغلب ابن أبي عامر على الأمر واتخاذ الصنائع لنفسه، وحجره على الخليفة هشام الأمر الذي لم يرق لعامة الناس، مما حمل جماعة من وجوه الناس على النكت بهذه الطبقة المتسلطة ومحاولة البطش بهذا الخليفة المستضعف، وبالحاجب ابن أبي عامر وقتله، واختيار غيره، فوقع ابن أبي عامر على الخبر، وجمع الفقهاء والقاضي محمد بن يبقى للشورى في أمرهم، وقد أقر ابن منذر بالأمر على نفسه^(١١٣)، ومع اعتراف المشتركين بذلك، اقدم القاضي محمد بن يبقى محاولاً الدفاع عن قائد الثورة وهو ابن منذر وحاول ان يبرر له الأمر الذي لم يرق لابن أبي عامر، معرباً لهذا القاضي بأنه يريد ان يدافع عن الخارجين على طاعته فلم يستجب المنصور لدفاع القاضي عنهم، وأمر بقتل ابن منذر وصلبه^(١١٤). ويمكن القول ان جهود القاضي وان ذهبت سدى في هذا الموقف الا انها تعد محاولة من قبله لحقن الدماء، واللجوء الى الصلح والعفو الذي عده افضل من الانتقام.

وتعدد المواقف الايجابية التي التزمها قضاة الاندلس في محاولة منهم للإصلاح ودرء الفتن، وفي هذا مساندة للحكام والمجتمع معاً للحيلولة دون تفاقم الاوضاع المتأزمة، فنجد ان القاضي عياض قد نوه الى دور قاضي الجماعة احمد بن زكوان (ت، ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م)، في احداث الفتنة البربرية، إذ تدخل للإصلاح عندما حذر الخليفة هشام المؤيد من سوء العاقبة والتزمت في الموقف، ووجد ضرورة الصلح مع البربر بقيادة سليمان بن الحكم الملقب المستعين، كما نصح الخليفة بعدم الاخذ بآراء مَنْ يسعى الى تأجيج الازمة^(١١٥).

وعلى الرغم من ان محاولة هذا القاضي للصلح والتهذئة لم يكتب لها النجاح، إذ سمع الخليفة رأي الوشاة عندما جرحوا بعدالة ابن ذكوان واخلاصه واتهموه بالميل الى البربر الأمر الذي حمل الخليفة هشام المؤيد على اصدار أمر باخراج احمد بن ذكوان وجميع أهله عن الاندلس، ونفيهم الى عدوة المغرب، فخرج يصحب أهله واخوته في سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م، فعظم على الخاصة والعامة أمر نكبتهم ونفيهم، لفرط محنتهم وجلالتهم في القلوب، وبعد فترة عادوا الى وطنهم الاندلس^(١١٦)، ومهما يكن من أمر فان هذا القاضي يسطر انموذجاً فريداً من الايثار وبذل النفس في سبيل النصح والارشاد.

وعندما تقلد سليمان الملقب المستعين (٤٠٠هـ - ٤٠٧هـ / ١٠٠٩ - ١٠١٦م للمرتين) حكم الاندلس من قبل البربر، قدم قاضيه عبد الله بن محمد بن قيد (ت، ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م)، للشورى في الفتنة تنوياً بمكانته، لانه كان من أهل البراعة في الفقه والحديث، والافتتان في ضروب من العلوم، والتحقق منها بعلم العربية، مع مروءة وعفة^(١١٧).

اما القاضي ابو الوليد الباجي (ت، ٤٧٤هـ / ١٠٧٤م)^(١١٨)، فقد كان له دور مشرف في الجانب السياسي، إذ يُعد هذا القاضي من اكابر دعاة الوحدة السياسية لحكام الطوائف في الاندلس ضد العدو الصليبي المشترك، المتمثل بالممالك الاسبانية الشمالية بقيادة الفونسو السادس، فحمل لواء الدعوة للوحدة السياسية منذ عودته من رحلته المشرقية سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م، إذ قام بالتجوال في مدن الاندلس داعياً لها، مستغلاً بذلك منصبه كقاضي، وعلاقته الجيدة مع حكام الطوائف الاندلسية، وحظى بثقة الناس عامتهم وخاصتهم، فكتف جهوده بعد (نكبة بريشتر)^(١١٩) والتي استولى النصارى على أثرها على (حصن قلمرية)^(١٢٠) سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م، فكان لجهود هذا القاضي أثر في عودة بريشتر بعد سقوطها بعام واحد^(١٢١)، إذ قام هذا القاضي

برحلات وسفارات كثيرة بين حكام المدن الاندلسية، كما نوه القاضي عياض الى ذلك بقوله كان :((...سفيراً بين رؤساء الاندلس يؤلفهم على نصرة الاسلام ويروم جمع كلمتهم... على ذلك))^(١٢٢).

ولم يكتفِ ابو الوليد الباجي بالقيام بالسفارات بين حكام الاندلس لجمع كلمتهم، ورص صفوفهم، لتوحيد جميع اراضيهم، فقام بتأليف الكتب التي تحت على الوحدة، والتكاتف في بلاد الاندلس^(١٢٣)، الا انه توفي قبل ان يتم مهمته، ويحقق رغبته، وامله بان يرى بلاده الاندلس موحدة قوية مثلما كانت قبل سنين^(١٢٤).

ان ما تقدم يمثل عرضاً مجملاً عما ذكره عياض من نصوص سَلَط الضوء على دور القضاة وأثرهم في السفارات والترسل لدرء الفتن، وحقق دماء المسلمين، وتحقيق وحدة البلاد وانسجامها اجتماعياً وسياسياً، مما كان لدورهم الاثر الفاعل في تقديم الدعم لحكام الاندلس سواء بشكل مباشر ام بشكل غير مباشر.

الخاتمة.

بعد الانتهاء من تحرير هذا البحث والذي تناول (مظاهر دعم واسناد القضاة لحكام الاندلس من خلال كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض)، يمكن تسجيل الاستنتاجات والملاحظات الاتية :

- شكلت تراجم القضاة التي سجلها القاضي عياض في (مداركه) مادة غنية ووفيرة لأثبات الدعم السياسي الذي قدمه القضاة لحكام الاندلس ما بين القرنين الثاني الى السادس الهجريين / الثامن الى الثاني عشر الميلاديين، مع أسناد او أضافة من مؤلفات ومصنفات أخرى دعمت و أكملت ما نحتاج اليه في تثبيت هذا الدعم.

- أن القضاء مؤسسة رديفة لنظام الحكم في الاندلس، بل هي جزء رئيس منه.

- غلب على خطة القضاء في الاندلس وجود رجال تحلوا بالعلم والحلم والهيبة والعدل وعدم المحاباة في اصدار أحكامهم، فقد عمل حكام الاندلس على اختيار ذوي الكفاءة والقدرة في العلم والعدل لتولي منصب القضاء، ادراكاً منهم لأهمية وضرورة ذلك.

- اتسم دور القضاة في الاندلس بالشمولية في عملهم، فكان أثرهم في المؤسسة السياسية فاعلاً وواضحاً، فوجدناهم يساندون الحكام، بالشهادة على الكتب الصادرة منهم، والعمل في ارشادهم ومشورتهم، فضلاً عن مساهمة القضاة في تهدئة الفتن والاضطرابات التي عصفت ببلاد الاندلس بين الحين والآخر.
- استفاد حكام الاندلس من مشورة القضاة فيما اشكل عليهم من المواضيع، ويبدو ان القضاة قد اخلصوا في الرأي، فلم يحابوا الحكام ويجاملوهم، الأمر الذي كان له الوقع المؤثر في نفوس أولئك الحكام تجاههم.

الهوامش :

- (^١) عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق : احمد بكير محمود، (بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، بلا.ت)، ج ٤، ص ٤٠٠.
- (^٢) عبد الرحمن بن محمد (المقتول) بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط، يكنى ابا المطرف، امه ام ولد رومية الاصل تسمى مزينة ، ولد سنة ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م، وكان ابيض اللون، ربع القامة، اشهل، حسن الوجه، تام الجسم، قصير الساقين، ولي الامر بعد وفاة جده الامير عبد الله، وكان من غرائب الوجود لانه كان شاباً وبحضرة الامارة اكابر من =اعمامه واعمام ابيه، وتولى الامارة سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م وهو ابن ٢٣ سنة، وهو اول من اتخذ لقب خليفة وذلك في عام ٣١٦ هـ / ٩٢٩ م وتسمى بـ (الناصر لدين الله) ومنذ ذلك الحين اصبح في العالم الاسلامي ثلاثة خلفاء العباسي ببغداد، والفاطمي في المهديّة (المغرب)، والاموي بقرطبة، ويُعد عهد الناصر العصر الذهبي لاندلس لما شهدته الاندلس من ازدهار وانتعاش في مختلف الميادين والفنون، واستمرت دولته خمسين سنة، وتوفى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . ينظر :
- القلقشندي، ابو العباس أحمد بن علي (ت، ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)، مآثر الانافة في

معالم الخلافة، تحقيق : عبد الستار أحمد فرج، (الكويت، وزارة الارشاد والانباء، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م)، ج ١، ص ٢٥ ؛ ابن الازرق، ابراهيم بن عبد المؤمن بن ابي بكر (ت، ٨٩٦هـ/١٦٠٤م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق : علي سامي النشار، ط ١ (بغداد، وزارة الاعلام، بلا. ت)، ج ٢، ص ٢٦٦ ؛ المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني(ت، ١٠٤١هـ / ١٦٣٢م)، ازهار الرياض في اخبار عياض، ضبطه وحققه وعلق عليه : مصطفى السقا واخرون،(القاهرة،لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م)، ج ١، ص ٢٦٦ ؛ مجهول، تاريخ عبد الرحمن الناصر، قدم له : عدنان محمد آل طعمة، ط ١ (دمشق، مطبعة الانشاء، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م)، ص ١٦٢ ؛ العزي، نجلة اسماعيل، قصر الزهراء في الاندلس، (بغداد، وزارة الاعلام / مديرية الاثار العامة، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٧ م)، ص ١٤ - ١٥.

(٣) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٠٠. ينظر ايضاً: الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري المالكي (ت، ٥٢٠هـ/١١٢٦م)، سراج الملوك، (القاهرة، بلا. م، ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)، ص ص ٣٣ - ٣٤ ؛ الكبيسي، خليل ابراهيم، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالاندلس في عصري الامارة والخلافة، ط ١ (بيروت، شركة دار البشائر الاسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ١٣١.

(٤) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٠٠. ينظر ايضاً: الطرطوشي، المصدر السابق، ص ١٣٣.

(٥) ابو بكر يحيى بن معمر بن عمران بن حنبل بن عبيد بن انيف الالهاني الشامي الاشبيلي، اصله من العرب الشاميين، ومن سكنة مدينة اشبيلية، بدأ بطلب العلم منذ صغره، ورحل الى المشرق، فأخذ العلم من المشايخ، وتقلد القضاء بقرطبة مرتين، توفي سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠ م. ينظر: ابن الفرضي، ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي(ت، ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م)، تاريخ علماء الاندلس، تحقيق : عزت

الطار الحسني، ط ٢ (القاهرة، مطبعة الخانجي، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م)، ج ٢، ١٧٥ ؛
أبن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الاندلسي (ت، ٤٥٦ هـ /
١٠٦٣ م)، جمهرة انساب العرب، ط ٣ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)،
ج ٢، ص ٤٣٣ ؛ ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت، ٤٦٩ هـ /
١٠٧٦ م)، المقتبس في اخبار بلد الاندلس، تحقيق : صلاح الدين الهواري، ط ١
(بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م)، ص ٤٦٩.

(٦) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ص ٥١-٥٢.

(٧) المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٣.

(٨) ابو ايوب سليمان بن اسود بن يعيش بن جشبيد الغافقي، من سكان مدينة غافق،
ووصف بانه، صلب في أحكامه لايفرق بين الطبقة الخاصة والطبقة العامة في
حكمه، توفي وهو ابن ٩٩ سنة. ينظر : الخشني، ابو عبد الله محمد بن الحارث
القيرواني (ت، بعد ٣٦٦ هـ / ٩٤٧ م)، قضاة قرطبة وعلماء افريقية، عني بنشره
تصحيحه: السيد عزت الطار الحسني، (بغداد، مكتبة المثنى، ١٣٩٢ هـ /
١٩٧٢ م)، ص ١٥٤ ؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٧٤؛ عياض، المصدر
السابق، ج ٣، ص ١٣٥؛ ابن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى المغربي (ت، ٦٨٥ هـ /
١٢٨٦ م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق : شوقي ضيف، ط ٤ (القاهرة، دار
المعارف، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م)، ج ١، ص ١٥١.

(٩) ابو محمد عبد الله بن خالد بن مرتيل القرطبي، مولى الامير عبد الرحمن بن
معاوية هشام، كان رأس المالكية في الاندلس، والقيام بها، والذب عنها، صليبا،
متدينا، ورعا، صالحا، مهيبا، مكينا من السلطان، وكان العامة والحكام يعظمونه،
والناس في مجلسه وكان الطير على رؤوسهم الطير من الاجلال. ينظر: ابن
الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥١ ؛ الحميدي، ابو عبد الله محمد بن ابي
نصر فتوح (ت، ٤٨٨ هـ / ١٠٩٠ م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس واسماء

رواة الحديث واهل الفقه والادب ذي النباهة والشعر، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م)، ص ٢٤٩؛ عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٤؛ الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت، ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، (مجريط، مطبعة روخس، ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤م)، ص ٢٣٠.

(١٠) محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، يكنى ابا عبد الله، ولقبه الامين، امه ام ولد اسمها تهتر، ولد في ذي القعدة سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م في قرطبة وبويع له ليلة وفاة والده وهي ليلة الخميس من ربيع الاول سنة ٢٣٨هـ / ٨٥٢م، وكان ابيض، مشرباً بحمرة، اوقص يخضب بالحناء والكتم، واستمرت ولايته على الاندلس ٣٤ سنة وتوفي في اواخر صفر سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م. ينظر: ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت، ٧٤٩هـ / ١٣٢٨م)، تاريخ ابن الوردي، ط ٢ (النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م)، ج ١، ص ٢٣٢؛ الروحي، ابو الحسن علي بن ابي عبد الله محمد بن ابي السرور بن عبد الرحمن (مجهول الوفاة)، بلغة الظرفاء في ذكروا تاريخ الخلفاء، تقديم وتحقيق: محمد زينهم محمد عزب، (مصر، مكتبة الثقافة الدينية، بلا.ت)، ص ٨٢؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق في اخبار الحقائق، تحقيق: نبيله عبد المنعم داود، (بغداد، مطبعة الرشاد، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م)، ج ٤، ق ١، ص ص ١١٥ - ١١٦.

(١١) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٥.

(١٢) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٤١.

(١٣) قضاة قرطبة، ص ١٠٨.

(١٤) السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضاراتهم في الاندلس، (الموصل، جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م)، ص ٤٤٤؛ الخلف، سالم بن عبد

الله، نظم حكم الامويين ورسومهم في الاندلس، ط١ (المدينة المنورة، الجامعة الاسلامية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ٢، ص ٩١٢.

(١٥) أبو عبد الله أحمد بن بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي، الأندلسي، ولد سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م، فترى ونشأ في حجر أبيه وطلب العلم عليه، فنبغ مبكراً، وارتفعت منزلته بين القوم، توفي بقرطبة سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م، وصلى عليه ولده عبد الرحمن بإيحاء أبيه. ينظر: ابن الفريسي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤؛ الحميدي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٣؛ عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٠٣؛ ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله (ت، ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م)، الاكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف من الاسماء والكنى والأنسب، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط ١ (حيدر اباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م)، ج ١، ص ٣٤٥؛ النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الملقب (ت، ٧٩٣هـ / ١٣٠٠م)، تأريخ قضاة الاندلس وسماه كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط ٥ (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م)، ص ٦٥.

(١٦) البيان المغرب، ج ٢، ص ١٩٨.

(١٧) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ٣٩٩-٤٠٠.

(١٨) محمد بن عبد الله بن ابي عامر محمد بن الوليد المعافري القحطاني، يكنى ابا حفص، ولقب بالمنصور، امه اسمها برهة بنت يحيى، وكان متسع الافاق، ناضج المعرفة، قوي الشخصية والعزم والنهضة، شجاعاً، تولى وظائف كبيرة في الدولة منها صاحب الشرطة الوسطى في قرطبة وتولى خطة المواريث، وناظراً على الحشم الخاص بالحكم المستنصر ثم اصبح حاجب الخليفة هشام المؤيد، ولقب نفسه بلقب خلافي وهو المنصور. وكان يدعى له على المنابر. ينظر : الحميدي، المصدر

السابق، ج ١، ص ٢٥١ ؛ ابن الوردي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٧ ؛ مجهول، مفاخر البربر، تحقيق : عبد القادر بوباية، ط١ (الرباط، دار ابي رقرق للطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م)، ص ٩٣.

(١٩) ابو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن وافد اللخمي اليحصبي، كان حافظاً ذاكراً للمسائل بصيراً بالأحكام مع الورع والفضل والدين والتواضع، وعاش احداث الفتنة البربرية، ولي منصب صاحب الصلاة، وولي القضاء مرتين فحمد الناس سيرته، توفي سنة ٤٠٤هـ / ١٠١٣م. ينظر: عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٦٨ ؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٥-١٥٦ ؛ ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت، ٥٧٨هـ / ١١٨٢م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ضبطه وعلق عليه : جلال الاسيوطي، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)، ج ٢، ص ٢٦٥ ؛ ابن ناصر الدين، ابو ناصر شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي (ت، ٨٤٢هـ / ١٤٣٨ م)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء والرواة وانسابهم والقابهم وكناهم، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي، ط ١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م)، ج ٩، ص ١٦٧.

(٢٠) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٥٨ ؛ الخلف، المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٩٤.

(٢١) هشام بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر يكنى ابا الوليد، ولقبه المؤيد بالله، امه ام ولد اسمها صُبْح البشكنسية، وكان ابيض، اشهل، اعين خفيف العارضين، لحينه الى الحمرة، حسن الجسم، قصير الساقين، وبويع له بالخلافة سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م بعد وفاة والده وهو ابن احدى عشرة سنة وخلع من الخلافة سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م، واستولى على دولته الحاجب المنصور واولاده من بعده، فكان مدة خلافة المؤيد ٣٣ سنة، وتوفي سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م. ينظر : ابن حزم، الفصل في الملل والاهواء والنحل، (القاهرة، مكتبة الخانجي، بلا. ت)، ج ١، ص ٥٦ ؛ ابن عذاري،

المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٨ ؛ ابن ناصر الدين، المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٠.

(٢٢) ابو العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الاموي القرطبي، تعرض ابن ذكوان لمحنة اصابته هو وأهله واخوته في سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م، وتم نفيهم الى عدوة المغرب، فقامت لنكبتهم بقرطبة القيامة، وعظم على الخاصة والعامة بما جرى عليهم، لفرط محنتهم وجلالتهم في القلوب، وبعد فترة عادوا الى وطنهم الاندلس، وتوفي سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م، بقرطبة ودفن بمقبرة بني العباس، وشهد جنازته خلق كثير من الخاصة والعامة، وشهد الصلاة عليه الخليفة نفسه يحيى بن علي بن حمود. ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص ٤٧ ؛ عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٦٢ ؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ص ٣٧ ؛ الضبي، المصدر السابق، ص ١٨٦ ؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك (ت، ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج ٧، ص ٨٠ ؛ الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/١٣٤٤م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، ط ١ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م)، ج ٢٨، ص ٣١٢ ؛ النباهي، المصدر السابق، ص ٨٤.

(٢٣) ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت، ٥٤٢هـ/١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ج ١، ص ١٠٤ ؛ ابن خلدون، ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد الحضرمي الإشبيلي (ت، ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط ٢ (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م)، ج ٤،

ص ص ١٩٠-١٩١ ؛ المقري، المصدر السابق، ج ١، ص ص ٤٢٤-٤٢٥ ؛
عنان، محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى مملكة غرناطة،
ط٤ (القاهرة، مطبعة مصر، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م)، ج ١، ص ٦٢٦.

(٢٤) الشيخلي، صباح ابراهيم، ((الحكام الاندلسيون واستخدام القضاة في الأغراض
السياسية دراسة من خلال كتاب (ترتيب المدارك) للقاضي عياض))، مجلة دراسات
في التاريخ والآثار، كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد ٣٨، (بغداد، ٢٠١٤م)، ص
١٠٢.

(٢٥) الكبيسي، دور الفقهاء، ص ١١٤.

(٢٦) ابو زكريا يحيى بن ابراهيم بن مزين الرملي القرطبي الطليطلي، مولى رملة بنت
عثمان بن عثمان، وله عدة مؤلفات منها كتاب تفسير الموطأ، وكتاب تسمية رجال
الموطأ وغيرها، توفي يحيى بن مزين سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م. ينظر: ابن الفريسي،
المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٨ ؛ الحميدي، المصدر السابق، ص ٣٧٣ ؛ عياض،
المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٢ ؛ ابن ماکولا، المصدر السابق، ج ٧، ص ١٨٧ ؛
الضبي، المصدر السابق، ص ٤٩٧ ؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن
علي بن محمد بن أحمد (ت، ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)، تبصرة المنتبه بتحرير المشتبه،
تحقيق : علي محمد البجاوي و محمد علي النجار، (بيروت، المكتبة العلمية، بلا.
ت)، ج ٤، ص ١٣٥٨.

٢٧ ابو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن عباس
السلمي القرطبي المالكي، كانت له رحلة إلى المشرق ثم عاد إلى الاندلس وقد جمع
علماً عظيماً، وفقهاً كثيراً، وكان حافظاً للفقهاء على مذهب المدنيين موصوفاً بالحق في
مذهب مالك، نبيلاً فيه نحوياً، عروضياً، شاعراً، نساباً، أخبارياً، وله مؤلفات في
الفقه والتواريخ والأدب، توفي سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م. ينظر: الصدي، ابوسعيد عبد
الرحمن بن أحمد بن يونس الصدي (ت، ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م)، تاريخ ابن يونس المصري،

ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ج ٢، ص ١٣٢ ؛ ابن
الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٣ ؛ ابن خير الاشبيلي، ابو بكر محمد بن
خير بن عمر بن خليفه الاموي (ت، ٥٧٥ هـ / ١١٧٩م)، فهرسة ابن خير الاشبيلي،
تحقيق : محمد فؤاد منصور، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)،
ج ١، ص ٢٣١؛ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق : علي محمد
البجاوي، ط ١ (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م)، ج ٤،
ص ٣٩٥.

(٢٨) ابو عثمان سعيد بن حسان الصائغ، من مولى الأمير الحكم الرضي، كانت له
رحلة الى المشرق لتلقي الفقه و العلوم، وسمع من جلة العلماء والفقهاء، وكان فقيهاً
في المسائل، زاهداً فاضلاً، حافظاً، ولم يكن في زمانه أروع منه، حتى يقال إنه مجاب
الدعوة، لفضله واجتهاده، وكان مشاوراً مع يحيى بن يحيى، منقطعاً الى مواخاته آخذاً
بهديه معظماً له، لم يخالفه في شيء يراه، وتولى الوزارة للأمير الحكم الرضي وظل
على مرتبته هذه في عهده الأمير عبد الرحمن الثاني حتى وفاته سنة ٣٢٠هـ /
٩٣٢م. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٨ ؛ عياض، المصدر
السابق، ج ٣، ص ص ٢١-٢٢؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٢٨٥.

(٢٩) ابو عبد الله محمد بن يوسف بن مطروح بن عبد الملك البكري القرطبي
الاندلسي، كان فقيهاً حافظاً، مبرزاً ، شيخاً جليلاً، عالماً بالفقه، فيه صلابه، وكانت
الفتوى دائره عليه بالاندلس في زمنه، توفي سنة ٢٦١هـ / ٨٧٤م. ينظر: ابو العرب،
محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت، ٣٣٣هـ / ٩٤٤م)، المحن، تحقيق: عمر سليمان
العقيلي، ط ١ (الرياض، دار العلم، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، ص ٣١١ ؛ ابن الفرضي،
المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٦ ؛ عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ص ١٤١-
١٤٢؛ ابن القيسراني، محمد بن طاهر بن علي (ت، ٥٠٧هـ / ١١٣م)، المؤلف

والمختلف (الانساب المتفقه في الخط المتماثلة في النقط)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م)، ص ١٧٤.

(٣٠) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٣. ينظر ايضاً: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٨؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٤٩٧.

(٣١) ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم بن مسرة التجيبي الطليطلي، من أهل قرطبة، واصله من طليطلة سمع من كثير من علماء الاندلس، وكان حافظاً للفقه، قدوة فيه ورعاً صالحاً، مشاوراً في الاحكام ويناظر عليه في الفقه، توفي بطليطلة سنة ٣٥٢هـ / ٩٦٣ م. ينظر ايضاً: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٨٧ - ٨٨؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط وحسين الاسر، ط ٩ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)، ج ٣١، ص ٨٩.

(٣٢) ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثي القرطبي، المعروف بابن ابي عيسى، ولد سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م، بمدينة قرطبة، وكان بها من بيت ذي نباهة ورئاسة في العلم، سمع بقرطبة من جلة علمائها، ورحل الى المشرق سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م، فحج وطلب العلم، فسمع من مشايخ مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ودخل مصر، وافريقية، فالتقى بعلمائها وجالسهم واخذ عنهم، ثم عاد الى الاندلس، توفي سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م، في ثغر من ثغور طليطلة، وهو ابن ٥٤ سنة ودفن بطليطلة. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٢؛ الكتاني، ابو عبد الله محمد بن الحسن الطيب (ت، ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م)، التشبيهات من أشعار أهل الاندلس، (بيروت، بلازم، ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م)، ص ٢٨١؛ عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٠٥؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٢٥، ص ١٨١؛ ابن فرحون، ابراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي (ت، ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م)، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، (القاهرة، دار التراث للطبع والنشر، بلا. ت)، ج ٢، ص ٢٢٣-٢٢٥؛ السيوطي،

ابو الفضل جلال الدين عبد الرحمن (ت، ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، (بيروت، المكتبة العصرية، بلا.ت)، ج ١، ص ١٤٨.

(٣٣) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٢٥.

(٣٤) ان الاستاذ الدكتور خليل ابراهيم الكيسي تناول هذا الموضوع ضمن كتابه دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية في الاندلس في عصري الامارة والخلافة.

(٣٥) عياض، المصدر السابق، ج ١، ص ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٣٦) ابو عبد الله محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري الباجي، طلب العلم على مشايخ قرطبة منذ صغره، وعمل كاتباً للقاضي مصعب بن عمران، ورحل الى المشرق حاجاً، فلقى الامام مالك بن انس، وجالسه وسمع منه، وبعدها انتقل الى مصر، واقام بها، واخذ من علمائها، واشبع في المعرفة، ثم انصرف الى الاندلس، ولزم ضيعته باجة، وكان رجلاً، صالحاً، فاضلاً، وبه تضرب الامثال، وتقلد قضاء الجماعة بقرطبة مرتين، توفي سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م ينظر: ابن حيان، المصدر السابق، ص ١٨٦ ؛ عياض، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٩٣ ؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٦٢ ؛ ابن البار، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القفاعي الاندلسي البلنسي (ت، ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق : عبد السلام الهواس، (بيروت، دار الفكر للطباعة، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م)، ج ١، ص ٢٨٥ ؛ المقرئ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٣.

٣٧ الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، يكنى ابا العاص، ويعرف بالريضي، ولقبه المرتضى، امه ام ولد اسمها زخرف، وهو الثالث من امراء الاندلس، ولد سنة ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م، وولي الامارة سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م بعد وفاة والده، وكان اسمر، طويلاً، نحيفاً لم يخضب، واستمرت ولاية ٢٧ سنة وتوفي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م. ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت، ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)، الوافي بالوفيات،

اعتناء : يوسف نجم، (بيروت، دار صادر، ١٣١٩ هـ/١٩٧١م)، ج ٣، ص ٣٨ ؛
السيوطي، المصدر السابق، ج ١، ص ص ٥٤٥ - ٥٤٦.
(٣٨) عياض، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٠٢. ينظر ايضاً : الخشني، المصدر
السابق، ص ٤٩.

(٣٩) الفرج بن كنانة بن نزار بن عتبان بن مالك الكناني، سكن شذونة، وكان من أهل
العلم والتقييد، وكانت له رحلة الى المشرق، سمع فيها من أهل العلم ولما قدم الاندلس
استخلصه الأمير الحكم الرضي واستقضاه قضاء الجماعة بقرطبة توفي سنة ٢١٣
هـ/ ٨٢٨ م. ينظر: الخشني، المصدر السابق، ص ص ٩٣ - ٩٥ ؛ ابن الفرضي،
المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩١؛ عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٠؛ ابن سعيد
المغربي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٦؛ النباهي، المصدر السابق، ص ٥٣.
(٤٠) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٠. ينظر ايضاً: ابن الفرضي، المصدر
السابق، ج ١، ص ٣٩٢؛ ابن القيسراني، المصدر السابق، ص ١٢١؛ ابن سعيد،
المصدر السابق، ج ٨، ص ١٤٦؛ النباهي، المصدر السابق، ص ٥٣؛ المقرئ،
المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٨.

(٤١) هيجة الرض : حدثت سنة ٢٠٢ هـ/٨١٨م، في عهد الامير الحكم بن هشام،
هيجة شعبية في احد ارياض مدينة قرطبة (والريض هو الحي الذي يقع خارج سور
المدينة وفي قرطبة احدى وعشرون ريضاً)، المسمى ريض شقندة ثم انتشرت الى
داخل مدينة قرطبة، واسباب هذه الهيجة عديدة، منها ان الامير الحكم اظهر فخامة
الملك، واسرف في تأكيد هيئته، من البذخ واللهو والصيد واستكثر من الممالك
وسلطهم على رقاب الناس، ويؤثر مجالس الندماء والشعراء على مجالس العلماء
والفقهاء، وهذا ما خلق معارضة سياسية تحولت الى مؤمرات قمعها بكل شدة،
ويضاف الى ذلك فرضه لضرائب عرفت بالمغارم على المعادن والمواد الغذائية
بالاضافة الى الضرائب الشرعية (الزكاة، والخراج، والعشور... الخ)، وكانت هذه

الهيبة قد بدأت بمشادة كلامية بين احد ممالك الامير الذي ذهب ليصقل سيفه في ربح شقنفة، وحدثت بينه وبين صقال السيف مشادة كلامية انتهت بقتل المملوك للصقال فهاج الناس وحملوا اسلحتهم ونادوا بسقوط الامير الحكم متوجهين الى القصر الاميري في قرطبة، فهاج أهل المدينة ومعهم من العلماء والقضاة والفقهاء، لقد عالج الامير الحكم بن هشام هذه الهيبة بكل قساوة وشدة، فقتل من قتل وفر من فر الى خارج قرطبة متوجهين الى بعض مدنها، ومنهم من ترك الاندلس وهاجر الى ارض زراعية، ثم عفا عن المشاركين فيها بعد ذلك. ينظر: مجهول، أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعية بها بينهم، تحقيق: ابراهيم اليباري، ط ٢ (القاهرة / بيروت، دار الكتاب المصري / دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م)، ص ١٢٠؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٦-٧٧؛ عنان، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٤٥-٢٤٧؛ خطاب، محمود شيت (ت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م)، قادة فتح الأندلس، ط ١ (بلا، مؤسسة علوم القرآن/منار للنشر والتوزيع، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)، ج ٢، ص ١٢٣؛ عثمان، عبد العزيز، ((الاماء والجواري ودورهن في المجتمع الاندلسي وحضارته))، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٣، (بيروت، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م)، ص ١٢٩-١٣٠.

(٤٢) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٠. ينظر ايضاً: النباهي، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٤٣) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٠. ينظر ايضاً: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩١-٣٩٢.

(٤٤) أبو القاسم عيسى بن دينار بن واقد بن رجاء بن عامر بن مالك الغافقي القرطبي، توفي سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١؛ عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٠، ص ٥٩؛ ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام

إبراهيم، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م)، ج ١، ص ٧٤؛ لسان الدين بن الخطيب، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت، ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق : يوسف علي الطويل، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ج ٣، ص ١٣٢.

(٤٥) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦.

(٤٦) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٦.

(٤٧) الخشني، ابو عبد الله محمد بن الحارث القيرواني (ت، بعد ٣٦٦ هـ / ٩٤٧ م)، اخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق : لويس مولينا، (مريد، المجلس الاعلى للابحاث العلمية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م)، ص ٣٥٢ ؛ الصدي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٤ ؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧٣ ؛ ياقوت الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت، ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ م)، معجم البلدان، ط ٢ (بيروت، دار صادر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ج ٤، ص ٤٠ ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٥، ص ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٤٨) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ص ١٥٠ - ١٥١. ينظر ايضاً: ابن فرحون، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٠.

(٤٩) البيهقي، ابراهيم بن محمد (ت، ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م)، المحاسن والمساوي، تحقيق : عدنان علي، ط (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ص ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ؛ النقيب، احلام حسن مصطفى، تاريخ الاندلس على عصر الخلافة الاموية، ط ١ (الموصل، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)، ص ٩٧.

(٥٠) المغرب، ج ١، ص ١٥٥؛ الخلف، نظم حكم، ج ٢، ص ص ٧٣٨ - ٧٣٩.

(٥١) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ٤٠٠ - ٤٠٢.

(٥٢) ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤؛ الحميدي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٣؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٤،

ص ص ١٤١ - ١٤٢؛ ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي بن احمد الدمشقي (ت، ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ط١ (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ج ٢، ص ٣٠١.

^{٥٣} عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط، يكنى ابا محمد، امه ام ولد اسمها عشتار، ولد سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م بقرطبة، وكان ابيض مشرباً بحمرة معتدل القامة، ازرق العينين، اصهب، يخضب بالسواد، وهو جد عبد الرحمن الناصر، تولى الامارة سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م ، وامتدت دولته ٢٥ سنة توفي سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م . ينظر : ابن عذارى، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٠، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٤، ص ص ١٥٥ - ١٥٦، مجهول، تاريخ الاندلس، ص ١٩٧.

^(٥٤) الخشني، قضاة قرطبة، ص ص ١٦٤ - ١٧١؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٠.

^(٥٥) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٩٩.

^(٥٦) ابو بكر محمد بن خالد بن وهب بن خالد بن داود بن جعفر القرطبي التميمي مولاهم، المعروف بابن الصغير، تولى أحكام القضاء في مدينة اشبونة، واكشونية، واختلفت المصادر في تحديد سنة وفاته فذكرت ان وفاته سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م، وقيل ٣٢٧هـ / ٩٣٨م، وقيل ٣٢٨هـ / ٩٣٩م. ينظر : ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٢؛ الحميدي، المصدر السابق، ص ٥٤؛ عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٩٧؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٧٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٢٤، ص ٢٧١.

^(٥٧) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٩٨.

^(٥٨) ابو محمد عبد الله بن حسين الوشقي، المعروف (بابن السندي)، مولى عبد الله بن المفلس، سمع من علماء قرطبة، ورحل الى افريقية فالتقى بعلمائها، وسمع من علماء القيروان، ثم عاد الى الاندلس، كان منسوباً الى الكبر، مزهواً شديد العصبية للمولدين،

كانت له حظوة عظيمة من امراء الثغور، واكتسب اموالاً عظيمة من ولايته هذه. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٧؛ عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٥٤؛ ابن الابار، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧١. (٥٩) المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٥٤.

(٦٠) أبو عمر أحمد بن دحيم بن خليل بن عبد الجبار بن حرب بن أبي حرب القرطبي الأندلسي، ولد في سنة ٢٧٨هـ / ٨٩١ م في قرطبة، ورحل سنة ٣١٥هـ / ٩٤٦ م، وطاف البلدان لتلقي العلم والمعرفة على يد العديد من العلماء فدخل مكة وبغداد فسمع من جماعة من كبار العلماء ورجع إلى الأندلس، من أهل العلم والفقهاء، توفي سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩ م. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧؛ ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٨٠؛ عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤١٩ - ٤٢٠؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧. (٦١) المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٢٠. ينظر أيضاً: ابن فرحون، المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٠.

(٦٢) الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد، يكنى أبا العاص، ولقبه المستنصر بالله، أمه أم ولد اسمها مرجان، ولد يوم الجمعة من جمادي الآخرة سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م، وكان اصهب اقنى، عظيم الجسم، جهير الصوت، قصير الساقين، ادعج، خفيف اللحية، طويل القامة، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م وهو ابن ٤٧ سنة، وكانت مدة حكمه ١٦ سنة وتوفي سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م عن عمر بلغ ٦٣ سنة. ينظر: ابن سعيد الخير، القرط على الكامل، ص ٣٥٥؛ ابن الكردبوس (ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م)، تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (مريد، مطبعة الدراسات الإسلامية، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م)، ص ٥٧؛ عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة

المنورة العلمية، تحقيق: عبد الله الخالدي، (بيروت، دار الكتاب العربي، بلا. ت)، ص ٢٧٤.

(٦٣) أبو بكر محمد بن إسحاق بن منذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم بن عكرمة اللخمي القرطبي الأندلسي مولى بني أمية، من كبار المالكية رأساً في الفقه، حافظاً لها، ورأساً في الزهد والعبادة، ولي من قبل الخليفة الحكم المستنصر أحكام المظالم، وبعدها تولى قضاء الجماعة بقرطبة، وصنف مجموعة طيبة من الكتب منها كتاب التوصل مما ليس في مالك، وكتاب اختصار كتاب المروزي في الاختلاف، وكتاب المحسن في الحديث، توفي بقرطبة سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م. ينظر: عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٤١، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٦، ص ٣٨١؛ السيوطي، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣ - ٥٤.

(٦٤) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٤٥.

(٦٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٤٢.

(٦٦) أبو بكر محمد بن عبيد الله بن الوليد بن محمد القرشي المعيطي القرطبي، توفي سنة ٣٦٧ هـ/٩٧٧م، ودفن بمقبرة الرض بقرطبة. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٢؛ عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٣٣؛ أبو طاهر السلفي، الطيوريات، تحقيق: دسمان يحيى معالي و عباس صخر الحسن، ط (الرياض، مكتبة أضواء السلف، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ج ١، ص ١٤٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٦، ص ٣٨٢ - ٣٨٣؛ سير اعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٢٠٧؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٦٧) المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٣٣. ينظر أيضاً: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨١ - ٨٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٦، ص ٣٨٢ - ٣٨٣؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

(٦٨) ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم الاشبيلي القرطبي يعرف بابن القوطية كان ابو بكر من موالى البربر، نسب بيتهم الى ام جد ابيهم وهي ابنة ملك الاندلس قبل دخول الاسلام اليه، وفدت قبل الفتح الاسلامي للاندلس على الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك بالشام، متظلمة، فتزوجها هناك عيسى بن مزاحم، وقدمت الاندلس فنسب بنوها اليها، واستوطنوا مدينة اشبيلية، له تصانيف حسنة. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٨؛ الحميدي، المصدر السابق، ص ٢٨؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ج ٦، ص ص ٢٥٩٢ - ٢٥٩٤؛ القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت، ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١ (بيروت/القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية / دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٢م)، ج ٣، ص ١٧٨؛ ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن محمد بن ابي بكر (ت، ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٣١٩ هـ / ١٩٧١ م)، ج ٤، ص ص ٣٦٨ - ٣٧٢.

(٦٩) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ٥٥٥. انظر ايضاً: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ٧٨-٧٩.

(٧٠) ابو عبيد الله قاسم بن خلف بن فتح بن عبد الله الطرطوشي المعروف بالجبيري ولد بمدينة قرطبة سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، ولزم علماءها، واخذ عنهم منذ صغره، ورحل الى مصر فسمع من جماعة بها، ودخل مدينة جدة والعراق، ولزم ابا بكر الابهري، وتفقّه عنده على مذهب مالك واصحابه وتحقق به، واقام في رحلته ثلاثة عشر عاماً، وله كتاب حسن في التوسط بين مالك وابن القاسم فيما خالف فيه ابن القاسم مالكا، توفي سنة ٣٧١هـ/٩٨١م، محبوساً في مطبق قصر الزهراء وهو ابن ٦٢ عاماً. ينظر :

ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤١١ ؛ عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٦٢ ؛ الخلف، المرجع السابق، ج ٢، ص ٨٤١.

(٧١) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٦٣.

(٧٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٦٣. ينظر ايضاً: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ص ٤١١-٤١٢.

(٧٣) ابو بكر محمد بن يبقى بن محمد بن زرب بن يزيد بن مسلمة القرطبي، ولد بمدينة قرطبة سنة ٣١٧ هـ/٩٢٩م، وسمع بها من جلة علمائها، وعنى بدرس الرأي فتقدم فيه أهل وقته، شيخ المالكية بالاندلس وعالمها، وله مصنفات عدة منها كتاب الخصال في الفقه على مذهب امام دار الهجرة ابي عبد الله مالك، عارض به كتاب الخصال لابن كاوس الحنفي، وله كتاب في الرد على ابن مسرة، توفي سنة ٣٨١ هـ/٩٩١م، وهو على القضاء، ودفن بمقبرة قريش بقرطبة، وشهد جنازته، جماعة كبيرة من الناس، وفقدوه واثنوا عليه ثناءً حسناً. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٧ ؛ ابن حزم، كتاب نطق العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق : =احسان عباس، ط ٢ (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م)، ج ٢، ص ٨٦؛ ابن عبد البر، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الامصار، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م)، ج ٧، ص ٣٠٩؛ عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٣٠ ؛ ابن الابار، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٣٦؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٥ ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٧، ص ص ٤٢-٤٣ ؛ تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ٩٧٥ ؛ النباهي، المصدر السابق، ص ص ٧٧-٧٨ ؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ٢٣٠-٢٣١.

(٧٤) عنان، المرجع السابق، ج ١، ص ص ٥٥٣-٥٥٤ ؛ الخلف، المرجع السابق، ج ١، ص ص ٤٣٥-٤٣٧.

(٧٥) حمدون بن فطيس بن سليمان بن عبد الملك بن سليمان الكاتب الوزير، من عائلة دخلت الأندلس أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية، فضمه إلى ابنه هشام، فكتب له، فلما ولي هشام الخلافة ولاه السوق وكورة قبرة والوزارة، وأقره الحكم ابن هشام بعد وفاة أبيه، واستكتبه، وبعد وفاته سنة ٢٠٥هـ / ٨٢٠م، تولى ابنه حمدون الوزارة للأُميرين هشام بن الداخل وابنه الحكم الرضي، المتوفى سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م. ينظر : ابن حيان، المصدر السابق، ص ٢١١؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، تحقيق : حسني مؤنس، ط ٢ (القاهرة، دار المعارف، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨ م)، ج ٢، ص ٣٦٥؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤؛ لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٩؛ الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت، ٨١٧هـ / ٤١٤م)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ط ١ (بلا.م، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ص ١٥٦.

(٧٦) أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام الإشبيلي المعروف بابن المكوي، كبير المفتين بقرطبة انتهت رئاسة العلم بالأندلس حتى صار بمثابة يحيى بن يحيى في زمانه، واعتلى على جميع الفقهاء، ونفذت الأحكام برأيه، وبعد صيته بالأندلس، وحاز رئاسة بها، وكان حافظاً للفقهاء مقدماً فيه على جميع أهل عصره، عارفاً بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه، وكان بصيراً بأقوالهم، واتفاقهم، واختلافهم، من أهل المتانة في دينه، والصلابة في رأيه، والبعد عن هوى نفسه، لا يداهن السلطان، ولا يميل معه بهوادة، ودعي إلى القضاء بقرطبة مرتين فأبى في ذلك واعتذر واستعفى عنه ولم يجب إليه البتة، وجمع للحكم أمير المؤمنين كتاباً حافلاً في رأى مالك سماه: كتاب الاستيعاب من مائة جزء، توفي سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م. ينظر : الحميدي، المصدر السابق، ص ١٣٢؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ص ٢٨؛ المقرئ، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧١.

(٧٧) أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأصيلي الأموي القرطبي الأندلسي، ولد سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م في كورة شذونة ورحل به أبوه إلى أصيلا من بلاد العدو فسكنها ونشأ بها، ودرس على يد كبار علمائها، ورحل في طلب العلم فطاف بالآفاق فرحل إلى المشرق ودخل بغداد سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م، وبعد تلقيه للعلوم والمعارف وأخذ نصيبه منها عاد إلى الأندلس في آخر أيام الخليفة الحكم المستنصر بطلب منه شخصياً، وألف في المذاهب كتباً عدة، توفي سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م، ودفن بمقبرة الرصافة بقرطبة. ينظر: ابن الفريسي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩١؛ عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ٦٤٢-٦٤٧؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٣٣؛ ابن ناصر الدين، إسناد صحيح البخاري، تحقيق: أبو عبد الله مشعل بن باني الجبرين المطيري، ط ١ (بلا.م، دار ابن حزم، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م)، ص ٣٠٧؛ الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت، ٨٧٥هـ/١٤٧٠ م)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧ م)، ص ٢٨٣؛ الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (ت، ٩٤٢هـ/١٥٣٥ م)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣ م)، ج ٣، ص ١٩؛ الجعفري، محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الفاسي (ت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦ م)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٦هـ/١٩٩٥ م)، ج ٢، ص ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٧٨) رسائل ابن حزم، ج ١، ص ص ٨٦-٨٧.

(٧٩) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٤٥.

(٨٠) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٤٥.

(٨١) ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد الله الرعيني القرطبي، المعروف بابن المشاط، اتصل بالمنصور ابن ابي عامر، فادناه منه وقربه، وولاه أحكام القضاء في عدة مدن اندلسية، وتوفي سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م، ودفن في مقبرة بني العباس بقرطبة. ينظر : عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٧٩ ؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(٨٢) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٧٩.

(٨٣) أبو عثمان سعي بن محسن الغاسل القرطبي، كان مواظباً على الجهاد ومن أولي النباهة، توفي سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م. ينظر: عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٧٦؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٨٤) المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٧٦.

(٨٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٦٣.

(٨٦) الحاجب المظفر بالله سيف الدولة أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أبي عامر المعافري، تولى الحجابة للخليفة هشام المؤيد بالله، بعد وفاة ابيه الحاجب المنصور بن ابي عامر، واصبح الحاكم الفعلي للخلافة الأموية في الأندلس في عهد الخليفة هشام المؤيد بالله، ولد سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م، وتوفي سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م. ينظر : ابن حزم، رسائل، ج ٢، ص ٤٦ ؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٣٧٣ ؛ ابن الابار، التكملة، ج ٤، ص ١١١.

(٨٧) المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٦٣.

(٨٨) محمد بن هاشم بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، كنيته ابو الوليد، ولقبه المهدي، امه ام ولد اسمها مونة، ولد سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، وكان ابيض اللون، اشقر، بسيط الشعر، اشهل، تام القامة، اعين، حسن الجسم، قام بالامر بعد ان خلع هشام المؤيد في جمادي الاخره سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م، وبقي الى ان خلعه سليمان المستعين في شوال سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م، وقتل يوم منى سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، وكان عمره يوم

قتل ٣٣ سنة وولي الأمر مرتين الأولى ٩ أشهر والثانية ٩ أشهر وأربعة أيام. ينظر: ابن الأبار، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٤٩؛ الصفي، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٨ - ١١٠؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٣٩.

(٨٩) أبو القاسم خلف بن مروان بن أمية بن حيوة القرطبي، المعروف بالصخري، ينسب إلى صخرة حيوة بلدٍ بغربي الأندلس، أنه كان من أهل العلم والمعرفة والعفاف والصيانة، من فقهاء الأندلس الكبار، توفي سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م، بقرطبة ودُفن بها. ينظر: عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٤٤؛ الضبي، المصدر السابق، ص ١٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٩٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٨، ص ٤١ - ٤٢.

(٩٠) المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٤٥. ينظر أيضاً: ابن بشكوال، المصدر السابق، ص ١٥٩ - ١٦٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٩٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٨، ص ٤٢.

(٩١) أبو عمر أحمد بن إبراهيم بن أبي سفيان الغافقي، كان فقيهاً مالكيًا، أدبياً، عفيفاً، فاضلاً، ذا بيتٍ نبيه ووجهةٍ بقرطبة. وكان في عداد المفتين بها، وأول من قدمه إلى الشورى الخليفة المهدي، توفي سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م. ينظر: عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٤٣؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ص ٣٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٨، ص ٣١٥.

(٩٢) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٤٣. انظر أيضاً: ابن بشكوال، المصدر السابق، ص ٢٤.

(٩٣) سليمان بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر، يكنى أبا أيوب، ولقب بالمستعين بالله، فضلاً عن لقب الظافر بحول الله، أمه أم ولد اسمها طيبة، ولد سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م، وكان اسم اللون، أكحل، اشم الأنف، نُصب حاكماً من قبل البربر في منتصف ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م، بعد وقعة كانت له على أميرها

محمد بن عبد الجبار المهدي ثم خلعه المهدي، وعاد سليمان ثانية. ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢؛ الدواداري، ابو بكر بن عبد الله بن ابيك (ت، ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة، دار احياء الكتب العربية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م)، ج ٤، ص ص ٤٩٧ - ٤٩٨؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٢٨، ص ١٦٠.

(٩٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن قيد الطليطلي القرطبي، له نوادر محفوظة مستظرفة منها رسالته الى البربر المشهورة. ينظر: عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٤٥.

(٩٥) المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٤٩.

(٩٦) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٤٥.

(٩٧) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد التميمي القرطبي اليمني المالكي المعروف بابن الحذاء، الف عدة مصنفات، توفي سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥م بمدينة سرقسطة ودفن بباب القبلة في مقبرة حنش بن عبد الله الصنعاني، وعهد أن يدخل في أكفانه كتابه المعروف بالأنباء على أسماء الله، فنشر ورقه وجعل بين القميص والأكفان. ينظر: عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٣٣؛ ابن خير الاشبيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ص ٤٧٩؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوعلو بن عبد الله البغدادي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط ١ (حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م)، ج ٣، ص ٢٣؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ١٢٤؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٨٤.

(٩٨) ابن بشكوال، المصدر السابق، ص ص ٤٧٩ - ٤٨٠؛ بالنثيا، انخل جنثالث، تاريخ الفكر الاندلسي، نقله من اسبانيا: حسين مؤنس، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م)، ص ٤٢٣.

(٩٩) أبو محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن بترى الشقاق القرطبي المالكي، كان فقيهاً جليلاً، أحفظ أهل عصره للمسائل وأعرفهم بعقد الوثائق، كان يقرئ الناس بالقراءات السبع، ويضبطها ضبطاً عجيباً، بصيراً بالحساب والنحو من أهل الأدب والفهم والحلم والكرم، توفي سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م، عن عمر ناهز ٨١ سنة. ينظر: عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٢٩، ابن بشكوال، المصدر السابق، ص ٢٤٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٩، ص ١٧٧.

(١٠٠) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٢٩. انظر ايضاً: الذهبي، المصدر السابق، ج ٢٩، ص ١٧٧.

(١٠١) سورة النساء، الآية : ٥٩.

(١٠٢) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، سنن ابن ماجه، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، بلا.م)، ج ٢، ص ٩٥٥؛ أبو يعلى، احمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت ٣٠٧هـ / ٩١٩م)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، (دمشق، دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، ج ٧، ص ١٩١؛ ابن بطل، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت، ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م)، شرح صحيح البخارى، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط ٢ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م)، ج ٢، ص ٣١٩.

(١٠٣) ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (ت، ٢٥١هـ / ٨٦٥م)، الاموال، تحقيق: شاكِر ذيب فياض، ط ١ (المملكة العربية السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ج ١، ص ٧١؛ ابو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت، ٢٦١هـ / ٨٧٤م)، صحيح الامام مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن، (بيروت، دار البشائر الاسلامية، بلا.ت)، ج ٣، ص ١٤٦٧.

(١٠٤) عياض، المصدر السابق، ج ١، ص ٥١. ينظر ايضاً: الخشني، قضاة قرطبة، ص ٦٣؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩١؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٦؛ ابن الأبار، التكملة، ج ٣، ص ١٤١؛ النباهي، المصدر السابق، ص ٥٣؛ المقرئ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٨.

(١٠٥) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٠.

(١٠٦) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٠. ينظر ايضاً: الخشني، قضاة قرطبة، ص ص ٤٠-٤٤؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ص ٢٩١-٢٩٢.

(١٠٧) المصدر السابق، ص ٥٣.

(١٠٨) ابوموسى عبد الرحمن بن موسى الهواري الاندلسي، رحل في اول امانة الامير عبد الرحمن بن معاوية الداخل الى المشرق فالتقى بالامام مالك بن انس، وسفيان بن عيينة، ونظرائهما من الائمة، ودخل العراق ولقى الاصمعي واخذ منه علم النحو والعربية مباشرة، ولم يكتف بذلك بل سلك مسلك علماء البصرة بان داخل الاعراب وتردد في بواديها وحفظ الكثير، واحكم علم اللسان، ثم رجع الى الاندلس، واثاء رجوعه غرق المركب الذي كان على متنه في بحر تدمير فذهبت كتبه، فلما قدم استجة مدينته اتاه أهلها يهنئونه بقدومه، ويعزونه بذهاب كتبه، فقال لهم ذهب الخرج وبقيت الدرج، يعني بقى العلم الذي في صدره ومن حفظه، وله كتاب في تفسير القران الكريم، توفي بعد سنة ٢٢٨هـ/ ٨٤٢م. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٠؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٥٠٠؛ عياض، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٠٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٢٥٨.

(١٠٩) الزبيدي، ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الاشبيلي (ت، ٣٧٩هـ/ ٩٩٢م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢ (القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٢٥٤؛ الخلف، المرجع السابق، ج ٢، ص ص ٧٤٣ - ٧٤٤.

- (١١٠) عياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٢.
- (١١١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٣. ينظر أيضاً: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٨؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٤٩٧.
- (١١٢) أبو مروان عبد الملك بن منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن البلوطي القرطبي، ولد سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م، سمع من أبيه وغيره، تولى خطة الرد أيام الخليفة الحكم المستنصر بالله، وكان الخليفة يرسله في توزيع الامانات لتقته به، ولكن عبد الملك كان متهماً بالاعتزال، فعزل وصلب، وتوفي سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٧؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ٤٦٤؛ الخلف، المرجع السابق، ج ١، ٦١.
- (١١٣) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٦٤٠.
- (١١٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٣١. ينظر أيضاً: ابن حزم، طوق الحمامة في الالفه والألاف، ضبط نصه وحرر هوامشه: الطاهر أحمد مكي، ط٢ (القاهرة، دار الهلال، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م)، ص ١٧٥؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٠.
- (١١٥) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ص ٦٦٥ - ٦٦٦.
- (١١٦) المصدر نفسه، ج ٤، ص ص ٦٦٥ - ٦٦٦. ينظر أيضاً: النباهي، المصدر السابق، ص ٨٦؛ الخلف، المرجع السابق، ج ١، ص ص ٣٦٥ - ٣٦٦.
- (١١٧) المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٤٥.
- (١١٨) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي التجيبي المالكي القرطبي الذهبي، وعرف عنه كثرة مؤلفاته منها كتاب الفرق وكتاب المنتقى في شرح الموطأ، واختصاره، وتوابعه كثيرة مفيدة توفي بمدينة المرية سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م، ودفن بالرباط على ضفة البحر وقبره هناك يزار. ينظر: عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٠٢؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت، ٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من

الأماثل، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي، ط١(بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، ج ٢٢، ص ٢٢٥ ؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٣٩٥ ؛ ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر(ت، ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)، البداية والنهاية، خرج احاديثه : محمد بيومي وآخرون، (المنصورة، مكتبة الايمان، بلا.ت)، ج ١٢، ص ١٥٠؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٩ الذهبي، تاريخ الإسلام ج ٣٢، ص ص ١١٨-١١٩؛ تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ص ١١٨٠- ١١٨١؛ ابن الوردي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٨؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٣؛ المقرئ، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٧ ؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج ٥، ص ص ٣١٥-٣١٦.

(١١٩) بريشتر هي احدى مدن الثغر الاعلى، شمال شرق سرقسطة، حلت بهذه المدينة ايام حاكمها يوسف المظفر نكبة اهتزت لها الاندلس، لشدة وفضاعة ما حدث فيها من جرائم مذهلة على يد النورمانديين، بقيادة القائد جيوم دي مونري، بعد ان حاصرها سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٣٦م، وبعد معارك عنيفة مع حامية مدينة بريشتر استطاع النورمانديون من اقتحام المدينة واستباحوها، وقدر القتلى والاسرى بين مائة واربعين الف، ثم انتهبوا المدينة واحتلوا دورها. ينظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت، ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، (بلا.م، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٩٠٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ص ٩٠-٩١؛ المقرئ، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٣؛ المصري، جميل عبد الله محمد، الزلافة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، بلا.ت)، ص ١٧٤.

(١٢٠) وهو حصن بمدينة قلمرية صغيرة بغرب الاندلس، وهي على جبل مستدير، وعليها سور حصين، ولها ثلاثة أبواب، وهي في نهاية من الحصانة، وهي عامرة كثيرة الكروم والفواكه من التفاح والجراسيا والعيون. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٧٢٦؛ الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت، ٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، صفة جزيرة الاندلس (منتخب من كتاب الروض المعطار في

خبر الاقطار)، تحقيق : ليفي بروفشال، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص ١٦٤.

(١٢١) ابن بسام، المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٣؛ المقرئ، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٢-٣٨٣؛ السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص ١٤٢؛ بيومي، عبير زكريا سليمان، دور الفقهاء السياسي والحضاري في الاندلس في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، (دمشق، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ص ص ٢٠٨-٢٠٩.

(١٢٢) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٠٨.

(١٢٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ص ٨٠٦-٨٠٨. ينظر أيضاً: ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٢٢، ص ٢٢٥؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٣٩٥؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٩؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٢، ص ١٥٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٢، ص ص ١١٨-١١٩؛ تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ص ١١٨٠-١١٨١؛ سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ص ٥٣٨-٥٣٩؛ ابن الوردي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٨؛ المقرئ، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٧؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج ٥، ص ص ٣١٥-٣١٦؛ الأدنه وي، أحمد بن محمد (ت، ق ١١هـ/ ١٧م)، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط ١ (المملكة العربية السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج ١، ص ١٣٢.

(١٢٤) عياض، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٠٨.

مسلة العقبان إنموذجاً للتكامل السردى بين العمل الفني والكتابات السومرية

د. ياسمين عبد الكريم محمد علي

المستخلص

يُعد الفن إحدى وسائل تسجيل الأحداث شأنه في ذلك شأن الكتابات على مر العصور ، وجاءت الفنون في العراق القديم لتسرد الكثير من الأحداث السياسية والاجتماعية والدينية الى جانب الكتابات المسمارية ليس هذا فحسب بل كانت الفنون القديمة في بعض الاحيان تُسهب في بعض التفاصيل التي تعجز عن سردها الكتابات. ولغرض الركون الى المعلومات بشكل دقيق يتوجب على الباحثين الرجوع الى الوسيطتين والربط بينهما ومن أولى النماذج الفنية التي زودتنا بمعلومات سياسية وتاريخية عن اقدم معاهدة لترسيم الحدود ، هي مسلة العقبان - كما عُرفت بين الباحثين - والتي رافقت مشاهدها الكتابات السومرية من حُقب لاحقة.

تضم الدراسة في محاورها عرضاً للمشاهد الفنية المُنفذة على مسلة العقبان والكتابات السومرية المُرافقة لها يسبقها مقدمة عن اهمية هذا الانموذج من الناحية التاريخية والفنية ، فضلاً عن عرض لكتابات سومرية أخرى جاءت من عصر الامير اينميتينا ، والذي سجل استمرار الحدث السياسي إبان حكمه.

تُعد الوثائق وسيلة لتدوين التاريخ في اي مكانٍ وزمان، ومن دونها لا يمكن الى المعلومات والأحداث التي وقعت في الماضي، وقد كانت هذه الوسيلة ذات مضامين عدة لدى العراقيين القدماء الذين امتازوا بحسهم التاريخي ورغبتهم في تسجيل الأحداث وحفظها عبر الاجيال ^(١)، إذ وثّقوا أهم أحداثهم بطرقٍ متنوعة ، كان من أبرزها إقامة النُصب والاعمال التذكارية وقد عُدت هذه الاعمال من روائع النماذج الفنية حتى يومنا هذا ، إذ عرف العراقيون القدماء استخدام اسلوب السرد المتواصل ^(٢) في الفنون القديمة عندما استغلوا الاسطح الحجرية أو المصنوعة من

مواد أخرى، لتكون ارضية يروا عليها اهم احداثهم السياسية والدينية او حتى شواهد من حياتهم اليومية، عن طريق تنفيذ مشاهد فنية تسرد الحدث بشكل كامل ومفصل او بشكل رمزي. ولم تكن هذه الطريقة الوحيدة لديهم، إذ لجؤا في بعض الاحيان الى سرد الحدث نفسه في نصوص كتابية دونت بالخط المسماري على تلك النُصب، او على مواد اخرى كالرقم والمخاريط الفخارية وغيرها^(٣).

حازت مسلة العقبان على اهتمام العديد من الباحثين والمختصين في مجال الفنون القديمة واللغات السومرية منذ إكتشافها في اطلال مدينة كيرسو^(٤) وحتى وقتنا الحاضر، لما حملته من معلومات غزيرة في الجانب السياسي، فضلاً عن أهميتها تلك في مجال الفنون القديمة والكتابات السومرية، إذ برز فيها بشكل واضح التكامل في سرد الحدث بين الفن والكتابة. وقد لا يغيب عن معظمنا تناول العديد من الدراسات لهذا الإنموذج الفني والتي بقي أغلبها حاضراً في ذهننا كباحثين او مختصين، ومن هنا تجدر الإشارة الى الهدف الاساس من تقديم هذه الدراسة، والذي تتضح إجابته من خلال ما سيتم عرضه في محاور الدراسة المستندة الى ما تم جمعه من معلومات ومن ثم فرزها وتقديمها في حلة تتماشى مع السبل الحديثة المتبعة في دراسة الفنون، فضلاً عن ذلك الاستعانة بالنصوص المسمارية سواء ما ارتبط منها بالعمل الفني ارتباطاً تكملياً او تفصيلياً^(٥). وبعبارة أخرى فإن التعامل مع هذا العمل يكون من منطلق ان كل محسوس هو نص مفتوح للقراءة وبهذا فإن الصورة هي أداة التعبير عند الفنان، وهي في الوقت نفسه انعكاس لحدثٍ مُمثل على شكل أيقونات رمزية قد تكون واضحة المعالم احياناً و احياناً اخرى تبدو غامضة، اما النص فهو رسالة مكتوبة تحمل في طياتها مدلولات ذات أبعادٍ تاريخية واجتماعية وثقافية متنوعة تتداخل فيما بينها وتكون علاقة بين المرسل والمتلقي^(٦).

ضمت الدراسة في محاورها وصفاً فنياً للمشاهد المُنفذة على المسلة وتحليلاً للشخص المُنفيذ في هذه المشاهد ، فضلاً عن عرض للأسلوب المُتبع في سرد الاحداث من قبل الفنان (العمل الفني) والكاتب (النصوص الكتابية) للوصول الى مدى الترابط وإيضاح الاختلاف بينهما ، ان وجد، لتحقيق الغاية النهائية والمتمثلة بقراءة الحدث بشكل متكامل بغض النظر عن الوسيلة الإبلغية التي استخدمها كل منهما - الفنان والكاتب - عند سرد الحدث الخاص بترسيم الحدود بين دولتي لكش^(٧) وأومّا (كّشه)^(٨). إذ لعب الصراع دوراً مهماً على مسرح الاحداث السياسية والعسكرية في عصر فجر السلالات (٢٩٠٠-٢٣٤٠) ق.م ، فقد إمتد لحُقبَة زمنية طويلة تبدأ من عصر الامير إينانتم^(٩) واستمر إبان عصر خلفاءه ومنهم اخيه إينانتم الاول^(١٠) وابن اخيه الأمير إينميتينا^(١١).

ان المتتبع للفن الرافديني بشكل عام وفن النحت البارز بشكلٍ خاص ، ومنذ نشأته المبكرة التي تعود الى عصر الوركاء او ربما الى حُقبٍ اقدم ، يجد ان مسلة العقبان من أبرز الأعمال الفنية العائدة الى عصر فجر السلالات الثالث، ورغم اهميتها الفنية في إبراز قدرة الفنان العراقي آنذاك على تمثيل الحدث والتعبير عن الكل بالجزء ، وهو اسلوب معروف في الفنون العراقية القديمة بشكلٍ مستمر على مر الحُقب الزمنية ، فان اهميتها التاريخية والسياسية توازي او ربما تفوق اهميتها الفنية تلك. إذ تُخلد هذه المسلة المعركة التي دارت بين دولتي لكش وأومّا والتي نشبت على أثر نقض أقدم معاهدة ، لترسيم الحدود بين الدولتين ، عرفها التأريخ^(١٢). هذا من جانب ومن جانب آخر فان ذكر الحدث نفسه دوّن على المسلة بالخط المسماري المُنفذ على الحجر، فضلاً عن تدوينه في فتراتٍ لاحقة على جرار الفخار^(١٣) (الشكل ١) والرقم الطينية ، وهذا يُشير بشكلٍ مؤكد الى دقة سرد الحدث.

أولاً: وصف المسلة

عُثر على المسلة في مدينة كيرسو إذ قام الأمير إياناتم بتتصيبها في المدينة تخليداً لانتصاره على دويلة أوما^(١٤) وقد كانت المسلة بحالة سيئة ، إذ تم العثور على ستة كسر منها في بادئ الامر في عام ١٨٨٠ من قبل البعثة الفرنسية التي عملت في المدينة ، وفي عام ١٩٠٠ تم العثور على الكسرة السابعة منها من قبل البعثة البريطانية والتي قامت بدورها بتسليمها الى متحف اللوفر^(١٥) لإعادة تركيبها مع الاجزاء الاخرى . يبلغ ارتفاعها ١,٨٠م وعرضها ١,٣٠م اما سمكها فيصل الى ١١سم. وهي ذات شكل مستطيل وقمة مستديرة ، نُفذت عليها مشاهد بالنحت البارز تبدأ من الوجه الذي قُسم الى حقلين وتنتهي بالقفا والذي قُسم الى خمسة حقول ، كانت ذات مضامين دينية – عسكرية.

أسهب العديد من الباحثين لاسيما في مجال الفنون القديمة في وصف المشاهد الفنية المنفذة على وجهي المسلة وقد اعطى كلٍ منهم رأيه عند تحديده لشخوص القصة المُنفذة في هذه المشاهد ، وفي هذه الدراسة سنقوم بعرض الاراء ودوافعها مع ترجيح بعضها وفقاً للمعطيات المتوفرة والمصادر الكتابية.

يحتل ثلثي الوجه الامامي للمسلة تقريباً الحقل الاول والذي يتوسطه شخص منفذ بحجم كبير وهو يتجه الى جهة اليسار ، ويرتدي وزرة مفتوحة من الامام بشكل عمودي غطت معظم الجزء الاسفل من جسمه ويتمنطق بحزام عريض ، اما الجزء العلوي فقد تُرك عارياً ، والذي انسدل عليه لحية طويلة متموجة كما رُبط شعره خلف الرأس ، أمسك هذا الرجل بيده اليسرى شبكة كبيرة عُمِلت لمتها بشكل طائر الإنزو الخرافي^(١٦) المتكون من رأس أسد وجسم وجناحي نسر يقف هذا الاسد على أسدين متدبرين ، بحيث يبدو الشخص وهو ممسك بإحكام على ذيل هذا الطائر . وقد ملئت الشبكة بالاسرى من رجال مدينة أوما ، أما في اليد اليمنى فيحمل صولجاناً يضرب به رأس أحد الاسرى العُراة المكسدين في تلك الشبكة ،

تقف خلف هذا الشخص إلهة صُورت أصغر حجماً منه ، وهي متجهة الى جهة اليسار ايضاً، تضع هذه الالهة فوق رأسها تاج زُين جانبيه بقرني ثور ، وفي مركز التاج وُضع رأس طائر الإنزو المُمثل فوق الشبكة وعلى جانبيه توجد ريشتان او سعفتان^(١٧) تظهر خلف الالهة راية عُمِلت بشكل نسر ناشر جناحيه على الجانبين ، لها سارية طويلة وهي تمثل رايه الاله نكرسو^(١٨).

اما في الحقل الثاني ، والذي تعرض بشكل كبير للتلغف ، فيظهر جزء من عربية^(١٩) يقف عليها الشخص نفسه المُصور في الحقل الاول والذي شُخص من خلال ماتبقى من وزرته المماثلة لما ظهر في الحقل السابق ، وهو يتجه الى جهة اليسار ، وقد وضعت الى جانبه راية ربما كانت بشكل نسر، إذ ظهر جزء من جناحيه الممتدين على الجانبين. تقف امامه إلهة وهي متجهة الى جهة اليمين ، تضع على رأسها تاج مماثل لما ظهر أعلاه^(٢٠) (الشكل ٢).

• الاراء حول التعريف بالاشخاص على الوجه الامامي للمسلة:

يُشير أغلب الباحثين^(٢١) الى ان الشخص المنفذ بحجم كبير يمثل الاله نكرسو^(٢٢) الاله الحامي لمدينة لكش ، وفي هذه الدراسة نُرجح كون هذا الرأي هو الأكثر قبولاً ونُقدم لذلك اسباباً عدة يتعلق بعضها باسلوب تنفيذ المشهد الفني والايديولوجية المُعتمدة من قبل السومريين في تنفيذ شخصية الالهة والبشر في نتاجاتهم الفنية ، فضلاً عن التسلسل الزمني (الكرونولوجي) في سرد الاحداث وأخيراً اعتماد النصوص الكتابية ذات العلاقة .

فيما يتعلق بالاسلوب الفني والايديولوجي فان تمثيل الشخص بحجم كبير يدل على هيمنته ومكانته في سير الاحداث ، وهو تقليد فني معروف في الفنون العراقية القديمة، هذا من جانب ومن جانب آخر فان وجود رمز الاله نكرسو والمُتمثل بطائر الإنزو في الحقل نفسه دلالة واضحة على رمزية الاله ، فضلاً عن تمثيل إلهة بحجم صغير تقف خلفه يُعزز كونه إله .

إن وجود بعض المقارنات مع نماذج فنية أخرى تعود لآلهة قد تدعم ترجيحنا لهذا الرأي ،على الرغم من انها تعود لعصور أقدم مثل تمثال الاله أبو المعبود إبان عصر فجر السلاطات الثاني^(٢٣) والذي تم العثور عليه في تل اسمر^(٢٤)، إذ نُفذت اللحية والشعر للاله أبو بطريقة مشابهة لطريقة تنفيذ اللحية والشعر للشخص المُنفذ على المسلة ، فضلاً عن إبراز ملامح الوجه لاسيما العينين المنفذتين بحجم كبير ،والتي كانت تُضفي طابع الشمولية والهيمنة مقارنة بملامح البشر الإعتيادية ، والملابس التي غطت القسم السفلي من الجسم فقط (الشكل ٣).

الأكثر دعماً بين الأدلة يأتي من الكتابات السومرية العائدة الى عصرالأمير اينميتينا والتي تُشير بشكل مباشر الى قيادة الاله ننكرسو البطل المحارب للاله انليل للمعركة ضد أوماً واستخدامه لشبكة المعركة في تكديس أشلاء العدو من رجال مدينة أوماً ونشرها فوق ايديهم واقدامهم. اما الكتابات العائدة الى عصر إياناتم فانها تُشير بشكل واضح الى ان الامير إياناتم الذي أُعطي شبكة المعركة العظيمة العائدة للاله انليل ،جعل قائد أوماً يحلف بتلك الشبكة^(٢٥).

اما الرأي الآخر الذي اعتمده بعض الباحثين^(٢٦) ان الشخص المُنفذ بحجم كبير يُمثل الامير إياناتم معتمدين في ذلك على إجراء مقارنات مع أعمال فنية أخرى جاءت من عصور تاريخية مختلفة ،كان أولها مسلة الاميرأورنانشه (٢٥٢٠ - ٢٤٩٠) ق.م ، جد الأمير إياناتم ومؤسس سلالة لكش الاولى ، والتي تم العثور عليها في مدينة لكش(تلول الهبة حديثاً)، إذ يظهر على المسلة رجل يرتدي وزرة مطابقة لما كان الشخص يرتديها في المسلة موضوعة البحث^(٢٧)(الشكل ٤). اما الأنموذج الآخر فيعود الى العصر الاكدي (٢٣٧٠-٢٣١٦) ق.م ، إذ نُفذ على الحقل الاول من الاعلى رجل ، يقف امام إله جالس على عرشه ، وقد أمسك هذا الرجل بإحدى يديه شبكة المعركة وباليدين الأخرى صولجاناً يضرب به رأس العدو^(٢٨) وهي وضعية مماثلة لما صُوّر على مسلة العقبان(الشكل ٥) .

رغم المقارنات المقدمة من قبل الباحثين في دعم رأيهم هذا الا اننا وكما اسلفنا أعلاه نرجح الرأي الاول استناداً الى ماتم ذكره في الكتابات السومرية فضلاً عن إبراز الاختلافات بين شخصية الاله ننكرسو في المسلة ونماذج المقارنات المقدمة من قبل اصحاب الرأي الثاني، ففي الأنموذج الاول مُثل الامير أورنانشه حليق الرأس وغير ملتحي، كما انه يقف بوضعية متعبد وهذا إختلاف واضح مقارنةً بهيئة الاله ننكرسو المُنفذة على وجه المسلة. اما فيما يخص المشهد المُنفذ على الأنموذج الثاني ، فإنه لا يغيب عن معظمنا ان الشبكة إستُخدمت ومنذ وقت مبكر كأداة قتالية في المعركة^(٢٩) ، وأستمر استخدامها بشكل واضح في عصور لاحقة ، وهي بهذا تُشير في المشهد الفني الخاص بالمسلة موضوعة البحث الى هيمنة الاله ننكرسو على الانتصار الذي تحقق على مدينة أومّا، وفي الأنموذج الاكدي تؤكد على شخصية الملك في تحقيق النصر على الاعداء وهذا التشابه ناتج عن تباين المفاهيم الدينية في العصر الاكدي والذي يتلائم مع تنامي السلطة الدنيوية- الحاكمة -^(٣٠).

فيما يخص شخصية الإلهة المُنفذة خلف الاله ننكرسو فانها على الاغلب تمثل الإلهة ننخرساك^(٣١)، والتي ظهرت في أعمال فنية أخرى وقد إعتمدت بالتاج نفسه المُنفذ على المسلة ، من أبرز هذه الأعمال كسرة من إناء تعود الى عصرالأمير إينميتينا^(٣٢) صُور عليها الإلهة ننخرساك جالسة على عرشها ، يبرز خلف كتفيها ثلاثة سيقان تنتهي ببراعم والتي تُميزها كألهة للحقول^(٣٣) (الشكل ٦). اما الوجه الخلفي للمسلة فقد قُسم الى خمسة حقول ، كان الحقل العلوي منها الأصغر حجماً والذي اتخذ الشكل المنحني لقمة المسلة ، صُور على هذا الحقل رف من العقبان حملت في مناقيرها رؤوس الاعداء من رجال أومّا، وقد أعطت هذه الكسرة إسم (العقبان) على عموم المسلة في وقتنا الحاضر.

الحقول الثاني والثالث والخامس كانت ذات مضامين عسكرية ، إذ صُور في وسط الحقل الثاني تقريباً شخص مُنفذ بحجم كبير يُمثل قائد الجيش وهو يتجه الى جهة اليمين ، يرتدي رداءً طويل، مُزين بأهداب وخطوط متموجة ، غطى كامل جسمه وترك الكتف الايمن عارياً وقد إعتمر بخوذة رأس مخروطية الشكل مزودة بواقيات للأذن والرقبة زُينت حافتها السفلى بشريط ربما كان مصنوع من المعدن^(٣٤). يحمل هذا الشخص بيده اليمنى سيف منجلي^(٣٥)، أما اليد اليسرى فلا تبدو واضحة بسبب التلف الذي تعرضت له المسلة . يسير خلفه اثني عشر جندي من حملة الدروع^(٣٦) ، صُور تسعة منهم على الوجه ونُفذ الثلاثة الآخرين على الحافة الجانبية اليسرى، وهم في حالة هجوم يبدو ذلك واضحاً من اتجاه رماحهم ووضعية الدروع التي غطت معظم الجسم من الامام^(٣٧) ، فضلاً عن تساقط جثث الاعداء تحت أقدامهم . أعتمر كلٍ منهم بخوذة مخروطية الشكل مشابهة لما يرتديها القائد لكنها تخلو من الشريط المعدني. وفي الجهة الأخرى من الحقل يظهر مايقارب من ثلاث عشرة جثة من جثث الأعداء التي كُدت بشكل تل صغير. يبدو في المشهد إلتفاف الجيش حول القائد الذي يُمثل بشكل مؤكد الأمير او الحاكم، إذ كان من المعتاد في العراق القديم ومنذ عصر فجر السلالات ان يقود الأمير المعركة ويُعد هذا المشهد الفني من أقدم الادلة الفنية على ذلك^(٣٨).

إحتل الجزء المركزي من الحقل الثالث قائد المعركة ولكن في هذا الحقل يظهر في عربته^(٣٩) ، وهو يحمل بيده اليسرى رمحاً قام بتصويبه باتجاه هدفٍ ما ، ومن المؤكد انه قام بتوجيهه نحو أعداءه رغم فقدان رأس الرمح والهدف بسبب التلف الذي تعرضت له المسلة ، اما في اليد اليمنى فقد أمسك بالسيف المنجلي. يرتدي القائد ملابس مماثلة لما ظهر في الحقل السابق وصُور خلفه مجموعة من الجنود وزعوا في المشهد بصفين يعلو أحدهما الآخر، تبدأ هذه المجموعة من الحافة

اليسرى أيضاً وتستمر باتجاه المركز، حمل كلٍ منهم رمح في اليد اليمنى وفي اليد اليسرى فأس المعركة^(٤٠)، وقد إرتدوا تنورة قصيرة واعتمروا بخوذٍ مخروطية الشكل. يختلف الحقل الرابع من حيث مضمون المشهد الفني عن المشهدين السابقين ، إذ صُور عليه مشهد ديني - طقوسي . يحتل وسط المشهد شخص مُنفذ بحجم كبير يتجه الى جهة اليسار، والذي لم يبقَ منه سوى قدماء اللتان استندتا على موطئ قدم بسيط قليل الارتفاع^(٤١)، وجزء من التنورة ذات الطيات المستعرضة والمزينة بالاهداب، يوجد امامه ثور مربوط مُمدد على ظهره ربما قُدم للتضحية^(٤٢) وصُور الى الاعلى من هذا الثور حيوانات مكدسة ربما كانت ماعز ، فضلاً عن إنائين كبيرين يحتويان على نباتات نمت بشكل عمودي^(٤٣) يقوم بسقيها شخص عاري، يُمثل احد الكهنة، اذ أمسك بكلتا يديه بإناء من قاعدته وقد تدفق منه الماء ، يبدو الكاهن وكأنه واقف على لشش الحيوانات المكدسة كتعبير عن استخدام المنظور في تنفيذ الاشكال^(٤٤). والى الخلف من هذا المشهد وعلى الجانب الايسر من الحقل تظهر اجساد مكدسة ربما تعود لجنود وقد قام بعض العمال بوضع التراب عليها من سلال حملوها على رؤوسهم تعبيراً عن دفن هؤلاء الجنود^(٤٥).

وفي الحقل الخامس والذي تعرض بشكل كبير للتلغف، يظهر اعلى الحقل رمح طويل وُجه صوب شخص حليق الرأس إحتل وسط الحقل وهو يتجه الى الجهة اليسرى ، بحيث لامس الرمح جبهته ، يتقدم هذا الشخص ثلاثة اشخاص آخرين حليقي الرأس أيضاً وقد قفوا امامه ولكن باتجاه معاكس (الشكل ٧).

• الاراء حول التعريف بالاشخاص على الوجه الخلفي للمسلة

يمكن تشخيص كون الشخص المُنفذ على هذا الوجه من المسلة بالأمير إياناتم من خلال ما جاء في الكتابة السومرية المرافقة للعمل الفني، إذ تُشير بشكل صريح الى مشاركة الأمير في المعركة كما جاء في النص: " لقد تحدى (إياناتم) الطوفان هناك في (كشه) أوّماً... إياناتم رجل الحق قاد وقاس الحدود من

(كشّه) أوّما " (٤٦)، فضلاً عن الدليل الكتابي إجراء بعض المقارنات من قبل الباحثين (٤٧) مع نماذج فنية أخرى تعود الى العصر نفسه والمتمثلة بنماذج الألواح النذرية (٤٨) أو أنموذجاً من فن التطعيم والمُتمثل بما يُعرف بين الباحثين برأية أور (٤٩) إذ تُنفذ على هذين الأنموذجين أشكالاً مشابهة لما ظهر على مسلة العقبان من حيث ظهور الشخص الرئيس (الأمير) في المشاهد بهيئة مشابهة لهيئة الشخص الرئيس على مسلة العقبان، إذ ظهر على اللوح النذري العائد الى عصر الأمير اور نانشة جد الأمير إياناتم وهو يرتدي رداء مماثل لما ارتداه حفيده إياناتم في الحقل الرابع وتُشير بشكل صريح الكتابة المسمارية المنقوشة (Epigraph) (٥٠) على هذا اللوح النذري الى إسم الأمير وافراد عائلته (الشكل ٨). اما فيما يخص الأنموذج الثاني والذي نقصد به الشخص المُنفذ على رأية اور فيمكن مقارنته من حيث وضعية الجلوس والتففيذ بحجم أكبر من العناصر الفنية والأشكال الأخرى مع ماظهر في الحقل الرابع من حقول المسلة (الشكل ٩).

وهناك من الباحثين من يرى ان الشخص المُنفذ على الوجه الخلفي للمسلة يُمثل في الحقل الثاني والثالث قائد الجيش اذ يؤيد اصحاب هذا الرأي كون الشخص المُنفذ على الوجه الامامي للمسلة هو الأمير إياناتم، اما فيما يخص الحقل الرابع فانه يُمثل الاله نكرسو إذ يُصاحب وجوده إقامة الطقوس الدينية وتقديم الاضاحي وتكريم القتلى من رجال مدينة لكش (٥١).

• قراءة المشاهد الفنية المنفذة على وجهي المسلة

ان المشاهد المُنفذة على مسلة العقبان تُعد من النماذج التي تمتعت بنضوج فني في مجال المشهد القصصي - السردى اذ ان مسلة العقبان تحمل مجموعة من الاحداث مرتبة بشكل متسلسل وهي بهذا تتطوي على رواية تسرد الاحداث بمجرد قراءة حقولها عمودياً وفي الوقت نفسه فان قراءة افقية لكل حقل منها تعطي فكرة واضحة عن مشهد أحادي الحدث وليس المهم في هذه الدراسة

الحديث عن السرد والقصة او عرض الاشخاص والعناصر الفنية من خلال تقديم وصف تفصيلي لمضمون المشاهد القصصية المُنفذة على سطح المسلة بقدر ما هو محاولة إعطاء تسلسل زماني ومكاني لتلك الاحداث التي تم تمثيلها من خلال الاستعانة بالنصوص الكتابية ذات العلاقة ، فضلاً عن إبراز أهمية العناصر الفنية بضمنها شخوص القصة وما لها من رمزية في سرد الحدث .

قبل تقديم قراءة واضحة ومقبولة للمشاهد القصصية المُنفذة على وجهي المسلة، تجدر الإشارة الى عرض اسباب تحديد الوجه الامامي والخلفي للمسلة معتمدين في ذلك على نقطتين اساسيتين هما:

اولاً: إعتما د قراءة النص المسماري المُنفذ على وجهي المسلة وذكر الاحداث فيه، إذ يبدأ النص المدون على الوجه الامامي بذكر سبب الصراع بين دويلتي لكش وأوماً وتأريخه ^(٥٢) ، اما الوجه الخلفي فيبدأ فيه النص بمتابعة الحديث عن دعم الآلهة للأمير إياناتم ومساندتها له ضد حاكم أوماً ^(٥٣).

ثانياً: إعتما د الفنان اسلوب عرض نهاية الحدث في مقدمة العمل الفني بقصد إبراز أهمية نهاية الحدث هذا ومكانته، ومن أجل التحقق من ذلك يمكننا الاستعانة بأنموزج فني أقدم يتصدر الحديث غالباً عند دراستنا لفنون العراق القديم وهو إناء الوركاء الذي يُعطي بشأنه الباحثون مقترحين لقراءة مشاهده القصصية المُنفذة بحقولٍ متتالية تفصلها مسافات خالية من النقوش والعناصر الفنية، أتخذت هذه المسافات اطوالاً مختلفة للإشارة الى الفارق النوعي بين العناصر المُنفذة في المشاهد القصصية على كل حقل ^(٥٤)، إذ تبدأ قراءة المشاهد من الاسفل مع تمثيل خطوط المياه المتموجة التي تعلوها النباتات تُركت بعدها مسافة صغيرة، ومن ثم نُفذ حقل ضم قطع من الحيوانات تسير خلف بعضها البعض، تُرك بعد هذا الحقل فاصل أكبر ليأتي بعده حقل صُور عليه كهنة عراة محملون بالهدايا والنذور، يليه مسافة كبيرة أخرى صُور بعدها الحقل الذي ظهرت فيه إلهة تستقبل الهدايا

والنذور من الكهنة. لقد أراد الفنان بهذه الحقول إعطاء فكرة مركزة عن مبدأ الحياة وفق المعتقدات الدينية السائدة آنذاك ، والتي كانت في قمته الآلهة وإساساً لها المياه^(٥٥). (الشكل ١٠).

وفقاً لما تقدم يمكن تقديم قراءة لحقول المسئلة بدءاً بالوجه الامامي الذي ضم حقلين وانتهاءً بالوجه الخلفي والذي ضم خمسة حقول مع استخدام التسلسل نفسه المعتمد في فقرات سابقة عند تقديم وصف لحقول المسئلة^(٥٦) :

١. الوجه الامامي - مدلول الحدث (المضمون السردى):

تبدأ قراءة حقلي هذا الوجه من الاسفل عندما يظهر الاله ننكرسو ، في الحقل الثاني، واقفاً في عربته تعبيراً رمزياً عن قيادته للمعركة وقد وقفت امامه الإلهة ننخرساك التي كانت تدعم الأمير اياناتم في حربه ضد أمير دويلة أومّا. اذ كان اعتقاد العراقيين القدماء بأن النصر من صنع الآلهة وانه لايتحقق أياً كان الملك إلا بدعمها وإسنادها^(٥٧).

بعد ذلك حاول الفنان السومري شد انتباه المشاهد الى العمل من خلال عرضه لنهاية الصراع بين دويلتي لكش وأومّا من خلال إعطاء المضمون الرمزي للحدث عن طريق تخصيصه ثلثي الوجه (الحقل الاول من الاعلى) لتصوير الاله ننكرسو، الإله الحامي لمدينة لكش، ممسكاً بشبكة المعركة والتي ملئت بالاعداء من رجال أومّا لاسيما وان المعركة كانت تنفيذاً لرغبته وحمايةً لممتلكاته وهذا ما جاءت به النصوص الكتابية عند سردها للحدث (الشكل ١١).

٢. الوجه الخلفي - قصة الحدث (النص السردى) :

حاول بعض الباحثين والمختصين في مجال دراسة الفنون القديمة تقديم قراءة دقيقة لحقول هذا الوجه^(٥٨). نظراً لانه يحمل بين مشاهد القصة المتتالية تفاصيل عن الصراع بين دويلتي لكش وأومّا ، ولكننا سوف نقوم باستعراض الرأي الأكثر قبولاً ودعمه من خلال إجراء المقارنات مع الكتابات السومرية ذات العلاقة.

لقد إستخدم الفنان في هذا الوجه الاسلوب ذاته عند سرد الحدث، اذ بدأ بتمثيل المشاهد القصصية من الاسفل الى الاعلى، ورغم التلف الكبير الذي لحق بالحقل الخامس فيمكن التعرف بشكل عام على مضمون المشهد، الذي يظهر فيه شخص تلقى ضربة من رمح في جبهته ، وهو بداية الصراع بين آكوركال والد إياناتم وأمير مدينة أومّا وهو ما تمت الإشارة إليه في النص المسماري المدون على المسلة^(٥٩) ، يليه في سرد الحدث الحقل الرابع وهو الحقل المُميز بمضمونه بين الحقول الاخرى ،أذ ضم مشاهد طقوسية يمكن تفسيرها على انها تنبؤات جاءت للأمير إياناتم عن طريق رؤيا شاهدها الأمير أثناء نومه^(٦٠)، وهذا المشهد يُفسر وفقاً لما جاء في النص المسماري المرافق للعمل الفني اذ جاء فيه "نفسه الذي إضطجع، الذي إضطجع..وصل الى رأسه، إياناتم الذي إضطجع، محبوبه وسيده الإله ننكرسو وضع يده على رأسه"^(٦١).

اما الحقل الثالث فيضم استعراض للجيش قام به الامير إياناتم استعداداً منه لخوض المعركة التي تظهر تفاصيلها واضحة في الحقل الثاني ، والذي ضم هجوم مباشر من قبل الأمير إياناتم وقواته وقد تتكلل بالانتصار وتكديس جثث الاعداء والتي صُورت على الجانب الايمن من الحقل نفسه ، وفي الحقل الاول تظهر النتيجة النهائية لانتصار الأمير إياناتم من خلال تصوير النسور (العقبان) التي مزقت جثث الاعداء وحملت رؤوسها (الشكل ١٢).

ثانياً: الكتابات السومرية التي تروي قصة الصراع بين دويلتي لكش وأومّا لطالما أشرنا في بداية الدراسة الى اهمية الكتابات السومرية في دعم العمل الفني وإغناؤه وبقي الان ان نستعرض القراءة اللاتينية لهذه الكتابات وترجمتها الى اللغة العربية بشكل مفصل وفقاً لتسلسلها التاريخي:

١/ الكتابات من عصر الأمير إياناتم (الشكل ١٣ أ- ب):

رافقت هذه الكتابات العمل الفني إذ أرتبطت معه إرتباطاً مادياً (Physically) ^(٦٢) وهذا ما ساعدنا بشكل كبير على قراءة حقول المسلة كما اسلفنا سابقاً ،ليس هذا السبب فحسب بل زدتنا كتابات الأمير إياناتم بتفاصيل دقيقة لم يتم الاشارة اليها في الوسيلة الإبلاغية الصورية المرافقة لها ^(٦٣) . فيما يلي عرض لأسطر النص:

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
Obv.C ol.i	Lacuna of 20 lines 21-24	[...]-ṁré¥ [®]uku-bi ṁe¥-lá [®]e-gub-ba-bi Ba-DU	سيدفعها كقرض بفائدة، وفرض عليها اجور بالحبوب
	25-26	lugal- laga®(NU ₁₁ .BUR.LA).KI	ملك لكش
	Lacuna		
Col.ii	Lacuna of 21 lines 22-23	[bar-...] [...]-l-a-ka	الأسطر غير مفهومة
	24-29	lú-°®KÚ-U.KI-ke ₄ ®u-ur ₆ -rá e-ma-da-du ₁₁ laga®(NU ₁₁ .BUR.LA).KI gaba-bé ®u e-ma-ús	قائد (كشه) أوّماً عمل بغرور معه وتمرد على لكش
	30-33	a-kur-gal laga®(NU ₁₁ .BUR.LA).KI	آكركال ، ملك لكش ابن اورناشة

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		dumu-ur- ^d nan@e	
Col.iii	1-2	[lugal] laga@(NU ₁₁ .BUR.LA).KI- ka-ke ₄	ملك لكش
	Lacuna of 13 lines 16-22	[lú- ^o @KÚ-U.KI-ke ₄] [@u-ur ₆ -rá] @e¥-m[a-da-du11 laga@(NU ₁₁ .BUR.LA).KI bar-nì-ní-ba-ka-ka gaba-bé @u e-ga-ma-ús	قائد (كشيه) أوّما عمل بغرور معه وتمرد على لكش وما يخص ثروتها
	23-27	piri ^o -ZÀ(?)-[(x)]- ^o ir-@nun¥-@à-ga-ke ₄ ^d nin- ^o ir-sú-@ke ₄ ¥ KA-na KA.KID-a mu-ni-tak ₄	بموجب كلمة الاسد (piri ^o -ZÀ) (?) فإن الاله ننكرسو زئر (صرخ)
	28-31	^o @KÚ-.KI @ú¥-durun _x (DÚR.DÚR)- [n]a-mu [n]i-nígá [a-@]àGÁNA	أوّما (كشيه) أخذت سهلي وثرواتي
Col.iv	1-3	[g]ú-[ede]n-na-[k]a [lag]a@([NU ₁₁ .BUR.L]A.) KI [...]-@bi¥ @x¥-[(x)]-le	حقول السهل العائد لللكش (المعروفة بـ كُو.إدن.نا)
	4-8	[e]n(?) ^d [ni]n- ^o ir-sú	سيدي الاله ننكرسو

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		[ur-s]a ^o -[^d en]-líl-lá [...-g]a [...] [na]-æe¥	محارب الاله انليل
	9-12	^d [ni]n-[^o ír]-sú-[k]e ₄ [a]-æé¥-[an]-na-túm- [ma] [®à-g]a [®u b]a-ni-du ₁₁	الاله ننكرسو نفث ببذرة حياة إياناتم في الرحم
	Lacuna of 2 lines 15-17	[...] [...] æx¥ mu-da-~úł	أحتقى (الاله ننكرسو) (ب) إياناتم
	18-19	^d inanna-ke ₄ da mu-ni-díb	الإلهة إيننا رافقته (إياناتم)
	20-23	é-an-na- ^d inanna- ¤ib-gal¥-ka-ka a-túm mu mu-ni-sa ₄	دعت إي.أنا. إيننا. إيكال. كا. كا. نوم والى معبد إي.أنا معبد الإلهة إيننا (المعبد) الببيضوي العظيم ، جلبته له
	24-26	^d nin-~ur-sa ^o -ra du ₁₀ -zi-da-na mu-ni-tu®	وأجلسته (اي الإلهة إيننا) على ركبتي الإلهة ننخرساک
	27-29	^d nin-~ur-sa ^o -ke ₄	الإلهة ننخرساک (قدمت

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		ubur-zi-da-né amu-[-na-lá]	له) كل ثدييها
Col.v	1-5	é-an-na-túm a-à-ga-@u-du ₁₁ -ga- d ⁿⁱⁿ -@ir-su-ka-da d ⁿⁱⁿ -@ir-su mu-da-@úl	احتقى الإله ننكرسو ببذرة إياناتم التي وُضعت من قبل ننكرسو (اي من قبله)
	6-12	d ⁿⁱⁿ -@ir-sú-ke ₄ zapa-(-U.BAD)-ni mu-ni-ra [kù]@-@5-@am ₆ mu-ni-ra kù@-5-zapa-(-U.BAD)-1	الإله ننكرسو وضع طوله لإياناتم وجعل(ننكرسو— طول(إياناتم) خمسة أذرع ووضع يديه بقياس ٥ أذرع عند أمتادها
	13-17	d ⁿⁱⁿ -@ir-sú-ke ₄ nam-ga-@úl-da [nam-lug] al- [laga@]([NU ₁₁ .BUR.LA.) KI] [mu-na-sum]	الإله ننكرسو وبعظمة الاحتفاء منحه الملوكية على لكش
	18-19	[...] d[...]-ka-[...]	
	20-22	é-an-na-túm à(Text:DA)-tuku-e kur a-ne-@è na-e	إياناتم الذي لديه القوة أعلن ان الاراضي الاجنبية تعود له
	23-29	é-an-na-túm-ra mu-d ^{inanna} -ke ₄	(اما بالنسبة)لإياناتم ،الأسم الذي منحته الإلهة

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		e-ni-sa ₄ -a-ni é-an-na- ^d inanna ib-gal-ka-ka a-túm mu mu-ni-[gar(?)]	إيننا (وهو) اي.أنا.نا.إب.كال.كا.كا. ثوم الى اي.ننا معبد الإلهة إيننا المعبد البيضوي العظيم، جلبته ، ومنحته (ذلك) الاسم
	30-32	mu-[(ni(?)) an]- [⌘] ki [⌘] (?)- [a(?)] n[a(?)]-...] [é-an-na-túm-(me)]	إسمه في السماء الأرض.... إياناتم
Col.vi	1-7	á-tuku-e mu-pà-da ^d nin- ^o ír-sú-ka-ke ₄ é-an-na-túm-me kur a-n[e]- [Ⓢ] è g[á-gá-dè] nì-ul-lí-a-d[a] gù nam-mi- [Ⓢ] dé [⌘]	مالك القوة أمر من قبل الإله ننكرسو ،إياناتم الذي أعلن الآن ،أيها العدو سأحتويك أكثر وأكثر
	8-10	énsi- [Ⓢ] U.KI me-an ì- [⌘] un	حاكم (كشّه) أومّا الذي طالما بقي معارضاً لذلك
	11-15	lú-[x]-da [⌘] x [⌘] [-(x)] gú-eden-na a- [Ⓢ] àGÁNA-ki-ág- ^d nin- ^o ír-sú-ka e-da-kú-e	ومع الرجال الآخرين ...تمكن من إستغلال السهل المحبوب للإله ننكرسو
	16-17	ᵐé- [Ⓢ] ub-bé	ليضره أرضاً (الإله)

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		An-né [x(?)] ⑥ár-ra	ننكرسو ليضرب حاكم (أومًا)
	Lacuna of 3 lines 22-24	[...] 𐎶𐎶𐎶 [...] eger-[ra]-né e-ma-ús	وسار خلفه
	25-32 Lacuna of 3 lines	ná-a-ra ná-a-ra sa ^o - ^o á mu-na-gub é-an-na-túm ná-a-ra lug[al]-ki-[ág-ni] [^d nin- ^o ír-sú] [sa ^o - ^o á mu-na-gub]	نفسه الذي إضطجع ، الذي إضطجع..وصل الى رأسه ،إياناتم الذي إضطجع ،محبوبه وسيده الإله ننكرسو وضع يده على رأسه
Col.vii	1-5	^o ⑥KÚ-U.KI ki⑥.KI-am ₆ ⑥u ⑥è-da[g]-g[e] zex(ÁB.SA)-ge dab ₅ -ba- ta nam-[m]a-da-DU	مدينة كيش نفسها يجب ان تترك (كشّه)أومًا ،ولكونها غاضبة يجب ان لاتدعمها(أومًا)
	6-11	𐎶𐎶𐎶-zi-da-za ^d utu iri-è sa ^o -ki-za NE.𐎶GI𐎶.DU.ÚS iri-ké⑥	الإله اوتو (شمس) إله الشمس سيشرق عند يمينك و..سيالتصق بجبيئك

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
	12 Lacuna of 7 lines	é-an-na-[tú]m	آه إياناتم
	20-23 Lacuna of 7or 8 lines	gi® mu-ni-ra LÚxÚ ⁻ bi 3600 U ₄ -é bi-lá ®[KÚ ⁻ U](um[ma]).[KI]	سَتُقْتَل هناك وستصل اشلائهم الى قاعدة السماء في (كشه)أوما
Col.viii	1-5 Lacuna of 18 lines	®u e-na-zi ®à ⁻ ® KÚ ⁻ U.KI-ka i-gaz u®ùr-®ki(?) mu-ni-...]	شعبه سيرفع يده ضده، وسيقْتَل في (كشه)أوما نفسها، وستعمل ب...
Col.ix	1	gi®UR.UR-e e-da-lá	ثَقَاتِل معه
	2-6	é-an-na-túm-ra lú ti mu-ni-ra ti-ta e-ta-si mu-ha® ®igi-ba [¥] bí-mu ₇ (KAXLI)- mu ₇ (KAXLI)	شخص رمى سهم على إياناتم ، فأخترقه بواسطة سهم، وأصبحت حركته صعبة، صرخ بوجهه (بوجه السهم)
	7 Lacuna of 7 lines	lú-KID-e	الشخص...
	15-19	[...]x [...]NI	؟؟؟؟

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		ṣxʔ-LÍL(?) [...] [...]KI	
Col.x	1-4 Lacuna of 7 lines	é-an-na-túm-me °KÚ-U.KI-a im-ṣul-im-ma-gim a-MAR mu-ni-tag₄	واجهت إياناتم عاصفة رياحية ، اصطحبها مطر غزير ، لقد تحدى الطوفان هناك في (كشه)أوما
	12-15	é-an-na-túm lú-inim-si-sá-kam ki-sur-ra [°KÚ-U.KI-ta]	إياناتم رجل الحق قاد وقاس الحدود من (كشه)أوما
Col.xi	1-5 Lacuna of 6 lines	e-ta-ra á- °KÚ-U.KI-@è mu-[t]ag₄ ki-ba na-[b]i-rú lú- °i@KÚ-U.KI	ترك بعض الارض تحت سيطرة (كشه)أوما ونصب مسلة في ذلك المكان. قائد (كشه)أوما...
	12-15	[°i@KÚ-U.KI] G[ÍN].-[É bi-sè SA[-AR.DU₆.TAG₄-b]i 20 bí-dub	غلبَ (كشه)أوما وعمل عشرين مدقناً لتكريم قتلاه
	16-18	é-an-na-túm ér-du₁₀-ga-ṣpàʔ-a- °ul-MU-xPA	إياناتم الذي بكى عليه الاله شول.مش.با
	19-20	ṣéʔ-[an-n]a-tú[m- (me[?])]	إياناتم..

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		mu-[x]-ni-[x]	
	21-24	é-[an-na-túm-me] [^d nin- ^o ír-sú-ra] Kur-kur [e]-na- ^a ka-lam ^a é-an ^a -[na-túm]-[me]	إياناتم حطم البلدان الغربية من أجل الاله ننكرسو . إياناتم
Col.xii	1-4	[^d nin]- ^o [ír-sú-ra] a-[^a àGANA-ki]-ág-[ni] gú-eden-[na] ^a u-na mu-ni-gi ₄	أعاد للاله ننكرسو سيطرته على الحقل المحبوب لديه ،كو.إدن.نا
	Lacuna of 6 lines 11-13	a- ^a da-n[a] ki-ur ₅ -ra- ^d nin- ^o ír- ^a sú-ka ^a	جانب حقوله (ننكرسو)، المنطقة التي تؤجر لصالح الاله ننكرسو نفسه
	Lacuna of 2 lines 16-21	[...]- ^a x ^a -[...] [...] na(?)[...] [...] [e(?)]-na-DU é-ma ^a -	خرم من سطرين ...علامات فقط... (في)المعبد العظيم
Col.xiii	1-2 Lacuna of 2 lines 11-12	[...] [na] ba-rú ^a x ^a [...] ^a x ^a [...] - ^a x ^a -	نصب (هذه) المنحوتة
	13-17	^d nin- ^o ír-sú-ka é-an-[na-túm] [...]	الاله ننكرسو ، إياناتم هو الذي...للاله ننكرسو إلهه الخاص

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		^d nin- ^o ir-sú-ka di ^o ir-ra-ni< ^d ®ul- MU ⁻ xPA(-am ₆)>	شول.مش.با
Col.xiv	1	a-®à- ^{ba} bára	حقول بابار
Col.xv	Lacuna of 9 lines 10-18	a-®à- ®x(=NÁM[?])¥.GAL.NIMGI R a-®à- GI[⁻].®PIRG(?)¥.»[Á(?)] a-®à-[x]-tum-ma-[(x)] a-®à-[x]-lam-[x(?)] a-®à-[x]-lam-®x¥ a-®à-[x]-GUR ₈ -[(x)] a-®[à]-®x¥-[(x)] a-®à-[x]-®gal¥-[x(?)] a-®à-®xxx¥	خرم من تسعة اسطر وأسماء حقول...
	Lacuna of 24 lines		
Col.xvi	Lacuna of 7 lines 8-11	[é-an-na-túm] [mu-pà]-®da¥ [^d n]in- ^o ir-[sú]-[k]a-ke ₄ [®u]-na mu-ni-gi ₄	إياناتم المختار من قبل الاله ننكرسو الذي أعادها (اي الحقول) الى سيطرة الاله ننكرسو
	12-17	lú- ^o i®KÚ ⁻ [U-K]l-ra é-an-na-túm-me sa-®u®-gal-	إياناتم الذي أعطى شبكة المعركة العظيمة العائدة للالة انليل ،والى قائد

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		^d en-líl-lá e-na-sum nam e-na-ta-ku ₅	(كشّه) أوّماً وجعله يحلف بتلك الشبكة
	18-20	lú- ^o i@KÚ ⁻ U.KI-ke ₄ é-an-na-túm-ra nam mu-na-ku ₅ -de ₆	قائد (كشّه) أوّماً حلف لإياناتم
	21-24	zi- ^d en-líl lugal-an-ki-ka a-@à- ^d nin-gír-sú-ka @GUR ₈ ¥ ì-kú	باسم حياة الاله انليل ملك السموات والارض سأقوم بأستغلال الحقل العائد لننكرسو مقابل فائدة
	25	@e¥ idim-@è na-e	عُمل خندق لعين ماء
	26-29	d[a-rí-da-gal-la-@è] [ki-sur-ra]- [^d nin- ^o ir-sú-ka-ke ₄] [ba-ra-mu-bal-e]	وبشكل دائم ومستمر سوف لا أعتدي على حدود الاله ننكرسو
	30-33	[e-pa ₅ -bi] [@u-bal ba-ra-ak-ke ₄] [na-rú-a-bi] ba-ra-bux(PAD)-re ₆	سوف لن أغير مجرى قنوات الري (لتلك الحقول)، ولن اجتث المسلات (مسلات الحدود)
	34-40	[u ₄ -da mu-bal-e] [sa-@us-gal]- [^d en-líl] [lugal-an-ki-ka] [nam e-ta-ku ₅ -rá] [^o @KÚ ⁻ U.KI-a]	وفي اي وقت أعتدي فلتكن شبكة المعركة العظيمة للاله انليل ملك السماء والارض والتي أقسمت بها تُعطي (كشّه) أوّماً

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		[an-ta ʔé-@u@]	
	41-45	[é-an-na-túm-me] [gal na-ga-mu-zu] [tu.MU ⁻ EN-2-nam] [igi-ba @embi ba-ni-gar] [eren sag-ba ì-mi-du ₈]	إياناتم كان ذكياً، نعم إنه ذكي، عمل عيني حمامتين بالكل وصب الزيت على رأسيهما مع صمغ الارز
Col.xvi i	1-5	^d [en-líl] [lugal-an-ki-ra] [nibru.KI-@è] [é-kur-ra] [@u e-ma-ni-ba]	أطلقهما للاله انليل ملك السموات والارض الى معبد اي.كور (معبد الجبلى) في مدينة نفر
	6-20	^d [en-líl] [lugal-mu-ra] [a-ba du ₁₁ -ga]-na ʔaʔ-ba @ár-ra-na lú ^o @KÚ ⁻ U.KI-a inim-da gur-ra-da-am ₆ u ₄ an-dú inim an-gàl u ₄ -d[a] inim-ba @u í-bal-e sa-@u@-gal- ^d en-líl-là nam e-ta-ku ₅ -rá ^o @ KÚ ⁻ U.KI-<a> an-ta ʔé-@u@	وبعد إعلانه هذا وتراجع الى سيده الاله انليل (اي) رجوعه الى اوامر الاله انليل (وإذا ما قام اي قائد (كشه) أو ما بالتراجع عن هذا الاتفاق او الوقوف ضده او حتى تحديه .وعند اي نقض لهذا الاتفاق ندعو الشبكة العظيمة للمعركة العائدة للاله انليل والتي اقسم عليها (قائد أو ما) ترتفع فوق (كشه) أو ما

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
	21-26	é-an-na-tum-me sa-@u@-gal- ^d nin-ur-sa ^o -k[a] lú- ^o [@]KÚ-U.KI-r[a] e-n[a]-sum n[am] æe¥-na-ta-ku ₅ -rá	إياناتم أعطى الشبكة العظيمة للمعركة العائدة للآلهة ننخرساك الى قائد (كثشه)أوماً وجعله يُقسم بها
	27-29	lú- ^o @ KÚ-U.KI-ke ₄ é-an-[n]a-túm-ra [nam mu-na-ku ₅ -de ₆]	أقسم قائد (كثشه)أوماً لإياناتم
	30-32	[zi- ^d nin-ur-sa ^o -ka] [a-@à- ^d nin- ^o ir-su-ka] [ur í-kúl]	بحياة الإلهة ننخرساك ، يسمح له بإستغلال الحقول ولكن بفائدة
	33	[e Ú-@è na-e]	سوف لن مجرى القنوات
	34-37	[da-rí-da-gal-la-@è] [ki-sur-ra]- [^d nin- ^o ir-su-ka-ke ₄] [ba-ra-mu-bal-e]	الى أبد الابدین لن أعتدي على حدود الاله ننكرسو
	38-39	[e-pa ₅ -bi] [@u-bal ba-ra-ak-ke ₄]	سوف لن أحرك قنوات الري ومصباتها
	40-41	[na-rú a-bi] [ba-ra-bux(PAD)-re ₆]	ولن أجتث مسلاتها
	42-48	[u ₄ -da mu-bal-e] [sa-@us-gal]- [^d nin-ur-sa ^o -ka-ke ₄] [nam e-ta-ku ₄ -rá]	وعند إعتدائي فلتغمر الشبكة العظيمة للمعركة العائدة للإلهة ننخرساك ،والتي أقسمت بها فوق

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		[^o KÚ-U.KI-a] [an-ta ʔé-@u@] [é-an-na-túm-me]	(كشّه)أوما . إياناتم
Col.xvi ii	1-7	gal ʔna-gaʔ-mu-zu tu.MU ⁻ EN-2-nam igi-ba @èmbi(BIxSIG) ba- ni-gar ADKIN(LAK 668)sa ^o -ba i-mi-du ₈ ^d nin-ʔur-sa ^o -ra kè@.KI-@è @[u e-ma-ni-ba]	كان نكياً بحق ، عمل عيني حمامتين بالكحل ودهن رأسيهما بصمغ الارز ، وأطلقهما الى معبد الإلهة ننخرساک في مدينة كيش
	8-22	ama-mu ^d nin-ʔur-sa ^o -ra a-ba du ₁₁ -ga-n[a] a-ba @ár-ra-[na] lú ^o [^o] K[Ú-U.KI-a] inim-[da gur]-ra-[da-am ₆] u ₄ [an-dú] ini[m an-gál] u ₄ -[da inim-ba] [@u i-bal-e] [sa-@u@]-ʔgalʔ- ^d nin-ʔur-sa ^o -ra nam e-ta-ku ₅ -rá ^o KÚ-U.KI-a	وبعد إعلانه (قائد أوما)وتراجعه أمام الإلهة الأم ننخرساک فإن اي قائد في (كشّه)أوما يُحرف ذلك الإتفاق ،وعندما يحنث بذلك العهد فلتحل عليه شبكة المعركة العظيمة للإلهة ننخرساک ، والتي أقسم بها ، ستغمر (كشّه)أوما

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		an-ta ʔé-@u@	
	23-29	é-an-na-túm-me [sa-@u@-gal]- [^d en-ki] [lugal-abzu-ka] [lú- [°] @ KÚ-U.KI-r[a] [e-na-sum] [nam e-na-ta-ku ₅ -rá]	أعطى إياناتم شبكة المعركة العظيمة للاله انكي ملك الأبزو (المياه العميقة) الى قائد (كشه) أوّما وجعله يُقسم بها
	30-45	[lú- [°] @ KÚ-U.KI-ke ₄] [é-an-na-túm-ra] [nam mu-na-ku ₅ -de ₆] [zi- ^d en-ki] [lugal-abzu-ka] [a-@à- ^d nin- [°] ir-su-ka] [GUR ₈ i-kú] [e Ú-@è na-e] [da-rí-da-gal-la-@è] [ki-sur-ra]- [^d nin- [°] ir-sú-ka-ke ₄] [ba-ra-mu-bal-e] [e-pa ₅ -bi] [@u-bal ba-ra-ak-ke ₄] [na-rú-a-bi] [ba-ra-bu _x (PAD)-re ₆]	قائد (كشه) أوّما أقسم لإياناتم وبخياة الاله انكي ملك الأبزو ، انني يمكن ان أستغل حقل الاله ننكرسو بشكل قرض بفائدة ، لن أغير قنوات الري والى أبد الابدين لن أعتدي على حدود الاله ننكرسو ولن أغير مجاري قنوات الري ولن أجتث مسلاتها

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
Col.xix	1-7	u₄¥-da mu-bal-e sa-[®]us-gal- ^den-ki lugal-abzu-ka nam e-ta-ku₅-rá ^{°i}®KÚ⁻U.KI-a an-ta [®]é-[®]u[®]	وفي أي وقت اعتدي فلتكن شبكة المعركة العظيمة للاله أنكي ملك الأبزو فوق (كشه) أوّما
	8-16	é-an¥-[na-túm-me] [gal na-ga-mu-zu] [tu.MU⁻EN-2-nam] [igi-ba [®]embi ba-ni-gar] [ADKIN(LAK 668)sa[°]-ba i-mi-du₈] [^den-ki-ra] [...] [^dni]n-^{°i}r-sú-ka [®]u e-ma-ni-ba	إياناتم كان ذكياً حقاً، عمل عيني حمامتين بالكحل ودهن رأسيهما بصمغ الأرز ، وأطلقهما الى (معبد) الاله انكي في ...للاله نكرسو
	17-19	su⁻ur.KU₆ abzu-[®]è gub- gub-ba é-an-na-túm-me KA a-ku₅-de₆	وأقسم إياناتم بأسم السرطانات المتوجهة الى الأبزو
	20-36	lugal-mu ^den-ki-ra a-ba du₁₁-ga-na [a-ba [®]ár-ra-na] [lú ^{°i}®KÚ⁻U.KI-a]	وبعد إعلانه وتراجعته الى سيده الاله انكي ، إذا اي قائد من قادة (كشه)أوّما نقض العهد وعند معارضته او ادعاه ضد

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		[inim-da gur-ra-da-am ₆] [u ₄ an-dù] [inim an-gál] [u ₄ -da inim-ba] [®u ì-bal-e] [sa-®u®]-gal- [^d en-ki] [nam e-ta-ku ₅ -rá] [[®] KÚ ⁻ U.KI-a] [an-ta -é-®u®] [é-an-na-túm-me] [sa-®u®-gal]	الاتفاق وفي اي وقت يُنقض الاتفاق فلتغطي شبكة المعركة العظيمة للاله انكي والتي أقسم عليها بلاد (كشه)أوماً . أعطى إياناتم شبكة المعركة العظيمة
Col.xx	1-6	^d EN.ZU amar-bán-da- ^d en-líl-ka lú- [®] KÚ ⁻ U.KI-ra e-na-sum nam e-na-ta-ku ₅ -rá	للاله سين العجل القائد للاله انليل الى قائد (كشه)أوماً وجعله يُقسم له بها
	7-14	lú- [®] [KÚ ⁻ U.KI]-ke ₄ [é-an-na-túm-ra] [nam mu-na-ku ₅ -de ₆] [zi- ^d EN.ZU] [amar-bán-da]- [^d en-líl-ka] [a-®à- ^d nin- [®] ír-sú-ka] [GU]R ₆ ì-kú	قائد(كشه)أوماً أقسم لإياناتم بحياة الاله سين العجل القائد للاله انليل ، سأستغل الحقل العائد للاله ننكرسو كقرض بفائدة

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
	15-20	e ū ⁻ @è na-e da-rí-da-gal-la-@è ki-sur-ra- ^d nin- ^o ír-sú-ka-ke ₄ ba-ra-mu-bal-e e-pa ₅ -bi	سوف لن أقوم بتغيير قنوات الري ، والى أبد الابدين لن اعتدي على حدود الاله نكرسو، ولن أغير مجاري قنوات الري
Col.xxi	1-3	ṁ@u-bal ba-ra-ak-ke ₄ ¥ ṁna-rú-a-bi¥ ba-ra-pad-re ₆	ولن أجتث مسلاتها
	4-11	u ₄ -da mu-bal-e sa-@us-gal- ^d EN.ZU amar-bán-da- [^d en-lí]-ka [nam e-na-ta-ku ₅ -rá] [ⁱ @KÚ ⁻ U.KI-a] [an-ta] -é-@u@	وفي اي وقت اذا ما كسرتُ العهد فليرسل الاله سين العجل القائد للاله انليل شبكة المعركة العظيمة للاله انليل الذي اقسمت عليها لتغمر (كثته) أو ما
	12-17	[é-an-na-túm-me] gal na-ga-mu-zu tu.MU ⁻ UN-4 igi-ba @embi ba-ni-gar eren! sag-ba ì-mi-du ₈ 2-nam-uri ₅ .KI-@è	كان إياناتم ذكياً بحق ،عمل عينا أربع حمامات بالكحل ، ودهن رأسها بصمغ الأرز ، أطلق اثنتان منهما نحو اي.كش.نو.كأل في مدينة أور
Col.xxi i	1-6	[...] [2-nam]	وأطلق اثنتان نحو المقام المقدس للاله سين في

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		[... .KI-®è] ki-[tu®-kù] °E[N.ZU-ka] [®u e-ma-ni-ba]	(مدينة أور)
	7-15	lugal-mu [°EN.ZU] amar-®bán-®da- °en-líl-ra a-ba du ₁₁ -ga-na a-ba ®ár-ra-n[a] lú-°®KÚ ⁻ U.KI-<a> inim-da gur-ra-da-am ₆ u ₄ an-dù	وبعدما أعلن انه تراجع الى سيده الاله سين العجل القائد للاله انليل ، واذا ما نقض العهد قائد (كشه)أومًا ، وعندما أعترض او أحنث العهد
Col.xxi ii	1-8	[inim an-gál] [u ₄ -da inim-ba] [®u i-bal-e] [sa-®u®-gal]- [°EN.ZU] [nam e-ta-ku ₅ -rá] [°®KÚ ⁻ U.KI-a] [an-ta ˉé-®u®]	في اي وقت ينقض هذا العهد ستغمره شبكة المعركة العظيمة للاله سين العجل القائد للاله انليل والذي أقسم بها ولتغمر مدينة (كشه)أومًا
Rev.C ol.i	1-7	é-an-na-túm-me sa-®u®-gal- °utu lugal-ni-sè-ga-ka lú-°®KÚ ⁻ U.KI-ra	اعطى إياناتم شبكة المعركة العظيمة للاله أوتو(شمش) ،سيد الخضروات ،الى قائد (كشه)أومًا وجعله يُقسم له

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		e-na-sum nam e-na-ta-ku ₅ -rá	بها
	8-10	lú- [°] ®KÚ ⁻ U.KI-ke ₄ é-an-na-túm-ra nam mu-na-ku ₅ -de ₆	الى قائد (كشه) أوّما الذي أقسم لإياناتم
	11-14	zi- ^d utu [lugal-ni-sè-ga-ka]- [a-®à- ^d nin- [°] ir-sú-ka] [GUR ₈ ì-kú]	بحياة الاله أوتو سيد الخضروات، سأقوم بأستغلال حقل الاله ننكرسو كقرضٍ بفائدة
	15-23	[e Ú ⁻ ®è na-e] [da-rí-da-gal-la-®è] [ki-s]ur-ra- [^d n]in- [°] ir-[s]ú-ke ₄ [b]a-ra-mu-bal-e [e]-pa ₅ -bi [®u]-bal ba-ra-ak-ke ₄ na-rú-a-bi ba-ra-bux(PAD)-re ₆	لن أغير مجرى قنوات الري، الى أبد الابدين لن أعتدي على حدود الاله ننكرسو ، لن أغير مجرى قنوات الري، ولن أجتث مسلاتها
	24-30	®u ₄ ¥-da mu-bal-e sa-®us-gal- ^d utu lugal-ni-sè-ga-ka [na]m e-ta-ku ₅ -rá [°] ®KÚ ⁻ U.KI-a na-ta ®é-®u®	واذا ما قُمتُ بالاعتداء، عسى ان تغمر (كشه) أوّما شبكة المعركة العظيمة للاله أوتو سيد الخضروات التي أقسمت بها

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
	31-40	é-an-na-túm-me gal naga-mu-zu tu.MU⁻EN-2-nam igi-ba 𒀭embi ba-ni-^oar eren sa^o-ba ì-mi-du₈ ^dutu lugal-ni-sè-ga-ra larsa.KI é-bábbar nínda-gu₄-𒀭è an-kú	عمل إياناتم عينا حمامتين بالكل ، ودهن رأسيهما بصمغ الأرز وللاله أوتو سيد الخضروات في المعبد الأبيض (المشرق) في مدينة لارسا ، قدمها مقابل ثوربين كأضحية
Rev.C ol.ii	1-14	[^dutu] l[ugal]-m[u]-[ra] a-ba [du₁₁]-ga-𒀭na𒀭 a-ba 𒀭ár-ra-na lú-^o𒀭KÚ⁻U.KI-a] inim-da gur-ra-da-am₆ u₄ an-dù inim an-gál u₄-da inim-ba 𒀭u ì-bal-e sa-𒀭u𒀭-gal- ^dutu lugal-ni-sè-ga-ka nam e-ta-ku₅-rá ^o𒀭KÚ⁻U.KI-𒀭a𒀭	وبعد ذلك أعلن انسحابه الى سيده الاله أوتو ، وإذا ما قام أحد قادة (كشه)أوما بعمل ضد الاتفاق وحنث به او وقف ضده او إعترض عليه . عسى (ان تغمر) الشبكة العظيمة للمعركة شبكة الاله أوتو سيد الخضروات التي أقسم عليها وتقع على (كشه)أوما
Rev.C ol.iii	1-13	[an-ta 𒀭é-𒀭u𒀭] [é-an-na-túm-me]	ان تغمر . إياناتم الى قائد

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		[...] [lú- °®]KÚ[¯U](um[ma]).KI-ra αx¥ [...] mu- ^d nin-ki-ka mu-ni-pà-dè lú- °®KÚ[¯U].KI-ke ₄ é-an-na-túm-ra nam mu-na-ku ₅ -de ₆ zi- ^d n[in]-ki-[ka]	(كشّه)أوما جعله يُقسم بالإلهة نن.كي،قائد (كشّه)أوما أقسم لإياناتم بحياة الإلهة نن.كي
Rev.C ol.iv	1-6	[a-®à- ^d nin-°ir-sú-ka] GUR ₈ ì-kú e Ú[¯]-®è na-e da-[rí]-d[a-gal-la-®è] k[i-sur-ra]- ^d [nin-°ir-sú-ka-ke ₄]	سأقوم بأستغلال حقل الاله ننكرسو على شكل قرض بفائدة، لن أغير مجرى قنوات الري، والى الأبد،على حدود الاله ننكرسو
Rev.C ol.v	1-5	[ba-ra-mu-bal-e] e-pa ₅ -bi ®u-ba[l] ba-ra-ak-ke ₄ na-r[ú]-a-bi ba-r[a-bux(PAD)-re ₆]	لن أتجاوز. ولن أنقل مجري الري ولا قنواتها، ولن أقتلع مسلاتها
	6-11	[u ₄]-rá [mu]-bal-[e] ^d nin-[ki] m[u-ni] e-[pà]-d[a] α°®KÚ[¯U](um[ma]).[KI] m[u® ki-ta] gi[rí-ba]	اما بالنسبة للإلهة نن.كي ، التي أقسم بأسمها ، عسى ان يكون لديها أفاع من باطن الأرض تلدغ أقدام أهل مدينة

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		z[ú ʔé]-m[i]-dù-dù-æe	(كشّه)أوما
	12-16	[°] ®KÚ[⁻ U](umm[a]).[KI] e-[bi bal-e-da-bi] [[°] iri-bi] [^d nin-ki-ke ₄] [ki ʔé-da-kar-ré]	عندما تتعدى (كشّه)أوما تلك الحدود ، اى حدود القناة ، عسى تلدغ أقدامهم أفاعى الإلهة نن.كى
	17-18	[é-an-na-túm-me] [gal na-ga-mu-zu]	إياناتم كان ذكياً حقاً
	18-22	[...] [...] [...] [...]	
	23-36	[... ^d nin-ki-ra] [a-ba du ₁₁ -ga-na] [a-ba ®ár-ra-na] [lú- [°] ®KÚ ⁻ U.KI-a] [inim-da gur]-ra-æda- am ₆ u ₄ a-dù inim a- [°] ál u ₄ -da inim-ba ®u i-bal-e ®u i-bal-e ^d nin-ki nam-ni ma-ni-ku ₅ -rá [°] ®KÚ ⁻ U.KI	بعد ذلك الاعلان تراجع للإلهة نن.كى واذا ما قام قائد(كشّه)أوما بالاعتداء على الاتفاق ، وعندما ينقضه قائد (كشّه)أوما او يقف ضده او يدعى عليه ، وفي اى زمان يقوم بنقض الاتفاق ، عسى الإلهة نن.كى التي أقسم بها والتي تملك الافاعي تحت الأرض ، عساها تلدغ أقدام (اهل) (كشّه)أوما

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		mu® ki-ta gîri-ba zú ٢é-mi-dù-e	
	37-41	°®KÚ-U.KI e-bi bal-e-da-bi gîri-bi nin-ki(Text;DI)-ke ₄ ki ٢é-da-kar-ré	وإذا ما اعتدت على حدود القناة ، عسى ان تلدغ الإلهة نن.كي بأفأعيها أقدام (اهل) (كشيه)أوما
	42-46	é-an-na-túm lugal- laga®.KI á-sum-ma- °en-líl	إياناتم ملك مدينة لكش ، الذي مُنح القوة من قبل الاله انليل
	47-50	ga-zi-kú-a °nin-٢ur-sa° mu-du ₁₀ -sa ₄ -a- °inanna	الذي ارتوى بالحليب الكامل للإلهة ننخرساك، الذي مُنح الاسم الجليل من قبل الإلهة إيننا
	51-56	gé®tu-sum-ma- °en-ki ®à-pà-da °nan®e nin-uru ₁₆ [kur-g]ú-[gar-gar]	الذي مُنح الحكمة من الاله انكي، الذي أُختير من قبل قلب الإلهة نانشة السيدة القوية التي أخضعت البلدان من أجل
Rev.C ol.vi	1-12	°n[in-°ir-sú-ka] ki-á°- °dumu-z[i]-abz[u] mu-pà-da	الاله ننكرسو ، محبوب الاله دموزي-أبزو ، الذي سُمي من قبل الاله خنذر.ساك،الصديق

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		^d -endur-sa[°] ku-[l]i-ki-á° ^d lugal-URUxKÁR dam-ki-á° ^d inanna-ka-ke ₄ NIM.KI 𒀭UBR𒀭.[KI] kur GÍN.𒀭NÍG.GA𒀭 [GÍN.𒀭È bi-sè]	المحبوب للاله لوكال.أورو.كار، الزوج المحبوب للاله إيننا، الذي غلب بلدان عيلام وجبال سويارتو وأخذ أخشابها وكنوزها
	Lacuna		
Rev.C ol.vii	1-7	[...] G[ÍN.𒀭È bi-sè] su-sín.[KI]-na GÍN.𒀭È bi-sè 𒀭u-nir-URUxA.KI-ka énsi-bi sa° mu-gub-ba	غلب أرض...، غلب سوسة، الذي (غلب) حاكم أراوا، والذي وقف مع رايات المدينة الخالدة
Rev.C ol.viii	1	[GÍN.𒀭È bi-sè]	غلب
	Lacuna		
Rev.C ol.viii	1-5	[GÍN.𒀭È bi-sè] a-rú-a.[KI] mu-𒀭a-lam 𒀭u-è ki-en-gi-	غلب...وحطم مدينة أروا بلاد سومر
Rev.C ol.ix	1-2	ur[i ₅ .KI] GÍN.𒀭È bi-sè	غلب مدينة اور

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
	Lacuna of about 19 lines		
Rev.C ol.x	20-22	[gú-ede]n-[na] [®]u-a gi ₄ -a é-an-na-túm	إياناتم الذي أعاد سهل كو.إدن.نا الى سيطرة الاله ننكرسو
Rev.C ol.xi	Lacuna of about 19 lines		
	20-22	[^d]ni[n-°ír-s]u-ka-ke ₄ ^d nin-gír-su-ra mu-na-rú-a-e	(على طول القناة)العائدة الى الاله ننكرسو أقام المسلة
Rev.C ol.xii	Lacuna		
	20-22	[°é®tu-ni] al [zu-a] lug[al] ki®.[KI-(bi)]	واستحضر امامه...ربما يكون ذلك ملك كيش
Rev.C ol.xiii	missing		النص مفقود
Subscr ipt Rev.C ol.x	23-29	na-rú-a mu-bi lú-a nu mu-bi ®i-e ^d nin-°ír-sú en men-LUM-ma nam-ti-	وأسم ذلك النُصب لم يكن أسم شخصي او رجل وصرح بأسمه ننكرسو "السيد" تاج لوما . لحياة قناة أسد السهل

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		l ₇ .pri ^o -eden-na	
	30-37	na-rú-a gú-eden-na a-@à-ki-ág- ^d nin- ^o ir-sú-ka é-an-na-túm-me ^d nin- ^o ir-su-ra @u-na mu-ni-gi ₄ -a @mu¥-[na-rú]	لقد نصب اليه، الى الاله ننكرسو المسلة العائدة لحافة السهل ، الحقل المحبوب عند الاله ننكرسو ، والذي أعاده إياناتم لسيطرة الاله ننكرسو
Caption on the reverse		تعليق على الفقا	
Cartouche A (behind E-annatum in upper register)		الخرطوش B يقع خلف إياناتم في الحقل العلوي	
	1-3	é-an-na-túm-me kur-gú- ^o ar- ^o ar- ^d nin- ^o ir-su-ka	إياناتم الذي أخضع البلاد الاجنبية للاله ننكرسو
Cartouche B (in front of and behind E-annatum)		الخرطوش B يقع أمام وخلف إياناتم	
	1-3	é-an-na-túm-me kur-gú- ^o ar- ^o ar- [^d]nin- ^o ir-su-[ka]	إياناتم الذي أخضع البلاد الاجنبية للاله ننكرسو

٢/ الكتابات من عصر الأمير إينميتينا:

تُعد الكتابات السومرية العائدة الى عصر الأمير إينميتينا من أولى نماذج الكتابات التاريخية التي تقوم بسرد احداث تمتد لما يقارب ٣٠٠ عام، وبهذا فإن

كاتب النص يُعد أول مؤرخ عرفه العالم القديم آنذاك^(٦٤) وفيما يلي عرض لأسطر النص^(٦٥):

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
Col.i	1-3	^d en-líl lugal-kur-kur-ra ab-ba-dingir-dingir-ré-ne- ke ₄	الاله انليل ملك البلدان، ابو الآلهة
	4-7	inim-gi-na-ni-ta ^d nin- ^o ir-su ^d á-ra-bi ki e-ne-sur	بالاستناد الى امره الحق حدد الحدود بين الاله ننكرسو والاله شارا
	8-9	me-silim lugal-ki@.KI-ke ₄	ميسلم ملك مدينة كيش
	10- 12	inim- ^d i@taran(=KA.DI)-na- ta é@ GÁNA bi-ra ki-ba na bí-rú	وبأمر الاله إشتاران مدّ جبل القياس في الحقل ووضع مسلة هناك
	13- 15	U ⁻ ensí- ^o @KÚ ⁻ U.KI-ke ₄	أوش حاكم مدينة كشه(أوما)
	16- 21	nam-inim-ma diri-@è e-ak na-rú-a-bi i-bux/bur ₉ (PAD) eden- laga@(NU ₁₁ .BUR.LA)KI-@è i-DU	تصرف بغرور وأقتلع وحطم تلك المسلة وزحف نحو سهل لكش

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
	22- 23	^d nin- ^o ir-su ur-sa ^o - ^d en-líl-lá-ke ₄	الاله ننكرسو محارب الاله انليل
	24- 27	inim-si-sá-ni-ta ^o i ^o KÚ ⁻ U.KI-da dam-a-ra e-da-ak	بالامر الحق للاله انليل أقام (الاله ننكرسو) معركة ضد مدينة كشه (أوما)
	28- 29	inim- ^d en-líl-lá-ta sa- ^o u ^o -gal bí- ^o u ^o	بموجب أمر الاله انليل رمى (الاله ننكرسو) شبكة المعركة
	30- 31	SA-AR.DU ₆ .TAG ₄ -bi eden-na ki ba-ni-ús-ús	وكوم أشلاء جنده (أوش) في قبور جماعية في منطقة إين (التابعة للكش)
	32- 38	é-an-na-túm énsi- laga ^o (NU ₁₀ BUR.LA).KI pa-bil-ga- en-TE.ME-na énsi- laga ^o .KI-ka-ke ₄	إياناتم حاكم مدينة لكش، عم إينميتينا حاكم مدينة لكش
	39- 42	en-á-kal-le énsi- ^o i ^o KÚ ⁻ U.KI-da ki e-da-sur	حدد الحدود مع إن. أكالي حاكم مدينة كشه (أوما)
Col.ii	1-2	ég-bi i ₇ -nun-ta gú-eden-na- ^o è	حدد حدود القناة من منطقة نون الى منطقة السهل

الترجمة باللغة العربية	النص اللاتيني	السطر	العمود
كۆ.إدن.نا			
ترك ٢١٥ ن.دان(قصة) طويلة تساوي حوالي ٣٦م)اي مايقارب ١٢٩٠م من البلاد التابعة للاله ننكرسو (والتي كانت)تحت سيطرة مدينة كشه (أوما)، وأسس منطقة حياد هناك	íb-ta-ni-è GÁNA- ^d nin- ^o ir-su-ka 210 É ⁻ E (1) BA ₇ NINDA.DU á- ^o KÚ ⁻ U.KI- ^o è mu-tag ₄	3	
كتب ونصب مسلاتٍ عند تلك الحدود،وأعاد إقامة مسلة ميسلم لكنه لم يعبر الى منطقة إدن في مدينة كشه (أوما)	ég-ba na-rú-a e-me-sar-sar na-rú-a me-silim-ma ki-bé bí-gi ₄ eden- ^o KÚ ⁻ U.KI- ^o è nu-dí b	4-10	
وعند مزلاج القناة التابع للاله ننكرسو أسماها نم.نون.دا.كي.گارا ، وبنى صومعة للاله اثليل وصومعة للإلهة ننخرساك وصومعة للاله ننكرسو وصومعة للاله أوتو	im-dub-ba- ^d nin- ^o ir-su-ka nam-nun-da-ki- ^o ar-ra bára- ^d en-líl-lá bára- ^d nin- ^{ur} -sa ^o -ka bára- ^d nin- ^o ir-su-ka bára- ^d utu bí-dù	11- 18	
قائد (كشه)أوما استطاع ان يستغل (١ كور اي مايساوي ٥١٨٤هكتار) ، التي تُزرع	@e- ^d nan@e @e- ^d nin- ^o ir-su-ka 1 gur ₇ -am ₆	19- 23	

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		lú- [®] KÚ-U.KI-ke ₄ ur ₅ -®è ì-kú	بشعير الإلهة نانشة وشعير الاله ننكرسو كفائدة على قرضٍ له
	24- 26	ku ₅ -DU ba-ús 144,000 gur ₇ -gal ba-ku ₄	لقد كانت بفائدة ، والتي قُدرت بـ(٨٦٤٠٠٠٠)كُورو اي ما يعادل (٤٤٧٨٩٦٦٠٠٠)هكتار
	27	bar ®è-bi nu-da-sù-sù- da-ka	ولانه لم يستطع دفع تلك الكمية من الشعير
	28- 35	ur-LUM-ma ensí- [®] KÚ-U.KI-ke ₄ ég-ki-sur-ra- ^d nin-®ir-su-ka ég-ki-sur-ra- ^d nan®e a-e ì-mi-è	فان أورلما حاكم (كشّه)أوما حول المياه من سد الحدود للاله ننكرسو ، هذا فضلاً عن تحويله للسد العائد للإلهة نانشة
	36- 38	na-rú-a-bé izi ba-sum ì-bu _x -bu _x (or bur ₉ -bur ₉)	أشعل النار بمسلاتهم وأقتلهم وحطمهم
	39- 42	bára-RU-a-dingir-ré-ne nam-nun-da-ki-®ar-ra ab-dù-a ì-gul-gul	كما حطم الصوامع المكرسة للآلهة ، والتي بُنيت عند الحدود ، ومزلاج السد ، اي منطقة نم.نن.دا.كي.گار
Col.iii	1-4	kur-kur e-ma-®un ég-ki-sur-ra-	أجر الناس الغريباء من البلدان الغريبة والمرترقة

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		^d nin- ^o ir-su-ka e-ma-ta-bal	وأعتدى على حدود السد العائد للاله ننكرسو من جهة الشمال
	5-10	en-an-na-túm ensí- laga®(NU ₁₀ BUR.LA).KI-ke ₄ GANÁ-ù- ^o ig-ga ^{a-®à} GANÁ- ^d nin- ^o ir-su-ka- ka gi® UR.UR-®è e-da-lá	إياناتم حاكم لكش تحارب معه في حقول أجيجا ، حقول الاله ننكرسو
	11- 14	en-TE.ME-na dumu-ki-á°- en-an-na-túm-ma-ke ₄ GÍN.¯È ì-ni-sè	إينميتينا الابن المحبوب لإياناتم غلبه
	15- 18	ur-LUM-ma ba-da-kar ®à- ^o i®KÚ¯U.KI-®è e-gaz	أور لما هرب الا إنه قُتل في (كشه)أوما نفسها
	19- 24	an®e-ni ÉREN-60-am ₆ gú-i ₇ -LUM-ma- ^o ir-nun-ta- ka e-®è-tag ₄ nam-lú-ulù-ba ^o iri-PAD.DU-bi eden-da e-da-tag ₄ -tag ₄	حميره هناك كانت على شكل (٦٠) زوجاً ، تركها على حافة قناة لوماً كبير.نزن.تا.كا. وترك عظامهم (جيشه) هناك متناثرة في منطقة إدن
	25-	SA-AR.DU ₆ .TAG ₄ -bi	وكوم (إينميتينا) هناك

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
	27	ki-5-a i-mi-dub	القبور الجماعية لتكريم خسائره ، وفي (٥) أكوام
	28- 33	u ₄ -ba il sa ^o a-zabalam.KI-kam °ir-su.KI-ta gi®KÚ ⁻ U.KI-®è °ar-dar-ra-a e-DU	في ذلك الوقت إيل الذي كان يُدير المعبد في مدينة زيلام ، توجه ويتخاذل من مدينة كيرسو الى مدينة (كشه) أوّما
	34- 38	il-le nam-énsi gi®KÚ ⁻ U.KI-a ®u e-ma-ti ég-ki-sur-ra-	أخذ منصب حاكم (كشه) أوّما لنفسه . حول مجرى الماء من حدود
Col.iv	1-3	^d nin-°ir-su-ka ég-ki-sur-ra- ^d nan®e	الاله ننكرسو ، وسد حدود الإلهة نانشه
	4-10	im-dub-ba- ^d nin-°ir-su-ka gú-l ₇ .idigna-®è °ál-la gú-gú-°ir-su.KI-ka nam-nun-da-ki-gar-ra- ^d nin-ur-sa ^o -ka a-e i-mi-è	عند الحدود ذاتها ومجاميع ننكرسو على ضفة نهر دجلة في منطقة كيرسو ، نم.نن.كي.كارا التابعة للإله انليل والاله انكي والإلهة ننخرساك
	11- 12	®e-laga®.KI 3600 gur ₇ - am ₆ i-su	أعاد دفع (٣٦٠٠) كُورو فقط (اي ما يعادل ٦٦٢,٤٠٠) هكتار من شعير مدينة لكش

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
	13- 18	en-TE.ME-na énsi- laga®.KI-ke ₄ bar-e-ba-ka íl-®e lú -é-®è-gi ₄ -gi ₄	عندما، وبسبب تلك الحدود للقنوات ، إنميتينا حاكم مدينة لكش أرسل مبعوثيه الى إيل
	19- 23	íl énsi gi®KÚ-U.KI-a a-®àGANÁ kar-kar níg-NE.RU-du ₁₁ -du ₁₁ -ge	إيل حاكم (كش) أوّماً بخصوص الحقول هناك قال بتعنت :
	24- 29	ég-ki-sur-ra- d nin-°ír-su-ka ég-ki-sur-ra- d nan®e ì-mi-du ₁₁	ان سد الحدود للاله ننكرسو وسد الحدود للإلهة نانشة، هما لي
	30- 36	an-ta-sur-ra-ta é-dimgal (=gal:dim)-abzu- ka-®è im ba-ni-è-dè ì-mi-du ₁₁ d en-líl-le d nin-ur-sa°-ke ₄ nu-na-sum	سأجففها ومن منطقة أن.تا.سور اي الحدود الشمالية والى معبد دمكال.أبزو، هو قال. إلا ان الاله انليل والإلهة ننخرساك لم تسمحا له بعمل ذلك
Col.v	1-5	en-TE.ME-na énsi-	إنميتينا حاكم مدينة لكش ، الذي سُمي من قبل الاله

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		laga@.KI-ke ₄ mu-pà-da- d ⁿⁱⁿ -í ^r -su-ka-ke ₄	ننكرسو
	6-8	inim-si-sá-d ^{en} -líl-lá-ta inim-si-sá- d ⁿⁱⁿ -í ^r -su-ka- ta inim-si-sá- d ^{nan} @e-ta	وبالامر الحق للاله انليل والامر الحق للاله ننكرسو والامر الحق للإلهة نانشة
	9-11	ég-bi l ₇ .idigna-ta i ₇ -nun-@è e-ak	أعاد حدود ذلك السد من نهر دجلة الى قناة نون
	12- 18	nam-nun-da-ki-°ar-ra úr-bi na ₄ -a mu-na-ni-dù lugal-ki-an-na-á°-°á-ni d ⁿⁱⁿ -í ^r -su-ra nin-ki-an-na-á°-°á-ni d ^{nan} @e ki-bé mu-na-gi ₄	بنى أسس نم.نن.دا.كي.كّارا اليه (للاله ننكرسو) بالحجر ، وأعاد بناءها للسيد الذي يحبه ، الاله ننكرسو وللسيدة التي تحبه الإلهة نانشة
	19- 23	en-TE.ME-na énsi- laga@(NU ₁₀ -BUR.LA).KI °idri-sum-ma- d ^{en} -líl-lá	إنيميتينا حاكم مدينة لكش ، مُنح الصولجان من قبل الاله انليل
	24- 30	°é@tu-sum-ma- d ^{en} -ki-ka @à-pà-da- d ^{nan} @e	مُنح الحكمة من قبل الاله انكي، الحاكم العام للاله ننكرسو ، الذي أستجاب الى أوامر الآلهة

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		énsi-gal- ^d nin- ^o ir-su-ka lú inim-dingir-ré-ne dab ₅ - ba	
Col.vi	1-8	di ^o ir-ra-ni ^d ®ul-MU ⁻ xPA nam-ti- en-TE.ME-na-ka-®è u ₄ -ul-la-®è ^d nin- ^o ir-su-ra ^d nan®e -é-na-®i-DU	عسى ان يقف الى جانبه إلهه الخاص شول.مش.با أمام الاله ننكرسو والإلهة نانشة من أجل حياة إينميتينا
	9-16	lú- ^{gi} ®KÚ ⁻ U.KI-a ég-ki-sur-ra- ^d nin- ^o ir-su-ka-ka e-ki-sur-ra- ^d nan®e-ka á-zi-®è ^a -®àGANÁ tùm-dè an(am ₆)-ta-bal-e-da	اذ عبر اي قائد من (كشه) أومًا حدود السد للاله ننكرسو وحدود سد الإلهة نانشة من أجل أخذ الحقول بالقوة
	17- 20	lú- ^{gi} ®KÚ ⁻ U.KI -é lú-kur-ra -é ^d en-líl-le -é-a-lam-me	وفيما اذا كان قائد (كشه) أومًا او اي قائد ، عسى ان يحطمه الاله انليل
	21- 29	^d nin- ^o ir-su-ke ₄ sa-®u®-gal-ni	عسى الاله ننكرسو بعد ان نشرَ شبكة المعركة العظيمة

العمود	السطر	النص اللاتيني	الترجمة باللغة العربية
		ù-ni-®u® ®u-ma-ḡir-ma-ḡ-ni an-ta ḡé-gá-gá nam-lú-ùlu-uru-na ®u ù-na-zi ®à-uru-na-ka ḡa-ni-gaz-ze _x (ÁB. ḡÀ.GE)	فوق ايديهم واقدامهم ، وعسى ان يقتله شعب مدينته بعد ان ينتقض ضده هناك .

ثالثاً: التكامل السردى بين العمل الفنى والكتابات السومرية

تُعد مسلة العقبان البداية الفعلية الاولى لأستخدام القصة الصورية يدعمها النص الكتابي ، وبهذا فان وجود تكامل سردي بين ماهو مصور وماهو مكتوب يُعد من اكثر مايميز هذا العمل ، على الرغم من وجود اختلاف واضح بين مضمون الوصيلتين، اذ إن قراءة عامة للنص وإطلاع دقيق على الصورة يُكون لدى القارئ والمُشاهد آنذاك ، وحتى لدى المختصين في وقتنا الحاضر، فكرة شاملة عن الصراع بين دويلتي لكش وأومّا، إذ عمل الفنان والكاتب على إيصال التفاصيل بدقة بوسيلتين مختلفين ، فنجد ان الفنان (الصورة) قام بسرد القصة من خلال تصوير أيقونة النصر والتمثلة بالاله ننكرسو وهو يمسك بشبكة المعركة كتعبير شامل عن هيمنته على تحقيق النصر ودحر الاعداء ، وعرض مجريات الاحداث الفعلية وفق تسلسل زمني على الحقول الأفقية المُنفذة على الأسطح الحجرية ، وقد ركز في ذلك على عرض تفاصيل المعركة الفعلية والمتضمنة قيادة الامير إياناتم لجيشه موضعاً عدته العسكرية وطرّاز ملابسه الذي يهملها النص في اغلب الاحيان. فضلاً عن ذلك تصوير ضحايا المعركة من الطرفين سواء ماكان منهم من رجال مدينة لكش او رجال الاعداء من مدينة أومّا والاختلاف بين تكريم جثث القتلى من مدينة لكش وتكديس اشلاء العدو وتمزيق جثثهم من قبل النسور في اعلى المسلة .

اما الكتابات السومرية وتحديدًا تلك المرافقة للعمل الفني فقد عرضت عدة نقاط لم تستطع الصورة وصفها او التعامل معها ، كان في مقدمتها ذكر أعمال الأمير إياناتم ودعم الآلهة له من خلال إعطائه الاسم من قبل الإلهة ايننا او إرضاعه من قبل الإلهة ننخرساك وتأيينه من قبل الاله ننكرسو ، فضلاً عن ذلك إشارة واضحة في النص الى الاذى الذي تعرض له الأمير إياناتم عندما اصابه سهم في المعركة . كما يُشير النص الى استرجاع حقول الـ(كَو.إيدن.نا) التابعة للاله ننكرسو من قبل إياناتم وفرض فائدة يدفعها أمير أومًا مقابل اشتغاله لهذه الحقول ، كما انه يذكر بشكل مفصل القسم الذي قطعه لعدد من الآلهة بان لاينقض الاتفاق ، وأخيراً فانه يُشير الى اللعنات التي ممكن ان تحل بأمر أومًا اذا ما قام بنقض العهد او تحطيم المسلة المقامة لتثبيت الحدود.

وفيما يخص الكتابات من عصر الأمير إينميتينا فانها تزودنا بمعلومات عن استمرار الصراع الذي دام لثلاثة اجيال، وان كان بشكل مركز ودقيق ، إذ يبدأ بسرد الحدث عندما قام ميسلم ملك كيش بالتوسط لحل النزاع بين مدينتي لكش وأومًا اذ يذكر النص أسماء حكام المدينتين الذين دار الصراع بينهم ، وتبدأ من أوش حاكم مدينة أومًا الذي نقض العهد مع إياناتم ، ومن ثم خسر المعركة ضد حاكم لكش بدعم من الاله ننكرسو ، بعد ذلك أشار النص الى تحديد الحدود بين إياناتم وأن.كالي حاكم أومًا والذي قام بنقض المعاهدة ايضاً وقام بإحراق وإقتلاع مسلات الحدود . إينميتينا ابن الامير أيناناتم غلب أورلما وقتله في مدينة أومًا ، ويستمر الصراع مع إيل حاكم مدينة أومًا الذي تولى حكم المدينة بعد أورلما ، اذ قام بتغيير مجرى المياه في سد الاله ننكرسو والالهة نانشة ، ويشير النص الى محاولات إينميتينا الى استرجاع حقول الآلهة باستخدام القوة كما يذكر الدعوات ضد الاعداء من أومًا في حال اعتدائهم على مدينة لكش بعد ان نشر الاله ننكرسو شبكة المعركة فوقهم وحقق النصر لمدينة لكش .

ان الوصول الى التكامل السردى في هذا العمل الفني - الكتابي يكمن في اختلاف المواضيع التي تناولتها الوسيلتين الإبداعية ، رغم وجود مصدرين كتابيين جاءا من حُقبتي زمنيّتين مختلفتين ، واللّتان نقصد بهما الكتابة السومرية من عصر الامير إياناتم والكتابات من عصر الامير إينمينينا . وبهذا فقد لعب هذا الاختلاف دوره في خلق تكامل للحدث والذي يظهر واضحاً في الجدول أدناه:

جدول يوضح سرد الحدث في كلاً من المسلة (العمل الفني) والكتابات السومرية:

ت	مسلة العقبان	الكتابات السومرية من عصر إياناتم	الكتابات السومرية من عصر إينمينينا
١.	دعم الاله ننكرسو والإلهة ننخرساك للأمير إياناتم في المعركة (وجه المسلة/الحقل الثاني)	ذكر بداية الصراع منذ عصر الأمير آركال ابن الأمير اور نانشة (العمود الثاني/الاسطر ٣٠-٣٣)	حدد الاله انليل ملك البلدان الحدود بين الاله ننكرسو والاله شارا (اله مدينة أوما) (العمود الاول/الاسطر ١-٧)
٢.	مشاركة الاله ننكرسو في المعركة وأمسাকে بشكبة المعركة- أيقونة النصر (وجه المسلة/الحقل الأول)	احتفاء الآلهة إياناتم واختياره من قبل الاله ننكرسو ليعيد (الكو.إدن.نا) (العمود الرابع/العمود الخامس)	ذكر لميسلم ملك كيش مدّ حبل القياس ونصب مسلة هناك (العمود الاول/الاسطر ٨-١٢)
٣.	بداية نشوء الصراع منذ عصر الأمير آركال (قفا) (المسلة/الحقل الخامس)	الاله ننكرسو يمنح الأمير إياناتم وعداً بتحقيق النصر على الاعداء من خلال	أوش حاكم أوما (كشة) أقتلع المسلة التي أقامها ميسلم وزحف نحو سهل لكش (العمود الاول/الاسطر ١٣-)

مسلة العقبان إنموذجاً للتكامل السردي بين العمل الفني والكتابات السومرية.....

ت	مسلة العقبان	الكتابات السومرية من عصر إياناتم	الكتابات السومرية عصر إنميتينا
		رؤيا يراها الأمير (العمود السادس/الاسطر ٢٥ - (٣٢	(٢١
٤.	حلم إياناتم ووعود الآلهة بمنحه النصر - تكريم قتلاه وإقامة الطقوس الدينية الخاصة بذلك (قفا المسلة/الحقل الرابع)	التنبأ بقتل الاعداء وتكديس اشلائهم الى قاعدة السماء (العمود السابع/الاسطر ٢٠ - (٢٣	أقام الآلهة ننكرسو معركة ضد أومًا ورمى شبكة المعركة بأمر الآلهة أنليل (العمود الاول/الاسطر ٢٢ - (٣١
٥.	مشاركة إياناتم في المعركة وقيادته الجيش (قفا المسلة/الحقل الثالث)	إصابة إياناتم بسهم في المعركة (العمود التاسع/الاسطر ٢ -٦)	حدد إياناتم الحدود مع أن.كالي حاكم أومًا (كشه) (الاسطر ٣٢-٤٢ من العمود الاول-الاسطر ٣ من العمود الثاني)
٦.	الصدام المباشر بين جيش إياناتم وجيش قائد مدينة أومًا وتكديس جثث الاعداء (قفا المسلة/الحقل الثاني)	إياناتم حدد الحدود مع مدينة أومًا ونصب مسلة للحدود (العمود العاشر)	أعاد إياناتم إقامة مسلة ميسلم ونصب مسلات الحدود (العمود الثاني/الاسطر ٤ - (١٠
٧.	تمزيق أشلاء العدو من قبل النسور (العقبان) دليل تحقق النصر للأمير إياناتم (قفا المسلة/الحقل الاول)	غلب إياناتم وعمل (٢٠) مدفناً لتكريم موته (العمود الحادي عشر/الاسطر ١٢ -	لم يدفع أورلما حاكم أومًا (كشه) الفائدة مقابل إستغلاله لبقول الآلهة ننكرسو والإلهة نانشة وحول المياه من سد حدود الآلهة

مسلة العقبان إنموذجاً للتكامل السردى بين العمل الفني والكتابات السومرية.....

ت	مسلة العقبان	الكتابات السومرية من عصر إياناتم	الكتابات السومرية عصر إنميتينا
		(١٥)	ننكرسو (العمود الثاني/الاسطر ٢٨- (٣٥)
٨.		اعاد إياناتم حقول ال(كو.إدن.نا) (العمود الثاني عشر/الاسطر ١-٤)	أشعل النار بمسلاتهم واقتلعها وحطمها (ربما يكون سبب تحطيم المسلة التي نحن بصددھا) (العمود الثاني/الاسطر ٣٦- (٣٨)
٩.		نصب إياناتم هذه المسلة (العمود الثالث عشر/الاسطر ١-٢)	حطم الصوامع الكرسة للآلهة والمبنية على الحدود (العمود الثاني/الاسطر ٣٩- (٤٢)
١٠.		إعطاء شبكة المعركة لعدد من الآلهة الى قائد اومّا ليحلف لإياناتم بها (الأسطر ١٦-٢٣ من العمود السادس عشر - السطر ٤ من العمود الخامس على قفا المسلة)	جلب الغرباء من البلدان الغريبة والمرترقة للاعتداء على السد من جهة الشمال (العمود الثالث/الاسطر ١- (٤)
١١.			قام إياناتم بمواجهة اور لمّا في حقول أجيّجا (حقول الاله ننكرسو)

مسلة العقبان إنموذجاً للتكامل السردي بين العمل الفني والكتابات السومرية.....

ت	مسلة العقبان	الكتابات السومرية من عصر إيناناتم	الكتابات السومرية عصر إنيميتينا
			(العمود الثالث/الاسطر ٥- (١٠)
١٢.			غلبَ إنيميتينا ابن إيناناتم أورلما حاكم أوما (كشه) وقتلته في مدينته، وترك عظام جنوده متناثرة (العمود الثالث/الاسطر ١١- (٢٤)
١٣.			عمل إنيميتينا خمسة مدافن لتكريم القتلى من جنوده(العمود الثالث/الاسطر ٢٥-٢٧)
١٤.			نصب إيل نفسه حاكما على مدينة أوما(كشه) وقام بتحويل مجرى المياه من سد الاله نكرسو والآلهة نانشة (الاسطر ٢٨-٣٨ من العمود الثالث-الاسطر ١- ٣٦ من العمود الرابع)
١٥.			إنيميتينا اعاد حدود السد من نهر دجلة الى قناة نون وأعاد بناء الصوامع العائدة للآلهة التي ساندته ضد مدينة أوما(كشه) (العمود

مسلة العقبان إنموذجاً للتكامل السردي بين العمل الفني والكتابات السومرية.....

ت	مسلة العقبان	الكتابات السومرية من عصر إيناناتم	الكتابات السومرية عصر إنميتينا
			الخامس/الاسطر ١-٣٠)
١٦.			ينتهي النص بإنزال اللعنات على كل من يعتدي على حدود الآلهة ، بعد ان نشر الاله نكرسو شبكة المعركة العظيمة فوق أعداءه (العمود السادس/الاسطر ١-٢٩)

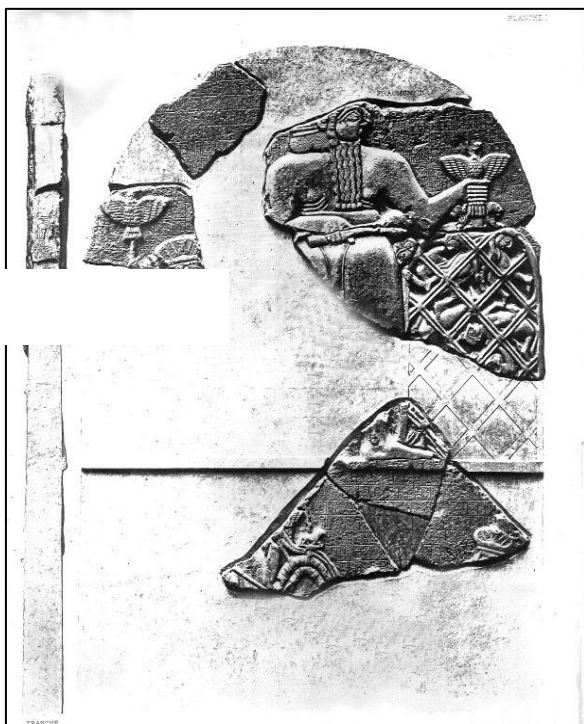
الاشكال



(الشكل ١) متحف السليمانية SM.C3860



(الشكل ٣) Strommenger, Fig.50



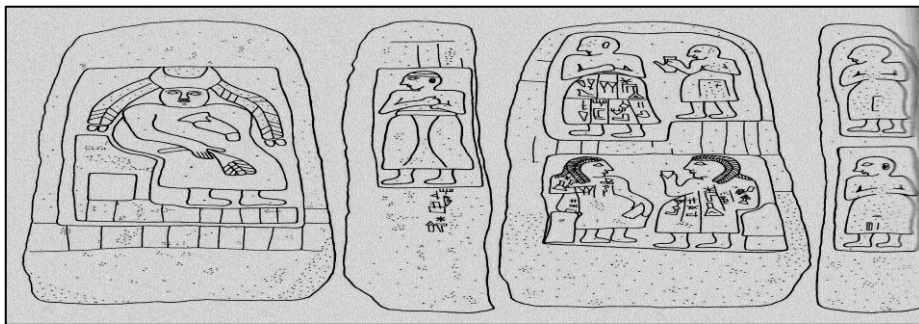
(الشكل ٢) Heuzey, And Thureau-Dangin, Pl.I



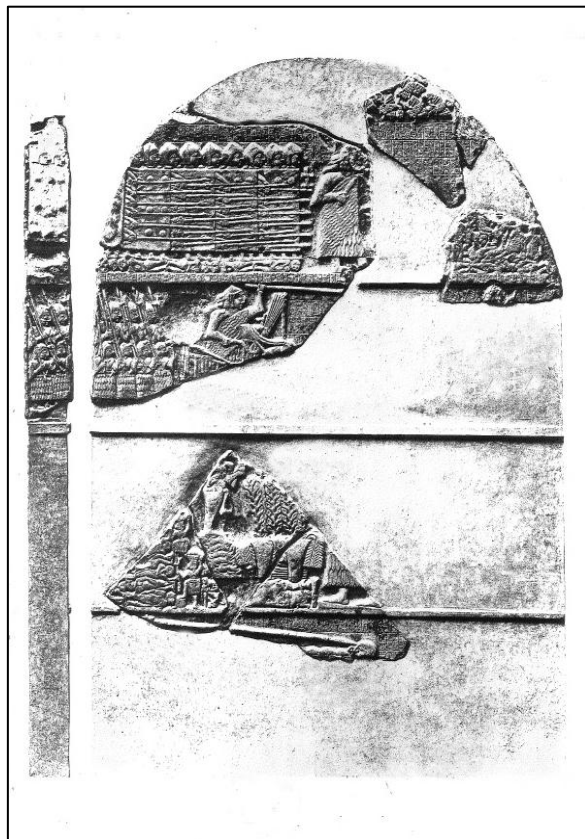
(الشكل ٥) Suter, Fig.29,P.241



(الشكل ١) Heuzey, And Thureau-Dangin, Pl.I



(الشكل ٤) Suter, Fig.25,P.236

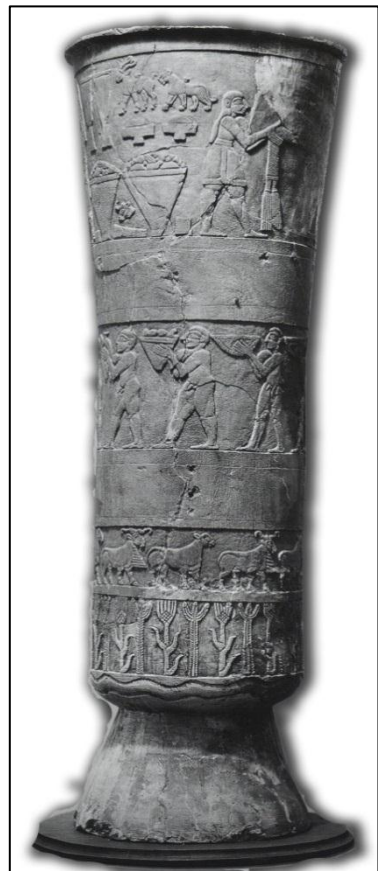


(الشكل ٦) Pritchard, Fig.505,P.172

(الشكل ٧) Heuzey,And Thureau-Dangin,Pl.II



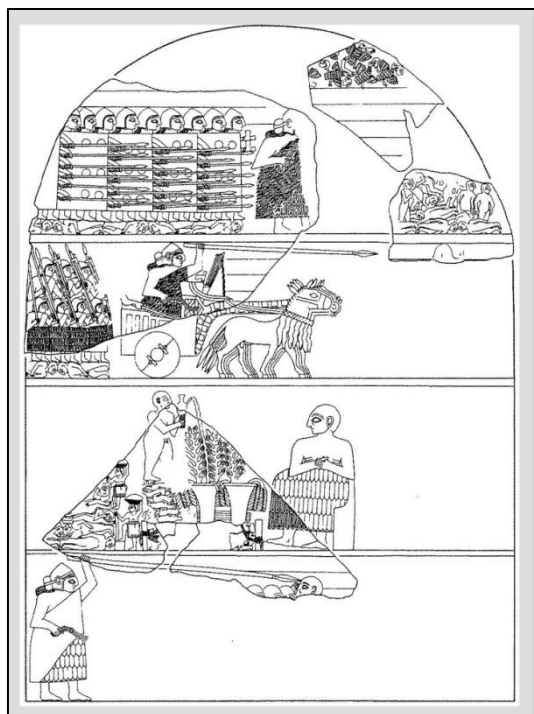
(الشكل ٨) محمد علي، ٢٠١١، شكل ٤٧



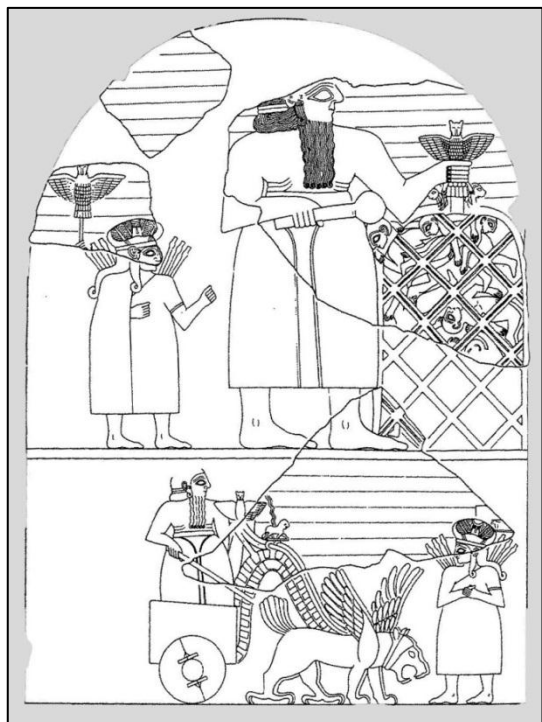
محمد علي، ٢٠١١، شكل ٦
(الشكل ١٠)



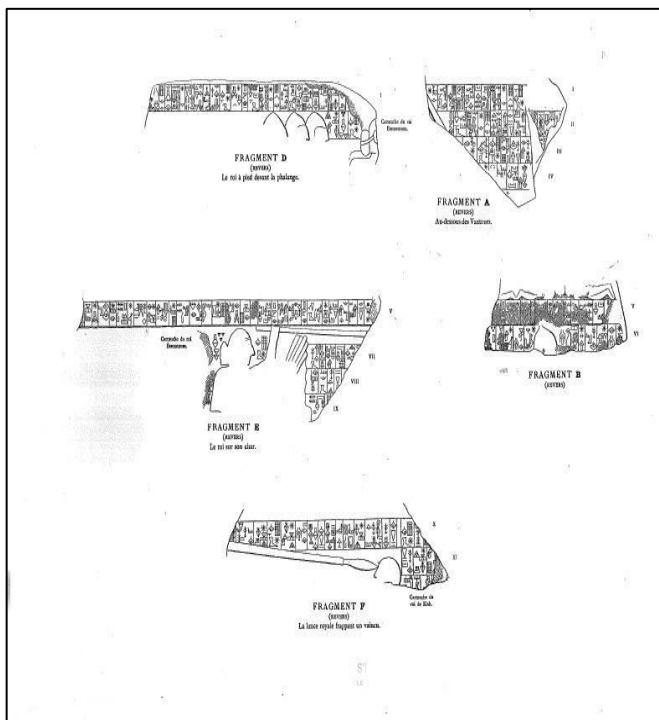
(الشكل ٩) محمد علي، ٢٠١١، شكل ٧



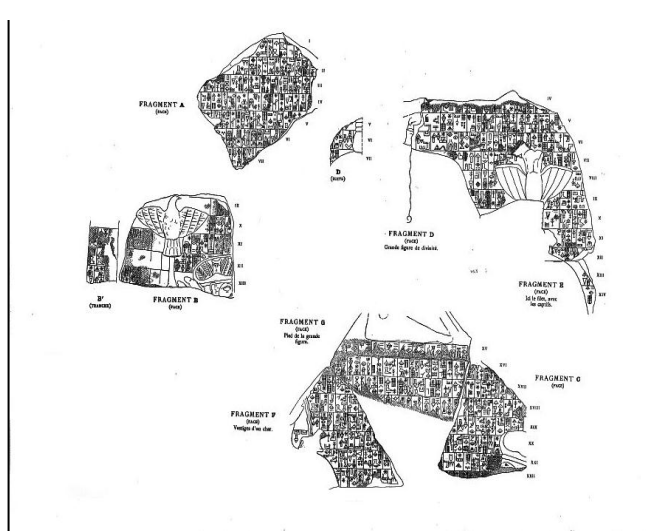
Winter, Fig. 8, P. 16 (الشكل ١٢)



Winter, Fig. 3, P. 13 (الشكل ١١)



Heuzey, And Thureau-Dangin, Pl. IV (الشكل ١٣-أ)



Heuzey, And Thureau-Dangin, Pl. III (الشكل ١٣-أ)

Vultures Obelisk: a Model for Integration Narrative between the Art work and of the Sumerian Writings

Abstract:

Art was a means of recording events like any literary form, over the centuries. Arts in ancient Iraq to a lot of political, social and religious events. Cuneiform writings did the same job. Ancient arts sometimes elaborate on some of the details writings failed to express. In order to rely on the information accurately, researchers must refer to the two methods and the link them. First technical model that provided us with information and political history of the oldest treaty of delineating the border, is the Vultures obelisk – as known among researchers .The scenes of this obelisk accompanied the Sumerian writings in later stages. The study presents the artistic scenes executed on the Vultures obelisk and the writings of the Sumerian accompanying it. It preceded by an introduction to the importance of this specimen historical and artistically. as well as, It presents Sumerian writings that date back to the era of Prince Eanmetina, an who recovered the continuing political events during his reign.

الهوامش

(١) للمزىء عن ءءوبن الءأرىء عند العراءىىن القءماء ىراءع: الراوى؁ فاروق ناصر. "العلوم والمعارف" ءضارة العراق ء٠؁ بءءاء ١٩٨٥؁ ص٢٦٩ ومابعءها .

(٢) فى ءراسة سابقة تم عرض موجز لمعنى السرد والوسائل الءى ىوظفها عند إبرازها للءءء للمزىء ىراءع : محمدعلى؁ ىاسمىن عبءالكرىم. "المنءوءاء الءءارىة ءلال عصر السلالة السرجونىة ءراسة ءللىلىة بىن النص المسمارى والمشهد الفنى" اطروءة ءكءوراه؁ ءامعة الموصل ٢٠١١؁ ص٥.

اما عن معنى السرد فى اللغة فهو ءقءمة شىء الى شىء ءأءى به مءسقاً فى أءر بعض مءءابعاً. وبمعنى آءر ءتابع الءءىء وإءاءة سىاقه. للمزىء ىراءع:ابن منظر؁ابى الفضل ءمال الءىن؁ لسان العرب؁ المءلء الءالء؁ ببرىء ١٩٥٦؁ ص٢١١.

ىعود ءعرىف السرد الى المصءلء اللاءىنى (Narratio) ولاءقءصر وظىفءه على مءرء ءعءاء الوقائع والأفعال ومءالاءه لاءءص فقط النصوص الاءبىة وانما ىءعءاها الى مءءلف المىاءىن الءى ءءءوى على قص وءبكة وان لم ءكن بنفس طرىقة النص الاءبى من قصة ورواية وءىرها. الأءمر؁ فىصل . معجم السىمىاءىاء. الءزائر ٢٠١٠؁ ص٢٠٨.

(٣) عن طبىعة المواء الءى اسءءءمها العراءىىن القءماء للءءوبن؁ والءى كان فى قءمءها ماءة الطىن؁ ىراءع: سلمىان؁ عامر. الءابة المسمارىة . الموصل ٢٠٠٠؁ ص٧١.

(٤) Hansen, D.P. "Royal Building Activity at Sumerian Lagash in the Early Dynamistic Period" Biblical Archaeologist, 1992, P.2007. ;

ءُعرف اءلال هءه المءىنة الىوم بءلّو؁ وهى اءء المراكز المهمة العائءة لءوبلة لكش؁ ءقع هءه المءىنة على بُءء (١٦) كم شمال شرق مءىنة الشطرة فى مءافظة ءى قار . للمزىء ىراءع : صالء؁ قءطان رشىء؁ الكشاف الاثرى فى العراق؁ بءءاء ١٩٨٧؁ ص٢٦١.

(٥) محمد على؁ المصدر السابق؁ ٢٠١١؁ ص٩٤.

(٦) الأءمر؁ المصدر السابق. ص١١٨-١٤٠.

(٧) ءوبلة لكش: ءقع فى القسم الءنوبى الشرقى من بلاد سومر فى مءءصف المسافة بىن نهرى ءءلة والفرات؁ وهى من أبرز الءوبلاء المهمة الءى نمء وازءهرء فى بلاد سومر إبان عصر

فجر السلالات الثالث (٢٣٤٠-٢٥٥٠) ق.م وقد حكمت فيها سلالتين، سلالة لكش الاولى والتي عاصرت هذه السلالة العديد من السلالات الحاكمة مثل سلالة الوركاء وكيش وأوما . وتُعد مدينة لكش (تلول الهبا حديثاً) عاصمة دويلة لكش وأحد مراكزها المهمة وهي تقع في ناحية الداوية حالياً وعلى بُعد (٢٤) كم الى الشرق من قضاء الشطرة في محافظة ذي قار .

للمزيد يراجع : العكيلي ، رجاء كاظم عجیل . سلالة لجش الاولى (٢٥٥٠-٢٣٧٠) ق.م والثانية (٢٢٥٠-٢١١٤) ق.م دراسة تأريخية. رسالة ماجستير، جامعة بغداد ٢٠٠٦، ص٨.

وكذلك : Hansen , Op.Cit., P.207.

(٨) دويلة أوماً: تسمى اليوم بـ (تل جوخه) وتقع على بُعد (٥٠) كم شمال غرب مدينة لكش في ناحية قلعة سكر في محافظة ذي قار . للمزيد يراجع: العكيلي ، المصدر السابق، ص١١٨ .
(٩) خلف هذا الحاكم والده آكوركال في حكم مدينة لكش ، وعلى الرغم من انه لم يُذكر في جداول الحكم السومرية إلا ان له العديد من الكتابات التي جاءت لتخلد اعماله العمرانية والعسكرية ، والتي تُشير بشكل واضح الى انه حكم مدة طويلة قد تصل الى ما يُقارب (٣٠) عاماً. للمزيد يراجع:

Frayne, D." Presargonic Period(2700-2350 B.C)"RIME ,London 1998,P.125;

علي ،فاضل عبد الواحد. من ألواح سومر الى التوراة . بغداد ١٩٨٩، ص١٣٤-١٣٥.

Frayne, Op.Cit. P161. (١٠)

(١١) إينميتينا هي القراءة الحديثة لاسم الامير أينمتينا ، والذي جاء الى الحكم بعد والده إيناناتم الاول ، على الرغم من انه لم يكن الابن البكر له ، وقد حكم إينميتينا مايقارب تسعة عشر عاماً

للمزيد يراجع: Frayne, Op.Cit., P193.

(١٢) نشأ صراع بين دويلتي لكش وأوماً إبان عصر فجر السلالات الثالث وقد قام ملك كيش المعروف بميسلم بالتحكيم بين الدويلتين ، إذ كان لهذا الملك السيادة على بلاد سومر لذلك تولى أمر التحكيم في ذلك النزاع وقام بتثبيت الحدود بينهما وفرضت موجباً لذلك معاهدة تقضي بتحديد الحدود بين الدويلتين المتنازعتين . للمزيد يراجع : كريم، صموئيل . من ألواح سومر . ترجمة طه باقر. بغداد، ٢٠١٠، ص٩٨. وكذلك علي ،فاضل عبد الواحد. "وثيقة ترسيم الحدود بين لكش وأوماً". بحث منجز غير منشور، جامعة بغداد/كلية الاداب - قسم الآثار.

(١٣) وهذه الجرار عبارة عن وعاء كروي الشكل بفوهة صغيرة ربما استخدمت لادخال رمح لحملها كراية ، إذ كانت تُحمل من قبل احد افراد الجيش في الحملة العسكرية شأنها في ذلك شأن الرايات الاخريات التي تمثل الالهة. وان معظم هذه الاواني عثر عليها بشكل كسر وليست كاملة ، وقد كتبت النصوص على هذه الآنية على شكل حقول من اسفلها الى اعلاها وهذا ما حملنا على الاعتقاد انها حُملت بواسطة رمح . احد هذه الاواني محفوظ الآن في متحف سليمانية وهو مُعد لغرض الدراسة والنشر. يحمل هذا الاتاء الرقم المتحفي SM.C.٣٨٦٠ . معلومات افادنا بها الاستاذ الدكتور فاروق ناصر الراوي مشكوراً على أثر مقابلة معه.

(١٤) خليل ، غيث حبيب. "وادي الرافدين في عصر فجر السلاوات " رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ٢٠٠٤، ص ٣٠.

(١٥) تحمل هذه المسلة الرقم المتحفي (A050+2436-6+16109) للمزيد عنها يراجع: Heuzey, Leon. And Thureau-Dangin, Francois. Restitution materiella de la Stele des Vautours, Paris, 1909. ;

Pritchard, J.B. The Ancient Near East In Pictures. USA 1965, P. 283.

(١٦) يقوم الطائر إنزو (زو) بحسب الاسطورة السومرية بسرقة ألواح القدر من الاله انليل والتي تُعد سر قوته ، لذلك قام الاله بارسال أحد اولاده لاستعادة هذه الألواح، وهو الاله ننكرسو والذي أصبح -اي الطائر- رمزاً للاله ننكرسو فيما بعد . للمزيد عن الاسطورة يراجع : باقر، طه . مقدمة في ادب العراق القديم . بغداد ١٩٧٦، ص ١٣٠-١٣١ .

وعن رمز الاله ننكرسو يراجع: Black, J. and Green ,A. Gads ,demons and Symbols of Ancient Mesopotamia. P.138

(١٧) يُشير الباحث مورتكات الى ان الآلهة التي تقف خلف الشخص تُمثل إله لم يتم التعرف عليه بسبب التلف البالغ الذي تعرضت له المسلة للمزيد يراجع: مورتكات، انطون ، الفن في العراق القديم . ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد ١٩٧٥، ص ١٤٧ .

بينما تقوم الباحثة (إيرينا ونتر) باعطاء وصف تفصيلي لوضعية الالهة وملابسها. للمزيد يراجع: Winter, I.J., "After the battle is over :

: the stele of the vultures and the beginning of historical narrative in the art of the ancient Near East", Studies in the History of Art, No.16, 1995, P14f.

(^{١٨}) عُرِف استخدام الرايات في العراق القديم منذ وقت مبكر يعود الى العصر الشببي بالكتابي ، وقد استخدمت وعلى مر العصور لأغراضٍ متعددة كما انها صُنعت من موادٍ مختلفة . اذ صُوِّرت الراية على المسلة موضوعاً للبحث تعبيراً عن وجود الاله وقيادته للمعركة فهي احد رموز الالهة ودلالاته سواء في العمل الفني او النص الكتابي للمزيد عن الرايات يراجع:الاعظمي، محمد طه محمد. "الراية في حضارة وادي الرافدين" مجلة دراسات في التاريخ والآثار. العدد ٨ لسنة ٢٠٠٨، ص ٧٥ وما بعدها.

(^{١٩}) قدم بعض الباحثين اقتراحات بشأن شكل العربة التي صُوِّرت على المسلة ، إذ كانت عبارة عن صندوق لها عجلتين ، يسحبها حيوان اسطوري. للمزيد يراجع: Littauer,M.A. and Crouwel, Jost."The Vulture Stela and an Early Type of Two-wheeled Vehicle", Journal of Near Eastern Studies. 32(1973),P.323-328 .

(^{٢٠}) Winter, Op.Cit., 1995,P.15.

(^{٢١}) من أبرز هؤلاء الباحثين (انطون مورنكات)والباحثة (إيرينا ونتر)والباحثة (كلوديا سوتر) للمزيد يراجع: موتكات ، المصدر السابق، ص١٤٧ . وكذلك: Winter,Op.Cit.,1995, P.16.

Suter, G., "Gudea's Temple Building The Representation of an Early Mesopotamian Ruler in Text and Image" CM, Vol.17, 2000, P.214.

(^{٢٢}) يعني اسم الاله حرفياً سيد مدينة كيرسو ، ويُلقب ببطل الاله انليل وهو من الالهة المحلية التي عُرِفَت إبان عصر فجرالسلاات حتى العصر البابلي القديم . للمزيد يراجع: Black, and Green,Op.Cit.,P.138.

(^{٢٣}) للمزيد عن التمثال يراجع: Frankfort ,Henri. Art and Architecture of the Ancient Orient.London1958,P.24,Pl.15. ;

بارو، أندريه. سومر فنونها وحضارتها، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٧، ص١٥١.

(٢٤) تل اسمر تُعرف قديماً بإسم (أشنونا) وهي عاصمة المملكة التي سميت بهذا الاسم أيضاً وتقع بقاياها اليوم على بُعد (٨٨ كم) شمال شرق مدينة بغداد. خليل، المصدر السابق، ص ٢٢. (٢٥) للمزيد يراجع النص العائد للأمير إنميتينا الأسطر ٢٨-٢٩ من العمود الأول ص ٢٠ من البحث والأسطر ٢١-٢٢ من العمود السادس ص ٢٣ وكذلك النص العائد للأمير إيانا تم الأسطر ١٢-١٧ من العمود السادس عشر ص ١١ من الدراسة.

(٢٦) من ابرز هؤلاء الباحثة (آن بيركن) للمزيد يراجع:

Perkins, Ann." Narration in Babylonian Art "American Journal of Archaeology ,Vol. 61, No.1(Jan., 1957), P,58

(٢٧) للمزيد يراجع: .P.213. Suter, Op.Cit.

(٢٨) للمزيد عن المسلة يراجع: مورتكات، المصدر السابق، ص ١٥٩، اللوح ١٢٦-١٢٧. وكذلك Pritchard, Op.Cit., P.285. fig.307.

(٢٩) يُعرف هذا النوع من الشباك المستخدم كسلاح باللغة الاكدية بالمصطلح gal-@u® للمزيد عن استخدام الشبكة في المعارك يراجع: عبد الله، يوسف خلف. الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث ٩١١-٦١٢ ق.م . بغداد ١٩٧٧، ص ٢٣١-٢٣٣.

(٣٠) للمزيد عن المعتقدات الدينية يراجع: علي ، فاضل عبد الواحد، "المعتقدات الدينية" موسوعة الموصل الحضارية ، ج١، الموصل ١٩٩٠، ص ٣٠٦ وما بعدها. وكذلك موسى ، مريم عمران. "الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية". اطروحة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ١٩٩٦.

(٣١) يعني اسم الإلهة سيدة الجبل ومن احد تسمياتها الإلهة الام ، للمزيد يراجع: Black and Green, Op.Cit., P.140.

(٣٢) مورتكات، المصدر السابق، ص ١٤٤، اللوح ١١٥.

(٣٣) Pritchard, Op.Cit., P.309, fig.505.

(٣٤) عبدالله ، المصدر السابق، ص ٢٦٨.

(٣٥) يستخدم السيف المنجلي للقطع اكثر من الطعن وقد عُرف استخدامه في العراق القديم منذ النصف الثاني من الالف الثالث ق.م. للمزيد عن السيوف يراجع: Yadin, Y., The Art of war Farare In Biblical Lands, New York, 1963, P.42. ;

عبد الله ، المصدر السابق، ص ٢٢٤.
(٣٦) كانت الدروع مستطيلة الشكل كبيرة الحجم وقد استخدم هذا النوع لتوفر الحماية اللازمة للمقاتلين اثناء الهجوم القريب . عبد الله ، المصدر السابق، ص ٢٧١-٢٧٧.

(٣٧) Yadin, Op.Cit., P.134.

(٣٨) علي ، فاضل عبد الواحد. والراوي، فاروق ناصر. " دراسة مركزة في نقاط للفكر العسكري العراقي القديم عبر ألفي عام قبل الميلاد ٢٥٠٠-٥٣٩ ق.م " مجلة المؤرخ العربي . العدد ٣٧ (السنة الرابعة عشرة)، بغداد ١٩٨٨، ص ١٦٨. وكذلك : البصري، إيلاف سعد علي، وظيفة الإبلاغ في الرسوم الجدارية العراقية والمصرية القديمة دراسة تحليلية مقارنة، بغداد، ٢٠٠٨، ص ١٧٨.

(٣٩) للمزيد عن عربة الأمير إيانانم يراجع: Madhloom, T., The Chronology of Neo-Assyrian Art, London, 1970, P.7f.

(٤٠) تُعد الفؤوس من الأسلحة الأساسية المستخدمة في المعركة من قبل حملة الاتراس والرماح أبان العصور السومرية والعصر الاكدي. للمزيد يراجع: Yadin, Op.Cit., P.42; عبد الله ، المصدر السابق، ص ١٩٥.

(٤١) أول تمثيل لموطئ القدم على الأعمال الفنية جاءنا من عصر فجر السلالات وأستمر تمثيله بشكل واسع في العصور اللاحقة. محمد علي، ياسمين عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري الحديث ٩١١-٦١٢ ق.م، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٣١.

(٤٢) تقدم الثيران كأضاحي للمهمين من الاموات، ويهدف تقديم القرابين والسكائب على روح الموتى الى إرضاء الآلهة، اذ يجد الانسان الذي يدفن وتقدم له القرابين المناسبة الراحة في مثواه الأخير. للمزيد يراجع: الراوي، شيبان ثابت "الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث" اطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد ٢٠٠١، ص ٤٩ و ص ٢٠١.

(٤٣) ربما تمثل هذه النباتات سنابل تعبيراً عن خيرات حقول الكو- إيدنا كما جاء في الكتابات السومرية .

(٤٤) عرف الفنان العراقي القديم استخدام المنظور في تنفيذ العناصر الفنية ورغم ذلك فقد كان الفنان يُنفذ بعض تلك العناصر بشكل متجاوز على اختلاف أبعادها ومستوياتها، اذ ركز على مضمون القصة أكثر من اقترابه من الواقعية. للمزيد يراجع: Reade, J.E, "Space, Scale, And Significance In Assyrian Art" BaM, Band.11, 1980,P.73.

(٤٥) مارس العراقيون القدماء دفن موتاهم بمواضع وطرق شتى ، وقد كان الهدف الاساس من الدفن هو ضمان سكينه المتوفى فى العالم السفلى (عالم الاروح) وحفظ جثته من الايدي العابثة. يراجع: حنون، نائل. المدافن والمعابد فى حضارة بلاد الرافدين القديمة دراسة عن الشعائر والعمارة فى النصوص المسمارية والاثار. ج١ دمشق ٢٠٠٦، ص ١٥.

(٤٦) يراجع العمود العاشر من الكتابات المدونة على وجه المسلة ، الاسطر (٢-٤) و (١٢-١٤) ص ٩ من هذه الدراسة.

(٤٧) من ابرز هؤلاء الباحثين المؤيدين لهذا الرأى هي الباحثة (ايرين وينتر) وكذلك الباحث انطون مورتكات. للمزيد يراجع: Winter, Op.Cit., 1995, P.20 ; موتكات ، المصدر السابق، ص ١٤٧.

(٤٨) للمزيد يراجع: الراوى، هالة عبد الكريم سليمان كرموش. "ألواح جدارية تذكارية فى العراق القديم من الألف الثالث ق.م" اطروحة دكتوراه ، الموصل ٢٠١٢، ص ٧.

(٤٩) Strommenger, E., The Art of Mesopotamia . London 1964, P.397, Fig.72.

(٥٠) للمزيد عن انواع الكتابات التذكارية وبداية ظهورها مرافقة للعمل الفنى يراجع : محمد علي ، المصدر السابق، ٢٠١١، ص ٨٢.

(٥١) Frankfort, Op.Cit., P.34; Perkins, Op.Cit., P.58.

(٥٢) يراجع العمود الاول الاسطر ٣٠ الى السطر ٣ من العمود الثانى ص ١٥-١٦ من هذه الدراسة.

(٥٣) يراجع العمود الاول المدون على قفا المسلة ص ١٥ من هذه الدراسة.

(٥٤) محمد علي ، المصدر السابق، ٢٠١١، ص ١٠.

(٥٥) للمزيد عن قراءة المشاهد وتسلسلها يراجع: عبد الرزاق، ربا محسن ، "فجر الحضارة السومرية فى ضوء أختام الوركاء وجمدة نصر"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص ١٣٩-١٤٠.

Bahrani, Z., "Performativity and the Image: Narrative, Representation, and the Uruk Vase" in: E.Erica. Leaving No Stones Vnturned Essays on the Ancient Near East and Egypt. New York, 2002, P.18.

(٥٦) للمزيد يراجع: Winter, Op.Cit., 1995, P.20.

- (٥٧) على ، فاضل عبد الواحد. والراوى، فاروق ناصر. المصدر السابق، ص١٦٨.
- (٥٨) للمزىء ىراجع.: 16, P.13, 1995, Op.Cit., Winter
- (٥٩) ىراجع الاسطر(٣٠-٣٣) من العمود الثانى ص٦ من هذه الدراسة.
- (٦٠) ان هذا الاسلوب عُرِف اىضاً فى عصر الامىر كودىا عندما رأى حلم بخصوص بناء معبد
- الخمسةىن .للمزىء ىراجع: .58, P. Oip.Cit. Suter
- (٦١) ىراجع الأسطر (٢٥-٣٢) من العمود السادس ص٨ من هذه الدراسة.
- (٦٢) للمزىء ىراجع : محمد على، المصدر السابق، ٢٠١١، ص٩٤.
- (٦٣) تم اعتماد الترجمة الوارءة فى المصدر (2700-) Presargonic Period, D." Frayne
(2350 B.C)" RIME ,London 1998,P.125ff.
- نظراً لكونها اكمل وأءق الترجمات.
- (٦٤) للمزىء ىراجع: كرىمر ، المصدر السابق، ص٩٧.
- (٦٤) تم اعتماد الترجمة الوارءة فى المصدر (2700-) Presargonic Period, D." Frayne
(2350 B.C)" RIME ,London 1998,P.195ff.
- نظراً لكونها اكمل وأءق الترجمات.

الجهات التي تورّد القرابين أو المؤن الاعتيادية

أ.د. نواله احمد المتولي

م.م : شيماء وليد عبد الرحمن

زودتنا النصوص المنشورة ونصوص الدراسة العائدة لسلالة اور الثالثة بمعلومات قيمة عن الجهات التي تقوم بتقديم القرابين والمؤن اذ اشارت النصوص الى ان تلك الجهات لم تكن تقتصر على جهة واحدة او شريحة واحدة بل جهات عدة كالحكام والموظفين والاشخاص فضلا عن الاماكن كالحظائر والمطاحن والحقول والمخازن والمدن . وادناه نذكر اهم الجهات التي ورد ذكرها ضمن نصوص sa₂-du₁₁ المنشورة والتي تم تأكيدها بعدد من نصوص الدراسة .

١-القرابين الاعتيادية من حظائر الماشية :

ورد ذكرها ضمن نصوص sa₂-du₁₁ المنشورة العائدة لمدين رئيسة هي : (دريهم ، اوما ، غرسو ، لكش) بالمصطلح السومري e₂-udu^(١) في الأكديّة *bīt immeri*^(٢) والتي تعني حرفيا " حظيرة الخراف " وتعد إحدى الجهات التي تورّد منها الأغنام والماعر المقدمة كقرابين اعتيادية للآلهة وبهذا يمكننا تسميتها " بحظيرة الغنم" ولم يرد ذكرها ضمن النصوص غير المنشورة في هذه الدراسة . وتأبيدا لذلك نورد المثالين الآتيين :-

وردنا من نصوص مدينة اوما نص مؤرخ في السنة الثالثة والأربعين من حكم الملك شولكي^(٣) تضمن كميات من الشعير للكلاب! وعلف للحمير والثيران نقتبس منه :

Obv.

- 1 2 (gur) še gur – lugal
2. sa₂-du₁₁ ur – gal
3. kišib bu₃ – du
4. 1 (pi) ša₃-gal anše – kunga₂

5. kišib lu₂ – ^dnin – šubur

Rev.

6. gal gu₄ niga

7. e₂– udu – ta

الوجه:

١. ٢ (كور) شعير بالكور الملكي

٢. طعام للكلاب

٣. ختم المدعو بودو

٤. ١ (بي) علف للحمير

٥. ختم المدعو لو – ننشوبر

القفا:

٦. ١ (كور) علف للثيران

٧. من حظيرة الخراف

ومن نصوص مدينة كرسو ذكر فيها نص مؤرخ في السنة الثالثة من حكم الملك أبي – سين^(٤) تضمن سجل بخروف مسمن بالشعير (سلم) قرابين اعتيادية للاله نانشة من المدعو لو – نن كرسو من حظيرة الخراف الجديدة .

Obv.

4. 1 udu niga sa₂–du₁₁ ^dnanše

Rev.

5. ki lu₂ – ^dnin – gir₂ – su – ta

6. e₂– udu gibil – ta

7. iti še - kin - ku₅ u₄ 27 ba - zal

الوجه:

٤. ١ خروف مسمن بالشعير قرايين اعتيادية للاله نانشه

القفا:

٥. من المدعو لو - نن كرسو

٦. من حظيرة الغنم الجديدة

٧. بعد مضي سبعة وعشرون يوما من شهر شي - كن - كو

يتضح من النصين المذكورين أنفا أن حظيرة الخراف تعد واحدة من الجهات التي تورّد منها الماشية على اختلاف أنواعها للأغراض الدينية والدنيوية فضلا عن صرفها لكميات من الشعير كعلف للماشية والحمير وكطعام للكلاب ويلاحظ كذلك ضبط ودقة عمل موظفي الحظائر وذلك بختم النصوص للمواد والحيوانات الداخلة والخارجة من الحظائر.

٢- القرايين او المؤن الاعتيادية من المطاحن:-

وردت المطحنة في الوثائق المسمارية بعدة صيغ سومرية هي e_2-ar_3 و $e_2-kikkin$ و $e_2-kinkin$ و $e_2-ar-ra$ و $e_2-ar-ra$ (٥) وذكرت المطحنة القديمة بصيغة $e_2-ar_3-sumun$ والمطحنة الجديدة بصيغة $e_2-ar_3-gibil$ (٦) واغلب المعلومات المتوفرة عن المطاحن ذكرت ضمن نصوص عصر اور الثالثة العائدة لمدن رئيسة هي : أور واما ولكش ونفر وذكرت ضمن نصوص sa_2-du_{11} كإحدى الجهات التي تورّد منها الحبوب كالحنطة والشعير.... الخ بوصفها كقرايين اعتيادية للأغراض الدينية وكمؤن اعتيادية للأغراض الدنيوية وكعلف للحيوانات وذكر الموظف (المشرف) في المطحنة مسؤول مخازن الحبوب بالمصطلح السومري $ka-gur_7$ في الأكديّة $kagurrû$ (٧) وذكر عدد من الأشخاص المسؤولين عن تسليم الحبوب من المطحنة وهم : أردي ARAD₂ (٨) و اورليسي $ur-dli_9-si_4$ (٩) ولوشولكي $lu_2-dsul-gi$ (١٠) و لوشولكي- را (١١)

lu₂-^dšul-gi -ra وتأبيدا لذلك نورد الأمثلة الآتية حول توريد المواد المقدمة كقرايين او مؤن اعتيادية من المطاحن :-

نقرأ في احد نصوص مدينة اوما مؤرخ في السنة الخامسة والأربعين من حكم الملك شولكي^(١٢) تضمن وصل تسلم كميات من الشعير (سلمت) قرايين اعتيادية للإلهه گولا من المطحنة من المدعو أرد تسلمها المدعو ادودو نفتبس منه :-

Obv.

1. 1(gur) 3(pi) 3(ban₂) še gur lugal
2. sa₂-du₁₁ ^dgu-la
3. ki ARAD₂-ta
4. e₂-kikken-ta
5. a-du-du

Rev.

6. šu ba-ti

الوجه:

١. ١ (كور) ٣ (بي) ٣ (بان) شعير بالكور الملكي
٢. قرايين اعتيادية لالهه گولا
٣. من المدعو أرد
٤. من المطحنة
٥. المدعو ا - دو - دو
- اللقفا:
٦. تسلم

ومن نصوص مدينة اوما أيضا ذكر فيها نص مؤرخ في السنة الأولى من حكم الملك شو-سين^(١٣) تضمن كميات من الشعير كمؤن اعتيادية للرسول من المطحنة الجديدة من مسؤول مخازن الحبوب (انفقت) نقتبس منه :-

Obv.

1. 1 (gur) še gur
2. sa₂-du₁₁ kaš₄
3. e₂-kikken-gibil-ta
4. ki ka-guru₇-ta

الوجه:

١. ١ (كور) شعير بالكور الاعتيادي

٢. مؤن اعتيادية للمراسل

٣. من المطحنة الجديدة

٤. من مسؤول مخازن الحبوب

يتضح من النصين أعلاه توريد كميات من الشعير كقرايين ومؤن اعتيادية للأغراض الدينية والدنيوية وذكر الشخص المسؤول عن صرف الشعير وهو مسؤول مخازن الحبوب والمدعو أرد وفي اغلب نصوص sa₂-du₁₁ والتي تتضمن مادة الشعير يذكر فيها المدعو أرد كمسؤول لمخازن الحبوب^(١٤).

٣- القرايين او المؤن الاعتيادية من المخازن :-

بعد اكتشاف الزراعة التي كانت بحد ذاتها انتقاله مهمة وأساسية في تاريخ البشرية تحول الإنسان بموجبها من حياة التنقل والترحال والسعي لجمع القوت الى حياة تتسم بالاستقرار والتجمع في قرى ارتبطت بالأرض والزراعة والرعي والتعاون من اجل البقاء فجاءت المخازن استجابة للاستقرار ولوجود الفائض الإنتاجي الذي يستدعي ابتكار وسائل لخرنه ، واتخذت هذه المخازن اشكالا بنائية مختلفة ، تحكم

في بعضها الشكل العام للوحدة البنائية او المادة المخزونة نفسها . فشيده اقدم المخازن في موقع جرمو الطبقة الخامسة من العصر الحجري الحدي^(١٥) ، واصبحت المخازن اكثر انتظاما في العصور التاريخية من ناحية التخطيط الهندسي والفني ، من الفترات الزمنية السابقة ، وذلك للتطورات السياسية والاقتصادية والثقافية التي سادت العراق القديم ، وترتب على ذلك ظهور المخازن المركزية للمعبد والقصر بعد نمو سلطة كل منهما وادارتها للشؤون الاقتصادية ، وبعد نمو الاقتصاد لكل من المعبد والقصر ، وكثير من التجار سعوا لتوفير العديد من المواد الاولية وغيرها التي لا تتوفر في بلاد الرافدين وشهد بلاد الرافدين حالة من النشاط التجاري الواسع مع البلدان المجاورة وسلك لأجل الوصول إليها طرقاً برية وبحرية واحتلت الطرق البرية والبحرية في الخليج العربي أهمية كبيرة ، فشيدت الموانئ وصنعت السفن الشراعية المتنوعة لغرض نقل البضائع والأشخاص من مكان إلى آخر وبسبب هذا النشاط التجاري بنيت مخازن ذات مواصفات عمارية متطورة نسبيا لخزن البضائع المعدة للتصدير او المستوردة^(١٦).

ورد ذكر المخازن ضمن نصوص sa₂-du₁₁ المنشورة بعدة صيغ سومرية هي : e₂-šū - tum (في الاكدية šutummu)^(١٧) والذي يعني " مخزن ، مستودع " و guru₇ (في الاكدية kamāru; karû)^(١٨) والذي يعني " مخزن الحبوب " و kar (في الاكدية kāru)^(١٩) والذي يعني " مستودع ، ميناء " وتضمنت هذه المخازن مادة الحبوب كالحنطة والشعير والدقيق بأنواعه كما ورد المصطلح e₂ - kišib - ba (في الاكدية našpaku)^(٢٠) والذي يعني "مخزن" تضمن هذا المخزن أنواع مختلفة من المواد الزراعية والحيوانية ومنتجاتها فضلا عن ذكر أنواع من الثياب . وأخيرا وردنا المصطلح ga₂ - nun (في الاكدية ganūnū)^(٢١) والذي يعني "مخزن الغلال" . وتعد المخازن إحدى الجهات التي تورد منها المواد المقدمة كقرايين اعتيادية للأغراض الدينية وكمؤن اعتيادية للأغراض الدنيوية وكأعلاف للحيوانات وسميت المخازن بأسماء أصحابها

وهناك مخازن خاصة بالالهة وسميت بأسماء تلك الالهة وأخرى خاصة بالملوك أو الحكام أو الكهنة أو المدن... وغيرها فسميت بأسماء تلك الجهات ونظراً لكثرة النصوص التي لا يسعنا ذكرها جميعاً هنا فقد اخترنا النماذج الآتية منها:-
وردنا من نصوص مدينة أوما نص مؤرخ في السنة الثالثة من حكم الملك أمار- سين^(٢٢) تضمن كميات من الحنطة كقرايين اعتيادية للإله شارا نقتبس منه:-

Obv.

1. 1(gur) 2(pi) 3(ban₂) ziz₂ gur lugal
2. e₂ šu-tum-ta
4. sa₂-du₁₁ d^šsara₂
5. ki ARAD₂-ta

الوجه:

١. ١ (كور) ٢ (بي) ٣ (بان) حنطة بالكور الملكي

٢. من المخزن

٤. قرايين اعتيادية للإله شارا

٥. من المدعو أورد

من النص أعلاه يتبين صرف كميات من الحنطة كقرايين اعتيادية للإله شارا وذكرت جهة الصرف وهو المخزن وذكر المسؤول عن صرف الحنطة وهو المدعو أورد ونلاحظ في هذا النص قد سبقت الجهة التي تقدم المادة المصطلح sa₂-du₁₁ والجهة التي تقدم لها المادة وهو الإله شارا .

كما نجد في نص آخر من نصوص مدينة أوما^(٢٣) أيضاً تضمن كميات من الشعير والحنطة من المخازن سلمت قرايين اعتيادية للملك شولكي وليبيت الكاهن نقتبس منه :-

Obv.

1. 5(gur) 1 (pi) še gur – lugal
2. kar – ta
3. 2 (gur) 2 (pi) ziz₂ gur
4. gur₇ –ta
5. sa₂–du₁₁iti e₂ – iti

Rev.

6. 1 (gur) 1 (pi) ziz₂ ka – id₂ – da- ta
7. sa₂–du₁₁ ^dšul–gi
8. 2 (gur) 3 (pi) še gur
9. 1 (gur) 1 (pi) ziz₂ gur
10. gur₇ – ta u₃ e₂ – šu – tum – ta
11. sa₂–du₁₁ e₂ – ni₃ – lagar
12. ki ARAD₂ – ta

الوجه:

١. ٥ (كور) ١ (بي) شعير بالكور الملكي
٢. من المخزن
٣. ٢ (كور) ٢ (بي) حنطة بالكور الاعتيادي
٤. من مخزن الحبوب
٥. قرابين اعتيادية للشهر الثامن

القفا:

٦. ١ (كور) ١ (بي) حنطة من كا- ايدا

٧. قرايين اعتيادية للملك شولكي
٨. ٢ (كور) ٣ (بي) شعير
٩. ١ (كور) ١ (بي) حنطة بالكور الاعتيادي
١٠. من مخزن الحبوب و (من)المخزن
١١. قرايين اعتيادية لبيت الكاهن
١٢. من المدعو أرد

يتضح من النص أعلاه صرف كميات من الشعير والحنطة كقرايين اعتيادية للملك شولكي ولبيت الكاهن وصرفت المواد من ثلاث مخازن وبواسطة المدعو أرد وعلى ما يبدو أن المدعو أرد هو مسؤول المخازن الثلاثة كما ذكرنا سابقا ورد ذكره على طبعات أختام وجدت على نصوص من مدينة اوما جاء فيها : ARAD₂ ka – guru₇ " أرد مسؤول مخازن الحبوب " .

٤- القرايين او المؤن الاعتيادية من الحقول :-

عرف الحقل في الوثائق المسمارية بالمصطلح السومري a-ša₃ وفي الأكديeqlu^(٢٤) . وتعد الحقول إحدى الجهات المهمة التي تورّد منها المواد المقدمة كقرايين اعتيادية للأغراض الدينية ومؤن اعتيادية للأغراض الدنيوية وتضمنت المواد المقدمة مادتي الشعير والحنطة ، وورد ذكرها ضمن نصوص sa₂-du₁₁العائدة لمدينتي اوما و غرسو وذكر عدد من الحقول والتي غالبا ما كانت تسمى بأسماء أصحابها أو بأسماء الالهة أو الملوك... وغيرها نذكر منها: حقل الاله شارا (a-ša₃ dšara₂)^(٢٥) ، وحقل تولتم (a-ša₃ tul-tum)^(٢٦) ، وحقل ابا-الا (a-ša₃ a-ba-al - la)^(٢٧) حقل لاماخ-a-ša₃la (ma—)^(٢٨) ،حقل اوكونوتي (a-ša₃uku₂- nu - ti)^(٢٩) ،حقل الملك (a—)^(٣٠) (ša₃ lugal) وأدناه نذكر بعض الأمثلة حول توريد المواد من الحقول :-

وجد نص من نصوص مدينة اوما مؤرخ في السنة السادسة والأربعين من حكم الملك شولكي^(٣١) تضمن كميات من الشعير والحنطة صرفت من الحقول ومخزن مدينة كي - ان ومن المطحنة كقرايين اعتيادية للاله انكي نقتبس منه :-
Obv.

1. 8(gur) še gur lugal
2. a -ša₃ ^{ges} ma-nu-ta
3. 5 gur a -ša₃ la₂-ma—ta

Rev.

8. sa₂-du₁₁ ^den-ki

الوجه:

١. ٨ (كور) شعير بالكور الملكي
٢. من حقل كش - مانو
٣. ٥ (كور) من حقل لاماخ

القفا:

٨. قرايين اعتيادية للاله انكي

يتبين من النص اعلاه توريد كميات من الشعير من جهات عدة من ضمنها كميات من الشعير وردت من حقلي كش - مانو ولاماخ كقرايين اعتيادية للاله انكي .

وقدم الشعير ايضاً كقرايين اعتيادية للأغراض الدينية وكمؤن اعتيادية للأغراض الدنيوية من مواضع الدراسة su₇ - ki^(٣٢) التابعة للحقول كموضع الدراسة لحقل لاماخ (ki - su₇ a - ša₃ la₂ - ma—) ^(٣٣) وموضع الدراسة لحقل كيش - مانو (ki - šu₇ a - ša₃ ^{gis} ma-nu) ^(٣٤) وتأييداً لذلك نورد المثالين الاتيين :-

تضمن نص من نصوص مدينة اوّما مؤرخ في السنة الخامسة والثلاثون من حكم الملك شولكي^(٣٥) كميات من الشعير (سلمت) قرابين اعتيادية للالهه نانشة من موضع دراسة الحبوب من حقل كش- مانو من المدعو أرد (صرفت) نفتبس منه :-

Obv.

1. 4 (gur) še gur – lugal
2. —a —a –ša
3. 3 (pi) 3 (ban₂) še nimgir – di - na
4. sa₂—du₁₁ ^dnanše
5. ki—šu₇ a—ša₃ ^{giš} ma—nu
6. ki ARAD₂

الوجه:

١. ٤ (كور) شعير بالكور الملكي
٢. (تسلمها) خا- خا- شا
٣. ٣ (بي) ٣ (بان) شعير (تسلمها) نيمكير - دي- نا
٤. قرابين اعتيادية للالهه نانشة
٥. من موضع دراسة الحبوب لحقل كش - مانو
٦. من المدعو أرد

يتضح من النصوص أعلاه ومن نصوص منشورة أخرى لا يمكننا ذكرها، صرف كميات من الشعير والحنطة... وغيرها ، من الحقول ومواقع دراسة - الحبوب - في الحقول للأغراض الدينية كالالهه والملوك والكهنة... الخ وللأغراض الدنيوية للرسل وكعلف للحيوانات . وصرفت المواد من

الحقول ومواضع الدراسة التابعة للحقول وأغلبها صرف من قبل مسؤول مخازن الحبوب المدعو ارد.

٥ - القرابين أو المؤن الاعتيادية من المدن :-

ورد ضمن نصوص sa₂-du₁₁ المنشورة ذكر لعدد من المدن التي تورّد منها القرابين الاعتيادية للأغراض الدينية والمؤن الاعتيادية للأغراض الدنيوية وهذه المدن هي : نفر - وكي - أن وابيسال وكماري^(٣٦) وتضمنت المواد المقدمة الشعير والحنطة والجعة ومن المرجح إن هذه المواد قد صرفت من مخازن أو حقول المدن المذكورة أنفاً وتأييداً لذلك نورد بعض الأمثلة:-

نجد في نص من نصوص مدينة اوما مؤرخ في السنة الرابعة والثلاثون من حكم الملك شولكي^(٣٧) تضمن وصل تسلم كميات من الشعير (سلمت) قرابين اعتيادية للإله شارا نقتبس منه:

Obv

1. 13 (gur) 2 (pi) 3 (ban₂) še gur -lugal
2. ša₂ -du₁₁ ^dšara₂
3. ka-ma-ri^{ki} - ta
4. iti ri - ta
5. iti še - kin-ku₅ - še₃

Rev

6. iti - bi iti 9 - kam
7. ki ARAD₂-ta
8. lugal - pa -e₃
9. šu ba - ti

الوجه:

١. ١٣ (كور) ٢ (بي) ٣ (بان) شعير بالكور الملكي
٢. قرابين اعتيادية للاله شارا
٣. من (مخزن) مدينة كماري
٤. من شهر ري
٥. حتى شهر شي - كنكو

القفأ:

٦. شهره الشهر التاسع
٧. من المدعو أرد
٨. المدعو لوكال - باي
٩. تسلم

يتبين من النص أعلاه ان كميات الشعير قد قدمت كقرابين اعتيادية للاله شارا من (مخزن) مدينة كماري ولمدة تسعة أشهر وذلك من الشهر الخامس وحتى الشهر الأول - من السنة التالية - وسلم الشعير من المدعو أرد تسلمها المدعو لوكال - باي .

كما نجد في نص آخر من نصوص مدينة اوما مؤرخ في السنة الرابعة من حكم الملك أمار- سين^(٣٨) تضمن صرف كميات من الشعير كقرابين اعتيادية للاله شارا من (مخزن) مدينة كي - ان من المدعو أرد (انفق) نقتبس منه :-
Obv.

1. 3(gur) ziz₂ gur lugal
2. sa₂-du₁₁ ^d šara₂
3. ki - an ^{ki} -ta

4. ki ARAD₂-ta

Rev.

5. iti ri - ta

6. iti šu-numun-še₃

الوجه:

١. ٣ (كور) من الحنطة بالكور الملكي

٢. قرابين اعتيادية للاله شارا

٣. من مدينة كي - ان

٤. من المدعو أرد

القفا:

٥. من شهر ري (الشهر الخامس)

٦. حتى شهر شو - نومن

ونقرأ في نص ثالث من نصوص مدينة اوما^(٣٩) أيضا تضمن وصل تسلم كميات من الشعير (سلمت) قرابين اعتيادية للاله نانشة آلهة مدينة اوما من (مخزن) مدينة أبيسال من المدعو أرد تسلم المدعو خاخادو نقتبس منه :-

Obv.

1. 11 (gur) 4 (pi) 1 (ban₂) 7 šila₃ še gur – lugal

2. sa₂-du₁₁ ^dnanše umma^{ki}

3. a – pi₄ – sal₄^{ki} – ta

4. ki ARAD₂

Rev.

5. —a —a – du

6. u ba -tiš

الوجه:

١. ١١ (كور) ٤ (بي) ١ (بان) ٧ سيلا شعير بالكور الملكي
٢. قرابين اعتيادية للالهه نانشة الهة مدينة اوما
٣. من (مخزن) مدينة ابيسال
٤. من المدعو أرد

القفا:

٥. خا - خا - دو
٦. تسلم

يتضح من النصين أعلاه صرف كميات من الشعير والحنطة للإله شارا والإلهة نانشة الهة مدينة اوما من (مخزني) مدينتي كي - أن وابيسال وسلمت من قبل المدعو أرد (مسؤول مخازن الحبوب) .

٦- القرابين أو المؤن الاعتيادية من الحكام والموظفين وأصحاب المهن:-

ورد ضمن نصوص sa₂-du₁₁ المنشورة ذكر لعدد من الحكام والموظفين وأصحاب المهن الذين كان لهم دور في تقديم القرابين الاعتيادية للأغراض الدينية ومؤن اعتيادية للأغراض الدنيوية ومن بين هؤلاء الموظفين نذكر الكهنة والمسؤولين وغيرهم ومن أصحاب المهن كالتجار والرعاة وغيرهم وتباينت المواد (المقدمة) ما بين المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية ومنتجاتها وفيما يأتي بعض الأمثلة حول تقديم القرابين -المؤن- الاعتيادية من الحكام والموظفين واصحاب المهن:-

تضمن نص من نصوص مدينة اوما مؤرخ في السنة السابعة والأربعين من حكم الملك شولكي^(٤٠) عدداً من حزم القصب للإله شارا نقتبس منه :-

Obv.

1. 20 sa gi e₂-ku₆-lu—
2. 10 sa e₂-sikil^(٤١)
3. 180 sa kisal^(٤٢)
4. 180 sa i₃-du₈^(٤٣)
5. 180 sa ku₃-an^(٤٤)
6. sa₂-du₁₁ ^dsara₂

Rev.

7. iti ^ddumu-zi-<ta>
8. iti sig₄-^{ges}i₃-šub-ba-gar-še₃
9. iti 4!-kam
11. ki ensi₂-ta

الوجه:

١. ٢٠ حزم قصب لمكان او السمك المنظف
٢. ١٠ حزم للمعبد الطاهر
٣. ١٨٠ حزمة للرواق او للمدخل
٤. ١٨٠ حزمة للبواب
٥. ١٨٠ حزمة للحديد النيزكي
٦. قرابين اعتيادية للإله شارا

القفأ:

٧. من شهر دموزي (الشهر الثاني عشر)
٨. حتى شهر سيگ - گش - ايشوبا - گارا (الشهر الثاني)

٩. الشهر الرابع

١١. من الحاكم

يتضح من النص أعلاه انه تضمن عدد من حزم القصب تم تقديمها من قبل الحاكم لاغراض متنوعة وذلك لمدة أربعة أشهر من الشهر الثاني عشر وحتى الشهر الثاني - أي للأشهر (١٢ ، ١٣ ، ١ ، ٢) - وذلك حسب تقويم مدينة اوما.

ذكر نص من نصوص مدينة اوما مؤرخ في السنة التاسعة والثلاثين من حكم الملك شولكي^(٤٥) تضمن وصل تسلم كميات من الشعير (سلمت) قرابين اعتيادية للالهة إنانا إلهة مدينة زبالام (قدمت) من كاهن مدينة اريدو^(٤٦) ومن المدعو أرد تسلم المدعو با - ا - تي نقتبس منه:-

Obv.

1. 1 (gur) še gur – lugal
2. ša₂ – du₁₁ dⁱinanna zabalam^{ki}
3. en eridu^{ki} – ta

الوجه:

١. ١ (كور) شعير بالكور الملكي

٢. قرابين اعتيادية للالهة إنانا إلهة مدينة زبالام

٣. من كاهن مدينة اريدو

يتضح من النص أعلاه انه تضمن كميات من الشعير مقاسة بالكور الملكي تم تقديمها من قبل كاهن مدينة اريدو قرابين اعتيادية للالهة إنانا إلهة مدينة زبالام سلمت من المدعو ارد تسلمها المدعو با - ا - تي .

ورد في نص اخر نصوص مدينة اوما أيضا مؤرخ في السنة الخامسة من حكم الملك شو- سين^(٤٧) تضمن كميات من الحنطة بوصفه قرايين اعتيادية للإله شارا من مسؤول مخازن الحبوب نقتبس منه:-

Obv.

1. 2(gur) 2(pi) ziz₂ gur
2. sa₂-du₁₁ ^dšara₂
3. ki ka-guru₇-ta

الوجه:

١. ٢ (كور) ٢ (بي) حنطة بالكور الاعتيادي

٢. قرايين اعتيادية للإله شارا

٣. من مسؤول مخازن الحبوب

يتبين من النص اعلاه تقديم كميات من الحنطة مقاسه بالكور الاعتيادي كقرايين اعتيادية للإله شارا انفقت من مسؤول مخازن الحبوب ولم يذكر اسم الشخص الذي تسلم المادة.

كما نقرأ في نص ثالث من نصوص مدينة اوما مؤرخ في السنة السابعة والأربعين من حكم الملك شولكي^(٤٩) تضمن وصل تسلم حزم من خشب الغار كقرايين اعتيادية للإله شارا من المدعو دادا حارس الغابة^(٥٠) تسلمها منه المدعو اورشولبائي نقتبس منه:

Obv.

1. 6(geš₂) sa ^{geš}ma-nu
2. sa₂-du₁₁ ^dšara₂
3. ki da-da lu₂ tir-ta
4. ur-^dšul-pa-e₃

5. šu ba-ti

الوجه:

١. ٣٦٠ حزمة (من) خشب الغار

٢. قرايين اعتيادية للإله شارا

٣. من المدعو دادا حارس الغابة

٤. المدعو اور - شولبائي

٥. تسلم

يتضح من النصوص أعلاه ومن نصوص أخرى لا يسعنا ذكرها قد تضمنت تقديم قرايين اعتيادية للأغراض الدينية وموءن اعتيادية للأغراض الدنيوية قدمت من قبل الحكام والموظفين ومن أصحاب المهن وغيرهم وقد تباينت المواد المقدمة بين المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية ومنتجاتها دون التقيد بنوع واحد من المواد .

٧- القرايين او الموءن الاعتيادية من الأشخاص :-

تتمثل بالمواد الزراعية والحيوانية ومنتجاتها التي يتم تقديمها من قبل الأشخاص للأغراض الدينية أو الدنيوية وقد يكون من بين هؤلاء الاشخاص مسؤولين عن تسليم المواد في المخازن او المطاحن او الحقول او اصحاب ورش عمل وغيرها كالمدعو أرد و اورليسي و لوشولكي وغيرهم وكذلك الحال بالنسبة لمسؤولي الحظائر كالمدعو اوركوننا وانتايا ونالو واباساكا والولو... وغيرهم وقد اتضح هذا من نصوص sa₂-du₁₁ المنشورة وثلاثة عشر نصا من النصوص غير المنشورة ضمن هذه الدراسة^(٥١) وتأيدا لذلك نورد المثال الاتي:-

وردنا من نصوص مدينة اوما نص مؤرخ في السنة الثانية من حكم الملك أمار- سين^(٥٢) تضمن عدد من حزم القصب كقرايين اعتيادية للملك شولكي من المدعو دادا نقتبس منه:-

Obv.

1. 3760 sa gi
2. sa₂-du₁₁ ^dšul-gi
3. ki da-da-ta

الوجه:

١. ٣٧٦٠ حزمة قصب

٢. قرابين اعتيادية للملك شولكي

٣. من المدعو دادا

يتبين من النص أعلاه تقديم عدد كبير من حزم القصب كقرابين اعتيادية للمدعو شولكي من قبل المدعو دادا ونرجح أن يكون المدعو دادا هو ذاته مسؤول الغابة المذكور أنفاً فكلا النصين من مدينة اوما والمدة الزمنية بينهما ما يقارب أربعة أعوام .

الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع بحثنا توصلنا الى عدة نقاط تلخص منها :-

١. يستنتج من نصوص sa₂-du₁₁ (المنشورة وغير المنشورة) تنوع الجهات التي تقدم القرابين، او المؤن الاعتيادية وتنوعها، اذ اشارت النصوص الى ان تلك الجهات لم تكن تقتصر على جهة او شريحة معينة من المجتمع انذاك، بل ان هناك جهات عدة، كالحكام والموظفين والاشخاص الاداريين، فضلاً عن المدن التابعة لسيطرة دولة اور الثالثة داخل بلاد الرافدين وخارجها، والاماكن الادارية التابعة لتلك المدن، مثل الحظائر والمطاحن والحقول والمخازن وغيرها

٢. يستنتج من نصوص (sa₂- du₁₁) المنشورة وغير المنشورة الواردة ضمن نصوص هذه الدراسة، تنوع المواد التي قدمت كقرابين اعتيادية لأغراض الدينية، أو كمؤن أو تسليمات اعتيادية لأغراض الدنيوية وتنوعها، وتوزعت تلك المواد ما بين الثروة الزراعية والمواد المصنعة منها والثروة الحيوانية ومنتجاتها والمواد المعدنية والمواد المصنعة منها.
٣. يستنتج من نصوص sa₂- du₁₁ (المنشورة وغير المنشورة) تعدد الأغراض التي تقدم لها القرابين وتنوعها، مثل المؤن، التسليمات الاعتيادية، فمنها لأغراض الدينية كالألوهة ومعابدها ومصلياتها، وللملوك وأفراد العائلة المالكة (امهات وزوجات الملوك والحكام، فضلا عن ابنائهم وبناتهم)، وكذلك لأغراض الاحتفالات والاعياد الدينية والدنيوية ولأماكن السكب المقدس للموتى... الخ، ولأغراض الدنيوية الأخرى المتعلقة بالدولة آنذاك.

- ^١ (المتولي ، نواله احمد محمود ، المتولي، نواله احمد محمود، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٠١ وما بعدها.
- 2)MDA , No: 324.
- 3)Sigrist , M ., SAT- 2 , No : 339 .
- 4) Lafont, B., DAS , No:273.
- 5)RLA-8 , p . 30 ;Sallaberger , W., LMSZ , p . 149 – 150 .
- 6) Sallaberger , W.LMSZ , p.150.
- 7) Schramm , W., GAAL – 4 , p. 85.
- 8) Sigrist ,M., & Ozaki ,T., BPOA - 1,No: 876
- 9)Gregoire , J-P, AAICAB 1 /1 , No: 51.
- 10) Sigrist ,M., & Ozaki ,T., BPOA - 1,No:688.
- 11) Sigrist ,M., & Ozaki ,T., BPOA - 6,No:410.
- 12) Grégoire, J-P., AAICAB 1/1, pl. 107.
- 13)Sigrist , M.,& Ozaki , T ., BPOA - 2,No : 2082.
- 14) Sigrist , M.,& Ozaki , T ., BPOA- 1, No :1459.
- ١٥) سلمان ، حسين احمد، المخازن في العراق القديم الى نهاية العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ١٥٠.
- ١٦ (المصدر نفسه، ص ١٥١-١٥٢.
- 17)CAD , Š/3 , p . 412 .
- 18)CAD , K , p . 226 : b .
- 19) CAD , K , p . 231:a; MDA , No :376 , p.173 .
- 20)Schramm,W ., GAAL-4 , p . 45 ; Sallaberger , W ., LMSZ , p . 150 ;RLA-6 , p.194.
- 21)CAD , G , p . 42 :a
- 22)Sigrist , M ., & Ozaki , T ., BPOA – 1 , No :1646 .
- 23) Sigrist , M ., SAT – 3 , No : 2048 .
- 25)CAD , E , p . 249.
- 26)Sigrist ,M ., & Ozaki,T ., BPOA – 7 , No : 1922.
- 27)Fish,Th., MCS-8 , No : 71 .
- 28) Sigrist ,M ., & Ozaki,T ., BPOA –1 , No: 207.
- 29)Owen , D . I .,& Wasilewaka ,E .,JCS – 52 , No : 63 , p.46 .

30) Sigrist, M., & Ozaki, T., BPOA –6, No:1034.

31) Schneider, N., AnOr -1, 088.

32) Grégoire, J – P, AAS, No:154.

٣٢) ki – su₇ : مصطلح سومري يعني موضع دراسة الحبوب أي فصل الحبوب عن قشورها المقطع su₇ في الاكدية maškanu الذي يعني "درس" وتتم اعمال دراسة الحبوب من الشهر الثالث وحتى الشهر الخامس فبعد جمع المحصول تربط الحيوانات الى بعضها وجعلها تسير بحركة دائرية فوق المحصول حتى يتم فصل الحبوب عن سيقان النبات ينظر: المتولي، نواله احمد محمود، مدخل ، المصدر السابق، ص ١٨١ ، CAD, M p.370f

34) Gomi, T., BJRL - 64, 103 29.

35) Sigrist, M., SAT – 2, No : 130.

36) Sigrist, M., SAT– 2, No: 584.

٣٦) اسماء مدن ومواقع جغرافية تقع بالقرب من مدينة اوما وهو تابعة لمقاطعة اوما، ينظر:

Edzard, D. O., & Farber, G., RGTC – 2, p. 90

38) Sigrist, M., SAT -2, p. 115 .

39) Grégoire, J –P., AAICAB 1/2, pl. 108.

40) Sigrist, M., SAT – 3, No: 2049 .

41) Sigrist, M., & Ozaki, T., BPOA 7, 2192

٤١) e₂-sikal: مكان مقدس في معبد ايكور في مدينة نفر والذي يعني البيت الطاهر ينظر:

George, A.R., HMH, No:988

إلا انه في هذا النص ومن المرجح انه اتخذ كمكان مقدس للإله شارا في مدينة اوما كون القصب المقدم كقرايين للمعبد الطاهر للإله شارا .

٤٢) kisal : مفردة سومرية تعني حرفيا " رواق ، فناء" يرادفها في الاكدية kisallu ينظر :

CAD, K, p.416ff; MDA, No : 249, p.129

٤٣) i₃-du₈ : مصطلح سومري يعني حرفيا " بواب " يرادفه في الاكدية atû ينظر:

CAD, A / II, p. 516.

٤٤) ku₃-an : مصطلح سومري يعني حرفيا : " معدن ثمين او نفيس" يرادفه في الاكدية

amūtu في حين يفسره عدد من الباحثين على انه " حديد نيزكي " ينظر: المعماري ، رعد

سالم محمد جاسم ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ . CAD, A \ 2, p. 211; MDA, No:468, p. 211;

p.97;b; Sallaberger, W., LMSZ, p.365;

46) Sigrist, M., SAT – 2, No : 224 .

٤٦) اريدو : تقع جنوب مدينة اور بنحو ٢٤ كم وشمال شرق مدينة الناصرية بنحو ٤٠ كم وتعرف حالياً بـ (أبو شهرين) وتعد مركز لعبادة الإله انكي ، بدأت مديرية الآثار العامة التنقيب فيها عام ١٩٤٦ ولغاية ١٩٤٩ ، أي لثلاثة مواسم ففي الموسم الأول تم اختيار عدة نقاط للعمل قرب الزقورة وقد تركّز العمل في نقطتين ، الأولى بين الدرج الوسطي والشرقي للزقورة وكانت نقطة العمل الثانية قرب الزاوية الجنوبية للزقورة ، وفي أطرافها حتى سور المدينة وكشف فيها عن سبعة معابد متتالية تعود للإله انكي ، وكشف فيها أيضاً تمثال لأسد كبير عرف باسم أسد اريدو فضلاً عن لقي أخرى عديدة، للمزيد ينظر: صالح ، قحطان رشيد ، المصدر السابق ، ص ٢٥٨ وما بعدها .

48) Sigrist , M., & Ozaki , T ., BPOA - 1, No: 983.

49) Sigrist , M ., & Ozaki , T ., BPOA – 2 , No : 2317 .

٥٠) lu2-tir₂ : اسم وظيفة والتي تعني "مسؤول الغابة ، حارس الغابة ينظر :

Sallaberger, W., LMSZ, p.402.

٥١) تنظر النصوص المرقمة (١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ،

٢٧ ، ٣٦) من الفصل الثاني من الأطروحة

52) Sigrist , M ., & Ozaki , T ., BPOA - 2 , No : 2151

المصادر العربية:

١ . سلمان، حسين احمد، المخازن في العراق القديم الى نهاية العصر البابلي

القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٢ .

٢ . صالح ، قحطان رشيد، الكشاف الأثري في العراق ، الموصل ، ١٩٨٧ .

٣ . المتولي، نواله احمد محمود، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور

الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة ، بغداد ،

. ٢٠٠٧

٤. المعماري، رعد سالم محمد جاسم، الاحجار والمعادن في بلاد الرافدين في

ضوء المصادر المسمارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة

الموصل ، ٢٠٠٦

ثانياً : المصادر الأجنبية :-

1. Edzard , D . RépertoireGéographique des
O ., & TextesCunéiformes , (RGTC - II)
Farber , G. Wiesbaden , 1974
2. Fish , T. "A Copy of the Umma Tablet BM
106055, and Copies of Other Tablets
Relating to its Subject – Matter" , (MCS
– 8) , 1958
3. George ,A House Most High the Temples of
.R . Ancient Mesopotamia , Indiana , 1993
, (HMH) .
4. Gomi, T. Ur III Texts in the John Rylands
UniversityLibrary of Manchester", 1981 –
1982, (BJRL –64)
5. Grégoire, Archives administrativessumériennes
J.P. ,Paris , 1970
6. ----- Archives Administratives et Inscriptions
Cunéiformes: Ashmolean Museum,
Bodleian Collection, Oxford
7. Labat, R. Manual D' EpigraphieAkkadienne , Paris
, 1976
8. Lafont, B. Documents AdministratifsSumériens,
provenant du site de Tello et conservés au
Musée duLouvre , .(DAS), Paris , 1985
9. Owen,D. I. Cuneiform Texts in the Arizona State
,&Wasilews Museum , (JCS - 52). 2000
ka , E.

10. Sallaberger , Leipzig-
W MunchnerSumerischerZettelkasten , 2006
11. Schneider , Die Drehem - und Djoha – Urkunden der
N . StrassburgerUniversitats – und
Landesbibliothek inAutographie und
mitsystematischenWorterverzeichnissen
erausgegeben , ,(AnOr-1) Rome , 1931
12. Schramm AkkadischeLogogramme ,Cöttingen ,
,W. ,(GAAL - 4), 2003
13. Sigrist, M. Drehem, Bethesda , 1992 .
14. ----- Texts from the Yale Babylonian
Collections ,Maryland , 2000 , (SAT -3)
15. -----& Ur III Administrative tablets from the
Ozaki ,T. British Museum , ,(BPOA – 1) Madrid ,
2006
16. -----& Ur III Administrative tablets from the
Ozaki ,T. British Museum , ,(BPOA – 2) Madrid ,
2006
17. -----& Neo – Sumerian Administrative Tablets
Ozaki ,T. from the Yale BabylonianCollection , Part
= 1, ,(BPOA – 6) Madrid , 2009
18. ----- & Neo – Sumerian Administrative Tablets
Ozaki, T from the Yale BabylonianCollection , Part
= 2, ,(BPOA – 7), Madrid , 2009

السمات العامة لنظم الحرب عند المغول

أ.م.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر

مريم كاظم هادي

الخلاصة

بحثنا في دراستنا (السمات العامة لنظم الحرب عند المغول) وتبين لنا أن النظم الحربية المغولية هي نتاج البيئة التي عاش فيها المغول طوال تاريخهم، وهي بذلك تعتبر نظم اصيلة وغير مقتبسة من الامم الاخرى فقد اعطت المغول ميزة خاصة عن باقي الشعوب ، وكانت اول نظمهم العقيدة القتالية التي تمثلت بالطاعة التامة للجند امام قادتهم وهي أهم ما يميز عقيدة المغول القتالية، والتي ساهمت في وضع نظام للضبط لأمثل له عند الجيوش الاخرى. واعتمد الجيش المغولي على خطط حربية مدهشة تميزت في الدقة والكفاءة العالية ، وكان يستخدم الخطط البديلة المعدة مسبقاً في حالة تعثر الخطط الاصلية. وايضاً استخدم المغول وسائل عدة من اجل التأثير على الاعداء واضعاف ارادتهم وتحطيم قواهم ، فقد عرفوا بالقسوة التي جاءت من تأثير البيئة القاسية التي امتازت بالحروب والقتال وكانت انعكاساً لقسوة الفرد المغولي ، التي كانت تعبر عن صفات القوة والشجاعة عند المجتمع المغولي وتشكل جزءاً من منظومة العمل العسكري، فكانت كل فتوحاتهم مصحوبة بالمجازر البشرية البشعة التي ليس لها مثيل حيث كانوا يقتلون السكان دون ادنى رحمة لايميزون بين مقاتل وشيخ كبير وطفل رضيع ، وهذه القسوة جزءاً من منظومة المغول الحربية في بث الرعب .اضافة إلى واحدة من أهم وسائل الحرب عند المغول هو فن استخدام ارسال الرسائل إلى اعدائهم ، والتي كانت تصاغ بأبلغ اسلوب وفيها التهريب والترغيب من اجل بث الوهن والضعف في اعدائهم فيضطرون إلى الاستسلام. فضلاً عن اعتمادهم على الجواسيس والمتعاونين من بين الاعداء للحصول على المعلومات الضرورية التي تسهل عملهم العسكري.

المقدمة

تتناول دراستنا (السمات العامة لنظم الحرب عند المغول) لما لهذه النظم من أهمية في اسس عمل الجيوش بصورة عامة وعمل جيش المغول بصورة خاصة ، حيث ميزتهم نظمهم الحربية عن باقي جيوش الأمم الاخرى . ونظراً لما بلغه الجيش المغولي من قوة منظمة لايمكن قهرها اثارت اعجاب العالم ودهشته ، ودوره الفعال في تأسيس الامبراطورية المغولية وذلك من خلال أتباعه منظومة حربية فريدة تمثلت بعقيدتهم القتالية التي كان اساسها الطاعة العمياء للحكام ، والروح المعنوية العالية في ساحات المعركة والتي تفوقوا بها على خصومهم اضافة إلى اتباعهم اساليب عدة في اضعاف معنويات اعدائهم تمثلت بالحروب النفسية التي كانوا يتبعوها بما فيها فن استخدام الرسائل التي كانت تصاغ بأسلوب التهريب والترغيب.

وما ميز منظومتهم الحربية خطتهم التي كانوا يستعملوها وساعد على نجاح هذه الخطط اصغاء الجند ، فضلاً عن اعتمادهم على الجواسيس وبعض المتعاونين من بين اعدائهم للحصول على المعلومات ، اضافة الى وسائل اخرى . كل هذا ساهم في بناء منظومة حربية للمغول تختلف عن نظم جيوش الامم الاخرى.

- أثر البيئة المغولية.

استوطن المغول في هضبة منغوليا ، وكانت الظروف الجغرافية في هذه الهضبة قاسية جعلتها فقيرة ، فقد تميزت بمناخ حار جداً في الصيف وبرودة شديدة في الشتاء ،^(١) فنشأ المغول في هذه البيئة القاسية التي امتازت بخشونة الحياة فضلاً عن صعوبة العيش فيها، حيث تراهم يتجولون ويتقائلون من اجل كسب اقواتهم مهما كلفهم ذلك من السفك والقتل، وقد أنعكس هذا على نمط حياتهم فترعرعوا على الحروب والقتال والاغارة فيما بينهم وعلى المناطق المجاورة طلباً لديمومة حياتهم.^(٢)

ويمكن القول ان مثل هذه الظروف المناخية ، قد اكسبتهم خبرة حربية واسعة.^(٣) حيث كانوا منذ الطفولة يمارسون الحروب بسبب حياتهم القاسية ، وهذا ما ادى الى قسنتهم ، واصبحوا قادرين على مواجهة الصعاب، فأشتهرت قبائل المغول بشدة بأسها ، واستعدادها الدائم للحرب.^(٤) وهكذا عند تكوين الجيش كانوا جند المغول على اتم الاستعداد للمواجهة كل المستجدات التي تصادفهم .

❖ العقيدة القتالية.

أن لكل الجيوش المحاربة مبادئ وأهداف تسعى لتحقيقها ، ولذلك يقف خلف الحروب التي تخوضها تلك الجيوش عقيدة سواء كانت دينية أو دنيوية ، ويمكن القول أن البيئة التي عاش فيها المغول^(٥) لها تأثير كبير على العقيدة القتالية الخاصة بهم، والتي ميزتهم عن غيرهم من الأمم.

وعندما تم تكوين الجيش المغولي كان له أهداف يسعى إلى تحقيقها عن طريق الحروب والقتال ، إذ كان هدفهم الأول منحصراً أول الأمر في التوسع من أجل إنشاء امبراطورية المغول والتي وضع أساسها جنكيزخان امبراطور المغول الأعظم ، وأخذ يسعى إلى توسيعها عن طريق الاستيلاء على ممتلكات البلدان المجاورة.^(٦)

ومن أجل تحقيق هدفه فقد غرس جنكيزخان في نفوس جنوده الاستماتة في القتال ، كما غرس فيهم الطاعة والامتثال لأوامره من خلال قوته ومهابته، والجميع كانوا ينظرون إليه نظرة أجلال واحترام ويعدونه رئيسهم الأكبر يأترون بأوامره، وينزلون لطاعته وهذه سمة من سمات الأقوام القبلية.^(٧)

وصفت خشية وهيبة جنكيزخان في قلوب جيشه بلا حدود، وكان كل جنده يعتبرونه سروراً عظيماً لهم ، ويرون في حكمه حكماً سماوياً مقدساً ، ويؤمنون بأنه لا ينبغي أن يكون على الارض حاكماً سواه، إذ يذكر تاج الدين السبكي(ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) بهذا الشأن : "كانوا ببادية الصين وهم من أصبر الناس على

القتال واشجعهم فملكوا جنكيزخان عليهم وأطاعوه طاعة العباد المخلصين لرب العالمين".^(٨)

وهذا يوضح لنا أنهم كانوا يطيعونه حتى الموت ، ويستجيبيون لأمره وينفذون طلبه بسرعة فائقة ، فضلاً عن ذلك أنهم يعدون عصيان جنكيزخان والخروج على أمره بمنزلة ارتكاب جرم عظيم.^(٩)

ويذكر رشيد الدين بقوله: " إنه لم يكن هناك قانون يسمح لأي مخلوق أن يغير أمر القآن وأرادته ، ويكون مذنباً كل من فعل ذلك".^(١٠) وقد ولدت فيهم هذه الطاعة والاصرار إلى عدم التراجع في المعارك مهما كانت صعبة تنفيذاً للأوامر القآن وطاعة له.^(١١)

ولم يقتصر أمر الطاعة على القادة الكبار في الجيش المغولي وإنما الطاعة صفة من صفات محاربي المغول بشكل عام والتي لا تجاريهم فيها أمة من الأمم، إذ إنه عرف عنهم بأنهم مطيعين لرؤسائهم ولا يعصون لهم أمراً ، واحترامهم لمكانة جنكيزخان وقادته من بعده هو الذي يدفعهم لتنفيذ الأوامر من دون اعتراض أو تردد.^(١٢)

فكان كل فرد من الجند يدرك أن هدفه مكرس من أجل خدمة الخان وليس له الحق في أن يسأل أو يعترض أو يجادل في أي أمر يوجه إليه وما عليه سوى الطاعة.^(١٣) وهذا مما دعا ابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) أن يقول عنهم: " لم ينقل في التاريخ، ولا تضمنت سيرة من السير أن دولة من الدول رزقت من طاعة جندها ورعاياها ما رزقته هذه الدولة القاهرة المغولية".^(١٤)

ويؤكد القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) هذا الأمر بقوله " وما حالهم في طاعة ملوكهم فانهم من أعظم الأمم طاعة لسلطينهم، لا لمال ولا لجاه بل ذلك دأب لهم حتى انه إذا كان أميراً في غاية من القوة والعظمة وبينه وبين السلطان كما بين المشرق والمغرب متى ذنب ذنباً يوجب عقوبة وبعث السلطان إليه من

أخس أصحابه من يأخذه بما يجب عليه القى نفسه بين يدي الرسول ذليلاً ليأخذه بموجب ذنبه ولو كان فيه القتل".^(١٥)

بينما أورد ابن فضل الله العمري (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) بهذا الشأن قائلاً " يطيعون سلطانهم، لا لأجل مشاهرة ولا توقع مال وجاه بل لمجرد الطاعة وحسب ، ثم إذا أرجعوا من القتال وكرب الحرب إلى السكون والسلم أخذ السلطان منهم القلان^(١٦) والقبجور^(١٧) والاولاق^(١٨) والبدرقة^(١٩) من غير ضجر ولا تأسف منهم، بل يؤدونه إليه مختارين".^(٢٠)

وعلى هذا الأساس بنى جنكيزخان نظامه الحربي المتين، أي بنى قوامه على الطاعة العمياء في اتباعه حيث ترسخت روح النظام في الجند المغول منذ البداية، فأخضعهم لنظام من الضبط الصارم وتنفيذ الأوامر من غير نقاش أو اعتراض أو عصيان، فلم يكن للقادة أو الجند أي رأي من بعد رأي جنكيزخان، فكانوا جميعاً أدوات طيعة لتنفيذ أهداف القآن ، ولم تكن تساور أيأ منهم فكرة الاستقلال أو التفوق على الآخرين بل كان هدفهم الوحيد هو القتال من أجل القآن الأعظم واهداف دولته ، ولاشك يتبين من خلال ذلك إنه كان لجنكيزخان أرادة وعزم مكنته تمام التمكين من أن يطوع تلك الأقوام البدائية إلى أداة صالحة أمدته بالقوة التي أجتاح بها العالم.

- المعنويات.

أن أهتمام جنكيزخان بالعامل المعنوي كبيراً ويتم العمل به منذ بدء الاستحضار للحرب ، فقد كان العمل على رفع الروح المعنوية يتم جنباً إلى جنب مع العمل على تهيئة الاستحضارات اللازمة الأخرى ، وكانت واحدة من وسائل رفع المعنويات هو قيام قآن المغول بالاستعانة بالمنجمين للتنبؤ من أجل تأكيد حسن الطالع في الحرب المقبلة^(٢١) حيث ذكر الرحالة ماركو بولو ذلك بقوله: "

كان من دأب الخانات العظام على الدوام الاستعانة بالتنبؤات بقصد بث روح عالية في رجالهم". (٢٢)

و بالرغم من أن هذه التنبؤات كانت عبارة عن خرافات ولا يمكن تصديقها إلا أن المغول كانوا يؤمنون بها بشدة وكانت تمدهم بالقوة والعزم ومن خلالها يتحمسون للحرب ويتهلفون للقتال من غير خوف أو تراجع، بل أن القائد المغولي يتقدم للحرب وهو لديه قناعة كاملة بأنه لا يُقهر ولا يُكسر والنصر حليفه، وخير من يصف ذلك مؤرخ المغول الجويني بقوله: "إنه إذا حانت ساعة الحرب بدأت الاستعدادات على قدم وساق، وبدأت الأمانى بالوصول إلى حلبة الحرب، كأنهم سيذهبون إلى حفل زفاف، لا يكلون ولا يتعبون، المصلحة الحربية فوق كل اعتبار". (٢٣)

والمعروف عن الجندي المغولي أنه كان يقاتل بكل قوة وبسالة وروح معنوية عالية، لا يستسلمون للهزيمة وهذا الأمر يؤيده ابن الأثير بقوله: "من حدثكم أن التتر انهزموا وأسروا فلا تصدقوه، وأن حدثكم إنهم قتلوا فصدقوا، فإن القوم لا يفرون أبداً، ولقد أخذنا أسيراً منهم فألقى نفسه من الدابة، وضرب رأسه بالحجر إلى أن مات، ولم يسلم نفسه للأسر". (٢٤)

وذكر أيضاً "أن المغول لا يتركون ميدان القتال واللواء مرفوع، ولا ينسحبون عن موقع إذا أحتلوه ولا يتخلفون عن عدو دون أن يقضوا عليه". (٢٥)

فكان جند المغول اقوياء بروحهم المعنوية وبمؤازرة جنكيزخان لهم. فقد كان جنكيزخان يعظ قادته وجيشه بالأمثال والحكم^(٢٦) والكلمات الحماسية التي ترفع من روحهم المعنوية، وقد غرس في نفوس الأبناء والأخوة والأقارب والجند جذور المحبة ونقش في قلوبهم حب المعاضدة والمساعدة، وحثهم على التعاضد وهي قواعد راسخة عند المغول. فقد أوصى أبناءه وجنده بالاتفاق والاتحاد وقال

لهم: "ان الاقبال والنصر يكونان حليفاً لكم ما دتم تتفقون مع بعضكم البعض، وبهذا لا يظفر بكم عدوكم"^(٢٧)

وعلى هذا النمط من الوفاق والتعاون ، وبهذه الصفة تيسرت لجنكيزخان وأفراد أسرته السيطرة على أكثر ممالك العالم ، فالكلمات الحماسية التي تبث الشجاعة في قلوب الجند والأمثال والحكم والتنبؤات، امتزجت كلها من أجل بث الثقة بالجيش والقادة بأنهم سوف لا يهزمون مهما كان الأمر.

- الخطط الحربية.

حرص قادة الجيش المغولي على وضع الخطط الحربية المدروسة قبل بداية العمليات العسكرية، وقد أتصفت تلك الخطط الحربية العامة التي كانت تتم مناقشتها في مجلس (القوريلتاي) بدقة التخطيط، كما كان يُهيأ لها كل المستلزمات المطلوبة من أجل تحقيقها من ناحية التنفيذ والتموين، كأعداد الجند وجمع القوات وطبيعة تموينها وتهيئة الطرق التي سيسلكها الجيش.^(٢٨)

وما يميز المغول في الحروب هو إنهم يبدؤون بالاستعداد لها من خلال اتخاذ الاجراءات العسكرية بوقت مبكر وتوجيه العساكر بعد أن يتم اختيار القادة المناسبين لهذه الحملات، وبعد أن يتم جمع العساكر وتوحيد الصفوف وأرسال فرق الكشف (الطلائع) التي يكمن دورها في تهيئة الاجواء المناسبة لتلك الحملة.^(٢٩)

وجرت عادة المغول في خططهم في أغلب الأحيان على مفاجئة أعدائهم، ولكي لا يدعوا لهم فرصة الانسحاب من دون أن ينالوا منه،^(٣٠) ويتم عادة وضع هذه الخطط بناء على دقة المعلومات التي كان يتم جمعها، وهذا واضح في كل استعدادات جنكيزخان للحملات العسكرية حيث دأب على مناقشة الكليات والجزئيات للحملة وتأكيداته على الانضباط ومراجعة المستشارين وأهل الخبرة وتحريك العساكر على وفق خطة سليمة. فيصف لنا الجويني استعداد المغول للحرب بقوله : " حينما خبت غبار فتن كوجلك وتوق تغان وزالت افكارهما

من الخواطر ، نهض الأبناء والأمراء العظام والاحفاد وقواد الالف والمئة والعشرة واستعدوا، ونظموا أجنحة جيوشهم، وعينوا فرق الطلائع ، فأصدر الخان أمره الجديد بالتحرك".^(٣١)

ومن الجدير بالذكر أن من أهم خطط المغول الحربية هو تقسيم العساكر على عدة جهات ولا يتم حصرها بجهة واحدة.^(٣٢) فيلاحظ أن جنكيزخان عندما توجه لغزو الدولة الخوارزمية إنه لم يهاجمها من جهة واحدة بل رأى أن ينقض عليها من أربع جهات ، ولذلك وضع خطة محكمة عندما قسم جيشه إلى أربع فرق ، وقد عهد إلى كل فرقة بمهمة وهي الاستيلاء على جزء معين من هذه الاقاليم، وبهذه الخطة أخذ جنكيزخان أعداءه على حين غرة ولم يترك لهم فرصة كافية للاستعداد ، وكانت خطة تقسيم الجيوش قد استعملها المغول في أغلب حملاتهم ، ويلاحظ من خلال انجازاتهم الحربية إنهم كانوا يقسمون جيوشهم التي يتم إرسالها لفتح البلدان ، فعلى عهد اوكتاي عندما أرسل الجيوش للفتح قام بتقسيم قواته، كذلك على عهد كيوك قسم جيوشه ، وأيضاً منقوآآن كان يتبع نفس المخطط في تقسيم الجيوش، كما أن من مزايا خطة تقسيم الجيوش هو لتطويق العدو وقطع الامدادات والسيطرة على منافذ الهروب.^(٣٣)

وأما فيما يخص اجراءاتهم وخططهم للاستيلاء على المدن المحصنة والقلاع المراد إجتياحها من قبل المغول ، فكانت هناك اجراءات تتخذ قبل البدء في الحرب والهجوم على هذه المدن والقلاع ، إذ كانوا يقومون بأرسال الرسل إليها، مستخدمين مع السكان سياسة الترهيب والترغيب من أجل الاستسلام وفتح ابواب قلاعهم.^(٣٤)

وعندما يتم رفض ما جاء به تلك الرسل، فإن المغول يطبقون خطط عسكرية وهي محاصرة قلاع المدن على شكل حلقات إذ يلتف الجيش المغولي

على القلاع ، فضلاً عن الفحص والتحري لتلك المناطق وتجهز المنجنيقات والمراقبي الخشبية وغيرها من مستلزمات الحصار. (٣٥)

وبعد ذلك يتم قذف تلك القلاع بالحجارة، وهذا ما يوضحه لنا الجويني من خلال وصف هجوم المغول على خوارزم بقوله: " وبعد ذلك وصل جغتاي واوكتاي مع جيش كالسيل في انحداره وكالرياح في عاصفتها وطافوا حول المدينة من غير أن يدخلوها وبعد ذلك أرسلوا إلى الأهالي رسلاً يحثونهم على الانقياد في حين أن الجيش أخذ شكل الدائرة حول البلدة وحط رحاله حولها كالقضاء المتأهب وشغل بترتيب آلات الحرب من اخشاب ومنجنيقات وأحجار ، وكما هو المعهود فقد كانوا يرسلون في كل يوم رسلهم يعدونهم ويتوعدونهم، يؤملونهم ويهددونهم وكانوا احياناً يقذفونهم النبال ليدرك الاهالي معاني الحرب". (٣٦)

وعندما يجد المغول أن المدن محكمة وذات سور عالي ولا يمكن اقتحامها فيتم اتخاذ اجراءات وتدابير أخرى بديلة وهذا ما فعله جنكيزخان عند وصوله إلى سمرقند في سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) ورأى ان سورها محكم ومن الصعوبة التغلب على جيشها وكان أمير خوارزم قد ترك عليها قبل أن يفر حامية قوامها مئة وعشرون الف مقاتل ، لهذا ورتب خطته على أن تلنقي كل قواته المتفرقة فتجتمع عند سمرقند والتزم مبدأ الاحتياط بأن يطهر كل ما حولها من المناطق واخضاعها تماماً ليعزل خصومه الأقوياء فيها ويضعفهم حتى إذا تم له ذلك أتجه نحو سمر قند ولاقت خطته هذه كل نجاح . (٣٧)

بعد أن شعر أن الحصار قد أنهكها وأمر أن تقذف بالحجارة والنبال من كل قطعاته التي تفرغت لذلك حتى فتحت ابوابها. (٣٨)

وكذلك أورد الجويني عن اجتياح جنكيزخان لإقليم خراسان في سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) عندما ذكر: "ومن هناك ارسل ابنه تولوي ليستخلص بلاد خراسان مع جيش كبير وقصد هو مدينة طالقان وقلعتها ، كانت المدينة محصنة

تحصيناً جيداً وعليها رجال يحرسونها وقد رفضوا عرض الرسل كلها معلنين الحرب على القادمين، وهكذا نصبت المنجنيقات حول القلعة وباشروا بالقذف من غير راحة ولا توقف واحتدم القتال العنيف بين الطرفين فوقع قتلى وجرحى بالمئات واستمر الحال هذا حتى أتم تولي فتح خراسان فعاد إلى أبيه بجيش لجب ، ففتحت لهم طالقان قسراً وقهراً فلم يتركوا فيها حياة ولا حجر على حجر". (٣٩)

ويبدو من خلال ما ورد في النص أن المغول كانوا يستعملون خطط بديلة في حال لم يتم لهم النجاح في الخطوة الاولى ، فضلاً عن ذلك كانوا يلجأون إلى كتم الخطوة في بعض الاحيان، كما فعل تولوي عندما توجه إلى نيسابور سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م) حيث لم يعلم احداً عن خطته عندما كما كتمها حتى عن جنوده ولم يكثر من تعبأتهم. (٤٠)

كذلك كان من ضمن خطط المغول حفر الخنادق حول القلاع المحاصرة ، ليقطعوا على السكان الاتصال بالآخرين، فعندما حاصر المغول اقليم خوارزم أمروا الأسرى في حفر الخنادق حول المدينة. (٤١) وقد ثبت من خلال الحروب أن كل خططهم كانت فعالة وتخدم اهدافهم .

وأيضاً من عوامل نجاح خطط المغول يرجع إلى دور قادة المغول الذين يتولون قيادة الحملات ، إذ كانوا يختارون من بين الذين تميزوا بالكفاءة والحنكة والقدرة على اتخاذ التدابير اللازمة ، وهؤلاء بأماكنهم في حال فشل الخطوة المتفق عليها أن يتدبروا الموقف بخطط بديلة. (٤٢)

لذلك يلاحظ أن جنكيزخان وخلفاءه من بعده يعتمدون في تنفيذ خططهم العسكرية على قادة لهم خبرة ودراية عسكرية واسعة وامكانيات عالية لتدارك الوقوع بالأخطاء ، فكان للقادة الذين يتولون قيادة الحملات دور كبير في أنجاح الخطط الحربية من خلال حرصهم على تنفيذها بحذافيرها، ومن ذلك نلمس الاصرار

والتحدي في تنفيذ هذه الخطط من خلال استخدام سياسة الترهيب والتدمير لنشر الرعب في سكان تلك المدن من أجل تحقيق خططهم بحذافيرها.

- أنفتاح وحدات الجيش في ميدان المعركة.

كانت لدى المغول طريقة خاصة في تنظيم صفوف مقاتليهم عند مواجهة العدو في ساحة المعركة ، حيث كانوا يقسمون الجيش إلى ثلاث فرق ضخمة هي القلب وفرقة الميمنة وفرقة الميسرة .^(٤٣) ومهمة فرق القلب هي الالتحام المباشر بالعدو ،^(٤٤) فإما الفرقتان التي تشكل الجناحين الأيمن والأيسر فيبسطا بطريقة تمكنهما من الالتفاف حول جيش العدو ، ويضعون أمام كل كتيبة من الفرسان عدد من جند المشاة المسلحين بالمزاريق والسيوف، وهم فرق دربوا على الركوب وراء الخيالة ومراقبتهم كلما شرعوا للقتال، حيث يقوموا بالهجوم ويقتلون بمزاريقهم خيل الاعداء ، ثم تعطى الإشارة إلى الجناحين الأيمن والأيسر بالهجوم فتعلوا صرخاتهم فضلاً عن أصوات الطبول، فيمتلئ الجو بوابل من السهام تتساقط منهمرة في كل ناحية ، ثم يشتبك الجمعان المتعاديان في قتال متلاحم.^(٤٥)

وقد كان من عادة المغول الاحتفاظ بفرقة احتياطية مجهزة تدخل ساحة المعركة عند الحاجة إليها ،^(٤٦) وإذا احس قادة المغول بعدم السيطرة على الأعداء وكثرة عددهم يلجأون إلى الخداع ، فينظأهرون بإنهم هزموا ويقوموا بالتراجع والانسحاب لأستدراج العدو، وعندما يستدرجون الجيش المعادي لمسافة كافية وتتعب خيوله وتعم الفوضى في صفوفه ، يستدير الجيش المغولي و يقوم بالالتفاف حوله ويهاجموه حتى يتم القضاء عليهم ، كما حدث في سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م) عندما توجه جيش المغول إلى بلاد الروس وجدوا أمامهم أعداداً كبيرة من الجيش يفوق عددهم فتركوا ميدان القتال وتراجعوا وعندما استدرجوه إلى منطقة مناسبة لهم والتفوا حولهم وقضوا عليهم.^(٤٧)

وعلى الاغلب كان المغول في ساحة المعركة ينظمون الأسرى كدروع بشرية وخلفهم جند المغول والغاية من ذلك لكي يتعرض الأسرى للقتل ، فيستهلكون قوى أعدائهم في قتل الأسرى وبنهكهم ، وبعدها يتقدم جند المغول للقضاء على أعدائهم .^(٤٨) ووصف ذلك أبن الأثير من خلال قوله: "وكانت عادتهم إذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من أسارى المسلمين بين أيديهم...وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين، فيكون القتل في المسلمين الأسارى وهم بنجوى منه".^(٤٩)

وفسر الجويني عوامل نجاح المغول في حروبهم بقوله : " ولما كان المغول يعملون في حروبهم على الحظ وكسب الوقت وانتهاز الفرص فأن أحد لا يستطيع ان يغلبهم " .^(٥٠)

كما أن اساليبهم في القتال ارتكزت على تدمير أعدائهم ، وعدم فسح المجال أمامهم لإعادة تنظيمهم وأبادتهم أو أسرهم ، وضاعفت هذه الاجراءات من فوز المغول في ساحات المعركة،^(٥١) ومع ان دور المهندسين العسكريين والمنجنقيين والنقابيين وناصبي الجسور ورادمي خنادق يبرز في معارك المدن المحصنة والقلاع من خلال محاصرتها واقتحامها ، فإن دورهم يقل أو يتلاشى في معارك تجري في ميادين قتال فسيحة،^(٥٢) وفضلاً عن ذلك فقد أظهر المغول في عدد من معاركهم خبرة واسعة بفنون المناورة ، ولاسيما المناورة بضرب الجناح إذ استعملوها بنجاح في احتلال سمرقند سنة(٦١٧هـ/١٢٢٠م).^(٥٣)

- استخدام القسوة المفرطة في الحرب.

أن إحدى وسائل انتصارات المغول ونجاحهم في حروبهم هي البشاعة والقسوة التي هي صفة من صفاتهم واطباعهم، إذ لم تأتي قسوتهم هذه من بدائيتهم وحسب بل من بيئتهم القاسية التي جعلتهم ينفادون بغريزة وحشية ومن غير تردد لأستخدامها ضد اعدائهم ، وخير مايدل على ذلك ما ذكره الجويني " إنهم كلما رأوا دماً ازدادوا حماساً ، وكلما قتل منهم شخصاً استشاطوا غضباً وامعنوا في السفك والقتل لهذا اقترنت فتوحاتهم بالمجازر البشرية".^(٥٤)

وعند انتصارهم في المعارك التي كانوا يخوضونها، فإنهم لا يتركون على قيد الحياة عظيماً ولا حقيراً ولا كبيراً ولا صغيراً ، مما يعني إنهم لا يميزون في استخدام سياسة القسوة، ولا ينجو من هذه السياسة سوى اصحاب الحرف والمهن واحياناً رجال الدين،^(٥٥)

فعندما اتجه جنكيزخان بجيوشه الى لاجتياح البقاع والاراضي ولاسيما في بلاد ما وراء النهر ودولة خوارزم ، استخدم هو وعساكره أساليب القسوة والقتل والدمار ضد سكان المدن والقلع التي ترفض الاستسلام والخضوع إلى إرادته وسلطانه ، وتم ابادتهم من دون رحمة، وكان اجتياحهم للعالم الاسلامي اجتياح قد وصف بالعنف والقسوة، فقد خرب المغول كل شيء ونكلوا بالمسلمين اشد تنكيلاً، وتفننوا في تعذيبهم بشتى الوسائل والأساليب وقد وصف لنا المؤرخ ابن الأثير ذلك بقوله: " لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها، فأنا اقدم إليه رجلاً، وآخر اخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الاسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك، فياليت أُمي لم تلدني وبالييتي مت من قبل هذا وكنت نسياً منسياً، فنقول هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عفت الأيام والليالي عن مثلها وعمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل أن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى

الأن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً".^(٥٦) وهذا النص بلا شك يعطي دلالة واضحة لما كان يقوم به المغول في أثناء اجتياحهم للبلاد التي كانوا يقومون باحتلالها. وأبرز من روى لنا استخدام القسوة المفرطة بالحرب ضد أهالي بلاد ما وراء النهر هو المؤرخ الجويني إذ كثيراً ما أشار الى ذلك ومنها قوله: " وعبر جنكيزخان المعبر واتجه نحو مدينة بلخ سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) وسبقه رجال الطليعة وعرضوا عليهم فروض الطاعة مقابل الحياة ولضرورة احصاء السكان أمرهم بالخروج إلى ظاهر البلدة ولما كان السلطان جلال الدين منكبرتي حتى ذلك الوقت يُعد الجنود للحرب لجأجاً وعناداً فان الخان لا يمكنه أن يطمئن إلى الناس ولاسيما أهالي خراسان ، وهكذا حكم على سكان بلخ بأن يفيض عليهم موج الفناء ولا مناص من طوفان البلاء ، وجاءهم الاجل فسيقوا جميعاً الصغير والكبير حيث قسموا على العادة المألوفة ليقتلوا جماعات بعضهم بالسيوف واخرون بالنبال، فامحى أثرهم.... ولم يتركوا المكان حتى أحرقوا الاخضر واليابس في حقول المدينة وخربوا المنازل والقصور".^(٥٧)

وهذه صورة واضحة جداً عن طبيعة استخدام القسوة والقتل بحق السكان من دون ذنب.

ويصف الجويني في موضع آخر قائلاً : " ان المغول عندما اتجهوا إلى مدينة بخارى بأن اعدادهم كانت كأعداد النمل والجراد وكأنهم أمواج بحر هادر، هاجموا الناس وقتلوا منهم أكثر من ثلاثين ألفاً مستخدمين أبشع وسائل القتل والسلب والتدمير وحرق المنازل والبطش بالأهالي ولم يتركوا صغيراً أو امرأة أو كبيراً، حتى ان احد سكان هذه المدينة لما هرب إلى خراسان أجمل ما أحدثه المغول في مدينة بخارى بقوله : جاؤوا، وحفروا، واحرقوا، وقتلوا، ونهبوا، وذهبوا".^(٥٨)

وفي هذا الخصوص ذكر أحد مؤرخي المسلمين وهو السيوطي (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) عن استخدام القسوة لدى المغول بقوله " ليس في قتلهم استثناء ولا إبقاء ، يقتلون الرجال والنساء والاطفال وكان قصدهم افناء النوع، وابادة العالم لا قصد الملك والمال". (٥٩)

ومن أساليب القتل التي كان يتبعها المغول هي اخراج السكان خارج المدن بعد اجتياحها وعزل النساء والاطفال عن الرجال ، وابقاهم في خارج المدن والقلاع لمدة زمنية تقارب سبعة أيام من دون أكل أو شرب ، ومن ثم اصدار الأوامر بقتلهم بعد أن يتم عزل الشباب واخذ منهم ما يسمى (الحشر) للاستفادة منهم في الجيش المغولي. (٦٠)

أما من استطاع من السكان من أن يختبئ في الحفر والمخابئ فإن المغول كانوا يصدرون لهم الأمان بالحفاظ على حياته ، إلا انهم ينقضون وعودهم وكانوا يقتلونهم فور خروجهم، أي إنهم كانوا يستخدمون الخداع لإخراج الناس وأبادتهم. (٦١) ففي سنة (٦١٨ هـ / ١٢٢١ م) بعد ان فتح المغول مدينة مرو تركوا بعض الجنود ليرصدوا من كان متخفياً في أطراف المدينة وكان بينهم رجل من نخشب ، فشرع يرفع صوته بالأذان ،حتى يسمعه كل مختبئ فيخرج فيمسك به الجنود ويقتلوه ،ثم عادوا ولم يتركوا في المدينة ألا اربعة اشخاص احياء. (٦٢)

ومثل ذلك ذكر ابن الاثير بقوله: " كانوا يأخذون الاسارى ،ويقولون لهم ، نادوا في الدروب ان التتر قد رحلوا ، فإذا نادى أولئك خرج من اختفى ، فيؤخذ ويقتل". (٦٣)

واستمرت هذه القسوة في القتل والتخريب اثناء الحروب خلال عهود خلفاء الاولين ، ففي عهد اوكتاي عندما فتحوا بلاد الخطا ، ذكر الجويني "انهم جمعوا من اذان القتلى اكواماً ، وارسلوها لحضرة القاآن بأمر الفتح". (٦٤) وفي نص اخر ذكر إنهم قتلوا اعداداً لاحصر لها، وتركوا البلاد عامرة بالجثث والقتلى. (٦٥)

كذلك عندما استولوا على بلاد البلغار، ذبحوا كل السكان رجال و نساء واطفال. (٦٦) وهذا دليل إنهم من بعد جنكيزخان أي في عهد خلفائه الأولين لم تقل قسوتهم في الحروب.

وفي حالة أن أعفيت إحدى المدن بعد استسلامها للمغول تفرض عليهم أتاوة بدفع الاموال ، وعادة تستخدم القسوة في جمع تلك الأموال من الأهالي. (٦٧) فذكر ابن الأثير ذلك بقوله : " وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال". (٦٨)

كذلك كان المغول يستخدمون أقصى وإبشع طرق الانتقام ، عندما يقتل لهم قائد من قادتهم الكبار فيثأرون له وذلك بقتل وإبادة جميع سكان المدينة التي تسببت في قتل ذلك القائد، ويورد لنا الجويني مثال إذ يذكر: " عندما اتجه المغول الى مدينة نيسابور سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) بقيادة تغاجار كوركان ومن سوء طالع السكان وسبب هلاك الخلق ان سقط نبل على تغاجار وقتله ، فامر تولوي ثاراً لدم تغاجار ان يهدموا المدينة بشكل كامل بحيث يمكن زراعة ارضها، وان يقتصوا من كل حي فيها، وقد قاموا بفصل رؤوس القتلى عن اجسادهم وجمعوا رؤوس الرجال ورؤوس النساء والاطفال في ناحية اخرى، وهكذا تساوت المساكن والاماكن مع التراب وزلت الجدران الشاهقة وغدت تراب". (٦٩)

ويعطي رشيد الدين فضل الله مثال على ذلك ايضاً عندما ذكر أن (مواتوكان) وهو ابن جغتاي وحفيد جنكيزخان وأحد قادة المغول عندما قام بمحاصرة إحدى المدن الخوارزمية وهي مدينة (باميان) في سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) أصيب بسهم من القلعة وتوفي وعندما وصل الخبر الى مسامع جنكيزخان فحزن حزناً شديداً، وأمر أن يستولى على القلعة وأن تخرب تخريباً تاماً وأن يقتل سكانها على آخرهم وقد نفذت الأوامر وهدمت وقتل السكان وسميت بأسم (ما وقرغان) أي المدينة التعسة. (٧٠)

فضلاً عن ذلك ، كان قادة جنكيزخان يعذبون الناس أشد العذاب إذ يذكر الجويني أن (قوتقونوين) وهو أحد قادة جنكيزخان عندما كان بمدينة مرو سنة (٦١٨هـ/١٢٢١م) ساق الأهالي حشراً فقد احرق بعضهم وأفنى بعضهم باللوان العذاب لم تخطر على بال بشر ، ولم يبق منهم احداً حياً ، واستمر على هذا الحال أربعين يوماً ومع هذا كله فإنه أرسل رجاله لينقبوا الثقوب ويفتشوا الأماكن فإن رأوا ضعيفاً كامناً قتلوه. (٧١)

- وسائل الحرب النفسية.

كان المغول يعمدون في حروبهم الى اتخاذ وسائل عديدة لأرهاب سكان البلاد المتجهين لها واثارة الرعب في قلوبهم ، وكان لهذه الوسائل تأثيرها الكبير في نفوس القائمين على تلك البلاد من حكام وقادة وجنود ، وايضاً كان لها تأثيرها في السكان، فكانت أولى وسائل الحرب النفسية التي اعتمدها المغول هي الدعاية (٧٢) لإخافة أعدائهم، (٧٣) وايضاً لأرباك واضعاف عزيمة خصومهم فكانوا يقومون بأرسال الرسل إلى حكام البلاد يعلمونهم بكلمات قلائل ما سيحل بهم وبالإقليم أن هم فكروا في المقاومة وعدم الاستسلام، ويحثونهم على الانقياد والطاعة ويعدونهم ويتوعدونهم ويؤملونهم ويهددونهم وحياناً يقذفون النبال ليدرك الاهالي معاني الحرب والآتة. (٧٤)

ومنها ما حمله رسل جنكيزخان من المسلمين باستخدام اسلوب التضليل إذ ينادي بأعلى صوته " أنا مسلم أبين مسلم جئكم ابتغاء مرضاة الله برسالة من جنكيزخان ذات حكم نافذ، مريداً إنقاذكم من الهلاك المحتم ومن سفك الدماء فقد جاء جنكيزخان ومعه عدة الاف من المحاربين المغاوير فإذا لم تخالفوه في أي أمر انقذتم من ساعة حصار مذهلة ومن سيل لدمائكم كالأنهار في الصحراء". (٧٥)

ويلاحظ من خلال هذه الرسالة أن فيها وسائل تأثير نفسي على السكان لأن فيها الترغيب والترهيب في أن واحد، ويكمن دور هذه الوسيلة التي كان يتبعها

المغول في شق صفوف سكان المدن ومنعهم من المقاومة ، وتقضي على عزيمة العساكر في التصدي للمغول وتشتت فكر القادة القائمين عليها أحياناً ، وكان التسليم في هذه الحالة معناه التبعية المطلقة .

أما إذا وجد المغول أي مقاومة من أعدائهم أو تعرضوا لخسارة وأن كانت قليلة أمام المدينة المحاصرة فإنهم لا يعتقدون معهم صلحاً حتى إذا سلمت المدينة لهم بعد ذلك ، وأن المحاربين والأهالي من غير المحاربين يجب أن يقتلوا على حد سواء لكي تكون رسالة إلى المدن الأخرى التي سوف يحين دورها فيما بعد وهذا ما لوحظ في المدن التي تعرضت للاجتياح المغولي.^(٧٦)

وكانت من وسائلهم الأخرى عندما تتقدم جيوشهم فإنهم يعملون على أخراج أصواتاً من أفواههم تملأ الفضاء وتصم الأذان وتدخل الرعب في القلوب،^(٧٧) وذكر الجويني في هذا الشأن قائلاً: " عند تقدمهم للمدن كانوا يصدرون أصواتاً كالرعد الهادر وتعلوا صرخاتهم المربعة التي تهلع منها قلوب السكان".^(٧٨)

وفضلاً عن أصواتهم كانت أيضاً أصوات (قرع الطبول)^(٧٩) التي كانوا يقرعونها في أثناء مسيرة الجيوش، وذكر الرحالة ماركو بولو عند وصفه لأحد معاركهم ذلك بقوله: " وما أن تمت ترتيبات المعركة حتى نفخ في عدد لا يحصى من الآت النفخ من كافة الأنواع، وأعقبها انشاد الاناشيد، وفق عادة التتار قبل خوض القتال الذي يبدأ عند صدور الإشارة من الصنوج والطبول ، وكان من دق الصنوج والطبول ، ومن الغناء ما يدهش المرء لسماعه".^(٨٠) ولاشك أن هذه الأصوات المربعة تؤثر في نفوس السكان وترعبهم وتحطم قابلياتهم في القتال جراء الخوف.

وايضاً من وسائلهم اشعال النيران اثناء القتال ، وذلك من أجل إخافة أعدائهم ، حتى تنهار معنوياتهم.^(٨١) وذكر الجويني بهذا الخصوص إنه عندما

حاصرت قوات المغول مدينة بخارى واستعصى أمرها أمر جنكيزخان جنده أن تحرق المحلات والمنازل لإخافة المدافعين.^(٨٢)

بهذه الوسائل نجح المغول في الاستيلاء على المدن الإسلامية وغيرها.

- أساليب الخداع والتضليل .

برع المغول في الالتجاء إلى وسائل الخداع والتضليل لأحراز النصر في المعارك ، فعلى سبيل المثال من الخدع التي كان يستخدمها المغول لأوهام أعدائهم إنهم كانوا إذا حاصروا مدينة من المدن التي يريدون اجتياحها، وطال حصارها من دون جدوى ، فإنهم كانوا يتظاهرون برفع الحصار عنها ، والعودة من حيث أتوا ، حتى إذا اطمأن أهالي المدينة إلى رحيلهم ، والقوا أسلحتهم ، عاد إليهم المغول ، وأنقضوا عليهم فجأة قبل أن يستعيدوا قواهم ، فتسقط المدينة في أيديهم على الفور.^(٨٣)

ومن أساليب الخدع والتضليل التي استعملوها إنهم كانوا ينضموا الأسرى (الحشر) في فرق متراصة عشر عشر ومئة مئة، ومع كل عشرة منهم يعينوا مغولياً ، فتظن الأهالي المحاصرون إنهم أمام جيش كثير العدد ، فتخور قواهم وتتحط روحهم المعنوية، ولا يجدون بعد ذلك مفرّاً من التسليم.^(٨٤) ومثال على ذلك عندما اقترب المغول من سمرقند ، قدموا الخيالة وتركوا الرجال والأسرى والانتقال وراءهم ، حتى يلحقوا بهم شيئاً فشيئاً ليرعبوا أهل البلد ، فلما رأى أهالي سمرقند سوادهم أستعضموهم ولما كان اليوم الثاني وصل الأسرى والرجال والأثقال ومع كل عشر أسرى علم مغولي فظنوا أهل البلد أن الجميع مقاتلة مغول.^(٨٥)

وفي بعض الأحيان يلجأ المغول في حيلهم إلى ممارسة السحر لخداع أعدائهم، مثل استعمال (حجر الامطار)^(٨٦) . ويمكن القول أن وسائل الخداع والتضليل التي اعتمدها المغول بنجاح فائق لأوهام أعدائهم كان لها الدور الهام والفعال في احراز النصر وكسب الحروب لصالحهم.

❖ فن رسائل الحرب .

كانت الرسائل التي يبعثها حكام المغول إلى اعدائهم هي إحدى وسائل التأثير النفسي التي اعتمدها في حروبهم لأرباك العدو، واضعاف الروح المعنوية لديه ، وتحطيم عزيمة المقاومة عنده، وقد برع المغول فيها غاية البراعة وقد استخدموا فيها أسلوب الترغيب والترهيب.

فقد كان المغول قبل أن يبدأوا بعملياتهم العسكرية ، يبعثوا برسالة إلى بلاد العدو عن طريق الرسل^(٨٧) التي يطلقون عليها (إيلجيات)^(٨٨) يدعوهم فيها للتسليم وقد كان المغول يختارون لتنفيذ هذه المهمة إيلجيات سريعي السير أعدوا لهذا الغرض.

وكان من عادة جنكيزخان وخلفاءه من بعده عندما يريدون أن يفتحوا مدينة أو يخضعوا أميراً أو ملكاً يدعوهم أولاً للتسليم (إيلي) عن طريق الرسل والمبعوثين وإذا رفض التسليم يقال له (ياغي) ويتحتم إخضاعه بالحرب.^(٨٩) ومن العادات لدى جنكيزخان إنه كان يرسل دعوته إلى من يرفض التسليم ، لم يكن يخيفه بإظهار قوته بل يكتفي بعبارة (إذا قبلتم الطاعة كان لكم الامان وإلا فالله يعلم ما لا نعلم).^(٩٠)

فعندما توجه جنكيزخان إلى بلاد ماوراء النهر كانت اول رسالة ارسلها هي تلك التي بعث بها الى السلطان محمد خوارزمشاه إذ ذكر المؤرخ الجويني قائلاً: " إنه ارسل رسله إلى السلطان يذكره بالغدر الذي لم يجد له مبرر ويعلمه انه متجه نحوه للحرب والطعن، وما يزرعه المرء يحصده وعلى السلطان أن ينتظر ثمرة جريمته".^(٩١)

وقد حمل هذه الرسالة أحد المتعاونين مع المغول وأسمه محمود الخوارزمي^(٩٢) ويورد لنا النسوي نص تلك الرسالة فيقول: " ورد بعد ذلك ابن كفرج بغرا^(٩٣) وكان أبوه من أمراء السلطان تكش^(٩٤) ، مصحوباً بشخصين من التاتار،

رسلا على السلطان من قبل جنكيزخان في أنك قد أعطيت خطك ويدك بالأمان للتجار وأن لا تتعرض إلى أحد منهم ، فغدرت ونكثت ، والغدر قبيح ،ومن سلطان الاسلام أقبح . فأن كنت تزعم أن الذي أرتكبه ينال خان كان من غير أمر صدر منك، فسلم ينال خان إلي لأجازيه على ما فعل ، حقناً للدماء ،وتسكيناً للدهماء ، وإلا فأذن بحرب ترخص فيها غوالي الأرواح ، وتتعضد معها عوامل الرماح " .^(٩٥) ويلاحظ من نص تلك الرسالة إنها تحمل في طياتها الانذار وتذكير السلطان محمد خوارزمشاه بالغدر وترهيبه بالقتل وما سيحل به أن رفض التسليم .

كذلك من ضمن الرسائل التي أرسلها جنكيزخان تلك التي بعث بها إلى (تركان خاتون)^(٩٦) والدة السلطان محمد خوارزمشاه إذ كانت تركان خاتون حاكمة ولاية غنية وكانت تتمتع بولاء القوات التركية لها، وكان بمقدرتها أن تسبب خسائر جمة لجيش المغول، وأدرك جنكيزخان هذا تماماً لذا فقد بعث من مدينة بخارى رسولاً إلى الملكة في شخص (دانشمند الحاجب)^(٩٧) وهومن خواصه يقول لها: " قد عرفت مقابلة ابنك حقوقك بالعقوق ، وهأنذا قد قصدته بمواطأة من أمرائه ، ولست بمعترض إلى ماتحت يدك من البلاد ، فإن اردت ذلك بعثت الى من يستوثق لك مني فتسلم لك خوارزم وخرسان وما تتاخمها" .^(٩٨) فكان جوابها إنها خرجت عن خوارزم مجفلة، وذلك خوفاً من غدر المغول الذين عرفوا بغدرهم .^(٩٩) وكان أسلوب الغدر يستخدمونه في رسائلهم، أي إنهم في بعض الاحيان يمنحون الأمان برسائلهم ومن ثم يغدرون بمن ارسلوا إليهم .

ومن الاساليب التي استخدموها في رسائلهم إنهم كانوا يسجلون أسماء أمراء الجيش الذين يقتلونهم وأسماء المدن التي قهرت وبيعثوا بها إلى حكام المدن الأخرى لكي تخور عزيمتهم ويستسلموا . ومثال على ذلك عندما قام جنكيزخان بأرسال مرسوم قآني بعثه إلى (ركن الدين كرت)^(١٠٠) ، سُجل فيه أسماء كل

الولايات، وأسماء أمراء الجيش والرؤساء التابعين للسلطان محمد خوارزمشاه ،
الذين قهروا وكسروا.(١٠١)

وكان رسل جنكيزخان احياناً يتعرضون للمتعاب ولا يصلون إلى مبتغاهم
فقد كانوا احياناً يتعرضون للقتل من قبل الاعداء ، ومثال على ذلك عندما قام
السلطان محمد خوارزمشاه بقتل رسل جنكيزخان الذي بعثهم إلى السلطان يطلب
منه تسليم ينال خان الذي أرتكب مجزرة قتل التجار المغول.(١٠٢) كذلك يذكر لنا
الجويني عندما توجه الجيش المغولي لغزو مدينة (سقناق) سار في مقدمتهم حسن
حاجي التاجر القديم الذي استمر في خدمة الخان وأصبح من حشمة الخاص ،
يحمل رسالة لسكان المدينة يحثهم على الطاعة لتبقى لهم حياتهم واموالهم لكنه ما
ان وصل هاج بعض الاوباش عليه فقتلوه.(١٠٣)

ومن الملاحظ ان مفاوضات الرسائل كانت تبدأ قبل تحرك المغول باتجاه
المدن ، فكانوا يرسلون الرسائل إلى كل مدينة يريدون اخضاعها فقبل التوجه لها
يرسل المغول رسالة إلى حاكم تلك المدينة يدعوه للتسليم، (١٠٤) فعندما أتجه
جنكيزخان إلى بخارى بطريق (زرنوق)(١٠٥) وجرياً على عادة ملك العالم بعث حاجبه
برسالة يخبرهم فيها نبأ وصول مواكبه ، وينصحهم بعدم التعرض للسيل المرعب
وعلى اثرها استسلم اهالي المدينة وتم فتحها.(١٠٦)

كذلك كان قادة جنكيزخان مكلفين ولديهم أوامر من القآن بأرسال الرسل
إلى حكام المدن قبل أن يقوموا بغزو تلك المدينة ، ومثال على ذلك ما اورده مؤرخ
المغول الجويني حيث ذكر إنه عندما وصل القائدان (يمة نوين) و(سُبَتاي نوين)
إلى مدينة نيسابور، ارسلوا رسالة إلى من يتولى ادارة المدينة ممثلة بمجير الكافي
الرخي وفريد الدين وضياء الملك الزوزوني الذين كانوا وزراء إقليم خراسان
وصدورها يأمرانهم باتباع أوامر جنكيزخان، ويطلبان علفاً ومأوى فارسلوا لهما
ثلاثة رجال من اواسط القوم يعلمونهما بإمكانية تأمين المسكن والعلف ، وقبول

التبعية ، فنصحهم القائد (يما نوين) بعدم المخالفة والمداورة ، وباستقبال الرسل التي تأتيهم من قبله ، وبعدم الاطمئنان إلى اسوارهم المحصنة وكثرة رجالهم وبشكل عام من أطاع نجا من هلاك ومن عصا نزلت عليه اللعنة هو ونساءه وأولاده. (١٠٧)

- استخدام الجواسيس.

لعبت جواسيس^(١٠٨) المغول الذين كانوا يرسلونهم في البلاد الاخرى دوراً مهماً في تحقيق اهداف الجيش المغولي ، من خلال جمع المعلومات المهمة عن طبيعة البلاد التي يراد اجتياحها،^(١٠٩) وعندما يراد القيام بحملة عسكرية تسبق تلك الحملة عادة فرق طلائع تساعد على جمع المعلومات عن العساكر الاخرى. فقد اورد الجويني في حديثه عن مدينة بلخ : " سار الجيش كالسيل الهادر من الأعالي وامامهم المفتشون والمنقبون يعملون كتسرب الدخان ووصلوا اولاً الى بلخ فطلبوا أعزة اهلها ... ثم عينوا شحنتهم ومن هناك ارسلوا الادلاء وفي مقدمتهم طاييسي جاسوساً...".^(١١٠)

وليس من الضرورة أن يكون الجواسيس من جنس المغول حصراً بل كانوا يستعينون بأبناء البلاد التي يريدون اجتياحها ، فقد استعانوا ببعض المسلمين في جمع المعلومات المهمة عن الطرق او عن احوال الامم الاخرى من الناحية العسكرية او بقية النواحي.^(١١١) وعلى سبيل المثال عندما تحرك جيش المغول نحو (مملكة الخطا) ذهب احد المسلمين ويدعى جعفر برسالة من جنكيزخان إلى (التان خان) ، فسجنه الأخير، إلا أن جعفر أستطاع الهروب من السجن وجاء إلى جنكيزخان سراً وأبلغه عن أحوال مملكة الخطا وعن التون خان ، فجرد جنكيزخان جيشه إلى التون خان عن الطريق نفسه الذي سلكه جعفر وفتح (بلاد الخطا).^(١١٢) وكذلك كان التجار ورجال القوافل المسلمين القادمين من الممالك

البعيدة ولديهم الكثير من المعلومات عن أحوال البلاد خارج منغوليا كانوا يسدون خدمات جلية لجنكيزخان وخلفاءه من بعده في هذا الشأن. (١١٣)

وكانت الاخبار التي يجلبها الجواسيس مهمة للغاية ، فتتحدد بموجبها طبيعة الخطط الحربية والمسالك التي تسلكها الحملة، (١١٤) وقد حرص المغول على أن يكون جواسيسهم الذين كانوا يجوبون البلاد المعادية ويستطلعون أخبارها على أن لا يثيروا أي شك لدى البلاد التي يعملوا فيها حيث كانوا يستخدمون شتى أساليب الخداع والتمويه والمباغلة. (١١٥)

- استمالة المتعاونين من بين الاعداء.

كان من عادة المغول إذا ما قصدوا مكاناً ما لغزوه أن يبحثوا عن عناصر ساخطة على السلطة الحاكمة، حتى يضموها إلى جانبهم بعد أن يعطوها الوعود ويمنحوها الأمان وبذلك يضمنوا وجود حلفاء له من داخل البلاد. (١١٦)

ومثال على ذلك عندما أرسل جنكيزخان قائده (يمة نوين) إلى مدينة كاشغر في سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) مع قوة كبيرة من الجيش للقضاء على كوجلك الزعيم الهارب ، فاستغل القائد المغولي بكثير من الحذق الاضطهاد الديني الذي اوقعه كوجلك بأهالي البلاد ، فأصدر يمة نوين منشوراً يعيد للمسلمين حقهم في العبادة علناً ، وهو الحق الذي حرّمهم أياه كوجلك وقد رحب الأهالي بالمغول باعتبارهم محررين لهم من الاضطهادات القاسية ، وبهذا فقد أستطاع (يمة نوين) أن يقوم بدور المحرر والمنقذ للمسلمين، ولم تطالب وحدات جيش المغول من الأهالي، إلا أن يدلوا بما يعرفونه من المعلومات عن كوجلك وبهذه الطريقة كسبوا المسلمين واستمالوهم لكي يكونوا إلى جانبهم . (١١٧)

وعندما أتجه جنكيزخان لمحاربة خوارزمشاه انضم إليه الكثير من أتباع السلطان خوارزمشاه الذين كانوا يكونون له العدا ، وكان من بينهم نائب السلطة بمدينة (اترار) وأسمه (بدر الدين عميد) (١١٨)، فقد كان يحقد على السلطان

خوارزمشاه لقتله أباه وعمه وجماعة من أقربائه، فتمكن المغول من استمالة إليه ، وقد حصل جنكيزخان من بدر الدين على معلومات مفصلة عن الاحوال السياسية للبلاد وعن العداء بين ترکان خاتون وأبناها السلطان فعمل جنكيزخان فيما بعد على استغلال ذلك لمصلحته، بفضل هذا التعاون من بين صفوف أعدائه. (١١٩)

وكان في معية جنكيزخان أبناء عدد من التجار المسلمين الذين قاموا بمهمة الوساطة بين المغول وسكان البلاد من المسلمين ،وعملوا كمتعاونين على تعريف المغول بظروف البلاد واحوالها ويرد منهم أسماء حاجي خليفة وأبناه. (١٢٠)

وعندما اقترب جنكيزخان في بداية زحفه من قلعة زرنوق في الدولة الخوارزمية فقد كان فيها بعض التركمان الذين قاموا بمساعدة المغول والتعاون معهم ساقوا المغول الى مدينة نور بطريق لم يكن معروفاً لهم ،وقد عرف هذا الطرق بعد ذلك بأسم (طريق الخان). (١٢١)

ويذكر الجويني انه عند دخول المغول مدينة نور صاحبهم ابن أمير نور (إيل خواجة) على سبيل العون والمساعدة، كما هو متعارف عليه فقد ارسلوه إلى (دبوس) (١٢٢) وحين وصل الى جنكيزخان نهض إليه واستقبله وكرمه جنكيزخان ومن معه ، ثم سأله، ما هو المال المقدر على المدينة ان تدفعه للسلطان؟ فأجاب الف وخمسمائة دينار فطلب الخان أن يسلم هذا المبلغ ولن يتعرضوا لهم باي شيء وهكذا ضمن اهالي نور العبودية والاسر بسبب وجود المتعاونين مع المغول. (١٢٣)

وفي هذا السياق يرد إنه قد تعاون مع المغول في حربهم ضد السلطان محمد خوارزمشاه ، ما يقارب سبعة الاف من جند الترك الختائيون (١٢٤) وكان ذلك بدافع الانتقام فتبين ذلك من خلال ما ذكره الجويني بقوله: " عندما دخل المغول مدينة سمرقند ، شغل الجنود ذلك اليوم بتخريب المدينة ، من غير ان يتعرضوا

للسكان، الى أن أشتبك في الحرب الختائيون المشركين، فقد اشعلوا البلد حتى لم يبقوا فيها حجراً على حجر وأستمر ذلك ثلاثين يوماً^(١٢٥).

وكذلك جيش (علاء الدين)^(١٢٦) حاكم (قندز)^(١٢٧)، انضموا إلى جيش المغول كمتعاونين ،وزودوا جنكيزخان بمعلومات دقيقة عن أحوال جيوش عدوه^(١٢٨). وذكر الجويني في هذا الشأن قائلاً : " أن كثير كانوا متعاونين مع المغول رغبة في الوصول للسلطة، فيستميلهم جنكيزخان اليه، ويوليهم السلطة على ان يكونوا تابعين له^(١٢٩).

ومثال على ذلك عندما أراد المغول التوجه نحو مدينة مرو، كان هناك من يطمع في الحصول على السلطة فيها ، وهو (بهاء الملك)^(١٣٠) الذي ذهب للمغول وشرح لهم احوال مرو ، وابدى استعداداه للذهاب الى مرو واستخلاصها لهم ، ووعدهم ان يقدم لهم عن كل منزل ثوباً سنوياً ، فلقى كلامه قبولاً لدى المغول، فأرسلوا معه جنود من المغول لاستخلاصها ولما تمكنوا من ذلك منحوه امارة مرو^(١٣١).

وفي العهود التالية كانوا ممن يتعاون مع المغول خوفاً من بطشهم ولدفع خطرهم ويلاحظ ذلك من خلال ما ورد في المصادر أن كثيراً من الحكام جاءوا إلى المغول وقدموا لهم فروض الطاعة وتعاونوا معهم ،ومثال على ذلك تعاون (بدرالدين لؤلؤ)^(١٣٢) صاحب الموصل مع المغول لدفع خطرهم والحفاظ على ولايته^(١٣٣) فكسب رضاهم وتعاون معهم منذ سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) وازداد تعاونه معهم الى درجة كبيرة بحيث كان يرسل اليهم الآت الحرب والسلاح وذلك بناءاً على اوامر يتلقاها من هولاكو،^(١٣٤) اضافة إلى إنه شارك بفرقة عسكرية كاملة انظمت لجيش هولاكو، اسهمت في توجيه ضربة قوية الى جيش الخلافة العباسية^(١٣٥).

- الاحتفاظ بالأرض المحتلة من خلال تعيين حكام الشحنة .

اتبع المغول سياسة خاصة عند اجتياح المناطق والمدن ، وكانت هذه السياسة جزءاً أساسياً من ضمن نظمهم الحربية، وهي تعيين حاكم عسكري بأسم (الشحنة)^(١٣٦) ، من أجل إدارة المدن التي يتم اخضاعها من قبلهم والحفاظ عليها،^(١٣٧) وتكمن واجبات الشحنة في حفظ الامن لهذه المدينة ، واستمرارها في ولائها للمغول وعدم تمردها ضدهم ، وقد يكون هذا الحاكم احد قادة المغول العسكريين، وما يعزز هذا القول ما اورده الجويني قائلاً: " حين وصل جنكيزخان الى سمرقند أرسل (توشا باسقاق)^(١٣٨) شحنة على بخارى".^(١٣٩) ويذكر رشيد الدين انه في عهد جنكيزخان لما تم الاستيلاء على خوارزم عين جوجي الابن الاكبر لجنكيزخان القائد المغولي (جينتييمور)^(١٤٠) حاكماً على اقليم خراسان واقليم مازندان بأسم الشحنة.^(١٤١)

وقد ادرك جنكيزخان اهمية هذا الاجراء فأعطى الصلاحية لقادته بتعيين الشحنة على المدن التي يخضعوها ومثال على ذلك عندما استطاع احد قواد المغول ان يستخلص مدينة (كنت)^(١٤٢) وضع عليها شحنة لمراقبتها.^(١٤٣) وايضاً القائد المغولي (يمة نوين) كان في كل موضع يخضعه سلباً يعين فيه الشحنة.^(١٤٤)

وليس من الضرورة ان يكون تعيين الشحنة كما ذكر الجويني فقط من جنس المغول وإنما من مختلف الاجناس، والبعض منهم كانوا من المسلمين ممن كانوا يرافقوهم.^(١٤٥) ومثال على ذلك عندما استخلص المغول مدينة جند في سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) كان من بين جنودهم (علي خواجه)^(١٤٦) وكان يرافقهم منذ حين فعينوه عليها ، وفوضوا اليه امر تدبيرها.^(١٤٧)

أو احياناً يكون الشحنة من سكان المدن الذين يقدموا فروض الولاء والطاعة للمغول ممن يمثل أحد أعيان المدينة سواء كان امير او قاضي او رجل دين الذين

فيعينوه على المدينة فيورد الجويني في هذا الشأن قائلاً: "حين وصل يمة نوبن إلى سرخس^(١٤٨) استقبله القاضي (شمس الدين)^(١٤٩)، وقدم له الطاعة ، ولهذا منحه مُلك سرخس ، ونال من جنكيزخان وساماً ملكياً مصنوعاً من الخشب".^(١٥٠) ومن الجدير بالملاحظة ان قادة المغول ويأمر من القآن كانوا يمنحون الشخص الذي يعينوه شحنة ومن غير اتباعهم بايزة حسب مكانته ^(١٥١) وأمرأ خانياً من أجل أن يحفظ لهم مساكنهم ويضمن لهم حقهم ، وعلى سبيل المثال اورد الجويني قائلاً: "عندما قبل أهل نيسابور الطاعة عينوا لهم شحنة من بينهم وعلى سبيل الاطمئنان منحهم ختماً ملكياً بالخط الاويغوري ، وأمرأ خانياً يحفظ لهم اموالهم ومساكنهم ويضمن لهم حقهم".^(١٥٢)

وكان قادة المغول اذا قتل الشحنة الذي يعينوه يثأرون بشدة لقتله ، فعندما قتل السكان الشحنة الذي كان في همدان ، صمم القائد المغولي يمة نوبن على الانتقام والثأر له ، فقتل من فعل ذلك هو ورجاله.^(١٥٣)

ومن خلال هذا كله نخلص القول أن المغول كانوا يسيرون وفق منظومة حربية شاملة متكاملة تتمتع بالانضباط العالي والصرامة والقوة ، وتسير وفق خطط محكمة ودقيقة ، ولديهم عقيدة قتالية امتازت بالإصرار والثبات من اجل الوصول الى هدفهم من خلال اطاعتهم التامة لأوامر القآن، كما كان لديهم سياسة حربية اتسمت بالقوة والعنف والقسوة، الى جانب خطط عسكرية اتسمت بدقة التنفيذ من قبل القائمين عليها ، فضلاً عن استخدامهم انواع مختلفة من الاساليب لأضعاف خصومهم عن طريق الحروب النفسية بأساليب متنوعة ، وبجانب ذلك ايضاً اعتمادهم على الجواسيس والمتعاونين الذين كانوا لهم دور كبير في دعم قوة المغول . ومن أجل الحفاظ على ما أخضعوه وضمن التبعية كانوا يعينون شحنة لتلك البلاد وقد كان هذا الأجراء من ضمن منظومة الحرب عند المغول .

وبالتالي فإن كل هذه العوامل مجتمعة خلقت منظومة حربية متكاملة كان لها دور فعال ومهم في نجاح خطط المغول وانتصارهم في المعارك على اعدائهم وتحقيق هدفهم في التوسع لإنشاء امبراطورية المغول.

الخلاصة

بحثنا في دراستنا (السمات العامة لنظم الحرب عند المغول) وتبين لنا أن النظم الحربية المغولية هي نتاج البيئة التي عاش فيها المغول طوال تاريخهم، وهي بذلك تعتبر نظم اصيلة وغير مقتبسة من الامم الاخرى فقد اعطت المغول ميزة خاصة عن باقي الشعوب ، وكانت اول نظمهم العقيدة القتالية التي تمثلت بالطاعة التامة للجند امام قادتهم وهي أهم ما يميز عقيدة المغول القتالية، والتي ساهمت في وضع نظام للضبط لامثيل له عند الجيوش الاخرى. واعتمد الجيش المغولي على خطط حربية مدهشة تميزت في الدقة والكفاءة العالية ، وكان يستخدم الخطط البديلة المعدة مسبقاً في حالة تعثر الخطط الاصلية. وايضاً استخدم المغول وسائل عدة من اجل التأثير على الاعداء واضعاف ارادتهم وتحطيم قواهم ، فقد عرفوا بالقسوة التي جاءت من تأثير البيئة القاسية التي امتازت بالحروب والقتال وكانت انعكاساً لقسوة الفرد المغولي ، التي كانت تعبر عن صفات القوة والشجاعة عند المجتمع المغولي وتشكل جزءاً من منظومة العمل العسكري، فكانت كل فتوحاتهم مصحوبة بالمجازر البشرية البشعة التي ليس لها مثيل حيث كانوا يقتلون السكان دون ادنى رحمة لايميزون بين مقاتل وشيخ كبير وطفل رضيع ، وهذه القسوة جزءاً من منظومة المغول الحربية في بث الرعب .اضافة إلى واحدة من أهم وسائل الحرب عند المغول هو فن استخدام ارسال الرسائل إلى اعدائهم ، والتي كانت تصاغ بأبلغ اسلوب وفيها التهريب والترغيب من اجل بث الوهن والضعف في اعدائهم فيضطرون إلى الاستسلام. فضلاً عن اعتمادهم على الجواسيس

والمتعاونين من بين الاعداء للحصول على المعلومات الضرورية التي تسهل عملهم العسكري.

- (^١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ٢٠؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٢٦.
- (^٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ٢٠؛ القزاز، الحياة السياسية، ص ٤-٥.
- (^٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ٢٠.
- (^٤) واكيم، امبراطورية على صهوات الجياد، ص ٤٨.
- (^٥) للتفصيل اكثر انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص ٢٠؛ القزاز، الحياة السياسية، ص ٤-٥.
- (^٦) شبولر، العالم الاسلامي في العصر المغولي، ص ٥٢.
- (^٧) اقبال، تاريخ المغول، ص ٢٧.
- (^٨) طبقات الشافعية الكبرى (القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م)، ج ١، ص ١٧٦.
- (^٩) اقبال، المغول، ص ٢٩؛ شبولر، العالم الاسلامي في العصر المغولي، ص ٢٦.
- (^{١٠}) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص ٢١.
- (^{١١}) القزاز، الحياة السياسية، ص ٢٤٧.
- (^{١٢}) انظر للتفصيل اكثر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ٢٠؛ وراجع ايضاً: شبولر، المغول، صص ٢١-٢٦؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ١٠٩؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص ١٤٢. بدر، محنة الاسلام الكبرى، ص ٨٦.
- (^{١٣}) فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ١٠٦.
- (^{١٤}) الفخري في الاداب السلطانية، ص ٢٤.
- (^{١٥}) صبح الاعشى، ج ٤، ص ٣١٢.
- (^{١٦}) القلان: دراهم مرصدة برسم الكلف مقررة على البلاد العمري، مسالك الابصار، ص ٩٨.
- (^{١٧}) القبجور: وهي ضريبة تؤخذ على المواشي، فكل من يملك مئة رأس يؤخذ رأس واحد العمري، مسالك الابصار، ص ٩٨. بارتولد، تركستان، ص ٦٥٦.
- (^{١٨}) الاولاق: وهي خيل البريد. العمري، مسالك الابصار، ص ٩٨.
- (^{١٩}) البدرقة: في معنى لوح البريد. العمري، مسالك الابصار، ص ٩٨.
- (^{٢٠}) مسالك الابصار، ص ١١.
- (^{٢١}) كان من وسائل التنبؤ عند المغول وضع عظام كتف الخراف في النار حتى تنفحم، بعد ذلك يقومون بفحصها بدقة، فإذا خرجت سليمة دون ان تنهشم، فهذا معناه ان القائد المغولي موفق في

امره ، واذا حدث وتهشمت العظام ، اوتفتت اجزاء منها ، فأن الامر المنشود له عواقب وخيمة ولاخير فيه . وعرف هذا عند المغول ب(علم الكتف) . انظر : رشيد الدين،جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ١٥٩؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ١٢٠؛ كيتشانوف، حياة تيموتشجين، ص ٦٧؛ عبد الرحمن فرطوس ، الايلخان هولاكو، ص ١٣٦؛

Howorth , History of the mongols, Vol.3, P.119.

- (٢٢) رحلات ماركو بولو، ص ١٤.
- (٢٣) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٠٠.
- (٢٤) الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤١٦.
- (٢٥) هارولد لامب، جنكيزخان، ص ٥٦.
- (٢٦) ذكر رشيد الدين "انه ذات يوم في بدء خروجه للفتح والغزو اخذ يضرب الامثال لأبنائه وجنده ، فأخرج لهم على سبيل المثال سهماً من كنانته ، وسلمه لهم قائلاً اكسروا هذا السهم . فأنكسر بكل سهولة ، ثم اعطاهم سهمين فأنكسرا ، وعلى هذا النحو اخذ يزيد السهام حتى بلغت العشرة ، فعجز عن كسرها الاقوياء وابطال الجند ، وعندئذ قال لهم ان احوالكم هكذا فما دتم متحدين ومتضامنين لن يظفر بكم اعدائكم . الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١، ص ٧٣؛ جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص ٢١٣-٢١٤.
- (٢٧) رشيد الدين ، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص ٢١٣.
- (٢٨) الجويني ، تاريخ جهانكشاي، م ١، صص ١٤٠؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والغزو المغولي، ص ٢٤٩؛ العدوي، العرب والتتار، ص ٣٩.
- (٢٩) الجويني ، تاريخ جهانكشاي، م ١، صص ١٤٤-١٥٠؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والغزو المغولي، ص ٢٤٩؛ العدوي، العرب والتتار، ص ٣٩؛ عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، ص ٣٣.
- (٣٠) الجويني ، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٠٠؛ فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ١٦٩؛ طقوش ، تاريخ المغول العظام، ص ٣٤.
- (٣١) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٠٠.
- (٣٢) الجويني ، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٠٠؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٣٧.
- (٣٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٠١؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والغزو المغولي، ص ١٣٧-١٣٨؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٦٦؛ بارتولد، تركستان، ص ٥٨٠؛ فهمي ، تاريخ الدولة المغولية في ايران، ص ٥٨.
- (٣٤) الجويني ، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٣٣.

- (^{٣٥}) الجويني ، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٣٣؛ فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ٢٣٢.
- (^{٣٦}) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٣٣.
- (^{٣٧}) المصدر نفسه، م ١، ص ١٢٧.
- (^{٣٨}) المصدر نفسه، م ١، ص ١٢٧-١٢٨.
- (^{٣٩}) الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م ١، ص ١٣٩.
- (^{٤٠}) المصدر نفسه، م ١، ص ١٦٩.
- (^{٤١}) الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م ١، ص ١٣٤؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٦٥.
- (^{٤٢}) الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م ١، ص ١٦٩.
- (^{٤٣}) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص ١٦٦؛ القزاز، الحياة السياسية، ص ٢٤٨؛ طقوش، تاريخ المغول العظام، ص ٣٥؛ فتحية النبراوي، قضايا العالم الاسلامي، ص ٧٧.
- (^{٤٤}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ٦٤؛ Hartog ,Leo de ,Genghis Khan,P.46.
- (^{٤٥}) ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ص ١٥.
- (^{٤٦}) ماركو بولو، رحلات ماركو بولو ، ص ١٥.
- (^{٤٧}) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤١٧.
- (^{٤٨}) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ص ١٥١؛ العريني، المغول، ص ١٢٢؛ فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ١٦٦؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٥٧.
- (^{٤٩}) الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤١١.
- (^{٥٠}) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٥٧.
- (^{٥١}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ٦٤؛ اقبال ، تاريخ مفصل ايران، ص ٢٥.
- Morgan , David, The Mongols, (Basit Black Well, 1990), P.232.
- (^{٥٢}) فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ١٦٧؛ رؤوف ، معركة عين جالوت ، ص ٢٧.
- (^{٥٣}) رؤوف ، معركة عين جالوت ، ص ٢٧.
- (^{٥٤}) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ٢١.
- (^{٥٥}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ٢١؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٤٧.
- (^{٥٦}) الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٩٩.
- (^{٥٧}) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٣٨.
- (^{٥٨}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١١٨-١١٩.

(^{٥٩}) عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي، (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، (بيروت: قسم الدراسات في دار نوبليس، ٢٠٠٧م)، ج ٧، ص ٨٢١.

(^{٦٠}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، صص ١٠٠-١٤٤. فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ١٩٢-١٩٣.

(^{٦١}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٢٩. حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٥٧.

(^{٦٢}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٦٢-١٦٣.

(^{٦٣}) الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤١٢.

(^{٦٤}) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٨٣.

(^{٦٥}) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٨٤.

(^{٦٦}) هلال، العلاقات بين المغول واوريا، ص ٣٦.

(^{٦٧}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٣٠. حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٤٨.

(^{٦٨}) الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٠٥.

(^{٦٩}) تاريخ جهانكشاي، ج ١، ص ١٧٠-١٧١.

(^{٧٠}) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، صص ١٣٧-١٣٨. بارتولد، تركستان، ص ٦٢٣.

(^{٧١}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٤٥.

(^{٧٢}) أن دعاية جنكيزخان من الامثلة التاريخية في الحرب النفسية التي لازالت نتائجها باقية حتى اليوم

وهي فتوحات جنكيزخان، فقد استخدم المغول الاشاعات في عملياتهم العسكرية، فعندما كان

جنكيزخان يقبض على جاسوس للعدو كان يشيع امامه الاشاعات المروعة عن جيشه من قوة خيالية

واعدادهم الهائلة، ثم يكرمه ويخلي سبيله، لخفض معنويات الاعداء كذلك كانت قوافل التجار تشيع

بين اعدائه، وصفاً اسطورياً لجيشه، مؤكدة ان جنوده يتغذون بالثعالب والكلاب. اضافة الى الانذار

بالخطر، فلعبت الاشاعات دوراً فعالاً في احراز النصر للمغول، من خلال اثرها البالغ على

معنويات اعدائهم واضعافهم، اضافة الى انها كانت تعمل على افقاد ثقة الشخص بقدراته. للتفصيل

أكثر انظر: بول لاينبرغر، الحرب النفسية، ترجمة. حمير رشيد، (بغداد: ١٩٦١م)، ص ١٣-

١٤. لايفير، علم النفس العسكري، ج ١، ص ١٦١. فرنان شنيدر، تاريخ الفنون العسكرية، ترجمة،

فريد انطونيوس، (بيروت: منشورات عويدات ١٩٧٠م)، ص ١١٤-١١٥.

(^{٧٣}) للتفصيل انظر: فاسيلي يان، جنكيزخان، صص ٩٠-١٠٣، ص ١٧٧.

(^{٧٤}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٣٣.

(^{٧٥}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١١٣.

(^{٧٦}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، صص ١٢٤-١٣٨.

(^{٧٧}) فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ٨٤.

- (^{٧٨}) تاريخ جهانكشاي ، م ١، ص ١٣٣.
- (^{٧٩}) بمعنى (كوركه) بالمغولية. رشيد الدين، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ص ٢٩٤.
- (^{٨٠}) رحلات ماركوپولو، ص ١٥.
- (^{٨١}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، صص ١٢٤-١٣٨؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٤٥.
- (^{٨٢}) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١١٨.
- (^{٨٣}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٦٨-١٦٩؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص ٣٦٧؛ فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ١٩٦؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ٢٥٠.
- (^{٨٤}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٣٤؛ فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ١٩٥-١٩٦؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٤٦. العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ص ١١٦.
- (^{٨٥}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٠٧-١٢٧؛ حملات الغزو المغولي للشرق، ص ٣٤؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٤٦.
- (^{٨٦}) كان معروف لدى المغول هناك احجار خارقة للعادة، من خلال احتكاكها بعضها ببعض أو وضعها في اوضاع معينة، تنزل المطر، وكان هذا الفن يعرف عند المغول بأسم (ياي وجداميشي) ويعرف هذا النوع من الاحجار بأسم (جده) أو (يده)، وهي خرافة استمر بها الاعتقاد زمنناً طويلاً. الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٨٢؛ رشيد الدين، جامع التواريخ تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص ٣٥؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ١٢١.
- (^{٨٧}) هناك بعض الشروط التي يجب ان تتوفر برسل الملوك: ان يكون الرسول ذكي الفطنة، صحيح المزاج، بصيراً بالأمر، عارفاً بالأحوال، عالماً بمواقع الكلام، صادقاً، قليل الطمع، فكم من دم سفكه الرسول بغير حلة، وكم من جيوش هزمت بذلك من نقض للرسل وما يأتون به من اكاذيب. للتقصيل اكثر انظر: الانصاري، تفريغ الكروب في تدبير الحروب، ص ٢١.
- (^{٨٨}) الايلجية: ومفردها (ايلجي) لفظة تركية - مغولية تعني رسول، استخدمت تارة لتدل على سعاة البريد السريع، أو مبعوثي القآن الأعظم وحاملي رسائله، وتارة تطلق على ممثلي البلدان الاخرى والمبعوثين من قبلها، ولكن الاغلب انها كانت تطلق على المبعوثين الذين ينقلون اوامر القآن والرسائل الرسمية. انظر: ك. هيوار، ايلجي، دائرة المعارف الاسلامية، ج ٣، ص ١٠١-١٠٣؛ عبد الرحمن فرطوس، الايلخان هولاقو، ص ٨٠.
- (^{٨٩}) قبال، تاريخ المغول، ص ١٢٤.
- (^{٩٠}) قبال، تاريخ المغول، ص ١٢٤.
- (^{٩١}) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ٩٩.

(٩٢) محمود الخوارزمي: هو فخر الدين ابو القاسم محمود بن محمد ، لقب بألقاب عدة منها الخوارزمي نسبة الى خوارزم التي ولد فيها ، وايضاً لما كان قد التحق بخدمة جنكيزخان قبل هجومه على أملاك الدولة الخوارزمية. وكان هذا الرجل يقوم بمهمة السفير والرسول جنكيزخان الى السلطان محمدخوارزمشاه، لقب بلقب " يلواج" وهولفظ تركي-مغولي بمعنى السفير او المبعوث . وكانت اول سفارة لمحمود الخوارزمي في سنة(٦١٤هـ/١٢١٧م) حينما حمل رسالة جنكيزخان إلى السلطان محمد ، ومنذ ذلك التاريخ بقي محمود في خدمة جنكيزخان ، وكان بمثابة مستشار ووزير له. للتفصيل عن سيرته انظر: ابن الفوطي ، تلخيص معجم الاداب في معجم الالقاب ، ق٣، ج٤، ص٣٩٨؛ خواندمير ، دستور الوزراء، ص٣٣٠-٣٣١ . بارتولد ، تاريخ الترك في اسيا الوسطى ، ص٩٩؛ فاسيلي يان ، جنكيزخان، ص٨٩؛ الصياد، المغول في التاريخ ، ص١٥٥. سعادهادي حسن ارحيم الطائي، اعلام امراء البلاط المغولي، ص٩٠-١٣٥ .

(٩٣) أبن كفرج بغرا: وهومن المسلمين وكان من بين احد رسل جنكيزخان الذي بعثهم للسلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه . للتفصيل عن سيرته انظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٨٧-٨٨؛ فاسيلي يان، جنكيزخان، ص١٢٣؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص٨٨ .

(٩٤) السلطان تكش: وهو السلطان علاء الدين تكش خوارزمشاه(٥٦٨-٥٩٦هـ/١١٧٢-١١٩٩م) الذي يعد المؤسس الحقيقي للدولة الخوارزمية الذي قضى على السلاجقة من خلال أنتصاره على آخر سلطان سلجوقي في بلاد فارس هو طغرل ابن أرسلان في عام(٥٩٠هـ/١١٩٤م). عن سيرته انظر: ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٠٩؛ تواريخ العبود، الدولة الخوارزمية، صص٢١-٣١

(٩٥) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٨٧؛ العزوي، تاريخ العراق ، ص١٠٨-١٠٩ .

(٩٦) ترکان خاتون : زوجة السلطان علاء الدين تكش خوارزمشاه ، وتنسب الى قبيلة كانكالي، التي كانت تسكن في شمالي إقليم خوارزم ، وانجبت له علاء الدين محمد ، وكان لهذه المصاهرة اثر كبير في السياسة الداخلية للدولة الخوارزمية في عهد علاء الدين محمد ، أذ نزع عدد كبير من كبار رجال هذه القبيلة الى اراضي الدولة الخوارزمية ، وتكونت منهم عصابة كبيرة في داخل الدولة اخذت تتحكم في وظائف الدولة ومواردها وتهاض قوى السلطان نفسه. انظر: النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص٦٢-٧٦. ولقب (خاتون) هو كلمة تركية تطلق على السيدة العريقة الاصل ، على نساء السلاطين والامراء والقادة . للتفصيل انظر : عماد الدين وتطلق عادة اسماعيل ابو الفداء (ت٧٣٢هـ/١٣١٣م) ، المختصر في اخبار البشر ، (بيروت :دار المعرفة ، بلا،ت)، ج٢، ص٤١٤. محمد التتويجي، المعجم الذهبي ، ص٢٣٠ .

(٩٧) دانشمند الحاجب : وهو رجل مسلم وكان من (المرتدة) أي العاملين في خدمة المغول، وكان رسول جنكيزخان ، وقد تزوج من (بتركان سلطان) شقيقة ازلاغ شاه ، عندما أسر جنكيزخان ترکان خاتون والاميرات ، وقام بتوزيع الاميرات على اتباعه. للتفصيل انظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٩٧؛ رشيد الدين، جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٧، ص٨٢، ص٩٠؛ بارتولد، ترکستان، ص٦٠٩، اقبال، تاريخ المغول، ص٧٩؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٦١.

(٩٨) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٩٣؛ وانظر ايضاً: بارتولد، ترکستان، ص٦٠٧؛ اقبال، تاريخ المغول ، ص٧٩؛ فاسيلي يان، جنكيزخان، ص٢٢٩.

(٩٩) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٩٣؛ بارتولد، ترکستان ، ص٦٠٧؛ فاسيلي يان، جنكيزخان، ص٢٣٠.

(١٠٠) ركن الدين كُرت: وهو جد أسرة حكام هرات المشهورة. بارتولد، ترکستان ، ص٥٨٨.

(١٠١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م١، ص١٣٠؛ بارتولد، ترکستان، ص٥٥٨.

(١٠٢) ابن الاثير ، الکامل في التاريخ، ج ١٠، ص٤٠٢؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص٨٥؛ بارتولد، ترکستان، ص٥٧٠-٥٧١؛ الرمزي، تلفيق الاخبار، م١، ص٣٥٣.

(١٠٣) تاريخ جهانكشاي، م١، ص١٠٤.

(١٠٤) اقبال، المغول، ص١٢٥.

(١٠٥) زرنوق: وهو بلد مشهور بما وراء النهر بعد خجند من اعمال تركستان .ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص١٣٩.

(١٠٦) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م١، ص١١٢-١١٣؛ العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ص١١٣.

(١٠٧) تاريخ جهانكشاي ، م١، ص١٤٦-١٤٧.

(١٠٨) جواسيس: مفردها (جاسوس) كلمة تدل على المعنى المعروف ،وهي ترد ملازمة مع كلمة (عين) بمعنى الرقيب الذي يرسل بين صفوف العدو لجلب الاخبار عنه. وقد شُرط في الجاسوس شروطاً يجب ان تتوفر به، منها ان يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه، وان يكون ذا حدس صائب وفراصة تامة، ليدرك بوفور عقله وصائب حدسه من احوال العدو ،ومنها ان يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة ليتوصل الى مايريد، وان يكون له معرفة بالبلاد التي يتوجه اليها فيكون غنياً عن السؤال عنها وعن اهلها، فأذا سأل ربما تنبه له العدو فيكون ذلك سبباً لهلاكه ،وان يكون عارفاً بلسان اهل البلاد التي يتوجه اليها ليلتقط مايقع من الكلام الذي يسمعه ممن يخالطه من العدو ، وان يكون صبوراً ليصبر على العقوبة اذا ظفر به العدو حتى لا يخبر بأحوال مرسله . للتفصيل انظر: الانصاري، تفريح الكروب في تدبير الحروب ، ص١٧-١٨؛ كانار، دائرة المعارف

الاسلامية(مادة جاسوس)، ص ٤٠١-٤٠٤، مفرج ، موسوعة عالم المخابرات (اصل الجاسوسية وتطورها)، ج ١، ص ٦٤.

- (^{١٠٩}) العربي، المغول، ص ٥٦؛ فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ٨٩.
- (^{١١٠}) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٤٦.
- (^{١١١}) حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٣٠.
- (^{١١٢}) أقبال، تاريخ المغول، ص ١١١.
- (^{١١٣}) أقبال، تاريخ المغول، ص ١١١؛ العربي، المغول، ص ١٥٠؛ فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ٩١.
- (^{١١٤}) طقوش، تاريخ المغول العظام، ص ٣٤.
- (^{١١٥}) فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ٩٨؛ حطيط، حروب المغول، ص ٦.
- (^{١١٦}) العزاوي، تاريخ العراق، ص ١٠٠؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ٢٤٩.
- (^{١١٧}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ٨٦؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ٧٩-٨٠.
- (^{١١٨}) بدر الدين عميد: وهو نائب السلطة المدنية بمدينة اترار ، وكان ينوب عن الصفي الاقرع، وزير السلطان ببلاد الترك، وكان ابوه القاضي العميد سعيد، وعمه القاضي منصور. النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ٩٢؛ بارتولد، تركستان، ص ٥٨٠.
- (^{١١٩}) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ٩٢؛ بارتولد، تركستان، ص ٥٨٠.
- (^{١٢٠}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٠٤.
- (^{١٢١}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١١٤؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص ١٦٩.
- (^{١٢٢}) دبوس: موضع مشهور يقع بين بخارى وسمرقند ، وصار يعرف فيما بعد ب(حصن دبوسي)، ولا تزال اثاره باقية. الجويني ، تاريخ جهانكشاي، ص ١١٥؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص ٢٨.
- (^{١٢٣}) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١١٥.
- (^{١٢٤}) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٠١؛ بارتولد، تركستان، ص ٥٩٦.
- (^{١٢٥}) تاريخ جهانكشاي، م ١، ص ١٢٩.
- (^{١٢٦}) علاء الدين: ويطلق عليه ايضاً اسم (علاء الملك) وكان حاكم مدينة قندز، الذي انظم الى جنكيزخان بسبب عداوته مع السلطان محمد خوارزمشاه. للتفصيل انظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٠١؛ بارتولد، تركستان، ص ٥٩٦.
- (^{١٢٧}) قندز: بلدة واسعة فيها كثير من البساتين والانهار ، وتعد احدى اهم مراكز طخارستان. للتفصيل انظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٣٩٠؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص ٢٣.
- (^{١٢٨}) -) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٠١؛ أقبال ، تاريخ المغول، ص ٧٦؛ بارتولد، تركستان، ص ٥٩٦.

- (^{١٢٩}) تاريخ جهانكشاي، ص ١٥٢؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٧٤.
- (^{١٣٠}) بهاء الملك: وهو ابن نجيب صاحب الظلمات في مرو، واطلق عليه لقب بهاء الملك بعد ان عين وزيراً للسلطان محمد بعد عزل مجير الملك شرف الدين مظفر عن منصب الوزارة لجريمة ارتكبتها عمه؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص ١٥٢.
- (^{١٣١}) المصدر نفسه، م ١، ص ١٥٢-١٥٤.
- (^{١٣٢}) بدر الدين لؤلؤ: هو مملوك ارمني الاصل اشتراه رجل خياط، ثم اصبح مملوك للملك نورالدين ارسلان شاه بن اق سنقر الاتابكي صاحب الموصل، تربي تربية اسلامية لقب ببدرالدين لؤلؤ، ولما توفي الملك القاهر اصبح بدر الدين وصياً على ابنه القاصر نور الدين ارسلان شاه، واستطاع بدر الدين التخلص منه واعلان نفسه اميراً على الموصل سنة (٦١٥هـ/١٢١٨هـ) وظل يحكم بها حتى قيام حكم المغول الايلخانيين. للتفصيل عن سيرته انظر: جمال الدين محمد بن علي بن الصابوني (ت ٦٨٠هـ/١٢٨١م)، تكملة اكمال الاكمال، تحقيق مصطفى جواد (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٩٥٧)، ص ١٧٠. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٥، ص ٤٦. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٩٩. وراجع ايضاً: سوادي عبد محمد الرويشدي، أمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص ٢٤.
- (^{١٣٣}) كان يضع في حسابه تعاضل الخطر المغولي واستفحالته، وادرك طبيعة هذا الخطر العظيم، لذا اتبع سياسة استرضاء المغول ومعاونتهم. للتفصيل انظر: سوادي عبد محمد الرويشدي، أمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، ص ٢٤٧؛ بدر، محنة الاسلام الكبرى، ص ١٤٢.
- (^{١٣٤}) ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص ٤٧. سوادي عبد محمد الرويشدي، أمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، ص ٢٥٠.
- (^{١٣٥}) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ٣٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٠٠. عبد الرحمن فرطوس، الايلخان هولكو، ص ٩١.
- (^{١٣٦}) الشحنة: وهي وظيفة عسكرية استحدثها السلاجقة خلال حكمهم لأيران والعراق، وقد زادت اهميتها في العهد المغولي من خلال حكمهم للمالك الاسلامية، وهي اقرب ماتكون الى منصب الحاكم العسكري ومن واجبات صاحبها المحافظة على الامن العام والتصدي للثوار واعمال التمرد في المدن والقبض على الجناة، والمشاركة للدفاع ضد الاخطار الخارجية التي تحدث في الولايات. للتفصيل انظر: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٣٣، ص ٤٨٤. محمد رضا الشبيبي، اصول الفاظ اللهجة العراقية، ص ٤٦. عبد الرحمن فرطوس، العراق في عهد محمود غازان، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ١٠٥.
- (^{١٣٧}) فاسيلي يان، جنكيزخان، ص ٢٢٨.

- (^{١٣٨}) توشا باسقاق: وهو احد قادة المغول .الجويني ،تاريخ جهانكشاي ، م١، ص١١٩؛ بارتولد، تركستان، ص٦٠٤.
- (^{١٣٩}) تاريخ جهانكشاي ، م١، ص١١٩؛ بارتولد، تركستان، ص٦٠٤.
- (^{١٤٠}) جينتييمور: هو احد قادة المغول المشهورين تعود اصوله الى قبائل القراخطاي ، كان له دور عسكري كبير منذ سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) عندما شن المغول حملاتهم العسكرية على المشرق الاسلامي، ونظراً لأهمية الدور العسكري الذي قام به من خلال فرض سيطرته على العديد من مدن اقليم خراسان ، وقد لمع نجمه لاسيما بعد ان قلده جوجي خان منصب الشحنة على تلك المدن .
للتفصيل انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص١٠٤-١٠٥؛ رشيد الدين ، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ، ص٤٩-٥٠؛ سعاد الطائي، اعلام امراء البلاط المغولي، ص١٩٦-٢٠٧.
- (^{١٤١}) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ، ص٤٩.
- (^{١٤٢}) كَنت (شهر كنت): مدينة في طرف تركستان قريبة من مدينة جند الواقعة على نهر سيحون ، بينها وبين خوارزم عشرة ايام او اقل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٧٨.
- (^{١٤٣}) الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م١، ص١١٩.
- (^{١٤٤}) الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م١، ص١٦٧؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٥٠.
- (^{١٤٥}) الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م١، ص١٥٣.
- (^{١٤٦}) علي خواجه : وهو احد اعيان مدينة قشودان ، التي كانت تقع قرب بخارى وما زالت موجودة في اوزباكستان الروسية ، وكان من المسلمين الذين رافقوا المغول منذ البداية وكان من بين الرسل الذي بعثهم جنكيزخان الى محمد خوارزمشاه. الجويني، تاريخ جهانكشاي، م١، ص١٠٦؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٨٣؛ بارتولد، تركستان، ص٥٩١.
- (^{١٤٧}) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م١، ص١٠٦.
- (^{١٤٨}) سرخس : وهي مدينة كبيرة تقع بين مرو ونيسابور ، بناها سرخس بن جودرز، واهلها من الاغنياء وكثيرة الخيرات ، لكن لا ماء لها في الصيف إلا من الابار، وينسب اليها احمد بن الطيب السرخسي الحكيم .للتفصيل انظر: القزويني، اثر البلاد واخبار العباد، ص٣٩٠.
- (^{١٤٩}) شمس الدين: وهو قاضي مدينة سرخس وكان يلقب ب(شيخ الدين) ، وابنه بهلوان ابي بكر ديوانه الذي قام بأشغال فتنة في سرخس، لقتل ابيه. للتفصيل انظر: الجويني ،تاريخ جهانكشاي، م١، ص١٥٥؛ بارتولد، ص١٦٠.
- (^{١٥٠}) تاريخ جهانكشاي ، م١، ص١٥٥.
- (^{١٥١}) وهي ادنى مراتب الاوسمة الخانية . الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م١، ص١٥٥. حاشية (١)
- (^{١٥٢}) المصدر نفسه ، م١، ص١٤٧.
- (^{١٥٣}) المصدر نفسه ، م١، ص١٤٨-١٤٩.

المسيحية في شمال الحجاز ووسطه ٤٥٠-٦١٠م

د. ليث شاكر محمود

أستاذة على صالح

مقدمة البحث وإشكاليته

حظيت المسيحية باهتمام العرب قبل الاسلام وبعده وبسبب بعض المواقف الايجابية التي حملتها المسيحية من الاسلام فان انتشار المسيحية وسط الجزيرة العربية كان بدعم حينما ابدى الغساسنة رغبة شديدة في نقل المذهب اليعقوبي نحو بلاد العرب فان بالمقابل المناذرة النسطوريين، وأهم معقل لها الحيرة النازلة فيها قبائل لخم وتتوخى لقد ارتبطت الحيرة بعلاقات طيبة تجارية ومجتمعية مع شمال الحجاز ووسطه فضلا عن ارسالها اساقفة عرب للتبشير بالمسيحية؛ لذلك فان تجار الحيرة كانوا يصدرون بضائعهم الى مكة التي تشهد اسواقها رواجاً في الأشهر الحرم من السنة و التي ياتي اليها الناس من كل بقاع الدنيا للتبضع، وايضا الحج كون هذه الشعيرة موجودة قبل الاسلام ولكن بشكل يختلف عن الاسلام وبروز شخصيات مهمة كان لها اثر منها كورقة بن نوفل وعثمان بن حويرث الذين كانا يمثلان من رجالات الديانة المسيحية في مكة قبل الاسلام.

وتبرز اهمية الموضوع من ان ان المسيحية في الحجاز لها مواقف إيجابية من القبائل العربية في وسط الحجاز وشماله وانتشاره بينهم و كيفية اعتناق القبائل العربية المسيحية بل حتى من اوصلها اليهم هل الرسل ام العلاقات التجارية ام الاندماج الفكري ام الارتباطات ام المصاهرات فضلا عن الجانب التجاري الذي ترتبت عليه معاهدات تتعلق بحماية القوافل التجارية، او قد تكون بدوافع سياسية مدفوعة من الساسانيين والبيزنطيين في شبه الجزيرة العربية باهداف مختلفة لتحقيق اهدافهم السياسية عبر دعم المسيحية النسطورية من قبل الساسانيين او المذاهب الاخرى كالمكانية واليعقوبية من قبل البيزنطيين، ونتيجة لذلك نستطيع ان نقول ان هذه

العوامل مجتمعة اسهمت في انتشار المسيحية في شمال ووسط شبه الجزيرة وفي مدن الحجاز الرئيسية. ونستطيع ايجاز بعض الاشكاليات وفق ما يلي:

١. لم تلق المسيحية اهتماماً ملحوظاً في المؤلفات العربية الاسلامية الاولى بل حتى في الدراسات الحديثة والمعاصرة.

٢. على وفق هذه الرؤية تولدت الدافعية لدى الباحثة في التصدي والبحث لموضوع المسيحية في وسط الجزيرة العربية كون الديانة المسيحية ديانة سمحة تدعو الى السلام ولا تدعو الى القطيعة مع وجود الديانة اليهودية المنافسة لها، ومما لاشك فيه ان المسيحية تأثرت ببعض الأفكار اليهودية فظهرت طوائف مسيحية شملت معتقداتها رؤى وافكار يهودية كالفرقة الابيونية السائدة في وسط الحجاز.

٣. ان شحة المعلومات عن المسيحية في مؤلفات المؤرخين العرب والمسلمين الأوائل وتحديدًا عن وسط شبه الجزيرة العربية؛ دفعنا للبحث والتقصي من مصادر أخرى كالمصادر المسيحية المعاصرة للاسلام مما يؤكد مذهبنا اليه ان المسيحية موجودة بقوة في وسط شبه الجزيرة العربية في مكة ولا سيما مع وجود صورة مريم العذراء وعيسى على جدران الكعبة.

٤. لذلك تحتاج قراءة و دراسة وابحاث مسهبة ومتأنية للوصول الى ما يكفي لالقاء صورة شاملة عن اوضاع المسيحيين العرب قبل الاسلام. وبناء على ذلك سيرتكز موضوع البحث على قراءة لاهميته

المبحث الأول

قراءة جغرافية لانتشار المسيحية في شمال ووسط الحجاز

في هذا المبحث نتناول تاريخ وجود المسيحية بين القبائل العربية وأعالي الحجاز ووسطه وفقاً للبعد المكاني، بسبب انتقال المسيحية من بلاد الشام، وسنركز الحديث على أهم الأماكن وأسماء القبائل العربية المسيحية. وتحديدًا في أجزائه الشمالية المتاخمة إلى بلاد الشام، بسبب طبيعة التداخل الاجتماعي بين القبائل الحجاز وسوريا قبل الإسلام وتحديدًا طوال القرون (الثالث والرابع والخامس) الميلادية التي شهدت نزوح قبائل عربية كالأزد التي استقرت في يثرب (الأوس - الخزرج) وأزد بلاد الشام (غسان) في سوريا، لذلك أدت القبيلة الأخيرة في التبشير بالمسيحية مع أخواتها القبائل القضاعية القاطنة في أعالي الحجاز وسوريا.

ونسلم من روايات المؤرخين اليونان، ولاسيما سوزميتوس أن المسيحية بين قبائل العرب في شمال الحجاز معروفة في القرن الرابع الميلادي، إذ عرف الأساقفة العرب ب(أساقفة الخيام) أو (أساقفة المضارب)؛ ولذلك اشتركوا في المجامع الكنسية وفقاً لما جاء في التاريخ السعدي^(١).

وينقل لنا المؤرخ العربي المسلم اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) تاريخ روايات واضحة عن مسيحية القبائل الحجازية القاطنة في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية والشامية مثل ((طيء، بهراء، وكلب وسليح وتنوخ وغسان ولخم)) لكنه لا يحدد تاريخاً معيناً لذلك ولا تفاصيل عن معتقدات تلك القبائل وكيفية اعتناقهم المسيحية^(٢).

دخلت المسيحية الحجاز منذ عهد الرسل الحواريون. فقد جاء في سيرة ابن هشام^(٣) إن ((الحواري ابن ثلما بعث إلى الإغرابية وهي أرض الحجاز)). ونقل الطبري: "وكان ممن توجه من الحواريون ابن ثلما إلى الإغرابية وهي أرض الحجاز))^(٤).

والمؤسسات المسيحية الواسعة كانت قائمة على حدود الحجاز منها دير هند في الحيرة، وكانت راهباته تعد بالمئات؛ وأديرة نجران وكان رهبانها يعدون بالمئات. وكانت مهمتهم التبعد والتبشير بالتوحيد المسيحي، وكان الخطباء منهم يغزون أسواق العرب في الجاهلية يخطبون فيها ويدعون إلى عبادة الله الأحد. وقد نقلت أخبار الحجاز كيف كان أساقفة نجران يردون عكاظ ويدعون لدينهم^(٥).

وقد دخل المسيحية فريق كبير من عرب الحجاز في أيلة ودومة الجندل ووادي القرى وتيماء ومعان ويثرب ومكة والطائف؛ ومع ذلك لم تقم لهم فيها مؤسسات كنسية، وأسقفيات موطدة كما في الشمال والجنوب ما خلا أيلة ودومة وتيماء؛ ويعود ذلك إلى العبادات الطوطمية الذي كان مسيطرا على الحجازيين في كعبة مكة لمنافع مواسم الحج؛ ولما أراد محمد (ﷺ) في آخر عهده أن يمنع المشركين من حج البيت، خشي المسلمون في مكة من الفقر والجوع ومع ذلك فقد تطبعت المسيحية بطبيعة البادية وجعلت للعرب الرحل أساقفة يرحلون معهم، سموهم ((أساقفة المضارب)) وقد وقع بعضهم على أعمال المجامع المسيحية بهذه الألقاب: ((فلان أسقف أهل الوبر)) ((وفلان أسقف القبائل الشرقية المتحالفة)) ((وفلان أسقف عرب البادية)). وذكر المؤرخ سوزمنوس، منذ القرن الرابع، ((إن في بعض قرى العرب ودساكرهم أساقفة))^(٦) فكيف بهم في أواخر القرن السادس الميلادي وقد لا ينطبق هذا القول على عرب الحجاز، غير إن اليعقوبي نقل لنا شهادة ثمينة، قال: ((وأما من تتصر من أحياء العرب فقوم من قريش. ومن اليمن: طيء وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم))^(٧)، فذكر صراحة عن مسيحية فريق من قريش، قبيلة النبي الحاكمة في مكة وكعبتها، وفي تجارتها وديانتها.

١. ان المذهب النسطوري في العراق والعجم مال إليه مسيحي الحيرة. وكان عرب الحجاز يسـمـونهم "العبـاد" أي عبـاد عيسـى^(٨).

أيلة:

أورد البلدانون العرب معلومات وافية عن هذه المدينة العربية المسيحية ولاسيما البكري (في القرن الخامس الهجري)، في كتابه معجم ما استعجم أبو لغدة الأصفهاني (القرن الرابع الهجري) في كتابه (بلاد العرب) كذلك الحموي (القرن السابع الهجري) في معجمه البلدان^(٩).

ووردت أخبار مفصلة عن القبائل العربية المسيحية في أيلة كبلي وبهراء وبلقين وعذرة في كتب الأنساب العربية، ولاسيما (ابن الكلبي) في كتابيه (نسب معد واليمن) و(جمهرة النسب الكبير)، كذلك ما أورده الحموي (في المقتضب، النسب)، وفيها نصوص واضحة على أنساب تلك القبائل ومسيحياتها؛ ويزيد أصحاب الحوليات الإسلامية نصوصاً قليلة هشة منقوصة عن مسيحية تلك القبائل القاطنة في أيلة^(١٠)، ومنها نجد في تاريخ اليعقوبي والطبري والمسعودي، وجل ما ذكره هؤلاء المؤرخون لا يعدو تكراراً لما ورد في كتب السيرة سيرة النبي محمد (ﷺ) لا سيما ما ذكره ابن هشام في (السيرة النبوية) ومن جاء من بعده (ابن كثير) في (سيرة النبوية) أو (تاريخه) وخلاصة ما جاء في تلك المصادر:

إن ملك مدينة أيلة (يوحنا بن رؤبة) كان اسقفاً مسيحياً على تلك القبائل وفد على الرسول محمد (ﷺ) في تبوك سنة (٩هـ/٦٣٠م) فصالحه على الجزية على أن يؤدي كل حالم ديناراً ذهبياً كل سنة^(١١).

يؤيد هذا المشهد المؤرخ محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ) في كتابه الطبقات، حينما يقول إن يوحنا كان ملكاً لا أسقفاً^(١٢)، والواقع إن ابن سعد ومن سبقه لم يكونوا يفرقوا بين مفهومى الأسقف والملك؛ كما إن كل رجل دين مسيحي في بلاد الشام أو أعالي الحجاز كان يمثل أهل مدينته أو تبعية المدن والقرى التابعة له بدليل إن القرى (أذرح وجرباء) العربية في شمال الحجاز كانت تابعة لمدينة أيلة ويبدو إن الأخيرة كانت أسقفية مسيحية، لكنها لم تفوض (يوحنا بن رؤبة) التفاوض مع الرسول

محمد(ﷺ) لذلك شخصت إلى تبوك أثر سماعها بنبأ دخول صاحب أيلة في السلم والصلح مع المسلمين^(١٣).

وهذا اكبر، دليل على مسيحية أيلة ووجود الصليب على صدره (صليب من ذهب كعادة الأساقفة والمصالحة على الجزية)^(١٤).

ويؤيد هذه الشهادة ابن سعد^(١٥) فيجعل الوافد ملكاً لا أسقفاً؛ بيد إن ذكر الصليب على صدره يدل على إنه أسقف لا ملك: "وكان (يوحنا) ملك أيلة. وأقبل معه أهل جرباء وأذرح، وعليه صليب من ذهب؛ فصالحهم وقطع عليهم جزية معلومة"

٢. دومة الجندل

من أهم المدن العربية في شمال الحجاز، كانت ملتقى للطرق التجارية القادمة من العراق وبلاد الشام ووسط الحجاز واليمن^(١٦)، لذلك قطنتها مجموعة من القبائل العربية أبرزها (كندة، وكتب)، وتنافست كل من الكنيسة الحيرية العراقية والكنائس الشامية لنشر الديانة المسيحية بين أبنائها العرب، إلا إنها على ما يبدو كانت تميل إلى الكنائس السورية بسبب طبيعة التداخل الاجتماعي بين قبائل كلب القاطنة فيها مع قبائل وبطون كلب التي تصل منازلها حول دمشق وفي البادية السورية حول تدمر، كذلك بسبب قرب بلاد الشام إلى هذه المدينة، وحول تدمر، ولا يغفل للعامل الاقتصادي مكانته في ترصين علاقتها ببلاد الشام، كل هذه العوامل مجتمعة أدت إلى ارتباط هذه المدينة بمسيحية عرب الشام وهذا يفسر لنا مواقف أبناء قبائلها العربية المسيحية الذين وقفوا مواقف سلبية من الفتح الإسلامي بدءاً من عصر الرسول محمد (ﷺ) واله وتحديداً من سنة (٦٢٧هـ/٦٢٧م) وحتى سنة (٦٣٠هـ/٦٣٠م) وانتهاءً بحروب الردة وفتوح الشام (العهد الراشدي زمن الخليفة أبي بكر وعمر (رضي الله عنهم)).

عموماً لنا أن نعود لنسلط الأضواء على تاريخ أبنائها العرب المسيحيين في صدر الإسلام، فوقفا للمصادر العربية والإسلامية، ولاسيما كتب السيرة وفي مقدمتهم ابن هشام في (السيرة النبوية) حينما ذكر غزوة تبوك سنة (٦٣٠هـ/٦٣٠م) ذكر إن خالد بن

الوليد أسر أكيدر بن عبد الملك من قبيلة كندة وكان ملك المدينة يدين بالمسيحية؛ وكان حينها يصطاد البقر، جلبه أسيراً إلى تبوك فصالح محمد (ﷺ) على الجزية^(١٧).

وما يهمنا هنا هو أسماء القبائل العربية المسيحية في المدينة وعدد أبنائها، إذ إن كتب الإنساب تذكر لنا إن قبيلة كلب كانت تفوق كندة في العدد والعدة؛ وكان حينها نصف أبنائها في دومة الجندل يدينون بالمسيحية^(١٨).

كان على دومة أسقف. وقال ابن هشام في حديثه عن غزوة تبوك: ((ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة. وهو أكيدر بن عبد الملك، رجل كندة، وكان ملكاً عليها، وكان مسيحياً... فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول ﷺ. فأخذته؛ وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قباء من ديباج مخلوط بالذهب))^(١٩).
-معان:

تحددها كتب البلدان إنها في الطرف الجنوبي لبلاد الشام وأعالي الحجاز وتحديدًا من نواحي البلقاء - جنوب الأردن الحالي - نزلتها قبائل عربية ككلب وبهراء وبلقين وجذام وقضاة ودانوا بالمسيحية^(٢٠)، وكانت تحت سيطرة ملوك الشام من قبائل قضاة في القرون الخمسة الميلادية الأولى، وفي القرن السادس الميلادي أصبحت خاضعة لملوك غسان؛ الذين عدوها حامية وحاجزا مهماً لحماية الحدود البيزنطية من هجمات القبائل العربية الوثنية. لذلك قاتل أبناء هذه المدينة في بهراء وكلب وبلقين وعذرة وكلب ضد كل السرايا والغزوات الإسلامية، وتحديدًا سرية (زيد بن حارثة الكلبي) ربيبة الرسول محمد (ﷺ) الذي ينتمي إلى قبيلة نزلت هذه المدينة، واستشهد زيد بن حارثة في البلقاء عند تخوم هذه المدينة، ويظهر إن هذه المدينة العربية المسيحية كانت محصنة وفيها حامية بيزنطية أيضاً استمرت في قتال المسلمين في عصر الرسول (ﷺ) وتحديدًا في مقارعة سرية عمرو بن العاص سنة (٦٣٠هـ/٦٣٠م) المتجهة لمقاتلة قبائل قضاة الشام، وللأثر من قتلة المسلمين في مؤتة^(٢١).

- تيماء^(٢٢):

وهي بلدة قديمة في واحة كثيرة الماء في شمال الجزيرة العربية وقد ذكر امرؤ القيس في ديوانه مزارع وابنية تيماء بقوله:- وتيماء لم يترك بها جزع نخلة ولا أطما الا مشيدا بجندل^(٢٣)

وكانت تيماء كغيرها من واحات شمالي شبه الجزيرة فنزل المهاجرون اليهود والرهبان المسيحيين والمتهودين (كالسؤال) صاحب حصن الابلق^(٢٤).

وكانت مدينة حصينة لأهل الكتاب من يهود ومسيح. وكان فيها مساكن قبيلة طيء المسيحية العربية وفيها مركز اسقف وقد خضعت للجزية بعد غزوة خيبر^(٢٥). وكانت بدل السؤال صاحب الابلق الفرد؛ وهوية السؤال الدينية مجهولة^(٢٦)، ويظهر من اسمه (صموئيل) انه يهودي ويرجح انه كان على المسيحية، اصلا او هداية، بسبب اصله الغساني وذكره تلاميذ المسيح في شعره، واثنان امرؤ القيس له على اخته وادرع^(٢٧).

- تبوك:

من أهم المدن لشمال الحجاز نزلتها قبائل قضاة (كلب وبهراء وعذرة وتغلب) وهي قريبة بين وادي القرى وبلاد الشام (ﷺ)^(٢٨)، وأمن أبنائها العرب بالمسيحية، وفي سنة (٩هـ/٦٣٠م)، وكانت القبائل العربية المسيحية الشامية تتجدها بمساعدات لمقاتلة المسلمين، دخلها الرسول محمد (ﷺ) واله في ذلك العام ومكث فيها (٤٠ يوماً) صالح أهلها على أداء الجزية والخراج وعتدت أراضيها الغير مزروعة ملكاً عاماً للمسلمين، وأبقيت أراضيها المزروعة بيد ملاكها شريطة دفع الضريبتين المذكورتين^(٢٩).

وفيها تم مصالحة مسيحي أيلة وجرباء وأذرح ودومة الجندل، وهم من أبناء قبائل بهراء وبلقتي وعذرة وجدام وكلب المسيحية.

وتبوك مكان حصين بين وادي القرى، والشام يسكنه مسيح قضاة كما نقل ابن خلدون عن ابن سعيد، وجاورهم فيها بنو كلب بن قبيلة تغلب المسيحية. ((كان لقضاة ملك اخر في كلب ابن وبرة بن تغلب يتداولونه مع السكون من كندة. فكانت

لكلب دومة الجندل وتبوك. ((ودخلوا في المسيحية))^(٣٠).

- وادي القرى:

يقع في شمال المدينة نحو بلاد الشام، وأهم قراه الحجر وديدان، نزل قراه اليهود^(٣١)، وأبناء قبائل قضاة المسيحية من (سليح)^(٣٢) - وبهراء^(٣٣) وبلي^(٣٤) وعذرة^(٣٥) وكلب^(٣٦) وبطون كلب).

كان أبناؤها المسيحيون العرب مرتبطين بالبعثات التبشيرية المسيحية القادمة من بلاد الشام، و خضعت لسلطة دولة الرسول محمد (ﷺ) سنة (٦٢٨هـ/٦٢٨م)، بعد خضوع خيبر، لذلك أدى أبناؤها الجزية والخراج معاً منذ ذلك التاريخ إلى المسلمين^(٣٧).

ونسلم في أخبار سنة (٦٣٠هـ/٦٣٠م) إن الرسول محمد (ﷺ) مرّ بها دونما قتال في أثناء مسيره إلى تبوك، وهذه دلالة على خضوع هذه القرى إلى سلطته الفعلية، سكنه اليهود أولاً. ثم قضاة وسليح المسيحيين. وقد جاء في الاغانى ان المسيح منعوه من اليهود، والعرب غير المسيح.

ونحن منعنا ذا القرى من عدونا وعذرة اذ نلقى يهودا وبعثرا
منعناه من عليا معد وانتم سفاسيف روح بين قرح وخيبرا
فريقان: رهبان بأسفل ذي القرى وبالشام عرافون ممن تنصّرا^(٣٨)
يشير البيت الاخير أعلاه الى وجود رهبان مسيحيين عرب فى قرى وادى
القرى وهذه المفردة تشير الى عدد كبير من اساقفة الخيام العرب القاطنين هناك.

المبحث الثاني

المسيحية بين قبائل شمال الحجاز

١- دومة الجندل وقبائلها المسيحية

في دومة الجندل سكنتها قبائل مسيحية من كلب وكندة وروي ان بدومة الجندل جمعاً كثيراً من العرب، وانهم يظلمون من مر بهم من الصافطة^(٣٩) وكان بها سوق عظيم وتجار ويفد اليهم قوم من العرب كثير^(٤٠).

وقبيلة كلب القضاعية من أكبر القبائل العربية المسيحية المنتشرة في شمال شبه الجزيرة العربية ووسطها والتي استقرت في موطنها في نهاية القرن الخامس الميلادي في حدود (٥٠٠م)^(٤١)، ((فهي كلب بن وبره بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة))^(٤٢)

ولم تكن كلب وحدها في دومة الجندل التي تدين بالمسيحية في المدينة بل هناك قبائل أخرى مثل طيء^(٤٣) وجذيلة^(٤٤) وبسبب ارتباط قبيلة كلب بعلاقات تجارية وسياسية مع مدينتي مكة والحيرة، وبسبب علاقتها التجارية مع الحيرة رسخت المسيحية فيها عن طريق البعثات التبشيرية المسيحية العراقية.

وبهذا الصدد يذكر المرزوقي في كتابه بأن التجارة كانت تنطلق من مكة الى دومة الجندل حيث يسلك طريق يسمى الحزن^(٤٥)، وهذا الطريق ساعد على قدوم أساقفة الخيام في العراق، فإن التجارة قديماً كانت تقوم على التحالفات بين القبائل مثلاً كلب وتميم لحماية السلع والقوافل التجارية المارة من هذه الطرق^(٤٦).

هذه الأسواق شهدت عملية نقل الأديان والأفكار والآراء السائدة لدى هؤلاء التجار لاسيما المسيحيون ابناء قبيلة كلب، لذلك مثلت هذه الاماكن مراكز للتبشير بالمسيحية ولتوعية الناس وارشادهم للايمان بالدين المسيحي^(٤٧) فضلاً عن وصول الرهبان والنساك منهم قس بن ساعدة الإيادي^(٤٨) الذي كان يؤمن بالله الواحد ويدعوا الى عبادته ونبذ الطوطمية^(٤٩). فالأسواق هي ملتقى التجار من بقاع مختلفة منها

تجار العراق والشام والحجاز واليمن^(٥٠)، فمن ابناء قبيلة كلب ممن بشر بالمسيحية في الحيرة هو قراد بن جدع الكلبي^(٥١). والذي ساعد على اعتناق ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء (٤٣١-٤٧٣م) المسيحية^(٥٢) وبني دير عرف بدير حنه^(٥٣).
يادير حنه عند القائم^(٥٤) الساقبي

الى الخورنق^(٥٥) من دير ابن بارق^(٥٦)

ومنهم الفرافصة بن الاحوص المسيحي^(٥٧) اب لنانلة زوجة عثمان بن عفان (ﷺ) مسيحية قبل الاسلام ثم اسلمت^(٥٨) وايضاً الشاعر المسيحي بحدل بن انيف^(٥٩) وابو ريان^(٦٠).

ومنهم من اتخذ من العراق موطناً لهم وبشكل خاص الحيرة المنطقة القريبة من الأبلّة النازلة فيها بني تميم وهم بنو عامر ((عامر بن بكر بن عامر بن عوف بن عذرة فيهم الشاعر عثث بن بشر بن هيرة^(٦١)))^(٦٢).

هذا ماجاء ذكره عند العلامة ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) فيقول: ((كانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في النصرانية))^(٦٣).

٢-مسيحية كنده في دومة الجندل

ترجع قبيلة كنده القحطانية التي هاجرت من موطنها اليمن الى وسط شبه الجزيرة العربية واستطاعت ان تمتلك مكانة مرموقة و متميزة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين اذ امتزجت كنده مع كلب بعد وصولها الى دومة الجندل^(٦٤) واخذت باعتناق المسيحية التي جاءت اليها بواسطة الاساقفة والرهبان المعروفين بأساقفة الوبر والخيام^(٦٥) ومنهم أي من كنده بنو سكاسك من اعتنق المسيحية وهم (اشرس بن سكاسك بن ثور بن كنده)^(٦٦) ومنهم (اكيدر السكوني صاحب سوق دومة الجندل) وله اخ اسمه بشر بن مالك^(٦٧) فتزوج (الصهباء بنت حرب اخت أبو سفيان)^(٦٨) فعلم أبوها (حرب الكتابة وجماعة من قریش)^(٦٩)،

وبذلك فتح عصر الكتابة في الحجاز^(٧٠). ولا يستبعد انه تعلّم السريانية الى جانب العربية ونقل تعاليم الديانة المسيحية النسطورية الى مكة.

وهكذا نفهم ان اهل الحيرة تعلموا الخط منهم بذلك يعني ان قريش لها دور في نشر الخط الحيري في مكة وعن طريقها تم نشر المسيحية، يعني ان الخط الحيري يرتبط بالخط السرياني بمعنى انهم كانوا دعاة للمسيحية في الحجاز ومكة على وجه الخصوص^(٧١) وتزوج بشر اخ واكيدر المسيحي من الصهباء اخت ابو سفيان زعيم مكة قبل الاسلام^(٧٢)؛ لذلك فإن كنده اخذت على عاتقها مهمة نشر المسيحية في وسط الجزيرة العربية من منتصف القرن الخامس الى منتصف القرن السادس الميلادي (٤٥٠-٥٥٠م)^(٧٣) وفضلا عن علاقات المصاهرة منها زواج هند بنت الحارث بن عمر بن حجر بن اكل المرار الكندي (٤٦٠-٤٩٥م)^(٧٤) من النعمان بن المنذر ملك الحيرة (٤١٨-٤٦٢م) فأنجبت له عمرو (٥١٣-٥٦٢م)^(٧٥).

٣. المسيحية بين ابناء عذره في وادي القرى

وادي القرى طريق للقوافل التجارية القديمة الذي يقع بين يثرب والشام^(٧٦)، فهو مساكن لقبيلة عذره المسيحية التي تنتسب الى (عذره بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة)^(٧٧) اتخذت من هذا الوادي الكبير أماكن مختلفة للسكن منها ماورد عند الاصفهاني بقوله بأن حمسى^(٧٨) لقبيلة عذره^(٧٩) ومعان^(٨٠). المدن الأخرى، وهناك بعض قبائل عذره من وصل الى يثرب وجاور قبيلة طيء التي تحدثنا عنها في الفصل الثالث وكيفية إعتناقها المسيحية ومن أشهر من ينتمي اليها وعرف بجوده وكرمه هو حاتم الطائي المشهور في الامثال العربية ثم نصل الى حرة ليلي^(٨١).

والمرجح منها هو الطريق الثالث الأخير لنشر المسيحية واستقبال المسيحية في العراق وبلاد الشام ووجود اثار للكنائس، ودليلنا على هذا الطريق، وجود آثار

الكنائس والرهبان بين الشام ويثرب^(٨٢) وايضا الاضاحي^(٨٣)، في حين يضيف الاصفهاني بأن الجنب^(٨٤) موضع لقبيلة عذرة القضاعية^(٨٥).

لقد وفرت هذه المستقرات الواحات او محطات الاستقرار لهذه القبائل مناطق آمنة و سكن قريبة شجعت أساقفة الخيام للتبشير بالمسيحية بحرية تامة من دون قيود، فإن دخول عذرة المسيحية كان على ثلاث طرق، الاول عبر ايله^(٨٦) وهي سلسلة جبال حتى تصل وتدخل الى وادي الجزل^(٨٧). اما الطريق الثاني سلكه النساك والرهبان لاسيما القادمين الى الحجاز يعني بذلك اساقفة الخيام من العراق والشام المتوجهين شمال الحجاز. فهو طريق لحجاج العراق الذي يقع بين الشام ويثرب^(٨٨). ولقد أدت عذرة ذات الديانة المسيحية دوراً كبيراً في تثبيت دعائم سلطة ونفوذ قصي بن كلاب حينما استتجد بهم لتثبيت سلطته في مكة، ولانستبعد ان دور المساندة لقصي سمح لرجالاتهم المسيحيين في التبشير بحرية تامة في مكة ولا سيما ووسط الحجاز عموماً. بدليل ان أبرز من ينتمي الى قبيلة عذرة هو ((رزاح بن ربيعة بن حزم فهو اخ لقصي بن كلاب من امه))^(٨٩).

٤- المسيحية بين ابناء قبيلة بهراء في وادي القرى في القرنين السادس والسابع الميلادي

كما حظيت المسيحية ترحيباً وانتشاراً لدى القبائل العربية وتحديداً بهراء القضاعية التي يرجع نسبها الى ((بهراء بن الحاف بن مالك بن قضاة وامهم بكمة بنت مر بن ادد بن خندق))^(٩٠). ونزلت قبيلة بهراء بطيء من قضاة^(٩١) في شبه الجزيرة العربية وتحديداً الى الشمال من قبيلة بللى^(٩٢). إن اعتناق بهراء المسيحية بتأثير القبائل المجاورة لها، ومنها عذرة في وادي القرى^(٩٣). هذا ما أكدته الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) على ان بهراء وعذرة مسيحيتان كانت تؤدي الجزية^(٩٤).

وهذا يعني لنا ان الغالبية العظمى من ابناء بهراء كانوا على المسيحية لان تلك الروايات تتطوي على بيانات مستندة الى وقائع مجتمعية وقتذاك ووفقاً لرواية اليعقوبي (ت:٢٩٢هـ) فإن (المسيحية كانت منتشرة في احياء من العرب منها بهراء)^(٩٥).

وروى بأن المسيحية كانت معروفة منذ القرن الأول الميلادي بحسب رأي الدباغ ((تنصرت قضاة وانصاعت الى الرومان الذين اخذوا يستعملونها على البادية الشامية والراجح ان ذلك كان في القرن الاول الميلادي ومنها بهراء))^(٩٦).
اما رأي الدكتور جواد العلي فيقول (تعد بهراء في جملة القبائل العربية المنتصرة عند ظهور الاسلام)^(٩٧).

وبسبب هيمنة قبيلة بهراء على الطرق التجارية بين بلاد الشام (حمص) حتى منازلها بعد ايله ساعدها على الهيمنة على القوافل التجارية القادمة ويعني ذلك بأنها أدت دوراً في المبادلات التجارية قبل الاسلام^(٩٨) واسهم ذلك في تسريع عملية دخول المسيحية الى بهراء وذلك عن طريق اتصالها ببلاد الروم^(٩٩). ولكون المسيحية عانت من انقسام الاراء والافكار. وممن كان ينتمي الى بهراء المقداد الأسود^(١٠٠)، والشاعر الحكم بن عمرو^(١٠١).

المبحث الثالث

المسيحية في وسط الحجاز

١ - المسيحية في مدن مهبط الوحي

كتبت الباحثة غادة عثمان مقالة علمية رصينة في جامعة سان دياغو كاليفورنيا بعنوان: "معتقي المسيحية في مكة والمدينة قبل الاسلام"، دراسة تحقيقية في ضوء المصادر العربية ناقشت فيها بروز مكة والمدينة في نهاية القرن الخامس وبداية القرنين السادس والسابع الميلاديين كمدينتين تجاريتين اقتسمت علاقاتها علاقات تجارية وثولوجية بما فيها دخول المسيحية لانيابها^(١٠٢).

كانت ظروف الشام قد حملت بعض المسيحيين غير العرب على النزوح الى مكة والاقامة بها وكذلك قيام تجار مكة بشراء بعضهم من الرقيق لحاجتهم الاقتصادية فمن الممكن الا يكون هذا الأمر مقتصرًا على مكة ولاسيما ان المدينة أقرب الى الشام من مكة مما جعل النازحين من الاسرائيليين من الشام يفضلون الإقامة في المدينة كما ذكرنا سابقاً. فتذكر احدى الروايات ان صانع منبر الرسول (ﷺ) كان نجاراً رومياً اسمه ياقوم وكان مقيماً في المدينة^(١٠٣)، وفي يثرب على عهد النبي (ﷺ) بعض النصاري الذين بقوا على دينهم، وقد عرض الرسول على بعضهم الاسلام ولم يفرضه عليهم فأبوا الا النصرانية فقسم أموالهم نصفين فأخذ نصفها وترك لهم حريتهم الدينية وبقي بعضهم متردداً بين الاسلام والمسيحية ثم اسلموا في عهد ابي بكر (رضي الله عنه)^(١٠٤)، وكانت بين غساسنة الشام وقبيلتي الاوس والخزرج اليتريين صلات نسب ومحالفات قبل الاسلام لأن الجميع يرتبطون بقبيلة الازد اليمانية وقد نصرهم وامدوهم بجند من الشام اثناء صراعهم مع اليهود، وربما بقي الكثير من هؤلاء الجند ومعظمهم من المسيحيين في يثرب ولم يعودوا لبلادهم بعد انجاز مهمتهم وربما حاول من هؤلاء الجند التبشير بالديانة المسيحية بين ابناء عموماتهم.

وقد بقيت هذه العلاقات الطيبة بين الغساسنة والاولس والخزرج حتى بعد انتشار الاسلام في المدينة فكانت هدايا جيلة بن الايهم مثلاً لا تقطع عن شاعر النبي(ﷺ) حسان بن ثابت على الرغم من دخوله الاسلام وانقطاعه عنهم^(١٠٥).

يثرب

تذكر المصادر التاريخية ان الكنيسة الشرقية العراقية أرسلت إرساليات تبشيرية من الحيرة- الى دومة الجندل ثم وادي القرى وصولاً إلى يثرب- وأقاموا مطراناً فيها وكانت ثلاث كنائس على أسماء الانبياء (إبراهيم ، موسى ، وأيوب)^(١٠٦).

دخلت المسيحية يثرب شيئاً فشيئاً وتمكنت فيها ونافست اليهودية. قال دروزة في السيرة: ان كل ما يمكن ان يستفاد من الروايات ان المسيحية الذين لقيهم امحمد(ص) في يثرب قليلون جداً، قد لا يتجاوز عددهم مئات ، وقال الشهرستاني: ((الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم أهل الكتاب والأميون - والأمي من لا يعرف الكتابة - فكانت اليهود والمسيحية بالمدينة والاميون بمكة))^(١٠٧).

ووجدت بعض الادلة لدى الباحثين العرب والمستشرقين على وجود المسيحية في يثرب منها ما جاء لدى المستشرق فلهاوزن فيقول ((كان الجو مهيباً لمحمد (ﷺ) في المدينة هياًة اليهود والمسيحيون، فقد كان فيها كثير من اليهود وكانت قائمة على حدود ذلك ذلك القسم من بلاد العرب الذي يخضع للآثر اليوناني - الروماني وللآثر المسيحي - الارمني))^(١٠٨).

في حين يرى لويس شيخو بأن هناك بعض ما يؤكد مسيحية يثرب واعتناقها المذهب النسطوري، وهو وجود اديرة. ويقول ((ان النساطرة اقاموا ديراً في يثرب وانه كان فيها كنائس على اسم ابراهيم الخليل وايوب الصديق وموسى الكليم))^(١٠٩).

وتذكر الروايات التاريخية ان المبشرون المسيحيون كانوا يجوبون شبه الجزيرة العربية وانهم قد وردوا مكة لذلك من المعقول ان يذهب هؤلاء الى مكة ولا يذهبون الى يثرب وهي اقرب من مكة الى الشام مركز المسيحية وحلفاء الروم المسيحيين، وخاصة ان دولة الروم قد شجعت على التبشير هناك لكسب العرب الى صفها من الناحية

الدينية ضد الفرس في قتالهم معهم، ومن المحتمل أيضاً ان هذه الآيات عنت بهؤلاء المسيحيين ان يكونوا عرباً مسيحيين من أهل يثرب، كما كان الأمر في مكة أو عرباً من غير أهلها قد جاؤوا وأقاموا فيها لظروف اقتصادية وغير اقتصادية (١١٠)، وتذكر الروايات التاريخية ان أبا قيس بن ابي أنس من بني النجار كان رجلاً قد ترهب (ترهبين) في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة واعتزل الحائض من النساء وأهتم المسيحية ثم امسك حتى قدم رسول الله (ﷺ) يثرب فأسلم (١١١). وان أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان من بني عمرو ابن عوف من الأوس، وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيداً قد (ترهبين) في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي (ﷺ) المدينة كان له معه خطب طويلاً فخرج في خمسين غلاماً فمات على المسيحية بالشام (١١٢).

١. الشواهد المسيحية في مكة قبيل الاسلام:

وفي وصف دقيق لمحتوى الكعبة من الاصنام والتماثيل ورد لدى الازرقى اذا قال: " . وزوقوا سقفها وجدرانها من بطنها ودعائمتها، وجعلوا في دعائمها صور الأنبياء وصور الشجر وصور الملائكة، فكان فيها صورة ابراهيم، شيخ يستقسم بالأزلام، وصورة عيسى بن مريم وأمه، وصورة الملائكة. وذكر بعض من أدرك الكعبة قبل عام الفتح أنه رأى في البيت تمثال مريم وعيسى مزوقاً في حجرها عيسى ابنها قاعدا مزوقاً. ورأى في البيت اعمدة ست سوري. وكان تمثال عيسى بن مريم ومريم في العمود الذي يلي الباب. وأعدوا اليها هبل وقرني الكبش، وكسوها حين فرغوا من بنائها حبرات يمانية وبالوصائل" (١١٣).

ولم تذكر كتب الأخبار _ ويا للأسف _ أصول تلك الصور. أكانت صوراً مستوردة أستوردت من بلاد الشام أو من العراق؟ أم كانت صوراً محلية، نقشها رسامون ومصورون كانوا يسكنون مكة على حائط البيت أو على الواح علقت على الجدران؟ وربما لا يستبعد أن تكون تلك الصور من مخلفات تلك السفينة اليونانية التي تحطمت عند ((الشعبية)) في ساحل الحجاز كما تذكر كتب السير والأخبار فأشترى

أهل مكة بقاياها ونقلوها الى مكة، كما أستعانوا ببعض من كان فيها لمساعدتهم في بناء الكعبة، فقد ورد في بعض الأخبار أن تلك السفينة المنكوبة كانت تحمل صورا ورخاما وفسيفساء لأستعمالها في كنائس اليمن. فلعل قسما منها، وهو القسم الذي خلاص من الغرق، نقل الى مكة، وكان نصيبه وضعه في الكعبة.

وقد أزيلت الأصنام والأوثان وصور الأنبياء والملائكة عام الفتح، كلها وطمست معالمها كلها في معظم الروايات الواردة من عام الفتح، ألا روايات تذكر أن الرسول أمر بثوب، قبل بالماء، وأمر بطمس تلك الصور، ووضع كفيه على صورة عيسى بن مريم وأمه، وقال امحو جميع الصور، ألا ماتحت يدي فبقيت صورة عيسى. وروايات أخرى تذكر أن تمثال عيسى ومريم بقي الى أن هلك في الحريق الذي وقع في ايام ابن الزبير. ورواية تذكر أن امرأة من غسان حجت في حجاج العرب، فلما رأت صورة مريم في الكعبة، قالت: بأبي وأمي انك لعربية. فأمر رسول الله أن يمحو تلك الصور، إلا ماكان من صورة عيسى ومريم. وروايات أخرى تذكر أن الرسول قد أمر بطمس جميع الصور حتى صورة مريم وعيسى. ولكن الطمس لم ينزل الصور تماما، فبقي أثر بعضها، حتى أزيل في زمن الخليفة عمر^(١١٤).

٢. الرهبان والقساوسة المسيحيون في مكة

ذكر المؤرخ الألماني الشهير يوليوس فلها وزن في كتابه (المعتقدات الدينية عند العرب قبل الإسلام) روايات كثيرة عن وجود للمسيحية في مدينة مكة، إذ وردت مفاهيم كنسية بـ (المطارنة، الكهنة والشمامسة، والقساومة)، كان من بين هؤلاء عدداً من القريشيين المسيحيين وحلفائهم للأجانب من عبيد ورقيق أو تجار مبشرين، أو حرفين، صناع في مكة فيها نتيجة الحروب الدائرة بين القبائل العربية الوثنية والمسيحية في شمال الحجاز إذ إن تلك البقعة شهدت مزيجاً من المعتقدات الدينية الطوطمية- اليهودية- والمسيحية، لذلك جلب أتباع القبائل العربية المسيحية الأخرى إلى مكة فتم بيعهم، إذ إن تلك القبائل المسيحية كانت تعرض أبناءها والأسر، لذلك يباعون في أسواق مكة^(١١٥) وطبقاً لما ذكره اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) في تاريخه إن

عدداً من الرهبان والشمامسة المبشرين قدموا إلى مكة فطلبوا الناس، لذلك عدد من أبناء قريش من (بني أسد بن عبد العزى) منهم: (عثمان بن أسد بن عبد العزى)^(١١٦)، وعد (ورقة بن نوفل) من جملة المسيحيين واستحكم في المسيحية وقرأ الكتب السماوية ومات عليها. ولذلك دتركت المسيحية بصماتها على شواهد مكة وصيغتها^(١١٧)، فمن بين الأصنام والأوثان ٣٦٠ الشاخصة في الكعبة كان صورة إبراهيم خليل الرحمن بهيئة شيخ يستقيم الأزلام، وصورة الملائكة عليهم السلام، وفي سنة (٨هـ/٦٢٩م) حينما دخل الرسول محمد ﷺ مكة: أرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثم أمر بثوب؟ وأمه عليهما السلام، وقال: ((أمو جميع الصور إلا ما تحت يدي، فرفع يديه عن عيسى بن مريم وأمه- ونظر إلى صورة وإبراهيم فقال: قاتلهم الله جعلوه يستقيم بالأزلام ما لإبراهيم والأزلام))^(١١٨).

قال عنها بعض المؤرخين بأنها على الوثنية يعبدون الأصنام ويقال إن لهم صنم في مشارق الشام يقال له: الجلسد كانوا يحجون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده^(١١٩).

وبعضهم الآخر كان يدين المسيحية كجميع عرب الشام^(١٢٠).

وكان المسيحيون ممن ساعدوا في بناء المسجد الحرام (إن ملك الروم بعث بمائة عامل ومائة مثال ذهب وأربعين حملاً من الفسيفساء فبنوا المسجد وجعلوا طوله مائتي ذراع في مثلها)^(١٢١). وبذلك بأن أشهر من ينتمي إلى المسيحية من الأوس والخزرج هم بنو حارثة^(١٢٢).

ولا سبيل أيضاً إلى إنكار وجود المسيح في مكة: "والمعروف بالهام القرآن، أنه كان عدد غير يسير من حوالي النصف مستوطنين في مكة؛ ولقد ذكرت روايات السيرة وكتب التراجم أسماء كثيرة للكتابيين الذين اندمجوا في الدعوة في مكة تحمل طابع الأسماء المسيحية. كما أن الروايات ذكرت قدوم وفد مسيحي إلى مكة بعد البعثة مستطلعاً نبأ النبي العربي^(١٢٣).

وقد ذكر اليعقوبي، كما رأينا، أن "ممن تتصر من أحياء العرب قوم من قريش" ويخص بالذكر منهم بني أسد بن عبد العزى^(١٢٤).

وذكر الفيروزبادي في تاج العروس موضعاً في مكة يعرف "بموقف النصراني" ويدلنا الأزرقى على مقبرة المسيح في مكة: "مقبرة النصارى دير المقلع على طريق بئر عنبة بذي طوى". والمقلع جبل بأسفل مكة على يمين الخارج إلى المدينة^(١٢٥). وروى أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني إن البيت الحرام كان له في عهد بني جرهم خزانة، وهي بئر في بطنه يلقى فيها الحلى والمتاع الذي يهدي له، وهو يومئذ لاسقف عليه^(١٢٦). ولعلها كانت بئر ماء المعمودية.

و((أشار الأخباريون إلى وجود مسيح من الروم لم يكونوا يتقنون العربية في مكة وفي نواحي عديدة من جزيرة العرب. وبعضهم أرسلهم القياصرة للتبشير^(١٢٧))) وقد ذكر الأخباريون والمؤرخون وجود جالية حبشية في مكة، يسمونهم ((الأحابيش النصارى)) وكان ((الحليس)) سيداً عليهم في عهد النبي. وقال حسين هيكل: ((كانت مكة إذ ذاك مقام جالية حبشية لعلها نصرانية يدعى أفرادها الأحابيش. وكان بلال مؤذن الرسول منهم^(١٢٨))).

وليس بصحيح كذلك أن الكتابيين كانوا بمكة "عبيدا" كما يزعم حسين هيكل وامثاله ليقفلوا من تأثير ونفوذ الدعوة التوحيدية الكتابية في مكة "وكان المسيح واليهود بمكة عبيدا كما قدمنا. فكان مقامهم بهذه المنازل البعيدة عن الكعبة المتاخمة للصحراء ولذلك كان ما يتحدثون به من قصص دينية عن المسيحية واليهودية بعيدا عن أن يتصل بسمع امجاد قريش واشراف اهل البلد الحرام"^(١٢٩).

ويرى هيكل أن نشاط الدعوة المسيحية الذي حملها إلى اقاصي البلد يكن ليردها عن الحجاز ومكة^(١٣٠). ويعلم منافسة اليهود والمسيح على نشر التوحيد الحاجز، وتخوف اليهود من انتشار الدعوة القرآنية: "لقد كان اليهود ابصر خصوم بتعاليمه وبمصير دعوته وأكثر تقديرا لما يصيبهم بانتصاره. فهم كانوا في العرب دعاة التوحيد. وكانوا ينافسون المسيحيين سلطانهم ويأملون مغالبتهم"^(١٣١) فلا يكونون عبيدا

من يتنافسون على السيطرة على العرب في المدينة والحجاز والجزيرة كلها بالدعوة الدينية والسياسية.

وويستطرد هيكل ان نشاط الدعوة المسيحية الذي حملها إلى اقاصي البلد يكن ليردها عن الحجاز ومكة^(١٣٢). ويعلم منافسة اليهود والمسيح على نشر التوحيد الحاجز ، وتخوف اليهود من انتشار الدعوة القرآنية: "لقد كان اليهود ابصر خصوم بتعاليمه وبمصير دعوته واكثر تقديرا لما يصيبهم بانتصاره. فهم كانوا في العرب دعاة التوحيد. وكانوا ينافسون المسيحيين سلطانهم ويأملون مغالبتهم"^(١٣٣) فلا يكونون عبيدا من يتنافسون على السيطرة على العرب في المدينة والحجاز والجزيرة كلها بالدعوة الدينية والسياسية.

ويعلم حضرة الدكتور وامثاله ان دعوة محمد في مكة لم تنجح لأن السيادة فيها للمشركين. وانما نجحت في المدينة لأن السيادة فيها للموحدين من اهل الكتاب. فقد استدعاه عرب يثرب لينافسوا بدعوتها زعماء اهل الكتاب عندهم ويظهروا بها عليهم وينافسوا به مكة وقريش على زعامة عرب الحجاز. وقد نجحت دعوة مكة حيث كانت دعوة اهل الكتاب مسيطرة "كان اتصال الجوار والتجارة في يثرب بين اليهود والعرب من شأنه ان يجعل اوس يثربها وخزرجها اكثر استماعا للدعوة في الشؤون الروحية وفي سائر شؤون الدين من غيرهم من العرب. يدل على ذلك ان العرب لم تستجب لدعوة محمد الروحية مثلما استجابت يثرب"^(١٣٤).

٣. ملامح انتشار المسيحية في مكة (ورقة بن نوفل) و (عثمان بن الحويرث) كإنموذجين:

سبق ان تحدثنا عن اجواء مكة وطبيعتها بل حتى عن أهم القبائل النازلة فيها وعن علاقاتها في الجوانب الحضارية والثقافية والاجتماعية بل حتى التجارية منها^(١٣٥).

لذلك، اخترنا نموذجا عن كيفية وصول هذه القبائل المسيحية واعتناقها، ويمثل زهير نموذجا اخر في تبنيه الطابع التوحيدي في شعره بشكل بارز وواض.

ويبدو ان مبعث ذلك يمكن في طبيعة زهير نفسه وما روي عنه من خلق قويم، فهو يؤمن بالموت قدرا يتربص بالانسان وان كرهته النفس^(١٣٦)، ويؤمن بان الله الحق، ويدرك ان الخلود ليس من نصيب الانسان وانما هو الله وحده^(١٣٧).

اما ليبيد بن ربيعة العامري فأنة يرسم خطأ عريضا للاتجاه التوحيدي في شعره لسلامة معتقده، وايمانه بالله ايمانا لا حدود له، فالامور جميعا مردها الى الله وكل شي عداه باطلا^(١٣٨). وهو يحمد الله كثيرا، لأنه الماجد والمحمود، له الفواضل والنوافل^(١٣٩) ويحث على ضرورة قناعة الانسان بما اختاره الملك له^(١٤٠) الى جانب اعتقاده بأن مرجع الامور جميعا الى الله سبحانه وتعالى. فالناس اليه راجعون وكل شيء قد احصي في كتاب^(١٤١).

وتضمن علينا المصادر والمراجع التي بين ايدينا بالاخبار والروايات التي يمكن ان تساعدنا في تلمس الابعاد الكاملة لشخصية ورقة، وتلقي الاضواء على نشأته ونبوغه. اذ ان معظم هذه الروايات لا تقدم لنا سوى لمحات يسيرة واخبار مقتضبة عنه. وهي تكاد تكون حالة عامة في ادبنا يشترك فيها ورقة مع كثيرين غير من الشعراء المقلين والمغمورين، ممن طواهم النسيان، ولف ذكرهم غابر الازمان.

نقلت لنا سيرة ابن هشام ((ان قريشا اجتمعت يوما بنخلة قرب الطائف تحيي عيد العزى. فخلص منهم اربعة نفر نجيا، وهم ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو. فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله ما قومكم على شيء! لقد اخطأوا دين ابيهم ابراهيم! أما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع؟ يا قوم التمسوا لكم دينا غير هذا الدين: فإنكم والله ما انتم على شيء! فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم. فإما ورقة فدخل المسيحية))^(١٤٢) وقيل انه نال بعضا مما في الاناجيل. وما عبيد الله بن جحش فظل فيما هو عليه من الالتباس، حتى اسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة، وهناك اعتنق المسيحية ومات عليها^(١٤٣).

فهو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي^(١٤٤)، وهو ابن عم خديجة زوج النبي (ﷺ) لَحَا^(١٤٥)، وامه هند بنت ابي كبير بن عبد بن قصي^(١٤٦)، وتحدثنا الاخبار ايضا عن اخ لورقة يدعى صفوان^(١٤٧)، ((واخت اسمها رقية بنت نوفل وتكنى (ام قتال)^(١٤٨) والتي ابدت رغبتها - كما تؤكد ذلك الروايات التاريخية في الزواج من عبد الله بن عبد المطلب، والد الرسول (ﷺ) لا عجابها به، وافتنانها بشخصيته^(١٤٩).

ويبدو ان ام قتال هذه كانت تلازم اخاها ورقة في مجالسه وحالات انقطاعه بدليل سماعها منه توقعه نبوة الرسول (ﷺ)^(١٥٠). واخت ثانية تدعى ((قتيلة بنت نوفل وكانت مثل اخيها تنظر في الكتب أي الكتب القديمة ويردون لها كتب اهل الكتاب))^(١٥١)، وتشير الاخبار ايضا الى ان ورقة لم يترك بعده عقباً.

وتكاد تكون هذه ابرز الملامح التي امكنا تكوينها من بين الاخبار التي بين ايدينا، وهي قليلة جدا لا تعيننا على تكوين فكرة واضحة لنشأته وتكوينه، سوى بعض الروايات التي تتعرض للمراحل الاخيرة من حياته بعد ان اصبح شيخاً كبيراً، فاقتدا نعمة الابصار، وهي تؤكد ابتعاده عن عبادة الاصنام واعتناقه للمسيحية، وقراءته للكتب، وتضلعه في العبرانية، (اذ كان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء ان يكتب)^(١٥٢).

وكانت تربطه مع الطائفة التي عرفت باعتناقها الحنفية صلات قوية مثل مندامته لزيد بن عمرو بن نفيل^(١٥٣) وابدائه مشاعر الترقب والشوق والحنين لظهور دين جديد^(١٥٤) وقصته في تفسير رؤيا الرسول (ﷺ) لخديجة هي من ابرز المرويات عنه. اذ انه اخبرها حينما سألته عن تلك الرؤيا قائلاً: (والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتني يا خديجة، لقد جاءه الناموس الاكبر، الذي كان يأتي موسى، وانه لنبي هذه الأمة، فقول لي له: فليثبت)^(١٥٥). وفي هذا دلالة واضحة على مدى الايمان الذي كان يغمر قلب ورقة، ويملاً احساسه بهذا الشعور الصادق والتطلع الواثق لنبوة الرسول (ﷺ) ويؤازره في جهاده وصبره ، بقوله : (ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصراً يعلمه)^(١٥٦).

وقد قدر لورقة ان يدرك ذلك اليوم، بعد ان هزم وشاخ وكلّ بصره، لكثرة تبخره وتضلعه في ديانتته المسيحية التي وجد فيها تعبيراً عن الحقيقة التي كانت تشغل نفسه وتأسر قلبه. غير ان من المثير حقاً في حياة ورقة واخباره لم ترد اي اشارة عن اسلامه او حتى مجرد لقائه بالرسول (ﷺ) سوى ما ورد في قوله:
فقال حين اتانا منطقاً عجباً

يقف منه اعالي الجلد والشعر

وهو امر لا نستطيع ان نجزم من خلاله بحقيقة لقاء ورقة بالرسول (ﷺ). غير ان ذلك لم يمنع ورقة من تصديق الرسول واقرار بعثه، وصراحته في دعوة المشركين الى اتباع الى طريق الحق والهداية، والايمان بتصديق النبي الي بشر به موسى وعيسى عليهما السلام.

وتبقى مسألة عدم اسلامه مثيرة للتساؤل والنقاش، اذ ان ما اظهره من مشاعر الترقب والشوق للاسلام، تتضاءل وتقل اهميتها حين نعلم انه هو الذي بشر خديجة بنبوة الرسول وان حياته امتدت الى ما بعد مبعث الرسول (ﷺ). الا اننا نلتمس تعليلاً لذلك. فالرجل كما تذكر جميع المصادر كان مسيحياً وانه افنى عمره في تدبر مبادئها واحكامها، وقراءة كل ما يتعلق بها ، كان انه ادرك الاسلام وهو شيخ كبير، فماذا ينتظر من شيخ قصى عمره متفقها في عقيدة لا تختلف من حيث الجوهر مع ما جاء به الاسلام. وهي فيما يبدو اسباب منطقية كانت تمنعه من ولوج الاسلام.

واستمر على مسيحيته حتى سطع نور الاسلام على ربي الجزيرة وفلواتها، بعد ان هزم، وصار شيخاً كبيراً، فبقي على مسيحيته ولم يسلم^(١٥٧)، ولكن مشاعره وعواطفه كانت مع المسلمين يتوجع لمصائبهم، ويتألم لمواجعهم، على نحو تأثره لما اصاب بلال وترحمه عليه حينما كان يعذب بمكة^(١٥٨).

ولعل هذه الحقيقة تسقط الروايات التي رأت ان وفاته كانت قبيل مبعث الرسول (ﷺ)^(١٥٩)، والراجح انه امتد به العمر الى السنوات الأولى من عمر الرسالة

(١٦٠) ويؤكد ذلك ما رواه البخاري في صحيحه قوله: (ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي) (١٦١) ونص عليه لويس شيخو في ذهابه الى ان وفاته كانت في (٥٩٢)م دون ان يحدد الادلة والبراهين التي دفعته الى هذا التحديد الدقيق (١٦٢).

وكان لورقة مكانة طيبة في نفس الرسول (ﷺ) تؤيد ذلك الاحاديث المروية عنه (ﷺ) في هذا الشأن، ويؤكدته تخصيص ابي الحسن برهان الدين ابراهيم البقاعي الشافعي (٨٨٥) هـ تأليف وضعه في ايمان ورقة - كما يذكر ذلك البغدادي في خزانته - سماه (بذل النصح والشفقة، للتعريف بصحبة السيد ورقة) (١٦٣). غير ان هذا الكتاب لم نوفق في العثور على اية اشارة تؤكد وجوده، سوى ما ذكره البغدادي عنه، ونقله الزركلي عنه، في اعلامه (١٦٤)، وفؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي (١٦٥).

فكان في مقدمة هذه الامثلة هو ورقة بن نوفل (١٦٦) ابن عم السيدة خديجة الكبرى زوجة رسول الله (ﷺ) (١٦٧) اما ورقة بن نوفل فكان مسيحياً يقرأ الانجيل ويعرف الكتابة بالعبرانية وكان شاعراً (١٦٨).

٤ - عثمان بن حويرث:

وكان عثمان بن الحويرث (١٦٩) قد خرج الى بلاد الشام واعتنق المسيحية. المعروف بـ (البطريق) (١٧٠) من انه طمع في ملك مكة، فلما عجز عن ذلك، خرج الى قيصر فسأله ان يملكه على قریش، وقال: احملهم على دينك، فيدخلون في طاعتك، ففعل وكتب له عهدا وختمه بالذهب، فهابت قریش قيصر، وهموا ان يدينوا له ثم قام الاسود بن المطلب ابو زمعة فصاح والناس في الطواف، ان قریشا لقاح لا تملك تملك وصاح الاسود بن اسد بن عبد العزى (١٧١)، الا ان مكة حي لقاح لاتدين لملك، فانتسعت قریش على كلامه، ومنعوا عثمان مما جاء له ولم يتم له مراده فمات عند ابن جفنة، فانتهمت بنو اسد بن جفنة بقتله، وابن جفنة عمرو بن جفنة الغساني (١٧٢) (٥٢٨-٥٦٩م).

ولم يكن عثمان بن الحويرث أول زعيم جاهلي فتن بالملك وبلقب ملك الحبيب الى النفوس، حتى حمله ذلك على استجداء هذا اللقب والحصول عليه باية طريقة

كانت ولو عن سبيل التودد الى الاقوياء الغرياء والتوسل بهم لمساعدتهم في تنصيبهم ملوكا على قومهم^(١٧٣).

ففي كتب الاخبار والتواريخ اسماء نفر كانوا على شاكلته، فتنهم الملك واعماهم الطمع وحملهم ضعف الشخصية وفقر النفس حتى على التوسل الى الساسانيين والروم لتنصيبهم على قومهم ومنحهم اللقب الحبيب، ووضع التاج على رأسهم وفي مقابل وضع انفسهم وقومهم في خدمة السادة المساعدين اصحاب المنة والفضل^(١٧٤).

لقد استمات عثمان بن الحويرث في سبيل الحصول على ملك مكة حتى ذكر انه تنصر وتقرّب بذلك الى الروم، وحسنت منزلته عندهم ومن يدري لعله كان مدفوعا مأمورا حرصه الروم ودفعوه للحصول على المدينة المقدسة ليتمكنوا بذلك من السيطرة على الحجاز والوصول الى اليمن والسيطرة بذلك على العربية الغربية والعربية الجنوبية، واخضاع جزيرة العرب بذلك لنفوذهم مع القوم ورغبتهم وانذرهم وحذرهم غضب الروم عليهم ان عارضوا مشروعه قاوموا تنصيبه ملكا عليهم قائلا لهم: (يا قوم..! ان قيصر قد علمتم امنكم لبلاده وما تصيبون من التجارة في كنفه، وقد ملكني عليكم، وانا ابن عمكم واحدكم وانما اخذ منكم الجراب من القرظ والعكة من السمن والاولهاف، اجمع ذلك ثم اذهب اليه، وانا اخاف ان ابيتم ذلك ان يمنع منكن الشام، فلا تتجروا وينقطع مرفقكم منه)، وبعد افترى تهديدا اشد من هذا التهديد وتصميما على التملك باية طريقة كانت اقبح من هذا التصميم^(١٧٥).

ولعل لقبه (البطريق) الذي عرف عثمان بن الحويرث به هو من افضال اليونان عليه، اعطوه اياه فعلا او قولاً لاسترضائه وكسبه.

ولا يعقل ان يكون لقباً دينياً له بالطبع، وقد كان الروم يقدقون الالقاب على الرؤساء وسادات القبائل لكسبهم وشرائهم، وهي القاب اسمية فخري، ليست لها بالطبع الدرجة والمنزلة التي يتمتع بها من يحمل هذه الدرجة من الروم^(١٧٦).

الابيونية

الابيونية كلمة تعني الفقراء فهي باقية من عادات وتقاليد اليهودية التي كانت سائدة اختلطت مع المسيحية الذي وصل بفضل الاساقفة والرهبان المدعومين من الدولة الرومانية والتي وفرت لهم جميع الاحتياجات من الناحية المادية والمعنوية^(١٧٧) للقيام بالتبشير في المناطق البعيدة والترحل مع القبائل اينما ذهبوا فلذلك عرفوا باساقفة الخيام او الوبر^(١٧٨) اما راي يوسابيوس القيصري في الابيونية ((فهم اعتبروا انسانا بسيطا عاديا تبلور فقط بسبب فضيلة السامية))^(١٧٩) تبلورت افكارهم حول السيد المسيح بانه آله وانسان وانهم يعترفون بشريعة موسى و ينكرون الوهية عيسى (عليهما السلام) كونا كان قد ولد كباقي البشر بصفات معدة ليكون آلهة ولكن لم يولد من ام عذراء^(١٨٠) بمعنى إنه رسول من الله جاء لتحقيق العدل وانقاذ البشرية من الظلام^(١٨١).

ويعتقدون ايضا بأن "المسيح نزل على يسوع يوم عماده في الاردن وفارقه قبل استشهاده" يعني ذلك بأن مسيح عيسى ابن مريم قد مات؛ وبذلك تكون معتقداتهم قريبة من معتقدات المسلمين اما عقائدهم الطاهرة فان هذه الفريضة واجبة على كل الاديان السماوية كاليهودية والمسيحية والاسلام^(١٨٢).

اذن تتقارب رؤى الابيونية مع المسلمين ازاء المسيح (ﷺ)^(١٨٣) وتختلف الاحكام بحسب الحالة تتطلب غسل الجسد بأكمله منها النجاسة والحدث والحيص والمرأة الحامل^(١٨٤) فعليهم تجنب امورا كثيرة منها الصلاة^(١٨٥).

١. اما في الروح فيعتقدون بأن السيد المسيح صعد إلى السماء وصوره بالملائكة أي تمثيله بالملائكة^(١٨٦). فهناك روايات حول صعود النبي محمد (ﷺ) في يوم الاسراء والمعراج إلى السماء.

٢. الرواية الثانية حول تفسير قول الله تعالى في الاية الكريمة فيه اسرى الرسول إلى المسجد الاقصى^(١٨٧).

الخمير فالايونيون يحرمون شرب الخمير حتى عندما يقدمون القران^(١٨٨).
وانهم حرموا الخمير كما حرمه الكهنة اليهود قبل القيام بأي فريضة وكذلك القساوسة
المسيحيين الذين كانوا على المذهب الايوني^(١٨٩).

٥ - ملامح انتشار المسيحية في الطائف، (عداس النسطوري) (٦١٨-٦١٩ م) القرن السابع الميلادي انموذجاً

الطائف، المدينة ذات الاهمية الاجتماعية والدينية بعد مكة والتي شهدت
احداثاً مهمة منها على الجانب الديني مانحن بصدده وهو انتشار المسيحية فيها،
وخير مثال على ذلك هو عداس^(١٩٠).

وعداس، شخصية دينية دخلت الدين المسيحي، وكان ممن يقرأ الانجيل عالماً
بأموره ويطبق تعاليمه حتى انه ذكر وتحدث عن نبوة النبي محمد، وكان ممن خرج
معه دعى الى عبادة الله الواحد الاحد^(١٩١)، ممن دعى له رسول الله (ﷺ) حين التقى
به وقال من اين انت ؟ فقال من نينوى، فقال (ﷺ) قرية الرجل الصالح يونس بن متى
ويوجد فيها دير عرف بدير يونس متى^(١٩٢).

الخلاصة

لعبت المدن والمواقع العامة في وسط شبه الجزيرة العربية بأدوار مهمة لاستقبال
المسيحية من العراق وبلاد الشام، إذ ان موقعها المتميز شهد اندماج ثقافات ومعتقدات
دينية متنوعة. بما فيها استقبال المبشرين المسيحيين أساقفة الخيام القادمين من العراق
من مدينة الحيرة ومن سوريا نحو اعالي الحجاز ووسط شبه الجزيرة العربية ، لا سيما
مدن دومة الجندل تبوك وتيماء وفدك وايلة ووادي القرى ويثرب ومكة ولعبت المدن
والقوافل والاسواق التجارية العربية من وسط شبه الجزيرة كتبوك وفدك ووادي القرى في
توفير حواضر آمنة لأساقفة الخيام العرب والنساطرة والمونفستيين واليعاقبة القادمين
إلى وسط بلاد العرب ادوارا مهمة في التبشير او التجارة في أسواق بلاد العرب
المعروفة كدومة الجندل ووادي القرى ويثرب ومكة لنشر الديانة المسيحية بين العرب
الوثنيين وبالمحصلة النهائية نستطيع القول ان العديد من القبائل العربية اعتنقت

المسيحية في شمال ووسط شبه الجزيرة العربية في تبوك ودومة الجندل ووادي القرى وإيلة ويثرب ومكة والطائف ولعل الأدلة الواردة من خلال أسماء القبائل كتميم وقبائل قضاة بلي وبهراء وعدرة وبلقين وكلب المنتشرة في تلك البقاع، فضلا عن أسماء القساوسة المشهورين كيوحنا بن رؤبة في إيلة وعداس في الطائف وورقة بن نوفل في مكة وعثمان بن الحويرث وغيرهم كل الأمثلة المذكورة أعلاه تشير بما لا يقبل الشك إلى وجود المسيحية على نطاق واسع في شبه الجزيرة العربية في القرون الرابع والخامس والسادس والسابع الميلادية.

الهوامش

(١) مؤلف مجهول، التاريخ السعدي، طبع من قبل معهد التراث الكردي - أربيل، سنة ٢٠١٠، ص ١٢١. كذلك ينظر:

--Wayhe, Bocon, H., The History of Savol, Arabia, (N.t., 1968), p. 23.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، ط ١، (دار صادر، بيروت، ت، بلا). ج ٢، ص ٢٩٧.

(٣) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت ٢١٣١هـ)، السيرة النبوية تعليق طه عبدالرؤف سعد، (دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م)، ج ١، ص ٤٤.

(٤) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، (دار المعارف، مصر). ج ١، ص ٧٣٨.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٥.

(٦) الحداد، حداد، الأستاذ، القرآن والكتاب، (ت.بلا).، ص ٥٩.

(٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ١: ٢٩٨.

(٨) حتي: حتي فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد، عبد المنعم رافق، اشرف جبرائيل جبور، ط ١، (دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٧م)، ج ١، ص ١٩٥.

(٩) محمود، ليث شاكر، المسيحية العربية وعلاقتها بالامبراطورية البيزنطية قبل الاسلام، مجلة جامعة الالزيغ كلية الاداب، (تركيا، ٢٠١١م)، ص ٢.

(١٠) محمود، ليث شاكر، دور قبائل قضاة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠٠١م)، ص ٥٣. كذلك ينظر:

--Street, William, A Short History of The Jews (England, 2006), P. 69.

(١١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٤٨؛ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، اعتنى به حسان عبد المنان (بيت الافكار الدولي، بيروت، ٢٠٠٤م). ص ١٤٤٤.

(١٢) السمعاني، بن اسعد عبد الكريم محمد منصور التميمي (ت: ٥٦٢هـ)، الانساب، الطبقات الكبرى، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المسلمي اليماني، ط ٢ (دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م)، ج ١، ص ٣٥٣.

(١٣) فنواطي جورج، المسيحية والحضارة العربية، ط ٢، (المؤسسة للدراسات والنشر، المنصور، بغداد، ١٩٨٤م)، ص ٥٧.

(١٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٤٨.

(١٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٥٤.

(١٦) ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م)، م ٣، ص ٤٨٧.

(١٧) محمود، دور قبائل قضاة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة، ص ٩٥.

(١٨) محمود، دور قبائل قضاة، ص ٩٥؛ كذلك ينظر:

-Irving, Washington, Mohammed, (N.t, 2007), p.102

(١٩) محمود، دور قبائل قضاة، ص ٩٨.

(٢٠) قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، ص ٥٧.

(٢١) مؤتة: قرية من البلقاء على مشارف الشام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ٥، ص ٥٢، البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت: ٧٣٩هـ)، مرصد الاطلاع على اسماء الامكنه والبقاع ، تحقيق: علي محمد البجاري، ط١، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٤٥م)، ج ٣، ص ١١٣٠.

(٢٢) البلاذري، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله انيس الطباع وعمر انيس الطباع (مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م)، ص ٩٩.

(٢٣) الكندي ، امرؤ القيس بن حجر بن الحارثة بن عمرو بن آكل المرار بن معاوية بن ثور (ت ٥٤٤م)، ديوان امرؤ القيس الكندي ،تحقيق مصطفى الشافعي ،ط٥، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٤م) ، ص ٤٥.

(٢٤) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ٢٨ وما بعدها.

(٢٥) هيكل، محمد، حياة محمد، ط٤، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٣٥م)، ٣٦٠.

(٢٦) حتي: تاريخ العرب، ج١، ص ١٥٢.

(٢٧) ابن عدياء ، السموال (ت٥٦٠م):. ديوان السموال ، نشره الاب لويس شيخو، ؟؟ ١٩٣٠، ص ١٥٠.

(٢٨) البكري ، ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت: ٤٧٨هـ) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا (عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٥م)، ج ١، ص ٣٠٣.

(٢٩) قنواتي، المسيحية والحضارة العربية الاسلامية، ص ٥٧.

(٣٠) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر، تحقيق المستشرق الفرنسي ١٠م كاترمتر، (مكتبة بيروت، لبنان، ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٢٤٩. محمود، دور قبائل قضاة ، ص ٩٦

(٣١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ٥، ص ٣٥٤.

(٣٢) سليح بن الحاف بن قضاة، ابن الكلبي، ابوالمنذر هشام بن محمد بن السائب (ت: ٢٠٤هـ)، نسب معد اليمن الكبير، تحقيق الدكتور ناجب حسن، ط ١، (المنار للطبع والنشر، بيروت، لبنان ١٩٨٨م)، ج ١، ص ٢١ - ٢٢، محمود ، دور قبائل قضاة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة، ص ٣٦.

(٣٣) بهراء، بن عمر بن الحاف بن قضاة بن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، الجزء الثاني، ص ٧٠٠ نقلا عن محمود ، دور قبائل قضاة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة، ص ٣٧.

(٣٤) ابن عمرو بن الحاف بن قضاة، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، الجزء الثاني، ص ٥٥٨. نقلا عن محمود، دور قبائل قضاة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة، ص ٣٧.

(٣٥) عذرة، بن زيد بن ربيعة، بن ثور، بن كلب، بن وبرة، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٥٥٨. نقلا عن محمود، دور قبائل قضاة .، ص ٣٧.

(٣٦) كلب بن وبرة بن تغلب بن عمران، بن حاف، بن قضاة، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٥٥٤. نقلا عن محمود، دور قبائل قضاة .، ص ٣٨.

(٣٧) محمود، دور قبائل قضاة، ص ١٣٩، ينظر:

. Schaff, Philip, The History of Christian Church, W.O. 1997, P.

54.

(٣٨) الحداد، القرآن والسنة، ص ٦٣.

(٣٩) الصافطة: جمع صافط، وهو الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن. ياقوت

الحموي، معجم البلدان ، مج ٣، ص ٣٨٩.

- (٤٠) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ)، المغازي، تحقيق مارسدن جونسون، ط٣، (بيروت، لبنان، ١٩٨٩م)، ج١، ص ٤٠٢-٤٠٤.
- (٤١) بلحاج، سلوى صالح، المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها الى القرن الرابع الهجري، ط١، (دار الطليعة، للطباعة بيروت، لبنان ١٩٩٧م)، ص ٤٣.
- (٤٢) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج٢، ص ٥٥٤؛ ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ج٢، ص ٤٥٥، د. محمود دور قبائل قضاة، ص ٩٢.
- (٤٣) طيء: بن ادد بن زيد بن يشعب، بن عريب، بن زيد بن كهلان، المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٤.
- (٤٤) جديلة بن معاوية بن عمرو بن عدس بن عمرو بن مازن بن الازد، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج٢، ص ٤٧٣.
- (٤٥) الحزن: طريق بين يثرب وخيبر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م٢، ص ٢٥٤.
- (٤٦) كستر، م. ج، الحيره وصلتها بالقبائل العربيه ترجمة: يحي الجبوري، (طبع على نفقة جامعة بغداد، ١٩٧١م)، ص ٥٦.
- (٤٧) ابو عيانة، فتحي محمد دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص ١٢.
- (٤٨) قس بن ساعدة الإيادي، ابن الكلبي، نسب معد واليمن، ج١، ص ١٢٥.
- (٤٩) ابن الكلبي نسب معد باليمن الكبير، ج١، ص ٥٥، وليد، طوغان، مدعو النبوة في التاريخ الاسلامي، (مطبوعات دار الخيال ، بلا ، بلا)، ص ٢٣.
- (٥٠) محمود، دور قضاة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة، ص ٩٣.
- (٥١) قراد بن جدع الكلبي، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج٢، ص ٦١٩؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت: ٦٢٦هـ)، المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تحقيق الدكتور ناجي محسن ، ط١، (الدار العربية

للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م)، ج ٢، ص ٦١٩؛ محمود، دور قبائل قضاة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة، ص ٨٤.

(٥٢) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٦١٩؛ الاعظمي، علي ظريف، تاريخ ملوك الحيرة (مكتبة المجلة السلفية المطبعة السلفية، مصر، ١٩٢٠م)، ص ٤١.

(٥٣) دير حنه، من الاديرة المنتشرة في الحيرة التي بناها تتوخ ويقال بنو ساطع، فهو دير قريب من القائم وكان لبني أوس بن عمرو، الاصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت: ٣٥٦هـ)، الديارات، تحقيق جليل العطيه، ط ١ (الرياض الريس للكتب والنشر، لندن، قبرص، ١٩٩١م)، ص ٧٣؛ البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ج ٢، ص ٥٧٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ٢، ص ٥٠٧؛ البغدادي، مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج ٢، ص ٥٥٨. (٥٤) القائم، مدينة قديمة قرب سامراء، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ٤، ص ٣٠١. (٥٥) الخورنق، قصر في الحيرة بناه النعمان بن المنذر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ٣، ص ٤٠١، ماسينيون الميسولويس، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة تقي محمد المصعبي، (دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ)، ص ٤٥.

(٥٦) دير ابن بارق، دير بالحيرة، الاصفهاني، الديارات، ص ٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ٢، ص ٤٩٦. دوني، المطران شليمون، ابرشية الابناء، مجلة نجم المشرق، العدد ٢٧، ٢٠٠١م، ص ٥٢.

(٥٧) الفرافصة بن الاحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن كان مسيحياً، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٥٦٧.

(٥٨) نائلة بنت الفرافصة الاحوص مسيحية اعتنقت الاسلام، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٥٦٧.

(٥٩) بحدل بن انيف بن عدي بن حارثة الشاعر المسيحي، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج٢، ص ٥٩٧؛ ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ج٢، ص ٤٥٧؛ ياقوت الحموي، المقتضب، ج٢، ص ٣١٤؛ لويس شيخو، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ط٢، منشورات دار الشروق، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٣٨.

(٦٠) ابو ريان، الاصبح بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج٢، ص ٥٦٦، الشهرستاني، ابن حزم الاندلسي، ابو محمد علي بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ)، الملل والاهواء والنحل، تحقيق: الدكتور محمد ابراهيم نصر والدكتور عبد الرحمن عميرة (دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م)، الملل والنحل، ج١، ص ٢٦٨.

(٦١) عثث بن بشر بن هبيرة شاعر مسيحي، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج٢، ص ٦١٨.

(٦٢) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج٢، ص ٦١١؛ ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ج٢، ص ٤٥٨.

(٦٣) ابن خلدون، العبر، م٢، ص ٥٢١.

(٦٤) جوادا علي، ابحاث في تاريخ العرب قبل الاسلام، دراسة مراجعة الدكتور نصير الكعبي، ط١، (منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠١)، ج١، ص ٣١٢؛ الدباغ، مراد مصطفى، القبائل العربية وسلالتها في بلاد فلسطين، ط٢، (دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩م)، ص ٧٢.

(٦٥) جواد .علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٦، ص ٦٢٨.

(٦٦) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ١٩٠؛ ابن دريد، الاشتقاق، ج١، ص ٢٢١.

(٦٧) بشر بن عبد الملك بن عبد الحي بن اعيان بن الحارث بن معاوية بن خلاوة بن ايامة بن شكامة، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ١٩٠.

- (٦٨) الصهباء بنت الحرب، هي أخت أبو سفيان، تزوجها بشر بن عبد الملك، وعلم الأخير أبا سفيان الخط ، أبن الكلبي، نسب معد واليمن، ج ١، ص 190-191.
- (٦٩) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج 50-149، ابن بكار ، الزبير ، (ت 257 هـ) ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة، 1381 م) ، ص 550؛ البلاذري ، فتوح البلدان 456-457 :
- (٧٠) محمود، ليث شاكر، نشأة الخط العربي في الانبار، دراسات التاريخ والآثار، العدد ١، لسنة ٢٠٠١م.، ص ٣٥. كذلك ينظر:- يوسف ، احمد ، الخط الكوفي ، (مطبوعة حجازي ، القاهرة، 1933 م)، ص ٥٥.
- (٧١) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ١٩٥؛ ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ج ١، ص ١٦١.
- (٧٢) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ١٩١.
- (٧٣) بلحاج، المسيحية العربية وتطوراتها، ص ٨١-٨٢.
- (٧٤) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٢٧؛ جابر، عادل شابث، كنده القبيلة والمملكة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠٠٨م)، ص ٧٩.
- (٧٥) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٢٢؛ الاندلسي، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ج ٢، ص ٦٤٧؛ شيخو، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ص ٨٨؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، طبع على نفقه جامعة بغداد، ١٩٩٤، ج ٣، ص ٣٤٧.
- (٧٦) . الحموي، معجم البلدان، م ٥، ص ٣٤٥؛ البغدادي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج ٢، ص ١٤١٧؛ سليم، احمد امين، جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٧م)، ص ٢١.

(٧٧) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٥٥٨؛ ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ج ٢، ص ٤٤٩؛ ياقوت الحموي، المقتضب، ج ٢، ص ٣١٠.
(٧٨) حسمى، أرض لجذام واسم لمياه، البكري، معجم ما استجعم ، الجزء الثاني، ص ٤٤٦.

(٧٩) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٥٥٨؛ الاصفهاني، الحسن بن عبدالله (ت: ٢٠٨هـ) ، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر و الدكتور صالح العلي، (دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٦٨م)، ص ٤١٣.

(٨٠) معان، جنوب الأردن عند تخوم شمال الحجاز والبعض يرجعها الى الحجاز، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ٥، ص ١٥٣؛ موسيل، لويس، شمال الحجاز، نقلها للعربية الدكتور عبد المحسن الحسيني، (مطبعة رمسيس، الاسكندرية، ١٩٥٢م). ص ٤٠؛ السعدي، زينه قاسم جاسم، الاحوال الاقتصادية في شمال الحجاز قبل الاسلام، رسالة ماجستير غير منشوره، (جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠١٣م)، ص ٣٤.

(٨١) حرة ليلي، مدينة في وادي القرى، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ٢، ص ٣٤٨؛ موسيل، شمال الحجاز، ص ١٣٥.

(٨٢) بلحاج، المسيحية العربية وتطوراتها، ص ٩٥.

(٨٣) الاضاحي، وادي سكنت فيه قبيلة عذره، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ١، ص ٣١٤.

(٨٤) الجناح، موضع لبني عذره ومازن في وادي القرى، الاصفهاني، بلاد العرب، ص ٣٣٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ٢، ص ١٦٤.

(٨٥) محمود، دور قبائل قضاة، ص ٩٩.

(٨٦) ايلة، مدينة تقع اخر الحجاز واول الشام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص ٢٩٢.

(٨٧) الجزل، موضع قريب من مكة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ٢، ص ١٣٤؛ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب المحيط، تحقيق: عبدالله الكبير، محمد احمد حسيب الله و هاشم محمد الشاذلي (دار المعارف ، القاهرة ت: بلا)، ، ص ٩٥.

(٨٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ٢، ص ٦٧؛ البغدادي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج ١، ص ٢٨٦. محمود، دور قبائل قضاة، ص ٩٩ (٨٩) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٥٦٠؛ ابن خلدون، العبر، م ٢، ص ٥١٦. محمود، دور قبائل قضاة، ص ٩٥.

(٩٠) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٧٠٠؛ ابن دريد، محمد بن حسن (ت: ٣٢١هـ)، الاشتقاق تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ١، (دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩١م)، ص ٥٤٩؛ ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ج ١، ص ٤٤١؛ محمود، دور قبائل قضاة ، ص ٩٩

(٩١) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٥٥١؛ ياقوت الحموي، المقتضب، ج ٢، ص ٣٣٩؛ كحالة، عمر بن رضا، معجم قبائل العرب القديمة و الحديثه (المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٩م)، ج ١، ص ١١٠. محمود، دور قبائل قضاة، ص ٥٧

(٩٢) بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاة، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٧٠٥؛ ابن حزم الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٥٦٠؛ ياقوت الحموي، المقتضب، ج ٢، ص ٣٤٠؛ محمود، دور قبائل قضاة، ص ٥٨. (٩٣) بلحاج، المسيحية العربية، وتطوراتها، ص ٤٢؛ شيخو، النصرانية وأدائها بين عرب الجاهلية، ص ١٠٩.

(٩٤) الشافعي، محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤هـ)، الأم، تحقيق: د. رفعت فوزي عبد المطلب، ط ١، (دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ٢٠٠١م)، ج ٥، ص ٥٨٤-٥٨٥.

(٩٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص ٢٩٨.

(٩٦) الدباغ، القبائل العربية، ص ٤٢.

(٩٧) جواد .علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٦، ص ٥٩٣.

(٩٨) محمود، دور قبائل قضاة، ص ٧٢.

(٩٩) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص ٢٩٨.

(١٠٠) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطر بن عمرو بن سعد بن البهراي، يقال له المقداد بن الأسود، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٧٠٣؛ ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ج ٢، ص ٤٤١؛ محمود، دور قبائل قضاة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة، ص ٩٥.

(١٠١) الحكم بن عمرو، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٧٠٢، ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ج ٢، ص ٤٤١. محمود، دور قبائل قضاة في عصر الرسالة والخلافة الراشدة، ص ٩٦.

(102) Osman, Ghada, , Pre – Islamic Arab, Converts to Christianity in Mecca and Median, An Investigation into the Arabic Sources, San Diego State University , California , (N. D), P. 67. ترجمة : د. ليث شاكور محمود

(١٠٣) دروزة، محمد عزة، عصر النبوة وبيئة قبل البعثة (مطبعة دار اليقظة العربية،

دمشق، ١٩٤٦م) ، ص ١٢٥. كذلك ينظر:

Esposite, John, The Oxford History of Islam, (N.T.,N.d), P. 5.

- (١٠٤) ابن حجر العسقلاني، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن علي، (ت ٨٢٥هـ)، الاصابة في تمييز الاصابة، كفيف طه محمود الزيني، ط١، (دار الفكر العربي، مصر، بلا، ج١، ص ٢٣٦.
- (١٠٥) الاصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت: ٣٥٦هـ)، الاغاني، ط٩، (دار الكتب المصريه، القاهرة، ١٩٢٧م)، ج١٤، ص ٦. ينظر: درويش، محمد طاهر، ((حسان بن ثابت))، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩، ص ١٦.
- (١٠٦) شيخو، النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية، ص ١١٧؛ وكذلك: --Pauwel, L., Randall, The African Middle Eastern World, (600-1500), (n,t, 2000), P.23.
- (١٠٧) ابن حزم الاندلسي، الملل والاهواء والنحل، ص ١٦٢.
- (١٠٨) فلهاوزن، يوليوس، الدولة العربية وسقوطها، نقله الى العربية: د. يوسف العش، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٨٣.
- (١٠٩) لويس شيخو، النصرانية وادابها بين عرب، ص ١١٥.
- (١١٠) دروزة، عصر النبي وبيئة قبل البعثة، ص ١٢٥.
- (١١١) ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المدني، (ت: ١٥١هـ)، سيرة ابي اسحاق، تحقيق: فريدالمزيني، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م)، ج٢، ص ٣٥٦.
- (١١٢) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعاون الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٥، (دار الفكر، ١٩٧٣م)، ط٣، ج١، ص ٨٨.
- (١١٣) الازرقى، ابو الوليد محمد بن عبدالله بن احمد (ت ٢٣٤هـ)، اخبار مكه وما جاء فيها من اثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط٣، (دار الاندلس، مكة المكرمة، ١٣٥٢م)، ص ١٠٤.

- (١١٤) نفسه، ص ١١٠؛ محمود، ليث شاكر، الصورة في عصر الرسالة ، بحث منشور ، جامعة فيلادلفيا ، الاردن ، عمان ، ٢٠٠٦م ، ص ٥.
- (١١٥) ينظر ماقدمه فلهاوزن عن اساقفة الخيام ودورهم غى تتبع القوافل التجارية ليلا ---Wellhausen, Juilius, Reste Arabischischen Hedentums, (Berline, 1961).p174
- (١١٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٩٧.
- Salmi, Ralph, H., Gesar Abid Majul, Is I am and Conflict Resolution, N.T., 1998), p. 26.
- (١١٧) ابن الكلبي، ابوالمنذر هشام بن محمد بن السائب (ت: ٢٠٤هـ) جمهرة النسب، تحقيق: محمود فردوس العظيم، تقديم سهيل زكار، ط ١، (دار اليقظة العربي، دمشق ١٩٨٢م). ج ٢، ص ٢٩٨. كذلك ينظر: Darwish, Norie, The Terrifying Global Implication of Islam Law, (U.S.A., 2008), P. 17.
- (١١٨) الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، ج ١، ص ١٦٨. محمود، الصورة في عصر الرسالة ، ص ٤ كذلك ينظر: شيخو: النصرانية وأدائها بين عرب الجاهلية، ص ١٣٣.
- Schaff, Philip, The History of Christian Church, P. 54.
- (١١٩) كحالة، معجم القبائل العربي، ج ٢، ص ٧٦٤.
- (١٢٠) شيخو. النصرانية وأدائها، ص ١٣٣.
- (١٢١) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١١٧.
- (١٢٢) بنو حارثة بن مالك بن قيس بن عامر بن مالك بن عمرو بن ثعلبة، ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ٢، ص ٣٧٤؛ ابن حزم الاندلسي، جوهرة انساب العرب، ج ١، ص ١٧٦. كذلك Osman, Pre-Islamic Arab Converts, P. 71.
- (١٢٣) محمد عزة دروزة: سيرة الرسول، ص ٣٠٨.
- (١٢٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٩٨.

- (١٢٥) الأزرقى أخبار مكة ص ٥٠.
- (١٢٦) الاصفهاني، الأغاني، ج ١٣، ص ١٠٩.
- (١٢٧) جواد علي: تاريخ العرب، ج ٥، ص ٣٥٩.
- (١٢٨) هيكل، حياة محمد ٣٣٨، حتي، تاريخ العرب، ص ١: ٤٨.
- (١٢٩) المصدر نفسه، ص ٦٦، كذلك جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٦: ص ١٩
- (١٣٠) دروزة: سيرة الرسول ج ١: ص ٣٠٦.
- (١٣١) هيكل ، حياة محمد ض ٦٦.
- (١٣٢) دروزة: سيرة الرسول ج ١، ص ٣٠٦.
- (١٣٣) هيكل، حياة محمد، ص ٦٦.
- (١٣٤) هيكل، حياة محمد، ص ١٤٦.
- (١٣٥) ينظر عن المسيحية في مكة:
- Abadi, Masoud, Islam, (US-A, 2004), P:126.
- (١٣٦) ابن ابي سلمى ، (ت ٦٠٩ م) ديوان زهير بن ابي سلمى (طبعة دار الكتب القاهرة، ت بلا، ص ٢٣٦.
- (١٣٧) نفسه، ص ٢٨٨.
- (١٣٨) ابن ربيعة ، ليبد (ت ٦٦١ م) شرح ديوان ليبد بن ربيعة (تحقيق احسان عباس)، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت ، ١٩٦٢ م)، ص ٢٥٦.
- (١٣٩) المصدر نفسه، ص ٣٤.
- (١٤٠) المصدر نفسه، ص ٢٥٩.
- (١٤١) نفسه، ص ٤١.
- (١٤٢) ورقة بن نوفل هو ابن عم خديجة زوج محمد، الذي طمأن ابنة عمه وارشد محمد في اول الوحي على ما تروى سيرته ذاتها.

- (١٤٣) كان عبيدالله بن جحش في الحبشة يعير المهاجرين المسلمين بقوله "فَقَحْنَا وصَاصَأْتُمْ" أي ابصرنا وانتم تلتتمسون البصر ولما "تبصروا بعد" ابن هشام ، السيسيرة لنبوية. ج ١، ص ١٣٨.
- (١٤٤) ابن هشام، السيرة النبوية/ ج ١، ص ٢٣٨، الزبيري، جمهرة انساب قریش، ج ١، ص ٤١١، تاريخ الطبري، ص ٢٩٩.
- (١٤٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٨٧، الاصفهاني، الاغانى، ج ٣، ص ١١٣، البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)، خزائن الادب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٤، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م)، ج ٣، ص ٣٩١.
- (١٤٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٩١، الزبيري، ابو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب (ت: ٩٣٦هـ)، كتاب نسب قریش، اعتنى بنشره وتصحيحه و تعليق عليه . إ . ليفي بروفنسال، ط ٣ (دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١م)، ج ١، ص ٤٠٨، الاصفهاني، الاغانى، ج ٣، ص ١١٣، السهيلي، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد (ت ٥٨١هـ)، الروض الانف في تفسير السيرة النبوية، (دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م)، ج ١، ص ١٢٤.
- (١٤٧) الزبيري، جمهرة انساب قریش، ج ١، ص ٤٠٨.
- (١٤٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٥٦، الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٤٣، ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشامي (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ أعتنى به ابو صهيب الكوفي (بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، ت، بلا)، ج ٢، ص ٧-٨.
- (١٤٩) الطبري، تاريخ الطبري ٧/٢-٨، ص ٢٤٣.
- (١٥٠) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٧، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٨.

- (١٥١) جواد علي، أيام العرب في الاسلام، ص ٢١٢.
- (١٥٢) ابن هشام، السيرة النبوية/ ج ١، ص ٢٣٨، المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٨٧، الاصفهاني، الاغانى، ج ٣، ص ١١٣، ابن الكثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٣.
- (١٥٣) ابن حبيب، ابو جعفر محمد بن حبيب بن علي بن احمد بن علي بن عبدالقادر المقرئ (ت ٢٤٥هـ)، المحبر، (دار الكتب التجارية، بيروت، بلا)، ص ١٧٥.
- (١٥٤) البغدادي، الخزائن ص ٣٩٤..
- (١٥٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣٨، البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٧.
- (١٥٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣٨، الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٩٩، المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٨٧.
- (١٥٧) ابن حجر، الاصابة، ج ١٠، ص ٣٠٤.
- (١٥٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣١٨، البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، (دار طوق النجاة، بيروت، ١٢٤٤هـ)، ج ١، ص ٣٧، الاصفهاني، الاغانى، ج ٣، ص ١١٥، ابن حجر، الاصابة، ج ١، ص ٣٠٥.
- (١٥٩) ابن خلدون، البدء والتاريخ، ج ٤، ص ١٤٣، البغدادي، خزائن الادب، ج ٣، ص ٣٩٢، اللوسي، بلوغ الارب، ج ٢، ص ٢٧١.
- (١٦٠) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٨٨.
- (١٦١) البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٧.
- (١٦٢) شيخو، شعراء النصرانية، ج ١، ص ٦١٦.
- (١٦٣) البغدادي، خزائن الادب، ج ٣، ص ٣٩١.

- (١٦٤)، الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط١، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م)، ج ٨، ص ١١٥.
- (١٦٥) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي الاسلامي الى حوالي سنة ٤٣٠ هـ ٢٨١/٢- نقله الى العربية دمحم فهمي حجازي واخرون، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الامير سلمان عبد العزيز (الرياض، ١٩٩١م)، ج٢، ص ٢٨١-٢٨٢
- (١٦٦) ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى، ابن الكلبي، جمهرة انساب العرب، ج١، ص ٨٨٠؛ ابن حبيب، المعبر، ص ١٧١؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٩؛ ابن دريد، الاشتقاق، ص ١٦٢؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص ٧٣؛ ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ج٢، ص ٤٩١.
- (١٦٧) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج١، ص ٨٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٣١٤؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص ١٤٨. كذلك ينظر:
- Hamidullah, Muhammed Two Christians of Pre-Islamic Mecca", Journal of the Pakistan Historical Society (Pakistan), 1958, Vol.6, P.97-103. ترجمة دليث شاكر محمود
- (١٦٨) السدوسي، مؤرج بن عمرو (ت١٩٥هـ)، كتاب من نسب قریش نشره صلاح الدين المنجد (مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٠م)، ص ٥٤..
- (١٦٩) عثمان بن الحويرث بن اسد، ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج١، ص ٨٨. ينظر:
- ما كتبه الاب لامانس عن مسيحية الحجاز
- Lammance Henri, "Les Christians a la Macaque a la veille de Henre in L'A Arabic Occidentale avant l'hegire (Beirut, 1928).
- (١٧٠) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج١، ص ٨٨.
- (١٧١) ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ج٢، ص ٥٥٠.
- (١٧٢) الزبيري، نسب قریش، ص ٢٤٣، ابن بكار الزبير، (ت٢٥٧هـ)جمهرة انساب قریش واخبارها، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة، ١٣٨١م)، ص ١١٨.

- (١٧٣) المصدرين نفسيهما كذلك ينظر: ---Hamidullah, Muhammed, Two Christians of Pre –Islamic Mecca)That looks Uthman , B. Al-Huwayrith and warque, Nawfal, 1958.
- (١٧٤) الزبيري، نسب قریش، ص ٢٤٣، ابن بكار، نسب قریش واخبارها، ص ١١٨.
- (١٧٥) الزبيري، نسب قریش، ص ٢٤٣، ابن بكار، نسب قریش واخبارها، ص ١١٨.
- (١٧٦) ابن اسحاق، سيرة ابن اسحاق، ص ١٢٤.
- (١٧٧) ولفنسون ، اسرائيل ، تاريخ اليهودية في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، (دار الاعتماد ، مصر ، ١٩٢٧م) ص ٣٠.
- (١٧٨) شيخو ، النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية ، ص ١١٢؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٦، ص ٥٦٧.
- (١٧٩) القصيري، يوسايبوس، تاريخ الكنيسة، ترجمة: مرقس داوود، ط ٢، (القاهرة، ١٩٧٩م)، ص ١٥٥.
- (١٨٠) سفسيسكايا ، ا. س ، المسيحيون الاوائل و الامبراطورية الرومانية ، ترجمة حسان ميخائيل اسحق ، ط ٢، (دار علاء الدين ، دمشق ، سوريا ، ٢٠٠٧)، ص ٩٣.
- (١٨١) علي ، الاصلاح الديني في المسيحية مقارنة بالاصلاح الفكري في الاسلام ، ص ٢٤؛ احمد ، رفيق مجيد عبدالله ، المسيح في الكتب السماوية الثلاثة التوراة والانجيل والقران، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد ، كلية العلوم الاسلامية، ١٩٩٣م) ص ٧٠.
- (١٨٢) ترتون، طهارة، دائرة المعارف الاسلامية، م ١٥، ص ٢٨٣.
- (١٨٣) الحريري، ابو موسى ، قس ونبي، بحث في نشأة الاسلام، (دار الاجل، المعرفة، ديار عقل، لبنان، ١٩٨٥م)، ص ١٣٨.
- (١٨٤) فنسك ، تميم، دائرة المعارف الاسلامية، م ١٦، ص ١٥٨.
- (١٨٥) جوينبل ، الحدث، دائرة المعارف الاسلامية، م ٦، ص ٥٠٨.

- (١٨٦) الحريري، قس ونبي، ص ١٣٤
- (١٨٧) شريك، اسراء، دائرة المعارف الاسلامية، م ٢، ص ١٠٦.
- (١٨٨) الحريري، قس ونبي، ص ١٣٥.
- (١٨٩) فنسك، الخمر، دائرة المعارف الاسلامية، م ٨، ص ٤٥١-٤٥٢.
- (١٩٠) عداس بن ربيعة، مولى عتبة بن ربيعة من اهل نينوى، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١، ص ٦٣؛ جواد العلي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٦، ص ٦٠٤.
- (١٩١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص ٦٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢١٤، كذلك ينظر:
- Watt, Montgomery, Mohammed in Mecca, 2nd , Oxford, 1961.
- (١٩٢) دير يونس بن متى، يقع شرقي الموصل، ودير يونس هو دير يونان او مسجد النبي يونس الحالي، كان ديرا ثم اصبح مسجدا؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م ٢، ص ٥٣٢؛ الملا، حنان عبد الرحمن طه، الديارات في العراق ونشاطاتها العلمية والفكرية حتى نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة تكريت، كلية تربية، ٢٠٠٥م)، ص ١٦٤.

الموقف الأمريكي . السوفياتي

من تطورات الحرب العالمية الثانية

في ضوء مؤتمرات الحرب ١٩٤٣ - ١٩٤٥

أ . م . د . نغم سلام ابراهيم

م . د . د . أسيل عبد الستار حاجم

توطئة

يعد موضوع العلاقات الامريكه - السوفيتية خلال مؤتمرات الحرب العالمية الثانية من المواضيع المهمة في التاريخ المعاصر ، كونه يناقش مساله في غاية الاهمية ، لما لهاتين القوتين من اثر مهم على تطورات الحرب العالمية الثانية لاسيما من خلال مؤتمرات الحرب . فاختلاف الانظمة في كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية من جهة ومدى جدية التعاون بين هاتين القوتين من جهة اخرى نجح في تبني خط موحد ، اسهم وبشكل فاعل في ضرب النازية وتحطيمها . فبالرغم من تناقض ارائهم استطاعوا ان يضعوا الحلول للمشكلات المختلفة ليشكل التعاون العسكري والسياسي بين القوى العظمى دروسا وعبرا لايمكن ان يتجاهلها التاريخ المعاصر . لذا يستخلص المطلاع على الوثائق الامريكية والسوفيتية الخاصة بمؤتمرات الحرب التي ينصب عليها موضوع البحث وجهات النظر المختلفة لتلك القوى بالنسبة للمشكلات الدولية التي اخذت تتطور مع تداعيات الحرب العالمية الثانية واثار تلك المؤتمرات على العلاقات العسكرية والسياسية بين تلك القوى .

وتكمن اهمية هذا الموضوع في انه يعطي تفسيراً لطبيعة تلك العلاقات بعد الحرب العالمية الثانية بل حتى يجدها بعض المؤرخين انها وضعت الحجر الاساس لقواعد الحرب الباردة فيما بعد.

ومن خلال الطرح هذا تتوارد عدة تساؤلات منها : ماهي اهم السبل التي حاولت القوى الكبرى من خلالها تجنب اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وهل كانت سبلا ناجعة ، وما هو أثر مجريات الحرب على الموقفين الامريكي والسوفيتي ، وهل كان التعاون بين الطرفين فاعلا في الحد من انتصار القوى الدكتاتورية في اوربا والعالم ، ومدى فاعلية مؤتمرات الحرب في تطور العمليات العسكرية من جهة وتحديد مسارات الوجود الامريكي - السوفيتي على الساحة الدولية بالاشتراك مع بريطانيا من جهة اخرى . كذلك اهم الظروف التي انعقدت فيها تلك المؤتمرات واثرها في رسم خارطة السياسة الدولية للسنوات التي اعقبت الحرب العالمية الثانية .

تداعيات المساعي السلمية لتفادي الحرب العالمية الثانية والتقارب الامريكي

السوفيتي

شكلت السنوات السابقة للحرب العالمية الثانية تحديا واضحا في استحالة تبني سياسة سلمية مستقرة ، إذ يجمع اغلب المؤرخين ان اندلاع الحرب لم يكن بسبب عامل واحد وانما يعود الى اكثر من عامل ابرزها اخفاق القوى الكبرى في الحفاظ على السلام ، وضمان استمرار الاستقرار الدولي لأطول فترة ممكنة.

منحت المعاهدة الروسية الالمانية الضوء الاخضر للاطماع النازية في اوربا فبعد ان امنوا الخطر السوفيتي بموجبها من خلال الملحق السري القائم على تقسيم بولندا^(١) ، وجرى توقيع معاهدة الحدود والصداقة السوفياتية الالمانية ببروتكولاتها السرية التي قسمت اوربا الشرقية ووقع فياتشلاف مولوتوف وزير الخارجية الروسي Vyacheslav Molotov -^(٢) و جوهام فون روبنتروب وزير الخارجية الالمانى Joachim Von Ribbentrop -^(٣) في الثامن والعشرين من ايلول بيانا رنانا حول السلام^(٤) جاء فيه:

" ان حكومتي المانيا وروسيا بعد ان سوتا تسوية تامه للمشاكل التي نشأت في اوربا الشرقية موقتتان معا ايمانهما بان انتهاء الحرب بين المانيا وفرنسا وبريطانيا سيخدم المصالح الحقيقية لكل الشعوب ولذلك فان الحكومتين ستوجهان جهودهما المشتركة .. الى بلوغ هذا الهدف باسرع ما يمكن فان بقيت جهود هاتين الحكومتين عقيمة وغير مثمرة في هذا الباب فان ذلك يثبت مسؤولية فرنسا وبريطانيا في استمرار الحرب " (٥) .

لم يكن بالامكان استمرار الصداقة الالمانية السوفيتية خاصة وان ادولف هتلر Adol fHitler (٦) كان يعد معاهدة "عدم الاعتداء" هدنة مؤقتة لامتناس الغضب الاوربي بسبب الاجتياح الالمانى لبولندا وضمان الجبهة السوفيتية (٧) . ومن جانب اخر شرع الاتحاد السوفيتي بتحسين حدوده الجديدة التي مدها الى قلب الاراضي البولندية تحصينا شديدا وتقوية مركزه في بحر البلطيق ثم طلب من دويلات هذا البحر الثلاث وهي استونيا وليتوانيا ولا تيفيا منحه بعض الامتيازات الاقتصادية والبحرية . وبالفعل وقعت استونيا في التاسع والعشرين من شهر ايلول عام معاهدة ١٩٣٩ لتبادل المساعدة ووضعت تحت تصرف عددا من القواعد الجوية والبحرية . واما ليتوانيا ولا تيفيا فقد سمحتا في الاول من تشرين الاول للحاميات العسكرية السوفيتية بالتواجد في مناطق محددة سلفا في اراضيها (٨) .

توجه الاتحاد السوفيتي بعدها الى فلندا عندها ابلغتها بضرورة تسليمها ميناء (بتسامو) وهو الميناء الوحيد في المنطقة المتجمدة الشمالية الذي لا يتجمد في الشتاء ، والتنازل عن النصف الشمالي لبرنخ كارليان الواقع بين بحيرة لادوغا وخليج فلندا وعندما رفضت الاخيرة الاستجابة لمطالب السوفييت سارعت بالانقضاء عليها بعد مقاومة مميزة من الشعب الفنلندي استمرت لمدة اربعة اشهر لتعقد صلحا معها في اذار عام ١٩٤٠ ، مشروطا بالحفاظ على استقلالها مقابل التنازل عن اراضيها الواقعة عند حدودها الشرقية وعن جزيرة هانغو ذات

الموقع الاستراتيجي والمميز وسرعان ما اصبحت تلك الدول امتدادا للاتحاد
السوفيتي .^(٩)

اما على الجانب الاخر فقد بقي الامريكيون يزاولون نشاطهم في السياسة
الخارجية بين الحربيين بشكل نشط مع تدني مكانة بريطانيا حلفاء الامس وتمثل
ذلك في ميثاق برياند كيلوغ الذي كان يدعو الى عدم استخدام القوة في فض
المنازعات الدولية. وبقي ذلك التوجه للامريكيين حتى بعد تولي الرئيس الثاني
والثلاثون فرانكلين روزفلت Frakline Roosevelt (١٩٣٣ . ١٩٤٥) الرئاسة
الامريكية في عام ١٩٣٢ واعلانه عن رغبته في زيادة اهتمام الولايات المتحدة
بالعالم . فسرعان ما اصدر الكونكرس في سنة ١٩٣٤ قانون الحياد الذي نص
على تحريم بيع الاسلحة للدول المتحاربة بصرف النظر عن المعتدى والمعتدى
عليه وفي سنة ١٩٣٥ عززته بمادة تحظر سفر مواطنيها على سفن الدول
المتحاربة وبموجب ذلك لم يرسل روزفلت ايه مساعدات الى الحبشة او الى
الجمهوريين الاسبان رغم وجود مبررات للتجاوز على القانون وهو ان الحرب لم
تكن رسمية .^(١٠)

استمرت سياسة الحياد الامريكي خلال الازمة التشيكية وحينها صرح روزفلت
بالقول : " ان الذين يظنون للولايات المتحدة لابد ان توازر الطرف المعادي لالمانيا
مخطئون " . ولعل تلك السياسة هي التي جعلت الالمان يتمادوا في اطماعهم في
اوربا . وقد كان روزفلت مدركا لعواقب تلك السياسة على التوترات الدولية فحاول
تعديل قانون الحياد ليسمح ببيع الاسلحة بشرط ان تدفع اثمانه فورا وان تحمل على
سفن الدول التي تشتريها غير ان مساعيه قوبلت برفض لجنة الشؤون الخارجية في
الكونكرس^(١١) .

ومع تلبذ غيوم الحرب ازداد عدد المؤيدين لتوجهات روزفلت فوافق الكونكرس في
تشرين الاول عام ١٩٣٩ على الاقتراح السابق الذي عرضه روزفلت الذي عرض

باسم (ادفع واحمل) - Cach and Cary ولم تخترقه سوى مرة واحدة عند غزو
روسيا فنلندة مما دل على ان الشيوعية كانت اكثر خطرا على الامريكين من
الفاشية.^(١٢)

ومنذ ذلك الحين تحيزت سياسة الولايات المتحدة نحو بريطانيا خاصة بعد
الضرر الاقتصادي الذي لحق بها بسبب سياسة الاكتفاء الذاتي الذي اتبعها
النازيين في اوربا وتهديدهم للممتلكات الامريكية في العالم الجديد. وخشية الولايات
المتحدة من اختلال التوازن الدولي في البحار خاصة بعد دخول اليابان الحرب
واستيلاء الالمان على الاسطول الفرنسي .لذلك تغيرت المفاهيم الاستراتيجية في
الولايات المتحدة تغيرا اساسيا واتفق على ان تدخل جميع الجزر التابعة للدول
الاوربية في ضمن البعد الامني للولايات المتحدة ، بل واكثر من ذلك اتفقت الادارة
الامريكية مع منظمة الدول الامريكية على ان تقيم حاجزا عسكريا على مسافة
٣٠٠ ميل من سواحلها وتحظر على السفن المتحاربة القيام بعمليات داخل هذه
المنطقة الواسعة.^(١٣)

كما اصدرت الولايات المتحدة قانون التجنيد الاجباري وزيادة مخصصات الدفاع
وبموجب ذلك سعت الى ان تتبنى سياسة جديدة حيال بريطانيا فابرمت في ٢
ايلول عام ١٩٤٠ اتفاقا مع بريطانيا يقضي بتقديم ٥٠ مدمرة امريكية في مقابل
تأجير خمس قواعد بحرية وجوية في جزر الهند الغربية الواقعة في خطة الدفاع
الامريكي لمدة ٩٩ عاما خاصة بعد ان لوح ونستون تشرشل - Winston
Churchill^(١٤) ، باحتمالية سقوط بريطانيا وانتقال المقاومة الى كندا . واصدرت
الولايات المتحدة في ١١ اذار سنة ١٩٤٠ قانون الاعارة والتأجير المشهور - The
Lease - Lend Act وقد اجبر الكونكرس على قبوله بقوله: " اذا كان بيت
جارك يحترق فيجب عليك ان تقدم له المياه اولاً ثم تطلب اليه بعد ذلك الثمن".^(١٥)

طبقا لذلك خرجت الولايات المتحدة الامريكية من سياسة الحياد . ولكي تسهل
ايصال الاسلحة الى بريطانيا قامت بنقلها بواسطة الاسطول الامريكي واخذت
الاخيرة تستولي على جميع سفن المحور الموجودة في موانئها حيث استولت في
عام ١٩٤١ على جزيرة جرينلاند.^(١٦)

من جانب اخر و قبل الهجوم الالمانى على الاتحاد السوفيتي كانت الحرب تدور
بين الدول الليبرالية والدول الشمولية، وكان الامريكيون يقدمون تأييدهم للطرف
الاول وبعد ذلك بشهرين اي في التاسع من اب عام ١٩٤١ وبينما كان الالمان
يجتاحون الاتحاد السوفيتي بقوات عسكرية هائلة وبعد انقضاء ستة اسابيع على
بداية هذا الاجتياح اخذ التعاون الامريكي البريطاني يتزايد بشكل واضح وهو ما
تجسد في ميثاق الاطلنطي في عام ١٩٤١ الذي انبثق في القاء الذي دار بين
روزفلت وتشرشل حيث صيغ في شكل لا يمنع الاتحاد السوفيتي من الاشتراك فيه
رغم تأييد كلا الدولتين للحرية الاقتصادية عندما نصت المادة الثالثة على حق كل
شعب في اختيار شكل الحكم الذي يريده كما اتفق الطرفين عند توقيع الميثاق على
بذل المعونه للاتحاد السوفيتي. وأهم بنود هذا الميثاق هي:

- ان بلديهما لا يحاولان القيام باية عملية توسعية او غيرها.
- انهما غير راغبين في رؤية اي تغيير يجري في كيان اي بلد لا يكون
متفقا مع الادارة الحرة للشعوب ذات العلاقة
- انهما يحترمان حق كل الشعوب في اختيار نظام الحكم الذي يلائمها
ويتمنيان عودة السيادة والاستقلال لكل الشعوب التي حرمت منها بالقوة
- انهما سيبذلان كل جهودهما مع احترامهما الفائق لالتزاماتهما القائمة
لوضع التسهيلات الكافية امام كل الدول كبيرها وصغيرها المنتصر فيها
والمهزوم وعلى مستوى من المساواة في الحقوق وبالنسبة للتجارة وحقوقها
في المواد الاولية الضرورية لرفاهيتها الاقتصادية

- انهما يتمنيان اقامة تعاونا اقتصاديا وثيقا اكثر بين الامم لتوفير احسن شروط العمل من اجلها جميعا وضمان وضع اقتصادي اكثر ملائمة وتحقيق الضمان الاجتماعي

- العمل على اقامة سلام عالمي بما يضمن سبل العيش بين الامم المختلفة ، ضمن حدودها السياسية وتوفير الامان للتخلص من الخطر النازي

- تامين سلام حقيقي يفسح المجال للشعوب باجتياز البحار والمحيطات دون اية عقبة

- العمل على اقامة نظام خال من السلاح وبعيدا عن اي تهديد^(١٧) .

التقى في الرابع والعشرين من ايلول عام ١٩٤١ ممثلي الدول المتحالفة التي تضم بريطانيا والحكومات المؤقتة التي شكلها اعداء النازية بالاضافة الى الاتحاد السوفيتي ليشتركوا في هذا الميثاق وسرعان ما دخلت السياسة الامريكية دورا جديدا بعد الاعتداء الياباني على ميناء " بيرل هاربور " . اذ ادى الهجوم الى قبول روزفلت بقبول اقتراح تشرشل بلقائه في واشنطن وبالفعل وصل الوزير البريطاني في الثاني والعشرين من كانون الاول عام ١٩٤١ واستمر المؤتمر حتى الرابع عشر من كانون الثاني وانقطع فقط بسفر تشرشل الى اوتاوا وفلوريدا . وبما ان الولايات المتحدة دخلت الحرب انذاك فقد كان من الضروري اقامة قواعد صلبة لتعاونها^(١٨) .

وكان سفير الاتحاد السوفياتي ليتفينوف في الولايات المتحدة قد حضر جزء من تلك الاجتماعات واول قرار تم اتخاذه كان ذلك المتعلق بتحضير تصريح مبدئي ليتم عرضه على الدول المعادية للمحور الذي صدر في الاول من كانون الثاني ١٩٤٢ في البيت الابيض من قبل ممثلي ست وعشرين امة وكان هذا التصريح تذكيرا بمبادئ ميثاق الاطلنطي مع اضافة الحرية الدينية من جهة اخرى تعهدت باستخدام جميع مواردها العسكرية والاقتصادية ضد المحور وعدم توقيع هدنة او

صلح منفرد وتم قبول توجيه الجهد الاساسي ضد المانيا التي كانت طاقتها الصناعية اكبر بكثير من طاقة اليابان وهذا المبدأ المانيا اول لم يدافع عنه تشرشل وحسب بل وايضا الجنرال الامريكي مارشال الذي كان مؤيدا لاستراتيجية تكثيف الجهود لمواجهة العدو الاقوى^(١٩).

سعى الاتحاد السوفياتي بسبب تطورات العمليات العسكرية وبفعل الهزائم المريعة للحلفاء الى اقناع البريطانيين بالتحالف معهم في السادس والعشرين من ايار عام ١٩٤٢، وبموجبه تعهد الجانبان العمل سوية لتفادي العدوان الالمانى والعمل على التعاون سياسيا واقتصاديا بين الطرفين وكانت مدة صلاحية هذه المعاهدة عشرين سنة ثم توجه مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي نحو واشنطن في التاسع والعشرين من ايار لاجراء محادثات مباشرة مع روزفلت وكوردهل - CorrdelHul وزير الخارجية الامريكية وهوبكنز وزير الاقتصاد والسفير ليتفينوف واغتم الرئيس الامريكي بايضاح وجهة نظره بامكانية ضمان السلام لمدة خمس وعشرين سنة قادمة في حين طلب مولوتوف ضرورة فتح جبهة ثانية مؤكدا امكانية الجيش الاحمر على الصمود والثبات وصرح روزفلت عن رغبته بلقاء ستالين واثناء مناقشة قضايا ما بعد الحرب اقترح روزفلت نظام وصاية دولية على عدة جزر وممتلكات استعمارية لتوجه بسرعة نحو الاستقلال التام وعلى اثر ذلك اعلن روزفلت امكانية فتح جبهة ثانية في عام ١٩٤٢ وفي الوقت الذي اعترض الجنرالان مارشال وهوبكنز اوجد الامال لدى الجانب السوفيتي وعلى العموم تركت زيارة مولوتوف صدى ايجابا لدى الامريكيين^(٢٠).

لم يلتزم الامريكيون بتعهدهم للسوفييت في امكانية فتح جبهة ثانية بسبب تطورات الحرب في افريقيا وهنا وصل كلا من تشرشل و السفير الامريكي هاريمان الى موسكو في الثاني عشر من ايلول عام ١٩٤٢ وبقي هناك ثلاثة ايام وكان ستالين مستاءا جدا من قرار التأخير لدرجة ان بداية المؤتمر كانت متوترة جدا ومع

الموقف الأمريكي . السوفياتي من تطورات الحرب العالمية الثانية في ضوء مؤتمرات الحرب

١٩٤٣ - ١٩٤٥

ذلك فانه اطلع على اقتراحات تشرشل المتعلقة بتكثيف القصف الجوي غير انه (ستالين) حاول ايضاح استيائه لكون قرار الحلفاء سيحطم امال الشعب السوفيتي باكملة وسيجعل الجيش الاحمر في موقف صعب كما سيقلب مخططات الحكومة السوفيتية وعندما اعرب ستالين عن رغبته في لقاء روزفلت الا ان ذلك الامر كان صعب المنال لم يلاقي ترحيبا لدى الأمريكيين وبالمقابل سرت شائعات في اواخر عام ١٩٤٢ حول احتمالية عقد صلح سوفيتي الماني بوساطة يابانية . (٢١)

المؤتمرات الدولية التي عقدها الحلفاء لايجاد السبل الكفيلة للوقوف بوجه الخطر

النازي

مؤتمر موسكو ١٩ آذار ١٩٤٣

اوجد التطورات الاخيرة في العلاقات الدولية واحتمالية عودة السوفييت الى احضان اصدقاء الامس حاول الحلفاء اقناع السوفييت بضرورة عقد مؤتمر لتسوية المسألة وبالفعل وبعد قبول ستالين به في العاشر من اب جرى اول لقاء بين وزراء خارجية الدول الثلاث وكان تشرشل وروزفلت يأملان اتمامه باجتماع بين رؤساء الحكومات الثلاث اذ افتتح المؤتمر في التاسع عشر من تشرين الاول عام ١٩٤٣ ، وسرعان ما لاحظ الطرفان الامريكي والبريطاني برغبة السوفييت في الحصول على ضمانات بعدم تأخير تحرير فرنسا المقرر في ربيع عام ١٩٤٤ وكان تشرشل يرغب في القيام بأنزال في المتوسط الشرقي ومتابعة عمليات ايطاليا بشكل نشيط وعدم اعطاء اي تعهد . و دعم بالمقابل اقتراحا سوفيتيا اخر يهدف الى جر تركيا الى الحرب . ومن جهة اخرى وافق ستالين على اجتماع لرؤساء الحكومات الثلاث بشرط ان يعقد في طهران . كذلك ناقش وزراء الخارجية الثلاث مشاكل ما بعد الحرب وقرروا تشكيل لجنة استشارية اوربية تجتمع في لندن ، عند اقتراب انهيار النظام الهتلري لايجاد تسوية للقضية الالمانية وانتهى المؤتمر في الثالث من تشرين الثاني من نفس العام وقد وضع حدا للتوتر بين الحلفاء في وسط اجواء تسودها الروح الودية ، غير انه

لم يوضح نقطة اساسية وهي معرفة الحل الذي يجب ايجاده بعد الحرب للمشكلاتالاوربية.وقبل انعقاد مؤتمر طهران سارع روزفلت لزيارة الجنرال ايزنهاور في وهران وثممصرلتسوية المسائل العسكرية الخاصة بالحلفاء في الشرق الاقصى واسيا ولينشر بعدها تصريح لرؤساء الحكومات الثلاث في الاول من كانون الاول عام ١٩٤٣ (٢٢).

نص هذا التصريح على ضرورة تبني سياسة عقابية ضد اليابان ومن الملاحظ بان معاهدة الحياد السوفيتي الياباني قد اوقفت شحنات الاسلحة الروسية الى الصين كما ان اقليم سين كيانغ الذي كان يحكمه شانغ شيه تسي من ١٩٣٣-١٩٤٢ كانت له علاقات اقتصادية وسياسية مع الاتحاد السوفيتي حتى عام ١٩٤٢ غير انه سرعان ما تحولت العلاقة بين الطرفين الى عدائية لاسيما بعد ان استطاع الكومنتانغ اعادة السلطة اليه وطرد المستشارين الروس . (٢٣)

مؤتمر طهران: ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٣

وصل روزفلت ونائبه هوبكنز الى طهران في السابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ وفي اليوم الثاني التقى الزعيمان ستالين وروزفلت ثم وصل تشرشل ليعقد بعدها المؤتمر العام الاول برئاسة روزفلت وحضره بالاضافة الى رؤساء الحكومات الثلاثة كل من هوبكنز وايدن وتشرشل ومولوتوف.ويعلق تشرشل على هذا المؤتمر بالقول : (اكبر تركيز للسلطة يمكن ان يشهده العالم لان الشخصيات الحاضرة كانت تمتلك بيدها السعادة البشرية .) (٢٤)

امتدت المحادثات حتى بداية كانون الاول وتناولت اكثر من جانب فعلى الصعيد العسكري تناول الحاضرون مسألة الانزال في نورماندي المحدد في الاول من ايار من عام ١٩٤٤ ، اذ تم انزال ما يقارب مليون جندي امريكي و بريطاني وخلال شهري ايار وتموز من العام ذاته ، غير ان تلك الفكرة واجهت معارضة كل من روزفلت وستالين فالاخير كان يرى ضرورة العمل على التحرك المباشر الى قلب

الموقف الأمريكي . السوفياتي من تطورات الحرب العالمية الثانية في ضوء مؤتمرات الحرب

١٩٤٣ - ١٩٤٥

المانيا وان استخدام البلقان لتحقيق ذلك امر غير ناجح لاسيما وان ستالين كان يرى بضرورة قيام القوات السوفيتية لوحدها باحتلال الاراضي السلافية والبلقانية.^(٢٥)

من الجانب الاخر اي في الشرق الاقصى فقد طالب الحلفاء ستالين بامدادهم بالمساعدات والمعلومات العسكرية اما مسألة المانيا فقد صرح ستالين بان على البولنديين مد حدودهم حتى نهر الاودر وبدا متشائما من امكانية اصلاح الشعب الالمانى . كان ستالين راغبا في تقطيع اوصال المانيا لانه كان يخشى من احتمالية نهوضهم واعادة وحدتهم خلال مدة اقصاها خمسة عشرة الى عشرين عاما وبموجب ذلك طالب الزعيم السوفيتي باقامة قواعد في المانيا وخارجها وخصوصا دكاك لغرض مراقبة المانيا وبالمقابل اقترح نفس الموضوع لليابان في حين اقترح الرئيس الامريكى اقامة خمس دول مستقلة في المانيا تتضمن بروسيا الصغرى والهانوفر والشمال الغربى ومنطقة الساكسولايبيغ ووضع الهيس وجنوب رينانيا وبافاريا ودوقية باد الكبرى وروتامبرغ و قناة كييل وهامبورغ والرور والساار تحت اشراف دولي.^(٢٦)

في حين تصور الطرف البريطانى رغبته في ان تقسم المانيا الى ثلاثة دول تضم بروسيا والمانيا الوسطى والمانيا الجنوبية. بدى ستالين خائفا من هذين المقترحين لذلك عهد بدراستهما الى ما يعرف بـ "اللجنة الاستشارية الاوربية" .

اما فيما يتعلق برغبة القوى الكبرى تشكيل منظمة دولية تحل محل عصبة الامم التي اثبتت فشلها في الحفاظ على السلام العالمى فقد اقترح روزفلت تشكيل منظمة الامم المتحدة وان يكون تشكيلها من ثلاث تشكيلات وهو الجمعية التي تضم كل الاعضاء لمناقشة القضايا العالمية ولجنة تنفيذية تختص في المشاكل غير العسكرية وتضم في عضويتها كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والمملكة المتحدة والصين ومن دولتين اوربيتين ودولة امريكية جنوبية ودولة من الشرق

الايوسط واخرى من الشرق الاقصى والدومنيون ومما كان يسميه روزفلت ممثلي الشرطة الاربعة وهم الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانيا و الصين المكلفين باتخاذ التدابير العسكرية الفعالة والحيوية في الحالة التي يكون فيها السلام مهددا ولم يتوقع احتمال تهديد للسلام صادر عن احد ممثلي الشرطة الاربعة على حد وصف الزعيم الامريكي .وتضمن البيان المشترك للمؤتمر على ما يلي : " لقد قررنا ان تعمل دولنا معا في الحرب والسلم ف فيما ما يتعلق بالحرب فان قادتنا العسكريين قد اجتمعوا معنا حول الطاولة المستديرة وشاركوا في المناقشات للقضاء على القوات المتحدة وقد اتفقنا على تحديد المكان والزمان التي سنقوم بها في الشرق والغرب وفي ان واحد". واعترف الزعماء بالمسؤولية المشتركة لايجاد السلام وتحقيق الخير وايجاد شعوب متحررة وغير مضطهدة . اما يتعلق بأيران فان الزعماء الثلاث كانوا ممثنين لحسن الضيافة التي قدمها الجانب الايراني وابدوا في الوقت نفسه رغبتهم في تقديم المعونات الاقتصادية اليها خاصة ما يتعلق بالنقل والنقص الكبير في المواد الغذائية اما بعد الحرب فقد طالب المؤتمر ايران في حالة تعرضها لأي مشكلة اقتصادية تلقى العناية الكاملة اما عن طريق هيئة الامم او بعقد مؤتمرات لاسيما لذلك الغرض او عن طريق الوكالات العالمية وقد تعهد قادة المؤتمر بضمان استقلال ايران ووحدة اراضيها كما انهم اعربوا عن رغبتهم بضرورة مشاركة ايران مع كل دول العالم المحبة للسلام والعاملة من اجل السلام والامن والازدهار في العالم بعد انقضاء الحرب وبموجب شروط معاهدة الاطلسي . وتم توقيع مقررات المؤتمر في الاول من كانون الاول عام ١٩٤٣ .

تكمن اهمية مؤتمر طهران في انه يعد اول لقاء رسمي علني بين الأمريكيين والسوفيت والذي اثبت مدى فاعلية هذا التعاون بسبب النتائج التي خرج بها باستثناء الجانب العسكري حيث قضى الزعماء الثلاثة ساعات طويلة جنب الى

جنب بدى فيها روزفلت مجاملا لستالين ومعبراعن اعجابه بالجيش الاحمر فرد عليه ستالين عن استحالة الانتصار في الحرب بدون الصناعة الامريكية . وعلى العموم فان مؤتمر طهران كان يعد الخطوة الاولى والبداية الصحيحة لتوحيد جهود الحلفاء بالتعاون مع الزعيم السوفيتي لاضعاف القوى الدكتاتورية تمهيدا للقضاء عليها من جهة وتحجيم القوى السوفيتية وابقائها تحت سيطرة الحلفاء ^(٢٧) .

مؤتمر بالطا ٥ - ١١ شباط ١٩٤٥

مع اقتراب الحرب العالمية الثانية من نهايتها ، كانت الولايات المتحدة على يقين تام بان استكمال مقومات الدور الأمريكي ، لوضع تصور صريح و واضح عن عالم ما بعد الحرب ، امرا ملحا تقتضيه مستجدات سياسة (الامن القومي) للولايات المتحدة و ستراتيكتها الجديدة ، لا سيما بعد الولوج الامريكي في الشؤون الدولية ونبذها سياسة الحياد والمهادنة . اخذين بعين الاعتبار التنافس الحاد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، الذي من جهته بات مصمما على ابتلاع شرق اوربا و كل ما يؤل من تركة الدكتاتوريات المنهارة (المانيا ، ايطاليا ، اليابان) . هكذا بدت الخارطة الجيوسياسية لعالم ما بعد الحرب تنذر برياح التغيير لطبيعة الصراع الدولي في المستقبل القريب .

شهد صيف العام ١٩٤٤ امتداد رقعة الاحتراب العسكري والتفوق الميداني لدول الحلفاء في ثلاثة محاور اساسيه شملت : غرب اوربا ، شرقها و منطقة الشرق الاقصى . اذ انققت هذه الدول وبقيادة الجنرال دووايتايزنهاور و بمساعدة مباشرة من الثوار الفرنسيين و " حكومة فرنسا الحرة " ممثلة بزعيمها الجنرال " شارل ديكول " على البدء بتحرير فرنسا في معركة شهيرة عرفت بمعركة " النورماندي " ، التي استمرت من السادس من حزيران و حتى تحرير باريس في الخامس والعشرين من آب عام ١٩٤٤ . وبذلك فتحت الجبهة الغربيه وبانت المانيا على مرمى نيران الحلفاء وتحت ضغط مباشر منهم ^(٢٨)

و في ذات الوقت ، كانت القوات السوفياتية تتقدم في شرق اوربا ، بعد ان انتهت من تحرير اراضيها من السيطرة الالمانية ، اذ استسلمت الدول الاوربية الحليفه لالمانيا ، واصبح الجيش الاحمر السوفياتي يسيطر على دول البلطيق (لتوانيا ، استونيا ، لاتفيا) وبولندا^(٢٩). كما انتهت السيطرة على رومانيا وبلغاريا وهنكاريا . أما يوغسلافيا فتعاونت المقاومة الوطنية بزعامة " جوزيف بروز تيتو " مع القوات السوفيتية لطرد الالمان . وما ان بدأ العام ١٩٤٥ حتى كانت اوربا الشرقية معقلا للسوفيات بعد انتصاراتهم اللافقة^(٣٠) .

كذلك احرزت الولايات المتحدة الامريكية نجاحات لا تقل اهمية في منطقة الشرق الاقصى ، التي عدت من مناطق التنافس مع الاتحاد السوفياتي ، اذ فتحت سلسلة الانتصارات الامريكية العسكرية في جنوب ووسط المحيط الهادي الطريق الى انقضاء امريكي مباشر على جزر الفلبين . وكان اسلوب الوثب بين الجزر الذي انتهجه الامريكيون قد اثبت من النجاح ما جعل الجنرال ماك ارثر يوجه ضرباته الى قلب الجزر الاستراتيجية المهمة . ففي العشرين من تشرين الاول عام ١٩٤٤ ابحر اسطول امريكي يتألف من ٦٠٠ سفينة بينها سفن لنقل الجنود حملت مايزيد عن مائة الف منهم الى خليج " لايت Leyte " . كان ذلك تحديا لا يملك اليابانيون تجاهله الامر الذي دفعهم لحمل كامل قوتهم العسكريه في مجابهة الغزو الامريكي ، و كانت حينها معركة " خليج ليت " بين الثالث والعشرين والخامس والعشرين من تشرين الاول ١٩٤٤^(٣١) . وقد كتبت المصادر التاريخيه الكثير عن اهميتها ووصفتها بانها " اخر و اكبر المعارك البحرية العسكرية في الحرب العالمية الثانية " والتي انتهت بانتصار للولايات المتحدة عزز من نفوذها العسكري حتى سيطرت على كامل جزر المحيط الهادي في شباط ١٩٤٥ ، فقبل ان يستكمل ماك ارثر فتح الفلبين كان الاسطول الامريكي اقترب من اليابان ولم تكن جزيرة " ايواجيما " الصغيرة تبعد عن طوكيو باكثر من ٨٠٠ ميل فظلت

الطائرات الامريكية تصليها قصفا بشكل يومي لمدة شهر كامل ، وظلت حملة مؤلفة من ستة بوارج وطرادات ومدمرات تدك استحكاتها اسبوعيا . ثم تدفق مشاة الاسطول على شواطئ طوكيو في التاسع عشر من شباط ولم ينته شهر اذار عام ١٩٤٥ حتى كانت قاذفات القنابل الامريكية تنطلق من مدارجها الى طوكيو مباشرة . لم يقوَ اليابانيون على ايقاف الغزو ، بل بدؤوا ينهارون حتى تحولت طوكيو ، كمعظم المدن الصناعية الكبيرة ، الى خرائب محروقة بسبب القصف الامريكي (٣٢) . الا ان الخشية من ان تطول الحرب ضد اليابان دفعت دول الحلفاء الى اشراك الاتحاد السوفياتي في جبهات الشرق الاقصى وقد اغتتم السوفيات الفرصة هذه لاطهار اطماعه التوسعية (٣٣) .

تبعا لذلك ، بدت جبهة الحلفاء تزداد قوة ولم يرغبوا الدخول في أي مفاوضات سلام مع دول المحور المنهارة ، بل راحو يضعون الخطط والتسويات لاقتسامها والاستيلاء عليها .

قبل ان يتوجه الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت للقاء رئيس الوزراء البريطاني " ونستون تشرشل " ورئيس الاتحاد السوفاتي " جوزيف ستالين " في يالطا جنوبي اوكرانيا ، جرت اجتماعات امريكية . بريطانية في مالطا كانت بشكل اساس بين الزعامات العسكرية لهيئتي الاركان البريطانيه والامريكيه ناقشا فيها ، خلال الفترة بين الثلاثين من كانون الثاني والثالث من شباط عام ١٩٤٥ ، كل ما يتعلق بالخطط العسكريه ، حتى ان روزفلت لم يلتق تشرشل الامرة واحدة ضمن لقاء قصير ، اذ لم يرغب فيه ان يطول حتى لا يبعث برسالة خاطئة للاتحاد السوفياتي مفادها بان اللقاء انما هدفه التنسيق الثنائي بين البلدين ضدها ، سيما ان الولايات المتحدة كانت تتوحد للسوفيت وترغب بمساعدتها، لاسيما في الشرق الاقصى والتنسيق معها على الاقل ، لتقليل خطر استعدائه الاتحاد السوفياتي بعد ان ابتعلت اوربا الشرقيه، وهاهي ترنو نحو الشرق الاقصى (٣٤) .

في ظل ظروف انتصار الحلفاء ودحر المحور ، اجتمع الثلاثة الكبار روزفلت ، تشرشل ، ستالين ، في يالطا بين الرابع و الحادي عشر من شباط عام ١٩٤٥ ، وكل منهم يحمل اجندته الخاصة ، التي يسعى من خلال المؤتمر الى تحقيقها . فقلد كان روزفلت يريد اشراك الجيش الاحمر السوفيياتي في حرب بلاده ضد اليابان لانهاء الحرب القائمة باسرع وقت وباقل الخسائر ، وكان متمسكا بمشروعه الخاص بانشاء منظمة " الأمم المتحدة " بما يتيح تعميق الدور الامريكي وفرض نفوذه دوليا .

أما هدف ستالين من المشاركة في المؤتمر ، تركز على امن بلاده واسترجاع ما فقدته بين عامي ١٩١٨ . ١٩٢١ ، بسبب الظروف الثورة ومعاهدة صلح بريست ليتوفسك Treaty of Brest _ Litovsk (٣٥) فضلا عن التدخل الدولي في احدث الثورة والحرب الاهليه الروسيه ، ما يعيد النفوذ السوفيياتي الى سابق عده في دول اوربا الشرقية . الان تشرشل حضر جلسات المؤتمر بنية الحد من النفوذ السوفيياتي في اوربا والوقوف بوجه زحفها غربا وما تبتغيه من نشر مبادئ الشيوعية واثر ذلك على دول اوربا الغربيه ذات النهج الراسمالي (٣٦) .

لاجل ذلك كله سعى المؤتمر وبتاثير امريكي واضح الى التقليل من الخلاف في المواقف والخروج بمقررات تلبي غايات وامال المشتركين . يمكن تلخيصها بما يلي :

❖ تأسيس هيئة الأمم المتحدة United Nation : اتفق على ان يحضر ممثلوا الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيياتي والمملكة المتحدة والصين وعن حكومة فرنسا المؤقته في الخامس والعشرين من نيسان عام ١٩٤٥ في سان فرانسيسكو الولايات المتحدة الامريكية لوضع ميثاق الأم المتحدة وكان هذا الاجتماع اول نواة لما بالاعضاء الدائمين لمجلس الأمن الدولي The Security Council (٣٧) .

❖ الوضع في المانيا :

كان الوضع في المانيا شائكا للغاية ، اذ اختلفت نوازع واهداف الدول المجتمعه بين وضع خطة لاحتلال المانيا وتعريف الوضع فيها بعد الاحتلال وبين الحيلولة دون عودة الحزب النازي مجددا بل محاسبة كل رموزه والتخلص منهم . فلقد تم الاتفاق بين الحلفاء على احتلال المانيا وتقسيم اراضيها الى اربعة مناطق ، بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا ، وتتم دعوة فرنسا ايضا لمشاركتهم الاحتلال . استجابت بذلك الولايات المتحدة لرغبة الاتحاد السوفياتي في مشاركتهم احتلال المانيا (٣٨) .

تطرق المؤتمر كذلك الى مسألة فرض تعويضات على المانيا ، تدفعها للدول المتضررة من الحرب ، باعتبارها الطرف المعتدي و المسؤول عن قيام الحرب ، الا ان الحلفاء اختلفوا في تحديد مقدار تلك التعويضات ، لاسيما ان روزفلت وتشترشل رفضا طلب الاتحاد السوفياتي ، الذي بين بانه اكثر الدول المتضررة من الاحتلال الالمانى لاراضيه ، بالحصول على نصف مبلغ التعويضات (٣٩) .

❖ المكتسبات الامريكية . السوفياتية :

حققت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي اهدافهما من المشاركة في المؤتمر والدعوة اليه اذ قرر المجتمعون الدعوه لتأسيس " هيئة الأمم المتحدة " (٤٠) لتكون منظمة دولية تسعى للحفاظ على الامن والسلم الدوليين . وبخصوص هذه المنظمة تم الاتفاق على تعريف هويتها وتحديد الياتها وطريقة عملها ، لتكون بديلا ناجحا عن منظمة عصبة الامم ، التي انتهت بفعل الانسحابات المتكررة منها لاسيما من الدول المؤثرة وربما القرار الاهم الذي جاء على هوى الولايات المتحدة كان موافقة الاتحاد السوفياتي على اعلان الحرب ضد اليابان شريطة حصولها على منشوريا وجزر كوريل اليابانية والنصف الجنوبي من جزيرة سخالين واحترام مصالحها الخاصة في منشوريا مع احتفاظ الصين بكامل سيادتها عليها ، ما

اعطى روسيا نصف ما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، والدعوه لرسم الحدود الشرقيه لبولندا مع روسيا طبقا (لخط كورزون) The Curzon Line المثبت باتفاقية فرساي عام ١٩١٩ بما يتيح سيطرة روسيا عليها ويقلل من الخطر الالمانى في البلقان^(٤١) . فعلى الرغم من ان الوفد الامريكى اعلن صراحة عن رغبته بتقديم الاتحاد السوفياتي تنازلات لصالح ضمان آمن بولندا ، وضح رئيس الوزراء البريطانى كلمينت اتلي ان بلاده " لا تهتم كثيرا بمسألة الحدود وضم اقليم كورزون لبولندا " مؤكدا ان الهدف الاسمى لبريطانيا هو رؤية بولندا " دولة حرة مستقلة " وهو الامر الذى جاء منسجما مع خط السياسة السوفياتيه ، اذ لم يترك ستالين مجالا للشك في رفض بلاده التنازل عن الاقليم لصالح بولندا خشية من ردود افعال الشعب الروسى ازاء أي تنازل ، واذا كان هناك من فرصة للحوار فيفضل البحث في تعديل الخط لا ضمه الى بولندا . أمر اخر اكدت عليه مباحثات يالطا هو تشكيل الحكومة البولندية سيما ان الاتحاد السوفياتي كان يدعم بعض العناصر اليسارية والعسكريه الموالية له ، وهو ما كانت تخشاه الادارة الامريكية من ان تتحول بولندا بعد التحرير من الاحتلال الالمانى الى قلعة سوفياتيه للتبشير بمبادئ الاشتراكية الشيوعية في شرق اوربا امتدادا الى عمق الغرب الاوربي . لذا اكد روزفلت دعم ادارته خلق حكومة تحظى بمقبولية دولية واسعه تتشكل من جميع ألوان الطيف السياسى المحلى من محافظين وليبراليين واشتراكيين ولأمانع له ان ترتبط بعلاقات ودية مع الاتحاد السوفياتي^(٤٢) .

حصل الاتحاد السوفياتي كذلك على اعتراف امريكى بالاستقلال الذاتى لمنغوليا (جمهورية منغوليا الشعبيه) ويعاد استئجار ميناء " بورت ارثر " للاتحاد السوفياتي . وان تتعهد الولايات المتحدة باقناع الصين على موافقه بما جاء بشأنها اعلاه^(٤٣) .

من جهة أخرى ، طالب المؤتمر روسيا حث دول اوربا الشرقية على اجراء انتخابات حرة تقدم لشعوبها حكومات وطنية نزيهة بعيد عن أي تاثير خارجي ، وفي ذلك اشارة واضحة للحد من نفوذ الاتحاد السوفيياتي لكن مطالبة المؤتمر له بالاعداد والاشراف على الانتخابات ببدا أي امل بالتخلص من الهيمنة الشيوعية وهذا ماحدث بعد الحرب اذا تحولت دول اوربا الشرقية الى مناطق نفوذ شيوعية لا تكسر ولا تلتين (٤٤) .

❖ بولندا : اشتدت خلافات الرؤى بين الجانبين الامريكي والسوفيياتي حول بولندا ، اذ كان الوضع فيها استثنائيا بفعل تحريرها على يد الجيش الاحمر الروسي ، لذلك كانت هناك خشية كبرى من تأليف حكومة موالية للاتحاد السوفيياتي . فأكد المؤتمر بزعامة الولايات المتحدة على تشكيل حكومة مؤقتة وطنية تحظى بدعم محلي واسع وتنال رضى دول الحلفاء ، التي حرصت لاسيما الولايات المتحدة على ابعاد بولندا عن أي تأثير شيوعي . في تلك الفترة كانت بعض الزعامات البولندية (م . مولتوف ، M . Mplotov السيد هاريمان ، Mr . H arriman والسيد كلارك كير Sir . Clark kerr) بدأت بالتفاوض مع الاتحاد السوفيياتي للحصول على مساعدتهم لتشكيل حكومة مؤقتة وان حكومة الوحدة الوطنية المؤقتة تتعهد باجراء انتخابات حرة غير مقيدة قدر الامكان على اساس الاقتراع السري ولكل الاطراف السياسية الحق بالمشاركة في الانتخابات مهما اختلفت مشاربهم الفكرية والسياسية . ما ان ترى الحكومة النور وتباشر اعمالها فهي تحرص على اقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيياتي والولايات المتحدة والمملكة المتحدة وسوف تتبادل سفرائها مع تلك الحكومات (٤٥) .

❖ اعلان اوربا المحررة Declareation of LiberratedEuorpe

نص الاعلان الذي جاء في مقررات يالطا اتفاق دول الحلفاء في الحفاظ على مصالح الشعوب المحررة من سيطرة النازيين والفاشيين وانها سوف تعمل بشكل جاد على مساعدة تلك الشعوب في اقامة انظمة سياسية ديمقراطية وحكومات منتخبة و ممثلة بشكل عادل لمواطنيها على اختلاف قومياتهم وانتماءاتهم الدينية فضلا عن توفير حلول جدية لمشكلاتها الاقتصادية اذ تعهدت على اعادة بناء اوربا المحررة سياسيا واقتصاديا واتخاذ تدابير الاغاثة في حالات الطوارئ للتخفيف عن كاهل الشعوب المنكوبة لذلك هي مصممة على انشاء منظمة عالمية للحفاظ على السلم والامن الدولي وتحقيق الرفاهية والعدل للبشرية جمعاء (٤٦) .

مؤتمر بوتسدام

بعد ان فضت جلسات المؤتمر سارعت الدول المتحالفة الى تفعيل ماجاء في مقرراته . ففي الثامن من شباط بدأ الهجوم على الجبهة الغربية كما واصلت القوات السوفياتية زحفها شرق المانيا ، فلقد تمكنت تلك القوات من دخول برلين، التي قاومت ببسالة ، في السادس عشر من نيسان ، حتى استسلمت في السابع من مايس عام ١٩٤٥ بدون قيد او شرط (٤٧). كذلك واصل الحلفاء انتصاراتهم باحتلال مناطق الشرق الاقصى التي كانت تابعة لليابان مثل " الفلبين وفرموزا " ، ورغم الخسائر العسكرية التي منيت بها اليابان الا انها رفضت الاستسلام ، اذ واجهت الولايات المتحدة في " اوكليناوا " منذ الاول من نيسان الى الحادي والعشرين من حزيران مقاومة شرسة ونظرا لاستماتة اليابانيين في الدفاع عن ارضهم وتوجهت موجات من الطائرات الانتحارية اليابانية لذلك الاسطول الحليف قبالة الساحل ملحقة به افدح الخسائر . وفقدت اليابان ايضا بين تسعين الف ومائة الف جندي وعددا مماثلا من المدنيين ، أما الخسائر الامريكية فقد بلغت احد عشر الف قتيل وحوالي اربعة وثلاثون الف جريح ورأى معظم

الامريكيون في هذه الخسارة اشارة تقريبية لما قد يواجه الولايات المتحدة لو قامت بغزو اليابان الذي كان تخطط له (٤٨) . ما جعل الولايات المتحدة تسعى لانتهاء الحرب القائمة اكان بالاتفاق مع الاتحاد السوفياتي او باستخدام حلول وبدائل اخرى (٤٩) ، لاسيما بعد نجاح تجربة القنبلة النووية الذرية (٥٠).

في وسط هذه الظروف تم افتتاح جلسات مؤتمر بوتسدام ، في احدى ضواحي برلين التي باتت في قبضة الحلفاء ، و الالفت في المؤتمر كان حضور الرئيس الامريكي هاري ترومان Harry Truman (٥١) ، خلفا لروزفلت بعد وفاته في الثاني عشر من نيسان اثر نزيف حاد في الدماغ ، الى جانب تشرشل وستالين ، اللذين لم يكملا المؤتمر بسبب خسارة تشرشل للانتخابات التشريعية في بريطانيا ، فاناب عنه الزعيم العمالي ورئيس الحكومة البريطاني " كليمنت اتلي " Clement Attlee (٥٢) . وتغيب ستالين عن باقي جلسات المؤتمر بسبب وعكة صحيه المت به ، هذا ما تم الصريح به الا أن الشكوك اثيرت حول الموقف الأمريكي الذي بدى مشككا بموقف الاتحاد السوفياتي ازاء مسائل مهمة في اوربا لاسيما تشكيل حكومة بولندية لا تشعر بالتبعيه للاتحاد السوفياتي (٥٣) .

كشفت جلسات المؤتمر ، التي امتدت من السابع عشر من تموز الى الثاني من آب عام ١٩٤٥ ، خلافا في المواقف ووجهات النظر عما كانت عليه في يالطا ، اذ بدت الولايات المتحدة اكثر ثقة واعتدادا بموقفها وتشددا تجاه الاتحاد السوفياتي ، لاسيما بعد تجربة القنبلة الذرية فهي لم تعد بحاجة الى تقديم تنازلات اقليمية وسياسيه كما فعلت في يالطا ، بل ان القلق من تعاظم النفوذ السوفياتي في اوربا الشرقية كان محبطا حتى للبريطانيين . اما الاتحاد السوفياتي فقد حضر المؤتمر بنية الحصول على مزيد من الامتيازات والمكاسب (٥٤) .

استكملت محاور مؤتمر بوتسدام ما جاء على ذكره في يالطا مع تغيير ملحوظ في بعض المواقف و كالاتي :

❖ المانيا :

بعد احتلال المانيا واستسلامها اتفقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيياتي مع حلفائهم على اقتسام المانيا و العمل سوية على تجريدها من قوتها العسكرية وترسانتها الحربية ومعاقبة مجرمي الحرب من النازيين وفي ذلك يتم تأسيس محاكم خاصة لمحاسبة النازيين ولأجل ذلك تأسست محاكم خاصة لمحاسبة كل من انتمى للحزب النازي . كما قرر المؤتمر ان تحتفظ المانيا بجزء يسير من طاقتها الصناعية لتوفير حد ادنى من الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد دون حصول فائض وفير من رؤوس الاموال التي قد تشجع الالمان على بناء ترسانة عسكرية وتهديد العالم من جديد . واخيرا اكد المؤتمر في مقرراته على عودة الحياة الديمقراطية في المانيا والعمل بشكل جاد على تثقيف الجيل الجديد من الشباب الالمانى ، الذي نشأ متأثرا بالدعاية النازية ^(٥٥) ، بمفاهيم حقوق الانسان والعدل والمساواة والمشاركة السياسية للجميع واحترام الاتفاقيات الدولية وتعهدات المانيا طبقا لذلك ^(٥٦) .

❖ تحديد النفوذ السوفيياتي :

سعى منها لتحجيم النفوذ السوفيياتي اثارت الولايات المتحدة مخاوف الحلفاء من مشروع الدعاية السوفيياتية فرفضوا الاعتراف بشرعية الحكومات التي اقامها الاتحاد السوفيياتي لاسيما في رومانيا وبلغاريا مشددين على احترام استقلال دول شرق اوربا والعمل على اقامة انتخابات حرة نزيهة تحضى برضى مواطنيها بعيدا عن أي تأثير خارجي . كما رفضوا خط الحدود الغربية لبولندا الذي وضعه الاتحاد السوفيياتي وفي ذلك تراجع واضح عن موقف مقررات يالطا بعد ان اطلقوا العنان لرغبات روسيا بضم اجزاء من بولندا الى اراضيها . الا ان الاتحاد السوفيياتي

رفض السماح للحلفاء بمراقبة الانتخابات في دول اوربا الشرقية لانها وجدت في ذلك تجاوز صارخ على مناطق نفوذ تحملت لمفردها خطر مواجهة المانيا لاجل تحريرها (٥٧) .

❖ الشرق الاقصى

استكمالا منها لفتح منطقة الشرق الاقصى قررت الادارة الامريكه توجيه ضربة نووية الى مدينة " هيروشيما " ، في السادس من آب عام ١٩٤٥ ، اعقبته ضربة اخرى لمدينة " ناكازاكي " في التاسع من آب ، الامر الذي ادى الى استسلامها بعد خسائر بشرية ومادية هائلة . وقد وقعت اليابان اتفاقية الاستسلام في الثاني من ايلول على ظهر المدمرة الامريكية ميسوري مع الجنرال ماك ارثر . كان هذا الحدث ايدانا بدخول العالم مرحلة جديدة من سباق التسلح النووي وانتصارا لاقتا للولايات المتحدة في حسم الصراع في منطقة الشرق الاقصى لصالحها (٥٨) .

وضعت الدول الحليفة مقررات بوتسدام موضع التنفيذ ، ففي نفس الفترة عقدت جلسات " تاسيس هيئة الامم المتحدة " حينما اجتمع مندوبون عن خمسين دولة في " سان فرانسيسكو " في " كاليفورنيا " ، بين نيسان وتموز ١٩٤٥ ، لوضع ميثاق الهيئة التي اختيرت نيويورك مقرا لها (٥٩) . وجرت في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٤٥ محاكمة مجرمي الحرب من النازيين في " نورنبرغ " ، طبقا لما جاء في مقررات بوتسدام امام هيئة من القضاة البارزين من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتي ، وقد دامت المحكمة اكثر من عشرة شهور كان من الطبيعي ، في ظل ظروف تشكيلها السياسي واجواء الشحن العاطفي للانتقام من النازيين ، ان تنتهي بادانة معظم المتهمين والحكم عليهم بالإعدام (٦٠) .

❖ بولندا :

أبدت الادارة الأمريكية قلقها الشديد حول آلية تشكيل حكومة بولندية ، تحظى بأجماع وطني وأعتراف دولي ، لذا اصرت على تضمين ميثاق بوتسدام تعهد الدول الكبرى على تنفيذ ما جاء في مقررات مؤتمر يالطا الذي اكد مبدأ تشكيل حكومة وطنية تجمع الوان الطيف السياسي البولندي ، كي لا تكون عرضة لتأثير هذا الطرف او ذاك، بل العكس ، اذ اكدت الولايات المتحدة الامريكية على ان ترتبط تلك الحكومة بعلاقات دبلوماسية وثيقة مع المجتمع الدولي ، وفي المقابل لن يتخلى العالم الحر عن بولندا بل سيعترف بحكومتها الوطنية الممثلة للشعب البولندي . من ناحية اخرى اثبتت مجددا مسألة الحدود البولندية فقد رسم ميثاق مؤتمر بوتسدام بأنفاق الاطراف المجتمعه، غربا تمتد من المانيا شمالا الى بحر البلطيق وعلى طول نهر اودر Oder River الى غربي نهر نيس Nisse River ومن غرب نهر نيس الى جيكوسلوفاكيا جنوبا على ان تحتفظ بمدينة دانزك ومن الشرق يحدها الاتحاد السوفياتي (٦١) .

الخلاصة

- يعد موضوع العلاقات الامريكية . السوفيتية من المواضيع المهمة في التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر لكونه يتناول الأسس التي قامت عليها تلك العلاقة بالشكل الذي ينعكس على متغيرات وتطورات الحرب العالمية الثانية. ان فشل سياسة الاسترضاء وارتباك الخطط الرامية لايجاد حلول سلمية لتجنب تحول الحرب الى نطاق اوسع وبالتالي اندلاع الحرب العالمية الثانية.
- عكست تطورات الحرب تحولا كبيرا في السياسة الامريكية ازاء التدخل في شؤون القارة الاوربية لاسيما بعد امتداد الزحف الالمانى لاغلب اراضي اوربا وبداية انهيار الامكانيات البريطانية واحتمالية سقوطها امام القوة النازية.

- هكذا انتهت فصول الحرب العالمية الثانية التي شهدت تقارب سوفياتي - امريكي لتحقيق بعض المصالح مع بقاء روح التنافس والصراع فالقطين جمعتهما مناطق نفوذ مشتركة ومتقاربة من بعضها فضلا عن ان الخلاف الابدولوجي بينهما زاد من رقعة الصراع ، الا ان تنامي الخطر النازي والفاشي والدكتاتوري العسكري في اليابان قرب بينهما لفترة من الوقت ريثما يحقق كل قطب غاياته واماله في السيادة والسيطرة .
- كشفت مقرارات المؤتمرات التي عقدت في الحرب العالمية الثانية عن اجندات استعمارية قادمة بذرائع مختلفة كنشر السلام والمساعدة في انشاء حكومات ديمقراطية الا أن كل تلك المفاهيم كانت ضرب من ضروب تحجيم التسيد الشيوعي السوفياتي في شرق اوربا ومحاولة تحييد المنطقه لكن الاتحاد السوفياتي استطاع ان يثبت اقدمه هناك ولفترة طويلة امتدت حتى اوائل تسعينات القرن العشرين حينما شهد العالم وتنشطي الاتحاد السوفياتي الى دول صغرى واقليم متحاربه ومتناحرة فيما بينها .
- اصبح العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتهاء مؤتمر بوتسدام خاتمة مؤتمرات تلك الحرب على اعتاب مرحلة جديدة من الصراع والحروب الدولي هذا قسم العالم الى كتلتين كل واحدة منها تتبع قطب (الولايات المتحدة او الاتحاد السوفياتي) وذهبت معها امال الشعوب المنهكة بالحريه والسلام والامن حيث امست وقود لحروب اخرى بالنيابه عن القطبين عرفت بحروب " الوكالة او النيابة " . حتى ان هيئة الامم المتحدة التي اصرت الولايات المتحدة على ايجادها باتت لا تختلف كثيرا عن سابقتها أي عصبة الامم فكلاهما فشلا في تحقيق الغايه من انشائهما أي السلام رغم ان هيئة الامم المتحدة اصبحت سلاح ماض بيد الولايات المتحدة لضرب خصومها والتخلص منهم لاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩١ .

abstract

the subject of USA-Soviet relations of the important topics in the history of the European modern and contemporary because it ideals with the bases of the form in which that relationship is reflected on the changes and developments of the Second World War. The failure of appeasement and confusion plans to find peaceful solutions to avoid turning the war into a wider range of policy and thus the outbreak of World WarII.

Developments of the war reflected a significant shift in USA policy toward intervention in the affairs of the European continent, especially after the extension of the German crawl for most of the territory of Europe and the beginning of the collapse of the British possibilities and the possibility of falling down in front of Nazi power.- Formed conferences held during World War II, the main driver of USA trends during the Soviet war.

الهوامش والمصادر

١- للمزيد من التفاصيل ينظر :

ازهار جبار شكر، الاوضاع السياسية في بولندا خلال الحرب العالمية الثانية
١٩٣٩-١٩٤٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد
٢٠١٣، ص ٥٥

٢- فياشلاف مولوتوف: سياسي ودبلوماسي روسي، ولد عام ١٨٩٠ انخرط
في العمل السياسي منذ عام ١٩٢٠، اصبح لاكثر من مرة وزير للخارجية
١٩٣٩-١٩٤٩، ومن ١٩٥٣-١٩٥٦، تقاعد عام ١٩٥٦، توفي عام
١٩٨٦.

للمزيد من التفاصيل انظر الموقع التالي على الانترنت :

http://en.wikipedia.org/wiki/Main_Page

٣- جوهام فون روبنتروب: دبلوماسي الماني ولد عام ١٨٩٣، انضم الى
الحزب النازي منذ عام ١٩٣٢. تمتع بقدرة كبيرة على الاقناع. مثل بلاده في
لندن ما بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٨، اعدم في عام ١٩٤٥.

للمزيد من التفاصيل انظر الموقع التالي على الانترنت :

http://en.wikipedia.org/wiki/Main_Page

٤- للمزيد من التفاصيل ينظر :

نغم سلام ابراهيم، العلاقات الالمانية السوفيتية معاهدة عدم الاعتداء ١٩٣٨-
١٩٣٩، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص ٩٤.

٥- ازهار جبار، المصدر السابق، ص ٥٦

٦- ادولف هتلر: زعيم المانيا النازية، ولد عام ١٨٨٩ على الحدود الالمانية
النمساوية في مدينة برانون انخرط في الخدمة العسكرية، انضم الى حزب العمال
الالمانى الذي سرعان ما اصبح زعيما له وغير اسمه الى حزب العمال الاشتراكي

الموقف الأمريكي . السوفياتي من تطورات الحرب العالمية الثانية في ضوء مؤتمرات الحرب
١٩٤٣-١٩٤٥

الديمقراطي. وقد اسهمت تداعيات الازمة الاقتصادية العالمية في وصوله الى حكم
المانيا ،قتل عام ١٩٤٥. للمزيد من التفاصيل انظر: Edmond
Vermell, Germanys The Three Reich. Translated By
E.W.Dickes, London ,1944,p.345

7- Walter Consuelo Langsam ,the world since 1919 ,new York ,1940,p.277

8-Documents Concerning The Relations Between Finland ,Great Britain and The United States of America During
The Autumn 1941 ,Helsinki ,1942,pp.1-2

9 -ibid

١٠- عبد العظيم رمضان ،تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث .ج٣، مصر
١٩٩٧، ص ١١٩

١١- المصدر نفسه ، ص ١١٩ .

١٢- عمر عبد العزيز عمر ومحمد علي القوزي ،دراسات في تاريخ اوربا الحديث
والمعاصر ١٨١٥-١٩٥٠ ،بيروت، ١٩٩٩، ص٤١١

١٣- عبد العظيم رمضان ،المصدر السابق، ص١٢٣

١٤- ونستون تشرشل:سياسي بريطاني ،ولد عام ١٨٧٢ شغل منصب وزير
الخزانة البريطانية بعد الحرب العالمية الاولى كان اول رئيس وزراء يحصل على
جائزة نوبل للاداب ،شغل منصب رئيس للوزراء مابين ١٩٤٠-١٩٤٥ .توفي عام
١٩٦٥.

١٥- عيسى الحسن ،الحرب العالمية الثانية الاسباب -الوقائع -النتائج، الاردن ،
٢٠٠٩، ص١٠٩

الموقف الأمريكي . السوفياتي من تطورات الحرب العالمية الثانية في ضوء مؤتمرات الحرب
١٩٤٣-١٩٤٥

١٦- مفيد الزيدي ،موسوعة تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ،ج٣-٤، عمان
٢٠٠٤، ص١٠٧٣،

١٧-ج.ب.ديروزيل ،التاريخ الدبلوماسي في القرن العشرين ،ج١،ترجمة خضر
خضر ،لبنان ،١٩٨٥، ص٤٥٧

18- Stephnborsody the triumph of tyranny ,thenazi and soviet
conquest of Gentral Europe ,New York ,1960,p.p132

19-ibd., p.133

20- Lionel Kochan, The Struggle for Germany 1914-
1945,New York,1963,p.83

21-ibd. ,p.84

٢٢- ايمن محمد عادل ،مذكرات تشرشل،مذكرات قادة الحرب العالمية
الثانية،ج٢،مصر ،٢٠٠٧، ص١٦٧

٢٣- ج.ب.ديروزيل ،المصدر السابق، ص٤٦٧

٢٤- المصدر نفسه، ص ٤٧٦.

٢٥ - ايمن محمد عادل، المصدر السابق، ص١٦٨

٢٦-روبرت بيتزل ،مقررات مؤتمرات طهران -يالطا -بوتسدام ،ترجمة عبد الرضا
دهيني ،مراجعة محمد الحجيري ،بيروت ،لات، ص٥٣

٢٧- المصدر نفسه، ص ٥٤

٢٨- محمد موسى ال طويرش ، تاريخ العالم المعاصر ١٩١٤ . ١٩٧٥ من
الحرب العالمية الاولى حتى الحرب الباردة ، ط ٢ ، بغداد ، الجامعة المستنصرية
٢٠٠٧ ، ص ١١٣ .

29 -www .onefd .edu .d z

٣٠. محمد موسى ال طويرش . المصدر السابق ، ص ١١٣ .

الموقف الأمريكي . السوفياتي من تطورات الحرب العالمية الثانية في ضوء مؤتمرات الحرب
١٩٤٣ - ١٩٤٥

٣١- الآن نيفينز وهنري ستيل كوماجر (سارمز لهما : نيفنز و كوماجر) ،
موجز تاريخ الولايات المتحدة ، ج ٣ ، مصر ، دار المعارف ، د . ت ، ص
٤٣٢ .

٣٢- المصدر نفسه ، ص ٤٣٣ .

33-www . onefd .edu .d z

34-See in :F.R.O.U..S. , Conference at Malta and Yalta
1945 , U.S.

Government Printing, Washington , PP. 1 _ 455 .

٣٥ - بريست ليتوفسك : وقعت هذه الاتفاقية في الثالث من اذار عام ١٩١٨
بين المانيا وروسيا بعد قيام الثورة البلشفية والتي انتهت مشاركة روسيا في الحرب
العالمية الاولى واجبرت على تقديم تنازلات كبيرة لصالح المانيا .
لمزيد من التفاصيل ينظر :

www. Encyclopedia ,thefreedictionary.com

٣٦-محمد موسى ال طويرش ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

37 – The State of Departement , The Text of Agreements
Reachead at TheCrima (Yalta) Conference between
President Roosevelt , Prime Minister Churchill and
Generalissimo Stalin ,Washington ,24 March ,1945.

٣٨- موجز التاريخ الامريكي ، ص ١٤٣ .

39 – www . onefd .edu .d z

٤٠- كان الحلفاء قد اجتمعوا في وقت سابق في " دمبرتون اوكس Dumbarton

Okas" في ١٩٤٤ للتفاهم حول انشاء منظمة الامم المتحدة وقضية التصويت

الموقف الأمريكي . السوفياتي من تطورات الحرب العالمية الثانية في ضوء مؤتمرات الحرب
١٩٤٣-١٩٤٥

والتمثيل فيها . وقد اتفق المشاركون على اعطاء الدول الخمس الكبرى حق النقض
" الفيتو " داخل مجلس الامن و اعطاء حق العضوية لكل من اوكرانيا وروسيا
البضاء في الجمعيه العامة للامم المتحدة . مركز الاستعلام الامريكي ، موجز
التاريخ الامريكي ، بلا ، بلا ، ص ٢٢٢ .
٤١- خط كورزون : وضع هذا الخط مجلس الحلفاء الاعلى في الحرب العالمية
الاولى حدا فاصلا بين بولندا التي عدوها دولة ديمقراطية وروسيا البلشفية . لمزيد
من التفاصيل ينظر :

www. Encyclopedia ,thefreedictionary.com

42 -Documents on the Grand Alliance 1945 , Yalta
Conference ,Feb 6 , 1945 ; R.O.U..S. , Conference at Malta
and Yalta 1945 ,PP. 667 – 671.

٤٣- صفاء كريم شكر ، تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ، بغداد ، الجامعه
المستنصرية ، ٢٠٠٢ ، ص ١٥٠ .

44- Richard D .Heffner , A Documentary History of United
States , U.S.A. ,
1956 , P. 291 .

45 – The State of Departement , Ibid .

46- Richard D .Heffner,Op . Cit . , P .291 .

٤٧- مركز الاستعلامات الامريكية ، ص ٢٢٢ .

٤٨-فرانكلين آشر ، موجز تاريخ الولايات المتحدة ، ترجمة مهيبه مالكي الدسوقي
، بلا ، بلا ، ص ١٧٨ .

٤٩-موجز التاريخ الامريكي ، ص ٢٢٣ .

الموقف الأمريكي . السوفياتي من تطورات الحرب العالمية الثانية في ضوء مؤتمرات الحرب
١٩٤٣-١٩٤٥

٥٠- فجر علماء الذرة الأمريكيون في مشروع مانهاتن السري قنبلة ذرية بعد ثلاث سنوات من التجربه والابحاث المكثفة في المختبرات الامريكية . الامر الذي قوى شوكة الولايات المتحدة اذا سرعان ما بدأ التلويح الى امكانية استخدامها ضد اعدائها لانهاء الحرب والتقليل من الخسائر في صفوف قواتها لو خاضت غمار مواجهة مباشرة وبالتأكيد ان التلميح كان موجها ضد اليابان عدوها المقاوم . ينظر : موجز التاريخ الامريكي ، ص ٢٢٣ .

٥١- ترومان : ولد ترومان ١٨٨٤ ، انتخل عضوا في مجلس الشيوخ الامريكي عن ولاية مزوري ١٩٣٥ - ١٩٤٥ . شغل ترومان منصب نائب الرئيس الامريكي عام ١٩٤٥ . اعلن مبداه المعروف بـ " مبدأ ترومان " عام ١٩٤٧ لمساعدة الدول التي يهددها الخطر الشيوعي . توفي عام ١٩٧٢ .

The Encyclopedia Americana International ,Vol . 27, U.S.A. , 1978 , P.570.

٥٢ - اتلي : سياسي بريطاني ولد في لندن عام ١٨٨٣ تلقى تعليمه في جامعة اكسفورد وعمل بين عامي ١٩١٣ و ١٩٢٢ في كلية لندن للاقتصاد وفي العام ١٩٣٥ رأس حزب العمال . اصبح اتلي رئيسا للوزراء بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٥١ . استقال من زعامة حزب العمال عام ١٩٥٥ . توفي ١٩٦٧ .

Cannon , John , The Oxford Companion to Britishe History , Oxford , 1997 , PP.62-63.

٥٣- محمد موسى ال طويرش ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .
54-www . onefd . edu . dz

٥٥- موجز التاريخ الامريكي ، ص ١٤٣ .

الموقف الأمريكي . السوفيياتي من تطورات الحرب العالمية الثانية في ضوء مؤتمرات الحرب
١٩٤٣ - ١٩٤٥

56-Allan Nevins , A History of The American People From
1492 , Oxford University Press , 1967 , PP . 267 – 277 .

٥٧- نيفينزوكوماجر ، المصدر السابق ، ص ٤٣٤ .

٥٨- آشر ، المصدر السابق ، ص ص ١٨٠ . ١٨١ .

59- F.R.O.U..S. , Conference at Malta and Yalta
1945,PP.1105-1107.

٦٠- موجز التاريخ الامريكي ، ص ١٤٣ .

61-See : The State of Departement ,Berlin (Potsdam)
. Conference 1945, August 2, PP. 1226 – 1233

ابواب مدينة بغداد

في العهود العباسية الاولى

أ.م.د. عمار لبيد ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعد تاريخ الخلافة العباسية من العصور المهمة في مسيرة التاريخ العربي الاسلامي . لقد حكم العباسيون في اوج قوتهم دولة مترامية الاطراف تمتد من الهند والصين شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ومن تركستان وبلاد الخزر شمالاً الى البحر العربي جنوباً .

وقد شهد العصر العباسي ايضاً قمة الازدهار الثقافي والحضاري للمجتمع العربي الاسلامي حيث تحققت انجازات علمية مهمة ساهمت في تطوير المدينة الانسانية . (١)

واذا كانت المدن هي المراكز التي تيسر استقرار الناس وتوسيع العلاقات بينهم وانماء النظم الاجتماعية والادارية والسياسية ، وبالتالي الى ازدهار الحضارة وتقدمها ، ونشاط الفكر وابداعاته ، فأن بغداد تتبوأ مكانة متميزة في المدن ، لافي العالم الاسلامي ابان ازدهاره فحسب ، وانما في كافة بلدان العالم في العصور الوسطى (٢).

وقد اجمل اليعقوبي وصف عظمتها بقوله :- (هي المدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة وكثرة مياه وصحة هواء ، لأنه سكنها من اصناف الناس واهل الكور ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، واثرها جميع اهل الافاق على اوطانهم . فليس من اهل بلد الا ولهم فيها

(١) د . فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ١٧٤ .

(٢) د . يعقوب ليسنر ، خطط بغداد في العهود العباسية الاولى ، ترجمة د. صالح احمد العلي ، المجمع العلمي العراقي ، ٢٠١٣ م ، ص ٣ .

محلة ومتجر ومتصرف ، فاجتمع بها ماليس في مدينة في الدنيا . ثم يجري في حافتيها النهران الاعظمان دجلة والفرات ، فيأتيها التجارات والمير براً وبحراً بأيسر السعي ، حتى تكامل بها كل متجر يحمل من المشرق والمغرب من ارض الاسلام وغير ارض الاسلام ، فإنه يحمل اليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة وسائر البلدان ، حتى يكون بها من تجارات البلدان اكثر مما في تلك البلدان التي التي خرجت التجارات منها ، ويكون مع ذلك اوجد وأمكن، حتى كأنما سيقّت اليها خيرات الارض ، وجمعت فيها ذخائر الدنيا وتكاملت بها بركات العالم^(١).

وقال فيها الخطيب البغدادي (لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها ، وفخامة امرها ، وكثرة علمائها واعلامها ، وتميز خواصها وعوامها ، وعظم اقطارها ، وسعة اطراءها ، وكثرة دورها ومنازلها ودروبها وشعابها ومحالها واسواقها وسككها وازقتها ومساجدها وحماماتها وطرزها وخاناتها وطيب هوائها .^(٢)

وعندما عزم ابو جعفر المنصور بناء مدينة تكون دار ملكه ، قرر ان تكون على اطراف دجلة في وسط العراق حيث الارض منبسطة ، والتربة خصبة ، تتساب فيها الانهار والترع ، اخذة ماءها من الفرات ، ومنتهية في دجلة ، وهي توفر المياه للارواء والزراعة . وللنقل والمواصلات ، فضلاً عن انها تكون خطوطاً دفاعية تعرقل تقدم الجيوش الغازية ، كان الغرض الاول للمنصور من بناء مدينته هو ان يتخذها مقاماً له ولحاشيته ودواوينه وحرسه وجنده المقيمين حوله ، فكانت لها عند تخطيطها الاول هذه السمة (الرسمية) العسكرية ، وقد افرغت وفق تخطيط مدرّوس روعي فيه التنسيق لأداء الغرض الذي انشئت من اجله .^(٣)

(١) اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ) - البلدان ، ليدن ، بريل ، ١٨٩١م ، ص ٢٣٣-٢٣٤

(٢) الخطيب البغدادي ، ابي بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) - تاريخ بغداد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ج ١ ، ص ١١٩

(٣) د. عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، بغداد ، ١٩٤٤م ، ص ٩٦

وجاء سبب اختياري لموضوع البحث ان ابواب السور الاول كانت ذات تخطيط فريد ومبتكر في العمارة العربية الاسلامية كما تشير الى ذلك المصادر التاريخية فأردت بهذا البحث ان اسلط الضوء على براعة المهندس العربي وعلى درايته وسعة ادراكه وحسن تدبيره .

فقسمت البحث الى مبحثين تناول المبحث الاول بناء العاصمة الجديدة التي لم يكن هناك احكم بناء ولا احصن اسواراً منها ، اما المبحث الثاني فتناولت فيه ابواب بغداد واسوارها والتحصينات الدفاعية التي احاطت بالمدينة الجديدة ، وما الت اليه هذه الاسوار بمرور الزمن .

لقد اعتمدت في اعداد بحثي هذا على العديد من المصادر التاريخية التي نقلت لنا وصفاً دقيقاً لمدينة بغداد ومراحل بناءها واختيار موقعها والتحصينات الدفاعية. ومن اهم هذه المصادر كتاب البلدان لليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) ، ومختصر كتاب البلدان لأبن الفقيه الهمداني (ت ٢٨٩ هـ) ، وتاريخ بغداد (او مدينة السلام) منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣ هـ للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) . الذي اورد معلومات دقيقة عن مدينة بغداد وبنائها واسوارها . هذا فضلاً عن العديد من المراجع الحديثة والمترجمة .

ومن الله التوفيق

العاصمة الجديدة

في سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩م قامت دولة العباسيين الذين نقلوا العاصمة من بلاد الشام الى العراق وبلغت الدولة في عهدهم شأناً بعيداً من التقدم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعمراني .

وكان الخليفة ابو العباس اول من ملك من العباسيين ثم خلفه ابو جعفر المنصور الذي ابتداء سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢م ببناء عاصمة جديدة هي مدينة بغداد المدورة ذات الاسوار والتحصينات المنيعة . واذا كان للمنصور شرف بناء مدينة بغداد

المدورة فللخليفة هارون الرشيد كان شرف رفع لواء مجدها وتأسيس حضارتها
الصادقة . (١)

وفي الكتب اشارات تدل على ان التصميم العام للمدينة الجديدة وارباضها كان
من وضع المنصور نفسه ، فيذكر الطبري عن الهيثم بن عدي ان المنصور (خطها
وقدر بناءها ووضع اول لبنة بيده) (٢) ويذكر ايضا انه لما عزم على بنائها احب ان
ينظر اليها عياناً ، فأمر ان يخط بالرماد ، ثم اقبل يدخل من كل باب ، ففهمها
وعرف رسمها ، وامر ان يحفر اساس ذلك على الرسم ثم ابتدئ في عملها . (٣)
وذكر المؤرخون ان المنصور (احضر المهندسين واهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع
والمساحة وقسمة الارضين ، فمثل لهم صفتها التي في نفسه ، ثم اختطها وجعلها
مدورة) (٤)

وقد ذكرها البغدادي : ان ابو جعفر المنصور خط المدينة ميل في ميل ، ولبنها
ذراع في ذراع ، وان الذي تولى الوقوف على خط بغداد ، الحجاج بن اوطاة وجماعة
من اهل الكوفة ، وجعل اربعة مراقبين على العمال ، كان احدهم ابا حنيفة النعمان
بن ثابت ، كان يتولى القيام بضرب لبن المدينة وعدده حتى فرغ من استتمام بناء
حائط المدينة مما يلي الخندق . وكان ابو حنيفة يعدّ اللبن بالقصب ، وهو اول من
فعل ذلك فاستفاد الناس منه . (٥)

(١) د . غازي رجب محمد ، العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق ، مطبعة وزارة

التعليم العالي والبحث العلمي ، ١٩٨٩م ، ص ١١

(٢) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق

محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ج ٣ ، ص ٢٧٤

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٧٧

(٤) اليقوبي ، البلدان ، ص ٢٣٨ / الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٦٦ - ابن الفقيه ،

ابو بكر احمد بن محمد الهمداني (ت ٢٨٩ هـ) - مختصر كتاب البلدان ، طبعة دي غويه ، ليدن

، ١٨٨٥م ، ص ٣٢

(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ص ٧١

اما الاشراف على العمل فان الطبري ذكر ان المنصور جعل المدينة ارباعاً ووكّل بكل ربع قائداً ^(١) وقال ابن الفقيه : ووكّل البناء قواده ، فقسمها بينهم ارباعاً ، فدفع الى الربيع الحاجب باب خراسان ، والى ابي ايوب الخوذي وزيره باب الكوفة ، والى عبد الملك بن حميد باب البصرة ، والى ابن رغبان مولى محمد بن سلّمة الفهري باب الشام فبنوها . ^(٢)

قال الشيخ ابو بكر : ان مدينة المنصور وما لاصقها واتصل ببنائها خاصة ، لأن اعلى البلد قطيعة ام جعفر دونها الخندق ، يقطع بينها وبين البناء المتصل بالمدينة ، وكذلك اسفل البلد من محال الكرخ ومايتصل به يقطع بينه وبين الصراة وهذا حد المدينة وما اتصل بها طولاً ، فاما حد ذلك عرضاً ، فمن شاطئ دجلة الى الموضع المعروف بالكبش والاسد . وكل ذلك كان متصل الابنية متلاصق الدور والمساكن والكبش والاسد صحراء مزروعة . ^(٣)

حرص ابو جعفر المنصور عندما وضع تخطيط بغداد وبنائها ، على ان تكون للمرتبطين به من اهل بيته ومواليه واتباعه ، وحرسه وجنده والعاملين في الدواوين . وكان اختياره لهم قائماً على خطة مرسومة لايطان من يثق بهم ويرتبطون به برابطة المصلحة والافرار بخلافته بصرف النظر عن عمق عقائدهم السياسية في الخلافة العباسية . وهو لم ينظم بغداد على اساس قبلي ، وانما اقام تنظيمه على اساس الافراد والمدن التي جاءت من الجماعات التي اوطنها فيها ، فالكوفة والبصرة مثلاً كانت مقسمة خططاً للعشائر حيث يقيم افراد كل عشيرة معاً في ((خطة)) تسمى بأسمهم ويشرف عليهم عريف منهم ، اما بغداد فأنها مقسمة الى ارباض وقطائع ودروب حسب الاشخاص البارزين ، والمدن التي جاء منها المتوطنين ، او الاشخاص المتنفذون الذين مع اهل هذه المدن ، غيرانه يجب ان نشير الى ان المدن

^(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٨

^(٢) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٤١

^(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٧١

والامصار العربية الاولى كانت قد استقرت خلال القرن الاول ، واكتسب كل منها شخصية متميزة ، وقويت الروابط العامة بين اهلها ، وبدأت ((المفاخرات والمفاضلات ، بين المدن العربية ، وخاصة الكوفة والبصرة ، وازداد الاهتمام بالانتساب الى المدن بصرف النظر عن اصولهم القبلية ، ومن هذا اشتهر كثير من العرب بنسبتهم الى مدن خراسان مع ان اصولهم عربية ، فتنظيم المنصور خطط سكان بغداد على الافراد او المدن هو تعبير عن ما وصل اليه التطور في اخر العصر الاموي من ضعف الروابط القبلية ، وازدياد مكانة الافراد ، وبروز اهمية الروابط ((المدنية))^(١) .

غير ان المنصور منذ ان اعتزم تشييد عاصمة جديدة له ، فكر في توسعها ، وقرر ان يختار منطقة تستوعب التوسع وتحتمل الزيادة في السكان . فلما وضع تخطيطها وبدأ بتنفيذه لم يغفل تواجد العنصر الحضري ، فأمر (ان تجعل الاسواق في طاقات المدينة ، ازاء كل باب سوقاً)^(٢) .

وذكر اليعقوبي ما يدل على ان الارياض هي الوحدة الاساسية الكبيرة التي اتخذها المنصور في تقسيم الاراضي في اطراف المدينة المدورة ، فقسم المنصور الارياض الى اربعة ارباع وانه اعطى اصحاب كل ربع مبلغ ما يصير لصاحب كل قطعة من الذرع ، ومبلغ ذرع ما لعمل الاسواق في ربيع ربيع ، وواضحاً مولاه ، وعبد الله بن محرز .

والربع من باب الشام الى ربيع حرب ، وما اتصل بربيع حرب وشارع باب الشام وما اتصل بذلك الى الجسر على منتهى دجلة : حرب بن عبد الله وغزوان مولاه والحجاج بن يوسف المهندس .

(١) د. صالح احمد العلي ، بغداد مدينة السلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٥ م ، المجلد

الاول ، ص ٨٦-٨٧

(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٣ ، ص ٣٢٣

ومن باب خراسان الى الجسر الذي على دجلة ماراً في الشارع على دجلة الى البغيين وباب قطريل هشام ابن عمرو التغلبي وعمارة بن حمزة وشهاب ابن كثير المهندس . (١)

ونقل الطبري عن سليمان بن مجالد (ان المنصور وجه في حشد الصنائع والفعلة من الشام والموصل والجبيل والكوفة وواسط والبصرة ، فاحضروا . (٢) وعندما صمم المنصور مدينته ، وضع في خطته اقامة ابنية عامة تشمل القصر والجامع وطاقت السكك والاسوار والخنادق ، وبعض الابنية للدواوين ، وقد كملت الابنية الرئيسة خلال سنة من بدء تشييد المدينة ، مما يسر له الانتقال اليها وسكنها . غير ان الابنية العامة لم تكتمل الا بعد اربع سنوات من بدء البناء . حيث انه في سنة ١٤٩هـ تم بناء السور وجميع امورها . (٣)

وردت روايتان عن مبلغ النفقة على المدينة المدورة بما فيها من المسجد الجامع وقصر الذهب والاسواق والفصيلان والخنادق والابواب والقباب ، فاما الرواية الاولى فهي عن عيسى بن المنصور الذي يذكر انه وجد في خزائن ابيه المنصور ان مبلغ النفقة كان اربعة الاف وثمانمائة وثلاثة وثمانين درهماً ، مبلغها من الفلوس مائة الف فلس وثلاثة وعشرون الف فلس (٤) وجاء في الطبري انه انفق على القصر والسورين والخندق ٤٠٠٠٨٣٣ درهماً من الفضة وتعادل ١٠٠٠٢٣٠٠٠ من الفلوس النحاسية (٥) وروى ابو اسحاق الهجيمي ، ان المنصور جلس يوماً في قصر الخلد ، وكان عنده رومي ، (وافد من قبل ملك الروم) ، فقال الرومي : يا امير المؤمنين انك بنيت بناء لم بينه احد قبلك ، ولكن فيه ثلاثة عيوب . قال : وما هي ؟ قال : الاول بعده ،

(١) اليعقوبي ، تاريخ البلدان ، ص ٢٤٢

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٦

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٦٧

(٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٧٠

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٣٢٦

من الماء ، والثاني ان العين تشتاقي الى الخضرة وليس في بنائك هذا بستان ،
والثالث ان رعيته معك في بنائك ، واذا كانت الرعية مع الملك في بنائه فشا سره .
فاجابه الخليفة ابو جعفر بقوله : اما قولك في الماء فحسبنا من الماء ما بل شفاهنا ،
واما قولك في البستان فانا لسنا ممن صرف اوقاته في اللهو واللعب (بل الرماح
والسيوف احب من اغصان الاشجار) واما قولك في (افشاء) سري ، فما لي سر
دون ريعتي . قال ثم عرف الصواب فوجه بشميس وبلاد فقال مدا لي قناتين من
دجلة ، قال الشيخ ابو بكر : مد المنصور قناة من نهر دجيل الاخذ من دجلة ،
وقناة من نهر الكرخ ، الاخذ من الفرات ، وجرها الى المدينة في عقود وثيقة من
اسفلها ، محكمة بالاجر والصاروج من اعلاها ، وكان كل من القناتين المذكورتين
تدخل مدينة بغداد ، وتتدفق في الشوارع والدروب والارياض وتجري صيفاً وشتاءً
لا ينقطع مأوئها في وقت من الاوقات ابداً . وامرهم المنصور بان يغرسوا العباسية
، وان ينقلوا الناس الى الكرخ . (١)

وقد اختلف المؤرخون في تعيين مساحة المدينة وقد استند المستشرقون الذين
تتبعوا موضوع خطط بغداد وفي مقدمتهم غي لسترانج صاحب كتاب (بغداد في عهد
الخلافة العباسية) الى ما ذكره اليعقوبي من ان المسافة بين باب وباب من خارج
الخدق خمسة الاف ذراع بالذراع السوداء والمقصود بهذا من غير شك ان المسافة
التي تدور حول الخندق من الباب الواحد الى الاخر اي اعلى محيط المدينة . وبهذا
يكون طول دائرة المدينة (٢٠.٠٠٠) ذراع ، ولما كانت الذراع السوداء تساوي (٤٩)
سنتماً وفي الاكثر (٥٠ سم) كان طول الدائرة (٩٨٠٠) متر ، اي ان طول
السور يبلغ زهاء عشرة كيلومترات وبهذا يكون طول قطر المدينة اي المسافة بين باب
واخر من الداخل (٣١١٩) متراً او زهاء ثلاثة كيلومترات اما مساحتها بحسب هذه

(١) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) - معجم البلدان ، ٥

مجلدات ، دارصادر ، بيروت ، ١٩٥٥ م ، ج ١ ، ص ٦٨٣

- الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٨ .

الابعاد فتكون اكثر من سبعة كيلومترات مربعة ونصف كيلو مربع ، وهذا لا يقبله المنطق اذ يستبعد جداً ان يكون طول سور المدينة عشرة كيلومترات ، هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى نجد ان هناك شبه اجماع على ان مساحة المدينة مع خنادقها وسورها كان (١٣٠) جريباً ^(١) . هذا ما ذكره الخطيب البغدادي في مقدمة كتابه ^(٢) وما ذكره ابن الجوزي ^(٣) في كتابه مناقب بغداد ، والجريب يساوي (١٣٨٤) متراً مربعاً وبذلك تكون مساحة المدينة قرابة (١٨٠.٠٠٠) م^٢ فقط اي اقل من خمس الكيلومتر . المربع . ولهذا الاسباب اختير اوسط المقادير وهو ميل عربي (٤٠٠٠ ذراع) اي زهاء (٢٠٠٠) متر لقطر المدينة . ^(٤)

وهذا ما اشار اليه الخطيب البغدادي ^(٥) بقوله : (ان المسافة بين كل باب من ابواب المدينة الى الباب الاخر ميل) .

وقد ايد ذلك ابن الجوزي ^(٦) ، وبهذا تكون مساحة المدينة (٣.١٤١.٦٠٠) م^٢ او قرابة ثلاثة كيلومترات مربعة . ^(٧)

اصل تسمية مدينة بغداد

تختلف الروايات في اشتقاق اسم بغداد ، وان كانت تتفق في انه فارسي ويرجح (لسترنج) انه يتشكل من كلمتين (بغ) اي (الله) و (داد) اي (تأسست) او (تأسيس) فيكون معنى بغداد (اسسها الله) ^(٨) .

^(١) د. مصطفى جواد ، د. احمد سوسة

- دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً ، بغداد ، ٢٠١٣ م ، ص ٦٣

^(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٦٩

^(٣) ص ٩

^(٤) د. مصطفى جواد ، د. احمد سوسة ، المرجع السابق ، ص ٦٣

^(٥) تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٧١

^(٦) مناقب بغداد ، ص ٨

^(٧) مصطفى جواد ، د. احمد سوسة ، المرجع السابق ، ص ٦٣

^(٨) غي لسترنج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير يوسف فرنسيس ، الطبعة الاولى ، ١٩٣٦ م ، المطبعة العربية ، بغداد ، ص ١٨.

ولكن فؤاد افرام البستاني يبين انه ورد في الاثار المسمارية الراجحة للالف الثاني عشر قبل الميلاد اسم (بگدو) او (بكدو) ولعل ذلك يشير الى بغداد .^(١) ويفهم من المسعودي ان الاسم ارامي . ولعله يتكون من كلمتين (ب) مقتضبة عن (بيت) ، و (كداد) بمعنى غنم او قطع فيكون معناها بيت الغنم او الحظيرة ومما يؤيد هذا التفسير ان البقعة نزلها الاراميون قديماً ، كما تدل على اسماء اماكن في جوار بغداد كالكرخ والشماسية .^(٢) ويؤيد هذا ايضاً قول الطبري (وكان في قرن قرن الصراة مما يلي الخلد من الجانب الشرقي . قرية ودير كبير كانت تسمى سوق البقر .^(٣)

وذكر ياقوت^(٤) معاني كثيرة واشتقاقات مختلفة لبغداد منها : (باغ) وتعني في الفارسية (بستان) ويقولون ان المدينة سميت باسم بستان تعود لرجل يدعى (داد) او (دادويه) ، او ان (بغ) كان اسماً لصنم و (داد) تعني (اعطى) او (عطية) فاسم المدينة اذن يعني (عطية بغ) اي (عطية الصنم) ولذلك يقول بعض فقهاء المسلمين ، ان الخليفة المنصور بدل اسمها وسماها (مدينة السلام) والاسم الاخير هذا كان الاسم الرسمي لعاصمة الخلافة ، وعلى ذلك نجد اسم مدينة السلام كدار لضرب النقود على العملة العباسية ، وعلى كل فقد بقي اسم بغداد القديم محافظاً على مكانته في افواه الناس واحاديثهم المعتادة ، وتذكر المعاجم الجغرافية عدة حروف مختلفة له ولاشك في ان هذه الحروف اما فارسية او عامية ، مثال ذلك : بغداد وبغدان وايضاً مگداد ومغذاد ومغدان .^(٥)

(١) فؤاد افرام البستاني ، مقال في مجلة المشرق لسنة ١٩٣٤م ، ص ٦٦ .

(٢) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ)

- التنبيه والاشراف ، دارالحاوي ، القاهرة ، ١٩٣٨م ، ص ٣٦٠

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩ ، ص ٢٤١

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٦٧٧ ، ص ٦٧٨ .

(٥) غي لسترنج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ١٧

وكان يعرف النصف الغربي من بغداد في العهد الاسلامي بالزوراء اي العوجاء
اشارة كما يقال الى ان القبلة فيها لاتتفق مع اي جهة من الجهات الاربع الاساسية
ولهذا الاسم تفسير اخر وهو ان بغداد سميت (الزوراء) لان نهردجلة ينحني عندها .
ويقال ايضا ان سبب التسمية كان لازوراء القبلة في جامع المنصور . (١)
كما يقال ان الجهة الشرقية من بغداد سميت (الروحاء) اي التي فيها سعة
وانفراج او الضحل لوقوعها عند منحنى النهر . وجاء في المسعودي ان هذين
الاسمين : الزوراء والروحاء كانا شائعين بين الناس في زمنه . (٢)

قال الشيخ ابو بكر الخطيب البغدادي (٣) ، قال حكى عن بعض المنجمين قال
لي المنصور : لما فرغ من مدينة السلام - خذ الطالع - فنظرت في طالعها وكان
المشتري في القوس فاخبرته بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها
وانصباب الدنيا اليها وفقر الناس الى ما فيها . ثم قلت له : وابشرك يا امير المؤمنين
اكرمك الله بخلة اخرى من دلائل النجوم ، لايموت فيها خليفة من الخلفاء ابداً .
فرأيته بقسم لذلك ثم قال : الحمد لله ذلك الفضل لله يؤتاه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم . فلذلك قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي عند تحول
الخلفاء من بغداد :

اعانيت في طول من الارض والعرض	كبغداد داراً انها جنة الارض
صفا العيش في بغداد واخضر عوده	وعيش سواها غير صاف ولاغض
تطول بها الاعمار ان غداها	مرىء وبعض الارض امروء من بعض
قضى ربها ان لايموت خليفة	بها وانه ماشاء في خلقه يقضى
تنام بها عين الغريب ولن ترى	غريباً بأرض الشام يطعم في غمض
فان خربت بغداد منهم بقرضها	فما اسلفت الا الجميل من القرض
وان رميت بالهجر منهم وبالقلى	فما اصبحت اهلاً لهجر ولا بغض

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٣

(٢) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٦٠

(٣) تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٦٧-٦٨

أبواب بغداد

اصبحت بغداد مثلاً لتغير المدن وتحولها وتطورها ، فلقد تداولتها ، ايدي الطبيعة وايدي البشر ، فعفت على اثارها وطمست معالمها .^(١)
لم تعد لبغداد الجميلة ، ابواب او اسوار تحيط بها كما كانت عام ١٤٥ هجرية .
عند التفكير ببناء اية عاصمة او مدينة كان على الباني ان يضع نصب عينيه عدة امور قبل المباشرة بالتنفيذ وفي المقام الاول منها واهمها حصانة الموقع لتكون بمنأى عن الاخطار الخارجية التي قد تهددها ثم التفكير بتخطيطها وما يمكن ان يبنى من تحصينات تحميها من العدو وتمنعه من دخولها .

كانت المدينة المدورة التي اسسها المنصور غربي بغداد عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢م نواة لعاصمة كبيرة اتسعت حتى شملت ضفتي دجلة . وعندما شيدت هذه المدينة احيطت بسورين وفتح في كل سور اربعة ابواب ، وجعلت مدورة الشكل ، تقع على ضفة النهر اليمنى في الزاوية المتكونة من مصب الصراة في دجلة .^(٢)

بنيت مدينة بغداد دائرية الشكل ، وذلك ان المربعة اذا كان الملك في وسطها كان بعضها اقرب اليه من بعض والمدور من حيث قسم كان مستويلاً لايزيد هذا على هذا ولا هذا على هذا . وبنى لها اربعة ابواب ، وعمل عليها الخنادق وعمل لها سورين وفصيلين بين كل بابين فصيلان ، والسور الداخل اطول من الخارج . وامر ان لايسكن تحت السور الطويل الداخل احد ولايبنى منزلاً ، وامر ان يبنى في الفصيل الثاني مع السور النازل لانه احصن للسور ، ثم بنى القصر والمسجد الجامع .^(٣)
اما عن الابواب فالكل يقول انها اربعة ، فيقول الخطيب البغدادي ، وبنى المنصور مدينته وبنى لها اربعة ابواب ، فاذا جاء احد من الحجاز دخل من باب

(١) د. مصطفى جواد ، الاثار الاسلامية القديمة ببغداد ، مجلة المقتطف ، ج ٤ ، ١٩٣٤م ، المجلد ٨٤ ، ص ٤٥٩

(٢) غي لسترانج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ٢٣ .

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٧٢

الكوفة واذا جاء من المغرب ، دخل من باب الشام ، واذا جاء احد من الاهواز والبصرة وواسط واليمامة والبحرين دخل من باب البصرة ، واذا جاء الجائي من المشرق دخل من باب خراسان ، وجعل المنصور كل باب مقابلاً للقصر وبنى على كل باب قبة ، وجعل بين كل بابين ثمانية وعشرين برجاً ، الا بين باب البصرة وباب الكوفة فانه يزيد واحداً وجعل الطول من باب خراسان الى باب الكوفة ثمانمائة ذراع ، ومن باب الشام الى باب البصرة ستمائة ذراع ، ومن اول باب المدينة الى الباب الذي يشرع الى الرحبة خمسة ابواب .^(١)

اما اليعقوبي فيقول : ان المدينة مدورة ، عليها سور مدور قطرها من باب خراسان الى باب الكوفة الفا ذراع ومئتا ذراع ، ومن باب البصرة الى باب الشام الفا ذراع ومئتا ذراع . وسمك ارتفاع هذا السور الداخل ، وهو سور المدينة ، في السماء خمسة وثلاثون ذراعاً وعليه ابرجة : سمك كل برج منها فوق السور خمسة اذرع ، وعلى السور شرف وعرض السور من اسفله نحو عشرين ذراعاً ، ثم الفصيل بين السورين عرضه ستون ذراعاً ، ثم السور الاول وهو سور الفصيل ، ودونه خندق .^(٢)

وللمدينة اربعة ابواب : شرقي وغربي وقبلي وشمالي ، لكل باب منها بابان : باب دونه باب ، بينهما دهليز ورحبة يدخل الى الفصيل الدائر بين السورين . فالاول باب الفصيل ، والثاني باب المدينة فاذا دخل الداخل من باب خراسان الاول ، عطف على يساره في دهليز ارج معقود بالاجر والجص : عرضه عشرون وطوله ثلاثون ذراعاً ، المدخل اليه في عرضه والمخرج منه من طوله يخرج الى رحبة مؤدية الى الباب الثاني ، طولها ستون ذراعاً وعرضها اربعون ذراعاً^(٣) ولها في جنبتيها

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٧٢

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٣٩

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠

حائطان من الباب الاول الى الباب الثاني في صدر هذه الرحبة في طولها الباب الثاني وهو باب المدينة.^(١)

وعن يمينه وشماله في جنبتى هذه الرحبة بابان الى الفصيل فاليمين يؤدي الى فصيل باب الشام ، والايسر يؤدي الى فصيل باب البصرة ، ثم يدور من باب البصرة الى باب الكوفة ويدور الذي انتهى الى باب الشام الى باب الكوفة على نعت واحد وحكاية واحدة ، والابواب الاربعة على صورة واحدة ، في الابواب والفصلان والرحاب والطاقات .^(٢)

ثم الباب الثاني ، وهو باب المدينة ، وعليه السور الكبير الذي وصفناه : فيدخل من الباب الكبير الى دهليز ازج معقود بالاجر والجص طوله عشرون ذراعاً وعرضه اثنا عشر ذراعاً ، وكذلك في سائر الابواب الاربعة ، وعلى كل ازج من ازاج هذه الابواب مجلس له درجة على السور يرتقى اليه منها .^(٣)

وعلى هذا المجلس قبة عظيمة زاهية في السماء سمكها خمسون ذراعاً مزخرفة^(٤) . وعلى رأس كل قبة منها تمثال تديره الريح لا يشبه نظائره وكانت هذه القبة مجلس المنصور اذا احب النظر الى الماء والى من يقبل من ناحية خراسان . وقبة على باب الشام كانت مجلس المنصور اذا احب النظر الى الارياض وماوالاها . وقبة على باب البصرة كانت مجلسه اذا احب النظر الى الكرخ ومن اقبل من تلك الناحية وقبة على باب الكوفة كانت مجلسه اذا احب النظر الى البساتين والضياع وعلى كل باب من ابواب المدينة الاوائل والثواني باب حديد عظيم جليل المقدار ، كل باب منها فردان .^(٥)

(١) يذكر اليعقوبي ان الرحبة كانت مفروشة بالصخر ، البلدان ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠

(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٠

(٤) ابن رسته ، ابو علي احمد بن عمر (ت ٣١٠ هـ)

- الاعلاق النفيسة ، ليدن ، ١٨٩١ م ، ص ١٠٨ .

(٥) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨

يقول هرزفيلد ان رمح البدوي المعاصر هو ١٠ اذرع ، ويبدو انه لم يحسب الحصان الذي يرتفع عليه الرمح ، وكانت نسبة طول الابواب في سامراء الى عرضها ٣/٢ ، وعرض ابواب بغداد يقتضي ان يكون ٣/١ ٦ اذرع .^(١)

اما المستشرق الانكليزي لسترانج ، فانه قام بالتحقيق في امهات الكتب وقدم لنا صورة واضحة عن بناء مدينة بغداد ، وقد خطت المدينة اولاً بالرماد ثم وضعت على تلك الخطوط كرات من القطن وصب عليها النفط واشعلت فيها النار بغية ابرازها بشكل واضح ، وحفرت اسس السورين والخندق العميق المحيط بهما من الخارج بحسب هذه الخطوط الموضوعة واجري الماء في الخندق كما اقيم حول مركز المدينة سور داخلي ثالث ، فتألف من مجموع ذلك دوائر متحدة المركز وفتحت في كل سور اربعة ابواب متساوية الابعاد عن بعضها بعضاً ويقابل احدها الاخر . ومن هذه الابواب ، بابان هما : باب الكوفة (في الجنوب الغربي) وباب البصرة (في الجنوب الشرقي) وكلاهما يشرف على دجلة ومتصل بالجسر الكبير . اما باب الشام (في الشمال الغربي) فانه يؤدي الى طريق الانبار الذي يصل الضفة الشمالية واليسرى من نهراالصراة الاعلى) ويرى المؤرخون المسلمون ان هيئة مدينة المنصور المدورة ذات الابواب الاربعة المتساوية الابعاد عن بعضها بعضاً ابتكاراً في الرياسة الاسلامية ، والمسافة من الجهة الخارجية بين كل باب من ابواب المدينة واخر خمسة الاف ذراع * او مايقارب ٢٥٠٠ ياردة . فيتبين لنا من ذلك ان مقدار طول قطر الدائرة الخارجية حول الخندق من باب الى باب نحو ٣٢٠٠ ياردة .^(٢)

وكانت في وسط المدينة رحبة مدورة واسعة لم يشيد فلي بعض جنباتها بادئ بدء غيرالقصور والجامع ، الا انها على توالي الايام اخذت تزدهم بالابنية نظير بقية

(١) هرزفيلد ، ص ١٢٤-١٢٥ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٩٥

الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ و ٢٧٧ .

* ان الذراع المستعمل كان الذراع الهاشمي او الذراع الاسود ويقدر طوله بنحو نصف ياردة والابعاد في اعلاه مأخوذة عن اليعقوبي ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٨

اقسام بغداد ، وكانت مساحتها نحو ٢٠٠٠ ياردة (اكثر من ميل) طولاً في مثلها عرضاً ، يحيط بها السور المدور الداخلي بابوابه الاربعة.^(١) وفي وسطها قصر الخليفة (المسمى باب الذهب) وبجانبه الجامع الكبير ، وتنشأ من الابواب الاربعة للسور الداخلي المحيط بالرحبة المركزية اربع طرق تنتشعب من المركز كتشعب انصاف اقطار العجلة ، وتخترق كل طريق منها ابواب السورين الاخرين قاطعة الخندق . ويظهر مما ورد في المصادر التاريخية ان لكل باب من ابواب السورين الخارجيين بابان باب دون باب ، اذ كان على من يريد الوصول الى الرحبة المركزية من الباب الخارجي ان يمر بخمسة ابواب .^(٢)

ولأبواب مدينة المنصور المدورة اهمية خاصة في تطورها العمراني ، فهي المنافذ الوحيدة لحصن محصور بالاسوار والخنادق ، مما يجعل حركة الناس فيها اوسع واكثر نشاطاً . ثم ان اتصال الابواب بالمدينة المدورة من جهة ، وبالارياض من جهة اخرى يكسب الحياة فيها خصائص تميزها عن كلا الطرفين . والواقع ان كلاً من الابواب الاربعة صار اسمه يطلق على المنطقة التي حوله من كلا طرفيه ، والواقع انه منذ بداية تخطيط بغداد وبنائها كانت الابواب تتميز عمارتها بأسلوب خاص .^(٣)

وتتفق المصادر التاريخية ان المدينة المدورة كانت لها اربعة ابواب او مخارج هي باب خراسان ، وباب الشام وباب الكوفة وباب البصرة ، وقد سمي كل باب باسم الاقليم او المدينة الرئيسة التي يقابلها . غير انه مع كل من هذه المخارج كانت توجد

(١) هناك التباس ظاهر في اوصاف المدينة المدورة . فتقول بعض المصادر بأن لها سوران وليس ثلاثة ، وذلك لأن السور الداخلي حول الرحبة المركزية لم يكن سوراً متيناً كالمتراس ولهذا فلا يعتبر سور للمدينة اما السوران الاخران فهما الخارجيان وكانا كالمتراس . فالاول السور الخارجي والثاني السور الكبير اما السور الداخلي فليس الا حاجز حول رحبة القصر والجامع . ينظر غي لسترانج ، بغداد ، ص ٢٦

(٢) غي لسترانج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ٢٧

(٣) د . صالح احمد العلي ، بغداد مدينة السلام ، ص ٣١١

ابواب على طرفي كل سور ، وعلى الدهليز ، وتتفق المصادر على ان كل مخرج كان له بابان ، هما الداخل والخارج كما انها تتفق على ان كلاً من هذين البابين كان (من حديد ، عزيمة جليلة لا يغلق الباب الواحد منها ولا يفتحها الا جماعة رجال) وان هذه الابواب كانت عالية بحيث انه لا يدخلها الفارسي بالعلم ، وبالرمح الطويل من غير ان يميل العلم ولا يثني الرمح وان كل باب فردان . (١)

فالوصف الذي قدمه الخطيب البغدادي ادق واشمل ما قدم عن تخطيط مدينة بغداد ونستخلص منه ومن غيره من المؤرخين والجغرافيين ان المدينة الجديدة تتكون من : خندق ومسناة - سور اول - فصيل اول - سور ثان - فصيل ثان - المنطقة السكنية والممرات ذات الطاقات - فصيل ثالث - سور ثالث - الطاقات الصغرى والرحبة المركزية حيث قصر الخليفة والمسجد والدواوين وقصور الاتباع .

ولكل من هذه الاقسام ميزته دفاعية التي لعبت دوراً فاعلاً في حصانة المدينة فالخندق عريض (٤٠ ذراعاً) بنيت حافته بالاجر والجص ويأتيه الماء من نهر كرخايا (فرع من نهرا الفرات) ليكون اول عائق مهم يمنع العدو من التقدم والوصول الى جدران السور الاول او مداخله . (٢)

والسور الاول لمدينة بغداد المدورة ضخم تم بناؤه والفراغ من الخندق سنة ١٤٩ هـ / ٧٧٦ م مبني باللبن الكبير الحجم ومغلف في الجزء السفلي منه بالاجر والصاروج (مسناة) لوقايته من التأثير بماء الخندق وقد فتح في جداره اربعة مداخل في الاتجاهات الاربعة الرئيسية وتقابل مدناً مشهورة سميت باسمها وهي : باب الكوفة وباب البصرة وباب الشام وباب خراسان . ويوصل الى هذه الابواب بواسطة قناطر او جسور متحركة ترفع او تخفض عند الحاجة فاذا ما رفعت تعذر الوصول اليها (٣) .

(١) اليقوبي ، البلدان ، ص ٢٣٨

- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ح ١ ، ص ٧٥

(٢) ينظر تاريخ بغداد ، ص ٦٩-٧٩

(٣) د. غازي رجب محمد ، العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق ، ص ٨٨

ان ابواب السور الاول كانت ذات تخطيط فريد ومبتكر في العمارة العربية الاسلامية فهي ذات ممرات مزورة - الباشورة ومنكسرة - الى جهة اليسار اي ان على الداخل ان يدور بوجهه وجسمه الى جهة اليسار في دهليز (٢٠ × ٣٠ ذراعاً) معقود بالاجر والجص فيصبح بذلك مكشوفاً امام المدافعين وامام مرمى اسلحتهم كما ان المداخل في مثل هذه الممرات لا ينساب بنفس سرعة الداخل الى الممرات المستقيمة التي توفر انسيابية سريعة ، كما انها تحول دون استخدام الباب عند الوصول اليه لتصويب القذائف الى الافنية الداخلية . وهذا النوع من تخطيط المداخل عربي عراقي اصيل اتبع في مدينة الحضر وفي الحصون الاشورية قبل بناء بغداد بعدة قرون واستمر بناؤه بعد ذلك في التحصينات ومداخل الاسوار والقلاع ولازال قائماً في بغداد في باب الظفرية (الوسطاني) - احد ابواب سور بغداد الشرقية - كما تأثر بتخطيطه الصليبيون الذين نقلوه الى قلاعهم وحصونهم التي بنوها في الشرق ثم في اوربا بعد طردهم من الشرق .^(١)

والسور الاول سميك في الاسفل ويقل سمكه في الاعلى وبين طبقاته حواجز من قصب بدل الخشب وتدعمه ابراج للتقوية يرجح انها اسطوانية ، ويفصل السور الاول عن السور الثاني فصيل فسيح غير مسكون ولم يبن فيه منزل ليوفرللمدافعين ميداناً مناسباً للمناورة وصد العدو واعاقته وابعاد ناره التي قد يستخدمها ضد سكان المدينة وتفتح ابواب السور الاول على هذا الفصيل برحبات مستطيلة الشكل ابعادها (٦٠ × ٤٠ ذراعاً) على كل من جانبيها حائط فيه باب ليقفل عند الخط فينقسم هذا الفصيل الى اربعة اقسام تشتت القوة المهاجمة الواصلة اليه وتقطعها الى اربعة مجاميع يصعب اتصالها مع بعضها فيسهل القضاء عليها .^(٢)

(١) د. غازي رجب محمد ، العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق ، ص ٩٣

(٢) محمود شكري الالوسي ، اخبار بغداد وماجاورها من البلاد ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بغداد ، ٢٠١٣ م ، ص ٥٦

اما السور الثاني (السور الاعظم) وهو اكثر سعة وارتفاعاً من السور الاول وهذا التفاوت في الارتفاع بين السورين له فائدة دفاعية رائدة في حالات الحرب اذ يستطع المدافعون القائمون على السور الثاني في مراقبة تحركات الاعداء المهاجمين خلف السور الاول والخندق كما ان ارتفاع السور الثاني يسهل توجيه القذائف الى صدور العدو والمهاجمين وهذا السور هو الحصن الدفاعي الرئيسي في المدينة واقواها فهو مبني بالاجر والحص عريض في الاسفل ومدعم بـ ١١٣ برجاً دفاعياً ، وزعت ٢٨ برجاً بين كل بابين الا ما بين بابي الكوفة والبصرة فقد وضع ٢٩ برجاً وهذه الابراج ذات صفة دفاعية خاصة فارتفاعها يزيد على ارتفاع السور خمسة اذرع ويرجح انها كانت مزودة بمزاغل دفاعية تساعد على اصابة العدو وفي نفس الوقت فيها حجرات تحمي المدافعين من سهام العدو واسلحتهم ويتوج السور الثاني وابراج شرف (وهي عناصر عمرارية زخرفية تعلو جدران الاسوار والقلاع وغيرها وتعد نهاية جميلة لهذه الجدران ويطلق عليها البعض عرائس السماء) .^(١)

اما المداخل المفتوحة في السور الثاني فهي اربعة ايضاً تتناظر مع مداخل السورين الاول والثالث ويقابل كلاً منها احد ابواب قصر الخليفة الواقع في الرحبة العظمى ، وتؤدي المداخل في السور الثاني الى رحبات مربعة ابعادها (٢٠ × ٢٠ ذراعاً) الى يمين ويسار كل منهما فصيل ثان عرضه ٢٥ ذراعاً يدور حول السور الثاني من الداخل وتؤدي هذه الرحبة في الجهة المقابلة منها الى ممر ذو طاقات عددها ثلاثة وخمسون طاقاً عدا طاق المدخل اليها من هذه الرحبة ، وعليه باب ساج كبير فردين ، وعرض الطاقات خمس عشر ذراعاً ، وطولها من اولها الى الرحبة التي بين هذه الطاقات والطاقات الصغرى مائتا ذراع ، وفي جنبتي الطاقات بين كل طاقين منها غرف كانت للمرابطة ، وكذلك لسائر الابواب الباقية ، فعلى هذه الصفة سواء ، ثم يخرج من الطاقات الى رحبة مربعة عشرون ذراعاً في عشرون

(١) د . غازي رجب محمد، المرجع السابق ، ص ٩٥

ذراعاً ، فعن يمينك طريق يؤدي الى نظيرتها من باب الشام ، ثم تدور الى نظيرتها من باب الكوفة ثم الى نظيرتها من باب البصرة .^(١)

وعن يمينها وعن شمالها فصيل ثالث يدور حول السور الثالث من الخارج ويتصل بالرحبات المربعة التي في نهاية الممرات الاخرى وفي الجهة المقابلة من هذه الرحبة باب يؤدي الى احد الابواب السور الثالث والى الطاقات الصغرى التي تلي دهليز المدينة الذي يؤدي الى الرحبة الدائرة حول القصر والمسجد . والمداخل الاربعة لهذه المدينة على صورة واحدة في الابواب والفصلان والطاقات .^(٢)

وتتحصر المنطقة السكنية في المدينة بين الفصيلين الثاني والثالث وكان المنصور قد امر بالبناء في هذا الجزء لانه احصن للسور وعمل الشوارع على ما اراد واقطع جل من يثق بهم من قواده ومواليه قطائع داخل المدينة وكانت دروبها تنسب اليهم وموثقة من طرفيها بابواب محكمة . وفي سكة المطبق ما بين بابي الكوفة والبصرة كان يقوم الجبس المسمى بـ (المطبق) وحدد دخول الرحبة المركزية بالممرات الاربعة ذات الطاقات ورتب على كل باب من الابواب الرئيسة للمدينة مما يلي الرحاب ستوراً وحجاباً وقائداً في الف جندي وكان لايسمح لاحد بدخولها . الا راجلاً ولحماية المدينة من الغرباء والجواسيس نقلت الاسواق من الطاقات الى ريش الكرخ وبني مسجداً جامعاً في الكرخ ليقفل من دخول المصلين الى المدينة المدورة .^(٣)

فكان على ابواب المدينة مما يلي الرحاب ستور وحجاب ، وعلى كل باب قائد . فكان على باب الشام سليمان بن مجالد في الف . وعلى باب البصرة ابو الازهر التميمي في الف وعلى باب الكوفة خالد العكي في الف

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٧٦

(٢) د . غازي رجب محمد ، العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق ، ص ٩٦

(٣) د . مصطفى جواد ، د . احمد سوسة ، دليل خارطة بغداد المفصل ، ص ٥١

وعلى باب خراسان مسلمة بن صهيب الغساني في الف
وكان لا يدخل احد من عمومته - يعني عمومة المنصور - ولا غيرهم من
هذه الابواب الا راجلاً الا داود بن علي عمه ، فانه كان منقرساً ، فكان يحمل في
محفة ، ومحمد المهدي ابنه . وتكنس الرحاب في كل يوم ، يكنسها الفراشون ،
ويحمل التراب الى خارج المدينة . (١)

وتتفق المصادر التاريخية (٢) ان الابواب الاربعة الداخلة كانت مما جلب من
واسط والتي وضع خامسها على باب البصرة الخارج ، وهي ابواب الحجاج . وان
الحجاج وجدها على مدينة كان بناها سليمان بن داود (عليهما السلام) بازاء واسط
كانت تعرف بزندورد ، وكانت خمسة واقام على باب خراسان باباً جدياً به من الشام
من عمل الفراعنة ، وعلى باب الكوفة الخارج باباً جدياً به من الكوفة من عمل خالد
القسري وعمل هو لباب الشام باباً فهو اضعفها . فلما كانت الحرب ايام فتنة
الحسن بن سهل قبل دخول المأمون الى بغداد فاحرق وسقط احد المصراعين وانصدع
فضب من جانبه . (٣)

وكان اقفال هذه الابواب ضامناً لسد مخارج المدينة ، ففي سنة ٣٠٧ هجرية كسرت
العامّة الحبوس بمدينة المنصور ، فافلت من كان فيها ، وكانت ابواب الحديد باقية
فغلقت ، وتتبع اصحاب الشرطة من افلت ، فلم يفلت منهم احد . (٤)
وقد ظلت هذه الابواب الى سنة ٣٥٠ هجرية حيث قلّعها معز الدولة ،
كما قلّع الابواب التي على الرصافة ، ونقلها الى قصره بالشماسية . (٥)

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٧٧

(٢) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٤١ ، الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص

٧٥ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٣٤١

(٣) ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص ٤١

(٤) ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ)

- المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، حيدر اباد ، ١٣٥٧ هـ ، ج ٦ ، ص ١٥٣

(٥) الهمداني ، محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ هـ)

- تكملة تاريخ الطبري ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٦١ م ، ص ٢١٨

- ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢

ان السور الخارجي والخندق اللذين كانا يحيطان مدينة المنصور المدورة جعلاً هذه المدينة متميزة عما حولها ، وقد ظل السور والخندق قائماً حتى اواخر العصر العباسي وان لم يحتفظ بتماسكه وقوته وشكله في العهود الاخيرة ، اما الابواب فكانت فتحات تصلها بما حولها وقد ذكرت المصادر ابواب المدينة المدورة وبعض المعالم القريبة من كل باب ، غير انه من الصعب الجزم بموقع هذه المعالم ، وما اذا كانت داخل المدينة المدورة او خارجها ، وان كثيراً من الاقطاعات والمعالم العمرانية الاولى اختفى ذكرها في اخبار القرن الرابع الهجري وما بعده .^(١)

وهكذا نرى ان المدينة كانت مثالا لقوى المدن المحصنة في القرون الوسطى تتجلى فيها عظمة الدولة العباسية .

الابواب

تكونت مدينة المنصور ، بعد اكتمالها ، من ثلاثة عناصر معمارية ، هي: التحصينات الخارجية والمنطقة السكنية الداخلية بشوارعها المرتبة تناظرياً ، والساحة الداخلية ، فكانت محاطة بسورين لهما مركز واحد يفصلهما فصيل ، ويحيط بهما خندق ، وكان السور الداخلي هو اوسع السورين ، لانه هو السور الذي يحمي المدينة وكانت تحيط به ساحة . وكان الوصول الى المنطقة السكنية والساحة المركزية يتم من اربعة ابواب محكمة وطاقت تبدأ من السور الخارجي وتنتهي بالساحة الدائرية الكبرى في الوسط ، والابواب الاربعة يبعد بعضها عن بعض بمسافات متساوية ، وهي على طول محور قصر الخليفة ، وتفتح في الجهات الشمالية الشرقية ، والشمالية الغربية والجنوبية الشرقية ، والجنوبية الغربية من المنطقة السكنية ، وقد فصل فصيل ثان بين البيوت والتحصينات الخارجية ، كما ان فصيلاً ثالثاً كان يفصلها عن سور الساحة الداخلية الكبيرة التي يقع فيها القصر والجامع .^(٢)

(١) د . صالح احمد العلي ، بغداد مدينة السلام ، ص ٣١٤

(٢) د . يعقوب ليسنر ، خطط بغداد في العهود العباسية الاولى ، ص ٢٥٠

فاذا مابدأنا من باب البصرة اوالباب الجنوبي الشرقي في المدينة المدورة نجد ان احد الطرق يسير نازلاً مع النهر بمحاذاة دجلة تاركاً محلة الشرقية قرب دجلة من الجهة الواحدة ومحلة الكرخ الكبرى في الداخل من الجهة الثانية ، وكانت هذه الاخيرة مع اسواقها تمتد نحو فرسخين الى جنوبي بغداد ^(١) وكان يحد محلة الكرخ من الجهة البعيدة عن النهر ، الطريق المتجه نحو الجنوب الذي كان طريق الحج الى مكة وكان يعرف هذا الطريق بطريق الكوفة (نسبة الى المدينة التي بهذا الاسم الواقعة على الفرات حيث يقطعه هذا الطريق) ويشرع هذا الطريق من نقطة الانقسام خارج باب الكوفة في القسم الجنوبي الغربي من المدينة المدورة ويبدأ مما دون رحبة هذا الباب طريقان . هما : طريق الكوفة من الجنوب وهو الذي يحد الكرخ ، وطريق المحول من الغرب وهو الذي يخترق بلدة المحول الواقعة على نهري عيسى متجهاً الى مدينة الانبار على الفرات ، وهناك طريق اخريته نحو الغرب ، وهو الطريق الذي يشرع من باب الشام في القسم الشمالي الغربي من المدينة المدورة ، ويعرف بطريق الانبار ، فيخترق اولاً روض الحربية بباب الانبار ثم يعبر خندق طاهر على قنطرة هناك . ومنها يتصل بطريق المحول في نقطة دون بلدة المحول ، ومع ذلك فانه يبقى محاذياً لضفة نهري عيسى الشمالية وكانت تقع فيما دون الرض عند باب الكوفة وفي قرب المدينة المدورة الارياض المختلفة لباب المحول على الطريق المؤدي الى البلدة التي بهذا الاسم . وتمتد شمال باب الشام محلة حرب او الحربية فتشغل البقعة التي فوق المدينة المدورة ، وتبدأ مما دون المحلة ، المقابر المعروفة بالكاظمين ، وشيد الخليفة المنصور خارج الباب الشمالي الشرقي او باب خراسان في المدينة المدورة ، قصر اسماء الخلد يقع الى يمين او جنوب الطريق المؤدي الى الجسر الكبير المعقود على دجلة ، ويقوم في الجانب البعيد من النهر قصر الرصافة وربضه الى شمال راس الجسر ، والى الشرق منه محلة الشماسية الممتدة من ضفة دجلة قبالة محلة الحربية

(١) غي لسترا نج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ٢٥٩

الى الباب في بغداد الشرقية الذي يخرج منه الطريق الفارسي المعروف بباب خراسان في المدينة الشرقية والى جنوب الجسر الكبير تقع محلة المخرم .^(١)

يقول الخطيب البغدادي ، ان تعبير (باب البصرة) اصبح شائع الاستعمال على مدينة المنصور منذ اواخر القرن الرابع الهجري ، ومن المؤكد انه لم يستعمل فجأة ولا كان تنفيذاً لقرار رسمي محدد التاريخ ، وانما بدأ يسود تدريجياً خلال مدة من الزمن ، ويدل قوله ان الجعابي المتوفي في سنة (٣٥٥ هـ) كان يسكن باب البصرة^(٢) ان هذا التعبير كان يطلق على مدينة المنصور المدورة بني سنتي (٣٣٠ - ٣٥٠ هـ)^(٣) .

باب الكوفة

اصبح (باب الكوفة) يطلق على منطقة سكنية تردد ذكرها في المصادر فذكر الخطيب البغدادي ممن كان يسكن باب الكوف كلاً من عمرو بن هارون البلخي (ت ١٩٤ هـ)^(٤) ومن ابرز المعالم العمرانية التي ذكرت مقترنة بباب الكوفة هو شارع المنار ما بين حد دارالكندي الى حد سويقه عبد الوهاب الى داخل المقابر.^(٥)

وقد ذكر شارع باب الكوفة عند الطبري وورد ايضاً الشارع الكبير عند مقابر باب الكوفة .^(٦) ان من ابرز المعالم عند باب الكوفة هي المقبرة المسماة بأسم ذلك الباب ويبدو من استقراء تاريخ من دفن فيها ، ان الدفن فيها بدأ منذ اواسط القرن الثالث الهجري ، وقد ذكر الخطيب البغدادي عدداً ممن دفن فيها .^(٧)

(١) غي لسترانج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠

(٢) تاريخ بغداد ، ج ٤ ، ص ٢١٤

(٣) د . صالح احمد العلي ، بغداد مدينة السلام ، ص ٣٢٠

(٤) تاريخ بغداد ، ج ١١ ، ص ١٨٩

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٨٥

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٢١١٨

(٧) ينظر الخطيب البغدادي

باب الشام

كان باب الشام ابرز المعالم الجغرافية في الجهات الغربية من المدينة المدورة وذكرت المصادر كثيراً من المعالم منسوبة اليه ، وكانت عند باب الشام في العهود الاولى مناطق زراعية وبساتين ومن هذه المناطق الخطابية ^(١) .

ويلاحظ انه كانت في هذه المناطق قرية تسمى الترابية ، وقرية الوردانية التي كانت لدهاقين يقال لهم بنوزراري عند مربعة ابي العباس ، والسرقانية وهي مما يلي مربعة ابي قرة ، وكان نخلها قائماً في اواخر القرن الرابع . ^(٢) وبالقرب من باب الشام يقع احد سجون بغداد ولا بد انه السجن الذي سماه اليعقوبي سجن باب الشام وقال انه عند اقطاع الفضل بن سليمان . ^(٣)

وبقرب باب الشام بستان ام القاسم زوجة ابي جعفر المنصور كما كان عند هذا الباب بستان مؤنسه . ^(٤) ويقول الخطيب البغدادي ان مقبرة باب الشام عند طاقات ابي سويد . ^(٥) ويقول ابن الفقيه ان طاقات ابي سويد ، واسمه الجارود ، مما يلي مقابر باب الشام وقطيعته وريضه هناك . ^(٦) وعلى اي حال فان المقبرة خارج خارج باب الشام ، وفي الجهة الشمالية منه ، وهي من اقدم مقابر الجانب الغربي .

وعند باب الشام السوق المسماة باسمه ، ولعها السوق التي ذكر الطبري انها احد الاسواق الثلاثة التي بناها ابو جعفر المنصور للتجار بعد ان اخرجهم من المدينة المدورة . ^(٧)

^(١) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٩

^(٢) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٤٢

^(٣) البلدان ، ص ٢٤٨

^(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٤٤٥ ، ص ٩١٧

^(٥) تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٨٣

^(٦) البلدان ، ص ٥٠

^(٧) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢٥

ووصف اليعقوبي هذه السوق بانها سوق عظيمة فيها جميع التجارات والبياعات ممتدة ذات اليمين وذات الشمال اهلة عامرة الشوارع والدروب الطوال ، وتمتد في شارع عظيم فيه الدروب الطوال ، كل درب ينسب الى اهل بلد من البلدان ينزلون في جنبتيه جميعاً الى روض حرب ، وليس ببغداد روض اوسع ولا اكبر ولا اكثر دروباً واسواقاً في الحال منه ، واهله اهل بلخ ، واهل مرو ، واهل الختل واهل بخارا ، واهل اسبشباب ، واهل اشتاخنج ، واهل كابل شاه ، واهل خوارزم ولأهل كل بلد قائد ورئيس^(١).

وفي باب الشام بنى المقتدر مارستاناً في سنة ٣٠٦ وولاه سنان بن ثابت وسماه المارستان المقتدري^(٢). ويبدو انه اصابها التدهور في القرن السابع اذ يقول ياقوت ان باب الشام محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد .^(٣)

باب خراسان

كان باب خراسان في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة المدورة وهو قريب من دجلة ، ولاريب في ان القصور والابنية الرسمية التي كانت بقره ، ووقوعه قرب دجلة ، جعل المعالم التي حوله تختلف عن معالم الابواب الاخرى ، فلم يرد ذكر لمن سكن عنده سوى ابو معشر البلخي .^(٤)

كان باب خراسان يقع قريباً من دجلة ، والواقع ان سور المدينة المدورة في هذه المنطقة كان يحصر رقعة ضيقة ، وخاصة من وسطها ، ولابد ان النهر كان يعوض عن الحاجة الى خندق يحمي المدينة في هذه الجهة والى مصب الصراة في دجلة ،

(١) البلدان ، ص ٢٤٨

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج ٦ ، ص ١٤٦

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٤٥

(٤) ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابو العباس احمد بن قاسم (ت ٦٦٨ هـ)

- عيون الانباء في طبقات الاطباء ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ م ، ج ٢ ، ص ١٧٩

ومن ابرز المعالم في هذه الرقعة هو الجسر الذي يربط بين الجانبين الشرقي والغربي وكان في شمالي باب خراسان . (١)

وصف كل من اليعقوبي والخطيب المعالم العمرانية الواقعة في الجهات الجنوبية من الاطراف الشرقية ، اي التي تقع بين قرن الصراة والجسر .

فذكر اليعقوبي بعد ان وصف المعالم العمرانية في الاطراف الجنوبية من المدينة المدورة حتى انتهى الى الشرقية التي تقع قرب مصب الصراة بدجلة ، ثم قال : (وتتخرج من الشرقية ماراً الى قطيعة جعفر بن المنصور على شط دجلة ، وبها دار عيسى بن جعفر ، وتقرب منها دار جعفر بن جعفر بن المنصور). (٢)

اما الخطيب فيذكر : (واما شاطئ دجلة فمن قصر عيسى الى الدار التي ينزلها في هذا اليوم على قرن الصراة ابراهيم بن احمد ، فانما كان اقطاعاً لعيسى بن علي . يعني ابن عبد الله بن عباس - واليه ينسب نهر عيسى وقصر عيسى وعيسى بن جعفر ، وجعفر بن ابي جعفر ، واليه ينسب فرضة جعفر ، وقطيعة جعفر ، واما قصر حميد فاحدث بعد ، واما شاطئ دجلة من قرن المصراة الى الجسر ، ومن حد الدار التي كانت لنجاح بن سلمة ، ثم صارت لأحمد بن اسرائيل ، ثم هي بيد خاقان المفليحي الى باب خراسان فذلك الخلد ، ثم مابعد الى الجسرفهو القرار ، نزل المنصور في اخر ايامه ، ثم اوطنه الامين . (٣)

يظهر من قول الخطيب البغدادي ان قصر الخلد كان يقع بين دار نجاح وباب خراسان اي ان هذا القصر يقع جنوبي باب خراسان .

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٦

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٩٢

وقد وصف الخطيب البغدادي قصرالخلد فقال : (سمي بذلك تشبيها له بجنة الخلد وما يحويه من كل منظر رائع ومطلب فائق وعرض غريب ومراد عجيب ، وكان موضعه وراء باب خراسان ، وقد اندرس الان فلاعين له) (١)
بدأ ابو جعفر بناء قصرالخلد في سنة (١٥٧هـ) ثم اتم بناؤه ونزله في سنة (١٥٨هـ) (٢) ولم يطل مقامه به لأنه توفي في السادس من ذي الحجة في تلك السنة. (٣).

وفي قصرالخلد كان يقيم هارون الرشيد قبل ان يلي الخلافة وكان ينزل معه الفضل بن يحيى وجعفر بن يحيى البرمكي . وفيه ايضاً ولد المعتصم سنة ١٨١هـ. (٤)

وفي قصرالخلد كان يقيم محمد الامين في حياة ابيه ، وكان يساكنه في القصر الفضل بن يحيى البرمكي ، وكان الامين مقيماً فيه عندما وصله نبأ وفاة ابيه الرشيد . (٥)

ويبدو ان الامين اتخذ الخلد مقراً له بعد توليه الخلافة ، وكان هذا القصر من ابرز معاقل الامين عندما حاصره طاهرين الحسين الذي لجأ الى فرض الحصار عليه وضربه بالمجانيق ، مما اضطر الامين الى الانتقال الى قصرابي جعفر المنصور في وسط المدينة المدورة . (٦)

ادت الحرب بين الامين والمأمون الى خراب قصرالخلد وقال الشاعر في ذلك :
عوجاً بمغنى طلل دائر بالخلد ذات الصخر والاجر .

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، ج ١ ، ص ٧٥

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٣٧٩

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٩٠

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٣ ، ص ٣٧٦

(٥) الطبري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٦٨

(٦) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٨٧٢

غير ان اطلالة بقيت ماثلة حتى سنة (٢٩٢ هجرية) على الاقل ، حيث ذكره الطبري في احداث تلك السنة^(١).

تنظيم ابواب المدينة المدورة الاربعة

- يقول غي لسترانج ، لم يرد ذكر تنظيم ابواب المدينة المدورة الاربعة ، ولكن ما عرف منها انها كانت متساوية الابعاد عن بعضها بعضاً . وهناك كثير من الاعتبارات تميل بنا الى الاستنتاج بان اتجاهاتها كانت حسب الترتيب الاتي :

الى الشمال الشرقي ، والشمال الغربي ، والجنوب الشرقي ، والجنوب الغربي وان هذا الوضع هو افضل ما يمكن نظراً الى هذه الحالة ، لانه طالما كان نهر دجلة المار ببغداد يجري من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي فأن :

١. باب خراسان الذي يتصل بالجسر الكبير يجب ان يواجه الشمال الشرقي لكونه عمودياً على النهر.

٢. يتجه باب البصرة الى الجنوب الشرقي ويتصل بالطريق المحاذي لدجلة ،

٣. باب الكوفة طريقان : احدهما الى الجنوب باتجاه الكوفة والآخر نحو الغرب الى المحول والانبار في الجنوب الغربي ، وعلى هذا فيجب ان يكون اتجاه هذا الباب نحو منتصف الطريق بين النقطتين .

٤. باب الشام الذي يواجه الشمال الغربي يؤدي الى الارياض الشمالية والى طريق الانبار الذي ينحرف بزاوية قائمة الى السكة الشمالية ثم يتجه من هذا الباب الى اقرب نقطة على الفرات .^(٢)

في نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) اختفت معظم مدينة المنصور عن الانظار ، وفي سنة (٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) رفعت بقايا قصر الخلد العظيم الذي كان

(١) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٩٢٥ ، ص ٢٢٥١

(٢) بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ٤٥

خارج الاسوار وبقي زمناً خالياً من السكان في سبيل الاستعداد لتشييد بيمارستان جديد اراد الامير البويهري عضد الدولة ببناءه . (١)

ويظهر من الروايات العديدة التي نقلتها الينا الكتب التاريخية ان الاقسام الباقية من المدينة المدورة تداخلت تدريجياً بين الابنية فألفت محلات بغداد الغربية التي قامت وراء الابواب الاربعة القديمة لمدينة المنصور وحولها ، وهكذا كان بعد الجامع الكبير حتى عهد المغولي قسماً من محلة باب البصرة كما ضم باب خراسان وما جاوره الى السوق الذي نشأ حول اليمارستان العضدي ، واتصل بالمحلة على ضفة النهر وعرف بأسم الشارع ، وكان في زمن ياقوت اي في القرن السابع (الثالث عشر الميلادي) بين جامع المنصور وخارج باب الشام اطلال تمتد مسافة ميل تقريباً . واصبحت البيوت المأهولة من المدينة القديمة الكائنة حول هذا الباب قسماً من محلة الحربية التي كانت تمتد في السابق الى ما وراء الباب شمالاً . اما باب الكوفة فقد عانى خراباً مع شوارع والبيوت المجاورة له جراء الغرق ، اندمج في محلة باب المحول في الغرب واصبح جزءاً من الكرخ في الجنوب ، وقد قاومت المحلة الاخيرة عوادي الايام اكثر من المحلات الاخرى . وهي الاثر الوحيد الباقي من المدينة القديمة في بغداد الغربية . (٢)

الخاتمة

١. بعد انتقال الحكم الى الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م انتقلت عاصمة الدولة الاسلامية من بلاد الشام الى العراق ، ونتيجة للظروف المناخية والحضارية الجديدة انشئت مدن جديدة ازدانت بالقصور والدور والمساجد ودور العلم والجسور وغيرها . وقد استغرق بناء المدينة المدورة ما بين سنة (١٤٥ - ١٤٩ هـ) لتصبح العاصمة الجديدة للخلافة العباسية .

(١) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٦ ، ص ١٧١ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ١ ، ص ٧٥ .

٢. يظهر لنا من تخطيط المدينة انها لم تكن في الاصل مدينة بالمعنى المتعارف عليه انما كانت في الواقع حصناً عظيماً ومركزاً ادارياً كبيراً (دارامارة) يتكون من قصر عظيم لاقامة الخليفة تحيط به الدواوين الحكومية والجند وكل ماتحتاجه من وسائل الحماية لتأمين ادارة الدولة المترامية الاطراف في وقت تألبت فيه كل القوى المعادية للاطاحة بهذه الدولة التي لم ترسخ اسسها بعد . ولذلك جاءت المدينة في مثل هذه الظروف التي تتسم بالجدية (لا احكم بناءً ولا احصن اسواراً منها) بعيدة عن مظاهر التعتيد والتجميل من حدائق ونافورات ومياه وغيرها من وسائل الراحة التي اظهرها موفد ملك الروم عند تقويمه للمدينة الجديدة . فالدخول اليها يوحي بالرهبة وبكثرة الاستعدادات الامنية بحيث يشعر الانسان كأنه يدخل قصرًا اميرياً خاصاً محاطاً بالحرس وبالتحصينات ليس الا . فهي قلعة حصينة ومعسكر مكين.
٣. بعد هذه النظرة الشاملة على تخطيط المدينة يتبين لنا ان مداخلها ورحابها وممراتها ذات الطاقات تقسمها الى اربعة ارباع بمجرد اقفال ابواب المداخل والرحاب وبذلك يمكن السيطرة على العدو في حالة اقتحامه للمدينة كما يمكن السيطرة على سكانها بسهولة في حالات الشغب والتمرد . وفي حالة اقفال ابواب الدروب فان السيطرة تكون اسهل واسرع .
٤. اما تخطيط المدينة على شكل دائري فهو اتجاه جديد في فن بناء المدن الاسلامية كما لاحظ مؤرخو العرب فيرى الخطيب البغدادي ان مزية الاستدارة هي كون المركز على مسافات متساوية من اجزاء الدائرة .
٥. اهمية موقعها حيث وقوعها على الطرق التجارية ذلك يكفل تمويلها ويسهل الاتصال بينها وبين انحاء المملكة ويشجع التجارة . فعلى حد تعبير اهل المحل يخاطبون المنصور (تحببك الميرة في السفن الفراتية والقوافل من

مصر والشام في البداية وتحريك الالات من الصين في البحر ومن الروم والموصل في دجلة (١).

٦. وقوعها على دجلة حيث العمارة على جانبي النهر . بينما كانت العمارة على الفرات تقتصر على ضفته الشرقية .

٧. الاثار المعمارية التي خلدها العباسيون في العراق كثيرة منها ما هو مندثر لكن اوصافه محفوظة في كتب التراث كمدينة بغداد المدورة ومنها ما هو قائم ليحدثنا عن حضارة الامة العربية ومجدها وليكون شاهداً مادياً على اصالتها وعزتها .

٨. هكذا كانت بغداد ومازالت نجمة متألئة في سماء مجد وعزة العرب وعروساً للعواصم العربية مشعة ومازالت تشع ببريق الحضارة وروائع الابداع .

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر

ـ ابن ابي أصيبعة ، موفق الدين ابو العباس أحمد بن قاسم (ت ٢٧٩ هجرية)
ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ م.
ـ البلاذري ، ابو العباس أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩ هجرية)
ـ فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله وعمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٧ م.

ـ ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧ هجرية)

ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، حيدر اباد ، ١٣٥٧ هجرية.

ـ الخطيب البغدادي ، ابي بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ هجرية)

ـ تاريخ بغداد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ب.ل.ت.

ـ ابن رسته ، ابو علي أحمد بن عمر (ت ٣١٠ هجرية)

(١) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ١٢٠

- _الاعلاق النفيسة ،ليدن ،١٨٩١م.
- _الطبري ،ابوجعفر محمد بن جرير (٣١٠ هجرية)
- _تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ،دارالمعارف ،القاهرة ،١٩٦١م.
- _ابن الفقيه ،ابوبكر أحمد بن محمد الهمداني (ت ٢٨٩ هجرية)
- _مختصركتاب البلدان ،طبعة دي غويه ،ليدن ،١٨٨٥م.
- _المسعودي ،ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هجرية)
- _التنبيه والاشراف ،دار الحاوي ،القاهرة ،١٩٣٨م.
- _مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ط٥، دار الاندلس ،بيروت ،١٩٨٠م.
- _المقدسي ،ابوعبد الله شمس الدين محمد بن أحمد البشاري (ت ٣٧٥ هجرية)
- _أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،باعثناء دي غويه ،ط٢، بريل ،١٩٦٠م.
- _الهمداني ،محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ هجرية)
- _تكملة تاريخ الطبري ،ط٢، بيروت ،١٩٦١م.
- _ياقوت الحموي ،شهاب الدين ابوعبدالله بن عبدالله (ت ٦٢٦ هجرية)
- _معجم البلدان ،٥ مجلدات ،دارصادر ،بيروت ،١٩٥٥م.
- _اليقوبي ،أحمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هجرية)
- _البلدان ،ليدن ،بريل ،١٨٩١م.
- ب_المراجع الحديثة والمترجمة**
- د.صالح أحمد العلي ،بغداد مدينة السلام ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ،المجلد الاول ،١٩٨٥م.
- د.عبدالعزیز الدوري ،العصرالعباسي الاول،بغداد،١٩٤٤م.
- د.غازي رجب محمد،العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق ،مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،١٩٨٩م.

- ـ غي لسترنج ،بغداد في عهد الخلافة العباسية ،ترجمة بشير يوسف فرنسيس ،الطبعة الاولى ،المطبعة العربية،بغداد، ١٩٣٦م.
- ـ د.فاروق عمر فوزي ،الخلافة العباسية ،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،جامعة بغداد، ١٩٨٦م.
- ـ فؤاد أفرام البستاني ،مقال في مجلة المشرق ،لسنة ١٩٣٤م.
- ـ د.محمود شكري الالوسي، أخبار بغداد وماجاورها من البلاد، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ،بغداد، ٢٠١٣م.
- ـ د.مصطفى جواد، د.أحمد سوسة ،دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا ،وزارة الثقافة العراقية ،بغداد، ٢٠١٣م.
- ـ د.مصطفى جواد، الآثار الاسلامية القديمة ببغداد، مجلة المقتطف، ج ٤، المجلد الاول، ١٩٣٤م.
- ـ د.يعقوب ليسنر ،خطط بغداد في العهود العباسية الاولى ،ترجمة د.صالح أحمد العلي ،المجمع العلمي العراقي ،٢٠١٣م.

أربيل القديمة والاستيطان الحوري

(من أواخر الألف الثالث - إلى أواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد)

أ.م.د. صباح جاسم حمادي

م.د. جمال ندا صالح السلماني

بسم الله الرحمن الرحيم

تعد أربيل إحدى مدن كوردستان العراق القديمة التي أثبتت الأدلة الأثرية بان الحضارة فيها تعود إلى عصر ما قبل التاريخ، كما تشير تلك الأدلة إلى إن هذه المدينة كانت في مقدمة مدن شمال بلاد الرافدين التي هاجرت إليها وعبر عصورها القديمة قبائل عدة ومنها القبائل الحورية، تلك القبائل التي تحولت بعد مدة من الزمن من شعب بسيط يبحث عن الاستقرار الآمن وتأمين وسائل العيش إلى دولة كبيرة أدت دورا سياسيا وحضاريا بارزا في منطقة شمال بلاد الرافدين بشكل خاص والشرق الأدنى القديم بشكل عام .

وطالما إن الحوريين مع بدايات هجراتهم في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد قد اتخذوا من أربيل القديمة مستوطنة لهم، فقد تولدت لدينا رغبة حقيقية في الكشف عن جزء من تاريخ هذه المدينة الخاص باستيطان الحوريين، وفي ضوء المعطيات المتوفرة سنحاول أن نبين في هذا البحث أهمية هذه المدينة من ناحية جغرافية، والأدلة الأثرية على وجود الحوريين، وسبب هجرتهم إليها، وتاريخ تلك الهجرة، ودور أربيل في تاريخ الحوريين من بعد استيطانهم فيها.

ومما ينبغي ذكره هنا هو إننا سنعتمد في عرضنا للأدلة التي تثبت وجود الحوريين في أربيل على أمرين :

الأول: ما توفر من نصوص مسمارية تذكر صراحة اسم أربيل كمستوطن للحوريين، ومع إن هذه النصوص قليلة، إلا أنها تعطينا الدليل القاطع على وجود الحوريين في أربيل.

والأمر الثاني : هو الدراسة التحليلية الأستنتاجية للنصوص المسمارية التي تتحدث عن حركة الحوريين في شمال بلاد الرافدين بشكل عام ولا تذكر اسم أربيل صراحة كمستوطن للحوريين، لكن من خلال هذه الدراسة التحليلية سوف نضع استنتاجنا الذي يثبت سكن الحوريين في أربيل، وهو غاية هذا البحث المتواضع .

وفي الختام نتمنى من الله سبحانه وتعالى أن يشكل هذا البحث اسهامة في حقل الدراسات التاريخية التي تهتم بدراسة تاريخ واثار أربيل القديمة ، ونحن على يقين بأن الكشف عن المزيد من مواقع الحوريين في شمالي بلاد الرافدين سوف يعطينا معلومات جديدة عن علاقة أربيل القديمة بالحوريين .

البيئة الجغرافية لأربيل وأثرها على الاستيطان الحوري

تعد البيئة الجغرافية ممثلة بالموقع والتضاريس والمناخ والموارد المائية العنصر المادي الذي يؤثر تأثيرا هاما في صناعة تاريخ وحضارة أي مجتمع من المجتمعات البشرية، غير انه بالوقت نفسه فان هذه البيئة الجغرافية إذا ما توفرت عناصرها في منطقة ما فإنها أحيانا ستجعل من تلك المنطقة محط أنظار القبائل المهاجرة، كما تجعل منها عرضة للأخطار والغزوات، وهذا ما حصل لمدينة أربيل القديمة التي تتمتع بميزات جغرافية عدة .

تقع أربيل في الأجزاء الشمالية الشرقية من كوردستان العراق في المنطقة المحصورة ما بين الزاب الأعلى والأسفل ^(١)، ولعل أهم ما يميز أربيل في موقعها هذا هو ذلك السهل الفسيح الذي يتوسط المدينة ما بين الزابين، والمشهور تاريخيا باسم سهل أربيل المعروف بخصوبة تربته وإنتاجه الزراعي الوافر ^(٢) .

وقد امتاز هذا السهل فضلا عن تربته الخصبة بكثرة مياهه، لاسيما مياه الأمطار التي تكون كمياتها السنوية كافية لإنتاج الحبوب ونمو النباتات البرية، وهذه الأمطار التي تبدأ بالسقوط في فصل الخريف وتنتهي في الربيع قد أغنته في اغلب الأحيان عن مياه الأنهار (دجلة والزابين) والعيون في زراعة المحاصيل

الشتوية التي يأتي على رأسها القمح والشعير الذي كان ينتج بكميات وفيرة^(٣)، ولهذا فان العالم هاري ساكر الباحث في الحضارة العراقية كان محقا عندما وصف سهل أربيل بأنه أحسن إقليم منتج للقمح^(٤).

كما إن موقع أربيل على خط عرض ٣٦,١١ درجة طولاً و ٤٢,٢ درجة شرقاً وخط طول ٤٤ درجة شرقاً، فضلاً عن سقوط أمطار وفيرة جعلها تتمتع بمناخ معتدل وسماء صافية، وهذا ما كان له تأثير كبير على ازدهارها وتطور اقتصادها قديماً وحديثاً^(٥).

ومن جانب آخر فانه على الرغم من إحاطة أربيل بالجبال والهضاب، إلا أنها امتازت بكثرة منافذها البرية التي تربطها بمدن شمال العراق وجنوبه، وكذلك مع البلدان المجاورة، وأهمها تلك التي تقع إلى الجهات الشمالية الشرقية منها^(٦)، ونعتقد بأن هذا المنفذ الأخير كان من المنافذ المهمة التي انحدر منها الحوريين إلى الجهات الشمالية الشرقية العليا من بلاد الرافدين، ومن ثم إلى أربيل، وقد يصبح ما ذهبنا إليه مؤكداً إذا ما عرفنا بان الموطن الأصلي للحوريين على ما سنوضح لاحقاً يقع إلى الجهات الشمالية الشرقية من كردستان العراق .

وعلى أية حال فان تلك المميزات الجغرافية التي تتمتع بها أربيل قد أدت إلى توفر سبل العيش الآمن، وهو الهدف الأساس الذي يبحث عنه الإنسان في كل مكان وزمان، ومن ثم فانه من وجهة نظر طبيعية إن تصبح أربيل وجهة للقبائل التي تبحث عن مواطن استقرار آمنة بعيداً عن مواطنها الأصلية، وكانت القبائل الحورية من بين القبائل أو الأقوام التي هاجرت إلى أربيل في عصورها التاريخية المبكرة^(٧)

من هم الحوريون :

الحوريون هم احد أقوام الشرق الأدنى القديم غير معروفة الأصل الذين ظهوروا على مسرح التاريخ حسب ما متوفر من أدلة كتابية منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد^(٨)، وجاء ظهورهم بعد هجرتهم من موطنهم الأصلية إلى المنطقة الشمالية من بلاد الرافدين وتحديدًا أعالي شمال شرق دجلة^(٩)، أما موطنهم الأصلي فهي مناطق المرتفعات الجبلية التي تقع في الجهات الشمالية الشرقية من بلاد الرافدين، وتحديدًا المنطقة الممتدة من بحيرة وان شرقي تركيا إلى بحيرة أورميا شمال غرب إيران^(١٠).

ولا شك إن للطبيعة الجبلية الصعبة التي كانت الموطن الأصلي للحوريين هي السبب الرئيس وراء هجرتهم من موطنهم الأصلية، إذ إن تكاثر أعدادهم وصعوبة استغلالهم لتلك المناطق الجبلية بشكل واسع في الزراعة قد أدى إلى نزوحهم للبحث عن مواطن أخرى توفر العيش الآمن والدائم لهم^(١١)، فكان أقربها وأحسنها إليهم هي شمال بلاد الرافدين، لاسيما إلى سهوله الفسيحة، على إن هجرة القبائل الحورية إلى شمال بلاد الرافدين لم تأت بدفعة واحدة، وإنما بهجرات متقطعة وبتواريخ متباعدة بعض الشيء^(١٢).

وقد ظهرت أولى هذه القبائل بحسب مذكرته النصوص المسمارية السومرية والأكدية في الثلث الأخير من الألف الثالث قبل الميلاد في مناطق أعالي شمال شرق دجلة باتجاه جبال زاكروس^(١٣)، وبحلول الألف الثاني قبل الميلاد تزايدت الهجرات الحورية بشكل ملفت للنظر حتى أصبح الحوريون قبل النصف الأول من الألف الثاني ق.م يسكنون منطقة واسعة تمتد من جبال زاكروس شمال شرق بلاد الرافدين إلى البحر المتوسط شمال غرب سوريا^(١٤).

ومن الجدير بالذكر إن هذه القبائل قد سلكت طريقا سلميا عند الاستيطان، ولم تؤد دورا سياسيا مهما في منطقة الشرق الأدنى القديم منذ هجرتها في الثلث الأخير من

الألف الثالث ق.م حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر قبل الميلاد، فمنذ هذا التاريخ الأخير دخل الحوريون إلى المعترك السياسي والعسكري مع دول الشرق الأدنى القديم القائمة آنذاك من أجل الحفاظ على وجودها في شمالي بلاد الرافدين وشمالي سوريا^(١٦).

وبقدرما يتعلق الأمر بمدينة أربيل القديمة، فإنها تشكل جزءاً مهماً في ذلك التاريخ الحوري، كونها في مقدمة المدن التي استوطن فيها الحوريون مع بداية هجراتهم، وسنبين في أدناه تاريخ ذلك الاستيطان بدءاً من عصر الدولة الأكديّة.

أربيل والحوريون في العصر الأكدي (٢٣٧١ - ٢٢٣٠ ق.م)

كما أسلفنا فإن مناطق شمال شرق دجلة وأعالي شمال شرق دجلة كانت من أولى المناطق التي هاجر إليها الحوريون، وطالما إن أربيل تقع ضمن هذه المنطقة الجغرافية من كردستان العراق فمن البديهي إن يكون الحوريين قد استوطنوا فيها، لاسيما وأنهم لم يدخلوا مناطق شمال شرق دجلة من أجل السلب والنهب ومن ثم العودة من حيث أتوا وإنما كان الهدف هو الاستقرار الدائم بعيداً عن مناطقهم الجبلية التي قلت فيها موارد عيشهم، ومن الطبيعي أن يستهدف الحوريين في سكنهم المناطق السهلية في شمال شرق دجلة، وأهمها سهل أربيل.

تظهر أولى الدلائل الأثرية على سكن الحوريين في مناطق شمال شرق دجلة في الثلث الأخير من العصر الأكدي، وذلك من خلال وجود الأسماء الحورية في النصوص المسمارية العائدة للملك الأكدي "نرام - سين" (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق.م)^(١٧)، وهذه الأسماء أمكن تمييزها من قبل ذوي الاختصاص، كونها تحمل علامات تعريفية مميزة^(١٨).

ويظهر من طريقة عرض تلك الأسماء بأن الحوريين كانوا منظمين في قرى ومدن تمتد ما بين شمال شرق دجلة وجبال زاكروس^(١٩)، إذ جاء في إحدى النصوص التي تصف سنة من سنوات حكم نرام سين (أنه عام كان فيه نرام - سين

منتصرا على ارض سوبارتو^(٢٠) في ازوخينوم واسر شخصاً يدعى (تاخيش - اتال)^(٢١)، طبعا هذا النص هو مصدر هام جدا بالنسبة للتاريخ المبكر لانتشار الحوريين في مناطق شمال شرق دجلة التي تقع أربيل ضمن حدودها، فهو أول النصوص المسمارية المتوفرة التي تتحدث عن الحوريين في بلاد الرافدين، وعلى الرغم من قصر هذا النص، إلا انه يمكن الخروج منه باستنتاجات جيدة، منها إن (تاخيش - اتال) هو اسم حوري واضح ومن الأسماء الحورية المتداولة بكثرة بين أفراد الشعب الحوري^(٢٢)، وبالنسبة لذكر بلاد سوبارتو فيقصد به في هذا التاريخ تسمية جغرافية فقط في إشارة إلى المنطقة التي كان يسكنها السوبارتيون سابقا، إذ إن هذه التسمية في النصوص الأكديّة والسومرية كانت في الأصل تدل على مناطق شمال شرق دجلة، ثم اتسعت دلالتها فيما بعد لتشمل شمالي بلاد الرافدين^(٢٣)، أما ازوخينوم فمع انه لم يتعرف على موقعها بدقة، إلا إنها تقع في أعالي مناطق شمالي شرق دجلة^(٢٤).

وبالتأكيد فأن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان الآن هو ما علاقة أربيل بهذا النص المسماري، والحقيقة إن الأمر لا يحتاج إلى الكثير من التدقيق، فلو رجعنا إلى النص نجد إن ذكر (تاخيش اتال) بهذه الطريقة يعني إن لهذا الشخص أهمية كبيرة، ربما كان حاكما لها أو احد قادتها^(٢٥)، وبالتالي هذا يعني في كلا الاحتمالين بان الحوريين كانت لهم أهمية في تلك المناطق، وإنهم كانوا منظمين في قرى ومدن، وطالما إن أربيل تقع في تلك المناطق (أعالي مناطق شمال شرق نهر دجلة) فمن المحتمل جدا بان الحوريين كانوا يسكنون أربيل في هذا الوقت. هذا مع العلم إن نرام- سين عندما ذهب إلى هناك إنما أراد فرض هيبة الدولة الأكديّة، فملوك أكد كانوا يسيطرون على مناطق شمال بلاد الرافدين ويعدونها جزء لا يتجزأ من بلادهم^(٢٦).

والواقع إن هذا الاستنتاج يصبح أكثر قبولا عندما نعرف بان الملك نرام سين يذكر في احد نصوصه بأنه (**شن حرباً ضد الملوك الغزاة**)^(٢٧)، وانه ذهب إلى مدينة " **كيراشينيوي** " ليقا تل جيوش بلاد سيموروم^(٢٨)، وهنا نجد إن (**كيراشينيوي**) هي مدينة حورية بدلالة اسمها الحوري^(٢٩)، وكما وضحنا سابقا بأن أسماء الأعلام والمدن الحورية تحمل علامات تعريفية واضحة (ينظر هامش ١٨)، وهذه الأسماء فضلا عن وجودها في النصوص المسمارية السومرية والأكدية فإننا نجدها بكثرة في إحدى أهم مدن الاستيطان الحوري ونقصد بها مدينة نوزي في كركوك^(٣٠).

والمهم فأن سيموروم تقع على المجرى العلوي لنهر الزاب الأسفل^(٣١)، وهنا لابد وان كيراشينوري تقع بالقرب منها، وبما إن المجرى العلوي للزاب الأسفل يقع ضمن نطاق منطقة أربيل، فانه أيضا من المنطقي جدا أن يكون سهل أربيل حاضنا لتجمعات حورية كثيرة .

وفي السياق ذاته فانه من المحتمل أن يكون الحوريون قد اشتركوا مع جيوش بلاد سيموروم للتخلص من التبعية الآشورية، ولابد أن يكون المقصود بجيوش سيموروم هم الآشوريون لأنهم الأكثر انتشارا وسيطرة في تلك المناطق^(٣٢) .

وفي كل ما ذهبنا إليه يعد حقيقة واقعة عندما نعلم بان الملك الأكدي " **شار - كالي - شري** " (٢٢٥٤ - ٢٢٣٠ ق.م) الذي تسلم العرش مباشرة بعد وفاة نرام - سين قد التقى مع الحوريين في مدينة أربيل نفسها ، حيث نقرا في احد النصوص العائدة لهذا الملك عن حاكم حوري اسمه " **نيريشخوخا** " يحكم في مدينة أربيلوا (أربيل)^(٣٣) ، غير انه للأسف فان هذا النص لا يعطي أكثر من ذكر هذا الاسم في كونه احد حكام مدينة أربيل .

ومهما يكن من أمر فان ذكر هذا الشخص الحوري وارتباط أربيل به له أهمية كبيرة من ناحية تأكيد وجود الحوريين في أربيل، كما إن ذكر الملك الأكدي لهذا الشخص باعتباره حاكما يعطي انطبعا بان الحوريين كانوا من الكثرة والتنظيم

بحيث أصبح هناك حاكما عليهم، ولا شك فان هذا التنظيم يحتاج إلى وقت ليس بالقصير في تلك الأزمان، وهذا بمجمله يدفعنا إلى القول وبكل تأكيد بأن الحوريين كانوا موجودين في أربيل قبل عهد الملك السابق نرام سين بمدة حتى وان كانت قليلة .

وخلاصة القول عن علاقة الحوريين بأربيل في العصر الأكدي هو إن ذكر الحوريين والحكام الحوريين من قبل نرام - سين وشار - كالي - شري يبرهن على وجود مجتمعات بشرية حورية منظمة ومحددة في المنطقة الواقعة شمال شرق نهر دجلة وبضمنها أربيل.

أربيل والحوريون في عصر سلالة أور الثالثة السومرية

(٢١١٣ - ٢٠٠٤ ق.م)

مع بداية حكم سلالة أور الثالثة تتوسع لدينا مصادرنا التي تخص الحوريين في أربيل ، فمن خلال آلاف الوثائق الإدارية والاقتصادية التي تعود إلى هذا العصر تم الحصول على عدد كبير من الأسماء الشخصية الحورية التي ارتبط قسم كبير منها بمناطق شمال شرق نهر دجلة^(٣٤)، وهذا له أهمية تاريخية من ناحيتين، الأولى إن هذا العدد الكبير من الأسماء يعطي دلالة كبيرة على تواجد الحوريين بأعداد كثيرة في شمال بلاد الرافدين بشكل عام^(٣٥)، أما الناحية الثانية فهي أيضا مرتبطة بالأولى ولكنها تحمل أهمية اكبر من وجهة نظر تاريخية جغرافية، كون إن عدد من الأسماء الحورية تلك قد ارتبطت بأسماء أماكن، وهذا ماساعدنا على تحديد الرقعة الجغرافية التي يسكنها الحوريون في مدن شمال بلاد الرافدين^(٣٦).

ومن الجدير بالذكر إن تلك الوثائق قد ارتبط بعضها بالحمالات العسكرية التي كان يقوم بها حكام أور الثالثة إلى مناطق شمال شرق دجلة أو شمال بلاد الرافدين بشكل عام ، وفي ضمن هذه الوثائق تم ذكر أربيل وجلب أسرى حوريين منها .

والبعض الآخر من الوثائق تتحدث فقط عن أسماء حورية كثيرة في بعض مدن جنوب بلاد الرافدين ، لاسيما أور ونفر ، ويفهم من هذه الوثائق بان الحوريين قد وصلوا إلى هذه المدن أما كأسرى حروب نتيجة الحملات التي قام بها ملوك سومر وأكد على المناطق الشمالية والشمالية الشرقية ^(٣٧) ، أو أنهم عبيد تم شراؤهم ، أو إن البعض منهم جاء عن طريق التسرب الآمن من مناطق شمال شرق دجلة ^(٣٨) ، ومن تلك الوثائق أمكن التعرف على علاقة أربيل بالحوريين في عصر سلالة أور الثالثة السومرية.

فنفراً في عدد من الوثائق عن أشخاص حوريين ارتبطت أسماءهم بمدينة أربيل التي جاء اسمها في تلك الوثائق تحت صيغة (أوريلوم) ^(٣٩) ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر " نا-ني-با-تال - أور - بي - لوم (ناني باتال أوريلوم) ، كذلك أسماء أخرى تحمل نفس صيغة هذا الاسم الذي يحمل العلامة التعريفية تال ، وهو مرتبط بأربيل ، واللاحقة أتال هي من اللواحق المشهورة جداً في أسماء الأعلام الحورية ^(٤٠) .

وليس بعيداً عن أربيل فقد عثر في تلك الوثائق على أسماء حورية عديدة مرتبطة بمدينة سيمورم السالفة الذكر ، ومنها مثلاً- " كير - يب- اولمي - لي - سيموروم " ^(٤١) ، وطالما إن مدينة سيمورم مجاورة لأوريلوم (أربيل) فان ذلك يعني إن الحوريين يسكنون المنطقة الممتدة بين أربيل وسيموروم .

ويذكر لنا الملك " شولكي " (٢٠٩٤ - ٢٠٤٧ ق.م) ثاني ملوك سلالة أور الثالثة إن جزء من حملاته كانت موجهة إلى الجهات الشمالية من اجل إعادة النفوذ السومري هناك ، وقد ترك لنا نصوصاً حول ذلك ومنها نص يذكر فيه انه دخل أوريلوم ، وعند عودته نقل الكثير من الأسرى الحوريين إلى بلاد سومر ^(٤٢) ، وهذا ما تم في السنة الخامسة والأربعين من حكمه (شهر موشودو (التاسع) السنة التي فيها مدينة أوريلوم دمرت) ^(٤٣) .

وبعد سنة من تلك الحملة أي في السنة السادسة والأربعين من حكمه يذكر انه ضرب كل من أربيل وسيموروم^(٤٤) وجلب الأسرى من هناك بضمنهم الحوريون^(٤٥)، وفي كلا الحملتين نعرف بان شولكي أتى بالأسرى الحوريين من أربيل، وهذا واضح من خلال الأسماء الشخصية الحورية العديدة الموجودة في الوثائق التي تعود لعصر الملك شولكي، وما هي المهن التي مارسوها أولئك الحوريين في بلاد سومر، حيث تم الاستفادة منهم هناك كقوة عاملة، لاسيما في الزراعة وتربية الحيوانات، أو جنود في جيش الدولة (دولة أور الثالثة)^(٤٦) .

ويبدو من النصوص الخاصة بحملات شولكي إلى الجهات الشمالية الشرقية من بلاد الرافدين إن الحوريين كانوا يمثلون تهديدا لدولته من خلال عرقلتهم لطرق القوافل التجارية هناك^(٤٧)، وهذا يعني إن الحوريين في أربيل كانوا من الكثرة والقوة بحيث أصبحوا يهددون مصالح دولة أور الثالثة .

كما تشير النصوص المسمارية العائدة لخلفاء شولكي وهم كل من " ابي - سين " و " امار - سين " بأنهم قادوا حملات إلى أربيل أسفرت عن جلب أسرى حوريين الى جنوب البلاد^(٤٨)، فيذكر امارسين انه من اجل فرض سيطرته على مناطق شمال شرق دجلة تطلب الأمر منه حملتين، كانت الأولى ضد أربيل في السنة الثانية من حكمه^(٤٩)، ونعرف بان الملك شو - سين قد انشأ مستوطنة في ضواحي نهر وضع فيها أسرى تلك المناطق ومنهم الحوريون^(٥٠)، وهذا واضح من الأسماء التي رتبت في قوائم من اجل توزيع وجبات الطعام عليهم^(٥١) .

والواقع إن تكرار حملات ملوك أور الثالثة إلى أربيل يعني إن حكمهم لم يكن مستقرا هناك، ولعل استمرار جلب الأسرى الحوريين في كل حملة إلى أربيل ما يؤكد بان للحوريين شأن كبير في هذه المدينة .

التواجد الحوري في أربيل ما بعد انهيار سلالة أور الثالثة

(العصر البابلي القديم ٢٠٠٤ - ٥٩٥ ق.م)

كان انهيار حكم أور الثالثة حوالي ٢٠٠٤ ق.م^(٥٢) فرصة كبيرة لمجاميع حورية أخرى في أن تتدفق إلى المناطق الشمالية من بلاد الرافدين^(٥٣) وأهمها منطقة شمال شرق دجلة المركز الرئيس لتواجد الحوريين، وهذا واضح من الأدلة الكتابية التي تعود لهذا العصر^(٥٤).

والحقيقة انه رغم كثرة تلك الأدلة، إلا إنها كانت اقل أهمية بالنسبة لتوصيف أربيل كإحدى مراكز استيطان الحوريين، إذا إنها لم تذكر أربيل صراحة، ومع ذلك فإن ما موجود فيها من توزيع لمناطق انتشار الحوريين يدل على إن أربيل لا زالت مقراً للحوريين، لاسيما وإنها لم تذكر مدن أخرى في شمال شرق دجلة كانت أيضا ضمن مواطن استقرار الحوريين.

إن أولى مصادرنا عن الحوريين في مناطق شمال شرق دجلة خلال هذا العصر هو أرشيف مدينة ماري^(٥٥)، ذلك الأرشيف الذي على الرغم من انه يتألف من آلاف الرقم الطينية، إلا انه فقط نصوص قليلة جدا منه تطرقت إلى أماكن تواجد الحوريين^(٥٦)، وبقدر ما يتعلق الأمر بمناطق شمال شرق دجلة فإنها ذكرت عدد من الحكام الحوريين الذين حكموا مدنا تقع هناك^(٥٧) ومنهم : اري - شيني، شدو - شري، حاكم مدينة ازوخينوم سالفه الذكر، ننيب - سويري، حاكم مدينة خابوراتم، تيش - اولمي، حاكم مردمان^(٥٨)، وهنا نلاحظ مدى قوة الانتشار الحوري في ذلك الإقليم والذي يظهر واضحا من خلال ذكر أرشيف ماري لأسماء أشخاص حكام حوريين وليس أشخاصا عاديين^(٥٩)، كما يظهر من خلال ذكر أسماء هؤلاء الحكام إن الحوريين لم يتركوا هذه المنطقة منذ أن هاجروا إليها في أواخر عصر الدولة الأكديّة، بل ازدادت أعدادهم، ولهذا نجد اسم مدينة ازوخينوم التي ذكرت في عهد نرام - سن كمستوطن للحوريين أيضا تم ذكرها مرة أخرى في

أرشيف ماري، وهذا يقودنا إلى القول بأنه من المحتمل جدا في أن أربيل التي تقع ما بين هذه المدن هي أيضا كانت من المدن التي استمر سكن الحوريين فيها، إذ إن أربيل وكما وضحنا سابقا تمتع بمزايا جغرافية تفوق مزايا مناطق شمال شرق دجلة، ومن المحتمل إن عددا من المدن التي تم ذكرها سواء في أرشيف ماري أو في نصوص سومر وأكد هي تقع ضمن منطقة أربيل، ولهذا فإن النصوص اكتفت بذكر اسم حاكم هذه المدينة الحوري دون أن يذكر أين تقع بدقة .

كذلك تم ذكر عشرات الأسماء الحورية العائدة لأشخاص حوريين جاء بهم الملك الأشوري " شمشي- ادد الاول " (١٨١٣ - ١٧٨١ ق.م) كأسرى من حملاته العسكرية على مناطق شمال شرق دجلة، لكنه هو أيضا لم يحدد من أي مدينة بالضبط جاء بهم، وهذه الأسماء تظهر في عدد من القوائم، وأهمها تلك التي تتضمن توزيع حصص من المواد الغذائية على العمال الحوريين الأسرى^(٦٠) .

وفضلا عما تقدم فقد زودتنا الوثائق البابلية في هذا العصر، لاسيما من مدينة دلبات (إحدى مدن جنوب بلاد بابل) بمئات الأسماء الحورية التي رتبت في قوائم عديدة، ويفهم من هذه الوثائق بان الحوريين بعضهم جاءوا كلاجئين أو عمال موسميين، والبعض الآخر منهم تم شرائهم كعبيد^(٦١)، ومن خلال هذه الأسماء نعرف بأن الكثير منهم جاء من مناطق شمال شرق دجلة بصورة عامة دون إن يتم تحديد ذكر مدنها التي جاءوا منها، وحيث إننا نعرف بان أربيل كانت في مقدمة المدن التي استقر فيها الحوريين، وان ميزتها الجغرافية لا يمكن أن تجعل الحوريين يتركوها، كما إن الأشوريين لغاية هذا الوقت لم يحاولوا دفع الحوريين خارج أربيل، لهذا لا نستغرب في إن يكون جزء كبير من الحوريين المدونة أسماؤهم في تلك القوائم البابلية هم من سكة أربيل .

وفيما بعد العصر البابلي القديم لم نعرف شيئا يعتد به عن الحوريين في أربيل، ولكن من المؤكد بان الحوريين قد انتهى دورهم واستيطانهم في شمال بلاد الرافدين

بشكل عام بعد الحملة التي قادها الملك الأشوري "أشور اوبالط الاول" (١٣٦٥-١٣٣٠ ق.م) على الحوريين وأنهى نفوذهم هناك^(٦٢)، وان بقي احد من الحوريين في بلاد آشور بشكل عام وأربيل بشكل خاص فلم يكن لهم تأثير يذكر، بل اندمجوا مع الشعب الأشوري وانصهروا في مجتمعه .

الخاتمة

بعد أن انهينا موضوع البحث (أربيل القديمة والاستيطان الحوري) نكون قد توصلنا إلى جملة نتائج ندرجها على النحو الآتي :

١-تتفرد أربيل من بين مدن شمال بلاد الرافدين بمزايا جغرافية جعلت منها محط أنظار القبائل المهاجرة .

٢-الحوريون هم احد الأقوام التي ظهرت في منطقة الشرق الأدنى القديم بعد هجرتهم من مناطقهم الأصلية (ما بين بحيرة وان شرقي تركيا وبحيرة أورميا شمال غرب إيران) إلى مناطق شمال شرق دجلة من بلاد الرافدين في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد.

٣-كانت أربيل في مقدمة مدن شمال العراق التي هاجر إليها الحوريون في أواخر الألف الثالث ق.م .

٤-تشير النصوص المسمارية العائدة للدولة الأكديّة ومن بعدها سلالة أور الثالثة الى إن الحوريين كانوا منظمين في قرى ومدن داخل أربيل .

٥-ذكرت النصوص المسمارية العائدة لملوك أكد وأور الثالثة أسماء حكام حوريين في أربيل، وهذا يعني إن الحوريين كانوا منظمين في أربيل تنظيماً جيداً .

٦-على الرغم من إن النصوص المسمارية التي تعود إلى العصر البابلي القديم لم تتطرق إلى سكن الحوريين صراحة في أربيل، إلا انه من خلال

تتبع حركة الحوريين في مناطق شمال شرق دجلة في هذا العصر يتبين أن الحوريين كانوا ولا يزالون يستوطنون أربيل .

٧- تتعدم الأخبار عن علاقة الحوريين بأربيل ما بعد نهاية العصر البابلي القديم، وينتهي استيطان الحوريين لكل شمال بلاد الرافدين بعد طردهم على يد الملك الأشوري آشور اوبالط الاول (١٣٦٥-١٣٣٠ ق.م) .

المصادر والهوامش

(١) هاري ساكر ، قوة آشور ، تر. عامر سليمان (بغداد : مطبعة المجمع العلمي، ١٩٩٩)

ص ١٥

(٢) جاسم محمد خلف ، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية ، ط١ (القاهرة، ١٩٥٩) ، ص ٤٢ ؛ شاكر خصبك ، العراق الشمالي دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية (بغداد ، ١٩٧٣) ، ص ٤٢

(٣) صبحي محمود كلكة ، أربيل في العصور القديمة (٣٠٠٠-٥٣٩ ق.م) دراسة أثرية حضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة (معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، ٢٠١٠) ، ص ١١

(٤) هاري ساكر ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٥) صبحي محمود كلكة ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٦) للمزيد من التفاصيل عن جغرافية أربيل انظر :

J.N. postagate, "the Historical Geography of the hamrin basin " in summer, voL.35 (No:D.t), pp.591-597 .

صبحي محمود كلكة ، المصدر السابق ، ص ١٠-١١ .

7-Stenkleller, Pioter, "The Historical of Background of Urkesh and the Hurrian Beginnings in Northern Mesopotamia" in U.H.S.H.L.C (Urkesh and the Hurrians Studies in Honor of Lioyd Cotsen) Vol.26 , Part .3 (Malibo, 1998),P.94.

8- Pioter Bienknowski and Alan Millard, Dictionary of Ancient Near East (Philadelphia, 2000), P.150 ;

محمد أبو المحاسن عصفور ، تاريخ الشرق الأدنى القديم (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨٤) ، ص ٣٩٢

9- Pieter Bienkowski and Alan Millard, op.cit., p.150; Mirjo, Salvini, "The Earliest Evidences of Hurrians Before the Formation of the Reign of Mittanni" IN U. H. S. H. L. C. Vol, 26. Part. 3 (Malibo, 1998), pp. 99- 100.

7 في هامش رقم U.H.S.H.L.C ينظر مختصر

(١٠) روفائيل ميناس " ارباخا ونوزي في التاريخ " ، مجلة ما بين النهرين ، عدد ٣٦ (الموصل ، ١٩٨١) ، ص ٣٢٨ ؛

Wiliam.W. Hallo, and Wiliam.k. Simpson, The Ancient Near East (USA, 1998),P.106.

11- J. M., Rankin, "Shalmneser I and the Conquest of Khanigalbat", in CAH(The Campridge Ancient History), Vol. II, Part .2 (1975),p.279

12- Bienkowski and Alan Millard,op. cit.,p.150-152.

13- - Bienkowski and Alan Millard,op. cit., p150.

14- Miroop, Marc van De, A History of the Ancient Near East 3000-323 B.C, (USA, 2004) 116

15 - Gelb, I. J., Hurrians and Subarians (Chicago, 1944),P.P. 8-10; Miroop,op. cit., p.116.

16- J.R.KUPPER , " THE HURRIANS 1800B.C" in CAH(The Campridge Ancient History),vol.11,part.1 (campridge ,1973) , p.104;

فولكت هاس ، " ملاحظات حول عشتار شاوشكا الحورية في نينوى في الألف الثاني ق.م " ، مجلة سومر ، م ٣٥ ، ج ١-٢ (١٩٧٩) ، ص ٣٩٤

(١٧) محمد أبو المحاسن عصفور ، مصدر سابق ، ص ٣٩٢ .

(١٨) تحمل أسماء الأعلام والمدن الحورية علامات تعريفية كثيرة منها مثلا المقطع اتال ،

والمقطع شين ، مثل (اتال- شين ، خاشيب- اتال) والمقطع خا ، خو مثل (خا- شوك ،

خابشين ، خاشيب- اتال ، خو - بيتام ، خابيرام) للمزيد ينظر:

op.cit.pp. 110-115 Gelb,

19- Bienkowski and Alan Millard, op. cit., p. 150; Gelb, op. cit., pp.

55-56;

عبد الله الحلو ، سوريا القديمة (دمشق ، ٢٠٠٤) ، ص ص ٥٢٧ - ٥٢٩ .

(٢٠) سورباتو او السوباريون : هم احد الأقوام الجبلية التي هاجرت إلى المنطقة الشمالية الشرقية من بلاد الرافدين منذ ابعد العصور التاريخية واستقروا هناك قبل قدوم الأشوريين والحوريين ، وبعد مدة من استيطانهم في تلك المنطقة انتشروا في مناطق أخرى من شمالي بلاد الرافدين ، وبعد هجرة الأشوريين إلى المنطقة الشمالية في الألف الثالث قبل الميلاد اخذوا يشكلون ضغطا قويا على السوبارتيين حتى تمكنوا أخيرا من إزاحتهم إلى المناطق الجبلية المجاورة خارج حدود بلاد آشور ، أما الباقي منهم فقد اندمج مع الشعب الأشوري وانصهر في بودقته ، وبعد مدة من هجرة الأشوريين بدأت الهجرات الحورية تتدفق إلى المنطقة الشمالية الشرقية العليا من بلاد الرافدين أو الشمالية الشرقية من نهر دجلة بشكل عام ، والتي كانت فيما سبق موطن السوباريين ، لكن على الرغم من هذه التغيرات العرقية إلا إن السومريين والأكديين استمروا يشيرون لى هذه المنطقة في كثير من كتاباتهم باسم سوبارو أو سوبارتو كمصطلح جغرافي .

للمزيد ينظر: E.Speiser, " Hurrian and Subarian " , in Journal of the American Oriental society , vol .68 (1948) , pp . 2-10 ; Stenkeller, op.cit ., pp. 75-89

21- Salvini, op. cit., p 106.

22 - steinkeller , po. Cit. , p. 91.

(٢٣) ينظر هامش ٢٠

(٢٤) جرنوت فيلهلم ، الحوريون تاريخهم وحضارتهم ، تر. فاروق إسماعيل ، ط١ (دمشق ، ٢٠٠٠) ، ص ٣٢ .

25-Salivini . op , cit. , pp. 90-92

(٢٦) فاضل عبد الواحد علي " الأكديون دورهم في المنطقة " مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، عدد ٢٤ (١٩٧٩) ، ص ١٩٥ .

27 Gelb , op.cit. , p.55 -

28-Steinkeller , po. Cit., pp. 93-94 .

29-Hallo, W., "Simurru and the Hurrian Frontier", in RHA (Revue Hittit et Asianique) Vol. XXXVI (Chicago,1978),pp.72-73.

30-Gelb , op , cit. , pp. 56 – 57.

تعرف أطلال نوزي في الوقت الحاضر باسم يورغان تبة الذي يقع شمال بلاد الرافدين على بعد ١٣ كم إلى الجنوب الغربي من كركوك ، وهي إحدى مدن منطقة أرباخا القديمة (كركوك) . ينظر : سالم الألوسي " خزائن وثائق يورغان تبة المعروف آثاريا باسم أرشيف نوري " مجلة دراسات تاريخية ، العدد ١ (بغداد ، ١٩٩٦) ص ١٦ وما بعدها ؛

J. A. Brinkman, Hurrians in Babylonia in the late second millennium B.c (USA, 1981), pp.27-28.

31-steinkeller , op.cit., p. 99 .

(٣٢) شهدت المناطق الشمالية من بلاد الرافدين استقرار الآشوريين منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد ، ينظر : طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (بغداد : دار الشؤون العامة ، ١٩٨٦) ط ١ ، ص ٤٧٤ .

33 -Steinkeller , op.cit., p. 94 ; W . Hallo , op . cit. , p. 73

34-Gelb , op.cit., pp . 58-60.

35- A. Harry Hoffner, "Hurrian Civilization from a Hittite Perspective", in U.H.S.H.L.C. (Malibo, 1998). p. 169.

ينظر مختصر U.H.S.H.L.C في هامش رقم ٧ .

(٣٦) عيد مرعي ، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ ق. م ط ١ (دمشق : الأبجدية للنشر ، ١٩٩١) ، ص ١٠١ .

(٣٧) جرنوت فيلهلم ، مصدر سابق ، ص ص ٣٦-٣٧ ؛

Hoffner ,op.cit. , p. 106.

(٣٨) هاري ساكز ، عظمة بابل ، تر . عامر سليمان (الموصل ، ١٩٧٩) ، ص ٩٣ .

39-G elb,op.cit. , P 114.

40- Ibid.,p.114.

41- bid . ,p.114.

42- Jorgen Laessqe, People of Ancient Assyria (London, 1963) P.83 ; Hoffner , op.cit. , pp . 169 -170.

(٤٣) صبحي محمود كلكلة ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

45-Hoffner , op.cit. , p . 83.

46-Jorgen laessqe, op.cit., P 83 .

(٤٧) جين بوترو وآخرون ، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة ، تر . عامر سليمان (الموصل : مديرية الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٥) ، ص ١٤٤ ؛ عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم (الموصل : دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٩٢) ، ص ٣٣ .

(٤٨) جين بوترو ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٤٩) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ ؛ صبحي محمد كلكلة ، المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٥٠) جين بوترو ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

51-Gelb, op.cit ., p . 116.

(٥٢) عن أسباب انهيار دولة أور الثالثة ، ينظر : طه باقر ، المصدر السابق ، ص ٣٩٢ - ٣٩٦ .

53-Miroop,op. cit. , p116.

54-Ibid. , pp.116-117 ; Gelb , op cit , pp. 8-10 ; -

جورج رو ، العراق القديم ، تر . حسين علوان حسين (بغداد : دار الحرية للطباعة والنشر ، ١٩٨٤) ، ص ٣١٦-٣١٧ .

(٥٥) تعرف أطلالها اليوم باسم تل الحريري الذي يقع على بعد ١٠ كم شمالي شرقي بلدة البوكمال على الحدود السورية العراقية ، وقد عثر فيها على حوالي ٢٥ ألف رقيم طيني ساعد الباحثين كثيرا في الكشف عن جزء مهم من تاريخ بلاد الرافدين وسوريا خلال جزء كبير من العصر البابلي القديم (٢٠٠٤ - ١٥٩٥ ق.م) سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية ، للمزيد ينظر:

عامر سليمان ، المصدر السابق ، ص ١٨٤؛ تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا ،
الإنسان تجليات الأزمنة (دمشق ، ٢٠٠١) ، ص ٢١٢ .

56- Hoffner , op.cit. , p . 83

57 kupper,Op.cit.,p42

58- Gelb , op. cit. , p. 63.

٥٩- جرنوت فيلهلم ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٦٠) المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

61-Kupper ,op. cit. , p. 22 -

62-Amir Harrak , Assyria and Hanigalbat (zurich , 1987) , p 37

Abstract

Old Arbil and Huri Settlement

Arbil is one of the cities of Kurdistan, Iraq. The ancient ruins proved that the beginnings of civilization referred to the eras before the history. This is clear through the many ruins in Arbil , Which belong to those eras. The famous site of the ruins is Shanider, The site took its fame not only in Iraq but also in the old middle east in General.

Another site is Zawi Gemi and other settlements in which man settled in and lived his peaceful life after practicing the planting and taking care of animals. Arbil continued its development in all fields of civilization until it became the place of highest system of life during the historical eras of Ashur since 2000 B.C. until the end of Modern Ashur era when the capital Ashurfall (612 B.C.) .

In fact, Arbil is characterized by the wide plain which is in the middle of the city and surrounded by mountains and hills. This wide plain is famous by the fertile soil and much water. especially the rains which fall yearly like other cities of Kurdistan. These rains made the plain satisfied without the need of rivers and springs in planting wheat and grains which are produced heavily.

Those characteristics that Arbil has are considered the main element of peaceful life in Arbil, which is considered by other tribes the important place that let them to migrat to Arbil like the desert tribes as Ashur in the end of (3000 B.C.). Before them, there were tvibes of subarto and Huri.

The settlement of Hurians in Arbil can help us to give historical evidences with emphasis by cuni form bodies. They showed how those tribes migrated to Arbil with reasons and times. The way of reaching Arbil by Hurians will be shown they reached Arbil peacefully or by fighting and occupying. The relationship between Hurians and Arbil will also be shown in their effect on the other one.

The waves of migration continued from the end of (3000 B.C.) to (1500 B.C.) and formed seveal small

countries beginning from the north of Zagros in the east to the Meditranean sea in the west. These small coudries were known as th Ideal country.

Finally, the reaserchers hope that the research will be supported by other researchers to add other information about Arbil and other cities in Kurdistan.

أضواء على تاريخ البحرين في العصر العباسي

أ.م.د. فرات حمدان عبد المجيد

المقدمة

تمتاز البحرين بموقع جيد من خلال كونها حلقة إتصال بين الشرق والغرب وهذا الاتصال يتمثل في النشاط التجاري ومسالكه ، وهذا ما يجعلها تشكل العصب الحيوي للتجارة آنذاك ، كما انها تضم العديد من المدن المهمة التي هي في الوقت نفسه موانئ بحرية ومحطات للتجارة العالمية ، وهذه الموانئ تضم العديد من الأسواق التي هي المكان الملائم لتصريف المنتجات ، فضلاً عن ان منطقة البحرين غنية بمواردها إذ تعد من أهم مصاد اللؤلؤ والمرجان ، لهذه الأسباب مجتمعة فان منطقة البحرين تعد من المناطق المهمة.

تشير النصوص الى ان منطقة البحرين كان قد دخل اليها الاسلام سلماً ، ودون أي قتال حين أسلم أهلها بمجرد وصول مكاتبات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اليهم يدعوهم للاسلام ، ثم قامت القبائل العربية القاطنة فيها بارسال الوفود الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تعلن ولاءها واسلامها ولكن ارتدادهم السريع عن الاسلام بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان بنفس قوة دخولهم الى الاسلام اذ كان سريعاً ومفاجئاً شأنهم في ذلك شأن بقية المناطق الأخرى التي خرجت عن طاعة الاسلام بمجرد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لكن سرعان ما استطاعت الخلافة الراشدة المتمثلة في شخص الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في ارجاعهم الى حضن الاسلام .

وشهدت منطقة البحرين حركات خارجية عديدة تمثلت في حركات الخوارج التي رأوا في (البحرين) المكان المناسب لنشاطهم لأنها بعيدة عن مركز الخلافة سواء في دمشق أم في بغداد ، وشهدت المنطقة تغيير العديد من الولاة (كما مبين في سياق هذا البحث) لعدم إستطاعة الوالي ضبط أمور ولايته ، وربما يكمن سبب ذلك الى عدم رضا الخليفة العباسي عن ذلك الوالي فيقوم بعزله واحلال شخص آخر مكانه .

المبحث الأول

البحرين قبل الاسلام

أولاً : التسمية

أشارت النصوص الى ان تسمية البحرين جاءت من أجل نهريها "ملم" ^(١). وقيل في اشتقاق مفردة البحرين وجهان فيجوز ان يكون مأخوذاً من قول العرب بحرت الناقة اذا شقت أذنهما ، ويجوز الاشتقاق من قول العرب : قد بحر البعير بحرّاً اذا أولع بالماء فأصابه منه داء ، والصحيح ان اسم البحرين جاء لأنه في ناحية قراها بحيرة على باب الاحساء ، وقرى هجر بينها وبين البحر عشرة فراسخ ^(٢).

وكانت هذه الجزيرة تسمى قديماً "أوال" وهي أكبر جزيرة في مجموع جزر البحرين ^(٣). والراجح ان جزيرة أوال وهو الأسم القديم للبحرين . وتعد البحرين من المدن التي لها أكثر من اسم فتسمى البحرين هجر ^(٤). وقيل ان الأحساء قصبة هجر وتسمى البحرين ^(٥). وان هجر كانت قاعدة البحرين وقال بعضهم: انها اسم لجميع أرض الجزيرة أي (البحرين) ، وذكر الاخباريون انها عرفت بهجر نسبة الى "هجر بنت المكف" . وكانت من العماليق ومن العرب المتعربة ^(٦). ان اسم البحرين هو اسم جامع لبلاد على ساحل البحرين بالبصرة وعمان من جزيرة العرب ومدينتها هجر بينها وبين البصرة خمسة عشر يوماً وبينها وبين عمان مسيرة شهر ^(٧). وكان اصطلاح (البحرين) في وقت ما يشمل قطر ووحدات القطيف والحسا ^(٨).

ثانياً: الموقع الجغرافي

وبالنسبة لموقع البحرين فهي تشغل شرق الجزيرة العربية وتمتد على ساحل الخليج العربي من البصرة الى عمان ^(٩). واسم البحرين هو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان ، وقيل: هي قصبة هجر ، وقيل: هجر قصبة البحرين وعدّها قوم من اليمن ، وجعلها آخرون : قصبة برأسها ^(١٠).

وحدود البحرين من الغرب اليمامة، ومن الشمال البصرة ، ومن الجنوب عمان ، ومن الشرق الخليج ^(١١). وقيل: ان موقع البحرين هو شرق الجزيرة العربية مع كاظمة والبصرة فقد أخذ البحرين من ذلك الموضع مغرباً ولطيفاً ببلاد العرب منعطفاً عليها فأتى منها على سفوان وكاظمة ونفذ الى القطيف وهجر وأسيف البحرين وقطر وعمان والشحر ^(١٢).

وهناك رأي لأحد المستشرقين تناول فيه موقع البحرين فقول: انها تقع في وسط خليج غير معروف الاسم ويفصل هذا الخليج الأقاليم الحسا والقطيف على رأس قطر الداخلة في البحر وشكل الجزيرة يقارب شكل الخليج فالسواحل المواجهة لليابسة تكاد تكون موازية للخليج ^(١٣). ووقع هذا المستشرق في وهم عندما زعم ان البحرين تقع في وسط خليج غير معروف الاسم . ويبدو أنه خلط بين البحرين كإقليم واسع المساحة في العصور الاسلامية ، وبين اماره البحرين الحالية ، وما فطن ان هناك فرق بين جزر اماره البحرين الحالية وبين مصطلح البحرين في العصور الاسلامية حيث كانت لها ادارة خاصة وأحياناً تلحق ادارتها بأمر البصرة.

ثالثاً: أهم المدن

أما أهم مدن البحرين فهي الخط : وهي مدينة قديمة بين البحرين وعمان ، وقيل: هي ساحل بين البصرة وعمان ومن كاظمة الى الشحر ، وقيل: أنها قرية على ساحل البحرين وهي لعبد قيس ^(١٤). والخط اسم يطلق على جميع القرى المجاورة لسيف البحر كالقطيف وما جاورها ^(١٥). وهناك أيضاً هجر وهي قصبة مدينة البحرين العظمى وفيها سوق للعرب قبل الاسلام ^(١٦). وقد عدها بعض القوم من اليمن ، وجعلها آخرون: قصبة برأسها وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة ^(١٧). وهجر قصبتها الأحساء ومدنها: سابون ، الزرقاء، أول العقير ، وناحيته اليمامة . والأحساء كبيرة كثيرة النخيل عامرة ومدن هذه الجزيرة صغار ^(١٨). ومن المدن الأخرى الأحساء وهي قاعدة البحرين ، (والحسا) هو الماء الذي تتشفه الأرض

وهي المقاطعة الشرقية يحدها غرباً عقبة الفروق وشمالاً القطيف وجودة ، وشرقاً رمال العقير ، وجنوباً رمال بيرين وقاعدتها في الوقت الحاضر مدينة الهفوف ^(١٩). وهجر تقع على الساحل ^(٢٠).

اضافة الى ما تقدم توجد جواثا وهي حصن البحرين ^(٢١). وهي مدينة لعبد القيس بهجر وهي كثيرة الزروع والنخيل ولما أسلم بنو عبد القيس بنوا فيها مسجداً وصلوا فيه الجمعة وهو أول مسجد صليت فيه الجمعة بعد مسجد الرسول(ص) ^(٢٢). ومدينة العقير وهي ميناء على الخليج بين هجر والقطيف وكانت مركزاً للتجارة وهو موضع نخل ومدينة عظيمة الشأن ^(٢٣). وميناء دارين يقع شرق القطيف ^(٢٤). ودارين بلدة من أعمال القطيف بينها وبين الفضة خليج اذا مد البحر غمره الماء فلا يعبر الا بالسفن واذا جزر البحر يسلكه الركبان على الدواب وهو الذي عبر منه العلاء الحضرمي الى دارين ففتحها وهي مدينة تجارية ترد اليها المراكب من الهند بأنواع البضائع ^(٢٥). أما مدينة القطيف فتقع على الساحل الشرقي من شبه جزيرة العرب وكان يطلق على هذه المدينة اسم الخط أيضاً وكانت هي مدينة البحرين وهي اليوم قصبتها وأعظم مدنها وهي مدينة حسنة ذات نخل كثير وكانت عاصمة اقليم البحرين في أدوار مختلفة ففي القرون الأولى والثالث والتاسع الهجرية كانت عاصمته وأزهى مدنه ^(٢٦). وكانت القطيف روعة الماضي وليس هناك من ينافسها في استراتيجيتها فكانت مقر السلطة المحلية وكانت تجود بالخير والعطاء وترتادها السفن من أجل الزاد والماء وهي مدينة قديمة جداً ولا تزال محتفظة بطابعها القديم ^(٢٧). والمشقر بالبحرين نحو هجر وبها نخل ولا يبرح الماء في اصوله ^(٢٨). وهي حصن آخر من حصون البحرين المعروفة ، وهي أيضاً من الحصون العادية ، ولهم حصن آخر يليه اسمه الصفا قبل مدينة هجر وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له العين ^(٢٩). وهناك السيف (سيف البحرين) وهو من أوال على يوم ^(٣٠). وأول الجزيرة في البحر المحاذي لبلاد هجر وكانت تسمى في القديم دلمون ثم سميت أوال باسم صنم تعبد به بنو وائل مع قوم

من بني عبد القيس وتسمى في العصر الحديث البحرين وهي كثيرة العيون والنخيل والفواكه ، وأشهر مدنها المنامة وهي كثيرة السكان واليها ترد المراكب التجارية وجميع البضائع وفيها أكثر التجار ^(٣١). ثم الستار وتعرف بستار البحرين والفتح وهو طريق بين الستار والبحر الى البصرة ^(٣٢). وهناك قرى أخرى مثل الآرة وبينونة ^(٣٣). الواقعة بين عمان والأحساء وهوؤها شديد الحرارة ^(٣٤).

وإذا أجملنا أرض البحرين فهي أرض المشقر فهي هجر مدينتها العظمى والعقير والقطيف والحساء ومعلم نهرهم ^(٣٥). وقرى البحرين هي: الخط ، القطيف ، الآرة ، هجر ، بينونة ^(٣٦).

وقد اشتهرت البحرين بالتمر ف قيل: "كمبضع التمر الى هجر" ، كما عرفت البحرين بأوبنتها ^(٣٧).

رابعاً: السكان

كانت البحرين قبل الفتح الاسلامي في مملكة فارس وكانت القبائل العربية في البحرين هي: عبد القيس ، بكر بن وائل، تميم ، وكان بها المنذر بن ساوى بن عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم ^(٣٨). وهو الأسبذي نسبة الى قرية بهجر يقال لها "الاسبذ" ، ويقال : أنه نسب الى الأسبذيين وهو قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين ^(٣٩).

تشير النصوص الى ان قبائل عبد القيس وبكر بن وائل وتميم قبل سكنها البحرين كانت تسكن تلك المنطقة قبائل من كندة حيث أجلوا الى حضرموت وكان الذي أجلاهم عن هذه البلاد الى حضرموت هم عبد القيس وكان الذي نقل منهم عن هذه البلاد الى حضرموت نيفاً وثلاثين ألفاً ^(٤٠).

وهناك رأي آخر يقول : ان عبد القيس لما جاءوا الى البحرين كانت البلاد حينذاك لأبياد فجلت اياد من البحرين ونزحت نحو العراق ^(٤١). والذين كانوا في البحرين من عبد القيس هم من أهل العلم ^(٤٢).

لقد احتفظت عبد القيس بمواقعها في البحرين الى مجيء الاسلام^(٤٣). وكذلك الحال بالنسبة لبكر بن وائل فقد احتفظت بمواقعها في البحرين منذ قبل الاسلام^(٤٤). أما تميم وهي من القبائل العربية الكثيرة العدد فيظهر أنها بقيت في المنطقة أيضاً .

تقع ديار عبد القيس الى الشمال من ديار أزد عمان وهي تشرف على الخليج وتمتد نحو الشمال حتى تصل الى منازل قبائل بكر بن وائل وقد خالطتها قبائل أخرى وسكنت الى الغرب من ديار عبد القيس وقبائل تميم التي تمتد ديارها موازية لديار عبد القيس الواقعة الى شرقها حتى تصل الى ديار بكر بن وائل وديار أسد التي تؤلف الحدود الشمالية والغربية لها ، أما القبائل النازلة الى الغرب من ديار تميم فهي أسد وهوازن وغني وباهلة ، وأما القبائل النازلة الى الجنوب من بلاد تميم فهي أزد عمان وعبد مناة وضبة^(٤٥).

ان هجر هي سوق بني محارب من عبد القيس ، والقطيف ساكنها جذيمة من عبد القيس سيدهم ابن مسمار ورهطة ، والعقير يسكنها العرب من بني محارب والستار هو منادى بني تميم^(٤٦). وأما الأحساء فهي منازل بني تميم^(٤٧). وديار بكر بن وائل من اليمامة الى البحرين الى سيف كاظمة الى البحر^(٤٨). وسكنت الى جانب العرب عناصر أخرى منهم الزط وتتفق المصادر على أنهم من السند (سلالة هندية) استعملهم الفرس في الجيش الساساني ، وكذلك السياجة ويشتركون مع الزط في أصلهم^(٤٩).

كانت حالة أهل البحرين المعاشية جيدة فكانت تجارتهم كثيرة ومعاشهم وافرة لما في بلادهم من الخصب والرخاء وغير ذلك من أسباب الثروة والغنى^(٥٠). وذكر ان من سكن البحرين عظم طحاله^(٥١). ولم يوضح لنا صاحب كتاب المسالك والممالك حصول هذه الحالة ؟ وهل انها متأتية من سوء المناخ وكثرة الرطوبة ؟ أم نوع الغذاء الذي يتناوله السكان ؟ أم غير ذلك ؟ وان كنا نرجح ان للمناخ والبيئة أثرهما في حصول هذه الحالة . وممن ينسب الى البحرين من

علماء الحديث محمد بن معمر البحراني ثقة حدث عنه البخاري ، العباس بن يزيد البحراني روى عن خالد بن الحارث بن عيينة ، يزيد بن الربيع روى عنه الباغندي ابن صاعد وابن مخلد وهما من الثقات ^(٥٢). وإلى جانب التجارة وملاحتها فقد كانت الفلاحة هي من أسباب معاش سكان البحرين ^(٥٣) .

خامساً : نظام الحكم

ان المعلومات المتوفرة عن نظام الحكم السائد في البحرين رغم وفرة المصادر فهي قليلة . ففي البحرين التي كانت تابعة للدولة الساسانية تشير النصوص الى ان مرزبان البحرين كان يدعى اسيبخت ^(٥٤). ومن ثم اعتمد الفرس على العرب في الادارة فعينوا والي للبحرين من قبلهم هو المنذر بن ساوى من بني تميم ^(٥٥). حتى مجيء الاسلام .

أما قبل الاسلام وعلى أثر تضعضع الدولة البرثية في ايران وقيام ملوك الطوائف فيها سيطرت العناصر العربية ونزحت اليها بعض القبائل العدنانية حيث قدم مالك بن فهم مع قبيلته الى المنطقة ، ثم قدمت قبيلة الأزد واتفقت القبيلتان على التتوخ(أي التعاون والتعاقد) ثم نزح مالك بن فهم مع قبيلته قضاة الى العراق وحل محلهم بنو عبد القيس التي قدمت من تهامة برئاسة عمرو بن الجعيد وتصدت لهم قضاة وايااد حيث هزموا في المواجهة مع عبد القيس ^(٥٦). وهكذا سيطرت عبد القيس على البحرين في عهد سابور الثاني عام ٣٠٩م وعمره لا يتجاوز عشر أعوام فانتهز العرب ذلك وسار جمع من عبد القيس فعبروا الخليج واستولوا على سواحل فارس ، ثم قام سابور الثاني بحملة على بلاد العرب وعبر الخليج واستولى على القطيف والأحساء واليمامة وكان ينزع أكتاف العرب فلقبوه (بذي الأكتاف) وأصبحت البحرين تابعة الى الدولة الساسانية ^(٥٧). وعينت الدولة الساسانية عليها عمالاً من قبلهم منهم المكعبر الفارسي ^(٥٨) .

المبحث الثاني

البحرين في العصر العباسي

أولاً : العلاقة مع الخلافة العباسية

ان أهمية البحرين زادت بعد انتقال مركز الخلافة في العصر العباسي من الشام الى العراق وهذا يعني ان الأهمية التجارية انتقلت من البحر المتوسط الى الخليج ، كما شهد هذا العصر ازدهاراً زراعياً في بلاد السواد والأقاليم الشرقية وكان هذا دافعاً للعباسيين الى الاهتمام بالبحرين لتأمين طرق التجارة الدولية وبسط نفوذ الدولة ^(٥٩). فضلاً عن ان البحرين أصبحت أقرب لمركز الخلافة في العراق .

بعد أن آلت الخلافة الى بني العباس عام ١٣٢هـ/٧٥٠م كانت البحرين من بين الولايات الاسلامية التابعة للخلافة العباسية ، لكن المصادر أشارت فقط الى ذكر أهم الولاة الذين عينوا أو عزلوا على البحرين .

في زمن الخليفة أبو العباس السفاح عام ١٣٢هـ/٧٥٠م ولى عمه داود بن علي مكة والمدينة واليمن واليمامة والبحرين ، ثم خاله زياد بن عبدالله بن المدان ^(٦٠). ثم أسند الى عمه سليمان بن علي ولاية البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان ^(٦١). حيث كانت البصرة تضم البحرين وعمان ، وظل سليمان بن علي والياً على البصرة والبحرين حتى عام ١٤٠هـ/٧٥٧م حتى عزله الخليفة أبو جعفر المنصور وأقام مكانه السري بن عبدالله الهاشمي ^(٦٢). ثم أقام مكانه سفيان بن معاوية ^(٦٣) . وظل سفيان في ولايته حتى عام ١٤٥هـ/٧٦٢م ^(٦٤). ثم عزله وعين مكانه مسلم بن قتيبة الباهلي على البصرة ^(٦٥). وهناك إشارة الى ان الوالي بعد سفيان هو قثم بن العباس بن عبدالله ^(٦٦).

وكان سبب عزل سفيان هو اتهام الخليفة المنصور له بالميل الى ابراهيم بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رض) الذي ظهر بالعراق وحبس سفيان بن معاوية ^(٦٧). ولما قتل ابراهيم ولى الخليفة المنصور مسلم بن قتيبة على البصرة ^(٦٨). ثم عزله الخليفة المنصور عام ١٤٦هـ/٧٦٣م والسبب في ذلك ان

ال خليفة كتب اليه يأمره بهدم دور من خرج مع ابراهيم ويعقر نخلهم ، فكتب مسلم بأي ذلك أبداً ؟ بالدور أم بالنخل ؟ فأنكر المنصور ذلك عليه وعزله^(٦٩). وعين مكانه محمد بن سليمان ثم عزله وعين مكانه عبد ربة بن شريك ولم تذكر المصادر عام ولايته^(٧٠). ثم عزل وولي محمد بن أبي العباس الذي لقبه أهل البصرة "أبا الدبس"^(٧١). الذي طلب اعفائه على أثر ثورة قادها سليمان بن حكيم العبدي عام ١٥١هـ/٧٦٨م فبادر المنصور الى إرسال جيش تولى قيادته عقبة بن أبي المسلم للقضاء على الثورة وقد تم له ذلك^(٧٢). وطلب محمد بن أبي العباس إعفائه فغفاه الخليفة المنصور وولى مكانه عقبة بن أبي المسلم عام ١٥١هـ/٧٦٨م^(٧٣). ثم عزل عقبة بن أبي المسلم وعين مكانه جابر بن توبة^(٧٤). وفي عام ١٥٢هـ/٧٦٩م حيث قام أهل البحرين بثورة وقتلوا عاملهم أبا الساج^(٧٥). فأرسل الخليفة المنصور لهم عقبة بن مسلم الهنائي^(٧٦). والذي نجح في اخماد تلك الثورة وسبى أعداداً كبيرة من أهل البحرين وبعث بهم الى الخليفة المنصور في بغداد فقتل منهم الكثير ووهب الباقيين الى ابنه المهدي الذي أطلقهم وكساهم ، ثم عزل عقبة عن البصرة لأنه لم يستقصي على أهل البحرين^(٧٧). حيث كان المنصور قد بعث أسد بن المرزبان الى عقبة بن مسلم في البحرين حيث قتل من قتل ينظر في أمره فمايله ولم يستقصي عليه وروى عنه فبلغ ذلك أبا جعفر وبلغه أنه أخذ منه مالاً فبعث اليه أبا سويد الخراساني وكان صديق أسد وأخاه فلما رآه مقبلاً على البريد فرح وكان ناحية من عسكر عقبة فتناول له وقال: صديقي فوقف عليه ليقوم اليه فقال له: أبا سويد "ينشين...ينشين فجلس فقال له : أنت سامع مطيع ، قال : نعم ، قال: مد يدك فمد يده فضربها فأطنها ثم مد رجله ثم مد يده ثم رجله حتى قطع الأربع ثم قال: مد عنقك فمد فضرب عنقه فأخذت رأسه ووضعت في حجر "أفريك" وهي جارية أسد فأخذ منها وحمل الى المنصور^(٧٨).

وكان الخليفة المنصور قد استعمل عبد الملك ظبيان النميري على البصرة عام ١٥٤هـ/ ٧٧١م^(٧٩). وبقي فيها حتى عزل واستعمل مكانه الهيثم بن معاوية العتكي^(٨٠). وفي عام ١٥٦هـ/ ٧٧٣م عزل الهيثم وعين مكانه سعيد بن دعلج^(٨١). والذي أناب عنه في ولاية البحرين ابنه تميم^(٨٢).

وكان سعيد يشغل منصب صاحب شرطة البصرة قبل أن يولى البحرين^(٨٣). وفي عام ١٥٩هـ/ ٧٧٦م عزل سعيد بن دعلج عن البصرة واستعمل مكانه عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميري وأمره بانصاف من تظلم من سعيد بن دعلج^(٨٤). وفي عام ١٦٠هـ/ ٧٧٧م قلد محمد بن سليمان البحرين وعمان والأحواز وكور دجلة^(٨٥). واستمرت ولاية محمد بن سليمان حتى عام ١٦٤هـ/ ٧٨١م^(٨٦). ثم عزل محمد بن سليمان وعين صالح بن داود خلفاً له ثم عزل وولي مكانه المعلى مولى المهدي وذلك عام ١٦٥هـ/ ٧٨٢م^(٨٧). ثم عين سويد بن أبي سويد القائد الخراساني على اليمامة والبحرين عام ١٦٩هـ/ ٧٨٦م^(٨٨). ثم عين الخليفة الرشيد محمد بن سليمان على البصرة والبحرين "للمرة الثانية" عام ١٧٠هـ/ ٧٨٧م^(٨٩). واستمر محمد بن سليمان في ولايته حتى عام ١٧٣هـ/ ٧٩٠م وهو العام الذي توفي فيها وصودرت أمواله بأمر الخليفة الرشيد^(٩٠).

ولما مات (محمد بن سليمان) ، وجه الخليفة الرشيد الى كل ما خلف رجلاً أمره باصطفائه فأرسل الى ما خلف من الصامت من قبل صاحب ماله رجلاً والى الكسوة بمثل ذلك والى الفرش والرقيق والدواب من الخيل والأبل والى الطيب والجوهر وكل آلة برجل من قبل الذي يتولى كل حسن من الأصناف فقدموا البصرة فأخذوا جميع ما كان لمحمد مما يصلح للخلافة ولم يتركوا شيئاً الا الحرثى "أي المتاع" الذي لا يصلح للخلفاء وأصابوا له ستين ألف ألف فحملوها مع ما حمل فلما صارت السفن أخبر الرشيد بمكان السفن التي حملت ذلك فأمر أن يدخل جميع ذلك خزائنه الا المال فإنه أمر بصكاك فكتب للندماء وكتبت للمعنيين صكاك صغار لم تقر في الديوان ثم دفع الى كل رجل صكاً بما رأى أن يهب له

فأرسلوا وكلاءهم الى السفن فأخذوا المال على ما أمر لهم به في الصكاك أجمع، لم يدخل منه بيت ماله دينار ولا درهم واصطفى ضياعه وفيها ضيعة يقال لها "برشيد" بالأحواز لها غلة كبيرة . وقيل أيضاً لما مات محمد بن سليمان أصيب في خزائنه لباسه مذ كان صبيّاً في الكتاب الى أن مات مقادير السنين فكان من ذلك ما عليه اثار النقش "أي الحبر" ،قال: واخرج من خزائنه ما كان يهدى له من بلاد السند ومكران وكرمان وفارس والأحواز واليمامة والري وعمان من الألطاف والأدهان والسّمك والحبوب والجبن ووجد أكثره فاسداً وكان من ذلك خمسمائة كنعدة وهي ضرب من السمك" ألقيت من دار جعفر ومحمد في الطريق فكانت بلاءاً^(٩١).

وفي عام ١٩٠هـ/٨٠٦م وفي عهد الخليفة الرشيد ثار سيف بن بكير من بني عبد القيس في البحرين وبدأت هذه الثورة في مدينة هجر أكبر مدن البحرين فأُسرع الرشيد الى اخمادها بأرسال جيش بقيادة محمد بن يزيد الذي نجح في اخمادها^(٩٢). وفيما بعد عين داود بن ماسجور على البحرين واليمامة عام ٢٠٦هـ/٨٢٢م وأضاف اليهما أعمال البصرة وكور دجلة^(٩٣). ولم نجد فيما بعد ذكر للبحرين أو ولاتها في المصادر حتى تم تعيين اسحاق بن ابراهيم بن ابي خميصه على البحرين في عهد الخليفة الواثق عام ٢٣١هـ/٨٤٦م^(٩٤). وقام الخليفة المتوكل عام ٢٣٥هـ/٨٥٠م بتقسيم أراضي الخلافة بين أولاده الثلاثة : المنتصر ، المعتز ، المؤيد فشملت أراضي المنتصر من شمال أفريقية حتى جزيرة العرب ومن ضمنها اليمامة والبحرين^(٩٥). ، وعين المنتصر محمد بن اسحاق بن ابراهيم عام ٢٣٦هـ/٨٥١م والياً على البحرين ولكنه توفي عام ٢٣٧هـ/٨٥٢م^(٩٦). وفي عام ٢٥٢هـ/٨٦٧م في عهد الخليفة المعتز أسندت ولاية البصرة واليمامة والبحرين الى محمد بن أبي عون^(٩٧).

لم نلاحظ ان البحرين قد شهدت نشاطات واسعة خارجية ضد الخلافة العباسية خلال هذه الفترة ويظهر ان الأمور كانت هادئة ومستقرة وذلك يعزى الى سيطرة

ولاية الدولة العباسية ، كما ان وجود البحرين في مكان بعيد نسبياً عن مركز الخلافة ، فضلاً عن ان اهتمامات الخلافة العباسية اتجهت الى تثبيت أركان الدولة سيما وان الولاية وخاصة ولاية البصرة اختيروا من ضمن من يحسن له ادارة الأقاليم فكانت سبباً مباشراً في هدوء واستقرار البحرين وهذا ما أشارت له النصوص والتي لم نجد بين ثناياها ما يدل على وجود مشاكل أو اضطرابات في البحرين وانما اقتصرت المعلومات في خلال هذه الفترة على أسماء الولاية وتعيينهم وعزلهم .

أن قلة الاضطرابات السياسية في أوائل العصر العباسي لا يعني موالاة القبائل العربية في البحرين لسلطة الخلافة العباسية أذ يبدو أن القبائل من عبد القيس بقيت بعيدة عن أي سلطان يفرض عليها . ولكن يلاحظ أن العباسيين تقربوا من الأزدي في البحرين وأعتدوا عليهم في تأمين الساحل ، وبلا ريب فأن عدم الاتفاق بين عبد القيس والأزدي في البحرين لم يكن وليد الساعة بل له جذور قديمة تعود الى العصر الأموي ، كما ان هذا الفتور بين الطرفين كان دائم الحضور مما يعد سبباً رئيساً في عدم إستقرارالبحرين مما جعل الخلفاء العباسيين يختارون الولاية الأكفأ لادارة المنطقة .

ثانياً: الحركات الخارجية

في عام ٢٥٥هـ/٨٦٨م ظهر في فرات البصرة رجل زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رض) وجمع اليه الزنج : وهم جماعات من العبيد السود وجلبوا بطرق متنوعة وفي أوقات مختلفة من أفريقية الشرقية ، واستخدموا في أعمال أهمها استصلاح أراضي السواد ، وقد اختلف في موطنهم الأصلي فذكر بعضهم الحبشة ، وقيل الصومال وزنجبار ، ولكنهم من سواحل أفريقية الشرقية^(٩٨) . وكانوا يكسحون السباخ ثم عبروا دجلة ونزل الديناري ونسبه في عبد القيس ثم شخص من سامراء عام ٢٤٩هـ/٨٦٣م الى البحرين فادعى بها أنه علي بن محمد بن الفضل بن

حسن بن عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب (رض) ودعا الناس بهجر الى طاعته واتبعه جماعة كثيرة من أهلها ،وأبته جماعة أخر فكانت بسببه بين الذين اتبعوه والذين أبوه عصبية قتلت بينهم جماعة فانتقل عنهم لما حدث ذلك الى الاحساء وضوى الى حي من بني تميم ثم من بني سعد فكان بينهم مقامه وجبي له الخراج ونفذ حكمه بينهم وقاتلوا أسباب السلطات بسببه ثم انتقل الى البادية وصحب جماعة من أهل البحرين ثم أوهم جماعة من أهل البادية أنه يحيي بن عمر أبو الحسن المقتول بناحية الكوفة حتى اجتمع بها منهم جماعة كثيرة فرحف بهم الى البحرين وكانت بينهم وقعة عظيمة حيث قتل جمع من أصحابه وتفرقت عنه العرب ^(٩٩). ثم سار الى البصرة ودعا أهلها لطاعته وفشل في ذلك وهرب من البصرة ثم سار الى بغداد وبقي فيها مدة ثم رجع الى البصرة وركب أصحابه في سفن وعبروا دجلاً وأقام هناك بمجمع السودان يصلي ويخطب بهم ويذكرهم بما هم عليه من الشقاء وسوء الحال وأنه يريد انقاذهم وكثر أتباعه ^(١٠٠). ودعا الزنج الى التمرد وعظم خطره . وفي عام ٢٥٧هـ / ٨٧٠م دخل البصرة واستباحها وأصبح مصدر قلق ومتاعب للخلافة العباسية ولم تدم حركته طويلاً حتى قضى عليه الموفق في خلافة أخيه المعتمد عام ٢٧٠هـ / ٨٧٣م وقد أطلق عليه المؤرخون "صاحب الزنج" لتعاونه مع العبيد ^(١٠١). وكانت هذه أولى الحركات الخارجية في البحرين .

وفي عام ٢٨٦هـ / ٨٩٩م ظهر القرامطة في البحرين وقد اختلف المؤرخون في تفسير اصطلاح "القرامطة" وأغلب الظن ان قرمط كان لقباً لـ "احمدان بن الأشعث" زعيم قرامطة العراق الجنوبي ومعناها "أحمر العينين" ^(١٠٢). وقيل ان طائفة القرامطة تنسب الى "الفرج بن عثمان" الملقب بقرمط ^(١٠٣). وقال الطبري ^(١٠٤): "أنه في عام ٢٨٦هـ / ٨٩٩م ظهر رجل من القرامطة يعرف بـ "أبي سعيد الجنابي" بالبحرين فاجتمع اليه جماعة من الأعراب والقرامطة وكثر أصحابه". كانت حركة

القرامطة أعنف من حركة الزنج وعندما ظهر أبو سعيد الجنابي بالبحرين كان عامل المعتضد على البحرين أحمد بن يحيى الدانقي^(١٠٥).

وفي عام ٢٨٧هـ/٩٠٠م غلظ أمر القرامطة في البحرين فأغاروا على نواحي هجر وقرب بعضهم من نواحي البصرة فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الدانقي يسأل المدد فوجه اليه جيش في عهد الخليفة المعتضد^(١٠٦). الذي أرسل عباس بن عمرو الغنوي الى اليمامة والبحرين لمحاربة الجنابي ومن معه من القرامطة وضم اليه زهاء ألفي رجل فعسكر العباس بالفرك أياماً حتى اجتمع اليه اصحابه ثم مضى الى البصرة ثم شخص منها الى البحرين واليمامة^(١٠٧). ولقي طلائع القرامطة فخلع العباس سواده وسار نحوهم فلقى الجنابي ومن معه فتناوشوا القتال ثم حجز بينهم الليل فأنصرف كل فريق منهما الى موضعه فلما كان الليل أنصرف من كان مع العباس من الأعراب الى البصرة ثم تبعهم مطوعة البصرة فلما أصبح العباس تمادى القرامطة الحرب وأقتتلوا قتالاً شديداً ثم أن صاحب ميسرة العباس وهو نجاح غلام أحمد بن عيسى بن شيخ حمل في جماعة من أصحابه زهاء مائة رجل على ميمنة الجنابي موغلاً فيهم وقتل جمع من اصحابه وأنهزم العباس وأصحابه وأستأسر العباس وأسر من أصحابه زهاء سبعمائة رجل واستولى الجنابي على ما كان في عسكر العباس فلما كان من يوم غد يوم الوقعة احضر الجنابي من كان أسر من أصحاب العباس فقتلهم جميعاً ثم أمر بحطب فطرح عليهم وأحرقهم^(١٠٨). ثم سار الجنابي الى هجر بعد الوقعة فدخلها وأمن أهلها وأنصرف من سلم من المنهزمين (وهم قليل) نحو البصرة بغير زاد فخرج اليهم من البصرة نحو اربعمائة رجل على الرواحل ومعهم الطعام والكسوة والماء فلقوا بها المنهزمين فخرج عليهم بنو أسد واخذوا الرواحل وما عليها وقتلوا من سلم من المعركة فأضطربت البصرة لذلك وعزم أهلها على الانتقال منها فمنعهم الدانقي وبقي العباس عند الجنابي أياماً ثم أطلقه وقال له: امضي الى صاحبك وعرفه ما رأيت

وحمله على رواحل فوصل الى بعض السواحل وركب البحر فوافى الابلّة ثم سار منها الى بغداد ودخل على المعتضد الذي عاتبه العباس فأوصل اليه العباس الكتاب فقال : والله ليس فيه شيء وانما أراد ان يعلمني أنني انفذتك اليه فالعدد الكثير فردك فرداً وفتح الكتاب واذا ليس فيه شيء^(١٠٩). وبذلك يكون الجنابي قد زرع الخوف والرعب في قلب الخلافة العباسية .

وفي عام ٢٨٧هـ/٩٠٠م زحف على هجر ودخلها وقتل جمعاً كثيراً من عبد القيس ، ويقال : أنه دبر مكيدة للتخلص من زعمائها وأولي الأمر فيها الذين يخشى خطرهم فجمع الرؤوس والاعيان واضرم حولهم النار فمن خرج مزقته السيوف ، ومن لم يخرج اكلته النار وبذلك قضى على منافسيه من عبد القيس وغيرهم^(١١٠).

ثم قام أبو سعيد الجنابي ببعض الاصلاحات منها:

- ١- أمر بتربية الخيول وتدريبها وأنشاء نظام الفروسية
- ٢- أعد النساجين لعمل الدروع والمغافر
- ٣- أهتم بصناعة السيوف وأعداد المقاتلين المتمرسين للقتال
- ٤- أصلح الأراضي الزراعية
- ٥- توفير الأيدي العاملة
- ٦- مصادرة الملكيات وتوفيرها للأفراد وألغى نظام الأقطاع
- ٧- إعادة النظر في توزيع الأراضي
- ٨- شجع الزراعة والصناع
- ٩- سيطر على التجارة الخارجية
- ١٠- استخدم العملات من الرصاص حتى لا تحمل للخارج^(١١١)

وفي عام ٢٩٠هـ/٩٠٣م ورد كتاب من البحرين من أميرها أبين بانوا يذكر فيه أنه كبس حصناً للقرامطة فظفر بمن فيه ، وفي نفس العام ورد كتاب آخر من أبين بانوا في البحرين يذكر فيه انه واقع الجنابي وولي عهده وهزمه وكان مقام هذا

المنهزم بالقطيف فوجد بعدما انهزم أصحابه قتيلاً بين القتلى فأحتر رأسه ودخل القطيف ^(١١٢). وفي عام ٣٠١هـ/٩١٣م قتل الجنابي بناحية البحرين وهجر قتله خادم له ^(١١٣). في الحمام فلما قتله أstdعى رجلاً من أكابر رؤسائهم وقال له: السيد يستدعيك فلما دخل قتله ففعل ذلك بأربعة نفر من رؤسائهم وأstdعى الخامس فلما دخل فطن لذلك فأمسك بيد الخادم وصاح فدخل الناس وصاحت النساء وجرى بينهم وبين الخادم مناظرات ثم قتلوه ^(١١٤). وكانت مدة حكم الجنابي سبعة وعشرين عاماً ^(١١٥).

كان الجنابي قد عهد لأبنة الأكبر سعيد فعجز عن الأمر فغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان وكان شهماً شجاعاً حيث ورث عن أبيه مملكة تضم هجر والاحساء والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين ^(١١٦). وكان الخليفة المقتدر قد كتب الى الجنابي كتاباً ليناً لأطلاق من عنده من أسرى المسلمين ويناظره ويقيم الدليل على فساد مذهبه ونفذه مع الرسل فلما وصلوا البصرة بلغهم خبر موته فطلب منهم الخليفة المسير الى ولده فأتوا أبا طاهر بالكتاب فأكرم الرسل وأطلق الأسرى ^(١١٧).

وفي عام ٣١١هـ/٩٢٣م سار أبو طاهر في الف وسبعمائة رجل الى البصرة ومعه السلاطمة فوضعها على السور وصعد أصحابه وفتحوا الباب وقتلوا الموكلين به وكان أمير البصرة سبك المفلحي فركب إليهم فلقبهم وقتلوه ووضعوا السيف في أهل البصرة وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأقام أبو طاهر في البصرة سبعة عشر يوماً وحمل منها ما قدر عليه من المال والمتاع والنساء والصبيان ثم رجع الى وطنه ^(١١٨). ثم أstdعمل المقتدر على البصرة محمد بن عبدالله الغارفي ^(١١٩). وفي عام ٣١٢هـ/٩٢٤م سار أبو طاهر الى الهير "وهي رمال متصلة برمال الدهناء شمال نجد" في عسكر عظيم لاعتراض الحجاج العراقيين فصادف قافلة منهم قادمة من بغداد فأعرض سبيلها ونهبها واسر بعض رجالها وكان من بينهم أميرهم أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان ، واحمد بن بدر عم والدة الخليفة المقتدر وعاد بهم الى

هجر^(١٢٠). ثم أرسل الخليفة المقتدر اليه وفداً يفاوضه من أجل اطلاق سراح الأسرى وتم ذلك وأنفذهم الى بغداد^(١٢١). ثم أرسل أبو طاهر للمقتدر يطلب منه الاستيلاء على البصرة والأحواز فلم يجبه الى ذلك فسار من هجر يريد الحاج وكان جعفر بن ورقاء الشيباني متقلداً أعمال الكوفة وطريق مكة فلما خرج الحاج من بغداد سار جعفر بين أيديهم خوفاً من أبي طاهر ومعه ألف رجل من بني شيبان وتلاقى الطرفان واقتتلا وانهزم جعفر ورد القافلة الأولى الى مكة وتبعهم أبو طاهر الى باب الكوفة فقاتلهم وانهزم عسكر الخليفة^(١٢٢). ودخل أبو طاهر الكوفة ونهبها وعاد الى هجر^(١٢٣). وفي عام ٣١٥هـ/٩٢٧م سار أبو طاهر الى العراق ولما علم الخليفة المقتدر كتب الى يوسف بن أبي الساج يأمره بالمسير الى أبي طاهر الذي هزم ابن أبي الساج واستولى على الكوفة وولى عليها الأخيفر من بني الحسن صاحب اليمامة^(١٢٤).

ثم جهز الخليفة المقتدر اسطولاً يتألف من خمسمائة قطعة بقيادة مؤنس المظفر قائد الجيش لمنع القرامطة من عبور الفرات حسب معلومات تفيد أنهم توجهوا الى عين تمر وقد بعث مؤنس المظفر فرقة من قواته لحماية الأنبار ومنعهم من العبور غير ان القرامطة زحفوا على الأنبار فسقطت في أيديهم^(١٢٥). وفي عام ٣١٦هـ/٩٢٨م سار أبو طاهر الى الرحبة فوضع السلاح في أهلها ودخلها عنوة وقد أزمع على دخول دمشق والرملة من فلسطين ولكنه عدل عن رأيه فسارع الى العودة الى بلاده فغادر الرحبة عام ٣١٦هـ/٩٢٨م فمر في طريقه بهيت ثم اجتازها الى الكوفة والقادسية ومر بظاهر البصرة ووصل البحرين عام ٣١٧هـ/٩٢٩م^(١٢٦). وفي نفس العام تطلع أبو طاهر الى مكة فهاجمها وقتل آلاف الحاج ثم عمد الى الحجر الأسود فاقتلعه من مكانه وحمله معه الى الاحساء^(١٢٧). وعلى أثر هذا الحادث خرجت نساء بغداد الى الطرقات مسودات الوجوه منشرات الشعر ويلطمن^(١٢٨). وكان الخليفة يتوعد أبو طاهر حتى تمت المهادنة بين الطرفين زمن الخليفة المطيع على ان تدفع بغداد للقرامطة أتاوة سنوية مقابل تعهد هؤلاء بعدم

التعرض للحجاج^(١٢٩). وأعيد الحجر الأسود الى مكانه عام ٣٣٩هـ/٩٥٠م بعد موت أبي طاهر^(١٣٠).

وهذا دليل على ضعف الخلافة العباسية التي لم تستطع القضاء على القرامطة الذين شنوا العديد من الغارات على مدن البصرة والكوفة ومكة ، فضلاً عن استقلالهم بالبحرين ، وتوفي أبو طاهر القرمطي بمرض الجدري عام ٣٣٢هـ/٩٤٣م^(١٣١). بعد ان حكم البحرين احدى وثلاثين عاماً^(١٣٢).

قام الحسين بن أحمد الملقب بالأعصم عند توليه الحكم بنفي أسرة الجنابي ليكون بعيداً عن الدسائس والثورات^(١٣٣). وتولى امر القرامطة بعد عام نفر شركة سموها "السادة"^(١٣٤). وفيهم رجلين يديران السياسة في البحرين هما اسحاق وجعفر^(١٣٥).

وفي عام ٣٧٥هـ/٩٨٦م جاء الى الكوفة اسحاق وجعفر الهجريان في جمع كثير واستوليا على الكوفة وخطبا لشرف الدولة فانزعج الناس لذلك لما في نفوس الناس من هيبتهم وبأسهم وكان لهم نائب ببغداد يعرف بـ أبي بكر بن شاهويه وكان له في بغداد أمر نافذ فقبض عليه صمصام الدولة فلما وصل القرامطة الكوفة كتب لهم صمصام الدولة يتلطفهم ويسألهم عن سبب مجيئهم فذكروا : انكم قبضتم على نائبنا وذلك هو السبب ، ووصل أبو قيس الحسن بن منذر وهو من أكابرهم الى الجامعين فأرسل صمصام الدولة العساكر ومعهم ابراهيم بن مفرج العقيلي في طائفة من قومه فالتقى الفريقان في معركة ثم حمل ابراهيم ومن معه فانهمز القرامطة وأسر أبو قيس وقتلوا ، وعاد القرامطة وسيروا جيشاً آخر والتقوا مع صمصام الدولة وانهمز القرامطة مرة أخرى وعادوا الى الاحساء^(١٣٦).

وفي عام ٣٧٨هـ/٩٨٩م جمع رجل من بني المنتفق يعرف بـ الأصفر جمعاً كثيراً وقصد بلاد القرامطة فخرجت القرامطة للقاءه وكانت بين الطرفين وقعة شديدة قتل فيها رئيس القرامطة فانهمزوا وأسر منهم ناس كثير وسار الأصفر الى الاحساء فتحصن منه القرامطة فعول الى القطيف فأخذ ما كان فيها للقرامطة من

الأموال والعبيد والمواشي وسار بها الى البصرة ومن حينئذ لم يغز للقرامطة جيش^(١٣٧).

وكانت هذه المعركة الأخيرة وقد مثلت الحد الفاصل في تاريخهم المليء بالأحداث والغارات فمنذ ذلك الحين لم يغز لهم جيش خارج حدود دولتهم وانكسرت شوكتهم حتى اجتزأ عليهم أعداؤهم فغزوه في عقر دارهم وساعد على ذلك تأزم الخلاف بين رئيسيها اسحاق وجعفر اذ طمع كل منهما بالانفراد بالحكم^(١٣٨).

وحين ضعف أمر القرامطة بالبحرين طمع في ملكهم بعض القبائل العربية التي كانت موالية لهم والتي كانوا يستخدمونها في حروبهم وأشهرها بنو ثعلب وبنو سليم وبنو عقيل ، الا أن بنو ثعلب كانوا هم الأقوياء والأكثر عدداً فتحالفوا مع بني مكرم رؤساء عمان ضد القرامطة ، وفي عام ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م زحف الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي زعيم بني ثعلب على الاحساء فاستولى عليها وخطب للخليفة العباسي فتخلص بنو ثعلب من بني عقيل وبنو سليم وأجلوهم من البحرين^(١٣٩).

ظهرت أول حركة ضد القرامطة وهذه الحركة هي التي تزعمها أبو البهلول العوام بن أحمد بن يوسف بن الزجاج حيث كان الضعف قد ظهر في حكم القرامطة فطمع ابن الزجاج في الاستيلاء على الحكم وأظهر العصيان فأرسل القرامطة الى قبائل عبد القيس وقالوا لهم : استرجعوا جزيرة أوال من ابن الزجاج وهي لكم دوننا فاجتمع جيش من عبد القيس ورئيسهم بشر بن مفلح فنزلوا في موضع من جزيرة أوال يسمى كسكوس وخرج ابن الزجاج لقتالهم بجيشه والتقى الفريقان فهزم القرامطة واستولى ابن الزجاج على جزيرة أوال وخطب له فيها بالامارة وخرج في القطيف يحيى بن العياش وطرد منها عمال القرامطة واستولى عليها وعجزت القرامطة من استرجاع القطيف ثم طمع في جزيرة أوال ولم يقدر على ذلك ولما مات خلفه ابنه زكريا الذي سار الى أوال وظفر بابن الزجاج وقتله وأصبحت القطيف وأوال مركزاً لزكريا^(١٤٠).

وفي عام ٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م كان عبدالله بن علي العيوني رجلاً من عبد القيس يسكن مشارف الاحساء ولذلك سمي العيوني نسبة الى قرية العيون التي تقع في مشارف الاحساء^(١٤١). فطمع في أخذ الاحساء من القرامطة فكتب الى جلال الدولة أبي الفتح ملكشاه السلجوقي والخليفة يومئذ القائم بأمر الله العباسي والوزير أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق "نظام الملك" وشرح له أحوال القرامطة وضعفهم وانه يريد أخذ الاحساء منهم ويميت سنن القرامطة فأجابه السلطان السلجوقي على ما أراد وبعث له جيشاً بقيادة أكسك سالار فسار من البصرة الى الاحساء واجتمع مع العيوني ثم زحف الى القطيف التي هرب منها زكريا وعبر الى جزيرة أوال فاستولى سالار على القطيف وضبطها ثم رجع الى الاحساء وحصر القرامطة وشدد عليهم الحصار فعرضوا عليه الصلح مقابل مبلغ من المال وطلبوا هدنة مدتها شهر حتى يتسنى لهم جمعه وأعطوه ثلاثة عشر رهينة مقابل فك الحصار وتم الاتفاق على ذلك^(١٤٢). وبدلاً من جمعهم المال قاموا بجمع الأسلحة والأطعمة استعداداً للمقاومة فلما عرف ذلك أعدم الرهائن وشدد الحصار عليهم^(١٤٣). ثم سئم جند سالار مدة الحصار الذي طال فقرّر أن يعود الى البصرة بعد أن ترك أخاه على رأس مائتين من جنوده^(١٤٤). وعند عودة سالار الى بغداد أقنع الخليفة المقتدي على استمرار مقاومتهم فأمره بالمسير اليهم فسار عن طريق واسط وعند وصوله البصرة وصل اليه كتاب من أخيه "البقوش" الذي أبقاه مع العيوني محاصرين القرامطة يذكر فيه أنه تم احتلال الأحساء^(١٤٥).

وحين تم الأمر للعيوني وتم الاستيلاء على الاحساء وتحفز زكريا لضمها اليه فجهز جيشاً وزحف الى الاحساء وكانت معركة حاسمة هزم فيها زكريا ودخل القطيف وتبعه العيوني ثم عبر زكريا الى جزيرة أوال والعيوني يتبعه بجيش قاده ابنه الأكبر الفضل بن عبدالله وهرب زكريا الى العقير ثم الى القطيف وتلاقى الطرفان فيها وقتل زكريا واستولى العيوني على القطيف وأوال وسائر بلاد البحرين^(١٤٦).

وحين آل الأمر لعبدالله العيوني ظهر له خطر تمثل في قيس بن كرزاز بن سعد حاكم جزيرة قيس فتصدى له العيوني وقضى عليه ^(١٤٧). ثم توفي عبدالله العيوني عام ٥٠٠هـ/١١٠٧م وخلفه ابنه الفضل ^(١٤٨). الذي كان يتجول في البوادي لتعقب المفسدين وقطاع الطرق فاستتب الأمن في عهده ^(١٤٩). وخلفه ابنه محمد بن الفضل ويكنى أبا سنان وكان كريماً سخياً ومات ابو سنان مقتولاً على يد عميه وكان هذا الحادث بداية سيئة في الأسرة العيونية اذ ظل التطاحن قائماً فيما بينهم يقتل بعضهم بعضاً .

لما مات أبو سنان بايع أهل القطيف والجند الذي فيه غرير بن محمد وبايع الجند وأهل الاحساء علي بن عبدالله لأنه أكبر أفراد الأسرة المالكة فتجهز غرير بن محمد لغزو عمه بالاحساء فاستعد الأمير علي ويكنى أبو منصور للحرب والتقى الجمعان في الاحساء وقتل الأمير أبو منصور وأهل الاحساء ورجع غدير الى القطيف وبايع أهل الاحساء شكر بن علي ^(١٥٠). ويكنى أبو مقدم وكان عالماً كريماً وشاعراً ووضع المكوس على جميع رعيته وحينما تولى الاحساء خرج رجل يسمى حماد النائلي وحاصر الاحساء ثلاثين يوماً فتصدى له أبل المقدم وهزمهم حتى أنتت الأرض وسمي ذلك الموضع "الخائس" ومات شكر بعد منتصف القرن السادس الهجري ^(١٥١). ثم تولى الحكم محمد بن أحمد المكنى أبو الحسين عبدالله الذي في أيامه استفحل ملك العيونيين وامتد نفوذهم الى نجد وبداية الشام وقد جعل الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ/١١٨٠ - ١٢٢٦م) لأبي الحسين ضفارة الحجاج ان خرج من بغداد حتى يصل مكة ويرجع منها وقرر الخليفة له كل سنة ستة الاف وخمسمائة من البر وألفاً ومائتين ثوباً من عمل مصر ^(١٥٢). والسبب في ذلك ان سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك وهم من رؤساء بني ربيعة هموا بأخذ حجاج بغداد فبلغ ذلك الخليفة فأرسل الى أبي الحسين الذي جمع عرب البحرين وانضم اليهم عرب العراق وجرى بين الطرفين قتال عنيف أسفر عن تغلب أبي الحسين على ربيعة ^(١٥٣).

وشهدت البحرين عام ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م تحالفاً خطيراً عقده زعماء قبائل طي فيما بينهم للاطاحة بحكم العيونيين وأخذت هذه القبائل تستعد لذلك فلما أحس أبو الحسين بالخطر وكان في وضع لا يمكنه من التصدي لهم طلب المساعدة من الخليفة العباسي الناصر لدين الله فبادر الخليفة بإرسال المدد اليه (١٥٤).

وهذا يدل على عمق العلاقة القوية التي تربط الطرفين وظل أبو الحسين يحكم البحرين حتى ظهر ابن عمه غرير بن الحسن بن شكر ورأشد بن عميرة رئيس بني عامر وأبرموا اتفاقاً لأغتيال أبو الحسين على أن يكون لرأشد جميع ما كان للأمير من الأموال والذخائر ويكون لغرير البلاد وبقي رأشد يتحين الفرصة حتى تمكن من اغتياله وكان للأمير أبي الحسين أبناء هم : الفضل وماجد وأحمد ، فكتب الفضل للخليفة الناصر لدين الله يطلب النصرة والنجدة حتى يأخذ بثأر أبيه فبادر الخليفة إلى مساعدته بالأموال والأسلحة والجنود فبذل الفضل الأموال في رؤساء العشائر وكثر جمعه فتتبع قتلة أبيه فقتل أكثرهم وملك فضل البلاد (١٥٥). وفي عام ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م عقد الفضل صلحاً بينه وبين ملك جزيرة قيس غياث الدين شاه اتفاقية عدت محففة بحق الفضل ولكنها كانت بمثابة هدنة أوقفت الغارات التي تشن على جزيرة أوال (١٥٦).

ويظهر ان هذه الاتفاقية قد تركت أثراً سيئاً في الداخل حتى نهض علي بن ماجد الذي ساء ما وصلت اليه البلاد في عهد عمه الفضل فنحي عن العرش وتولى علي بن ماجد الحكم فساد الأمن والاستقرار (١٥٧). ثم قام ابراهيم بن عبدالله بن غرير بن أبي حمدان أحد رؤساء بني قيس بمحاولة للقبض على الأمير علي بن ماجد الذي خرج من البلاد ثم نصب مقدم بن غرير حيث نشأ جاهلاً بشؤون السياسة واطلق العنان لرؤساء العشائر للتحكم في مقدرات الشعب (١٥٨). وازداد ضعف الدولة وازدادت الاعتداءات عليها من البوادي وعم الشر والفساد (١٥٩). وبعد مقدم بن غرير تولى فاضل بن معن ثلاث سنوات وبعده تولى جعفر بن معن ثم رأى أهل الحل والعقد أن يولوا محمد بن ماجد ملكاً على البحرين (١٦٠). ولم يبق

طويلاً في الحكم اذ ثار عليه محمد بن مسعود وقتله واستولى على الحكم حيث كان جلساؤه يتواطئون مع رؤساء قبيلة بني عقيل بن عامر اذ دبروا خطة لإنهاء دولة العيونيين فاتفقوا معهم على أن يقوم هؤلاء بضرب حصار حول البلد حتى يضطر الأمير للصالح فاذا قبل يفرضون عليه شروطاً قاسية واذا عز عليه الأمر أشاروا عليه بقبول تلك الشروط حفاظاً على المصلحة العامة وفعلاً فقد تم تنفيذ الخطة فسلم لهم بما أرادوا^(١٦١). وفكوا الحصار ودخل رؤساء بني عقيل البلاد وأصبحت الأسرة الحاكمة فقراء معدومين^(١٦٢). حيث حقدت على الملك لأخذ قصورهم وممتلكاتهم وتسليمها لبني عقيل وتخلت الأسرة الحاكمة عن تأييدها للملك فتلاشت سلطته وتقلص نفوذ العيونيين وانتقلت السلطة الى بني عصفور رؤساء بني عقيل^(١٦٣). وذلك عام ٦٣٦هـ/١٢٣٩م^(١٦٤).

أصبح بني عصفور الذين يرجع نسبهم الى بني عامر عرش العيونيين فدانت لهم بلاد البحرين قاطبة وساعد على استقرارهم انهيار الخلافة العباسية في بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م حيث ظلوا يتوارثون هذا العرش حتى أواخر القرن التاسع الهجري ، فقد قيل أن أهل البحرين سئلوا عام ٦٥١هـ/١٢٥٤م فقالوا الملك فيهم الآن لبني عصفور وبقي الملك فيهم حتى انتزعه منهم بنو جبر الذين ينتمون الى قبيلة نجدية تقيم ببادية الصحراء في الاحساء والقطيف^(١٦٥) .

ثالثاً: الولاة

ت	اسم الخليفة	السنة		اسم الوالي	نوع الولاية
		هجري	ميلادية		
١-	السفاح	١٣٢	٧٥٠	داود بن علي	مكة والمدينة واليمن والبحرين واليمامة
٢-	السفاح	١٣٤	٧٥١	سليمان بن علي	البصرة والبحرين وعمان وكور دجلة
٣-	المنصور	١٤٠	٧٥٧	سفيان بن معاوية	البصرة
٤-	المنصور	١٤٥	٧٦٢	مسلم بن قتيبة الباهلي	كذلك
٥-	المنصور	١٤٦	٧٦٣	محمد بن سليمان	كذلك
٦-	المنصور	١٤٧	٧٦٤	محمد بن ابي العباس (ابو الديس)	كذلك
٧-	المنصور	١٥١	٧٦٨	عقبة بن ابي المسلم	كذلك
٨-	المنصور	١٥٢	٧٦٩	جابر بن توبة	كذلك
٩-	المنصور	١٥٤	٧٧٠	عبد الملك بن ضبيان النميري	كذلك
١٠-	المنصور	١٥٥	٧٧١	الهيثم بن معاوية	كذلك
١١-	المنصور	١٥٦	٧٧٢	سعيد بن دعلج	كذلك
١٢-	المهدي	١٥٩	٧٧٥	عبد الملك بن ايوب	كذلك
١٣-	المهدي	١٦٠	٧٧٦	محمد بن سليمان	البحرين وعمان والاحواز وكور دجلة
١٤-	المهدي	١٦٤	٧٨٠	صالح بن داود	كذلك
١٥-	المهدي	١٦٥	٧٨١	المعلّى مولى المهدي	البصرة والبحرين واليمامة والاحواز وكور دجلة
١٦-	الهادي	١٦٩	٧٨٥	سويد بن ابي سويد	البحرين ، اليمامة
١٧-	الهادي	١٧٠	٧٨٦	محمد بن سليمان	البصرة والبحرين
١٨-	الأمين	١٩٥	٨١٠	المنصور بن مهدي	البصرة
١٩-	المأمون	٢٠٤	٨١٩	صالح اخ المأمون	كذلك
٢٠-	المأمون	٢٠٦	٨٢١	داود بن ماسجور	البحرين واليمامة
٢١-	الواثق	٢٣١	٨٤٥	اسحاق بن ابراهيم	البحرين
٢٢-	المتوكل	٢٣٦	٨٥٠	محمد بن اسحاق	كذلك
٢٣-	المعتز	٢٥٢	٨٦٦	محمد بن ابي عون	البصرة والبحرين واليمامة

(ينظر: زامبار ، ادوارد فون ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، أخرجه: د. زكي حسن بك ود. حسن أحمد محمود ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة (القاهرة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ، ج ١ ، ص ٦٢-٦٧) (١٦٦) .

الخاتمة

ونحن ننهي هذا البحث عن منطقة البحرين الذي تناول البحرين في العصر العباسي تبين من خلاله أهمية منطقة (البحرين) كونها تمثل منطقة حيوية بسبب اشرافها على الطرق التجارية الموصلة بين الشرق والغرب ، فقد تبين لنا ان منطقة (البحرين) وهي منطقة عربية وسكانها عرب منذ القدم . وبمجيء الاسلام أضحت هذه المنطقة من المناطق التي دانت بالولاء للدين الاسلامي ، ولكن ما يعاب عليها هو ذلك الارتداد السريع عن الاسلام ، ثم ما لبثت ان عادت اليه بجهود الخليفة الراشدي الأول أبو بكر الصديق (رض) .

ان ما يميز منطقة (البحرين) هو شهودها لتلك الحركات الخارجية الكثيرة والعنيفة في بعض الأحيان والتي سيطرت على الأوضاع فيها وكان منها الزنج والقرامطة وغيرهم ، والتي حاولت الاستقلال عن مركز الخلافة وقد تم لها ذلك ولكن لم يكن ذلك لفترة طويلة ولا بصورة مستمرة اذ سرعان ما كانت الخلافة الأموية أو العباسية تستعيد سيطرتها على هذه المنطقة وتراوحت العلاقة بين الطرفين بين مد وجزر ، فتارة تسير هذه الحركات على هدى الخلافة ، وتارة أخرى تتاهضها وتحاول ان تمد نفوذها الى الأقاليم الأخرى مثل: البصرة والكوفة ومكة ودمشق ومصر ولكن قوة الخلافة كانت تحول دون ذلك بل وكانت تضرب بيد من حديد على تلك القوى وتجبرها على التقهقر والانسحاب الى مواضعها وهذا ما يفسر كثرة عدد الولاة في البحرين (كما نرى) اذ لم تشهد هذه المنطقة هدوءاً واستقراراً الا في فترات متباعدة ورغم قلة المعلومات المتوفرة في المصادر الا أننا حاولنا الخروج بصورة مفصلة عما كانت عليه (البحرين) ابان تلك الحقبة التاريخية الممتدة حتى نهاية العصر العباسي .

الهوامش

- ١- الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دارالشؤون الثقافية العامة (بغداد ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ، ص ٢٥١.
- ٢- ياقوت ، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر (بيروت ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) ، ج ١ ، ص ٣٤٧.
- ٣- لوريير ، ج ج ، دليل الخليج ، مطابع علي بن علي (قطر بلا) ، ج ١ ، ص ٢٦٣.
- ٤- المقدسي ، محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل (لندن ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م) ، ص ٣٠.
- ٥- م . ن ، ص ٩٣ .
- ٦- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م) ، ج ٤ ، ص ٢٠٢.
- ٧- ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، مطبعة بريل (لندن ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م) ، ج ١ ، ص ١٦٧.
- ٨- لوريير ، دليل الخليج ، ج ١ ، ص ٢٩٥.
- ٩- ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٢.
- ١٠- م . ن ، ج ١ ، ص ٣٤٦.
- ١١- ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م) ، الأعلاق النفيسة ، مطبعة بريل (لندن ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م) ، ص ١٨٢.
- ١٢- الهمداني ، صفة ، ص ٣٩- ٤٠ .
- ١٣- لوريير ، دليل الخليج ، ج ١ ، ص ٢٦٣.

- ١٤- البكري ، عبدالله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق: مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة (القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م) ، ج٢، ص٥٠٣ .
- ١٥- الاحسائي ، محمد بن عبدالله بن عبد الحسن الأنصاري، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، تعليق : حمد الجاسر، ق١، مطابع الرياض (الرياض ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) ، ص١٣ .
- ١٦- الهمداني ، صفة ، ص١٣٦ .
- ١٧- ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٤٦ .
- ١٨- المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٧٠ و٩٣ .
- ١٩- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص٤ .
- ٢٠- ابن حوقل ، محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل (لندن ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) ، ص٣٨ .
- ٢١- قدامة ، بن جعفر الكاتب (ت٣٣٧هـ/٩٤٩م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، تعليق : محمد حسين الزبيدي ، دار الحرية للطباعة (بغداد ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص٢٧ .
- ٢٢- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص١٠ و١١ .
- ٢٣- الهمداني ، صفة ، ص٣٥٩ .
- ٢٤- المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٩٣ .
- ٢٥- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص١٣-١٤ .
- ٢٦- المسلم ، محمد سعيد ، ساحل الذهب الأسود " دراسة تاريخية انسانية لمنطقة الخليج العربي " ، دار مكتبة الحياة (بيروت بلا) ، ص٢٠-٢١ .
- ٢٧- م . ن ، ص٣٩ .
- ٢٨- الهمداني ، صفة ، ص٢٩٤ .

- ٢٩- علي ، المفصل ، ج ٤ ، ص ٢٠١ .
- ٣٠- الهمداني ، صفة ، ص ٢٤٩ .
- ٣١- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٥ .
- ٣٢- الهمداني ، صفة ، ص ٢٤٩ .
- ٣٣- ابن خرداذبة ، عبيد الله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) ، المسالك والممالك ، مكتبة المثنى (بغداد بلا) ، ص ١٥٢ .
- ٣٤- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١٠ .
- ٣٥- الهمداني ، صفة ، ص ٢٨٢ .
- ٣٦- ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٥٢ .
- ٣٧- علي ، المفصل ، ج ٤ ، ص ٢١٢ .
- ٣٨- ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .
- ٣٩- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) ، فتوح البلدان ، مطبعة الموسوعات (مصر ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م) ، ص ٨٩ .
- ٤٠- الهمداني ن صفة ، ص ١٧١ .
- ٤١- الأصفهاني ، حمزة بن الحسن (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) ، الأغاني ، تحقيق: ابراهيم الايباري وآخرون ، دار الشعب للطباعة (القاهرة ١٣٢٢هـ/ ١٩٧٤م) ، ج ٢٠ ، ص ٢٣ .
- ٤٢- ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .
- ٤٣- البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ، ص ٨٩ .
- ٤٤- م . ن ، ج ٢ ، ص ٨٩ .
- ٤٥- علي ، المفصل ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ .
- ٤٦- الهمداني ن صفة ، ص ٢٤٩ .
- ٤٧- م . ن ، ص ٢٥١ .
- ٤٨- م . ن ، ص ٢٨٤ .

- ٤٩- فوزي ، فاروق عمر ، تاريخ الخليج العربي في العصور الاسلامية الوسطى ، مطبعة الدار العربية (بغداد ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص ٧٤ .
- ٥٠- الآلوسي ، محمود شكري، بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، شرح: محمد بهجت الأثري ، دار الكتب العلمية (بيروت بلا) ، ج ٣ ، ص ٣٨٧ .
- ٥١- ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٧١ .
- ٥٢- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٩٨ .
- ٥٣- الآلوسي ، بلوغ الارب ، ج ٣ ، ص ٤١٧ .
- ٥٤- ابن سعد ، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق: ادوارد سخاو، مطبعة بريل (اليدن ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) ، ج ٢ ، ص ٧ .
- ٥٥- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق: محمد ابراهيم البنا وآخرون ، المطبعة الذهبية (مصر ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، ج ٤ ، ص ٤١٧ .
- ٥٦- المسلم ، ساحل الذهب ، ص ٩٨ .
- ٥٧- م . ن ، ص ١٠٠ .
- ٥٨- م . ن ، ص ١٠١ .
- ٥٩- ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، راجعه: الدكتور سهيل زكار، دار صادر (بيروت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ج ١٠ ، ص ٢٦٦٥ .
- ٦٠- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٦٦٥ (ينظر: الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٧٩) .
- ٦١- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة المعارف (القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ج ٧ ، ص ٤٥٩ .

- ٦٢- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٨٠ .
- ٦٣- الطبري، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٥٠٠ . ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧١م) ، ج ٣ ، ص ١٧٧ .
- ٦٤- الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٥٠٠ . ابن خلدون ، العبر، ج ٣ ، ص ١٧٧ .
- ٦٥- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي (بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ، ج ٥ ، ص ٢٠ .
- ٦٦- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٨٠ .
- ٦٧- الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٦٣٥ .
- ٦٨- ابن خياط ، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/٨٥٥م) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مطبعة الأداب (النجف ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م) ، ج ٢ ، ص ٤٥١ .
- ٦٩- الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٦٣٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٧٠٣ .
- ٧٠- ابن خياط ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٦٧٨ .
- ٧١- م . ن ، ج ٢ ، ص ٤٥١ .
- ٧٢- الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٩ .
- ٧٣- م . ن ، ج ٨ ، ص ٣٩ . ابن الأثير ن الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٩ .
- ٧٤- ابن خلدون ، العبر ، ج ٣ ، ص ٢٠١ .
- ٧٥- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م) ، تاريخ اليعقوبي ، تعليق: محمد صادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية (النجف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ .

- ٧٦- الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٩ .
- ٧٧- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٤ . ابن كثير ن البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٧٢٤ .
- ٧٨- الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٤٠ .
- ٧٩- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٧ .
- ٨٠- ابن خياط ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٥٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٨ .
- ٨١- ابن خياط ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٧١١ .
- ٨٢- الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٥٢ .
- ٨٣- ابن خلدون ، العبر ، ج ٣ ، ص ٢٠١ .
- ٨٤- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٧٠٩ .
- ٨٥- الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ١٣٤ .
- ٨٦- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٨ .
- ٨٧- الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ١٣٥ .
- ٨٨- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٧٧ .
- ٨٩- ابن خلدون ، العبر ، ج ٣ ، ص ٤٦١ .
- ٩٠- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٦ .
- ٩١- الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٣٧ .
- ٩٢- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ (ينظر: الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٨١) .
- ٩٣- الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٥٨١ .
- ٩٤- م . ن ، ج ٩ ، ص ١٤٠ .

- ٩٥- م . ن ، ج ٩ ، ص ١٧٦ .
- ٩٦- م . ن ، ج ٩ ، ص ١٨٣ .
- ٩٧- م . ن ، ج ٩ ، ص ٣٥٤ .
- ٩٨- فوزي ، تاريخ الخليج ، ص ١٧٠ .
- ٩٩- مجهول ، مؤلف ، العيون والحدائق في معرفة الحقائق ، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود ، ق ١ ، مطبعة النعمان (النجف ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) ، ج ٤ ، ص ٤٧ .
- ١٠٠- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ .
- ١٠١- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد (الديكن ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م) ، ج ٥ ، ص ٨ (ينظر: المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١١٥) .
- ١٠٢- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٩٩١ .
- ١٠٣- ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١١١ .
- ١٠٤- تاريخ ، ج ١٠ ، ص ٧١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٨ .
- مجهول ، العيون والحدائق ، ج ٤ ، ص ١٥٨ .
- ١٠٥- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٩٢ (ينظر: الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٨٤) .
- ١٠٦- الطبري ، تاريخ ، ج ١٠ ، ص ٧٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٤٢ .
- ١٠٧- مجهول ، العيون والحدائق ، ج ٤ ، ص ١٦٠ .
- ١٠٨- الطبري ، تاريخ ، ج ١٠ ، ص ٧٨ .
- ١٠٩- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٩٥ .

- ١١٠- ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٤ (ينظر كالمسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٢٠) .
- ١١١- المسري ، حسين علي ، العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي ، دار الحداثة (بيروت بلا) ، ص ٩٠ .
- ١١٢- الطبري ، تاريخ ، ج ١٠ ، ص ١٠٤ .
- ١١٣- م . ن ، ج ١٠ ، ص ١٤٨ . مجهول ، العيون والحداثق ، ج ٤ ، ص ٢٥٥ .
- ١١٤- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٤٧ . مجهول ، العيون والحداثق ، ج ٤ ، ص ١٥٩ .
- ١١٥- المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٢٠ .
- ١١٦- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٤٧ . مجهول ، العيون والحداثق ، ج ٤ ، ص ٢٥٦ .
- ١١٧- ابن الأثير ن الكامل ، ج ٦ ، ص ١٤٧ .
- ١١٨- مجهول ، العيون والحداثق ، ج ٤ ، ص ٣٠٧ . الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٨٦ .
- ١١٩- ابن الأثير ، الكامل ن ج ٦ ، ص ١٧٥ .
- ١٢٠- ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٨٩ . المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٢١ . متز ، آدم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده ، دار الكتاب العربي (بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .
- ١٢١- ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٨٩ (ينظر: المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٢١) .
- ١٢٢- مجهول ، العيون والحداثق ، ج ٤ ، ص ٣١٥ . الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٨٨ .

- ١٢٣- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٨٨ .
- ١٢٤- ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٠٨ . ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٦ .
- ١٢٥- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٧ . مجهول ، العيون والحدائق ، ج ٤ ، ص ٣١٨ .
- ١٢٦- ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ (ينظر: المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٢٤) .
- ١٢٧- ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ . متر ، الحضارة ، ج ٢ ، ص ٦٩ .
- ١٢٨- ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ . متر ، الحضارة ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
- ١٢٩- مسكويه ، أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) ، تجارب الأمم ، مطبعة شركة التمدن الصناعية (مصر ١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .
- ١٣٠- القلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٣٢هـ/١٤٤٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، المطبعة الأميرية (القاهرة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ .
- ١٣١- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٩٩ .
- ١٣٢- ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٩٠ .
- ١٣٣- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٥ .
- ١٣٤- م . ن ، ج ٧ ، ص ٨٧ .
- ١٣٥- المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٣٩ .
- ١٣٦- ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ، ص ١٢٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ١٢٦ .

- ١٣٧- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ١٣٦ .
- ١٣٨- المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٣١ .
- ١٣٩- م . ن ، ص ١٣١ .
- ١٤٠- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٩٨ .
- ١٤١- المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٣٥ .
- ١٤٢- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٩٨ - ٩٩ .
- ١٤٣- المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٣٦ .
- ١٤٤- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٩٩ .
- ١٤٥- م . ن ، ص ١٠٠ .
- ١٤٦- المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٣٦ .
- ١٤٧- الاحسائي ن تحفة المستفيد ، ص ١٠١ .
- ١٤٨- المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٣٧ .
- ١٤٩- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١٠٢ .
- ١٥٠- م . ن ، ص ١٠٣ .
- ١٥١- م . ن ، ص ١٠٤ .
- ١٥٢- م . ن ، ص ١٠٤ .
- ١٥٣- م . ن ، ص ١٠٤ .
- ١٥٤- المسري ، العلاقات ، ص ١٠٩ .
- ١٥٥- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٧ .
- ١٥٦- المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٣٩ .
- ١٥٧- م . ن ، ص ١٤٠ .
- ١٥٨- المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٤٠ .
- ١٥٩- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١١٣ .
- ١٦٠- المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٤٠ .

- ١٦١- م . ن ، ص ١٤١ .
١٦٢- الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١١٧ .
١٦٣- م . ن ، ص ١١٨ .
١٦٤- فوزي ، تاريخ الخليج ، ص ٢١٣ .
١٦٥- المسلم ، ساحل الذهب ، ص ١٤٢ .
١٦٦- زامباور ، ادوارد فون ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، أخرجه: د. زكي حسن بك ود. حسن أحمد محمود ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة (القاهرة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ، ج ١ ، ص ٦٢- (٦٧)

ثبت المصادر والمراجع

- ١- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق: محمد ابراهيم البنا وآخرون ، المطبعة الذهبية (مصر ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
٢- الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي (بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)
٣- الاحسائي ، محمد بن عبدالله بن عبد الحسن الأنصاري، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، تعليق : حمد الجاسر، ق ١، مطابع الرياض (الرياض ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)
٤- الأصفهاني ، حمزة بن الحسن (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م) ، الأغاني ، تحقيق: ابراهيم الابياري وآخرون ، دار الشعب للطباعة (القاهرة ١٣٢٢هـ/١٩٧٤م)
٥- الآلوسي ،محمود شكري، بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، شرح: محمد بهجت الأثري ، دار الكتب العلمية (بيروت بلا)

- ٦- البكري ، عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق: مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة (القاهرة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م)
- ٧- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) ، فتوح البلدان ، مطبعة الموسوعات (مصر ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م)
- ٨- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد (الدكن ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م)
- ٩- ابن حوقل ، محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل (لیدن ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م)
- ١٠- ابن خرداذبة ، عبيد الله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) ، المسالك والممالك ، مكتبة المثنى (بغداد بلا)
- ١١- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م)
- ١٢- ابن خياط ، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٥م) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: أكرم ضياء العمري ، مطبعة الأدب (النجف ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م)
- ١٣- ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م) ، الأعلام النفيسة ، مطبعة بريل (لیدن ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)
- ١٤- زامباور ، ادوارد فون ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، أخرجه: د. زكي حسن بك ود. حسن أحمد محمود ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة (القاهرة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)

- ١٥- ابن سعد ، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق: ادوارد سخاو، مطبعة بريل (ليدن ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)
- ١٦- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة المعارف (القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)
- ١٧- ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، مطبعة بريل (ليدن ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م)
- ١٨- علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)
- ١٩- فوزي ، فاروق عمر ، تاريخ الخليج العربي في العصور الاسلامية الوسطى ، مطبعة الدار العربية (بغداد ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)
- ٢٠- قدامة ، بن جعفر الكاتب (ت ٣٣٧هـ/٩٤٩م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، تعليق : محمد حسين الزبيدي ، دار الحرية للطباعة (بغداد ١٤٠١هـ/١٩٨١م)
- ٢١- القلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٣٢هـ/١٤٤٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، المطبعة الأميرية (القاهرة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)
- ٢٢- ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، راجعه: الدكتور سهيل زكار، دار صادر(بيروت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)
- ٢٣- لوريمر ، ج ج ، دليل الخليج ، مطابع علي بن علي (قطر بلا)
- ٢٤- منتر ، آدم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريذة ، دار الكتاب العربي (بيروت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)

- ٢٥- مجهول ، مؤلف ، العيون والحدائق في معرفة الحقائق ، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود ، ق ١ ، مطبعة النعمان (النجف ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)
- ٢٦- المسري ، حسين علي ، العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي ، دار الحداثة (بيروت بلا)
- ٢٧- مسكويه ، أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) ، تجارب الأمم ، مطبعة شركة التمدن الصناعية (مصر ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)
- ٢٨- المسلم ، محمد سعيد ، ساحل الذهب الأسود " دراسة تاريخية انسانية لمنطقة الخليج العربي " ، دار مكتبة الحياة (بيروت بلا)
- ٢٩- المقدسي ، محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل (لندن ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م)
- ٣٠- الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق: محمد بن علي الأكوع ، دارالشؤون الثقافية العامة (بغداد ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)
- ٣١- ياقوت ، ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر (بيروت ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م)
- ٣٢- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) ، تاريخ اليعقوبي ، تعليق: محمد صادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية (النجف ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)

ملخص البحث

تمتاز منطقة البحرين بموقع جيد من خلال كونها حلقة اتصال بين الشرق والغرب ، وهذا الاتصال يتمثل في النشاط التجاري ومسالكه ، مما جعلها تشكل العصب الحيوي للتجارة آنذاك ، كما انها تضم العديد من المدن المهمة التي هي في الوقت نفسه موانئ بحرية ومحطات للتجارة العالمية ، فضلاً عن ان منطقة

البحرين غنية بمواردها إذ تعد من أهم مصائد اللؤلؤ والمرجان ، لهذه الأسباب مجتمعة فان منطقة البحرين تعد من المناطق المهمة .

تشير النصوص الى ان منطقة البحرين كان قد دخل اليها الاسلام سلماً ولكن ارتدادهم السريع عن الاسلام بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كان بنفس قوة دخولهم الى الاسلام إذ كان سريعاً ومفاجئاً شأنهم في ذلك شأن بقية المناطق الأخرى التي خرجت عن طاعة الاسلام لكن سرعان ما استطاعت الخلافة الراشدة المتمثلة بشخص الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في ارجاعهم الى حضن الاسلام .

وشهدت منطقة البحرين حركات خارجية عديدة تمثلت في حركات الخوارج الذين رأوا في البحرين المكان المناسب لنشاطهم كونها بعيدة عن مركز الخلافة ، كما شهدت تغير الولاة ربما لعدم استطاعة الوالي ضبط أمور ولايته أو عدم رضا الخليفة العباسي عنه ، وتراوحت العلاقة بين ولاة البحرين والخلافتين الأموية والعباسية بين مد وجزر ولكن الخلافة كانت تضرب بيد من حديد جميع القوى المناهضة لها وهذا واضح من خلال الحقبة الممتدة حتى نهاية العصر العباسي .

Abstract

The region of Bahrein is characterized by a good location by being a bridge between East and west , This bridge is represented in the activity of trade and its routes , the matter that makes it the vital never of trade at that time . Besides , this region includes many important cities that are at the some time seaports and stations of global trade,as well as the region is rich in its resources as it is one of the most important of pearl and corals traps. For all these reasons , the region of Bahrein is considered one of the important areas .

The historical texts indicate that this region has interred peacefully into Islam ,yet the rapid apostasy of its people from Islam , after the death of the prophet mohammed (peace be upon him) , was in the same force of their entry to it , as it was swift and surprising just like the rest of the other areas that came out of obedience to Islam . but soon the mature governance of the kaliph abu baker Elsiddiq (may allh be pleased of him) managed to bring them back to the bosom of Islam .

The region has withnessed several external movements represented in the movements of the kharijites who saw in Bahrein , being far from the center of the caliphate , a suitable place for their activity . The region has also

witnessed numerous changes of governors, possibly because of the inability of the governor to manage the state , or because of the dissatisfaction on the part of the abbasid khaliph of him . The relationship between the governors of Bahrein and the Umayyad and Abbasid caliphates has ranged between tides , but succession was hit with an iron fist all the forces opposed it . This was evident through the extended period until the end of the Abbasid era .

البطولة في اساطير وملاحم بلاد الرافدين

م.د. نعيم عودة صفر الزيدي

المقدمة :

كان للأساطير توجه قد توحدت به مع جميع أساطير المجتمعات الأخرى ألا وهو عنصر الألوهية والقدسية (الآلهة - البشر) والذي تمثل بالإنسان في تلك المرحلة في حين برز عنصر البطولة والبطل في الموروث الأسطوري لحضارة بلاد الرافدين إذ برز مفهوم البطولة في مجمل أساطير حضارة بلاد الرافدين على اعتباره احد أهم صور الأسطورة ، ولعل مجمل مواضيع الأساطير كانت تركز على الكون و الخلق والإنسان الأول .

أخذت صورة البطل في الأساطير الرافدينية الحيز الكبير في عملية نشؤه و بروزه في تلك الثقافات على اعتبار نسبه الهي مقدس وكذلك يصور كمنقذ في الثقافة الرافدينية فمن الضروري إن يكون للأسطورة بطل الذي تكمن فيه أهمية الوجود لذلك ربطت تلك الحضارات البطل بالطبيعة وموقفه منها وان يكون البطل ألها، لذا جاءت هذه الدراسة التي تكمن أهميتها في محاولتها وضع تصور قائم على فهم المجتمع لصورة البطولة والبطل في الثقافة الرافدينية ،وتكون البحث من مقدمة وتمهيد تناولنا فيه معنى البطولة من الجانب اللغوي والاصطلاحي ومبحثين إذ كان المبحث الأول قد تناول البطولة في أساطير الخلق والكون فضلا عن تناوله البطولة في الملاحم أما المبحث الثاني فقد تناول الإبعاد الاجتماعية والإنسانية في البطولة ، وأخيرا كانت هناك خاتمة للبحث .

تمهيد:

البطولة لغة : الشجاعة ،والبطل :الشجاع والمرأة : بَطْلَة ، وقد بَطُلَ الرجل (بضم الطاء) أي صار شجاعاً ^(١)،والبطل أيضاً: شُجاع تَبَطَّلُ جراحته فلا يكثرثُ لها أو تَبَطَّلُ عنده دماء الإقران أي أن الخوف بعيد عن ذهن البطل ونفسه ، فهو مقدم فيما هو قاصد إليه من فعل مع اشتداد المخاطر عليه أو على من هم سواه ^(٢).

غير أن البطولة لا تقتصر على قوة الجسد ورباطة الجأش في مواجهة الخطوب ،
فثمة من يراها ويتلمسها في جوانب وقدرات فكرية وعقلية، لدى الفرد أو بعض
الأفراد دون سواهم ، مثل الإبداع والنبوغ وموهبة القيادة ،ويمكن تلخيص رؤيتنا في
هذا المجال في الإطار الذي طرحته الفلسفة الأولى للحياة في عراقنا الحضاري
القديم من خلال أنموذج ملحمة كلكامش التي تركز على مفهوم (البطل
التاريخي) وفق بذور (فلسفة تاريخية) التي هي نسيج من قيم وفضائل ثقافية
(المعرفة والبصيرة ، والتجربة والقوة ، والحكمة ، والتواضع والمحبة، والبأس في
مقارعة الظلم والنظرة البطولية إلى الموت)، لذلك فإن (كلكامش) يحفر بعمق في
ذاكرة الإنسانية^(٣).

ولقد قال د. شاکر مصطفى سليم حول تعريف البطل (إن الشعوب البدائية
تضفي صفة البطولة على بعض أفرادها إذا توافرت فيهم صفات معينة أو إذا
حققوا أعمالاً خارقة وبالأهمية بالنسبة لشعوبهم ، وأهم الصفات التي تصنع
من الشخص بطلاً بين تلك الشعوب، الشجاعة الفائقة في حالات الخطر الشديد،
أو قيادة الجماعة إلى موطنها الذي تسكنه ، أو استحداثه فنوناً أو صناعات جديدة
تغني تراث جماعته وتيسر معيشتهم. وتولي الشعوب البدائية أبطالها اهتماماً كبيراً،
وترفعهم إلى منزلة رفيعة في حياتهم ، كما إن بعض تلك الشعوب قد يعيدونهم بعد
مماتهم ، وأغلب الشعوب البدائية التي تعبد الإبطال تعد ولادتهم ومماتهم أحداثاً
ليست عادية، بل معجزات)^(٤).

وترد البطولة في اللغة الاكديّة بمصطلح (qarr1/4d&tu)، فيما يرادفها باللغة
السومرية المصطلح بـ(UR.SAG) وقد أوردت النصوص المسمارية السومرية
والاكديّة البطل أو المحارب بالمصطلح السومري (LÚ.UR.SAG) الذي يرادفه
باللغة الاكديّة (qur1/4du)^(٥) ، وترد البطولة أيضاً بالمصطلح السومري
(Á.NAM.UR.SA) ، ويرادفها بالاكديّة (qardu)^(٦) ، ولكن البطولة لم
تقتصر على المصطلحات الاكديّة الذي ذكرناه سابقاً بل يرد بالصيغة الاكديّة

التالية (akadu®) ^(٧) بمعنى البطولة أو بطولي ، فيما اشتركت كل من الملحمة والبطولة وبطولي بمصطلح واحد ألا وهو (taqr³du) ^(٨)، ولم تقتصر صفة البطولة على صيغة المذكر بل وردت أيضا بصيغة المؤنث وخير مثال على ذلك مصطلح (ur®¼natu) الذي يعني البطلة فيما كان المصطلح الآتي (ur®¼nat il³¼) ^(٩) والتي يكون معناها بطلة الإلهة ، فضلاً عن ذلك فقد اطلقت على اسم البطولة المصطلح الاكدي zikr¼tu ويقابله في اللغة السومرية المصطلح (NITÁ) ^(١٠) .

وتشكل الأسطورة حيزا زمانياً ومكانياً مهما في تاريخ الحضارات الإنسانية القديمة المتعاقبة والمتزامنة، ولقد ألهمت الأساطير الفنانين والشعراء والأدباء أفكاراً خلاقة بل وروائع مدهشة في الأدب والرسم والنحت، لهذا نالت اهتماما كبيرا من لدى الدارسين والباحثين وفي شتى المجالات والحقول المعرفية.

وتُعد الأساطير قديمها وحديثها مصدرا خصبا من مصادر دراسة الشعوب والمجتمعات وتحليل رؤيتها للكون والمجتمع والإنسان ومعرفة مواقفها من القضايا الجوهرية التي شغلتها أو ما تزال تشغلها على اختلاف الأقطار والإعصار. ^(١١)

أن الأهمية الكبيرة للأساطير في دراسة تاريخ الفكر الإنساني ، تبدو بصورة خاصة في تتبع المراحل الأولى التي قطعها المجتمع البشري في طريق تطوره الصاعد، فلم يكن الإنسان يملك أدوات البحث ووسائل التفكير بما يعينه بالنفاز إلى أعماق الوجود واستخلاصه الحقائق الموضوعية، فكانت الأسطورة وسيلة إلى ذلك، أي أن الأساطير تُعد محاولة في تقسيم تاريخ الفكر الإنساني ووضع مفاهيم فلسفية تهدف إلى إنتشال الإنسان من متاهات الجهل بإسرار الطبيعة وظواهرها، ^(١٢)

أن مصطلح الأسطورة له جذوره اللغوية في اللغة العربية: -فالأساطير في اللغة مأخوذة من الجذر الثلاثي "سَطَرَ" والسطر هو الصّف من الكتابة والشجر و النخل ونحوها،والأساطير هي الأباطيل أي أحاديث لانظام لها وأحدثها إسطار وإسِطارة بالكسر،وأُسْطِيرُ وأُسْطِيرَةٌ وأُسْطُور وأُسْطُورة بالضم،وقال: -أساطير جمع

أَسْطَارَ وَأَسْطَارَ جمع سطر ويقال: - هو ما لا أصل له: -أي يؤلف^(١٣)، وإلى المعنى ذاته هو ما ورد في معجم محيط المحيط "مادة سطر" أي ألف، وستر فلان" أي أتانا بالأساطير^(١٤).

ولم ترد كلمة الأساطير في القرآن الكريم إلا بصيغة الجمع أو مضافة إلى لفظ الأولين، فقد قال الزجاج في قوله تعالى ((وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا))^(١٥)، خبر لابتداء محذوف، المعنى وقالوا الذي جاء بها أساطير الأولين، معناه ماسطره الأولون؛ الأساطير مفردها: أسطورة، وقالوا أيضا عن الأسطورة أحداث وأحاديث^(١٦)، كما جاء تفسير الفخر الرازي للآية (أن هذا إلا أساطير الأولين)^(١٧) وهو ما ذكره المشركون عندما حاولوا القدر في كون القرآن معجزا قالوا: أن هذا كلام من سائر الحكايات المكتوبة و القصص المذكورة للأولين، وان هذا من جنس تلك الكتب المشتملة على حكايات الأولين وأقاصيص الأقدمين لم يكن معجزا خارقا للعادة^(١٨).

وعليه فإن: المعاجم العربية لم تعط مدلولاً حقيقياً لكلمة أسطورة، فإن الأساطير هي الأحاديث التي لانظام لها وهي الحكاية التي لا أصل لها.^(١٩) أما الأسطورة اصطلاحاً فتعرف: "بأنها قصة مقدسة تتضمن موضوع الخلق وبداية الوجود وتصف الأحداث المثيرة التي صاحبت عملية الخلق والدور الذي قامت به مختلف الآلهة و المخلوقات الأسطورية"^(٢٠)، ويرى البعض أن الأسطورة: حكاية تقليدية ثابتة ومقدسة ومربوطة بنظام ديني معين ومتناقلة بين الأجيال ولا تشير إلى زمن محدد، بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى، وهي ذات موضوعات شمولية كبرى محورها الآلهة، لا مؤلف لها بل هي نتاج خيال جمعي"^(٢١).

لهذا ومهما يكن من اختلاف في تعريفات الأسطورة إلا أن العديد من الدارسين يجمعون على أنها " عبارة عن سرد للأصول والمعتقدات...وتعليل للديانات... أنها قصة أقل ما قيل عنها مقدسة"^(٢٢)

وتعرف الملحمة في اللغة بمعنى الحرب وإنما سميت بذلك لأمرين: أحدهما تلاحم الناس أي تداخلهم بعضهم بعض؛ والآخر أن القتلى كاللحم الملقى،^(٢٣) وقيل أنها: "مقاتلة أو مشاجرة في مكان عام يشتبك فيها فريقان راغبان في القتال كأنهما في مبارزة".^(٢٤)

وذكر ابن منظور أن الملحمة: هي الوقعة العظيمة القتل، وقيل موضع القتال، والَحَمَتِ القومَ إذا قتلهم حتى صاروا لحماً، وألَحَمَ الرجلُ أَلَحاماً واستلحاماً إذا أنشب الحرب فلم يجد مخلصاً؛ وقيل الملحمة هي الحرب وموضع القتل، وجمع كلمة " الملاحم " مأخوذة من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمه الثوب بالسدى ، وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها، والتَحَمَتِ الحرب فالتَحَمَت، والملاحمة: القتال في الفتنة^(٢٥).

أما مصطلح الملحمة الأدبي هو: قصيدة طويلة فخمة الأسلوب، تدور في الأغلب حول بطل أسطوري وتروي إنجازاته وبطولاته، وتتحدث عن تاريخ الأسلاف والقوى الطبيعية التي يملكوها، ولأكثر الشعوب البدائية ملاحم طويلة،^(٢٦) ويعرفها الباحث فراس السواح بأنها: " عبارة عن تأليف شعري عالي المستوى، يقص سلسلة من الأعمال، ومنجزات أحد الأبطال، وتجري معالجتها بأطاله وتفصيل على شكل نص مضطرب، وعادة ما تتحدث عن معارك يكثر فيها القتل والصراع"^(٢٧).

وعلى الرغم من الاستخدامات الحديثة لكلمه "ملحمة" و "ملحمي"^(٢٨) إلا أنه يبقى المقصود بالكلمة في معناها الأصيل والدقيق (القصيدة القصصية الطويلة التي تحكي أعمال البطولة التي تصدر في العادة عن بطل رئيسي واحد، والتي كثيراً ما يكون لها مغزى قومي واضح)، بينما تشير كلمة "ملحمي للإشارة إلى كل ما هو بطولي ويتجاوز قدرات البشر"^(٢٩)، ويجمع بين الروعة والعظمة والجلال، وأن الطابع البطولي في الملحمة يشير إلى أن الإنسان يعنى في آخر الأمر بأشياء

وأمر أخرى غير مجرد رفاهيته المادية، وأنه على استعداد لأن يضحي براحته وسلامته بل حياته ذاتها من أجلها^(٣٠).

فالمحمة نتاج نهائي بعد فترة من الاضطرابات والاختلالات الشديدة التي يمر بها المجتمع، تهدف المحمة لتفسيرها، فهي أناشيد فترة مرت، فترة تكاد أن تكون عهداً مظلماً^(٣١).

وإذا اردنا ان نعطي فكرة عن موضوع الملاحم عند الشعوب القديمة وكذلك عند شعوب البلدان الأخرى كالإغريق والهنود والجرمانيين، بما يعرف ب "عصر البطولة" الذي يعتبر ظاهرة اجتماعية حقيقية مهمة في تاريخ الحضارات القديمة وليس مجرد تصور أو محض خيال، وقد أزهى العصر البطولي السومري في الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، أي الحقبة الزمنية الواقعة بين ٣٠٠٠ و ٢٧٥٠ قبل الميلاد، إذ حكم خلالها ملوك رفعوا إلى مصاف الآلهة وكانت لهم مغامرات وبطولات شهيرة فذة من أمثال إنميركار _ لوجالبندا _ جلجامش^(٣٢)، وخلدوا أعمالهم البطولية التي يقومون بها على مسلات تكتب في بعض الأحيان لتخليد أعمالهم الحربية منها كما يشير إلى ذلك احد النصوص (إنا ثبتت عليها " أي على المسلة " الأعمال البطولية وإعمالى الباسلة)^(٣٣).

المبحث الاول

البطولة في اساطير الخلق والتكوين:

تُعتبر أساطير بلاد الرافدين على إن الإنسان فيها كان رافضاً للاستسلام على الرغم من كل الظلم والقهر، وإقباله على مواجهة الحياة بإيمان عظيم ، بإمكانية تحقيق السعادة المنشودة لان البطل ، لابد إن يحمل إليه مشاعل تضئ له طريق الأمل والحب ، وتمنحه ثقة بقدرته على تحقيق أحلامه.

لذا فان شخصية البطل ، هي شخصية يؤمن الناس بقدرتها في بأنها ستحمل عنهم آلامهم ، وتسعى إلى تحقيق أحلامهم في وقت ما ، إذن هي شخصية ايجابية دائماً.

وتشكل أساطير الخلق و التكوين النصوص الأولى التي وصلت إلينا وهي مبنية على التفكير الفلسفي الذي يمكنه الإجابة عن ماهية الحياة و أدراك كونها ،إلا إن أساطير الخلق والتكوين وهي تقدم لنا الأشياء والآلهة موجودة وفاعلة ولكنها تغفل الحديث عن المرحلة التي سبقت وجود الآلهة ونتركها مجهولة الأساس، وتكتفي بالقول:

بينما في الأعالي ، لم تكن السماء قد سميت بعد ، والأرض اليابسة في الأسفل لم يكن أطلق عليها أي اسم ، وحدهما أبسو الأول ، والدهم ، والأم تيامة ، والدتهم جميعاً ، كانا يمزجان مياههما .

ولكن في بعض الاحيان نجد أساطير الخلق والتكوين تتحدث عن أصل الكون ، وكيف ظهر هذا الكون إلى الوجود يقول فراس السواح :

" تتخذ أساطير الخلق والتكوين مكان المركز والبؤرة في أي منظومة ميثولوجية فهي التي تتحدث عن اصل الكون وعن أصل الآلهة وأنسائها ومراتبها "(٣٤).

لقد حظيت أسطورة عندما في الأعالي (أسطورة الخلق) بمكانة خاصة كما تبوأ في العبادة مركزاً عالياً، ففي مطلع العام ، كان الكاهن الأكبر للايزاجيل يلقيها من أولها إلى آخرها ، كيما يساعد الاستحضار المنتصر لخلق العالم ، إذ

وصلت إلينا أسطورة الخلق والتكوين مكتوبة على سبعة ألواح وهي تمثل سجل يحوي مجمل الأفكار والمعتقدات الخاصة بخلق الكون ، ويتلخص مضمون الأسطورة في البداية كانت الحياة الأولى ، وكان الإله ابسو يمثل مياه العمق العذبة ، والإلهة تيامة تشكل المياه المالحة ، ومن اقتران المياه العذبة بالمالحة، ولد إلهان " انو " السماء - " كي " الأرض - ومن زواج الإله بالإلهة كي ولد الإله انليل - الهواء - الذي قرر أن يباعد بين أبوية وان يظل في الوسط بينهما ، فابعد والده " انو " إلى فوق ليشكل السماء وأمه إلى تحت لتشكل الأرض ، وظل بينهما (٣٥).

أما الإله انليل أنجب اله القمر ، فوجد كي يضيء الظلام الدامس ، الذي بدوره أنجب اوتو اله الشمس وعندما تكاثرت الإلهة وأصبح عددها كبيراً أزعجت الجد ابسو ،الذي لم يعد يستطيع الراحة فأراد القضاء عليهم ، فنسج خطة محطمة واطلع زوجته عليها ، ولكن إلام وبدافع من عواطفها لم توافق على الخطة بل سريتها إلى الأبناء والأحفاد، واجتمع الأولاد واستطاعوا بمساعدة آيا اله الحكمة ، إن يوجدوا خطة كانت نتیجتها التخلص من الجد ،بعد ذلك تزوج اله الحكمة الإلهة دميكنا وأنجب مردوخ الذي سيقع على عاتقه أمر إعادة النظام إلى الكون ، الذي عمته الفوضى وينجح مردوخ بمهمته بعد إن يخوض صراعات كثيرة ويستطيع القضاء على الإلهة تيامة وما تحمل من فوضى وشر ، ويقوم بتنظيم الكون بعد إن يحصل على الألقاب الإلهية والصلاحيات الكاملة (٣٦).

أما أسطورة انزو وسرقة ألواح القدر ،فإنها تتشابه في مضمونها تشابهاً كبيراً مع قصة الخليفة وهي تتحدث عن الصراع بين إلهة الخير والهة الشر أيضاً، فتبين أن غاية هذا الصراع هي القضاء على ما هو شرير وفوضوي وانتصار قوى الخير والنظام (٣٧).

تبدأ الأسطورة بالحديث عن أن الإلهة سمعت بولادة انزو الشرير ، فاستغربت الأمر ، لذلك تشير على الإله آيا أن يأخذه ويضعه في خدمته ، لكن انزو الشرير

يراقب سيده ، ويحسده على ما هو عليه ، من نعم ، وبسبب الحسد يقرر التخلص من سيده والاستيلاء على ألواح القدر ، والتاج الملكي ، ليحصل على المعلومات ، التي تمنح الإله آيا اله الحكمة والمعرفة والقوة والسلطة ، وحين يقوم بتنفيذ ما قرر تجزع الإلهة ، ولسرقة الألواح التي وقعت بيد شرير ، يمكن إن يؤدي استخدامه لها إلى كارثة كونية ، لذلك تجتمع الإلهة وتتشاور فتهتدي الى حل ، وهو إن يذهب احد الإلهة فيقضي على أنزو ويعيد الألواح ، ولكن الإلهة التي ذهبت لمنازلة أنزو خافت وعادت ، عند ذلك تختار الآلهة مردوخ "نورتا " الذي قضى على أنزو ويعيد الألواح ، الذي قضى على أنزو ، بمساعدة اله الحكمة ويستعيد الألواح ، ويعيدها إلى مراكز العبادة ، ويحصل نورتا على الألقاب والصلاحيات الإلهية فيبدأ بتنظيم الكون ، وإشاعة النظام بدلاً من الفوضى ، إن نينورتا البطل ، الذي يستطيع وفي نهاية المعارك الضارية التي يخوضها ، ضد أنزو أن ينتصر على عليه ويبتز جناحيه ، ويستعيد لوحة الأقدار ، وهذا يعني انه كان يجسد في هذه اللحظة العظيمة انتصار النظام على الفوضى وبالتالي تظل الحياة مستمرة دون معوقات^(٣٨) :

بغية أسر آنزو المجنح ، اكتسح وخرب الجبل وحقوله ، اقطع رقبة هذا اللعين آنزو ، سوف تعود الملكية إلى الايكور ، وتعود السلطات الإلهية إلى أبيك ووالدتك ، عندها ، سوف يكون لك محارب حتى في الايكور ، هكذا سوف تتمتع تجاه الإلهة ، بالمجد والقدرة الكلية ، لدى سماع البطل لحديث أمه ، ملأت الشجاعة قلبه وكمحارب باسل ، تقدم نحو الجبل^(٣٩) .

وبعد إن تجري معارك طاحنة ، ينتصر نورتا ، ويحصل على تقدير انليل :
الإلهة عرفوا ، وفي قلب الجبل ، انك أطحت بأنزو ، وبذلك دخلوا في حالة من الفرح والابتهاج^(٤٠) .

إن تشكيل نص أسطورة آنزو وسرقة ألواح القدر يشابه المضمون الفكري لأسطورة الخلق ، فالبشر الذين :

أثاروا قلق تيامة، وحين أحدثوا الجبلية ، وجعلوا داخل تيامة يضطرب ، أزعجوا قلب المسكن الإلهي ، فتحابسو فمه وقال :

تصرفاتهم تزعجني ، أنا لا أرتاح نهائياً ، وفي الليل لا أنام ، أريد إفناءهم وإلغاء نشاطهم^(٤١).

وهنا يقرر البشر ، وبمساعدة أهم القضاء على أبسو ، لكن أبسو وبعد مشاورات مع الإلهة ، يبحث عن البطل الذي يستطيع تخليصه من الذين يريدون التخلص منه ، والعبث بالكون ، هذا البطل هو مردوخ، الذي يطالب بالمكافأة ، إذا ما استطاع أن يعيد الأمور إلى نصابها :

إذا كان عليّ أنا ، الانتقام لكم والإطاحة بتيامة لإنقاذكم ، امنحوني سلطة فائقة

وأقروا وفي مكان اجتماعكم ، أن أفوض بتقدير المصائر^(٤٢) .

وبعد أن منحته الإلهة الصلاحيات كافة ، خاض البطل معركته ، التي هي معركة الإنسان ، وانتصر على الفوضى :

وعندما قام القائد ، بالقضاء على تيامة ، تفككت فرقها ، وتشتت أركان حربها ونصراؤها فروا متراجعين ، وولوا أديبارهم لإنقاذ حياتهم^(٤٣).

إن مهمة البطل الأساسية في هذا الكون ، تمثلت أساساً في الحفاظ على النظام الضابط لهذا الفضاء الذي يعيش فيه لان أي خلل فيه سيصيبه شخصياً ، وبالتالي سيدمر حياته ، وهو في الأسطورة يطلب الثمن ، بعد أن ينجز ما هو مطلوب منه ، وهو إذ يقوم بالأفعال الجليلة والجميلة ، يهدف في الوقت نفسه إلى تمييز نفسه عن الآخرين ، وإبراز قدراته الذاتية التي تمكنه من الاختلاف الإيجابي عن الآخرين .

البطولة في الملاحم:

جسدت موضوعات ملاحم بلاد الرافدين الرئيسة بصورة عامة صراع الإنسان مع قدره ومأثره وإعماله كما أنها أصبحت تعبر عن الصفات الشخصية للبطل ،

ولاسيما تلك التي تعبر عن قدراته وشجاعته ومواهبه في تفسير الأحلام فضلاً عن دور الكائنات الإلهية في حياة البطل ، وقد تبدأ رحلة البطل حين تتوفر له كل الملذات الحياتية والجسدية والنفسية لكن البطل يدرك تفاهة ما يحصل عليه وما يمارسه في حياته الاعتيادية ، وقد جسدت شخصية البطل في الملحمة الاندماج الكلي بين الأنا الفردية والكل الاجتماعية لقد كان كلكامش البطل يعيش في حالة ترف ، إلى الدرجة التي جعلت أهل المدينة يضيقون ذرعاً به ، لا لأنهم لا يستطيعون تلبية احتياجات البطل بل لإدراكهم بأن على البطل تأدية مهامه ، هي أسمى وارفع وأجمل واهم مما يفعله :

لم يترك جلجامش عذراً لأبيها ، ولا ابنة المقاتل ولا خطيبة البطل
وما فتئ يضطهد الناس بمظالمه يلي نهار ، استمع الإلهة انو إلى شكواهم
ودعوا الإلهة ارورو العظيمة وقالوا لها ، أنت التي خلقت هذا الرجل
فاخلقلي الآن غريماً له (٤٤)

وهنا يأتي النداء عبر الحلم الذي غير حال البطل وتوجهه بعد إن كان البطل في هذه اللحظة منغمساً في اللهو والترف ،ويمكن أن يتجلى بطرق شتى منها الحلم :

يا أُمي لقد رأيت الليلية الماضية حلماً ، رأيت أنني أسير مختلاً بين الإبطال
فظهرت كواكب السماء ، وقد سقط أحدها علي وكأنه شهاب السماء انو
أردت رفعه ولكنه ثقل علي ، وأردت أن أزحزحه فلم استطع أن أحركه
تجمع حوله أهل بلاد اورك ، ازدحم الناس حوله وتدافعوا عليه ، واجتمع عليه
الأبطال

وقبل أصحابي قدميه ، أحببته وانحيت عليه كما انحني على امرأة
ورفعته ووضعته عند قدميك ، فجعلته نظيراً لي
فأجابت كلكامش أمه البصيرة العارفة وقالت له :

إن رؤيتك نظيرك كوكب السماء ، انه صاحب قوي يعين الصديق عند الضيق

إنه ذو عزم شديد وأنت أحببته ، فمعناه انه سيلازمك ولن يتخلى عنك
وهذا هو تفسير رؤياك ^(٤٥)

ففي قصص البطولة لا يمكن للبطل أن يقوم بدوره دون مساعدة ، فتتدخل
الآلهة لخلق كائن بشري يشبه كلكامش قوة لينافسه في سلطانه ويثنيه عن أتمام
العمل الذي سخر شعبه فيه ، أما هذا الشخص الذي خلقته الآلهة فاسمه (انكيديو)
وهبته قدرات خارقة ، لذلك فإن البطل القوي (انكيديو) يأتي لملاقاة كلكامش ،
يخوضان معاً نزلاً ينتهي بعقد صداقة عميقة بين البطلين لم يفرق بينهما إلا
الموت ، وخطة عمل لمكافحة الشر ، وكأن في الملحمة رسالة تقول أن اليد الواحدة
لا تصفق (فكلكامش صنع المستحيل و سطر البطولات مع صديقة انكيديو ، ولولا
انكيديو لظلت بطولة وانتصارات كلكامش ناقصة ،ومن نتائجها أهمية الآخر في
حياتنا .

وعندما تبدأ الرحلة يخاطب كلكامش صديقة انكيديو :
يسكن في الغابة خمبابا الرهيب ، فلنقتله كلانا أنا وأنت
لكي نزيل الشر من البلاد ^(٤٦)

وهنا تبدأ أولى مراحل الفعل للبطل في القيام بعمله الذي عزم عليه على الرغم
من كل محاولات توضيح حجم المهمة وعواقبها ، التي قرر خوضها ، فانكيديو
الذي شرح لكلكامش قوة وجبروت خمبابا ، لم يستطع تثنيه عن الاستمرار في رحلة
المغامرة التي قرر أن يخوضها :

ياصديقي ، من يجرؤ على الإيغال في داخل (الغابة)
وخمبابا زئيره عباب الطوفان ، تنبعث من فمه النار ونفسه الموت الزوأم
فعلام ترغب القيام بهذا الامر
فتح كلكامش فاه وقال لانكيديو :

عزمت لارتقين جبال الارز ، وادخل الغابة مسكن خمبابا

وسأخذ معي فأسا استعين به في القتال ، أما أنت فامكث هنا ، وسأذهب أنا وحدي (٤٧)

بعد نقاش طويل يفضي بمكنون فؤاده إلى إنكيديو، ويطلعه على نيته في الشروع بمغامرة كبيرة تستهدف الوصول إلى غابة الأرز في أقصى الغرب وقتل حارسها "خمبابا"، الذي أقامه هناك الإله "إنليل" وأوكله برعاية المكان وحمايته ، يجزع إنكيديو لسماع ذلك، فهو رأى الوحش "خمبابا" عندما كان يطوف البراري مع القطعان وناله منه الخوف الشديد ، إلا أن الذهاب إلى الغابة لا يمكن تجاوزه بطريقة عشوائية بل عليهما الإدراك بأن الطريق مملوء بالمصاعب والأخطار الكبيرة ، لذا لابد من الاستعداد ، هنا تكمن قيمة البطل العازم على تغيير نمط حياة و سلوكه في الحكم والإدارة ، لذا يبدأ الاستعداد بصنع أسلحة من نوع خاص: سبكوا سيوفاً كبيرة ، يصل وزن كل منها ، إلى وزنين وقبضاتها ثلاثين مناً (٤٨) وبعد أن صنع البطل السلاح لابد له من استشارت أهل الخبرة واستطلاع رأيهم والاستماع إلى نصيحتهم .

جلس شيبب اوروك أمام كلكامش فخاطبهم ، اسمعوا يا شيبب اوروك أريد إنا كلكامش أن أرى من يتحدثون عنه ، ذلك ملأ اسمه البلدان بالرعب عزمت على أن أغلبه في غابة الأرز (٤٩)

ألا أن الخوف الذي راود الشيوخ على البطل وبدافع خبرتهم حاولوا تشيه عن المضي على ما عزم عليه :

يا كلكامش أنت ما زلت شاباً ، وقد حملك قلبك مدى بعيداً وأنت لا تعرف عاقبة ما أنت مقدم عليه ، فعلام رغبت في الإقدام على هذا المر لا قبل لأحد أن يصمد غزاء خمبابا (٥٠)

أن إصرار البطل على ما عزم عليه ، وعدم الاستماع لرأيهم ، لذلك صار من الواجب عليهم التوجه بالدعاء والتوسل بالإلهة بالنصر والسلامة :

عسى ان ينصرك إلهك الحامي ، وعساه أن يرجعك سالماً ، ويعيدك إلى ميناء أوروك^(٥١)

بعد رحلة مليئة بالمخاطر والأهوال، وصل الصديقان أطراف غابة الأرز واقتحما بوابتها المسحورة التي سببت شللاً لذراع إنكيديو، ثم أخذوا يقطعان شجر الأرز. وما لبث صوت خمبابا أن سُمع من أعماق الغابة يتساءل عن الذي تجرأ على اقتحام الغابة وقطع شجرها. انقض خمبابا على الغريبيين دون مقدمات، ودارت بين الطرفين معركة حامية الوطيس، مالت في البداية لصالح خمبابا، ولكن الإله شمش أدمهما بثمانية أنواع من الرياح هبت في وجه خمبابا وشلت حركته، فأمسكا به وقطعا رأسه وقدهاها قرباناً لشمش.

عاد البطلان إلى أوروك وغسلا عنهما غبار السفر. وعندما أكمل كلكامش ارتداء لباسه الملكي، شخّصت الإلهة عشتار إلى قامته الفارعة وهامت به حباً، وعرضت عليه الزواج منها وعددت الهدايا والأعطيات التي ستمنحه إياها إذا قبل العرض.

تعال يا حبيبي ودعني أتمتع برجولتك

مد يدك وألمس مفاتن جسمي

ولكن كلكامش رفض عرض عشتار مندداً بخياناتها المعروفة لعشاقها وأزواجها، وذلك بكلمات قاسية لازعة جرحت كئيباء الإلهة:

ماذا ترى مني ، إن أجبتني فستجعلين مصيري مثل هؤلاء ، أحببت راعي القطيع الذي لم ينقطع يقدم إليك أكداًس الخبز ، وينحر الجدار ويقدمها لك كل يوم ولكنك ضربته وحولته ذنباً ، إن أحببتني فستجعلين مصيري مثل هؤلاء^(٥٢)

ثارت ثائرة عشتار وعرجت صاعدة إلى السماء العليا، فمثلت في حضرة كبير الآلهة أنو وشكت إليه إهانة كلكامش، طالبة أن يسلمها قيادة ثور السماء، الكائن الوحشي المهول، لتهلك به كلكامش، وهددت أنها في حال الرفض سوف تحطم بوابات العالم السفلي فيخرج الموتى ليأكلوا ويشربوا مع الأحياء وتعم المجاعة في

الأرض ، لكن إنكيديو تمكن من القضاء على هذا الثور ، بعد هذا الحدث الجلل، عقد الآلهة اجتماعاً في السماء وقرروا أن يموت واحد من البطلين عقوبة لهما على قتل خمبابا وثور السماء، ووقع الخيار على إنكيديو، وقع إنكيديو فريسة الحمى بضعة عشر يوماً، ثم أسلم الروح بين ذراعي كلكامش الذي راح يدور حول صديقه المسجي، كلبوة فقدت أشبالها وهو بين مصدق ومكذب، يبكي ويقطع شعر رأسه ، احتفظ كلكامش بجثة إنكيديو ثلاثة أيام رافضاً تسليمه للدفن عسى من بكائه عليه يفيق من غيبوبته، إلى أن سقطت دودة من أنف الجثة التي أخذت تتفسخ. عند ذلك صحا كلكامش من هذيانه وتأكدت له الحقيقة المرة بموت صديقه . أقام لإنكيديو طقوس حداد لائقة:

من أجل إنكيديو خله وصديقه ، بكى كلكامش بكاء مرّاً
هام على وجهه في الصحاري ، وصار ينادي نفسه
إذا ما مت أفلا يكون مصيري مثل إنكيديو (٥٣)

ثم انسل من قصره وحيداً شريداً تطارده فكرة الموت. لقد تحول جزعه على صديقه الراحل إلى قلق على مصيره الشخصي وخوف من الموت ، فكان على البطل من خلال تجربته ان يجتاز ما يدور حوله ويحصل على الأجوبة المقلقة لذاته الإنسانية ، وكان الهدف المنشود الوصول الى الحكيم أوتو نابشتيم المخلوق الوحيد الذي أنعمت عليه الآلهة بالخلود :

ما الذي حملك على هذا السفر البعيد؟
وعلام قطعت الطريق الطويل؟

إبن لي القصد من المجيء إلي؟
أتيت قاصداً أوتو نا بشتيم باحثاً عن الحياة
جئت لسأله عن لغز الحياة والموت

وعندما يدرك الرجل العقرب إصرار البطل كلكامش على المضي في رحلته من اجل الوصول إلى الهدف ، ناداه قائلاً :

ادخل يا كلكاش ولا تخف ، أذنت لك كان تعبر جبال ماشو^(٥٤)

وبعد إن سهل الرجل العقرب الموكل بتلك الجبال للبطل إن يعبر الطريق المظلم ، المحفوف بالمخاطر، تبرز الأنثى مرة أخرى ، وسيلة إغواء من أجل إقناعه بعدم جدوى الرحلة ، والوصول الى الحكيم :

سيدوري صاحبة الحانة الساكنة عند ساحل البحر شاهدت كلكاش مقبلاً وكان لباسه من الجلود ، ووجهه أشعث ، كمن سافر سفرًا طويلاً ، ويبدو عليه العناء والتعب ، ناجت نفسها ، يبدو أن هذا الرجل قاتل ، فليت شعري إلى أين يريد ، فأوصدت بابها لما رأيته يقترب وأحكمت غلقه بالمزرج^(٥٥)

فسمع كلكاش صرير الباب فنادى صاحبة الحانة وقال: " ما الذي أنكرت في ياصاحبة الحانة حتى أوصدت بابك بوجهي وأحكمت غلقه بالمزلاج ؟ لاحظن بابك وأكسر المدخل ، وأردف كلكاش قائلاً لصاحبة الحانة من جديد " أنا كلكاش ، أنا الذي قبضت على الثور الذي نزل من السماء وقتلته وغلبت حارس الغابة وقهرت خمبابا ، فأجابت صاحبة الحانة كلكاش وقالت له: " إن كنت حقاً كلكاش الذي قتل حارس الغابة وغلبت خمبابا الذي يعيش في غابة الأرز وقتل الأسود في مجازرات الجبال وأمسك بثور السماء وقتله فلم ذبلت وجنتاك ولاح الغم على وجهك ؟ وعلام ملك الحزن قلبك وتبدلت هيئتك ولم صار وجهك أشعث كوجه من سافر سفرًا طويلاً ؟ وكيف لفح وجهك الحر والقر ؟ وعلام تهيم على وجهك في الصحاري ؟ فأجاب كلكاش صاحبة الحانة وقال لها: " كيف لاتذبل وجنتاي ويمتقع وجهي ويملاً الأسى والحزن قلبي وتبدل هيئتي فيصير وجهي أشعث كمن أنهكه السفر الطويل ويلفح وجهي الحر والقر وأهيم على وجهي في الصحاري وقد أدرك مصير البشر صاحبي وأخي الأصغر الذي صاد الحمر الوحشية والنمور في الصحاري والذي تغلب على جميع الصعاب وغلب خمبابا الذي يسكن غابة الأرز أنه أنكىدو صاحبي وخلي الذي أحببته حباً جماً لقد أنتهى إلى ما يصير إليه البشر جميعاً فبكيته في السماء وفي النهار نديته

سنة أيام وسبع ليال معللاً نفسي بأنه سيقوم من كثرة بكائي ونواحي وامتنعت عن تسليمه إلى القبر أبقيته ستة أيام وسبع ليال حتى تجمع الدود على وجهه فأفرغني الموت حتى همت على وجهي في الصحاري.

إن النازلة التي حلت بصاحبي تقض مضجعي آه ! لقد غدا صاحبي الذي أحببت تراباً وأنا ، سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين فيا صاحبة الحانة ، وأنا أنظر إلى وجهك ، أكون في وسعي ألا أرى الموت الذي أخشاه وارهبه ؟ فأجابت صاحبة الحانة كلكاشم قائلة له: "إلى أين تسعى يا كلكاشم إن الحياة التي تبغي لن تجد حينما خلقت الآلهة العظام البشر قدرت الموت على البشرية واستأثرت هي بالحياة أما أنت يا كلكاشم فليكن كرشك مليئاً على الدوام وكن فرحاً مبتهجاً نهار مساء وأقم الأفراح في كل يوم من أيامك وأرقص وألعب مساء نهار وأجعل ثيابك نظيفة زاهية وأغسل رأسك وأستحم في الماء ودلل الصغير الذي يمسك بيدك وأفرح الزوجة التي بين أحضانك وهذا هو نصيب البشرية " (٥٦).

ولكن كلكاشم أعاد الخطاب إلى صاحبة الحانة قائلاً : يا صاحبة الحانة أين الطريق إلى اوتو - نبشتم، دليني كيف أتجه إليه فإذا أمكنني للوصول إليه فأفني حتى البحار سأعبرها وإذا تعذر الوصول إليه فسأهيم على وجهي في الصحاري.

أنطلق البطل حالماً كسهم المارق إلى حيث دلته سيدوري ، وهو متخذ قراره بإحضار الحقيقة ، مدفوعاً بالكم الهائل من المسؤولية الملقاة على عاتقه ، لذا يتابع سيره ويصل إلى أوتونبشتيم بعد مسيرة طويلة في البحر ومغامرات مخيفة ، وقص عليه قصته وما جرى له ، ورجاه أن يخبره كيف استطاع تحقيق الخلود لنفسه من دون سائر بني البشر ، وبعده حوار طويل مع أوتونبشتيم شعرت زوجة أوتونبشتيم بالشفقة على كلكاشم وهي تراه يعود خالي الوفاض بعد رحلته المستحيلة إليهم، واقترحت على زوجها أن يقدم له بعضاً مما قدم لأجله. نادى أوتونبشتيم كلكاشم وأطلعه على سر نبتة شوكية تعيش في أعماق المياه الباطنية؛

مسكن الإله إنكي، وتحمل خصيصة تجديد شباب من يأكل منها إذا بلغ الشيخوخة:

سأكشف لك كلكامش مسألة خفية ، أخبرك بسر الآلهة ، فهناك نبات جذره يشبه العاقول

له اشواك مثل الورد تخز يدك ، فإذا ما ظفرت به وجدت (حياة متجددة) (٥٧)

غاص كلكامش في القناة المائية التي تصل إلى الآبسو، مجمع المياه السفلية العذبة، رابطاً إلى قدميه حجراً ثقيلاً يشده نحو الأسفل، وهناك رأى النبتة فاجتثها بعد أن أدمت أشواكها يديه، ثم حل وثاقه صاعداً نحو الأعلى، وهناك عرضها أمام أوتتاباشتيم وزوجته شاكراً، وقال لهما إنه سيحملها معه إلى أوروك ليجعل الشيوخ يقتسمونها فيما بينهم، وإنه سيأكل منها أيضاً عندما يكبر:

يا أور شنابي ، هذا النبات يشفي الغم ، فيه يحصل الإنسان على نفس الحياة

لأحملنه معي إلى الوركاء المسورة ، وأعطيه إلى شيخ ليأكله ويجر به

سيكون باسمه الشيخ الى صباح ، وإني سأكل منه وأعود شاباً كما كنت (٥٨)

انطلق الاثنان في طريق العودة الطويل. وفي إحدى المحطات التي توقفا عندها للراحة، رأى كلكامش بركة ماء بارد فنزل إليها واستحم بمائها تاركاً النبتة عند الضفة. فانسلت حية إلى النبتة وأكلتها وبينما هي راجعة إلى وكرها تجدد جلدها. جلس كلكامش عند الضفة وقد انهار تماماً بعد أن فقد الأمل حتى في تجديد الشباب، وقال لأور شنابي وهو يبكي بكاءً مرّاً:

شمت الحية رائحة النبات ، فخرجت متسللة وأخذت النبات

ولما أخذته خلعت عنها ثوبها ، وعند ذلك جلس كلكامش

وأجهش بالبكاء (٥٩)

هنا يدرك كلكامش الحقيقة التي سعى من اجل تغييرها ، ألا وهي " لا شئ دائم" إذ لا يستطيع نيل الحياة الأبدية وأن الموت هو الحقيقة الأبدية ، التي لا بد من الإيمان والتسليم بوقوعها وهذه هي الرسالة التي سلمت لكلكامش في نهاية

الملحمة ، كما أن المتعة التي حصل عليها البطل ، على الرغم من كل ما عاناه من تعب هو الحصول على المعرفة الجوهريّة ، وهي الموت آت لا ريب فيه ، وأنه ما من مخلوق بئس على الأرض أكثر من الإنسان نفسه .

المبحث الثاني

الأبعاد الاجتماعية والإنسانية في البطولة :

إن البطل الحقيقي ليس ذلك الذي يدفع بحركة الكون إلى الإمام أو ذلك الذي يساهم في إعادة النظام أو تغييره وحسب ، إنما البطل هو ذلك الذي يستطيع فتح عيوننا التي أصابها العمى ، ذلك الذي يستطيع دفعنا إلى أدراك قيمتنا الإنسانية ، وأهمية دورنا في الحياة إنه يدفعنا كي نتحرر من أغلالنا ونحرر الكون من جلاليه ، لذا صُوِّر على أنه يتمتع بنفاذ البصيرة اجتماعياً ، وإنسانياً ، ومن هنا جاء هذا الاحتفاء العظيم به ، وهو يبعث فينا الطمأنينة وتلبيته لحاجتنا الروحية ، فتجربته تعكس تجربة الناس الروحية ، إذن هو يشبهنا ، إنه إنسان تتنابه كل المشاعر التي تتنابنا ، يبكي حزناً حين يعرف المصير الذي سيؤول إليه حتى الاطفال الذين يحملون إلينا البهجة ، عليّ أن أبكي من أجل الشباب الذين أجبروا على هجر حبيباتهم ، وعليّ أن أبكي من أجل الفتيات اللواتي ، انتزعن من أحضان أحبابهن ، ومن أجل الطفل الرضيع عليّ أن أبكي ، الذي نُبذ قبل أونه^(٦٠).

ولأن البطل تتجسد فيه أعلى صفات الانسانية ، كانت الإلهة أريشكيغال وأمام مشهد رحيل الشباب ، والبنات والأطفال وإدراكها لحجم الفاجعة ، قد منحت قدرة على التأمل في الزمن الذي مضى ، حين أدركت أن حياتها مرت عبثاً ، ولم تستمتع بها ، اسمعت أريشكيغال صوتها وتكلمت ، وجهت كلامها لوزيرها "تمتار" أذهب يانمتار يجب ان تكلم انو وإنليل وايا ، لنقول : إني منذ كنت طفلة وابنة لم أعرف العاب الفتيات الاخريات لم اعرف لهو الاولاد^(٦١).

ان البعد الانساني للبطل يتجلى أيضاً في الحوارات التي تخوضها مع من حوله ، الى جانبها مشى ننشور رسولها ، فقالت إانا الطاهره ، أنت يا مصدر عوني الدائم ، يارسولي ذو الكلمات الطيبة ، إني لهابطة إلى العالم الاسفل .

وعند البوابة قالت إانا

افتح يا حارس البوابة ، من ترى تكونين ، أنا إنانا ملكة المكان الذي تشرق فيه الشمس ، ما الذي أتى بك الى الارض التي لا عودة فيها ، جئت لأجل اختي إريشكيغال ، لان زوجها قد مات ، ابقى هنا ودعيني اذهب لأكلم ملكتي^(٦٢).

أن الحوار الذي هو سمه من السمات الاساسية للتواصل الانساني ، عبر صورة المشهد الذي امتلك حرارة بث الحياة فينا ، وكأنه ما يحدث مع البطل يحدث معنا ، ان براعة تصوير المشاهد التي جعلت المتلقي يدرك ان ما يحصل مع البطل يخصه هو ، وان نتاج التجربة التي يخوضها البطل سترتد عليه ، وان الرحلة التي يقوم بها البطل هي الرحلة التي سيقوم بها كل فرد لا محال ، فالبطل يتحلى بكل الصفات الانسانية التي يتحلى بها الناس العاديون ، الا انه يفوقهم قوة وقدرة ورغبة في تحقيق آمالهم وتطلعاتهم ، وبالتالي تحقيق ذاته ايضاً.

إن الدافع الأصلي والأساسي لامتلاك المعرفة هو السمة العليا التي تظن في سلوك البطل ، وهي النتيجة النهائية التي يبحث عنها أيضاً ، وفي سبيل ذلك تتجسد في سلوك البطل الإنساني أقصى درجات الثورة على عبثية الحياة، هذا النضال المعرفي هو الطريق الوحيد الموصل الى امتلاك سر فتح ما هو مغلق من أسرار الكون^(٦٣) ، والتي يمكن من خلالها ان يحصل على الكشف الكلي للحقيقة ، التي تقود الى المعرفة ، ويكفي ان نتذكر كلام بنت الحانة التي قدمت لكلكامش الحقيقة الكلية والمطلقة للوجود حين اكدت له . ان الحياة التي تبغي لن تجد ، حينما خلقت الالهة العظام البشر قدرت الموت على البشرية ، واستأثرت هي بالحياة اما أنت فليكن كرشك مليئاً على الدوام ، ولتكن فرحاً مبتهجاً نهار مساء ، وأقم الافراح في كل يوم من ايامك وارقص والعب مساء نهار ، واجعل ثيابك نظيفة زاهية ، واغسل رأسك واستحم بالماء ، ودلل الصغير الذي يمسك بيدك ، وافرح الزوجة التي بين احضانك ، وهذا هو نصيب البشرية^(٦٤).

على الرغم من إن الملحمة تدور حول شخصية مهمة واحدة في الظاهر إلا وهو البطل كلكامش، ولكن عن طريق دراستنا لدور البطل في الأساطير والملامح

نجد أن البطل الحقيقي للملحمة هو انكيديو وليس كلكامش ، انكيديو الذي يعد موته المحرك الأساس في الملحمة ويبدأ البطل مرحلة الوعي ، حين يدرك بان موته يعد القاعدة التي تبنى عليها الأحداث الدرامية في الملحمة ، فلولا موت انكيديو لما انكشف الوجه الآخر لكلكامش ومحاولات سعيه في البحث عن الخلود ، لذا يمكننا القول أن انكيديو هو المحرك أو علة الإحداث ، وهي تعالج القضايا الإنسانية التي تمس الناس ، في كل زمان ومكان ، كقضية الحياة والموت والبحث عن الخلود، وقضية مشاعر الحزن إزاء فقدان كائن عزيز . أليس الموت هو الشبح الذي يخيف إنساننا ويهزه ويقلقه ويرعبه وجودياً؟ وعليه فإن هذه الملحمة تسلط الضوء على قصة إنسانية واجتماعية الإنسان بوجود الآخر في حياته ، وأهمية المرأة في حياة الرجل وما تلعبه من دور فعال في صقل حياة الرجل المتوحش الذي جسدهته الملحمة بانكيديو الذي كان يمثل رمزاً للهجين الذي كان يحمله انكيديو ما بين عالم البداوة والتمدن وعالم الإنسان والحيوان:

المرأة - خلعت ملابسها ، كشفت عن مفاتها ، (لم تخجل) مارست معه الحب

خلعت ملابسها ، أرته مفاتها ، علمته فن الحب ، فوقع في حبها

سنة أيام وسبع ليال مارس انكيديو فن الحب ، وبعد أن ارتوى ، انطلق نحو الحيوانات البرية

فأنكرته ، الحيوانات هربت من أمامه ، ركض انكيديو خلفها ضعيفاً، متعباً كان ، والحيوانات ذهبت بعيداً ، سقط على الأرض لم يعد كما كان ، لكنه اكتسب المعرفة .

فالانتقال التي حصلت مع انكيديو وانتقاله وتحوله إلى إنسان بفضل المرأة (البغي) وتركه للغابة وعالم الصيد والتوحش ، وانتهاء صراعه وقتاله مع كلكامش المتسلط، وتحول صراعهما إلى صداقة عميقة ، إذ تروي الملحمة أن انكيديو صار الساعد الأيمن لكلكامش وسيفه الضارب في مواجهة الشر ، حتى صار انكيديو يعيش حياته في سبيل صديقه كلكامش ويقاسمه الحلوة والمرّة !

فعاد إلى المرأة . وعند قدميها جلس ، رفع بصره إليها ، قالت له
حكيم أنت يا انكيديو . قوي مثل الإله أنو ، لمتقيم في البرية
هلم معي إلى اوروك ، إلى المعبد المقدس مسكن عشتار وانو
إلى كلكامش العظيم ، القوي مثل الثور وحشي ، أصغي إلى كلامها
لأنه أصبح يريد صديقاً يفهمه

قال انكيديو :

أيتها المرأة خذيني ، إلى المعبد المقدس مسكن عشتار وأنو ، إلى كلكامش
العظيم
القوي مثل ثور وحشي ، سأتكلم معه (٦٥)

أوضحت لنا الملحمة تحول نوعية العلاقة بين كلكامش وانكيديو من علاقة
نزاع وصراع ومنافسة وانتقام إلى صداقة عميقة وكأنها تعطينا رسالة بأن الإنسان
لوحدة لا يمكن أن يحقق الانتصارات التي تخلد ذكره ، وهذا يعني مدى أهمية
الأخر في حياة الإنسان ، ومن الجانب الآخر فإن الأهمية الزاوية الإنسانية هو
حجم الذكر الطيب (الأثر) والفراغ الذي يتركه الإنسان برحيله إلى العالم الآخر ،
فبقدر ما يكون الحجم كبيراً وعميقاً ومؤثراً ، بقدر ذلك سيكون حجم خلودنا ،
فكلكامش صادف موت المئات من أبناء مملكته ، لكنه لم يهتز ولم يندعر ويحزن
ويتألم ولم يتأثر مثلما حصل له على رحيل صديقه وخله انكيديو . فربما أثر
الآخرين في حياتنا لا نشعر به الا بفقداننا لهم .

ويعكس الحوار الذي ذكرته الملحمة مدى تعلق كلكامش بفقيدة صديقة
انكيديو ، والحزن الذي بان في ثناياها ، لذا نجد كلكامش يخاطب أبناء مدينته :

"اسمعوني أيها الشيبية (الشيوخ) وأصغوا لي من أجل انكيديو ،خلي وصاحبي
، أبكي وأنوح نواح الثكلى . أنه الفأس التي في جنبي وقوة ساعدي والخنجر
الذي في حزامي والمجن الذي يدرأ عني وفرحتي وبهجتي وكسوة عيدي . يا خلي
وأخي الأصغر لقد طارت حمار الوحش في التلال واقتنصت النمر في الصحارى .

أنكيدو! يا صاحبي ، وأخي الأصغر الذي اقتنص حمار الوحش في النجاد والنمر في الصحاري . تغلبنا معا على الصعاب وارتقينا أعالي الجبال ، ومسكنا بالشور السماوي ونحرناه ، قهرنا خمبابا الساكن في غابة الأرز فأَي سنة (من النوم) هذه التي غلبتك وتمكنت منك ؟ طواك ظلام الليل فلا تسمعي ."

إن السلوك الاجتماعي الذي تجلّى في بداية الملحمة حين اجتمع أهل الوركاء وطلبوا من الإلهة خلق نِدٍ للبطل ، وذكروا بالتعاقد الاجتماعي الإجباري أمام الخطر المحدق ، فقد اتحد الناس من أجل الخلاص من ظلم البطل الإنسان ، وسلوكه المرفوض اجتماعياً ، فالنص هو في الحقيقة شكل من أشكال الوعي الاجتماعي ، عبر عنه بطريقة رمزية من قبل المخيلة الشعبية الاجتماعية ، وهي التي صاغت سلوك البطل الفردي ، وهي بذلك حاولت من خلال رسمها لشخصية صديقة التحول من السلوك الفردي إلى الجماعي بمعنى تغيير الحلم الفردي وتحويله حلماً جماعياً أي إنسانياً لذا أصبح البطل يشكل رمزاً اجتماعياً وحضارياً . وهنا يبرز سحر الفكر الإنساني ، الذي انتقل من الإحساس بالعجز والخوف ، إلى الإيمان بالقُدرة ، والوعي بالقوة ، كل ذلك حصل عليه من خلال خوضه البطل ، وعاد منها حاملاً مشعل المعرفة ، فعلى الرغم من كل الانكسارات التي يتعرض لها البطل ويواجهها ، كما حصل مع كلكامش حين مات إنكيدو .

من أجل إنكيدو خلّاي وصاحبي أبكي ، وآنوح نواح الثكلى ، أنه الفأس التي في جنبي وقوة ساعدي ، والخنجر الذي في حزامي ، وفرحتي وكسوة عيدي ، وقد ظهر شيطان رجيم وسرقه مني^(٦٦).

يظل البطل في سلوكه تجاه الصديق المفاقر للحياة ، يظهر أعظم السمات الإنسانية ، ألا وهو الوفاء ، على الرغم من بشاعة الموت ، وقساوته المثيرة للفرع ، ويتمكن البطل من النهوض من جديد ، من أجل متابعة المهمة الملقاة على عاتقه ، ولذا لم يكن أماً الأم حين شعرت بخطورة ما عزم عليه الابن ، سوى التوجه بالدعاء والعتاب معاً للإله :

قدمت القربان والبخور ورفعت يديها إلى الشمس وقالت ، علام أعطيت ولدي
كلكامش قلباً مضطرباً لا يستقر ، والآن حثثته فاعترزم سفرأ بعيداً ، ها أنني
انتمنتك على ولدي فأرجعه لي سالماً^(٦٧).

لقد استطاعت الملحمة ، أن تقدم لنا صور البطل بإشكال مختلفة ، فضلاً عن
قدرتها على تصوير الوحدة الاجتماعية ، والسلوك النفسي الذي يتمتع به البطل ،
تمكنت من رسم الطريق الذي أسهمت فيه بتحويل سلوك البطل اللاهي ، والصديق
الذي يعيش في البراري الذي تمكنت المرأة من تغيير سلوك انكيدو، وتنقله من
البداوة إلى الحضارة من جانب ، في حين أنها رفعت من صور المرأة الأم (ننسون
ام كلكامش) التي تحنو على ولدها وتخاف عليه من جانب آخر، وقد جسدت
الملحمة من خلال الرمز الذي يمثل سلوك البطل المليء بالمضامين الاجتماعية
، فأصبح البطل يمثل الرغبة الاجتماعية في التحول إلى الحضارة ، ومن الجهل
إلى المعرفة ، مع علم البطل والمجتمع أن هذه الثورة لا يمكن لها أن تغير في
نواميس الكون ، ألا أنها يمكن أن تؤثر فيه.

الخاتمة

وبعد ، كانت هذه السطور محاولة في تتبع مفهوم البطولة ، في أساطير بلاد
الرافدين وملاحمه ، وأشكال تجلياته، وكانت غاية البحث التأكد من أن إنسان بلاد
الرافدين أدرك مفهوم البطولة ، وأهمية وجوده داخل النص ، وفي وعيه الذاتي ،
مع الإشارة إلى إن أدب الشرق القديم الذي تميز بقدمه قياساً بأدب الشعوب
الأخرى ، كان أدبا ناضجاً وحاملاً للقيم الإنسانية الشاملة ، الموجهة إلى جمهور
الناس كي يتمثلوه ، ولذا فإنه كان يقوم بدور تربوي إضافة إلى دوره الأساسي
المتمثل بمنح الناس المتعة والمعرفة .

أكدت الدراسة إن البطل شخصية ايجابية بامتياز وهي تعمل ما بوسعها كي
تجعل الناس أكثر تفاؤلاً، وإيماناً بأن ما يحلمون به يمكن تحقيقه وهي تثير في

نفوس المتلقين شعوراً بالعزة والأنفة ، فضلاً عن الإحساس بإمكانية تحقيق رغباتهم وأحلامهم .

وضح البحث الفرق بين الأسطورة والملحمة ، على الرغم من التداخل بينهما معتمداً على الفكرة الجوهرية التي تميز كلا منهما عن الآخر .

أشار النص إلى إن دور الأنثى في الأسطورة دور رئيس وهي تدور في فلك الحوار مع الإلهة ، والتدخل في صنعها القرار الإلهي ، في حين كان دورها في الملحمة أقل تأثيراً، لأنها مارست الطابع الإنساني للمرأة حين جسدت المشاعر التي تحملها الأنثى في حياة الناس كأم، وأخت وحبيبة ، وفي أعظم تجلياتها الفكرية يمكن أن تكون مفسرة للحلم أو ناصحه للبطل عندما تجده في مأزق ما .(أم كلكاش ، بنت الحانة).

كما أن الملحمة تعلمنا درساً في المسامحة ، فبواسطة الطيبة والفعل الحسن من الممكن إن تحول عدوك إلى أفضل صديق لك كما حدث لكلكاش مع انكيو في الإحداث الأولى من الملحمة ، إذ تحولاً من متصارعين متقاتلين إلى صديقين يضحى واحداهم في حياته من اجل الثاني ! وبكى كلكاش اثر رحيل صديقه (عدو الأمس) بكاءً مرّاً ولفقدان صديقه الوفي، يخرج عن عالمه الخاص ليكشف عالم الحياة والخلود والإنسان .

Abstract

Besides all the legends in other communities, the legends of Mesopotamia had the same belief of Divinity of Man .At that period ,idea of hero in the legendary heritage appeared in all the legends of Mesopotamia civilization because it was the important image of the legend .therefore, all the subjects of the legends focused on the universe, creation and the first Man .the image of hero in the legends of Mesopotamia had great importance of the way of his divine creation .

The legends also illustrated the hero as a savior at Mesopotamia Culture. It was necessary to the legends to have hero that represented the importance of Existence. So they associated the nature and the man. Then, they (legends) made the hero a god .

This search is an attempt to clear the view of community for the image of Hero and his role at Mesopotamia culture. The Research consists of Introduction and preface which deal with the meaning of Heroism at the language side. It has two studies, the first deals with the heroism in the legends of Creature and Universe apart from the heroism at the epics. The second deals with the social and human dimensions in the heroism . Finally, they was a concl conclusion for the research .

هوامش البحث

- (١) معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٨ ، ص ١٤٧ .
- (٢) معجم لسان العرب، مادة البطل.
- (٣) دالي ، ستيفاني ، اساطير من بلاد النهرين ، ت نجوى نصر ، ط١ ، دار بيسان ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧م، ص ٧٧ .
- (٤) د. شاكر مصطفى سليم ، قاموس الانثروبولوجيا ، ط١ ، جامعة الكويت ، ١٩٨١ ، ص ٤٤٦ .
- (5) CAD,Q,P.140:b
- (٦) عبد المالك ، منذر علي ، قاموس المصطلحات السومرية - الاكدية ، بغداد ، ٢٠١٣م ، ص ٨ .
- (7) CAD,~1,P.113:b
- (8) CAD,T,P.201:b
- (9)CAD,U/W,P.251:a
- (10) CAD,Z,P.116:b
- (١١) محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، (دار الفارابي، بيروت، لبنان، ١٩٩٤)، ص ٩
- (١٢) صموئيل نوح كريم، الأساطير السومرية دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد، تر، يوسف داود عبد القادر، (بغداد ١٩٧١)، ص ١٣ .
- (١٣) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، (توفي ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، مج ٢، ج ١٦ (بيروت ، ٢٠٠٥)، مادة سطر.
- (١٤) بطرس بن سلمان حسن أفرام البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٧٧، ص ٤١٠ .
- (١٥) سورة الفرقان، الآية ٥
- (١٦) ابن منظور لسان العرب....، ج ٤، مادة سطر، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق: يعقوب عبد النبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤، مادة سطر.
- (١٧) سورة الأنفال، الآية ٣١ .

(١٨) محمد فخر الدين الرازي، تفسير الرازي "مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير"، ج ١٢، ط ٣، دار أحياء العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ص ٥٠٦.

(١٩) فضيلة لكبير، دور الأسطورة الدينية في بناء النظام الاجتماعي (دراسة نموذج من النظام الاجتماعي الأشوري)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر_بأنته_، ٢٠٠٩، ص ٣٠.

(٢٠) صموئيل نوح كريم، الأساطير السومرية دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد، تر، يوسف داود عبد القادر، (بغداد ١٩٧١)، ص ١٣.

(٢١) خزعل الماجدي، متون سومر (التاريخ، المثلوجيا، اللاهوت، الطقوس)، منشورات الأهلية، الأردن . عمان، ١٩٩٨، ص ٦٠.

(٢٢) هجير لعر (بنت عمار)، الغفران في ضوء النقد الأسطوري، سلسلة نقدية (الهيئة العامة لقصور الثقافة) القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٥٠.

(٢٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة....، ج ٥، ص ٢٣٨.

(٢٤) حارث سلمان الفاروقي، المعجم القانوني، ج ١ ق ٢، (مكتبة لبنان . بيروت . ١٩٩١)، ص ٤٦٩.

(٢٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، مادة لحم، ص ٥٣٧.

(٢٦) شاكر مصطفى، قاموس الأنثروبولوجيا.....، ط ١، جامعة الكويت، ١٩٨١، ص ٣٠٧، وأيضاً: سعيد علوش، المصطلحات الأدبية المعاصرة.....، ص ١١٨؛ وللمزيد عن هذا الموضوع ينظر : ياسر عبد الغني، الملحمة رؤية أدبية مقارنة، مجلة جنور، جدة . السعودية، مج ١١، ج ٢٧، إل عدد ١، الكويت، ١٩٨٦، ص ١٧٥؛ وأيضاً ينظر: عبد الحميد يونس، الملاحم والسير الشعبية (السيرة الهلالية . ملحمة فروسية شعبية)، مجلة عالم الفكر، مج ١٧، العدد ١، الكويت، ١٩٨٦، ص ٤٧.

(٢٧) فراس السواح، الأسطورة والمعنى.....، ص ٧؛ صموئيل نوح كريم، من ألواح سومر، تر طه باقر، بيت الوراق، العراق، بغداد، ٢٠١٠، ص ٣٨٥.

(٢٨) إذ أطلقت كلمة ملحمة في الكتابات الحديثة على بعض الأعمال الروائية الكبرى والأفلام السينمائية وكذلك المسرح الملحمي.

(٢٩) أحمد أبو زيد، الملاحم كتاريخ وثقافة مثال من الهند: الرومايانا، مجلة عالم الفكر، مج ١٦، العدد ١، الكويت، ١٩٨٥، ص ٤.

(٣٠) إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، ١٩٨٦، ص ٣٤٦.

(٣١) فاضل عبد الواحد، سومر.....ص ١٤٨.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(33) CAD,A/1, P.298:b

(٣٤) السواح ، فراس ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، ط١، دار علاء الدين، دمشق ، سوريا ، ٢٠٠٦م، ص ١٠.

(35) Bing, J.D., Gilgamesh and Lugalbanda in the Fara Period , JANES,9,1977, P.1-4.

(36) Wolff, H.N., "Gilgamesh, Enkidu, and the Heroic Life", JAOS,89,1969,P.392-398.

(٣٧) الياد، مرسيا ، مظاهر الاسطورة ، ت نهاد خياط ، ط١، دار كنعان ، دمشق، سوريا ، ١٩٩١م، ص ١٠.

(٣٨) الياد ، مرسيا ، اسطورة العودة الابدي ، ت نهاد خياط، دار طلا ، دمشق ، ١٩٨٧م، ص ٨٥.

(39) Wolff,H.N., " Gilgamesh, Enkidu, and the Heroic Life", JAOS,89,1969,P.392-398.

(40) Bing,J.D.On the Sumerian Epic of Gilgamesh, JANES,7,1975,P.1-11.

(٤١) الشواف ، قاسم ، ديوان الاساطير ، ج٢، ص ١٢٠

(٤٢) الشواف ، المصدر نفسه، ص ١٤٤.

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٦.

(٤٤) باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ٧٨-٧٩

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٧٨-٨٨.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٤٧) المصدر نفسه ، ص ٩٨.

- (٤٨) المصدر نفسه ، ص ٩٩
- (٤٩) المصدر نفسه ، ص ١٠٠
- (٥٠) المصدر نفسه ، ص ١٠٠
- (٥١) المصدر نفسه ، ص ١٠١
- (٥٢) ملحمة كلكاش ، ص ١١٤-١١٥
- (٥٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .
- (٥٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٥-١٣٦
- (٥٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٧-١٣٨
- (٥٦) المصدر نفسه ، ص ١٤٢
- (٥٧) علي، فاضل عبد الواحد ، سومر اسطورة وملحمة ، بغداد ، ١٩٨٨ م ، ص ٢٤٧.
- (٥٨) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .
- (٥٩) الاب ، يوسف جزراوي ، النفس الجريحة قراءة المعاني الإنسانية في ملحمة كلكاش ، قيد الطبع.
- (٦٠) دالي ، ستيفاني ، المصدر السابق، ص ١٩٤
- (٦١) نفس المصدر ، ص ٢١١
- (٦٢) السواح ، فراس ، المصدر السابق ، ص ١٨٨-١٨٩
- (٦٣) الطلبي ، جمعة ، الإدراك الديني للعالم والفنون في جنوب بلاد الرافدين ، بحث غير منشور، ٢٠٠٨.
- (٦٤) باقر ، طه ، ملحمة كلكاش ، ص ١٤٢
- (٦٥) المصدر نفسه .
- (٦٦) باقر ، طه ، المصدر السابق ، ص ١٣.
- (٦٧) المصدر نفسه ، ص ١٠٤-١٠٥.

النظام العسكري في عهد الملك

رمسيس الثاني

أ.د. أحمد مالك الفتيان

ليلى أكرم إسماعيل المندلاوي

مقدمة

يعد الملك رمسيس الثاني من الشخصيات البارزة في الأسرة التاسعة عشر ليس ذلك فحسب بل والدولة الحديثة أيضاً.

حكم رمسيس الثاني (١٢٩٠-١٢٢٣ ق.م) وتعد مدة حكمه من أزهى المراحل في التاريخ وأغناها عمراناً واقتصاداً وبناءً، ويسمى رمسيس الأكبر، وسماه خلفاؤه (رمسيس الثاني) قاد العديد من الحملات العسكرية على خصومه، وكان صاحب حظٍ وافر في هذه الحروب؛ لأنه سبق وأن قاد حروباً مع والده (سيتي الأول) في أثناء اشتراكه في الحكم معه.

Introduction

Raamsis the second who is one of the personalities in the nineteenth family and also in the modern state

Raamsis the second ruled (1290-1223 B.C) and his ruling period was considered one of the most prosperous period in building and economy, and he was named Raamsis the great, and those who followed him named him Raamsis the second he led many of the military campaigns against his enemies and he was victorious because he led campaigns with his father "Sety the first" during his ruling with his father.

أولاً: الجيش

لقد أسس رمسيس جيشاً قوياً مؤلفاً من أربعة ألوية حمل كل لواءٍ رسماً لأحد الآلهة في مصر القديمة^(١). وهي (آمون في طيبة، وجيش بتاح من منف ومصر

الوسطى، وجيش رع من (هليوبوليس)، والدلتا وجيش (تتح) من (تانيس)^(٢). إذ كان هذا التقسيم بحسب الأقاليم المصرية المختلفة. ينظر شكل (١٦)

أما أعداد فنترواح ما بين (١٥٠٠٠ و ١٨٠٠٠) جندياً، ففرقة آمون مثلاً مؤلفة من (٥٠٠٠) محارب^(٣). فضلاً عن الجند المرتزقة وغيرهم.

عني رمسيس بتنظيم الجيش، فألف أسطولاً عظيماً ضم حوالي (٤٠٠) سفينة، فنجدته عبر البحر الأحمر فاستولى على جزائر بحر الهند^(٤)، وبلغت غزواته بلاد النوبة جنوبي مصر وفلسطين وسوريا إذ كان موفقاً في كل حروبه^(٥).

لقد كانت حماية البلاد من أولى المهمات المفروضة على الملك والجند لذلك نجده بذل كل ما بوسعه للدفاع عن حياضها واستقلالها، فهي المهمة الوطنية الأولى لدحر الغزاة والفاثحين الذين جاشت نفوسهم برغبة التوسع في مصر^(٦)، لذلك نجد أن الفرعون كان عليه أن يسهر لمراقبة صحاري مصر وثغورها، فكان عليه دائماً أن يضع نصب عينيه وتحت إشرافه بلاد النوبة وشبه جزيرة (بسيناء) فكل الدول التي قامت في أثناء (الألفين الثالث والثاني ق.م). حرصت على أن تضبط سيطرتها على صحراء سيناء، لذلك كان على فرعون مصر أن يتصدى لهم عبر السويس^(٧).

لذلك نجد أن الجيش في عهد السلالة التاسعة عشرة من أكبر الجيوش آنذاك إذ نظمه الفاتحون الكبار من السلالة الثامنة عشرة فأصبح يشكل قوة في الدولة المصرية فنجدته مثل دوراً مهماً في الحياة السياسية آنذاك^(٨).

وقد أدى رمسيس دوراً كبيراً في هذا الجيش فنجدته (رمسيس) محاطاً بحارس خاص به يعد من أغرب الحراس في العالم القديم، لأنه كان أسداً مدرباً لخدمة سيده والدفاع عنه، إذا ما هاجمه أحد أعدائه^(٩). فضلاً عن هذا الأسد كان يوجد الحراس من الأفراد الذين ينتمون إلى شعوب (السادران) وسنوجزهم فيما بعد فهم طوال أقوياء ذوو مهارة ودقة في التعبير^(١٠).

ثانياً: صنوفه

لقد ضم الجيش المصري أيام رمسيس صنوفاً متعددة، فنجدته مقسماً على فرق وفيالق إذ قسمت قواته على قلب وجناحين، وهذا ما مكّنه من الالتفاف حول أعدائه في المعارك بعد ما كانت حروبه أشبه بالنهب والغزو^(١١). وقد تألف الجيش من الأصناف الآتية:

١- حاملو الحراب:

هم أشخاص طوال القامة فوق المتوسط، انمازوا باللون الأحمر مما يدل على أنهم من المصريين^(١٢) ويضعون فوق رؤوسهم شعراً مستعاراً قصيراً يقوم مقام القبعة لكي يحمي الرأس من ضربات العدو، وكانوا يلبسون على أجسامهم قميصاً قصيراً من النسيج الأبيض، مشدود على وسط الجندي كشريط رفيع مكشوف جزء منه في الأمام. أما حراهم فتبلغ حوالي (٧٠سم) وتنتهي كل حربة بسلاح مدبب على شكل ورقة الصفصاف، فيعمل الجندي على حملها مرفوعة عند المسير^(١٣).

٢- الجنود المشاة:

هم الفرق التي تضم تخصصات مختلفة وقيادات متعددة إذ نجدها تؤدي دوراً كبيراً في إدارة المعارك فتألفت هذه الفرقة من جماعات متعددة قوام الوحدة منها (١١٠ أفراد)^(١٤). ومنها تألفت الفصائل وأصبح عدد كل فصيلة يبلغ (٥٠ جندياً) وهذا ما عرف بقائد الفصيلة وبمجموع الفصائل تتألف السرية التي يرأسها قائداً يدعى (قائد السرية).

ومن هذه السرايا تتألف الكتيبة التي تضم في ثناياها سريتين على الأقل^(١٥). أما واجبات قائد الكتيبة فهي الشؤون القتالية والمرور على المواقع حراسة القلاع والحصون الحدودية، ومتابعة المجرمين على الحدود ومطاردتهم فضلاً عن مسؤولية السيطرة على الأسرى بعد انتهاء المعركة^(١٦).

أما ضباط الهجوم فهم الآخرون من المشاة الذين يكلفون بقيادة أحد الأجنحة في الجيش في أثناء دخوله لأرض المعركة^(١٧). إذ تسلحوا بأسلحة خفيفة من سيوف

وخناجر ودروع، وكذلك سيوف مقوسة فالدرع شكلها مستطيل مقوسة من الأعلى والأسفل مصنوعة من خشب خفيف غطي سطحه بجلد الثور، وحيك بسير من الجلد إذ يلون باللون الأبيض ويزين برسوم مختلفة، وفي الدرع مقبض من الخشب مثبت في وسطها الداخلي حتى تُلثي ارتفاعها ، فالجندي يحملها بذراعه المنعطف نحو الجهة اليسرى وقت المسير^(١٨).

وقد تألفت سرايا الجيش من (١٠٠-٢٥٠ جندياً) امتازت كل جماعة بحامل علم يرمز لكل سرية، أما برمز (دمي أو حيواني أو معبود ديني)^(١٩). فضلاً عن ذلك هنالك فرقة من جنود العربات هم من المصريين أيضاً لكنهم أعلى درجة من المشاة، ولم تكن مهمتهم سهلة، فقد كان عليه أن يحافظ على توازنه في أثناء جر العربة ويصيب عدوه في أثناء جري الخيل، وهذا بحد ذاته يحتاج إلى كثير من المرن والثبات^(٢٠).

٣- فريق الرماة:

هم جنس خليط من المصريين واللوبيين^(٢١) يعيشون على حافة الصحراء، وهم في الغالب من حاملي الحراب ويلاحظ أن بعضهم كانوا غاية في القصر، وبعضهم يرتدي على رأسه قبعة، والبعض يلبس شعراً مستعاراً^(٢٢).

أما ملابسهم فهي شريط أبيض من النسيج مثبت على وسط الجندي بحزام من الجلد، ولم تكن لديهم من آلات الحرب إلا القوس وبضع سهام لا تتجاوز الأربعة، أما حزمة السهام فكانت تضع في جلد الثعبان أو جلد أو قطعة من النسيج أو الكتان^(٢٣).

أما أهم فرق الجيش فهي فرق الوطنيين من رماة القوس ورجال الرمح ويحمل الأولون الأقواس والسهام وهم أخف حملاً من رماة الرمح، إلا أنهم أشد خطراً وقد اشتهروا المصريون بالمهارة في الرماية^(٢٤).

وهناك الأعلام العسكرية في الجيش التي كانت لها دورٌ كبيرٌ في إحراز النصر في كثيرٍ من الأحيان إذ يحملها كل قائد سرية فهي التي تساعد في التعرف على موقعه وتعد أفضل وسيلة للانتفاع منها في إدارة المعركة^(٢٥).

إلا أن هناك حقيقة لابد أن تذكر هي أن المصري كان لا يرضى لنفسه أن يحترف الجندية؛ لأنه كان يعتقد أنها عمل مؤلم لا يختلف عن "الأعمال الشاقة" ففيها يتعرض الجندي لكل أنواع الذل والمهانة، فهو معرض لأشد العقوبات وأقساها إن ارتكب خطأ وكانوا يجلدون في ثكناتهم أن صدرت أية هفوة منهم^(٢٦).

لذلك نجد أن الفراعنة طوال مدة حكمهم بدءاً من عهد الدولة القديمة استعملوا المرتزقة في جيوشهم، ولاسيما من النوبيين والليبيين، فنجد أن رمسيس استعملهم في الفتوحات الخارجية، لأن توسعات مصر في هذا الوقت بلغت ذروتها وادت إلى زيادة ثروة أولئك الضباط والجنود الذين اشتركوا بالحرب والذين صبو جُلَّ عنايتهم بإدارة اقطاعاتهم وتفرغوا لحياتهم المدنية، فاستجدوا عندها بالجند المرتزقة^(٢٧).

لقد كان لهذه الحروب الخارجية التي قادها رمسيس أثرها في تعزيز دور هؤلاء المرتزقة في الجيش إذ نجد أن أعدادهم الهائلة مكنتهم من الانخراط في سلك الجندية، فتارة يقعون تحت الأسر ويعمل القوم على تجنيدهم بالجيش، وتارة أخرى تلك الثروات التي تحدثنا عنها سابقاً مكنت قادة الدولة الحديثة في استئجار الجند^(٢٨). الذين سرعان ما بدعوا يتدخلون في شؤون الحكم في البلاد . المهم في الأمر سار هؤلاء المرتزقة بعد الجند وكانوا يلبسون على أجسادهم جلود الحيوانات المفترسة وفي المؤخرة هناك الجند الليبيون البدو الذين يشتركون هم أيضاً في المعركة^(٢٩).

وقد استعمل (رمسيس الثاني) من هؤلاء النوبيين فنجد أن حوالي (٨٨٠ من المشواش) وهم من شعوب البحر اللذين شكلوا فرقاً في الجيش المصري وربما أن أول ذكر لهم وجد في عهد هذا الفرعون على بردية (اناستاسي الأولى)^(٣٠).

في حين نجد أن القهق شكلوا حوالي (١٦٢٠) من جيش رمسيس و(١٠٠ من الزنوج) وبعد اندماج هؤلاء الأجانب في الطبقة العسكرية المصرية بدأ

الملك يمنحهم قطعاً من الأراضي الزراعية نوعاً من المكافآت، فتحولوا بذلك لملاك للأراضي وتحسنت حالتهم الاجتماعية^(٣١).

أما طبقة المحاربين فهي الأخرى تمتعت بامتيازات خاصة في ظل حكم رمسيس فنجده أعطى لكل واحدٍ منهم (١٢ فداناً) من الأراضي، وجعلها معفية من الضرائب^(٣٢).

أما أسلحة هؤلاء المرتزقة فلطالما كانت تلك الدروع المستديرة والسيف ذو الحانه المثلثة وخوذة على هيئة كاسة مقلوبة تعلوها ريشة يزينها القرص أو الهلال.

وقد حرص رمسيس كل الحرص على توفير أغذية الجند وجعل أسلحتهم موفرة. لذلك نجدهم بذلوا كل ما بوسعهم لأجل سيدهم الذي سعى بدوره تشكيل أسطولٍ ضخمٍ ليرد على هجمات القراصنة^(٣٣).

فأبلوا بلاءً حسناً حتى قيل إن الحظ قد لازم رمسيس وجنده في معاركه كافة، مما جعل أعداءه يرحبون بأي سلامٍ يعرضه لهم^(٣٤). وهذا ما سنلاحظه الآن. وقد كان للجيش المصري المعبودات العسكرية العديدة التي تتقدمهم في الحرب وتشاركهم المعارك فتشل قوى الأعداء^(٣٥).

لذلك نجدهم (أي المصريين القدماء) ولاسيما في عهد الدولة الحديثة قد أخذوا يقدمون النذور والقربان والهدايا للمعبودات الحربية قبل قيام المعارك وبعدها^(٣٦).

لذلك نجد أن هذه المعبودات كانت قد تحررت لديهم ومنها (رع وبتاح وآمون وسخمت) وهم من تكلمنا عليهم في الفصل الأول، مثل الإله "مننو" الذي يعني اسمه "المفترس" فهو معبود العرب وحامي الملك، فنراه بهيئة رجل رأسه صقر يعلوه الشمس وريشتان وعدّه الملوك رمزاً للانتصار في الحرب^(٣٧).

عبد هذا الإله في مدينة (طيبة وعدّ الإله الحامي لها فشيّد لأجله العديد من المعابد في هذه المدينة والمدن المجاورة التي انتشرت عبادته فيها ومنها "الميدامو" و"الطود"^(٣٨).

أما المعبود (وبواوات) الذي يعني اسمه فاتح الطريق ومثل براس ابن أوى يمثل واقفاً على أقدامه الأربعة ولم يصور جالساً أبداً عبد في أسيوط^(٣٩).

في حين أدت المعبودة "نيت" أدواراً مختلفة في الديانة المصرية القديمة الأخرى معبودة حرب ويتألف رمزها من قوسين ودرع، وكانت تتقدم الملك في المعارك العربية^(٤٠). عدت مدينة (سايس) "سان الحجر" موطنها الأصلي فهي عاصمة المقاطعتين الرابعة والخامسة بالدلتا^(٤١).

أما المعبود خنوم فهو الآخر من المعبودات الحربية القديمة وهو الكيش، وكانت مركز عبادته في منطقة الشلال، ومن ألقابه خالق (البشر)، وأبو المسبودات^(٤٢).

ثالثاً: التحصينات العسكرية:-

قام رمسيس بإقامة سلسلة من التحصينات على الحدود الغربية للإمبراطورية المصرية للتصدي لهجمات الأقوام (الهندوآرية) التي بدأت تجتاح مناطق الشرق القديم عن طريق البر والبحر لتستقر في آسيا الصغرى، وجزر بحر ايجة، وفي بلاد اليونان، وشمال أفريقيا^(٤٣).

إن دل هذا على شيء فإنما يدل على تعرض مصر للتهديد عبر الصحراء، ولاسيما في عهد (رمسيس الثاني)، وأبرز خطر هو خطر شعوب "الليبو"^(٤٤) وهي تسمية يونانية ويقصد منها (ليبيا) وقد سكن هؤلاء إلى المنطقة الممتدة إلى الغرب من قبائل "التحنو" أما الشعب الثاني الذي هاجم حدود مصر الغربية فهو شعب "المشواش"^(٤٥) الذي ينتشر على طول سحل "خليج سرت" تقريباً^(٤٦). فضلاً عن شعوب (الشردن) وهم من سكان جزيرة سردينيا أو منطقة (سارديس) بآسيا الصغرى، وكان كل ما يجذبهم لهذا البلد هو الأرض الخصبة في منطقة الدلتا، فهي ذات خيرات وفيرة، لذلك نجد أن هذه الجموع الغفيرة زحفت نحو مصر طمعاً في الاستقرار بأراضيها^(٤٧).

أما أهم هذه التحصينات فهي كالآتي:

١- زاوية أم الرخم: يقع في منطقة زاوية أم الرخم على بعد (٢٩ كم) تقريباً على بعد (٣٠٠ كم) غرب مدينة الإسكندرية على ساحل البحر الأبيض المتوسط. يعدُّ هذا الموقع من المواقع المهمة؛ لأنه سيطر سيطرة اقتصادية واجتماعية على السكان الليبيين المحليين فضلاً عن ممارسة التجارة مع التجار الأجانب عبر طريق البحر المتوسط^(٤٨).

عُدَّ الموقع من أهم المواقع التحصينية غربي الدلتا، فهو أول الحصون المشيدة للخطوط الدفاعية ضد القبائل الليبية، تأميناً للحدود المصرية من الغارات الليبية^(٤٩).

يعد هذا الحصن آخر الحصون التي شيدها الملك رمسيس الثاني على الساحل الشمالي الغربي ومن التنقيبات الأثرية وجد في هذا الحصن العديد من المباني الداخلية فضلاً عن المدخل الثاني، ويوجد فيه العديد من الأبراج، ويحتوي على سلام داخلية تمكن الجندي من الصعود لقمة البرج لتأمين مدخل القسم تارة ولتوفير الإمدادات العسكرية تارة أخرى^(٥٠).

ضم هذا البرج شرفات لاختباء الجند وقد استعمل في بنائه مادة (طوب اللبن) التي شيدت بها أغلب المباني آنذاك^(٥١).

٢- حصن ثارو:

يعد هذا الحصن من الاكتشافات المهمة على طريق حورس الحربي القديم الذي يربط بين مصر وفلسطين، وعرف بالمدخل الشرقي لمصر وورد ذكره في نقوش معبد الكرنك بالأقصر وقد أقيمت في هذا المكان العديد من الحصون العسكرية، وعندها عُدَّت مدينة محصنة، وقد رمت على طول السنين بمادة الطوب الأسود، وقد بلغت الأبراج عظمة بحيث أنها أدخلت منظر الأبهة والعظمة بالنسبة للناظر إليها احتوى هذا الحصن على حوالي ثمانية أبراج كانت يستعملها الرماة لغرض الدفاع عن

الحصن، ولغرض المراقبة إذ انماز هذا السور بسمك بلغ حوالي (٧م) مما يدل على متانة سور الحصن وصعوبة اختراقه^(٥٢).

٣- حصن بوهمن:

يقع هذا الحصن على الضفة الغربية للنيل جنوبي وادي حلفا بحوالي (٥كم) لذلك ، يعدُّ من أكبر الحصون في منطقة النوبة العليا وبحكم موقعه هذا عُدَّ الأول في سلسلة الحصون التي تشرف على منطقة الجندل الثاني الممتدة من وادي حلفا حتى سمنا.

إن الهدف من تواجدها بالجندل الثاني هو السيطرة على الطرق التجارية وعدت المركز الرئيس للقيادة وتنظيم الحاميات الخاصة بالحصون، ومقر نائب الملك^(٥٣).

وقد تألف نظامه الدفاعي من سور سميك من الطوب اللبن فنجد أن جزءه العلوي فيه متراس وحرمر مرصوف بقوالب من طوب اللبن، واشتمل هذا الحصن على مدينة، وميناء، وخندق عميق، وابراج مستديرة تشرف على هذا الخندق^(٥٤).
لقد احتوت هذه الحصون على العديد من المخازن التي كانت أشبه بداراً للمؤن والسلاح للمقاتلين فضلا عن احتوائها على معابد ضمت معبودات مختلفة والغرض منها مزاوله الطقوس الدينية.

وقد اعتنى الملك (رمسيس الثاني) بالجهات الشرقية شأنها شأن الجهات الغربية، فنجده عنيَّ ((بوادي الطميلات)) وهو طريق القناة الموصلة -وقتئذ- النيل بالبحيرات المرة، لأنه كان ممراً مهماً بين مصر وآسيا^(٥٥). فشيّد في منتصفه مدينة "بيتوم" أو "فيتوم" وهي ما تعرف بـ (تل المسخوطه).

ومعناها "معبد آتوم" التي جعلها مخزناً للحبوب، وقد كانت مقر المعبود "آتوم" التي عرفت باسم "بيتوم" فـ (آتوم) هو المعبود الرئيس لهذه المنطقة^(٥٦). وجد فيها العديد من اللوحات الكرنيتية مدون عليها نقوش للملك رمسيس الثاني^(٥٧).

أما حصن "تل اليهودية" فشيده مع والده الملك "سيتي الأول" غربي مدينة "بثيوم" شمالي "عين شمس" (٥٨).

يقع هذا الحصن بالقرب من "تل القلزم" (٥٩) ، وهو حصن يشغل مساحة حوالي (١٠٠ قدم) مربع من الداخل، أركانه مستديرة، ورصيفه من الرمل المطلّي بالجص، ولهذا الحصن منحدر طويل يؤدي إلى باب محصن (٦٠). وهو يعد من أهم المواقع الأثرية بمحافظة القليوبية وأكبرها، استغل (رمسيس الثاني) هذا الحصن فأقام معبداً عثر فيه على تمثال ضخم مزدوج يمثل هذا الفرعون والمعبود "رع" معاً، وكذلك وجد له تمثال ضخم بالقرب من بوابة هذا المعبد (٦١).

أما تل (طابه) فهو يقع على بعد (١٠ كم) تقريباً غرب (تل المسخوطه)، إذ يتبع محافظة الإسماعيلية إدارياً وشرق مدينة القصاصين بحوالي (٣ كم) فتوسط الطريق القديم الذي يبدأ من تل بسطة بالزقازيق، وينتهي عند البحيرات المدة بالقرب من السويس بوادي الظميلات. فعدّ موقعاً حربياً فريداً (٦٢).

يتبع (تل الرطابي) المقاطعة الثامنة من مقاطعات الوجه البحري الذي شيد فيه رمسيس الثاني معبداً للزينة أي زينة بتمائيل صنعت من الكرانيت الأحمر والحجر الجيري (٦٣).

وعثر فيه على معبد للإله "آتوم" الذي أقامه الملك (رمسيس الثاني) فصور على واجهة المعبد الشمالية وهو يضرب الأعداء أمام المعبود "بيت" وعثر على تمثال مزدوج يمثل الفرعون والمعبود "آتوم" في ردهة المعبد (٦٤).

أما تل الصحابة فهو الآخر من التحصينات العسكرية التي انشأها الملك (رمسيس الثاني) في وادي الظميلات الذي يعد المدخل الرئيس لمصر من الناحية الشرقية "آسيا" لصد غارات الآسيويين، وذلك عن طريق الحملات التأديبية التي شنتها على قبائل البدو الذين كانت أعمالهم السلب والنهب في ذلك الطريق التجاري (٦٥).

من هذا نستنتج أن الغرض من إقامة الحصون للحماية وادي الظميلات ثم ربطها ببعضها بالجند وعتاد الحرب حتى تتمكن تلك القلاع المحصنة بالتصدي لغارات الأعداء^(٦٦).

الخلاصة

شهدت فترة حكم الملك رمسيس الثاني ازدهاراً شمل كافة مجالات الحياة ولاسيما من الناحية العسكرية إذ نلاحظ مدى التطور الذي وصلت إليه مصر عسكرياً من خلال الأعمال الحربية والتوسعات العديدة لهذا الملك والذي لم يتمكن أحد قبله من تحقيقها، ومن خلال التنظيم الدقيق للجيش وتجهيزه بكافة المعدات العسكرية التي حققت لمصر أوج عظمتها وشهرتها الواسعة .

الهوامش

(١) محمود درويش، صور من حضارة مصر القديمة وفق المنهج التاريخي، ط ١ (مصر: مكتبة النهضة، ١٩٥٤)، ص ٥٤.

(٢) نجيب ميخائيل، إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ط ١ (مصر: دار النهضة، د.ت)، ص ٢١٩.

(٣) نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط ١ (دمشق: دار الفكر، د.ت)، ص ٨٥.

(٤) أسامة حسن، مصر الفرعونية، ط ١ (مصر: دار الأمل، ١٩٩٨)، ص ٣٨.

(٥) عوني بكر صدقي، خلاصات في تاريخ الأمم الشرقية القديمة وتاريخ اليونان والرومان، ط ١ (بغداد: مطبعة ونكور، ١٩٣٣)، ص ٢٩.

(٦) اندريه ايمار، الشرق واليونان القديمة، تر: قريد مراغر ط ١ (بيروت: دار عويدات، ١٩٦٤)، ص ٥٠.

(٧) ايمار، الشرق، ص ٥١.

(٨) جان فركوتر، مصر القديمة، تر: الياس الحايك، ط ١ (مصر: المنشورات العربية، د.ت)، ص ٨٣.

(٩) جيمس بيكي، مصر القديمة ... تر: نجيب محفوظ، ط ١ (القاهرة: مطبعة المجلة الجديدة: ١٩٤٩)، ص ٢٤.

(١٠) الن شورتر، الحياة اليومية في مصر القديمة، تر: نجيب ميخائيل، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٦ م، ص ٣٠٧.

(١١) جيمس هنري برستد، تاريخ مصر من أقدم العصور حتى الفتح الفارسي، تر: حسين كمال، ط ٢ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٦)، ص ١٤٩.

(١٢) برستد، تاريخ مصر، ص ١٩٤.

(13) James K. Hoffmeier, Military (material); The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt; II Cairo, 1993, p.407.

(١٤) سليم حسن، مصر القديمة، ط ١ (القاهرة: ٢٠٠١) ج ٢، ص ٤٩٤-٤٩٥.

(١٥) أسامة إبراهيم عبدالله سلام، دراسة إستراتيجية الوحدات الدفاعية على الحدود المصرية في عصر الدولة الحديثة الفرعونية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزقازيق، قسم الحضارة المصرية القديمة، ص ٢٩.

(١٦) عبدالرحمن زكي، الجيش في مصر القديمة، ط ١ (القاهرة، ١٩٦٧)، ص ٣٥.

(١٧) عبدالقادر خليل عبدالنعيم، العسكرية في الدولة الحديثة الفرعونية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٤، ص ١١٣- ص ١١٥.

(١٨) حسن، مصر القديمة، ج ٥، ص ٤٩٥.

(١٩) أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر - العراق - إيران)، ط ١ (مصر: دار النهضة العربية، ١٩٨٩)، ص ١٧٦.

(٢٠) زكي، الجيش.....، ص ٢٣.

(٢١) اللوبيين: تدل المصادر المصرية ان مجموعات السلالات الرئيسة التي يتألف منها قوم اللوبيين تنسب الى اربع سلالات وهي (التحنو) و (تمحو) و (المشوش) ثم السلالات (اللوية) ولقد عمت كلمة (لومبيا) وهي التي تستعمل حالياً ولكنها غير صحيحة فانها لا تعني الا قبيلة خاصة من سكان شمال افريقيا وهم اللذين يقطنون اقليم (سريكا) في البقعة المرتفعة من (برقة) وهي اقرب جزء من افريقيا لبلاد اليونان وكان الاغريق قد نزلوها واطلقوا عليها اسم (لييون) وهذه التسمية تطلق على الاقوام القاطنين غربي مصر. وائل فكري، موجز موسوعة مصر القديمة ، ط ١، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٩)، ص ٩٣٣.

(٢٢) سلام، دراسة إستراتيجية...، ص ٣٠.

(٢٣) حسن، مصر القديمة، ج ٥، ص ٤٩٤ - ص ٤٩٥.

(٢٤) زكي، الجيش في مصر...، ص ٢٤.

(٢٥) سليم، دراسات...، ص ١٨٠.

(٢٦) بيكي ، مصر الفرعونية ، ص ٢٣

- (٢٧) محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، حركات التحرير في مصر القديمة، ط ١ (مصر: دار المعارف، ١٩٧٦)، ص ٢٤٣.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ٢٤٤.
- (٢٩) بيكي، مصر القديمة...، ص ٢٤.
- (٣٠) سلام، دراسة إستراتيجية...، ص ١٥٠.
- (٣١) أحمد قدوري، المؤسسة العسكرية في عصر الإمبراطورية، تر: مختار السويقي ومحمد الغرب موسى، ط ١ (القاهرة، ١٩٨٥)، ص ٣١٢.
- (٣٢) مهران، دراسات في تاريخ، ص ٣٤٤.
- (٣٣) الن جارد ثل ، مصر الفراعنة (عصر الرعامسة) ، تر: نجيب ميخائيل ابراهيم، بلا.ط (مصر: الهيئة المصرية ، ١٩٧٣)، ص ١٣٧.
- (٣٤) زكي، الجيش...، ص ٢٨٠.
- (٣٥) عبد العزيز صالح، التربية العسكرية، تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعوني، ط ١ (مصر ١٩٦٢)، ص ٩٩.
- (٣٦) يارو سلاف تشريني، الديانة المصرية القديمة، تر: أحمد قدري ومحمود ماهر (١٩٨٧)، ص ٢٣٤.
- (٣٧) أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر، ط ١، (القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ١٩٨٣)، ج ٢، ص ١٩٠.
- (٣٨) يارو سلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة ؛ تر: أحمد قدري، محمود ماهر، ط ١ (القاهرة: د.م، ١٩٨٧)، ص ٢٤٨.
- (٣٩) حسين، موسوعة مصر، ج ٢، ص ٢١٧.
- (٤٠) أدولف أرمان، ديانة مصر القديمة ، تر: عبد المنعم أبو بكر، ومحمد أنور شكري، ط ١ (القاهرة: مكتب انجلو، ١٩٩٨)، ص ٣٩.

- (٤١) تشرني، الديانة المصرية...، ص ٢٨.
- (٤٢) سلام، دراسة استراتيجية...، ص ٤٨.
- (٤٣) جمال عبدالهادي ، محمد مسعود ووفاء محمد رفعت ، تاريخ الأمة المسلمة الواحدة منذ أقدم عصورها حتى القرن السابع قبل الهجرة في مصر والعراق، ط ١ (القاهرة: مؤسسة الأهرام، ١٩٩٨)، ص ٣٤٧.
- (٤٤) Gardiner, The scriptions of mes, lipzik, 1950, p.117.
- (٤٥) المشواش: وهم قبائل كان الخطر يحيق بها من قبل رمسيس الثاني في الغرب الذين انطلقوا بسبب الجوع وحاولوا غزو الدلتا للاستيطان فيها وهم الذين حاربو سيبي الاول. سامي سعيد الاحمد، الرعامسة الثلاثة، (لا توجد معلومات عن الطبع)، ص ٦٨.
- (٤٦) فكري، موجز موسوعة مصر القديمة، ج ٢، ص ٩٣٥.
- (٤٧) سلام، إستراتيجية الوحدات.....، ص ٢٠٧.
- (٤٨) سلام، دراسة إستراتيجية.....، ص ٢٠٧.
- (٤٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.
- (٥٠) تقرير علمي عن حضائر تل حبة لموسم ٢٠٠٤، ص ٥-٦.
- (٥١) سلام، دراسة استراتيجية ، ص ٢٧٩.
- (٥٢) سلام، دراسة إستراتيجية ، ص ٣٧٦.
- (٥٣) محمد بيومي مهران، مصر منذ قيام الملكية وحتى عصر الدولة الحديثة، ج ٢ (الإسكندرية: ١٩٦٧) ص ٤٠٤.
- (٥٤) سلام، دراسة إستراتيجية.....، ص ٣٩٥.
- (٥٥) قدوري، المؤسسة العسكرية...، ص ٢٤٠.

(٥٦) عبدالحليم نور الدين، مواقع ومتاحف الآثار المصرية، بلاط (القاهرة: ١٩٨٠)، ج٦، ص٤١٠-ص٤١١.

(٥٧) حسن ، مصر القديمة، ج٦، ص٤١٠-ص٤١١.

(٥٨) إبراهيم محمد كامل، إقليم شرق الدلتا في عصوره التاريخية القديمة، ط١ (القاهرة: ١٩٨٥)، ج١، ص٢٥٦.

(٥٩) تل قلزم: تقع في حي الاربعين الى الشمال من السويس عرفت المنطقة في النصوص اليونانية اسم "كليزما" وتحول في العربية الى "القلزم" ويعني الموقع المعتمر بالحياة عثر في تل القلزم على آثار يونانية ورومانية واطلال منشآت.

(٦٠) نور الدين ، مواقع ومتاحف ...، ص١١١.

(٦١) تقرير علمي حضائر تل اليهودية لموسم ١٩٩٤، ص١٥٩-ص١٦٠.

(٦٢) تقرير علمي عن حضائر تل الرطابي ، ١٩٨٤.

(٦٣) إبراهيم محمد كامل، إقليم شرق الدلتا في عصوره التاريخية القديمة، ط١ (القاهرة: ١٩٨٥)، ص٢٧٩.

(٦٤) حسن، مصر...، ج٦، ص٤١١.

(٦٥) سلام، دراسة إستراتيجية ، ص٨٥.

(٦٦) كامل ، اقليم شرق الدلتا...ج٢، ص٢٦٣.

المصادر العربية

١- إبراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ط١ (مصر: دار النهضة، د.ت.).

٢- الأحمد، سامي سعيد ، الرعامسة الثلاثة، (لا توجد معلومات عن الطبع).

- ٣- أرمان، أدولف، ديانة مصر القديمة ، تر: عبدالمنعم أبو بكر، ومحمد أنور شكري، ط ١ (القاهرة: مكتب انجلو، ١٩٩٨).
- ٤- ايمار ، اندريه ، الشرق واليونان القديمة ، تر: قريد مراغر ط ١ (بيروت: دار عويدات ، ١٩٦٤).
- ٥- برستد ، جيمس هنري ، تاريخ مصر من أقدم العصور حتى الفتح الفارسي، تر: حسين كمال، ط ٢ (القاهرة: مكتبة مدبولي ، ١٩٩٦).
- ٦- بيكي، جيمس ، مصر القديمة ... تر: نجيب محفوظ ، ط ١ (القاهرة: مطبعة المجلة الجديدة: ١٩٤٩).
- ٧- تشرني ، يارو سلاف ، الديانة المصرية القديمة ؛ تر: أحمد قدري، محمود ماهر، ط ١ (القاهرة: د.م، ١٩٨٧).
- ٨- تقرير علمي حضائر تل اليهودية لموسم.
- ٩- تقرير علمي عن حضائر تل الرطابي ، ١٩٨٤.
- ١٠- تقرير علمي عن حضائر تل حبة لموسم.
- ١١- جارد ثل ،الن ، مصر الفراعنة (عصر الرعامسة) ، تر: نجيب ميخائيل ابراهيم، بلا.ط (مصر: الهيئة المصرية ، ١٩٧٣).
- ١٢- حسن ، أسامة ، مصر الفرعونية ، ط ١ (مصر: دار الأمل، ١٩٩٨).
- ١٣- حسن ، سليم ، مصر القديمة ، ط ١ (القاهرة: ٢٠٠١) ج ٢.
- ١٤- حسين ، أحمد ، موسوعة تاريخ مصر، ط ١، (القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ١٩٨٣)، ج ٢.
- ١٥- درويش ، محمود ، صور من حضارة مصر القديمة وفق المنهج التاريخي، ط ١ (مصر: مكتبة النهضة، ١٩٥٤).

- ١٦- زكي ، عبدالرحمن ، الجيش في مصر القديمة، ط ١ (القاهرة، ١٩٦٧).
- ١٧- سلام ، أسامة إبراهيم عبدالله ، دراسة إستراتيجية الوحدات الدفاعية على الحدود المصرية في عصر الدولة الحديثة الفرعونية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزقازيق، قسم الحضارة المصرية القديمة.
- ١٨- سليم ،أحمد أمين ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر - العراق - إيران)، ط ١ (مصر: دار النهضة العربية، ١٩٨٩).
- ١٩- شورتر، الن، الحياة اليومية في مصر القديمة، تر: نجيب ميخائيل، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٦م.
- ٢٠- صالح ، عبد العزيز ، التربية العسكرية، تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعوني، ط ١ (مصر ١٩٦٢).
- ٢١- صدقي ، عوني بكر ، خلاصات في تاريخ الأمم الشرقية القديمة وتاريخ اليونان والرومان، ط ١ (بغداد: مطبعة ونكور، ١٩٣٣).
- ٢٢- عبدالنعم، عبدالقادر خليل، العسكرية في الدولة الحديثة الفرعونية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية .
- ٢٣- عبدالهادي، جمال، محمد مسعود ووفاء محمد رفعت ، تاريخ الأمة المسلمة الواحدة منذ أقدم عصورها حتى القرن السابع قبل الهجرة في مصر والعراق، ط ١ (القاهرة: مؤسسة الأهرام، ١٩٩٨).
- ٢٤- فرح، نعيم ، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ط ١ (دمشق: دار الفكر، د.ت)، ص ٨٥.
- ٢٥- فركوتر، جان ، مصر القديمة، تر: الياس الحايك ، ط ١ (مصر: المنشورات العربية، د.ت).

- ٢٦- فكري ، وائل ، موجز موسوعة مصر القديمة ، ط ١ ، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٩)، ج ٢.
- ٢٧- قدوري، أحمد المؤسسة العسكرية في عصر الإمبراطورية، تر: مختار السويقي ومحمد الغرب موسى، ط ١ (القاهرة ، ١٩٨٥).
- ٢٨- كامل ، إبراهيم محمد ، إقليم شرق الدلتا في عصوره التاريخية القديمة، ط ١ (القاهرة: ١٩٨٥)، ج ١.
- ٢٩- مهران ، محمد بيومي ، مصر منذ قيام الملكية وحتى عصر الدولة الحديثة، ج ٢ (الإسكندرية: ١٩٦٧).
- ٣٠- _____ ، محمد بيومي ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، حركات التحرير في مصر القديمة، ط ١ (مصر: دار المعارف، ١٩٧٦)
- ٣١- نور الدين ، عبدالحليم ، مواقع ومتاحف الآثار المصرية، بلاط (القاهرة: ١٩٨٠)، ج ٦.
- المصادر الأجنبية

1- Gardiner, The scriptions of mes, lipzik, 1950.

2- James K. Hoffineier, Military (matevial); The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt; II Cairo, 1993.

دور العراقيين في الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠

أ.م.د. صفاء كريم شكر

عامر رحيم حسن

المقدمة

خضعت البلاد العربية طوال قرون عدة للسيطرة الأجنبية، ولاسيما السيطرة العثمانية التي تعد من حقب الاحتلال الأجنبي للوطن العربي على مدى التاريخ، وقد عان الشعب العربي خلال هذه الحقبة من مختلف نواحي الحرمان والظلم، وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي نادى بها المثقفون العرب لإقناع الدولة العثمانية بإصلاح الأوضاع الشاذة، غير أنها لم تعرهم اذناً صاغية، فما كان منهم سوى الانخراط بالعمل السياسي المعارض من أجل نيل حقوقهم المسلوبة، فألفوا العديد من الجمعيات والنوادي لهذا الغرض، غير أن ذلك جعل العثمانيين يزدادون ظلاماً وعنفاً تجاه العرب الذين رفعوا أصواتهم للمناداة بالحرية والاستقلال.

ولذلك، لم يبق أمام العرب من سبيل سوى الثورة بوجه العثمانيين فقرروا التحالف مع بريطانيا في حربها ضد العثمانيين مقابل نيل حقوقهم واستقلالهم، وبالفعل أعلنوا ثورتهم وانتصروا وحرروا الحجاز والشام، وشكلوا أول حكومة عربية في دمشق في العصر الحديث، لذلك اخترت موضوعي الحكومة العربية في دمشق ودور العراقيين فيها ١٩١٨-١٩٢٠ .

لقد ساهم العراقيون مساهمة فاعلة في هذا الانجاز التاريخي، سواء أكان ذلك في عملية التحرير، أم في إرساء قواعد الدولة وإداراتها، لكن سرعان ما نقضت بريطانيا وعودها، وتخلت عن العرب الذين مازلوا في المراحل الأولى من تكوين دولتهم، لصالح فرنسا الحليفة القوية، التي كانت لها أطماع في بلاد الشام، فعمدت الأخيرة إلى خوض معركة غير متكافئة مع الجيش العربي إلا وهي معركة ميسلون ودخلت على أثرها دمشق في تموز ١٩٢٠، وأسقطت حكومتها.

وفي الواقع، إن العراقيين كانوا أصحاب دور كبير في الحكومة العربية في دمشق وعلى مختلف الأصعدة، ولولا عامل الوقت لاستطاعت هذه الحكومة أن تكون من مضامير الحكومات المتقدمة في المنطقة، غير أن ذلك لم يمنعهم من النظر صوب بلدهم العراق الذي كان يخضع لاحتلال بريطانيا، فقد قاموا بمحاولات سياسية وعسكرية عدة لنيل حقوق بلدهم وهم لا يزالون في سوريا، غير أن هذه المحاولات وأن لم تثمر عن شيء، فقد كان لها تأثيرها الكبير في استنهاض همم العراقيين ودعوتهم للجهاد ضد المحتل، وتحرير بلدهم.

ومن فرضية هدف البحث:

- ١- بيان ظروف تأسيس الحكومة العربية في دمشق والمشاكل التي مرت بها بشكل علمي ومحايد، فعلى الرغم من نقص الإمكانيات والخبرة وقصر المدة (الثلاثين من أيلول ١٩١٨ - الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠).
- ٢- محاولة التعريف بدور العراقيين في الحكومة العربية في دمشق المغبون وغير الواضح في بعض المصادر من خلال تتبع سير الأحداث تاريخياً وتحليلها تحليلاً مركباً وتحديد أهدافها لكي يمكن الوصول الى استنتاجات تتعلق بشكلها وتحدده.
- ٣- توضيح الأوضاع السياسية العامة السائدة في تلك المدة في مرحلة مهمة من مراحل تاريخ العرب الحديث.
- ٤- تبيان الايجابيات والسلبيات التي رافقت تأسيس الحكومة العربية في دمشق.
- ٥- الإجابة عن سؤال كيف واجهت الحكومة العربية في دمشق التحدي الغربي؟! وماهي وسائل تصديها لذلك التحدي وكيف أدار السياسيون والدبلوماسيون العراقيون في حكومة فيصل التفاوض مع الدبلوماسيين الغربيين؟. لقد استخدمنا المنهجية التاريخية في رصد وتتبع الأحداث وتحليلها.

أولاً: الجذور التاريخية للعراقيين في الحكومة العربية في دمشق:

أثبتت تجارب التاريخ أن فهم الدور السياسي لأية شخصية فهماً متكاملاً لا بد من أن يسלט الضوء ساطعاً على البيئة الاجتماعية كون الإنسان ابن بيئته، يتأثر بها، ويؤثر فيها. وبتعبير أدق، أن الدور السياسي هو انعكاس للأوضاع الاجتماعية التي يعيشها الإنسان منذ طفولته وصباه، وتأثير ذلك، على تفكيره وتعليمه فيما بعد.

ارتقى سلم الحكومة العربية في دمشق العديد من الرجال الذين أسهموا بصورة أو بأخرى في دفع عجلة التقدم وبناء الدولة الحديثة في سوريا، متعاونين مع الملك فيصل الأول في هذا الشأن، وكان من بينهم العديد من الضباط الذين شاركوا بالثورة العربية ومنهم من كان على علاقة بالأمير فيصل خلال قيادة الأخير للقوات العربية ضد العثمانيين، أمثال نوري السعيد، الذي ولد عام ١٨٨٨ من أسرة متوسطة فكان أبوه موظفاً في دائرة الأوقاف ببغداد في العهد العثماني، انخرط نوري السعيد في السلك العسكري منذ كان عمره ثماني سنوات فدخل المدرسة الرشدية والعسكرية ثم دخل الإعدادية العسكرية في بغداد عام ١٨٩٩، ثم شد الرحال إلى اسطنبول فدخل كليتها الحربية في مطلع عام ١٩٠٣، والتحق بكلية الأركان في اسطنبول عام ١٩١١^(١).

كان أحد أعضاء جمعية العهد التي أسست في اسطنبول عام ١٩١٣، والتي كان هدفها حصول العرب على نصيب أوفر في إدارة الدولة، ولكون الشكوك أخذت تحوم حول أعضاء هذه الجمعية^(٢)، اضطر إلى مغادرة اسطنبول متجهاً نحو القاهرة قبل اكمال دراسته في كلية الأركان^(٣)، وعندما احتلت القوات البريطانية البصرة في الثالث والعشرين من تشرين الثاني ١٩١٤، وقع نوري السعيد بالأسر، وأرسل الى الهند^(٤)، وعندما أعلن الشريف حسين، ثورته في الحجاز كان نوري السعيد أحد الضباط الذين شاركوا في هذا الجيش وبدخول الجيش العربي لسوريا في تشرين الأول ١٩١٨، أصبح نوري السعيد مرافقاً للأمير فيصل^(٥)، وكان مؤمناً بالقضية العربية ولكنه في الوقت نفسه كان مدركاً لضعف العرب الأمر الذي دفعه لتوطيد علاقته

بالبريطانيين^(٦)، فكان " صديقاً قديماً ومتعباً" لهم على حد وصف إحدى الوثائق البريطانية^(٧)، وبسبب هذه الصداقة اتهم " بالخيانة"^(٨).

ومن الوطنيين الذين كان لهم دور كبير في الثورة العربية وتحرير سوريا جعفر العسكري، الذي امتاز بتوجهه القومي، ولد في بغداد عام ١٨٨٥، أكمل دراسته الثانوية في بغداد والموصل عام ١٩٠١، دخل المدرسة العسكرية في بغداد وبعد تخرجه فيها شد الرحال إلى اسطنبول فتخرج فيها ضابطاً برتبة ملازم عام ١٩٠٤ وهو لم يبلغ العقد الثاني من عمره^(٩)، وشارك كضابط في الجيش العثماني في الكثير من الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية في جبهات عدة، وفي عام ١٩١٧ التحق بالثورة العربية، وعين قائداً للجيش الشمالي واستمر في المنصب حتى تحريرهم دمشق عام ١٩١٨^(١٠).

وياسين الهاشمي الذي ولد في بغداد عام ١٨٨٢، وتخرج في المدرسة الحربية ملازماً في اسطنبول عام ١٩٠٢، ثم تدرج في المناصب العسكرية وشارك في جبهات عديدة كضابط في الجيش العثماني، وعند تشكيل الحكومة العربية في سوريا عُين رئيس أركان لحاكم سوريا العسكري ثم رئيساً لديوان الشورى الحربي^(١١).

وعلي جودت الأيوبي الذي ولد في الموصل عام ١٨٨٨^(١٢)، ودرس في مدارسها ومنها عرج إلى بغداد فدخل المدرسة الإعدادية العسكرية وتخرج فيها ضابطاً^(١٣)، شارك بالحرب العالمية الأولى كضابط برتبة ملازم ثانٍ في الجيش العثماني كما شارك في محاربة البريطانيين بعد احتلالهم للعراق، فوقع في الأسر ونفي إلى الهند^(١٤)، وعندما أعلن الشريف حسين ثورته في الحجاز في العاشر من حزيران عام ١٩١٦، التحق علي جودت بصفوفها وبسيطرة القوات العربية على سوريا عين حاكماً عسكرياً لمدينة حلب فحاكماً في البقاع ومديراً للأمن العام^(١٥).

أما طه الهاشمي الذي ولد في بغداد عام ١٨٨٨، ونشأ وترعرع فيها^(١٦)، فقد التحق بالمدرسة الإعدادية العسكرية في بغداد وتخرج فيها^(١٧)، ومن بغداد رحل إلى اسطنبول فدخل المدرسة العسكرية عام ١٩٠٣، وفي عام ١٩٠٦ تخرج ملازماً ثانياً،

اشترك في العديد من الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية كضابط من ضباطها^(١٨)، وبعد تشكيل الحكومة العربية في دمشق عُين مديراً للأمن^(١٩).

وجميل المدفعي الذي ولد في الموصل عام ١٨٩٠، دخل الاعدادية العسكرية عام ١٩٠٣ وتخرج منها ١٩٠٦، وكان أحد أعضاء جمعية العهد السرية في اسطنبول^(٢٠)، شارك في الثورة العربية فتولى قيادة المدفعية واتخذهُ الأمير فيصل مشاوراً عسكرياً له^(٢١)، وكان جميل المدفعي يحظى بثقة الملك فيصل الأول، وكان يستعين به في أوقات الأزمات^(٢٢).

ومن الضباط العراقيين مولود مخلص الذي ولد في الموصل عام ١٨٨٥، ثم دخل المدرسة الإعدادية الأميرية وهو ابن عشر سنين^(٢٣)، ومنها توجه شطر بغداد فدخل المدرسة الإعدادية العسكرية وتخرج فيها^(٢٤)، عام ١٩١٠ برتبة ضابط خيال^(٢٥)، انضم مولود مخلص إلى جمعية العهد عام ١٩١٣، وكان من أوائل الذين اشتغلوا بالقضية العربية في الموصل، على الرغم من الأساليب التعسفية التي اتبعها الاتحاديون^(٢٦)، وعندما أعلن قيام الثورة العربية أبلّى فيها بلاءً حسناً^(٢٧) وعند فتح دمشق أصبح آمراً للفرقة الثانية في حلب، وعندما اشتعلت نار الثورة العراقية الكبرى لم يتوان عن نصرته أهله في العراق فأخذ يحرض العشائر العراقية ضد قوات الاحتلال البريطانية^(٢٨).

وناجي شوكت الذي ولد في بغداد عام ١٨٩١، تلقى تعليمه في اسطنبول فأصبح ضابط احتياط، التحق بالشريف حسين بن علي بعد قيام الثورة العربية، وانخرط في الجيش الذي يقوده الأمير فيصل^(٢٩)، تدرج في المناصب الإدارية خلال الحكم الوطني^(٣٠)، ونال إعجاب الملك فيصل ورافق "بركاب الملك بلا قيد أو شرط"^(٣١)، وصفت علاقته بالبريطانيين بأنها "ودية"^(٣٢).

ومن الضباط العراقيين تحسين علي الذي ولد في عام ١٨٩٠، تلقى تعليمه في بغداد واسطنبول، شارك في حرب البلقان ، وكذلك في الثورة العربية، فكان قائداً لفوج في الجيش العربي في حلب^(٣٣).

ومحمد شريف الفاروقي الذي ولد في الموصل عام ١٨٩١، ينتمي إلى أسرة العمري المعروفة تخرج برتبة ضابط مشاة في الكلية الحربية في اسطنبول، انتمى إلى جمعية العهد، اعتقله الأتراك في حلب، ولما أطلق سراحه، أرسل إلى جبهة القتال في تركيا، اشترك في الثورة العربية الكبرى، عين ممثلاً للشريف حسين في القاهرة^(٣٤).

وتحسين العسكري الذي ولد في بغداد عام ١٨٩١، تخرج في الكلية الحربية في اسطنبول برتبة ملازم ثانٍ عام ١٩١٢، بدأ حياته ضابطاً في الجيش العثماني، ثم التحق بالقوات العربية في دمشق عام ١٩١٨^(٣٥).

أما إبراهيم الراوي الذي ولد في الرمادي عام ١٨٩٥ ، فهو من دعاة القومية العربية، تخرج في الثانوية العسكرية في بغداد، ثم في الكلية العسكرية في اسطنبول عام ١٩١٤، شارك مع الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى، التحق بالثورة العربية عام ١٩١٦^(٣٦).

ومن الضباط العراقيين اسماعيل نامق الذي ولد في الموصل عام ١٨٩٢، تخرج برتبة ملازم ثانٍ في الكلية العسكرية في اسطنبول عام ١٩١٢، انضم إلى الأمير فيصل عام ١٩١٧^(٣٧).

وحسن غصيبة الذي ولد في ديالى عام ١٨٨٨، تخرج في مدرسة العشائر في اسطنبول ودرس الحقوق وكان من الداعين الى فكرة الاستقلال، التحق بجيش الثورة العربية وعينه الشريف حسين سكرتيراً شخصياً له^(٣٨).

ومن الضباط العراقيين محمود سلمان الذي ولد في بغداد عام ١٨٩٩، تخرج في المدرسة العسكرية في اسطنبول عام ١٩١٦، التحق بالجيش العربي في سوريا عام ١٩١٨^(٣٩).

ورؤوف البحراني الذي ولد في بغداد عام ١٨٩٧، تلقى تعليمه في مدارس بغداد وهو من أسرة تمارس التجارة، شارك في الثورة العربية فكان أحد ضباطها و شارك في تحرير دمشق^(٤٠).

ومن الضباط العراقيين بكر صدقي الذي ولد في بغداد عام ١٨٩٠، تخرج في الكلية العسكرية في اسطنبول عام ١٩٠٨^(٤١)، وشارك في تحرير سوريا عام ١٩١٨^(٤٢)، وعين آمراً للواء الخيالة^(٤٣).

وصلاح الدين الصباغ الذي ولد في الموصل عام ١٨٩٩، تخرج في المدرسة الحربية في اسطنبول برتبة وكيل ضابط عام ١٩١٥، انضم إلى جمعية العهد، التحق مع الجيش العربي في دمشق وشارك في تحرير حلب عام ١٩١٨^(٤٤).

ومن الضباط العراقيين محمد فهمي سعيد، ولد في الموصل عام ١٨٨٩، تأثر بالأفكار القومية العربية، حاز على رتبة ملازم ثانٍ عام ١٩١٦، التحق بالجيش العربي في سوريا عام ١٩١٨^(٤٥).

ورشيد الهاشمي الذي ولد في بغداد عام ١٨٩٦، التحق بالثورة العربية منذ بدايتها ثم رحل إلى القاهرة فدمشق، حيث عمل في مجمعها العلمي ثم عاد إلى بغداد وعمل في الصحافة، وكان شاعراً له قصائد منشورة في الجرائد المحلية كالاستقلال والطريق^(٤٦).

أما إبراهيم كمال الذي ولد في بغداد عام ١٨٩٥، فأصبح ضابطاً في الجيش التركي، ثم التحق بالثورة العربية في الحجاز والشام، عمل مع الأمير فيصل في سوريا^(٤٧).

ومحمد نظيف الشاوي الذي ولد في بغداد عام ١٨٨٧، تخرج في الكلية الحربية عام ١٩٠٦، نال رتبة رائد عام ١٩١٥، شارك في تحرير سوريا^(٤٨).

ومن الضباط العراقيين امين العمري الذي ولد في الموصل عام ١٨٨٩، تخرج في الكلية الحربية عام ١٩٠٥ ثم التحق بمدرسة المدفعية في اسطنبول وتخرج فيها

برتبة ملازم ثانٍ عام ١٩٠٩ شارك مع جميل المدفعي في حملات دير الزور وتلعفر^(٤٩).

وصبيح العزي الذي ولد في بغداد عام ١٨٩٢، ودرس في مدارسها، ثم رحل إلى اسطنبول وانتمى إلى المدرسة العسكرية فتخرج فيها ضابطاً برتبة ملازم ثانٍ واشترك في حرب القفقاس ١٩١٣، وبعد قيام ثورة الشريف حسين التحق بها فاعتقلته بريطانيا في بغداد عام ١٩١٧، ثم تمكن من الهرب والتحق بالجيش العربي في سوريا عام ١٩١٩ وانضم إلى حاشية الملك فيصل^(٥٠).

ومن الضباط العراقيين حسام الدين جمعة، الذي ولد في عام ١٨٩٨، وتخرج في المدرسة الحربية في اسطنبول صنف مدفعية وعمل في صفوف الجيش العثماني، ثم التحق بالجيش العربي، ومنح وسام الاستقلال من حكومة سوريا لاشتراكه بتحرير دمشق عام ١٩١٨^(٥١).

لم يقتصر دور العراقيين في الحكومة العربية في سوريا على العسكريين حسب بل شمل أيضاً المدنيين. ومن الموظفين الإداريين الذين التحقوا بالحكومة العربية في دمشق عارف حكمت^(٥٢)، وعرف باشتراكه بالحركة الوطنية في بغداد قبل إعلان الثورة العراقية الكبرى، فساهم مع مجموعة من رفاقه في تأليف الجمعيات التي شكلت لمساندة القضية العراقية كجمعية العهد العراقي^(٥٣).

وسامي شوكت الذي ولد في بغداد عام ١٨٩٣، وفيها أكمل دراسته الأولية ورحل إلى اسطنبول ودرس الطب وتخرج بالمدرسة الطبية عام ١٩١٦، والتحق بالجيش العثماني، وبعد هزيمته التحق بالجيش العربي في سوريا عام ١٩١٩^(٥٤).

وتوفيق السويدي الذي ولد في بغداد عام ١٨٩٠، درس الحقوق في اسطنبول ثم في جامعة السوربون في باريس، عمل أستاذاً في كلية الحقوق السورية، مثل العراق في المؤتمر العربي في باريس عام ١٩١٣، ورجع إلى اسطنبول فانخرط في سلك الوظائف الحكومية، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، شارك فيها إلى جانب

الجيش العثماني كضابط احتياط، ثم انضم إلى الحكومة العربية في سوريا، وأصبح رئيساً للمؤتمر العراقي الذي عقد في دمشق عام ١٩٢٠^(٥٥).

ومن العراقيين ناجي السويدي الذي ولد هو الآخر في بغداد عام ١٨٨٣^(٥٦)، الذي ينحدر من أسرة فاضلة أحببت العلم، وقد درس في مدارس بغداد، ومنها رحل إلى اسطنبول ليتزود بمزيد من المعرفة، فأظهر تأثره بالحركة الفكرية وحركة التجدد، وعندما أعلن الدستور عام ١٩٠٨ وقف في أحد شوارع اسطنبول خطيباً بجموع المحتشدين مبشراً إياهم بعهد جديد^(٥٧)، وبعد تخرجه في كلية القانون في اسطنبول تسلم العديد من المناصب الإدارية في عهد السيطرة العثمانية^(٥٨)، عين عام ١٩١٨ وكيل الحاكم العسكري في حلب^(٥٩). وقد وصفته إحدى الوثائق البريطانية بأنه "سياسي لبق متمرس"^(٦٠). كما ورد وصفه في وثيقة أخرى بأنه : " يتمتع بشعبية كبيرة ، وله سمعة طيبة في الصدق والأمانة"^(٦١).

فضلاً عن هؤلاء الضباط البارزين هناك عدد غير قليل منهم تقلدوا مناصب في الحكومة العربية في دمشق، إلا أن الدراسات الأكاديمية والمذكرات الشخصية لم تسلط الأضواء كفاية على هؤلاء وبقيت المعلومات مبتورة غير كاملة عنهم ومثال هؤلاء عبد الغفور البدري، ومحمد حلمي، وعلي رضا الغزالي، وموفق كامل، وإسماعيل الصفار، ومحي الدين السهروردي، وعبد الرزاق الخواجة، وعبد الرحمن شرف، ويحيى الموصلي، وإبراهيم أدهم، ويوسف العزاوي، ومحمد زكي البصري، ونوري فتاح، وعبد الحميد الشالجي، ومهدي الرحال، ورشيد معروف الانكورلي، وشاكر محمود، وعبد الوهاب الشخيلي، وعبد الله الدليمي، وحמיד الشالجي، وعبد اللطيف النوري، وحامد الوادي وداود صبري، ورشيد المدفعي، وحسن معروف، ورشيد خماس، ومصطفى الشخيلي، وسعيد يحيى، ومصطفى التكرلي، وثامر السعدون وغيرهم^(٦٢).

وفي الواقع، فأن العراقيين المذكورين اشتركوا في الثورة العربية الكبرى، وتحرير دمشق وكانت مشاركتهم فاعلة، ضربوا خلالها أروع الأمثلة للتضحية والبسالة من أجل نصره القضية العربية.

وهكذا نرى للخلفية العسكرية والإمكانية الإدارية الكفوة والنزاهة التي جعلت من العراقيين كفؤين في تحرير البلاد العربية وإدارتها وبناء حكومة عربية كتجربة جديدة وشجاعة وجريئة في المنطقة العربية، كان لها الأثر الواضح في انبعاث روح الأمل لتحرير الشعوب العربية بعد قضاء عهد من الاستعمار.

ثانياً:- دور العراقيين من القضية العربية ١٩١٨ - ١٩٢٠:

شرع الضباط العراقيون، في انشاء الجيش العربي النظامي، فألفوا فوجي مشاة، وفوج رشاش، وبطرية مدفعية^(٦٣)، وبعد ان أخذت افواج المتطوعين من الضباط والجنود العرب تتوافد على الحجاز، وازداد عددهم، حيث كان الجيش العربي قبل تأسيس الحكومة العربية يتكون من الأقسام الآتية:-

١- الجيش الشمالي، ومقره غربي المدينة المنورة بقيادة الامير فيصل، ومستشارة مولود مخلص، ويرأس الضباط العراقيون معظم وحداته ابرزهم رشيد البغدادي.

٢- الجيش الشرقي: وكان مقره (وادي العيص) بقيادة الامير عبد الله^(٦٤)، ومن الضباط العراقيين فيه محمد حلمي.

٣- الجيش الجنوبي في رابغ بقيادة الامير علي^(٦٥) ورئيس أركانه العقيد نوري السعيد، ومدير ادارته المقدم علي جودت الايوبي، وقد تولى الضباط العراقيون امرية معظم وحداته^(٦٦).

وعندما وصل عزيز علي المصري^(٦٧) الى الحجاز، اخذ مكان نوري السعيد وعين الأخير رئيساً لأركان حرب الجيش، وفي تلك المدة عمل الجنود الاتراك الذين استسلموا للثورة على اثاره الجنود العرب ضد الشريف حسين، فكانوا يقولون لهم "كيف

ولماذا يأخي المسلم تحارب اخاك المسلم جنباً لجنب مع البريطانيين الكفار؟"، ولذلك ادرك نوري السعيد خطورة هؤلاء على مجرى الثورة فأمر بجمعهم وايداعهم في معتقل خاص وتشديد الحراسة عليهم، لكي يمنع تأثيرهم على الرأي العام في جدة وعلى الجنود العراقيين فيها^(٦٨).

قام الشريف حسين بابعاد عزيز علي المصري عن موقعه، ونقل نوري السعيد الى الجيش الشرقي الذي كان بقيادة الامير عبد الله بن الشريف حسين^(٦٩)، وقد رحب الامير عبد الله بنوري السعيد ومنحه لقب باشا، وعينه رئيساً لاركان جيشه، وباشر نوري السعيد بتنظيم الجيش رغبة منه في ايجاد قوة نظامية حديثة تستطيع مجابهة الاتراك^(٧٠).

ومما سبق يبدو واضحاً، ان الضباط العراقيين كانوا يشكلون الركائز الاساسية في الجيش العربي، فقد تبوأوا المناصب القيادية فيه وهذا انما يدل على كفاءتهم وقدراتهم العالية على خوض المعارك القتالية، واخلاصهم لقضيتهم التي يحاربون من اجلها.

وفي اذار ١٩١٧، التحق بالجيش العربي الضابط العراقي جعفر العسكري، فسرت لذلك موجة من الارتياح في نفوس القوات العسكرية لما كان يتمتع به جعفر العسكري من مكانه وسمعة جيدة، وأشار لورنس الى ان التحاق العسكري بالجيش العربي "بمثابة نجدة ضخمة لنا" ويعني هنا نصراً للقضية العربية، وقد ادى انضمام جعفر العسكري للجيش العربي الى انضمام عدد كبير من الجنود والضباط، كما ان انضمامه يعد خسارة للعثمانيين الذين فقدوا قائداً من قوادهم، فضلاً عن الجانب المعنوي الكبير لالتحاق ضابط برتبة لواء الى جيش عدوهم^(٧١).

ومهما يكن من امر، فإن جعفر العسكري عين فور وصوله الى الحجاز قائداً للجيش الشمالي الى جانب الامير فيصل، وعين نوري السعيد رئيساً لأركانها بعد نقله من الجيش الجنوبي، وشرع جعفر في توسيع تشكيلات الجيش الشمالي وتوسيع

اعماله العسكرية ضد العثمانيين، فاحتل الوجه في بداية عام ١٩١٧، وضرب اجزاء من السكة الحديدية ومحطاتها في مواضع عدة^(٧٢)، وقد قام الامير فيصل بتعيين مولود مخلص حاكماً عسكرياً في الوجه، وطلب منه العمل على تنظيم الامن وضبطه في المدينة التي اصبحت مقراً للجيش العربي الشمالي، وقاعدة لهجمات القوات العربية، وقد تمكن مولود مخلص من ضبط المدينة خلال مدة وجيزة^(٧٣)، وفي السادس من تموز ١٩١٧، احتل الجيش الشمالي العقبة التي اصبحت منطلقاً لتحرير المدن السورية^(٧٤).

فضلاً عن ذلك، فقد اعيد تنظيم الجيش الشمالي بعد وصول المتطوعين من ضباط ومراتب ممن تركوا الخدمة في الجيش العثماني او ممن اسرتهم القوات البريطانية بعد احتلال بغداد في اذار ١٩١٧، وكان غالبيتهم من العراقيين ومن هؤلاء الضباط، اسماعيل نامق، وحسن غصيبة، وحמיד الشالجي، وجمال علي، وشاكر محمود، وشاكر الشخيلي، وجميل الراوي، وعبد الكريم شاه، ونظيف الشاوي، وحسام الدين نعمة جمعة، وابراهيم الشاوي، وبرقي العسكري، وحسن وفقى، وقاسم راجي، وعزت عمش اغا، وخالد السليمانى، وعبد الرحمن شرف، واحمد ناجي الباجه جي، وحמיד الهاشمي، وطاهر محمد عارف، والشيخ عبد الجبار، وسعيد يحيى الخياط، وعبد المجيد حسون الشخيلي، وعبد الرزاق وهيب، وشفيق الحيدر، واسماعيل صبري، وسليمان سرور، وعبد الله صالح، وعبد الغفور البدرى، وثابت عبد النور^(٧٥)، وناجي شوكت، ورفع شوكت، وحمدى صدر الدين، وابراهيم كمال، وبهاء الدين نوري، وعبد المجيد الهاشمي، وجمال بابان، واحمد رمزي، وبهجت الكروي، وتحسين علي، وعلاء الدين جواد، ويوسف عز الدين، وأشرف احمد وكان عددهم يزيد على الالف متطوع^(٧٦).

ونتيجة لهذه الزيادة الكبير في المتطوعين العراقيين، عمد جعفر العسكري الى توسيع تشكيلات الجيش الشمالي، فأصبح في نهاية ١٩١٧ وبداية عام ١٩١٨ يتألف

من فرقتي مشاة، تضمان اربعة الوية، وهي لوائي العقبة الاول والرابع ومقرهما العقبة، ولواء الكوير، واللواء الهاشمي، فضلاً عن لواء (كتيبة) مدفعية، ووحدة نقلات (بغالة)، ووحدة هجانة، وقد تسلم العراقيون المراكز العليا في التنظيم الجديد، فأصبح الفريق جعفر العسكري قائداً عاماً للجيش، والرئيس (نقيب) عبد الله الدليمي مرافقاً للأمير فيصل، والعقيد نوري السعيد رئيساً للاركان، والزعيم (العميد) عبد الوهاب الشيخ محمود مديراً للإدارة واللوازم (الشؤون الادارية)، وعهدت قيادة الفرقة الأولى الى العقيد حسن وقفي، فيما تسلم اسماعيل نامق رئاسة اركان الفرقة الاولى، واصبح تحسين علي آمراً للواء الاول، فيما عهد بقيادة الفرقة الثانية الى العميد قاسم راجي، واركان حربه ناجي شوكت، وأسندت امرية اللواء الرابع الى المقدم خالد السليمان، بينما اصبح مولود مخلص آمراً للواء الهاشمي، والرئيس جميل المدفعي آمراً للواء المدفعية^(٧٧).

بعد اتمام عملية تنظيم قوات الجيش التي قام بها القائد جعفر العسكري، انيطت الى اللواء الثاني مهمة تحرير القويرة، في حين اسندت مهمة تحرير وادي موسى^(٧٨) الى اللواء الهاشمي بقيادة مولود مخلص^(٧٩)، وقد تمكن هذا اللواء من الحاق خسائر فادحة في صفوف العثمانيين على الرغم من ان قوتهم العسكرية كانت ضعف القوة العربية، وقد اشاد جعفر العسكري بدور مولود مخلص في هذا الانتصار حين ذكر في مذكراته "ولا انسى هنا ما ابداه مولود مخلص من صبر وثبات"^(٨٠)، كما اثنت صحيفة القبلة (الصحيفة الرسمية في الحجاز) على مولود مخلص وتدابيره العسكرية الصائبة وشجاعته وبسالته، وقد اقيم احتفال تكريمي بهذه المناسبة ونشرت الصحيفة تفاصيل هذا الاحتفال تحت عنوان "الاحتفال بالقائد مولود مخلص" قالت فيه "الضابط العربي الذي يبيض وجه امته بوقائعه الحرية البطولية ولا سيما واقعة وادي موسى"^(٨١).

بعد الانتصارات الكبيرة للجيش العربي اخذ يتطلع لفتح ميادين جديدة لتحرير الاراضي العربية كافة من السيطرة العثمانية، فقد قام جعفر العسكري بتجهيز حملة من ثلاثة ارتال زحفت في وقت واحد من القويرة، الاول باتجاه الطفيلة، والثاني بقيادة نوري السعيد باتجاه جرف الدراويش، والثالث باتجاه الشوبك، وقد حققت الحملة اهدافها، بعد ان تمكن نوري السعيد من السيطرة على محطة جرف الدراويش بين عمان ومعان، بينما تمكن الرتلان الاخران من دخول الطفيلة في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩١٨، وقد كان انتصار العرب في الطفيلة شرق الأردن من الانتصارات الكبيرة التي احرزها الجيش الشمالي^(٨٢)، وأسهم فيها الضباط العراقيون إسهاماً فاعلاً، فاستحقوا احترام قادة الثورة وتقديرهم، كما جاء في برقية بعث بها الامير فيصل الى ابيه في السادس من شباط ١٩١٨، ووصف فيها مجريات القتال التي جرت في الطفيلة، وتضمنت اشادة بالضابط العراقي عبد الله الدليمي بشكل خاص لما ابداه من بسالة واقدام في المعركة وطلب ترقيته الى رتبة اعلى^(٨٣)، كما وصفه الامير زيد في مذكراته بأنه "ضابط عراقي ابلى في المعارك بلاءً عظيماً"^(٨٤).

فضلاً عن ذلك، فقد اشاد لورنس بشجاعة مولود مخلص ورجاله حين قال "اننا مدينون كثيراً لهم، ومدينون اكثر الى مولود الذي يرجع اليه الفضل في تثبيت رجاله في مراكزهم لما عرف عنه من اخلاق عربية ووطنية.... لقد كانت له شخصية قوية مكنته من السيطرة على رجاله، كما كان قوي البنية اذ استطاع أن يمضي ثلاثة فصول شتاء بالقرب من معان مع رجاله الذين يبلغ عددهم خمسمائة محارب"^(٨٥).

استمرت قوات الجيش العربي بالتقدم صوب الشمال، وتقرر مهاجمة معان، وبالفعل فقد دارت معركة قوية مع العثمانيين، وكان مقررًا أن تقوم المدفعية الفرنسية بإسناد القوات العربية، الا ان هذا لم يحدث مما ادى الى وقوع خسائر كبيرة في صفوف الجيش العربي، كان ضمنهم عدد من الضباط العراقيين، ومنهم ابراهيم كمال وعبد الحميد الهاشمي وآخرون^(٨٦)، كما اعدت حملة اخرى وهي الحملة الثالثة للهجوم

على محطة الجردوتة، اذ تكلفت الاولى بنجاح، بينما لم تسفر الثانية عن شيء، وقد قسم نوري السعيد هذه الحملة الى ثلاث ارتال، الاول الشرقي بقيادة رشيد علي البغدادي، والثاني الجنوبي بقيادة الرئيس الاول تحسين علي، والثالث الغربي بقيادة المقدم طاهر يوسف، وكان الاتراك قد اعدوا تحصين المحطة بصورة جيدة، وازدادت قواتهم، وجهزوا قواتهم بالمدافع السريعة الطلقات^(٨٧)، وكان مقرراً ان تقوم الالوية العربية الثلاثة بالهجوم في وقت واحد، غير ان تقدم لواء رشيد علي قبل الوقت المحدد سبب كارثة، على الرغم من محاولة لوائي تحسين علي وطاهر يوسف تدارك الموقف، اذ ادى ذلك الى خسائر كبيرة في الجنود والضباط، قتل إثرها قائد اللواء الاول رشيد علي، وقائد اللواء الثاني طاهر يوسف، ويذكر نوري السعيد في مذكراته أن "نسبة الخسائر في الضباط عالية جداً، إذ قدرت بأكثر من ٦٠% في اللوائين بين جريح وقتيل"، وكان بين القتلى بهجة الكروي ورشيد المندلاوي، وبين الجرحى تحسين علي، وعدد من الضباط الشباب العراقيين^(٨٨).

هكذا، بذل العراقيون دماءهم الزكية التي تعدّ اغلى مايملكون من اجل تحرير البلاد العربية من هيمنة الاتراك، وهذا ان دل على شيء، فأنا يدل على ايمانهم الراسخ وعقيدتهم القوية تجاه القضية التي هم بصدد القيام بها.

على اية حال، استمر تبادل الهجمات بين العرب والعثمانيين دون التوصل الى انتصار حاسم لأحد الطرفين، ففي ايلول ١٩١٨ قام الجيش البريطاني بالتعاون مع الجيش العربي بهجوم كبير على شمال فلسطين ودرعا، لعزل الجيوش العثمانية عن مراكز امدادها وتموينها، وقد عهدت قيادة الحملة الى نوري السعيد، الذي اسند قيادة عناصر المشاة الى تحسين علي، وضمت الحملة علي جودت الايوبي وجميل المدفعي وحמיד الشالجي، فضلاً عن عدد من رجال القبائل، وقد تحركت الحملة من ابي اللسن في اواخر آب ١٩١٨، وفي الثامن والعشرين من أيلول، تمكنت القوات العربية من تحرير درعاً، واسرت من العثمانيين (خمسة وعشرين) ألفاً بين جندي

وضابط، كما تمكنت القوات البريطانية من تحرير فلسطين، بعد ذلك استمرت الاشتباكات مع القوات العثمانية المتراجعة بين درعا ودمشق، وفي فجر الاول من تشرين الاول ١٩١٨ تمكنت القوات العربية من دخول دمشق وتحريرها نهائياً من السيطرة العثمانية. (٨٩)

نرى مما تقدم أن العسكريين العراقيين كان لهم دور كبير وواسع وأساسي في جميع تشكيلات الجيش العربي، وشاركوا في جميع المعارك التي خاضوها ببسالة معبرين عن التلاحم المصيري بين ابناء الامة العربية الواحدة ، وكان لهم الدور القيادي البارز ولاسيما في الجيش الشمالي الذي بلغ تعدادة أكثر من ثمانية آلاف مقاتل، ولقد امتاز الضباط العسكريون العراقيون بدقة التنظيم ومهارة التدريب الدقيق، ضاربين اروع الامثلة في التضحية لأجل تحرير البلاد العربية ووحدتها واستقلالها، وصولاً لبناء حكومة عربية مستقلة تعد أملاً لشعوب المنطقة في التحرر والاستقلال وبناء دولة حديثة مدنية تضاهي الحكومات الغربية.

ثالثاً:- دور العراقيين في الحكومة العربية ١٩١٨- ١٩٢٠:

وصلت القوات العربية النظامية بقيادة نوري السعيد الى دمشق في الأول من تشرين الاول ١٩١٨، واستقبلت تلك القوات بالترحاب البالغ من قبل الاهالي، وكانت دمشق قد شهدت في الايام التي سبقت دخول القوات العربية بعض احداث النهب، وخشية من توسع هذه الاعمال طلب نوري السعيد من علي جودت اتخاذ اجراءات سريعة لحفظ الامن وتوزيع القوات على المركز المهمة، فأوكل علي جودت الى عبد الحميد الشالجي الذي تم تعيينه امراً عسكرياً لمدينة دمشق بقطع الطريق بوجه الجماعات التي تقوم بالسلب والنهب، وان يطلق النار على كل من يقوم بهذه الاعمال، فنفذ الشالجي الامر فوراً، وبذلك عم الهدوء في المدينة وفرض منع التجوال فيها. (٩٠)

وفي الواقع، ان تحرير دمشق لم يكن نهاية المطاف، فعندما دخل الامير فيصل الى دمشق اجتمع مع عدد من الزعماء البارزين والقادة لتدارس الاوضاع، وكان من بين هؤلاء نوري السعيد وياسين الهاشمي وعلي جودت الايوبي، ودرسوا خلال الاجتماع خطة لارسال قوات عربية تكمل تحرير بقية الاراضي السورية^(٩١)، لذلك تم تنظيم حملة عسكرية بقيادة علي جودت الايوبي، وزحفت هذه الحملة شمالاً فحررت حمص في الرابع عشر من تشرين الاول، ودخلت حماة بعد خمسة أيام، وهناك التحق بالحملة نوري السعيد وتولى قيادتها، وقد انضم عدد من الضباط العراقيين في هذه المدة الى الجيش العربي، ومنهم المقدم علي رضا العسكري واخوه تحسين العسكري والرئيس مهدي الرحال والملازم يوسف حنظل ويوسف العزاوي^(٩٢)، وشارك في الحملة الضباط العراقي محمود سلمان، الذي كان يشغل منصب امر ل احد فصائل السرية الثانية من الفوج الرابع^(٩٣)، وواصلت الحملة تقدمها نحو حلب فحررتها في الخامس والعشرين من تشرين الاول ١٩١٨، وتسلم الجيش العربي مقاليد الامور فيها، واستمرت القوات العربية بمطاردة القوات العثمانية شمال سوريا حتى اعلان الهدنة عام ١٩١٨^(٩٤)، وقد كان للضباط العراقي علي رضا العسكري دور هام في انجاح الحملة، اذ عمل على بث فكرة العروبة بين البدو والحضر، لعلاقاته الوطيدة مع عشائر حلب مما أسهم في اثارة تلك العشائر ضد الاتراك ومساعدتها للحملة اثناء دخولها لمدينة حلب^(٩٥).

وفي الواقع، فقد تولى العراقيون مناصب قيادية بارزة في الحكومة الجديدة، ولاسيما المواقع العسكرية، لكون الحكم كان عسكرياً عند تحرير سوريا، فقد عين جعفر العسكري حاكماً لعمان، وبقي فيها مدة شهرين، قام خلالها بتنظيم القوات والامن والادارة، ومن الضباط العراقيين البارزين الذين عملوا تحت قيادته في عمان قاسم راجي ورؤوف البحراني، ثم ترك فيها رشيد المدفعي امراً لحمايتها ، وغادر الى دمشق، فعين فور وصوله اليها مفتشاً للجيش العربي^(٩٦)، كما عين علي رضا العسكري حاكماً

عسكرياً مؤقتاً لحلب يعاونه في ادارة المدينة ناجي السويدي، وبعد مدة قصيرة، تولى حكم حلب شكري باشا الايوبي الذي ابعده السلطات الفرنسية عن حكم لبنان^(٩٧)، كما عين مولود مخلص قائداً للفرقة الثانية في حلب، وعين جميل المدفعي حاكماً عسكرياً على عمان، وجميل الوادي مشاوراً عسكرياً في حلب^(٩٨).

وعندما عين علي جودت الايوبي، حاكماً عسكرياً لمدينة حلب، قام بتسليم قيادة المفزة الشمالية الى قائد لواء الهجانة تحسين علي الذي عمل بدوره على استقطاب الكفاءات العراقية لتقوية لوائه وتنظيمه، لذلك عين بكر صدقي، الذي كان من صنف الخيالة معاوناً له، ليتولى مهمة تدريب الجنود والضباط على ركوب الخيل وقد حول اللواء الى لواء خيالة وسمي (لواء الفتح)^(٩٩)، وعين لقيادة الدرك علي رضا العسكري الذي هو شقيق جعفر العسكري، ولقيادة الموقع حميد الشالجي، كما عين موظفون مدنيون للإدارة المالية والصحة والبلدية^(١٠٠).

بعد ذلك، اضطرت الحكومة العربية الى تبديل حاكم ولاية حلب العسكري شكري باشا الايوبي، نتيجة للشجار الذي حدث بين مهاجري الارمن واهالي حلب، وعينت بدله جعفر العسكري حاكماً للولاية، وقد انحسرت مهمته في شؤون الجيش والامن العام، وكان يساعده في ادارة المدينة ناجي السويدي وقد اثبتا كفاءة في اداء واجباتهما^(١٠١)، كما عمل جعفر العسكري على وفق ما تقتضيه المرحلة السياسية، ووجه جهده باتجاه الاستقرار الداخلي، وحل الخلافات القائمة بين العشائر العربية من جهة، وما بينها وبين الحكومة من جهة اخرى، وكذلك ما بين العشائر والبريطانيين ولاسيما في منطقة دير الزور، اذ كان يسعى لاحلال الصلح والوئام بين القبائل ومساندة الاخيرة للوقوف بجانب الحكومة^(١٠٢).

استغلت فرنسا حوادث حلب لتحقيق اهدافها، وطلبت من بريطانيا اتخاذ الاجراءات التأديبية ضد اهالي حلب^(١٠٣)، ولذلك قام الجنرال هدسن (Hudson) قائد القوة البريطانية المرابطة في حلب باعتقال عدد من اشراف المدينة ووجوهها، وكان

عددهم ثمانية عشر رجلاً ، واثناء ذلك حاول علي جودت حل الاشكال، فأبلغ الجنرال مكندو (Mackendow) ضابط الارتباط البريطاني "ان هدف فرنسا اضعاف الحكومة العربية" وواضح استعداد الحكومة العربية لتأليف لجنة تحقيق لإظهار مسيبي الحادث، لكن موقف علي جودت من الاحداث، لم يرض الفرنسيين والبريطانيين ولذلك نحي عن حاكمية مدينة حلب، وعين حاكماً عسكرياً في البقاع في ايلول ١٩١٩^(١٠٤).

على اية حال، تمكن جعفر العسكري من تدارك الموقف، واستطاع ان يحسم الموضوع دون اراقة مزيد من الدماء، فاتفق مع الجنرال هدرس على ضرورة الافراج عن المعتقلين، وقد جاء ذلك بعد إلقاءه كلمة نصح على مسامع المعتقلين، بعدم تحريض الناس واخذ العهود منهم بعدم تكرار ذلك، ومن ثم اطلق سراحهم، وقد خفف ذلك كثيراً من التوتر الموجود في المدينة بين الارمن والمسلمين، واخذ الناس يراجعون الحكومة متى شعروا بحركة تدل على الاخلال بالنظام واغلاق راحة الاهالي^(١٠٥).

ومن ذلك الحين، توطدت اواصر التعاون بين جعفر العسكري واهالي حلب، اذ شعر الناس بالامان والطمأنينة في مدة حكمه لمدينة حلب، وما يدل على ذلك ماذكره جعفر العسكري في مذكراته حين قال "لم ابق في حلب التي امتدت من كانون الثاني عام ١٩١٩ إلى كانون الثاني ١٩٢٠، أكثر من عام واحد، ولكن العام ذلك كان من اعز الأعوام عليّ، وأجملها في حياتي، الا انني كنت في موقف اعزاز ومحبة بين الاهالي، وكان الجميع ينظرون الي نظرة اب شفيق اكثر من حاكم عسكري يسير بعنف وقوة، بلا مراعاة القوانين والانظمة، ومما لاشك فيه ان شعوري دائماً كان يتفق وشعور اكثرية السكان، وكانت الغاية المتوخاة تأسيس ادارة مدنية هي نشر العدل بين الناس"^(١٠٦).

فضلاً عن ذلك ، فقد كان جعفر العسكري يستغل كل مناسبة من اجل استنهاض الهمم لبناء الدولة الجديدة وتوطيد دعائمها بجهود ابنائها، وقد ذكر في احدى المناسبات "اني اعتقد بأن ما صنعناه أمام الاتراك، وماصنعتم انتم من ورائهم

ادى فقط إلى نيلنا الجزء الاول من خطتنا السياسية العظمى. رفعنا عن بلادنا سلطة الاتراك وجهرنا بمبادئ الاستقلال المنشود، غير ان ذلك العهد الذي كتبه علينا شهداؤنا في ساحة الحرب وفوق اعواد المشانق، وشيوخنا واطفالنا في احضان النفي والاضطهاد لايزال انجازه يستدعي جهداً وسعيّاً لا بد لنا من بذلهما، والا ذهب عملنا ادراج الرياح" (١٠٧).

وعندما الغيت حاكمية حلب في العشرين من نيسان ١٩٢٠، اصبح جعفر العسكري مستشاراً عسكرياً للملك فيصل، كما كلف بالمحافظة على حياته وحماية قصره وهذا دليل على ثقة الملك الكبيرة به، اذ ان مثل هذه المهام لا توكل الا لمن هو موضع ثقة كبيرة (١٠٨)، فضلاً عن ذلك، فقد اوكلت مهمة حراسة الملك فيصل الى الضابطيين العراقيين صلاح الدين الصباغ، وفهمي سعيد، وكان الاثنان من سرية الرشاشات التابعة لكتيبة الهاشمي (١٠٩)، كما اتخذ الملك فيصل من جميل المدفعي مشاوراً عسكرياً له، لثقته به، وكان يستعين به في اوقات الازمات (١١٠).

بعد تعيين علي جودت حاكماً عسكرياً للبقاع، ازدادت رغبة الفرنسيين بالسيطرة على هذه المنطقة، ولذلك عمل علي جودت على تعزيز قواته ووضعه في اماكن استراتيجية للدفاع عن المنطقة، وحينئذ اخبرته السلطات الفرنسية بضرورة انسحابه من المنطقة لانها تقع تحت الادارة الفرنسية، غير ان علي جودت رفض ذلك، واخبرهم بأنه سيتسلم اوامره من الحكومة العربية (١١١).

والظاهر ان الحكومة العربية لم تكن مستعدة للصدام مع الفرنسيين، فأوفدت نوري السعيد لزيارة المنطقة واتخاذ الاجراء الذي يراه مناسباً لمنع الصدام، فقام نوري السعيد بزيارة بعلبك والبقاع وطلب من علي جودت ابعاد قواته عن المنطقة التي يحتشد فيها الفرنسيون، مما دفع علي جودت الى سحب قواته من المنطقة وتسليمها للفرنسيين (١١٢).

وبعد عودة الأمير فيصل من أوروبا في ١٤ كانون الثاني عام ١٩٢٠، عين علي جودت وكيلاً لمدير الأمن العام، ومن ثم أصبح مديراً لها، للمدة من كانون الثاني وحتى شباط ١٩٢٠، ونقل بعدها ليكون معتمداً للحكومة العربية في بيروت^(١١٣)، وبعد وصول طه الهاشمي الى دمشق قادماً من اسطنبول عين مديراً للأمن العام في ايار ١٩٢٠، فضلاً عن قيادة قوات الدرك، وخلال توليه هذا المنصب، عمل في سبيل استتباب الأمن، كما عمل على تطهير هذا الجهاز من العناصر الفاسدة والحد من تدخلات المسؤولين فيه^(١١٤).

من جهة أخرى، فقد عين ياسين الهاشمي رئيساً لمجلس الشورى الحربي وهو منصب يعادل رئاسة اركان الجيش، واخذت قدرته العسكرية وحنكته السياسية والعسكرية تبرز للعيان، وأصبح مهيباً ومحترماً من قبل السوريين على اختلاف مذاهبهم، وقد أظهر ياسين الهاشمي مقدرة فائقة في تنظيم الجيش السوري بسرعة كبيرة فأدمج الجيش الحجازي مع الجيش السوري، وشكل منهما ثلاث فرق عسكرية الاولى في الشام ، والثانية في درعا، والثالثة في حلب^(١١٥)، كما عين ناجي شوكت مشاوراً حقوقيّاً في مجلس الشورى الحربي الذي يرأسه الهاشمي^(١١٦)، وتابع الأخير وباهتمام شؤون المدن السورية، فقد زار حلب، واطلع على مقدرة رجالها في ادارة شؤون المدينة، ثم زار حوران، واثنى على مسؤوليها، اذ لاحظ فرقاً في النظام والادارة والمصالح العمومية بين العهد العثماني والعهد الجديد، ثم زار عمان وفيها مركز القيادة في الجنوب، والتقى بعدد من القادة والمسؤولين واثنى على تفانيهم وإخلاصهم في خدمة الامة العربية^(١١٧)، وفي تشرين الاول ١٩١٩، كان اكثر من ثلاثمائة ضابط عراقي يعملون مع اخوانهم العرب في الحكومة العربية في سوريا بنشاط كبير^(١١٨).

ولما عقدت الاتفاقية بين لويد جورج وكليما نصو، في الثالث عشر من ايلول ١٩١٩، التي أنصت على " أن ينتهي جلاء القوات البريطانية عن سوريا في اليوم

الأول من تشرين الثاني ١٩١٩، فيسلم الجيش البريطاني عند هذا التاريخ الحاميات العسكرية في دمشق وحمص وحماة و حلب الى الأمير فيصل، بينما يسلم الحاميات الواقعة غربي خط اتفاقية سايكس- بيكو في سوريا الى الجيش الفرنسي^(١١٩) احتج العديد من ساسة البلاد على هذا الاجراء، وكان ياسين الهاشمي، من اشد الساخطين على هذا الاجراء، فقد ذكر "بأن الفرنسيين اذا طلبوا شبراً من سوريا فليس بيننا وبينهم الا السيف"، وقد حاول الجنرال سمث (smith) وهو جنرال بريطاني، اقناع الهاشمي بالموضوع غير ان الاخير اخبره "ان ليس للحكومة العربية تجاه هذا الامر الا الدفاع"، ونتيجة لموقف الهاشمي، دبر البريطانيون له مكيده، اذ وجهوا له دعوة لغرض المداولة، ولما ذهب اليهم قاموا باعتقاله وكان ذلك في الثالث والعشرون من تشرين الثاني ١٩١٩، وذهبوا به الى فلسطين^(١٢٠).

كانت اسباب اعتقال الهاشمي مختلفة، فمنها، انه خالف امر القيادة العامة بتحشيد القوات في البقاع، ومنها انه قام بمراسلة العثمانيين لوضع خطة مشتركة ضد الحلفاء، والسبب الأكثر قبولاً لاعتقاله، هو قيامه بالتحريض واعداد الخطط اللازمة للثورة على بريطانيا وحملها على تنفيذ وعودها للعرب، وما ان انتشر نبأ اعتقال الهاشمي بين الناس، حتى ثارت ثائرتهم واقفلت اسواق دمشق ونظمت الاحتجاجات وخرجت المظاهرات، واحتجت الصحف المحلية على بريطانيا، وقد بقي الهاشمي معتقلاً لمدة ستة اشهر، ثم تدخل الملك فيصل بوساطة جعفر العسكري لدى النبي بضرورة اطلاق سراحه، فأطلق سراحه في منتصف أيار ١٩٢٠^(١٢١).

واثر ذلك، احتج نوري السعيد على هذه الاتفاقية موضحاً ان العرب يمقتون الفرنسيين، لما يعانیه اخوانهم الراضخون للاحتلال الفرنسي في المغرب العربي، وقد جاء ذلك في اجتماع مع الكولونيـل ماينرتزهـاكن (Meiner tzhagen) احد كبار الضباط البريطانيين السياسيين في قيادة الجنرال النبي^(١٢٢).

رابعاً:- تطورات الموقف الفرنسي ومعركة ميسلون:

كان للعراقيين دور في الشؤون السياسية، اذ لم يقتصر دورهم على النشاط العسكري حسب، فعندما غادر الامير فيصل الى فرنسا لأجراء المفاوضات مع دول الحلفاء كان برفقته نوري السعيد، وقد ادى الأخير دوراً ملموساً في مؤتمر السلم في باريس، إذ دخل المؤتمر بصفة مساعد في احدى لجانه، وبقي في باريس لغاية اذار ١٩١٩، حينما ارسله فيصل الى سوريا، لشرح تطورات الموقف فيما يتعلق بالقضية العربية، وبعد قضاء مدة وجيزة في دمشق عاد نوري الى فرنسا في أواخر حزيران ١٩١٩، للاستمرار في عمله ضمن الوفد ولإطلاع فيصل ومرافقيه على تطورات الاحداث في سوريا^(١٢٣).

وعندما تفاقم الوضع السياسي في سوريا، رافق نوري السعيد الملك فيصل مرة اخرى الى باريس للتفاوض مع الفرنسيين في تشرين الاول ١٩١٩^(١٢٤)، وقد التقى نوري برئيس الوفد الاميركي في باريس، ونقل إليه رغبة شعب سوريا، في ان تكون تحت انتداب واحد، اذ ما اصر الحلفاء على وضعها تحت الانتداب، لكن الوفد الاميركي كان مقتنعاً برغبة فرنسا في وضع يدها على سوريا، لذلك لم يكن رده مقنعاً، وعندما وصلت المفاوضات الى طريق مسدود، ارسل الامير فيصل نوري الى دمشق ليرى مدى قناعة ساسة البلاد في عقد اتفاقية مع فرنسا، وقد اجرى نوري اتصالاته في دمشق، وتبين له أن الاكثرية ترفض الاتفاقية وترغب في مقاومة الاحتلال الفرنسي^(١٢٥).

كان الرأي العام العربي ينتظر جلاء القوات الأجنبية كلها من سوريا وتحقيق المطالب العربية التي وعدوا بها، وإذا بهم يفاجأوا بقرار توسيع الاحتلال الفرنسي نحو الشرق على حساب المنطقة العربية، ورسم حدود فرنسية بريطانية عبر سوريا على أساس اتفاقية سايكس- بيكو، وكان هذا بداية لتقسيم سوريا الى منطقتي انتداب وخلق فلسطين كوحدة^(١٢٦).

فضلاً عن ذلك، فقد ايد نوري السعيد مشروع اتفاق فيصل- كليما نصو، وبعد اعلان استقلال سوريا في السابع من آذار ١٩٢٠، عين نوري مستشاراً خاصاً للملك فيصل، فأوعز اليه الملك بأن يسافر الى لندن وباريس ليشرح لهما اسباب اعلان الاستقلال، غير ان مهمته لم تسفر عن شيء، وقد اعترض نوري على اعلان الحرب مع فرنسا، وحاول حتى النهاية ايجاد حل للمشكلة عن طريق التفاوض، فعندما انتدبت الحكومة السورية نوري السعيد لمفاوضة الجنرال الفرنسي غورو، اثر توجيهه انذاراً للحكومة السورية، استطاع في مفاوضاته مع غورو التوصل الى اتفاق يقضي بارسال ضابط ارتباط مع قوة فرنسية رمزية والاكتفاء باحتلال رياق، غير انه لم يتمكن من التوصل الى حلول ناجعة للمشكلة بسبب رغبة فرنسا والجنرال غورو، بفرض سيطرتها على جميع الاراضي السورية من جهة، ورغبة السوريين في الحفاظ على استقلال بلدهم الذي لم يمض عليه سوى بضعة اشهر^(١٢٧).

من جهة اخرى كانت المشكلة الرئيسية التي تعثرت المفاوضات عندها، هي الحدود بين المناطق العربية والفرنسية فكان هم المفاوضين العراقيين الحيلولة دون احتلال فرنسا لأي جزء من المنطقة الشرقية لتحل محل قوات الجيش البريطاني المنسحب وأن تظل القوات الفرنسية في المنطقة الغربية، وفي السابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٩، تم الاتفاق بين فيصل وكليمانصو على ماياتي:

١- لاحتل القوات الفرنسية البقاع وانسحاب القوات العربية منه.

٢- تبقى قوات لحفظ الأمن والأدارة.

٣- تشكيل لجنة مشتركة فرنسية وعربية للإشراف على شؤون الأمن.

ويعزز ذلك بأن الموقف الفرنسي بدأ بتقديم بعض التنازلات لأن فرنسا لم تكن لها قوات كافية في تلك المناطق، ولم يتوصلوا بعد لصيغة مشتركة مع البريطانيين في إدارة تلك المناطق، فضلاً عن رغبة كليمانصو بالحل السلمي، وفي السادس من كانون الثاني عام ١٩٢٠، توصل الطرفان إلى اتفاق ومما جاء فيه:

- ١- تعترف فرنسا بدولة سوريا مستقلة ضمن حدود سيتعرف بها مؤتمر الصلح في باريس.
 - ٢- تتعهد الدولة الناشئة بحق فرنسا في إمدادها بالخبراء والمستشارين لتنظيم الإدارتين العسكرية والمدنية.
 - ٣- أن لا تدخل القوات الفرنسية سوريا إلا بموافقة الدولة السورية.
 - ٤- تتعهد سوريا بالتمثيل الدبلوماسي في الخارج الى فرنسا وتعترف باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي.
 - ٥- إقامة إدارة محلية في جبل الدروز.
- كان فيصل أمام خيارين، أما أن يتوصل الى اتفاق مع فرنسا أو أن يقطع العلاقات مع الحلفاء ولاسيما بعد ان تأكد ان الحكومة البريطانية تجامل فرنسا على حساب فيصل، ولكن اختلاف مستشاري فيصل في أمر الاتفاقية والأخطار المنذرة بحصول تمرد بدمشق وفشل زيد في تهدئة الحالة قد حملت فيصل على ترك الاتفاقية وعدم التوقيع عليها الى حين عودته الى سوريا^(١٢٨).
- ولذلك انتقد نوري سياسة الحكومة بشدة، واتهمها بالتردد، وذكر بانها "خلال سنتين نتحدث عن مقاتلة الفرنسيين، وقبل شهرين فقط نتحدث عن المفاوضة، فكأنها بذلك لطمت عواطف الشعب" على حد تعبيره^(١٢٩).
- وهكذا، وقعت معركة ميسلون في الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠ غير المتكافئة بين الجيش الفرنسي والجيش العربي السوري، التي لم يكن نوري السعيد راضياً عنها، بل اعترض على اعلان الحرب ضد فرنسا، وكان يأمل ان يجد سبيلاً غير الحرب لإنهاء المشكلة القائمة وبالذات عن طريق المفاوضات^(١٣٠).
- وفي السياق ذاته ، كانت نظرة ياسين الهاشمي قريبة نوعاً ما من نظرة نوري السعيد في موضوع الحرب مع الفرنسيين ولاسيما انه كان يشغل منصب رئيس ديوان الشورى الحربي، فعندما تأزم الموقف مع فرنسا كلف الملك فيصل ياسين الهاشمي

بتأليف الوزارة ، غير انه اعتذر ، لعلمه بمقدرات الجيش وامكانياته، فقد اخبر ياسين الملك فيصل "بأن الجيش لا يستطيع النهوض بأعباء الدفاع عن المنطقة، لأن الجيش اضعف من القيام بهذه المهمة^(١٣١)".

وهكذا لم تحصل الحكومة العربية في دمشق على الاعتراف باستقلالها من الحلفاء، إلا أن تقبل بشروط الانتداب، ولا يمكنها أن تقبل بالانتداب دون أن تتخلى عن الاستقلال وعن ثلثي أراضيها^(١٣٢).

وعلى الرغم من قناعة القادة العراقيين بعدم جدوى خوض غمار حرب مع دولة لها قوة عسكرية متطورة ومتفوقة على قدرة الجيش العربي من ناحية التجهيزات والاسلحة مثل فرنسا، فإن ذلك لم يدفعهم الى التواني عن مسؤوليتهم والقيام بواجبهم القومي، فقد قرر جعفر العسكري الاتفاق مع بعض شيوخ العشائر لمساعدة الجيش في مقاومة الفرنسيين مقابل تزويدهم بما يحتاجونه من مؤن واغذية^(١٣٣)، كما اشترك في المعركة المقدم العراقي اسماعيل نامق الذي كان قائداً للواء الخيالة الهاشمي وكانت مهمته التموين والتسليح وتنظيم المتطوعين القادمين من دمشق الى خان ميسلون وهو المكان الذي جرت فيه المعركة، التي انتهت بالاحتلال الفرنسي للمدينة في الرابع العشرين من تموز عام ١٩٢٠^(١٣٤) واشترك في المعركة الضابط العراقي صلاح الدين الصباغ واستمر في المقاومة حتى وقع في الاسر في السادس والعشرين من تموز ١٩٢٠^(١٣٥)، ونقل الى جزيرة ارواد^(١٣٦).

كما اشترك محمد فهمي السعيد في المعركة، وبعد سقوط دمشق استمر يقاتل الفرنسيين من حلب وحمص حتى وقع اسيراً، اذ نقل مع زملائه الى جزيرة ارواد^(١٣٧)، واشترك في المعركة الضابط العراقي محمود سلمان، وقد اصيب خلالها بجروح^(١٣٨)، وقد ابلى العراقيون بلاءً حسناً في المعركة، غير ان الاخيرة حسمت لصالح الفرنسيين، ونتيجة لذلك قامت السلطات الفرنسية بمطاردة الضباط العراقيين في سوريا وسجنت بعضهم حيث قدر عدد العراقيين الذين زجهم غورو في سجون دمشق ثلاثمائة عراقي،

اما الذين نفوا الى جزيرة ارواد فقد بلغ عددهم زهاء (مائة وخمسين) شخصاً، بقوا في المعتقل ما يقارب ثلاثة اشهر ذاقوا فيها انواع التعذيب^(١٣٩)، وبذلك سقطت الحكومة العربية في دمشق التي استمرت زهاء سنتين من الثلاثين من أيلول ١٩١٨ - الى الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠، عبرت خلالها عن اماني العرب في الوحدة والتحرر والاستقلال.

ورافق احتلال دمشق احتلال حلب وغيرها من المدن الرئيسية بدون مقاومة ولكن بقيت مناطق معينة حول حلب وحووران وجبال العلويين مضطربة، ولم يتقدم الفرنسيون بعد دمشق لاحتلال شرقي الاردن لأنها كانت تشكل جزءاً من منطقة الانتداب البريطاني التي تم الاتفاق عليها بين فرنسا وبريطانيا^(١٤٠).

مما سبق يبدو واضحاً، ان العراقيين تركوا اثراً واضحاً في حكومة دمشق العربية التي لم يكتب لها ان تعمر طويلاً بسبب الاطماع الخارجية، فقد كانوا بحق مؤسسي تلك الدولة واصحاب اليد الطولى في ارساء قواعدها بدليل ان فتح دمشق كان على يد جيش معظم قادته من العراقيين، ومن ثم اناطة مهام حفظ الامن والنظام لهؤلاء القادة مما اعطاهم مميزات خاصة عن اقرانهم في حكومة دمشق العربية، فضلاً عن ذلك، فإن العراقيين تعاملوا مع سوريا على انها بلادهم وحازوا على نيل رضا اهالي سوريا واعجابهم، فخدموها على انها بلاد عربية بعيداً عن النعرة الاقليمية، التي تفرق بين العرب، واستمروا في خدمتها حتى سقوط حكومتها اثر معركة ميسلون، فكانوا حاضرين في المعركة، مستعدين لبذل دمائهم من اجل سوريا، لكنهم كانوا يدركون أن الجيش العربي ليس بمستوى جيش فرنسا من ناحية الاسلحة والتجهيزات والعدة.

وعلى الرغم من وجودهم في سوريا واشغالهم لوظائف مهمة، فإن ذلك لم يمنعهم من التفكير ببلدهم العراق، وضرورة تخليصه من الاحتلال البريطاني فأخذوا يسعون بمختلف الوسائل من اجل تحقيق هذا الهدف.

خامساً:- دور العراقيين في الحكومة العربية تجاه تحرير العراق:

اسهمت عوامل عدة في توجه انظار العراقيين الموجودين في سوريا صوب بلدهم العراق، منها توصلهم الى قناعة تامة بعدم وفاء البريطانيين بوعودهم في استقلال العراق، ولاسيما بعد تجربة سوريا، كما انهم وجدوا أنهم استبدلوا السيطرة العثمانية، بسيطرة بريطانية لم تكن اقل وطأة على البلاد من سابقتها، وما الوعود البراقة التي اعطوها لهم سوى حبر على ورق^(١٤١).

ولعل الخلاف الذي نشأ بين الضباط العراقيين والسوريين كان عاملاً اخر في التفات العراقيين نحو بلدهم، اذ شعر السوريون بالغبن لأنهم لم يتسلموا المواقع القيادية، وكانوا يعتقدون انهم احق من العراقيين في ذلك^(١٤٢)، فضلاً عن الظروف التي افرزتها اختلاف الهيمنة الاستعمارية بين البلدين وانعكاسها على اراء الوطنيين من عراقيين وسوريين، والتي ادت الى انقسام جمعية العهد الى قسمين عراقي وسوري، لكي يهتم كل قسم بشؤون بلده ويعالجها على وفق مايرتئيه، ولاسيما ان دول التحالف لم توافق على اقامة دولة عربية واحدة مستقلة^(١٤٣).

ومنذ ذلك الحين، بدأ فرع جمعية العهد العراقي بنشاطاته، وقد تولى رئاستها ياسين الهاشمي، واصبح للجمعية فرع في حلب عهدت بإدارته إلى جعفر العسكري كما فتحت للجمعية فروع في بغداد والبصرة والموصل، واوفدت الجمعية الضباطين جميل المدفعي وابراهيم كمال الى العراق لاعادة تنظيم فروع الجمعية، واستحصال تأييد من العراقيين للدفاع عن حقوقهم^(١٤٤)، كما كان لجريدة "العقاب" التي يصدرها حزب العهد في سوريا والتي تتميز بأسلوبها الحماسي المثير دور في تحفيز العراقيين ضد بريطانيا، ولاسيما انها كانت تهرب الى العراق عن طريق الموصل^(١٤٥).

ومهما يكن من امر، فإن العراقيين اجتهدوا في الحراك والعمل السياسي من اجل قضية بلدهم العراق ، فقد استغل نوري السعيد كل فرصة مؤاتية لعرض مشاكل العراق على المسؤولين البريطانيين من مختلف المستويات، وعند انتهاء الحرب

العالمية الاولى مباشرة قدم نوري السعيد مذكرة الى الحكومة البريطانية^(١٤٦)، بوساطة الكولونيل كورنواليس^(١٤٧)، في دمشق تناول فيها عوامل عدم استقرار الوضع في العراق التي لخصها في اسلوب عمل الادارة العسكرية، والتخلف الذي ساد البلاد، وضمن نوري السعيد مذكرته توصيات لتحسين الوضع العام في العراق، وفي ايار ١٩١٩ اجتمع نوري السعيد في دمشق بحضور ياسين الهاشمي وكورنواليس وآخرين بوكيل الحاكم المدني العام في العراق^(١٤٨)، ارنولد ولسن (Arnold Welson)^(١٤٩)، أكد خلاله نوري السعيد على ضرورة وضع حد لسلبات الادارة البريطانية في العراق، وطالب باشتراك عدد من العراقيين المناسبين في تحمل المسؤولية هناك، وحسبما يذكر نوري السعيد ان ولسن اعترف صراحة بنواقص ادارته، وسوّغ الامر بعدم وجود شخصية عراقية ملائمة لمساعدته، فاتفق نوري السعيد وياسين الهاشمي على ارسال ناجي السويدي الى بغداد ليعمل مستشاراً لولسن، الا ان مهمة ناجي السويدي اخفقت، وسرعان ما عاد إدراجه الى سوريا^(١٥٠).

ومما تجدر الإشارة إليه، ان ناجي السويدي وصل الى بغداد من دمشق في اوائل حزيران ١٩١٩، فعرض عليه ان يختار احد المنصبين، المستشار القضائي، او مستشار للحاكم العسكري، فاختار الوظيفة الأخيرة، على الرغم من أن ناجي السويدي ذو خلفية قانونية، إلا انه اختار منصب المستشار الحاكم العسكري وذلك بسبب شعوره ان هذا المنصب سيكون فيه أقرب إلى القرار فضلاً عن دوره الكبير في الدفاع عن الدولة الناشئة، وكانت واجباته ان يدرس الخطط البريطانية المقترحة لتشكيل مجلس بلدي، ولكنه على حد قول مس بيل^(١٥١) (G.M.C.Bell) "....قبل ان يسمح لنفسه بدراسة تلك الخطط واهمية كل منها، رفع في السابع من تموز ١٩١٩، خطة مبنية على اسس مختلفة نوعاً ما، فكانت اهم اوجه الاختلاف، ان ينتخب المجلس انتخاباً حراً عاماً وان لا يكون من ضمن اعضائه اي ضابط بريطاني عدا الضابط الصحي ومهندس البلدية"، وقبل ان تعقد اللجنة التي شكلها ارنولد ولسن بناءً على

طلب الحاكم العسكري لدراسة مقترحاته قدم ناجي السويدي استقالته في الرابع عشر من تموز ١٩١٩، قبل ان تتمكن اللجنة من الاجتماع لقناعته بأن مشروعه لن يحظى برضا الادارة البريطانية، وهذا ما اكده في كتاب استقالته اذ قال "ان ادارته لشؤون البلدية قبل انتخاب المجلس البلدي واكمال تشكيلات الدائرة سوف لا تأتي بالنجاح المطلوب والمنافع المتوخاة منها"^(١٥٢).

وفي الواقع، ان حادثة استقالة ناجي السويدي وعودته الى سوريا، قد رسخت انطباعاً لدى الضباط العراقيين في سوريا، بأن الادارة العسكرية في العراق يراد لها الدوام وانها تعارض في مسألة وفاء الحلفاء بعودهم الخاصة بتشكيل حكومة وطنية، وانها تعدّهم (الضباط العراقيين) اعداء ذوي تأثير فعال كانوا يحاولون تقويض النفوذ البريطاني في العراق، غير ان ذلك لم يدفعهم الى الانزواء وعدم الاهتمام بقضية بلدهم^(١٥٣).

استغل نوري السعيد انعقاد مؤتمر السلم في باريس، في حزيران ١٩١٩، ورفع مذكرة باسم الوفد العربي الى لويد جورج تضمنت المطالبة باستقلال العراق، والاتحاد مع سوريا^(١٥٤)، مما اثار غضب اللورد كرزون (George Nathaniel Scarsdale Carzun)^(١٥٥)، الذي ارسل برقية الى كلايتون (Clayton)^(١٥٦)، انتقد فيها الاقتراح، وأشار صراحة الى انه يسبب "قلقاً عظيماً في لندن وبغداد"^(١٥٧)، لكن ذلك لم يثن نوري عن موقفه، وعن انتقاده للادارة البريطانية في العراق، فاثناء زيارته الى لندن في ايلول ١٩١٩ اجرى محادثات طويلة مع الميجر هيوبرت يونغ (Sir Hubert young)^(١٥٨)، تناولت الأوضاع في العراق، منتقداً عدم اتخاذ خطوات حقيقية لتشجيع قيام حكومة من اهل البلاد، وعدّ ذلك السبب الاساس لما يقع هناك من حوادث، وانتقد موقف الضباط البريطانيين في العراق الذين يعدّون اهلهم "شعباً اجنبياً" غير قادر على حكم نفسه، وقارن ذلك بموقف الضباط البريطانيين في سوريا الذين يرون أن العراقيين فيهم "مستشارون اصدقاء

يساعدوهم في تحسين خططهم"، واورد امثلة وحقائق دقيقة عن الممارسات السلبية للادارة البريطانية في العراق، ثم اقترح تأليف مجالس في انحاء العراق كافة، يكون اعضاؤها من اهل المدن والارياف حسب المكان الذي يعمل فيه المجلس^(١٥٩).

كان لمقترحات نوري السعيد تأثير على ادارة بريطانيا في العراق، وقد علق هيوبرت يونغ على مادار من نقاش مع نوري السعيد بأنه اصبح اكثر قناعة بوجود اجراء تغيير فوري في جوهر الادارة البريطانية في العراق، فدعا الى ارسال اناس لهم خبرة ادارية جيدة من دون تأخير، وأشار الى ان ماتذمر منه نوري بصدد واقع الادارة في العراق امر "يستند الى اساس واقعي" مما يستوجب تأليف المجالس المحلية هناك على جناح السرعة^(١٦٠).

ولم يقتصر العراقيون على تقديم مطالبهم لبريطانيا حسب، فعندما زارت لجنة كنغ- كرين دمشق وحلب، قابلهما وفد جمعية العهد العراقي الذي قدمه اليها جعفر العسكري الحاكم العسكري لحلب^(١٦١)، وسلمها مطالب باسم العراق تضمنت استقلال العراق من ديار بكر حتى الخليج العربي، وتأسيس حكومة ملكية دستورية تأخذ العون والمساعدة من الولايات المتحدة الاميركية، كما اعرب الوفد عن رفضه للمادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم التي نصت على الانتداب، وعارض الوفد هجرات اليهود والهندوس الى المناطق العربية، وركز الوفد في مطالبه على استقلال سوريا والعراق، وازالة الحواجز السياسية والاقتصادية بين سوريا والعراق^(١٦٢).

شهد عام ١٩٢٠، تطورات مهمة للقضية العربية. ففي الثامن من اذار من العام نفسه، اعلن المؤتمر السوري مقرراته التي تضمنت استقلال سوريا وتنصيب الامير فيصل ملكاً عليها، وفي الوقت نفسه عقدت جمعية العهد العراقي في سوريا مؤتمراً عراقياً على غرار المؤتمر السوري حضره تسعة وعشرون عضواً من العراقيين وهم رشيد الهاشمي، محمد نظيف الشاوي، ابراهيم كمال، جعفر العسكري، توفيق السويدي، ناجي السويدي، سعيد الشخيلي، تحسين علي، اسماعيل نامق، سامي

الاورفلي، يونس وهبة، احمد رفيق، رضا الشبيبي، عبد اللطيف الفلاح، فرج عمارة، حمدي صدر الدين، نوري القاضي، صبيح نجيب، محمود اديب، توفيق الهاشمي، محمد البسام، بكر صدقي، علي جودت الايوبي، جميل المدفعي، مكي الشربتي، ثابت عبد النور، اسعد صاحب، الحاج محمد حسين، عبد الله الدليمي، وقرر هؤلاء الاعضاء في الثامن من آذار ١٩٢٠ اعلان الاستقلال البلاد العراقية المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمالي ولاية الموصل الى الخليج العربي استقلاً تاماً لا شائبة فيه" وتأييد "استقلال سوريا التام"، واعلان "اتحاد العراق معها اتحاداً سياسياً واقتصادياً" والمناداة "بحضرة صاحب السمو الملكي الامير عبد الله ملكاً دستورياً بلقب صاحب الجلالة ملك العراق" وأن يكون نائبه "الامير زيد" كما اعلن المؤتمر "انتهاء الحكم الاحتلالي العسكري، وان تقوم مقامه حكومة وطنية مسؤولة امام الشعب" (١٦٣).

اثار اعلان المؤتمر حفيزة بريطانية التي كانت تحكم العراق حكماً احتلالياً، واصدرت بلاغاً كرد فعل على مقررات هذا المؤتمر جاء فيه "ان القائمين على هذا المؤتمر وان كانوا من الشخصيات المرموقة التي لاينكر مقامها، الا ان ادعاء المؤتمر انه يمثل الشعب العراقي فأمر غير صحيح، لأنه لم تجر آنذاك انتخابات خاصة لاعتمادهم لهذه الغاية" (١٦٤).

لقد كانت غاية المسؤولين البريطانيين من ذلك التصريح إثارة خلاف بين الشخصيات العراقية البارزة المشاركة في المؤتمر وتحريض الرأي العام عليهم من أجل تشتيت وحدتهم. ونتيجة لذلك، قرر العراقيون استخدام الكفاح المسلح لتحقيق غايتهم، فذهبوا الى الملك فيصل وابلغوه عزمهم على الذهاب الى منطقة "دير الزور" المحاذية للحدود العراقية لمحاربة البريطانيين، وقد اخبرهم الملك بصعوبة ماينوون القيام به، غير انهم اصرروا على ذلك، وطلبوا من الملك فيصل تزويدهم بالمال، فوافق على تزويدهم بـ(ثلاثة الاف) جنيه مصري^(١٦٥)، ثم اجتمعوا في دار جعفر العسكري لمناقشة الموضوع، وعزموا على تنفيذ المهمة، فألفوا في حلب الهيئة الوطنية التي

ضمت عدداً من الضباط امثال علي جودت الايوبي وجميل المدفعي وتحسين علي وغيرهم من الضباط ^(١٦٦)، وكانت دير الزور قد الحقت بطلب من اهلها بالحكومة العربية في دمشق في كانون الاول ١٩١٨، ولكن السلطات البريطانية في العراق احتلت المدينة بعد مدة قصيرة، وفي الحادي عشر من كانون الاول ١٩١٩، قام رمضان شلاش ^(١٦٧)، قائمقام الرقة باسم الحكومة الفيصلية في الشام وبمساعدة الضباط العراقيين بهجوم على الحامية البريطانية في دير الزور وكبدها خسائر كبيرة واسر الحاكم العسكري البريطاني واجبر قواته على الانسحاب الى البو كمال ^(١٦٨).

اثار هذا العمل حفيظة البريطانيين، ففي الثالث والعشرين من كانون الاول ١٩١٩، اقلت الطائرات البريطانية على دير الزور منشورات تتضمن تهديداً بقصف البلدة اذا لم يطلق سراح القائد البريطاني وأصحابه خلال ٤٨ ساعة وقد كان لهذا التهديد اثره، فتم اطلاق سراحهم ووصلوا الى البو كمال سالمين ^(١٦٩). لم يكف رمضان شلاش عن التحرش ببريطانيا ومهاجمتهم، إذ شاعت الفوضى في منطقة نفوذهم، لذلك اضطرت الحكومة العربية في دمشق الى عزله وتعيين مولود مخلص محله، وقد وصل مولود الى الدير في السابع عشر من كانون الثاني ومعه مرافقه امين العمري، كما وصل بعدئذ تحسين العسكري الذي تولى منصب مدير الشرطة فيها، وقد سار مولود مخلص على الخطى نفسها التي سار عليها رمضان في معاداة البريطانيين وتحريض العشائر ضدهم ^(١٧٠).

كان مولود قد شرع منذ مدة وجيزة بتنظيم الادارة في المدينة، واحداث التشكيلات العسكرية من المتطوعين والشرطة، وتعيين الموظفين الاداريين وتحريض القبائل على شن الحملات على المراكز البريطانية بقيادة الضباط العراقيين، وعرضوا خطوط المواصلات البريطانية الممتدة جنوباً لغارات متواصلة ^(١٧١)، وقد ذكر ارنولدولسن في مذكراته "..... كان مولود يعمل بكل نشاط في بث الدعاية المعادية لنا..... وأصبحت رسائله تصل الى شيوخ العشائر في العراق جنوباً حتى العمارة"،

وقد كان لدى مولود في الدير قوة نظامية من الخيالة تقدر بتسعين جندي ومئة دركي (شرطي) ومن المشاة مابين أربعين و خمسين دركي، مع مدفعين صحراويين ورشاشتين من طراز فيكرس، وقد استطاع تجنيد أربعمئة محارب من اهل المدينة، وكان هناك فضلاً عن ذلك عدد كبير من افراد العشائر المجاورة جاءوا للمشاركة في القتال^(١٧٢).

وفي الواقع، ان جميع اسلحة القوة التي شكلت في دير الزور كانت من مخازن الحكومة العربية، ويشير علي جودت الايوبي الى هذا الموضوع في مذكراته فيقول " فتحنا مخزناً للأسلحة واخذنا مقداراً منه حملناه على عربات، وكان الموكل بأخذها وسوقها الضابط العراقي محمد رؤوف الشهباني ومعه السيد احمد الباجة جي"، وكانت هذه المساعدات تقدم بصورة سرية لكي لاتثير بريطانيا التي كانت تقدم مساعدات مالية سنوية الى تلك الحكومة^(١٧٣).

وفي الوقت الذي حدثت فيه احداث دير الزور كانت المفاوضات بين الامير فيصل والحلفاء لاتزال قائمة في مؤتمر السلم، وقد تم التوصل في هذه المفاوضات الى قرار بتحديد الحدود بين العراق وسوريا، ولذلك طلب الكولونيل لجمن (Leach man)^(١٧٤) الحاكم البريطاني العسكري للفرات الاعلى وفداً من حكومة دير الزور ليفاوضه في موضوع الحدود بين العراق وسوريا، فأوفد تحسين علي وعلي جودت ليفاوضه، وتقرر في الاجتماع ان ينسحب البريطانيون من البو كمال، فأصبحت الحدود مؤقتاً شمالي القائم، اي على بعد سبعين ميلا جنوبي الخابور وخمسين ميلاً شمالي عانة^(١٧٥).

قوبل تعيين الحدود الجديدة بارتياح بالغ في سوريا وعده العرب نصراً لهم، وكتبت الخارجية السورية الى اللبني تعرب عن شكر الامة السورية وامتنانها، وتقول ان اخلاء الجنود البريطانيين للبو كمال سيعتبره السوريون دليلاً على حسن النية والصداقة لدى الحكومة البريطانية تجاه العرب^(١٧٦)، كما تتنازل البريطانيون عن دير

الزور لصالح سوريا بسبب رغبتهم في التخلص من المنطقة المضطربة التي ادت العمليات العسكرية فيها الى تعقيد الوضع الى حد بعيد في جميع انحاء العراق^(١٧٧). على الرغم من انسحاب القوات البريطانية من البوكمال ودير الزور، فإن عزيمة الضباط العراقيين في سوريا لم تضعف، بل قرروا المضي قدماً فيما ابتدأوه ولذلك قررت الهيئة الوطنية اعداد حملة عسكرية للاستيلاء على تلعفر، وعهد بقيادتها الى جميل المدفعي يرافقه الضابط العراقي عبد الحميد الدبوني، وقد جهزت الهيئة الوطنية هذه الحملة بالسلاح والعتاد اللازم لتسليح افرادها، وقد تشكلت القوة من اربع سرايا، والتحققت بهم بعض العشائر العراقية مثل عشيرة العكيدات والبيكار وغيرهم، وسارت الحملة نحو تلعفر في ربيع ١٩٢٠، وهي تحمل لواء النصر على الاستعمار البريطاني^(١٧٨).

ويذكر تحسين العسكري في مذكراته أن "الحملة كان يعوزها شيء كثير من العدة والعدد، فذهبت موفداً الى دمشق طالباً من الحكومة السورية تزويدها بالسلاح بحجة اكمال نقص قوة الدرك المرابط في لواء دير الزور، فظفرت منها بمائة وخمسين بندقية وبخمسين صندوقاً من العتاد، حملتها الى دير الزور وسلمتها خفية الى قائد الحملة جميل المدفعي، كما اني ارفقتهم بعشرين فارساً من الدرك النظامي يساعدونهم في الحركات، ولاخفاء هذه الحركات عن العدو اتخذنا تدبيراً معقولاً في نقل الجنود بالعجلات التجارية، وتكون عادة لنقل البضائع من حلب الى الموصل، فشحناهم في عشرين عربة في كل عربة ثمانية جنود مع امتعتهم، وكانت الاعمال الاستحضارية هذه تجري في تكتم شديد، بحيث لم يكن احد يعلم الى اين توجهت هذه الحملة"^(١٧٩). من جهة اخرى، قرر قادة الحملة ان يطلقوا عليها اسم "عسكر الشريف" نسبة الى الشريف حسين بن علي، وذلك لاستمالة الاهالي اليها، وبث الروح القتالية فيهم وروح المقاومة ضد المعتدي، وبعثت الحملة الى شيوخ عشائر شمر والجبور للانضمام اليها، وعندما وصلت الحملة الى مدينة تلعفر حاصرت القوات البريطانية

من جميع الجهات مما اجبر الاخيرة على طلب نجدة من بغداد في قطار خاص يحمل الجنود والاسلحة والاطعمة والخيول، وقد عمد الثوار الى قلع سكة القطار وعملوا محلها حفرة كبيرة، ما ان وصلها القطار حتى سقط فيها، وحينها بدأ الثوار بمهاجمة القطار بالقنابل، واقتحموا العربات، فغنموا الكثير من الاسلحة والخيول، وقد كان لهذه الواقعة تأثير كبير على الثورة في تلعفر، ذلك لأن تأخر وصول النجدة الى القوات البريطانية المحاصرة في المدينة، نتيجة لما حدث، قد مكن الثوار من تشديد الخناق على الحامية المحاصرة واستسلامها فيما بعد، واستيلاء الثوار على المدينة، واقامة ادارة محلية مؤقتة فيها^(١٨٠).

ومهما يكن من امر، فأن قوات جميل المدفعي استطاعت احتلال تلعفر وانزلت العلم البريطاني من القلعة ورفعت محله العلم العراقي بمراسم شعبية، وامر جميل المدفعي بتوزيع الاموال التي غنموها على العشائر القاطنة في المدينة وخارجها ودعا الموظفين في القضاء وطمأنهم^(١٨١)، وقد حاول جميل المدفعي التوجه بحملته نحو الموصل، غير انه فوجئ برتل بريطاني، فانسحب مع قواته الى دير الزور، ثم تفرقت القبائل التي رافقته في الحملة من غير مقاومة تذكر، واستعادت القوات البريطانية سيطرتها على مدينة تلعفر^(١٨٢).

وفي الواقع، كان لهذه الحركات تأثير كبير في العراق خاصة والعالم العربي عامة، فقد سرت انباء هذه الحملة الى جميع الانحاء العراقية فحفزتها الى القيام بوجه السلطة المحتلة، وحملها على احترام ارادة العراق ومنحه استقلاله^(١٨٣)، كما عُدت الحركات العسكرية على تلعفر عند بعض البريطانيين، الشرارة الاولى التي اشعلت ثورة العشرين التي بدأت حسب تحديد فيليبي (John Felipe)^(١٨٤)، في أيار ١٩٢٠ بهجوم شنه جميل المدفعي على تلعفر ومنها "انتشرت الثورة كالنار الهائجة في اسفل الفرات"^(١٨٥).

فضلاً عن ذلك، كان العراقيين الموجودين في سوريا على اتصال مستمر مع مايدور من احداث داخل بلدهم العراق، وكانوا يعملون كل شيء من اجل تخفيف وطأة الاحتلال عنه، فقد كان جعفر العسكري يرسل علماء الدين باستمرار ويطلب منهم التمسك باستقلال العراق، كما كان العراقيون في سوريا يرسلون الجرائد والمناشير الى بلدهم لنشر افكار التحرر والاستقلال وتحفيزهم على الثورة^(١٨٦).

مما سبق يبدو واضحاً، ان ادراك العراقيين، لتخلي بريطانيا عن سوريا وتركها وحيدة امام فرنسا، جعلهم ينتبهون الى ان بريطانيا لن تفي بوعودها لبلدهم العراق ولن تعطيه حريته واستقلاله على الرغم من المحاولات العديدة التي بذلها الكثير من ساسته وضباطه لاقناعها بذلك، وهذا بالتالي دفعهم الى التفكير بالكفاح المسلح عسى ان يتحقق من خلاله امهم المنشود، وعلى الرغم من ان العمليات التي قاموا بها كانت دون مستوى الطموح ويعود ذلك لعدم تكافؤ القوى العسكرية بين العراق وبريطانيا، الا انه يمكن عدّ هذه المحاولات بمثابة البذرة الاولى التي اثمرت عنها ثورة العراق التحررية عام ١٩٢٠، التي كان لها اكبر الاثر في اجبار بريطانيا على تغيير سياستها تجاه العراق.

الخاتمة

شكلت رغبة العرب في الدفاع عن حقوقهم المسلوبة من قبل الدولة العثمانية، فعندما اكتشفوا أن الطرق السلمية غير مجدية معها، لذلك اضطروا إلى استخدام القوة العسكرية وأعلنوا الثورة ضدها بالتعاون مع بريطانيا، التي عاهدتهم بمنحهم الاستقلال مقابل اشتراكهم في الحرب ضد العثمانيين.

شارك العراقيون مع أخوانهم العرب لنصرة القضية العربية، فكانوا حاضرين بقوة في جيش الثورة، ابدوا بسالة وشجاعة لاتضاهى أثمرت عن تحرير بلاد الشام وتأسيس حكومة عربية فيها برئاسة الأمير فيصل بن الحسين، تبوأوا فيها كثيراً من المناصب القيادية، وشاركوا مع أخوانهم العرب في تثبيت أركان الدولة العربية الجديدة.

لكن سرعان ما بدأت بريطانيا تتصل عن وعودها باستقلال سوريا متحججة بمختلف الحجج، نتيجة لرغبة حليفتها فرنسا في السيطرة على بلاد الشام، وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها الأمير فيصل من أجل حصول سوريا على استقلالها وتقديمه الكثير من التنازلات لبريطانيا وفرنسا، لم يقلل ذلك من إطماعهم وجشعهم، مما أسهم في تأزم الموقف بين الطرفين وبالتالي وقوع الصدام المسلح الذي انتهى بانتصار فرنسا نتيجة لتفوقها العسكري.

تبين من خلال هذه الدراسة، أن العراقيين كانوا على قدر المسؤولية التي تسلموها في سوريا، فقد كانوا حاضرين في المفاوضات التي جرت بين سوريا والحلفاء، للدفع باتجاه الحلول السلمية، وعندما لم يتوصلوا إلى نتيجة ايجابية بهذا الصدد، وتبين أن البلاد متجهة نحو الحرب، لم يتركوا أخوانهم السوريين لوحدهم في ساحة الوغى، بل أسهموا معهم في القتال، على الرغم من إدراكهم صعوبة النصر، وضحو بأنفسهم في سبيل هذه القضية.

أثبت العراقيون المشاركون في الحكومة العربية أنهم بناء دولة، وكانت صفة الإخلاص والجدية والحرص غالبية عليهم بغض النظر عن انتماءاتهم أو مذاهبهم فكانت كلها تذوب في هدف واحد هو التخلص من الهيمنة الاستعمارية وبناء دولة مدنية حديثة، ولكن ضيق عمر الحكومة وتصل بريطانيا من الوعود التي قطعتها للحكومة والضغط والتدخل الفرنسي حالت دون ذلك.

تعد الحكومة العربية، أول تجربة جدية للعراقيين في التعامل السياسي والدبلوماسي مع السياسيين المخضرمين الأجانب، لقد بث إعلان استقلال الحكومة العربية الروح التحررية لدى شعوب المنطقة بعد حقبة من السيطرة العثمانية.

إن إعلان الاستقلال وتصل بريطانيا عن وعودها للعرب أثار العراقيين نحو قضية استقلال بلدهم العراق والتسريع في المطالبة بحقوقهم، ولا سيما أن تجربة

العراقيين مع الحكومة العربية أفادتهم في التعامل السياسي والدبلوماسي مع البريطانيين فيما بعد.

وعلى الرغم من قصر عمر الحكومة العربية في دمشق ونقص الإمكانيات والمشاكل الداخلية التي واجهتها وقلة الخبرة والضغوط الخارجية الصعبة، فإن القائمين عليها استطاعوا بناء حكومة عربية مستقلة دستورية وانشأوا مجلساً نيابياً منتخباً وقوانين قضائية وقوانين الإصلاح ومعالجة المشاكل الاقتصادية والتعليمية والصحية.

نستطيع أن نقول من خلال المعلومات التي في ايدينا أن الاختلاف في الآراء بشأن التصدي أم عدمه للعدوان الخارجي المتمثل بفرنسا، نلاحظ أن الجيش والشعب العربي عندما اقتضت الحاجة هب بجميع أطرافه من العشائر والطبقات الأخرى للدفاع عن أراضيهم، بغض النظر عن قناعتهم بعدم توازن قوتهم مع قوة المعتدي.

استغلت فرنسا المواقف المختلفة بين أعضاء الحكومة العربية في دمشق ما بين متمسك بمبدأ الدفاع أو ملتزم للصمت أو القبول بالمطالب الفرنسية بسبب عدم قدرة الجيش العربي على المواجهة وهذا أدى إلى ضعفهم وإمكانية السيطرة الفرنسية على سوريا بسهولة، ولاسيما بعد اتهامهم من قبل بريطانيا وفرنسا بأنهم لا يمثلون الشعب السوري.

مثلت الحكومة العربية في دمشق أسمى حالات الشفافية والديمقراطية برجع الملك فيصل مرات عدة للتشاور مع مستشاريه أو أعضاء المؤتمر السوري العام والتباحث معهم قبل اتخاذ لأي قرار مع الدول الأجنبية وهذا يؤكد حرصه على وحدة الصف وإيمانه بالعمل المشترك خدمة للصالح العام.

كما أن وجود العراقيين في سوريا، وتبوأهم لمواقع مهمة في الحكومة العربية لم يمنعهم من التفكير ببلدهم العراق، الذي كان يعاني الويلات على أيدي الاحتلال البريطاني، فتوجهوا صوب الحدود العراقية السورية، محاولين القيام بثورة لتخليص

البلاد على الرغم من محدودية إمكانياتهم، وضربوا بذلك أروع الأمثلة للتضحية والفداء، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل، لكنها كانت بمثابة الومضة التي أججت مشاعر العراقيين من شمال العراق إلى جنوبه ودفعتهم نحو المطالبة بحقوقهم المسلوبة لتحرير بلدهم العراق.

وبانتهاء الحكومة العربية في دمشق إثر دخول القوات الفرنسية دمشق في الرابع والعشرين من تموز عام ١٩٢٠، انتهى فصل من فصول البطولة والتجربة الرائدة للعراقيين المشاركين في الحكومة العربية ليبدأ توجههم نحو تحرير العراق من السيطرة البريطانية.

الملحق (١)

الشخصيات الأساسية للعراقيين المشاركين في الحكومة العربية في دمشق^(١)

ت	الشخصيات الأساسية	المناصب التي تقلدوها في الحكومة العربية
١.	نوري السعيد	رئيساً للأركان الجيش العربي ثم مرافقاً للملك فيصل ثم عين مستشاراً خاصاً للملك فيصل الأول وانتدبته الحكومة السورية لمفاوضة الجنرال غورو.
٢.	جعفر العسكري	قائداً عاماً للجيش ثم عين حاكماً لعمان ثم عين بعد ذلك مفتشاً للجيش العربي ثم حاكماً للولاية حلب، وعندما ألغيت حاكمية حلب أصبح مستشاراً عسكرياً للملك فيصل، ومسؤولاً عن حماية الملك.
٣.	ياسين الهاشمي	عين رئيس أركان لحاكم سوريا العسكري ثم رئيساً لديوان الشورى الحربي.
٤.	علي جودت الأيوبي	عين حاكماً عسكرياً لمدينة حلب ثم حاكماً عسكرياً في البقاع ومن ثم وكيلاً لمدير الأمن العام ثم أصبح مديراً للأمن العام ثم معتمداً للحكومة العربية في بيروت.
٥.	طه الهاشمي	عين مديراً للأمن العام، فضلاً عن قيادة قوات الدرك.
٦.	جميل المدفعي	شارك في الثورة العربية وتحرير سوريا عين مستشاراً عسكرياً للملك فيصل حيث كان يحظى

(١) المصدر : من عمل الباحث.

		بثقة الملك.
٧.	مولود مخلص	شارك في الثورة العربية وتحرير سوريا عين أمراً للواء الهاشمي ثم قائداً للفرقة الثانية في حلب ثم حاكماً عسكرياً لدير الزور ، وقام بتحريض العشائر ضد البريطانيين.
٨.	ناجي شوكت	شارك في الثورة العربية وتحرير سوريا عين رئيساً لحقوقياً في مجلس الشورى الحربي الذي ترأسه ياسين الهاشمي.
٩.	إسماعيل نامق	شارك في الثورة العربية وتحرير سوريا أصبح رئيس أركان الفرقة الأولى كما اشترك في معركة ميسلون وكان قائداً للواء الخيالة الهاشمي وكانت مهمته التموين والتسليح وتنظيم المتطوعين القادمين من دمشق الى خان ميسلون وهو المكان الذي جرت فيه المعركة.
	توفيق السويدي	عمل مع الحكومة العربية السورية أصبح رئيساً للمؤتمر العراقي في دمشق.
١٠.	تحسين علي	شارك في الثورة العربية وتحرير سوريا أمر فوج في الجيش العربي في حلب ثم أمر اللواء الأول ثم أمراً للمفرزة الشمالية.
١١.	محمود سلمان	أمر فصيل في السرية الثانية من الفوج الرابع شارك في تحرير دمشق ثم حلب وشارك في معركة ميسلون وأصيب خلالها بجروح.

١٢.	رؤوف البحراني	شارك في تحرير دمشق وعمل تحت قيادة جعفر العسكري في عمان.
١٣.	بكر صدقي	شارك في تحرير سوريا وعين آمراً للواء الخيالة ومعاوناً لحاكم حلب علي جودت الأيوبي
١٤.	صلاح الدين الصباغ	شارك في تحرير سوريا ثم عين حرساً لحماية الملك فيصل واشترك في معركة ميسلون ووقع في الأسر
١٥.	فهمي سعيد	شارك في تحرير سوريا ثم عين حرساً لحماية الملك فيصل واشترك في معركة ميسلون ووقع في الأسر
١٦.	عارف حكمت	عمل على تأسيس الجمعيات التي شكلت في سوريا، لمساندة القضية العراقية كجمعية العهد
١٧.	أمين العمري	شارك في تحرير سوريا وعين معاوناً للحاكم العسكري في دير الزور مولود مخلص وشارك مع جميل المدفعي في حملات دير الزور وتلعفر
١٨.	صبيح العزي	شارك في الثورة العربية وتحرير سوريا وعين في حاشية الملك فيصل
١٩.	حسام الدين جمعة	شارك في الثورة العربية وتحرير سوريا ومنح وسام الاستقلال من حكومة سوريا لاشتراكه بتحرير دمشق
٢٠.	قاسم راجي	شارك في الثورة العربية وتحرير سوريا أصبح قائد الفرقة الثانية ثم عمل تحت قيادة جعفر

		العسكري في عمان
٢١.	خالد السليمانى	شارك في تحرير سوريا أمراً للواء الرابع
٢٢.	عبد الحميد الشالجي	شارك في الثورة العربية وتحرير دمشق ثم تعيينه أمراً عسكرياً لمدينة دمشق ثم لقيادة الموقع في حلب
٢٣.	علي رضا العسكري	شارك في الثورة العربية وتحرير سوريا عين حاكماً عسكرياً لحلب ثم أمراً لقيادة الدرك.
٢٤.	ناجي السويدي	عين معاوناً للحاكم العسكري في حلب علي رضا العسكري ثم مساعداً لجعفر العسكري في ادارة مدينة حلب
٢٥.	تحسين العسكري	تولى منصب مدير الشرطة في دير الزور
٢٦.	جميل الوادي	شارك في الثورة العربية وتحرير سوريا عين مشاوراً عسكرياً في حلب
٢٧.	رشيد المدفعي	شارك في الثورة العربية وتحرير سوريا وعين أمراً لحماية عمان
٢٨.	عبد الله الدليمي	شارك في الثورة العربية وتحرير دمشق وعين مرافقاً للأمير فيصل
٢٩.	عبد الوهاب الشيخ محمود	شارك في الثورة العربية وتحرير سوريا وعين مديراً للشؤون الادارية
٣٠.	حسن وفقى	شارك في الثورة العربية وتحرير دمشق، وعين قائداً للفرقة الأولى

الملحق (٢)

الشخصيات الثانوية للعراقيين المشاركين في الحكومة العربية في دمشق (٢)

ت	الاسم	ت	الاسم
١.	شفيق الحيدر	٢٢.	عبد اللطيف أفلاحي
٢.	إسماعيل صبري	٢٣.	فرج عمارة
٣.	سليمان سرور	٢٤.	نوري القاضي
٤.	عبد صالح	٢٥.	صبيح نجيب
٥.	ثابت عبد النور	٢٦.	محمود أديب
٦.	رفعة شوكت	٢٧.	توفيق الهاشمي
٧.	حمدي صدر الدين	٢٨.	محمد البسام
٨.	ابراهيم كمال	٢٩.	مكي الشريتي
٩.	بهاء الدين نوري	٣٠.	اسعد صاحب
١٠.	عبد المجيد الهاشمي	٣١.	الحاج محمد حسين
١١.	جمال بابان	٣٢.	سامي شوكت
١٢.	احمد رمزي	٣٣.	داود صبري
١٣.	بهجت الكروي	٣٤.	حسن معروف
١٤.	علاء الدين جواد	٣٥.	رشيد خماس
١٥.	يوسف عز الدين	٣٦.	مصطفى الشخيلي
١٦.	أشرف أحمد	٣٧.	سعيد يحيى
١٧.	رشيد المندلاوي	٣٨.	مصطفى التكرلي
١٨.	يوسف حنظل	٣٩.	ثامر سعدون

(٢) المصدر : من عمل الباحث .

١٩.	يوسف العزاوي	٤٠.	رشيد البغدادي
٢٠.	سعيد الشخيلي	٤١.	حسن غصيبة
٢١.	سامي الأورفلي	٤٢.	يونس وهبة

٤٣.	احمد رفيق رضا الشبيب	٦٤.	جميل الراوي
٤٤.	محي الدين السهر وردي	٦٥.	عبد الكريم شاه
٤٥.	عبد الرزاق الخواجه	٦٦.	إبراهيم الشاوي
٤٦.	عبد الرحمن شرف	٦٧.	برقي العسكري
٤٧.	يحيى الموصللي	٦٨.	عزت عمش آغا
٤٨.	ابراهيم أدهم	٦٩.	أحمد ناجي الباجه جي
٤٩.	محمد زكي البصري	٧٠.	حميد الهاشمي
٥٠.	نوري فتاح	٧١.	طاهر محمد عارف
٥١.	مهدي الرجال	٧٢.	الشيخ عبد الجبار
٥٢.	رشيد معروف الانكوري	٧٣.	سعيد يحيى الخياط
٥٣.	شاكر محمود	٧٤.	عبد المجيد حسون الشخيلي
٥٤.	عبد الوهاب الشخيلي	٧٥.	عبد الرزاق وهيب
٥٥.	عبد اللطيف نوري	٧٦.	محمد شريف الفاروقي
٥٦.	حامد الوادي	٧٧.	رشيد الهاشمي
٥٧.	عبد الغفور البديري	٧٨.	إبراهيم الراوي
٥٨.	محمد حلمي	٧٩.	إبراهيم كمال
٥٩.	علي رضا الغزالي	٨٠.	محمد نظيف الشاوي
٦٠.	موفق كامل		

٦١.	إسماعيل الصفار		
٦٢.	جمال علي		
٦٣.	شاكر الشيخلي		

الهوامش والتعليقات :

- (١) للمزيد من التفاصيل عن حياته ودوره السياسي. ينظر: عبد الرزاق أحمد النصيري، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٣٢، مراجعة: كمال مظهر أحمد ، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٨؛ سعاد رؤوف شير، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية ١٩٣٢-١٩٤٥، الطبعة الأولى بغداد، ١٩٨٨.
- (٢) نوري السعيد، مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦-١٩٢٠، دار الحرية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٠.
- (٣) عبد الرزاق أحمد النصيري، المصدر السابق، ص ٣٤-٣٧.
- (٤) المصدر نفسه، ص ٤-٤١.
- (٥) مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٨٧، ص ١٢٦-١٢٧؛ عبد الهادي كريم سلمان، المصدر السابق، ص ٥٤.
- (٦) توفيق السويدي، وجوه عراقية عبر التاريخ، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، د.ت، ص ٨٤-٨٦.
- (7) F.O. ,371/21896,E-174, information of the Iraqi Crown Council, from Sir A.C.K to Mr. Eden , January 10,1938, P.312.

- (٨) أسعد داغر، "مذكراتي على هامش القضية العربية"، دارالقااهرة للطباعة، القاهرة، ص ١١٢.
- (٩) علاء جاسم محمد، جعفر العسكري ودوره السياسي في تاريخ العراق حتى عام ١٩٣٦، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٧، ص ٢٤-٢٥.
- (١٠) جعفر العسكري، "مذكرات جعفر العسكري"، تحقيق وتقديم: نجدة فتحي صفوة، الطبعة الأولى، دار اللام، لندن، ١٩٨٨، ص ٢٤-٢٥؛ مير بصري، المصدر السابق، ص ٨٥.
- (١١) للمزيد من التفاصيل عن دوره العسكري والسياسي. ينظر: سامي عبد الحافظ القيسي، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢-١٩٣٦، البصرة، ١٩٧٥؛ "العراق" (جريدة)، بغداد، العدد ١٢٩١، ٥ آب ١٩٢٤.
- (١٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: جمعة عليوي فرحان ساجت الخفاجي، علي جودت الايوبي ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٥٨، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٧.
- (١٣) علي جودت، "ذكريات علي جودت ١٩٠٠-١٩٥٨"، الطبعة الأولى، مطابع الوفاء، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٣-١٨.
- (١٤) توفيق السويدي، وجوه عراقية عبر التاريخ، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٨٧، ص ١٠١.
- (١٥) مير بصري، المصدر السابق، ص ١٥٨-١٥٩.
- (١٦) للمزيد من التفاصيل ينظر: يحيى كاظم حمود المعموري، طه الهاشمي ودوره العسكري والسياسي في العراق حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد، جامعة

- بغداد، ١٩٨٩، ص٩؛ جاسم محمد محسن علي الدوري، دراسة
توثيقية عن وزارة الخارجية العراقية، بغداد، ٢٠٠١، ص١٦-١٨.
- (١٧) سليمان فيضي، "مذكرات سليمان فيضي من رواد النهضة العربية
في العراق"، تحقيق وتقديم: باسل سليمان فيضي، الطبعة الرابعة،
مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ٢٠٠٠، ص٣٧-٣٨.
- (١٨) مير بصري، المصدر السابق، ص١٨٧.
- (١٩) طه الهاشمي، "مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩-١٩٤٣"، تحقيق
خلدون ساطع الحصري، الجزء الأول، الطبعة الأولى، منشورات
دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٧، ص٥٩-٦٦.
- (٢٠) سليمان فيضي، "مذكرات سليمان فيضي..."، ص١٥٧؛ احمد فوزي
١٢، رئيس وزراء في العهد الملكي، الطبعة الأولى، بغداد،
١٩٨٤، ص١٦٩-١٨٥.
- (٢١) مؤيد الوندائي، أعلام الشخصيات السياسية العراقية في وثائق
بريطانية ١٩٣٥-١٩٥٨، الطبعة الأولى، أمانة للنشر والتوزيع
عمان، ٢٠١٢، ص٤٤؛ مير بصري، المصدر السابق، ص١٥٤.
- (٢٢) طارق يونس عزيز السراج، جميل المدفعي ودوره في السياسة
العراقية ١٨٩٠-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية
الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص٦٢.
- (٢٣) محمد حسين الزبيدي، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية
الكبرى وتاريخ العراق المعاصر، الطبعة الأولى، دار الحرية
للطباعة، بغداد، ١٩٨٩، ص١١.
- (٢٤) "سليمان فيضي"، مذكرات سليمان فيضي...، ص٤٨-٤٩.
- (٢٥) محمد حسين الزبيدي، المصدر السابق، ص٣٠.

- (٢٦) سليمان فيضي، "مذكرات سليمان فيضي...."، ص ١٤٢-١٤٤.
- (٢٧) يوسف غانم، مشاهد الرجال، بلا، ١٩٣٧، ص ٤٥.
- (٢٨) نجدة فتحي صفوة، العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٣. ص ٦٩.
- (٢٩) ناجي شوكت، "سيرة وذكريات ثمانين عاماً ١٨٩٤-١٩٧٤"، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٧٥، ص ٤٢-٤٤؛ فائز سعيد عبد الله الكبيسي، ناجي شوكت ودوره السياسي حتى عام ١٩٤١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص ١٣؛ مؤيد الوندائي، المصدر السابق، ص ١٤٣.
- (٣٠) مير بصري، المصدر السابق، ص ١٤٢.
- (٣١) نقلاً عن: توفيق السويدي، وجوه عراقية....، ص ١٢٠.
- (٣٢) نجدة فتحي صفوة، العراق في الوثائق البريطانية، ص ٧٢.
- (٣٣) للمزيد من التفاصيل. ينظر: تحسين علي، "مذكرات تحسين علي" ،تقديم ومراجعة : صالح محمد العابد، الطبعة الأولى،بيروت، ٢٠٠٤، مؤيد الوندائي، المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (٣٤) جعفر العسكري، "مذكرات جعفر العسكري" ،تقديم نجدة فتحي صفوت ، ط١، داراللام ،لندن، ص ١٠٣.
- (٣٥) للمزيد من التفاصيل ينظر: تحسين العسكري، "مذكراتي عن الثورة العربية والعراقية"، الجزء الأول، بغداد، ١٩٣٦؛ جاسم محمد محسن علي الدوري، المصدر السابق، ص ٥٠-٥٤.

- (٣٦) للمزيد من التفاصيل. ينظر: ابراهيم الراوي، "ذكريات ابراهيم الراوي من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث"، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧٨.
- (٣٧) مؤيد الوندائي، المصدر السابق، ص ١٢٥.
- (٣٨) حميد المطبوعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٩٥، ص ٥٦.
- (٣٩) للمزيد من التفاصيل. ينظر: رحيم عبد الحسين عباس، محمود سلمان ودوره السياسي والعسكري في العراق حتى عام ١٩٤٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩؛ مديحة السلطان، "مذكرات مديحة السلطان زوجة الشهيد محمود سلمان"، إعداد وصياغة: شاكِر علي التكريتي، دار واسط للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٠.
- (٤٠) للمزيد من التفاصيل. ينظر: رؤوف البحراني، "مذكرات رؤوف البحراني لمحات عن أوضاع العراق في أواخر العهد العثماني من ١٩٠٠-١٩٢٠"، إعداد وتحقيق: جواد هبة الدين الحسيني، مراجعة: عبد الحميد الحاج حسين المحاري، الجزء الأول، الطبعة الثانية، بلا، ٢٠٠٤؛ فؤاد طارق كاظم العميدي، رؤوف البحراني ودوره السياسي والفكري في العراق حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠١؛ مؤيد الوندائي، المصدر السابق، ص ٢٥٣.
- (٤١) للمزيد من التفاصيل ينظر: يوسف إسماعيل، انقلاب ٢٩ تشرين الأول، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٣٦؛ صفاء عبد الوهاب المبارك،

- انقلاب سنة ١٩٣٦ في العراق ممهداته- وأحداثه- ونتائجه، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٣.
- (٤٢) تحسين علي، "مذكرات تحسين علي"، مراجعة صالح العابد، ط١، بيروت، ٢٠٠٤ ص ٨١-٨٢.
- (٤٣) علي جودت، "ذكريات علي جودت ١٩٠٠-١٩٥٨"، ط١، مطبعة الوفاء، بيروت، ١٩٦٧ ص ٧٣.
- (٤٤) صلاح الدين الصباغ، "فرسان العروبة في العراق"، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٥٦، ص ٥٦؛ عدنان هريز جودة، أبطال ثورة مايس ١٩٤١ (صلاح الدين الصباغ- حياته- نضاله- استشهاده)، "آفاق عربية" (مجلة)، بغداد، العدد ٧، تموز ١٩٩١، ص ٤٩-٥٩.
- (٤٥) للمزيد من التفاصيل. ينظر: نضر علي أمين الشريف، محمد فهمي سعيد الدور العسكري والسياسي في تاريخ العراق المعاصر، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢؛ قيس فاضل محمد النعيمي، العلاقات العراقية السورية ١٩٥٨-١٩٦٨، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ص ١٢.
- (٤٦) حميد المطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٩٥، ص ١٥٢.
- (٤٧) مؤيد الوندأوي، المصدر السابق، ص ١٢٤؛ حميد المطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، بغداد، ص ١٥٣.
- (٤٨) حميد المطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، بغداد، ص ٢٣٥.
- (٤٩) مؤيد الوندأوي، المصدر السابق، ص ٦٦.

- (٥٠) حميد المطبعي، الجزء الأول، ص ١١٦-١١٧.
- (٥١) حميد المطبعي، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٥٢.
- (٥٢) الياهو دنكور ومحمد فهمي درويش، الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦، مطبعة دنكور، بغداد، ١٩٣٦، ص ٨٩٧.
- (٥٣) محمد مهدي البصير، "تاريخ القضية العراقية"، تقديم: عباس عطية، الجزء الأول، دار اللام، لندن، ١٩٩٠، ص ٧٩-٨٠.
- (٥٤) حميد المطبعي، الجزء الأول، ص ٩٤.
- (٥٥) للمزيد من التفاصيل. ينظر: توفيق السويدي، "مذكراتي نصف قرن..."; جاسم محمد محسن علي الدوري، المصدر السابق، ص ١٦-١٨؛ محمد مظفر الأدهمي، النخبة العراقية وحركة التحرير العربي، "آفاق عربية" (مجلة)، بغداد، العدد ١، كانون الثاني ١٩٩١، ص ٨٦.
- (٥٦) للمزيد من التفاصيل عن حياته ينظر: سعد شخير سوادي الهاشمي، ناجي السويدي ودوره في السياسة العراقية ١٩٢١-١٩٤٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية-ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٠؛ (د.ك.و)، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٦٤؛ موضوع الملف: تقرير حول عدد من الشخصيات العراقية، ص ١٦؛ مؤيد الوندائي، المصدر السابق، ص ٤٤.
- (٥٧) خيرى أمين العمري، "شخصيات عراقية"، الجزء الأول، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٥، ص ١٤٧-١٤٨.
- (٥٨) نجدة فتحي صفوة، العراق في الوثائق البريطانية...، ص ٧٢.
- (٥٩) مؤيد الوندائي، المصدر السابق، ص ٤٤.

(60) F.O., 371/18945,E-434,on political situation in Iraq from Sir F.H.to sir J.S, January 10 ,1935,P.185.

(61) F.O., 371/18945,E-1972,report on circumstance of the resignation of Ali Jawdats cabinet from sir F.H. to sir J. Simon ,March 18, 1935,P.210.

(٦٢) بدون مؤلف، "تاريخ القوات العراقية المسلحة"، إصدار: مديرية التطوير القتالي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص ١٦٢.

(٦٣) بدون مؤلف، "تاريخ القوات العراقية المسلحة"، المصدر السابق، ص ١٦٢؛ وهيم طالب محمد، المصدر السابق، ص ١٣٣.

(٦٤) عبد الله بن الشريف حسين: ولد في مكة عام ١٨٨٢، أصبح نائباً عن الحجاز في مجلس المبعوثان العثماني عام ١٩٠٨، أدى دوراً هاماً في المفاوضات بين الشريف حسين وبريطانيا، بايعه المؤتمر العراقي في دمشق ملكاً على العراق في آذار ١٩٢٠، أصبح ملكاً على امارة شرق الاردن عام ١٩٤٦، سمي قائداً للجيش العربية التي قاتلت الصهاينة في فلسطين عام ١٩٤٨، اغتيل عام ١٩٥١. ينظر: نجدة فتحي صفوة، "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية..."، الجزء الثاني، ص ٨٠-٨١.

(٦٥) الامير علي بن الشريف حسين: ولد بمكة عام ١٨٨٠، وهو اكبر ابناء الشريف حسين اصبح قائداً للجيش بعد قيام والده بالثورة على الاتراك، اصبح ملكاً للحجاز بعد تنازل والده، ذهب الى العراق بعد ان اخفق في صد هجوم قوات عبد العزيز آل سعود، ناب عن الملك فيصل الاول أكثر من مرة خلال غيابه عن العراق، وهو والد الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق في عهد الملك فيصل الثاني، وبقي في بغداد حتى وفاته عام ١٩٣٥. ينظر:

نجدة فتحي صفوة، "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية....."،
الجزء الثاني، ص ٨٢.

(٦٦) بدون مؤلف، "تاريخ القوات العراقية المسلحة"، المصدر السابق،
ص ١٦٣.

(٦٧) عزيز علي المصري: ولد في مصر عام ١٨٧٩، تخرج في
المدرسة الحربية في اسطنبول عام ١٩٠٦، برتبة ملازم ثان، تزعم
الحركة العربية منذ بدايتها في مطلع القرن العشرين، أسس جمعية
العهد في اسطنبول عام ١٩١٣، اعتقل عام ١٩١٤، ثم اطلق
سراحه بسبب تدخل بعض الشخصيات العربية، اشترك في الثورة
العربية عام ١٩١٦، وعين قائداً عاماً للجيش العربية، شغل
مناصب عدة في الجيش المصري، توفي عام ١٩٦٥. للمزيد من
التفاصيل ينظر: محمد صبيح، بطل لا ننساه عزيز علي المصري
وعصره، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٧١.

(٦٨) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء
الرابع، ط ٢، دار الرشيد، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٨٩.

(٦٩) نشب خلاف بين نوري السعيد وعزيز علي المصري بسبب اختلاف
وجهات نظر، والصراع من اجل الموقع، ويبدو ان عزيز المصري
كان يرغب بالاتصال بالعثمانيين، وتشكيل قوة عربية عثمانية تحت
قيادته، غير ان ضباطاً علموا بذلك ومنهم نوري السعيد فابلغ
الشريف حسين بالموضوع وهذا دفع الشريف الى ابعاد المصري،
وعين بدله الضابط المصري محمود القيسوني، وقد اثار ذلك
التعيين استياء نوري لكون القيسوني اقل رتبة منه ولم يدرس مثله
في كلية الاركان، فكتب الى القيسوني يخبره رفضه العمل تحت

قيادته، فلما وصل الخبر الى الشريف قام بابعاد نوري عن جيشه ونقل الى جيش الامير عبد الله. ينظر: محسن محمد المتولي العربي، نوري باشا السعيد من البداية الى النهاية، الطبعة الاولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٨٨-٩١.

(٧٠) ابراهيم الراوي، "تكريات ابراهيم الراوي من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث"، ص ١٠٥-١٠٦.

(٧١) علاء جاسم محمد، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري....، ص ٤٣؛ علاء جاسم محمد، الملك فيصل الاول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق ١٨٨٣-١٩٣٣، الطبعة الاولى، منشورات مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٩٠، ص ٣٦.

(٧٢) بدون مؤلف، "تاريخ القوات العراقية المسلحة"، المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٧٣) محمد حسين الزبيدي، المصدر السابق، ص ٨٢؛ ت.أ. لورنس، اعمدة الحكمة السبعة، الطبعة الاولى، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، د.ت، ص ١١٢.

(٧٤) محمد حسين الزبيدي، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العراقية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر، ط ١، بغداد، ١٩٨٩، ص ٨٨.

(٧٥) حازم مجيد احمد الدوري، دور النخبة العسكرية العراقية في تطوير الفكر العربي في العراق ١٩٠٨-١٩٤١، اطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ والتراث العربي، ٢٠٠٢، ص ٩٩.

(٧٦) بدون مؤلف، "تاريخ القوات العراقية المسلحة"، المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٧٧) بدون مؤلف، "تاريخ القوات العراقية المسلحة"، المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٧٨) وادي موسى: هو احد فروع وادي العربة كان يسمى قديماً (البترا) يقع على مسافة ٢٠ كم غرب معان وهو يقع في الاردن حالياً، كان اليونانيون القدماء يسمونها (العربة الصخرية) وفيها اثار قديمة وبيوت منحوتة من الصخر وفيها ينابيع مياه، وقد سكنها الانباط ولا تزال اسماء ملوكهم منحوتة على الاحجار، وهي من الاماكن التي يقصدها السياح، واهم اثارها قصر فرعون وخزنته والمسرح وعلى مقربة منها مقام نبي الله هارون. للمزيد ينظر: محمد حسين الزبيدي، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٧٩) عبد الهادي كريم سلمان، الدور القومي والقيادي للضباط العراقيين في ثورة الحجاز وتحرير سوريا، مجلة افاق عربية، بغداد، عدد ٤، نيسان، ١٩٩٩، ص ٥٧.

(٨٠) جعفر العسكري، "مذكرات جعفر العسكري"، ص ١٢٠؛ سليم طه التكريتي، مولود مخلص بطل معركة وادي موسى في الثورة العربية الكبرى، الطبعة الاولى، الدار العربية، بغداد، ١٩٩٠، ص ٣٠.

(٨١) محمد حسين الزبيدي، المصدر السابق، ص ٩٦.

(٨٢) قاسم محمد صالح، في رحاب الثورة العربية الكبرى- دراسة تحليلية عسكرية، الجزء الاول، الطبعة الاولى، بلا، ١٩٨٧، ص ١٢٣-١٢٥.

(٨٣) نوري السعيد، "مذكرات نوري السعيد...."، ص ٦٤-٦٥؛ عبد الهادي كريم سلمان، المصدر السابق، ص ٥٧-٥٨.

(٨٤) سليمان موسى، "مذكرات الامير زيد...."، ص ٢٥٢.

- (٨٥) نقلاً عن: انتوني ناتنغ ولويل ثوماس، لورنس لغزالجزيرة العربية، اعداد الحسيني معدي، ط١، دارالكتاب العربي، سوريا، ص ٢٨٧.
- (٨٦) نوري السعيد "مذكرات نوري السعيد....."، ص ٧١-٧٢.
- (٨٧) تحسين علي، "مذكرات تحسين علي"، ص ٧٣-٧٤.
- (٨٨) نوري السعيد، "مذكرات نوري السعيد....."، ص ٧٧-٨٠.
- (٨٩) عبد الهادي كريم سلمان، المصدر السابق، ص ٥٩-٦٠.
- (٩٠) جمعة عليوي فرحان ساجت الخفاجي، علي جودت الايوبي ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٥٨، اطروحه دكتوراه غير منشورة، تربيته ابن رشد، بغداد، ١٩٩٧، ص ٥٢.
- (91) Brain Gardner, Allen by of Arabia, New York, 1971, p.186- 194.
- (٩٢) عبد الهادي كريم سلمان، المصدر السابق، ص ٦٠.
- (٩٣) رحيم عبد الحسين عباس، المصدر السابق، ص ٢٥.
- (٩٤) عبد الهادي كريم سلمان، المصدر السابق، ص ٦٠.
- (٩٥) حازم مجيد احمد الدوري، المصدر السابق، ص ١٥٤.
- (٩٦) جعفر العسكري، "مذكرات جعفر العسكري"، ص ١٤٧-١٤٨؛ علاء جاسم محمد، جعفر العسكري....، المصدر السابق، ص ٥٦.
- (٩٧) تحسين علي، "مذكرات تحسين علي"، ص ٨١.
- (٩٨) عبد الهادي كريم سلمان، المصدر السابق، ص ٦١.
- (٩٩) تحسين علي، "مذكرات تحسين علي"، ص ٨١-٨٢.
- (١٠٠) علي جودت، "تكريات علي جودت ١٩٠٠-١٩٥٨"، ص ٧٣.

- (١٠١) جعفر العسكري، "مذكرات جعفر العسكري"، ص١٤٨؛ علاء جاسم محمد، جعفر العسكري....، ص٥٦.
- (١٠٢) حازم مجيد الدوري ومجيد هدا ب هلهول، الحراك السياسي للضباط العراقيين في سوريا ١٩١٨-١٩٢٠، "الاستاذ" (مجلة)، بغداد، العدد ١٧٧، تموز، ٢٠١١، ص٢٢٩.
- (١٠٣) جمعة عليوي فرحان ساجت الخفاجي، المصدر السابق، ص٥٦.
- (١٠٤) جمعة عليوي فرحان ساجت الخفاجي، المصدر السابق، ص٥٦-٥٧؛ حازم مجيد الدوري ومجيد هدا ب هلهول، المصدر السابق، ص٢٣٠.
- (١٠٥) جعفر العسكري، "مذكرات جعفر العسكري"، ص١٤٩.
- (١٠٦) نقلاً عن: جعفر العسكري، "مذكرات جعفر العسكري"، ص١٥١.
- (١٠٧) نقلاً عن: "العاصمة"، العدد ٢، ٢٠ شباط ١٩١٩.
- (١٠٨) علاء جاسم محمد، جعفر العسكري....، ص٥٧.
- (١٠٩) عدنان هري ر جوده، ابطال ثورة مايس ١٩٤١، صلاح الدين الصباغ، افاق عربية، بغداد، العدد ٧، تموز، ١٩٩١، ص٤٩.
- (١١٠) طارق يونس عزيز السراج، المصدر السابق، ص٦٢.
- (١١١) علي جودت، "تكريات علي جودت ١٩٠٠-١٩٥٨"، ص٨٠-٨١.
- (١١٢) جمعة عليوي فرحان ساجت الخفاجي، المصدر السابق، ص٥٧-٥٨.
- (١١٣) المصدر نفسه، ص٥٨.
- (١١٤) طه الهاشمي، "مذكرات طه الهاشمي ١٩١٩-١٩٤٣"، ص٥٩؛ خضر العباسي، طه الهاشمي - عسكري - سياسي - مؤلف،

- "المكتبة" (مجلة)، بغداد، العدد ٢، حزيران ١٩٦٢، ص ٣١؛ يحيى كاظم حمود المعموري، المصدر السابق، ص ٢٩.
- (١١٥) تحسين علي، "ذكريات تحسين علي"، ص ٨٠-٨٢.
- (١١٦) ناجي شوكت "سيرة وذكريات..."، ص ٤٨؛ فائز سعيد عبد الله الكبيسي، المصدر السابق، ص ٢٤.
- (١١٧) هند غسان ابو الشعر، الانظمة والقوانين والاجراءات المالية في عهد الحكومة العربية الفيصلية ١٩١٨-١٩٢٠، بحث منشور في بناء الدولة العربية الحديثة، تجربته فيصل ابن الحسين في سوريا والعراق ، ط ١، منشورات جامعة ال البيت ، عمان، ١٩٩٩، ص ١٧٣-١٧٤.
- (١١٨) عبد الهادي كريم سلمان، المصدر السابق، ص ٦١.
- (١١٩) نقلاً عن: زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الاوسط، ط، بيروت، ١٩٧١ ص ١٣٠.
- (١٢٠) " الطريق "، العدد ٨٨١، ٢٠ شباط ١٩٣٦؛ فوزي القاوقجي، "مذكرات فوزي القاوقجي"، اعداد: خيرية قاسمية، الجزء الاول، الطبعة الاولى، دار القدس، بيروت، ١٩٧٥، ص ٦٣؛ سؤدد كاظم مهدي، ارنولد ولسن ودوره في السياسة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٥، ص ١٤٥-١٤٦.
- (١٢١) " الطريق "، العدد ٨٨١، ٢٠ شباط ١٩٣٦.
- (١٢٢) حازم مجيد الدوري ومجيد هدا ب هلهول، المصدر السابق، ص ٢٣٢.
- (١٢٣) عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص ٦٢-٦٦.
- (١٢٤) مجيد خدوري، المصدر السابق، ص ٨١.

- (١٢٥) عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص ٦٢-٦٦؛ محسن محمد المتولي العربي، المصدر السابق، ص ١٠٠.
- (١٢٦) خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٢٩.
- (١٢٧) احسان هنيدي، كفاح الشعب السوري، ص ٢٦؛ عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص ٦٥-٧٢.
- (١٢٨) خيرية قاسمية، المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤٢.
- (١٢٩) نقلاً عن: عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص ٦٥-٧٢.
- (١٣٠) حازم مجيد الدوري ومجيد هدا ب هلهول، المصدر السابق، ص ٢٣٦.
- (١٣١) قدرى قلجى، الثورة العربية الكبرى...، ص ٣٩٣، حسن الأمين، سراب الاستقلال في بلاد الشام ١٩١٨-١٩٢٠، رياض الرئيس للكتب والنشر. دمشق ، د.ت، ص ٢٤٩-٢٥٢.
- (١٣٢) خيرية قاسمية المصدر السابق، ص ١٧٤.
- (١٣٣) علاء جاسم محمد، جعفر العسكري....، ص ٥٧ .
- (١٣٤) أبناء وبنات الفريق حسن تحسين الفقير، " مذكرات حسن تحسين الفقير الانتداب الفرنسي الغاشم على سوريا احداث ما قبل ومجرى وقائع معركة ميسلون وفرض الانتداب الفرنسي الى ان تم اجلاء في ١٧ نيسان ١٩٤٦ "، دمشق ٢٠٠٤، ص ٥٤.
- (١٣٥) عدنان هرير جودة، المصدر السابق، ص ٤٩.

- (١٣٦) جزيرة ارواد: وهي جزيرة سورية صغيرة تقع بالقرب من الساحل مقابل مدينة طرطوس طولها (٨٠٠) م وعرضها (٥٠٠) م، اتخذها الفرنسيون بعد الاحتلال الفرنسي لسوريا منفى لزعماء الحركة الوطنية فيها. ينظر: احمد عطية الله، القاموس السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٤٥-٤٦.
- (١٣٧) نضر علي امين الشريف، عبدالرحمن الكواكبي دراسه سياسيه فكريه ، اطروحه دكتوراه غير منشوره،كلية الاداب،جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص ١٦.
- (١٣٨) رحيم عبد الحسين عباس، المصدر السابق، ص ٢٧.
- (١٣٩) صباح مهدي ويس، الثورة السورية الكبرى وموقف الراي العام العراقي ١٩٢٥-١٩٢٧، رساله ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩ ص ١٦١.
- (١٤٠) خيرية قاسمية المصدر السابق، ص ٢٠٩.
- (١٤١) حازم مجيد الدوري ومجيد هدا ب هلهول، المصدر السابق، ص ٢٣٧.
- (١٤٢) علاء جاسم محمد، جعفر العسكري، ص ٥٨-٥٩.
- (١٤٣) حازم مجيد الدوري ومجيد هدا ب هلهول، المصدر السابق، ص ٢٣٩.
- (١٤٤) بدون مؤلف، "تاريخ القوات العراقية المسلحة"، المصدر السابق، ص ١٦٦.
- (١٤٥) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، دار الرشد، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٥٠.

(١٤٦) عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص ٧٥-٧٦؛ قيس فاضل محمد النعيمي، المصدر السابق، ص ٩.

(١٤٧) كورنواليس: ولد عام ١٨٨٣، مستشار وزارة الخارجية في العراق للمدة من عام ١٩٢١ وحتى ١٩٣٥، اصبح سفيراً لبريطانيا في العراق عام ١٩٤١، وقد واجه هذا التعيين احتجاجاً من قبل العقداً الاربعة، الذين وجدوا في هذا التعيين خطوة من خطوات بريطانيا لرفض الاعتراف بحكومة رشيد عالي الكيلاني التي شكلت عام ١٩٤١، توفي عام ١٩٥٩. ينظر: رجاء حسين حسني الخطاب، تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من ١٩٢١-١٩٤١، الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٧٩، ص ٢٥٥؛ نجدة فتحي صفوة، "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية"، الجزء الثاني، ص ٨٨-٨٩.

(١٤٨) عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص ٧٥-٧٦؛ قيس فاضل محمد النعيمي، المصدر السابق، ص ٩.

(١٤٩) ارنولد ولسن (Arnold welson): ولد في بريطانيا عام ١٨٨٤، تخرج في كلية ساندهرست العسكرية عام ١٩٠٢، التحق بالحكومة البريطانية في الهند، شارك في الحملة البريطانية = على العراق، عين وكيلاً للحاكم المدني العام في العراق عام ١٩١٨، واستمر في هذا المنصب حتى اقصائه عام ١٩٢٠، شارك في الحرب العالمية الثانية وقتل فيها عام ١٩٤٠. للمزيد من التفاصيل ينظر: سؤدد كاظم مهدي، المصدر السابق، ١٩٩٥.

(١٥٠) عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص ٧٥-٧٦؛ قيس فاضل محمد النعيمي، المصدر السابق، ص ٩.

(١٥١) المس بيل (G.M.C.Bell): وهي كروتروود مركريت لوثيران بيل، ولدت في بريطانيا عام ١٨٦٨، ودرست في جامعة اكسفورد، كما درست التاريخ السياسي، وتعلمت اللغة العربية والالمانية والفرنسية، زارت العراق عام ١٩١٤، والقاهرة عام ١٩١٥، ثم عادت الى البصرة عام ١٩١٦ لتعمل معاوناً للحاكم السياسي برسي كوكس، وأخذت تنتقل بين البصرة وبغداد، وكان لها دور في نقل المعلومات الاستخبارية عن العراق للحكومة البريطانية، توفيت عام ١٩٢٦. للمزيد من التفاصيل عن حياتها ينظر: محمد يوسف ابراهيم القرشي، المس بيل وأثرها في السياسة العراقية، تقديم: صادق حسن السوداني، مكتبة البقعة العربية، بغداد، ٢٠٠٣؛ يعقوب يوسف كوربا، الانجليز في حياة فيصل الاول، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٧٤-٢٢٢.

(١٥٢) سؤدد كاظم مهدي، المصدر السابق، ص ١٣٨.

(١٥٣) المصدر نفسه، ص ١٣٨-١٣٩.

(١٥٤) سليمان موسى، الحركة العربية سيرة المرحله الاولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩٢٤، ط ١، دارالنهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص ٤٩٧.

(١٥٥) اللورد كرزن: ولد في بريطانيا عام ١٨٥٩، اصبح عضواً في مجلس العموم البريطاني عام ١٨٨٦، عين نائباً للملك في الهند عام ١٨٩٨، شغل منصب وزير خارجية بريطانيا = عام ١٩١٥ وعام ١٩٢٢-١٩٢٤، توفي عام ١٩٢٥ نتيجة لأصابته بمرض عضال. للمزيد من التفاصيل ينظر: فرح باسم ابراهيم ، اللورد كرزن ودوره في توجيه السياسة البريطانية في الخليج العربي حتى عام

١٩٠٥، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦؛ نجدة فتحي صفوة، "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية..."، الجزء الرابع، ص ٩٠-٩١.

(١٥٦) غيلبرت كلايتون: ولد عام ١٨٧٥ وهو من خبراء بريطانيا في الشؤون العربية، تخرج ضابطاً في الجيش البريطاني عام ١٨٩٥، رافق اللورد كيتشنر في مصر والسودان، أصبح مستشاراً لوزارة الداخلية في مصر، عين خلال الحرب العالمية الأولى رئيساً للاستخبارات العسكرية في مصر ورقى إلى رتبة جنرال، أسس المكتب العربي و تولى ادارة فلسطين بعد احتلالها من قبل القوات البريطانية، عهدت إليه مهمة التوفيق بين مصالح الحلفاء المتضاربة في سورياً، أصبح مندوباً سامياً لبريطانيا في العراق عام ١٩٢٩، وتوفي في السنة نفسها. ينظر: عبد الامير هادي العكام، الحركة الوطنية العراقية ١٩٢١-١٩٣٣، النجف، ١٩٧٥، ص ٣١١؛ كلود غيو ، النظام السياسي والاداري في بريطانيا، ترجمة: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٢؛ نجدة فتحي صفوة، "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية..."، الجزء الاول، ص ١١٤-١١٥.

(١٥٧) سليمان موسى، الحركة العربية....، ص ٤٩٧.

(١٥٨) هيوبرت يونغ: عسكري واداري بريطاني، ولد عام ١٨٨٥، تخرج ضابطاً عام ١٩٠٤، تعلم اللغة العربية واصبح مترجماً للجيش، في عام ١٩١٥ عين مساعداً للضابط السياسي في العراق، شارك في عمليات الحجاز ضد الاتراك بعد قيام الثورة العربية، اصبح مستشاراً في مكتب المندوب السامي البريطاني في العراق ١٩٢٩-

١٩٣٢ ثم وزيراً مفوضاً في العراق، توفي عام ١٩٥٠. ينظر: نجدة فتحي صفوة، "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية..."، الجزء الخامس، ص ٩٢.

(١٥٩) عبد الرزاق احمد النصيري، المصدر السابق، ص ٧٧-٧٨.

(١٦٠) المصدر نفسه، ص ٧٨.

(١٦١) فاروق صالح العمر، الأحزاب السياسية في العراق ١٩٢١-

١٩٣٢، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٨، ص ٣١؛ علاء جاسم محمد، جعفر العسكري...، ص ٦٠.

(١٦٢) صباح مهدي ويس، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(١٦٣) توفيق السويدي، "مذكراتي نصف قرن"، ص ٥٨-٦٣؛ رفعت

العسلي، كفاح سورية تاريخ مفصل جامع للقضية السورية والنضال السياسي في ديار الشام، الجزء الاول، الطبعة الاولى، دمشق، ١٩٤٧، ص ٩٤.

(١٦٤) توفيق السويدي، "مذكراتي نصف قرن..."، ص ٦٣.

(١٦٥) قحطان احمد سليمان، المساعدات الخارجية وثورة العشرين، "افاق

عربية" (مجلة)، بغداد، العدد ١١، تموز ١٩٧٧، ص ٩٢-٩٣.

(١٦٦) علي جودت، "تكريات علي جودت ١٩٠٠-١٩٥٨"، ص ٩٠-٩١.

(١٦٧) رمضان شلاش: هو ابن رئيس عشير البو سراية القاطنة على

بعد ١٠ كم شمال دير الزور، تتقف في مدرسة العشائر للضباط في اسطنبول، خدم في الجيش التركي، ثم التحق بالجيش الحجازي ودخل معهم الى سوريا، ثم عين قائممقاماً للرقعة، وكان له دور فاعل في حركات دير الزور. ينظر: نجدة فتحي صفوة، "الجزيرة

العربية في الوثائق البريطانية...، الجزء الثالث، ص ٨٣؛ "الطريق"، العدد ٨٦٨، ٥ شباط ١٩٣٦.

(١٦٨) (د.ك. و)، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٣٦٨٦/٣١١، عريضة عشائر لواء دير الزور الى الملك فيصل، و ٥، ص ٥، و ٧، ص ٧؛ George kirk , A short History of the middle East, . London, 1971 , p.171.

(١٦٩) علي الوردي، لمحات اجتماعية...، الجزء الخامس، ص ١٤٤.

(١٧٠) تحسين العسكري، "مذكراتي عن الثورة العربية والعراقية"، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٣٨، ص ٥٣؛ علي الوردي، لمحات اجتماعية...، الجزء الخامس، ص ١٤٥.

(١٧١) بدون مؤلف، "تاريخ القوات العراقية المسلحة"، المصدر السابق، ص ١٦٨.

(١٧٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية....، الجزء الخامس، ص ١٤٥-١٤٧.

(١٧٣) صباح مهدي ويس، المصدر السابق، ص ١٦٠.

(١٧٤) لجمن: ولد في بريطانيا عام ١٨٨٠، تخرج في كلية ساند هرس، برتبة ملازم ثان، شارك في معارك البوير في جنوب أفريقيا، رقي إلى رتبة ملازم اول عام ١٩٠٣، له اطلاع جيد على كتب التاريخ القديم والحديث، عمل في الهند، تولى مناصب سياسية مختلفة في العراق والجزيرة العربية في المدة ١٩٠٨-١٩٢٠، اغتيل في العراق اثر قيام ثورة العشرين. للمزيد من التفاصيل ينظر: ن. براي، مغامرات لجمن في العراق والجزيرة العربية ١٩٠٨-١٩٢٠، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي، الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٩٠.

- (١٧٥) جمعة عليوي فرحان ساجت الخفاجي، المصدر السابق، ص ٦٦.
- (١٧٦) علي الوردي، لمحات اجتماعية...، الجزء الخامس، ص ١٥٣.
- (١٧٧) جمعة عليوي فرحان ساجت الخفاجي، المصدر السابق، ص ٦٦.
- (١٧٨) محمد حسين الزبيدي، المصدر السابق، ص ١٧١-١٧٢.
- (١٧٩) تحسين العسكري، "مذكراتي عن الثورة العربية والعراقية"، الجزء الاول، بغداد، ١٩٣٦، ص ٣٩.
- (١٨٠) سليم طه التكريتي، صفحات مجهولة من ثورة العشرين، "افاق عربية" (مجلة)، بغداد، العدد ١٠، حزيران ١٩٨٢، ص ١٩.
- (١٨١) "الطريق"، العدد ٩٠٩، ٢٧ اذار ١٩٣٦.
- (١٨٢) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الثالثة، ايران، ١٩٧١، ص ٩٩.
- (١٨٣) "الطريق"، (جريدة) العدد ٩١٠، ٢٩ اذار ١٩٣٦.
- (١٨٤) هاري سنت جون فيلبي (John Felipe): مستشرق بريطاني شهير، ولد في سريلانكا عام ١٨٨٥، تخرج في جامعة كمبرج، وفي عام ١٩١٥ استخدم في مهام سياسية مع قوات الاحتلال البريطانية في العراق، وعين مستشاراً للداخلية عام ١٩٢١، كان معارضاً لترشيح فيصل لعرش العراق، أسس في جدة شركة تجارية تحت اسم الشركة الشرقية المحدودة، اسلم عام ١٩٣٠، واتخذ عبد الله اسماً له، له مؤلفات قيمة عن البلاد العربية . للمزيد من التفاصيل عن حياته ينظر: سحر عباس خضير، جون فلبي وأثره السياسي في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦؛ نجدة فتحي صفوة، "الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية..."، الجزء الرابع، ص ٨٩-٩٠.

- (١٨٥) المرهولدن، ثورة العراق ١٩٢٠، ترجمة: فؤاد جميل، بغداد، ١٩٦٥، ص ٦٠؛ سنت جون فيلبي، "ايام فيلبي في العراق"، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، ١٩٥٠، ص ٣٥.
- (١٨٦) حازم مجيد الدوري ومجيد هدا ب هلهول، المصدر السابق، ص ٢٤٣-٢٤٤.

الصراع العثماني الصفوي في القرن السادس عشر

د. نجلاء عدنان حسين

م.م فاضل جاسم

المقدمة

شهد القرن السادس عشر بروز قوتين في الشرق الأدنى هما الدولة العثمانية والدولة الصفوية اللتين كانتا في أوج قوتيهما، وأخذت كل منهما تحاول التوسع والاستيلاء على حساب الأخرى وخاصة في مناطق الأناضول والاستيلاء على طرق التجارة الرئيسية فيها. ففي هذه الفترة تراكمت الأحداث بشكل معقد ومتشابك نتج عنها انعكاسات سلبية على الدولتين، فقد خاض العثمانيون مع الصفويين عدة معارك والتي أشهرها كانت معركة جالديران وقيام الدولة العثمانية بالعديد من الحملات العسكرية الى داخل بلاد فارس. كما شهدت هذه الفترة بروز شخصيات قوية من كلا البلدين، ففي الدولة العثمانية برزت شخصية سليم الأول والسلطان سليمان القانوني اما في الدولة الصفوية برزت شخصية كل من الشاه اسماعيل الصفوي والشاه طهماسب. فبروز الدولة الصفوية وتهديدها لحدود الدولة العثمانية كان أحد الأسباب التي دفعت الدولة العثمانية لتغيير استراتيجيتها في التوسع نحو الغرب لمواجهة الخطر الصفوي في الشرق، وأتخذت القضية المذهبية من كلا الطرفين كحجة لإعلان الحرب فيما بينهما.

قسم البحث الى عدة مباحث تناول المبحث الأول جذور العلاقات ما بين البلدين وخاصة مع بداية تأسيس الدولة الصفوية القوية بزعامة اسماعيل الصفوي ومحاولة هذه الدولة الحديثة منافسة الدولة العثمانية القوية، أما المبحث الثاني تناول بداية الحروب التي اندلعت بينهما والتي تمثلت بمعركة جالديران وهزيمة الصفويين فيها، أما المبحث الثالث تناول أهم نتائج معركة جالديران على كلا البلدين وخاصة الدولة الصفوية، أما المبحث الرابع تناول فترة حكم السلطان سليمان الملقب بالقانوني

والذي تدهورت في عهده الأوضاع ما بين البلدين، وقيامه بالعديد من الحملات ضد الدولة الصفوية فدخل على أثرها الى بلاد فارس أكثر من مرة، وانتهت الاضطرابات ما بين البلدين في عهده بعقد معاهدة أماسية. أما المبحث الأخير فتناول طبيعة العلاقات ما بين البلدين في الربع الأخير من القرن السادس عشر وكيفية حدوث الاضطرابات الداخلية في الدولة الصفوية بعد وفاة الشاه طهماسب واستغلال الدولة العثمانية لهذا الأمر والتدخل في شؤون الدولة الصفوية واحتلالها لبعض المناطق الفارسية واخيراً ظهور شخصية الشاه عباس الكبير وعقده لمعاهدة فرهاد باشا ما بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية.

المبحث الأول

جذور الصراع العثماني الصفوي

أتسمت العلاقات العثمانية ^(١) الفارسية بالتدهور منذ بداية القرن السادس عشر ففي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية أخذت بالتعاظم أثر فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ على يد السلطان محمد الفاتح ^(٢)، كانت منطقة أذربيجان الفارسية تتمخض عن ولادة حركة صفوية قدر لها فيما بعد أن تكون خطراً كبيراً على الدولة العثمانية فقد كان ظهور الدولة الصفوية ^(٣) في بلاد فارس من جملة الأسباب التي أحدثت انقلاباً في استراتيجية الدولة العثمانية فتوقف زحفها في أوربا خلال هذه الفترة وبدأ صراع طويل بين الدولتين ^(٤).

والحقيقة أن العلاقات تأزمت بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية بعد أن برزت هذه الأخيرة كقوة أصبح لها ثقلها السياسي والديني والعسكري في المنطقة ولاسيما في الحدود الشرقية للدولة العثمانية، فبعد أن قضى الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠١-١٥٢٤) على دولة الاق قوينلو ^(٥) في العراق عام ١٥٠٨ جعل ابراهيم خان حاكماً عليها ^(٦)، فورث الشاه بعدها ممتلكات هذه الدولة فسيطر على أذربيجان والعراق وبلاد فارس ووسع حدود دولته الى حد نهر جيحون بأواسط آسيا ^(٧). ولابد من الإشارة هنا أن الطريقة الصفوية لم تكن في بداية أمرها تختلف كثيراً عن الطريقة (البكتاشية) ^(٨) من حيث كونها مزيجاً من التصوف والتشيع الاثنى عشر وكان اتباعها قد عرفوا باسم (القليلاش) أي ذو الرؤوس الحمراء وذلك لأنهم كانوا يضعون على رؤسهم قلنسوة حمراء فيها اثنتا عشر طية إشارة الى الأئمة الاثنى عشر ^(٩) وبذلك أصبح الصفويون الذين تعاضمت قوتهم بسرعة يهددون الامبراطورية العثمانية.

يعد الشاه اسماعيل الصفوي مؤسس هذه الدولة وهو الذي فرض التشيع الاثنا عشري على بلاد فارس وأن كان متواجداً هذا المذهب في هذه البلاد منذ فترات تاريخية طويلة، الا أنه جعله مذهباً رسمياً للدولة، مع العلم أن هذا الامر كان قد اثار

بعض المدن في إيران ومنها تبريز الذين كانوا من السنة. ويبدو أن الشاه اسماعيل اراد من هذا المذهب أن يكون القوة الداعمة لحكمة وذلك من أجل البروز وتحقيق اهدافه التوسعية ومواجهة أعدائه خارج حدود الدولة الفارسية^(١٠).

وعلى غرار تيمور لنك^(١١) واوزون حسن زعيم الاق قوينلو من قبله اعلن الشاه اسماعيل الصفوي بدوره عن رغبته بجعل الاناضول جزءاً من امبراطوريته الفارسية وبناءً عليه وبعد أن شعر العثمانيون بالخطر في الشرق حاولوا أن ينهوا الحرب مع البندقية. ولكن الشاه اسماعيل رد على ذلك فيما بعد بطلب تحالف مع البندقية مقابل تزويده بالمدافع. وعلى الرغم من استفزازات الشاه الا أن السلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢)^(١٢) لم يفعل شيئاً أمام هذه الاستفزازات فحكومته كانت خاملة وادارته منحلة. ولكن في عام ١٥١١ وفي سنوات حكمه الأخيرة حين انشغل الأمراء العثمانيون من جديد بالعرش، اشعل القزلباش تمرداً جديداً في مرتفعات الأناضول الغربي بقيادة احد دعاة الشاه اسماعيل. وقد قامت قوات التمرد باحراق وتدمير كل ما وجدته في طريقها الى بورصة^(١٣).

ولا شك أن وجود السلطان بايزيد الثاني المعروف بشخصيته الضعيفة والمتردة والمسالمة وميله للعلم والتصرف هي من شجعت الشاه اسماعيل في مضاعفة جهوده للتوسع والاستيلاء على ممتلكات الدولة العثمانية وفي تحويل الاناضول الى المذهب الشيعي خاصة وأن تلك الجهود كانت تلقى نجاحاً متتالياً من قبل القبائل التركمانية الساكنة في جهات الأناضول الحدودية ما بين البلدين^(١٤).

لذلك ادى تفكك الاناضول المرتبط بالعجز الواضح للسلطان بايزيد الثاني الى تفجر ازمة سياسية والى تنافس ابناء السلطان الثلاثة على العرش مما كان له الاثر السيء على الدولة العثمانية. وكان سليم بن السلطان بايزيد الاكثر بغضاً للشاه اسماعيل الاول واكثر قلقاً على مستقبل البلاد، فطلب من والده ان يعينه حاكماً على احدى ولايات اوربا، فرفض طلبه عند ذلك شق عصا الطاعة وتقدم على رأس جيش

جرار الى بلاد الروملي وظهر امام مدينة ادرنه في عام ١٥١١ واجبر والده على تلبية طلبه فعيّنه السلطان والياً على سمندرية وفيدن بالقرب من بلغراد والاه حصار ونيقوبوليس^(١٥).

واستغل سليم التمرد الذي حصل في تكة وغياب والده عن العاصمة فزحف من مقر اقامته الى ادرنه واعلن نفسه سلطاناً على العثمانيين، الامر الذي دفع السلطان بايزيد الى ارسال قوات من الجيش لمواجهة قوات سليم عند جورلي، اجبر بعدها على الارتداد الى بلاد القرم وبدا لاختيه احمد بن بايزيد ان باستطاعته التوجه الى العاصمة لاعلان نفسه سلطاناً مكان والده، لكن الانكشارية الذين اتهموه بعدم الكفاءة تمردوا عليه وارغموه على الانسحاب^(١٦).

واثناء اضطراب الاوضاع في الدولة العثمانية كانت الاحداث تسير لصالح الشاه اسماعيل الصفوي الذي دبر في بداية عام ١٥١٢ تمرداً قاده نور علي خليفة في توقات واماسية ويعد التمرد الوحيد ذا الصلة الوحيدة بالشاه الذي ادارته بنفسه، مما اثار غضب الانكشارية الذين ازعجهم خسارة سليم وانتصار الشاه اسماعيل، فالحوا على السلطان بايزيد ان يعفوا عنه فاستجاب لطلبهم واعادة سليم الى سمندرية، لكن حدث اثناء انتقاله ان ساندته الانكشارية الذين وضعوا ثقتهم به فدخلوا العاصمة وضغطوا على السلطان للتنازل له عن العرش مرغماً^(١٧).

لذلك كان من الواضح أن السلطان بايزيد الثاني العجوز والمريض لم يعد قادراً على السيطرة على الوضع في الدولة العثمانية ومدى تدخل الانكشارية في سياسة الدولة. ولذلك فقد نجح الأمير سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠)^(١٨) ابن السلطان بايزيد الثاني الذي كان يدعو من البداية الى موقف صارم ضد الشاه اسماعيل في كسب تأييد الانكشارية^(١٩) وأرغم والده على التنازل عن العرش في ٢٤ نيسان ١٥١٢^(٢٠).

وألحق أن قوى المشرق بدت لسليم الأول وكأنها قوى عدوانية تدبر للدولة العثمانية حتفها حيث لم يكن سلوك الشاه اسماعيل الصفوي هو المعادي، وإنما كان سلوك قانصوه الغوري حاكم المماليك ^(٢١) في مصر نحوه معادياً ايضاً. فبينما كان الشاه اسماعيل ينشر المذهب الشيعي ويحرك القبائل التركمانية ضد الدولة العثمانية في الاناضول كان قانصوه الغوري يستقبل في بلاطه الثائرين والفارين من وجهه سليم وخاصة اخوته المطالبين بالعرش العثماني ومن ثم كان لا بد وأن يقع الصدام بين سليم الأول من جهة والشاه اسماعيل أو الغوري من جهة أخرى ^(٢٢).

المبحث الثاني

بداية الحروب الصفوية واندلاع معركة جالديران

بدأ سليم الأول عهده بأبعاد كل أخوته الذين كانوا ينافسونه على العرش واحداً بعد الآخر ومن ثم التفرغ لخصومه^(٢٣)، والمعروف أن الشاه اسماعيل الصفوي عد السلطان سليم مغتصباً للسلطة وساند شقيقه احمد بن بايزيد بوصفه الخليفة الشرعي لابيه، لأن السلطان بايزيد الثاني عينه ولياً لعهد^(٢٤).

ونتيجة لاضطراب الاوضاع بين البلدين عقد السلطان سليم مجلساً للحرب في مدينة ادرنة في ١٦ اذار ١٥١٤ ووضع قادة جيشه والاعيان في جو الصدام، على اعتبار ان الشاه اسماعيل الصفوي وحكومته الشيعية في ايران ستشكل خطراً كبيراً على العالم الاسلامي وأن الجهاد ضدهم واجب ديني على جميع المسلمين^(٢٥) وكان من الطبيعي أن يبدأ سليم الأول بالشاه اسماعيل الصفوي حيث أنه كان يمثل الخطر المباشر على الدولة العثمانية وكان الاتراك بصفة عامة يفخرون بأنهم حماة المذهب السني من الشيعة كما قام بقتل وسجن حوالي أربعين ألفاً من اتباع الشاه اسماعيل في الأناضول. ثم التفت الى أصل الداء وبعد أن أكمل استعداداته العسكرية انطلق على رأس جيش جرار من أدرنه الى استنبول ثم توجه نحو الأناضول الشرقي قاصداً بلاد فارس^(٢٦).

وفي الطريق تبادل الطرفان رسائل مفعمة بالحقد والكراهية والسخرية ومن الطريف أن الجيش العثماني قطع صحارى اذربيجان وتوغل في الأراضي الفارسية وما زال الشاه اسماعيل الصفوي يكتب للسلطان سليم يدعوه للخروج الى ميدان القتال ويتهمه بالجبن تارة ويذكره بما كان بين أبائهما من صداقه تارة أخرى وما كان بين كليهما من مودة أثناء أماره سليم على طرابزون^(٢٧).

وفي اثناء مراسلات السلطان سليم للشاه اسماعيل الصفوي ارسل السلطان سليم الى احد افراد اسرة الاق قوينلو وهو محمد بن فرج شاه بيك يحثه على الاشتراك

معه في قتال اسماعيل الصفوي، وبدأت حرب الاستطلاع بين المعسكرين المتحاربين وفي هذه الاثناء وصلت الاخبار للسلطان تقول أن الشاه اسماعيل الصفوي ينوي القتال وانه يؤخره الى ان يحل فصل الشتاء حتى يهلك العثمانيون برداً وجوعاً^(٢٨).

ويبدو أن الشاه اسماعيل خشى الدخول في معركة سافرة مع الجيش العثماني بعد ان علم بواسطة جواسيسه بضخامة تجهيزاته وقاقلية اسلحته وبخاصة المدفعية بالمقارنة مع اسلحة القزلباش الخفيفة^(٢٩). كما أن الشاه اسماعيل الصفوي وجد نفسه وحيداً يواجه السلطان سليم القوي وخاصة بعد فشله في حمل البندقية والدول الاوربية الدخول معه في تحالف لضرب العثمانيين، لأن البندقية كانت خارجة من حرب خاسرة مع الدولة العثمانية جلبت لها الهزيمة والانهار الاقتصادي في حين كانت الدول الاوربية الاخرى منهكة في مشكلاتها الداخلية^(٣٠).

بدأ السلطان سليم الاول يسرع في تحريك الصراع بينه وبين الشاه اسماعيل فارسل اليه للمرة الثانية وارسل مع رسالته هذه المرة خرقة ومسبحة وكشكولاً وعصا التي كانت تعتبر رمز فرق الدراويش، حاول من خلالها ان يذكر الشاه باصله واصل اسرته الصفوية التي لاتستطيع الصمود في الحرب، ومع ذلك فقد رد الشاه اسماعيل بطلب المهادنة وتجديد علاقات السلم والصداقة بين الدولتين، الامر الذي رفضه السلطان سليم بل اهان رسول الشاه اسماعيل وامر بقتله، وعند ذلك ادرك السلطان ان خطة اعدائه تتلخص في المهادنة والتباطؤ لتأجيل موعد اللقاء حتى يحين فصل الشتاء، فاستمر السلطان سليم في تحركه حتى وصلته الاخبار أن اسماعيل الصفوي قد بدا الاستعداد للقتال والحرب وانه على وشك الوصول الى وادي جالديران^(٣١).

وأثناء تطور هذه الاحداث وصل السلطان سليم وقواته الى وادي جالديران (سهل في اذربيجان شرقي بحيرة ارمية بالقرب من تبريز) ٢٣ في آب ١٥١٤ حيث تقابل جيشه مع جيش اسماعيل الصفوي الذي كان هو الآخر قد تقدم الى المنطقة للانتقام لاتباع مذهبه. ودارت بين الطرفين معركة ضارية انهزم فيها الجيش الصفوي هزيمة منكرة وخلص الشاه نفسه بصعوبة وفر من ساحة المعركة تاركاً كل ما يمتلكه

لقمة سائغة لسليم وجنده كما وقعت زوجة^(٣٢) الشاه اسماعيل في أسر القوات العثمانية، أما العامل الأساسي الذي أدى الى انتصار العثمانيين في هذه المعركة، فبالإضافة الى ضخامة اعدادهم، هو استخدام العثمانيين ل سلاح المدفعية^(٣٣) في ميدان المعركة في حين كان الجنود الصفويون لا يعرفونه^(٣٤).

تذكر المصادر أن الشاه اسماعيل الصفوي كان قد طلب من السلطان سليم الا يستخدم المدفعية في هذه المعركة، لأن الفرس لم يكونوا قد ادخلوا الأسلحة النارية في جيشهم حتى ذلك الوقت وأن السلطان سليم قد وعدهم بهذا، وعندما دارت المعركة وضغط الصفويون على الأتراك وأجبروهم على التقهقر في بعض المواقع. طلب الصدر الأعظم من السلطان سليم أن يأمر باطلاق المدفعية فقال له السلطان : ((لقد اقسمت على عدم اطلاقها)). فقال الصدر الأعظم : "" أنت أقسمت ولكنني لم أقسم)) ثم أمر باطلاق المدفعية على الجيش الصفوي ويقال أنه في أول دفعه من نيران المدفعية العثمانية قتل عشرون ألف عثماني وسبعة آلاف قزلباشي وذلك لاختلاط الجيشين في القتال بالسيوف والرماح، وأن أغلب قادة القزلباش في هذه المعركة قد لقيو حتفهم^(٣٥)، ولم يكتفي السلطان سليم بذلك بل أمر بذبح جميع الاسرى من الصفويين وان يصنع من جماجم القتلى هرم لينصب في ساحة المعركة كما هي عادة المنتصرين في ذلك الزمان^(٣٦).

لم يكتف السلطان سليم بجني ثمار النصر في هذه المعركة، بل انطلق بجيشه نحو تبريز عاصمة الصفويين ودخلها من دون مقاومة والتي كانت أيضاً شبه خالية من الغذاء والمؤن واستولى على خزائن الشاه فيها، ألا أنه لم يتابع حملته لاكمال السيطرة على ممتلكات الصفويين حيث لقي معارضة شديدة من أمراء جيشه الانكشاري وكان المحرض الأول لهم قاضي عسكر الانكشارية (جعفر جلبلي) فأعدمه السلطان بسبب ذلك، كما أن قلة المؤن وامتداد خطوط المواصلات وهجوم فصل الشتاء وعدم وجود الالبسة الملائمة لجنده لهذا الفصل جعلته يتراجع^(٣٧).

المبحث الثالث

نتائج معركة جالديران

أن معركة جالديران أو بالأحرى الانتصار العثماني الحاسم على الصفويين في هذه المعركة، شكل منعطفاً في تاريخ الأناضول الشرقي وشمال العراق فبعد هذه المعركة بدأ العد التنازلي لالتحاق هذه المناطق أو الأجزاء المتبقية منها الى الدولة العثمانية إذ أصبحت الفرصة سانحة، والطريق مفتوحاً أمام العثمانيين، على الرغم من بعض العراقيل التي حالت دون التقدم نحو مراكز الاقاليم والقلاع لضمها الى ممتلكات الدولة العثمانية، بل أصبح الطريق أمامهم ممهداً لفتح كل العراق والمنطقة الشرقية للجزيرة العربية فيما بعد^(٣٨). بل وصلت سيطرة العثمانيون نتيجة لذلك على طرق نقل الحرير الفارسي بين تبريز وحلب وبين تبريز وبورصة^(٣٩).

أما على الصعيد الصفوي فقد كان لموقعه جالديران وما تلاها من تطورات سياسية وعسكرية نتائج مهمة منها :

١. أدى انسحاب سليم الأول الى أن يستمر الشاه اسماعيل قوياً في داخل ايران.
٢. اهتزت مكانة الشاه في العراق مما أفسح المجال لضمها الى جسم الدولة العثمانية فيما بعد.

٣. رغم أن الهزيمة قاسية لكنها لم تكن قاتلة فقد استطاع الشاه أن يللم قواته وأخذ يقوم بمناوشات خفيفة على الحدود الغربية أبان انشغال السلطان سليم في بلاد الشام ومصر.

٤. كان لسياسة الخنق الاقتصادي التي مارسها السلطان سليم ضد الدولة الصفوية ان جعلت الشاه يبحث عن حليف قوي، وقد توفر له هذا الحليف في القوى البرتغالية النشطة على البحار فعقد معهم معاهدة عوضته الى حد ما عن خسارته لنقاط استراتيجية كانت تربطه بالبحر المتوسط^(٤٠).

كما بدت هزيمة جالديران اسطورة الشاه اسماعيل الصفوي الذي فقد احترام اتباعه ومريدية الذين لم يعودوا يقدمون له فروض الطاعة والولاء، وفي السنوات العشر التالية لم يقد الشاه اسماعيل جنوده الى أية معركة بل

أنصرف الى الصيد وشرب الخمر ولبس السواد لتبديد حزنه. وازاء فقدان الشاه اسماعيل لكثير من نفوذه فقد ازدادت بالمقابل سلطة زعماء القبائل التركمانية وكبار الموظفين من البيروقراطية الفارسية داخل بلاد فارس^(٤١).

ولابد من الاشارة هنا أن ما كان يحدث من صراع بين الدولتين الصفوية والعثمانية ليس صراعاً مذهبياً بقدر ما هو صراع من أجل التوسع وابرار القوة ونهب الثروات وخير دليل في ذلك محاربة الدولة العثمانية للمماليك الذين كانوا يدينون بنفس المذهب الذي تتخذه الدولة العثمانية، إذ أن السلطان سليم لم يتهاون في محاربتهم بعدما وجد أنهم يشكلون خطراً ضده في بلاد الشام ومصر^(٤٢).

فقد اتهم السلطان سليم المماليك بالخيانة عندما بعثوا بجنودهم ليقطعوا خطوط الامداد المتجهة الى الجيش العثماني عبر الأراضي المملوكية في شمال حلب على الرغم من أن المماليك كانوا قد أعلنوا حيادهم حين دعاهم السلطان للاتفاق معهم ضد الشاه اسماعيل الصفوي^(٤٣).

عد العثمانيون سياسة المماليك هذه مظهراً من مظاهر العدواة السافرة واخذوا ينظرون اليهم على انهم العدو الرئيس، وقد نجح السلطان سليم الاول في تسريع الاحداث تجاه المماليك لكي يوفر لنفسه استراتيجية جيدة تمكنه من ضم الممتلكات المملوكية وتمثل ذلك بسيطرته على موانئ قيليقيا لتأمين الطريق المائي الذي يربط استنبول ب " بياس " وكان قانصوة الغوري اثناء الصدام بين العثمانيين والصفويين قد اكتفى بارسال قوة مراقبة الى حلب لحماية الاراض الواقعة تحت النفوذ المملوكي، لكن ارسال هذه القوة وقيامها بمنع الجيش العثماني من عبور طرق تمر باراضي واقعة تحت السيطرة المملوكية ادى الى تدهور العلاقات بين سليم وقانصوة الغوري^(٤٤).

لذلك ونتيجةً لهذه الاتهامات توجهت القوات العثمانية لمقاتلة المماليك، لهذا كانت معركة مرج دابق في عام ١٥١٦ من اول هذه المعارك عندما توجه الجيش العثماني عبر الاناضول بقيادة سليم وتعداد ستون الف مقاتل وثلاثمائة مدفع متوجهاً الى بلاد الشام، ولما علم قانصوة الغوري بانباء التحرك العثماني حرك هو الآخر جيشه الذي خرج به من القاهرة وقد بلغ تعداده ثمانين الف جندي. وتبادل الرجلان الرسائل في

مرج دابق شمالي حلب حيث عسكر جيشاهما وبدا كان هناك مشروعاً للتفاوض وحقناً لدماء المسلمين وهو ما كان يريده الغوري^(٤٥) على عكس سليم الاول الذي كان يضمن الدخول في معركة بعد ان نجح باستدراج المماليك الى ساحة القتال بأسلوب ذكي بارع، ودارت بين الجيشين معركة عنيفة استمرت اقل من ثماني ساعات اسفرت عن انتصار واضح للعثمانيين، وانتحر بعدها الغوري اثناء انهزام الجيش حيث تناول السم عندما علم بنتيجة المعركة ووقع عن حصانة بعد ان فقد وعيه ومات على الفور واستثمر السلطان سليم الاول انتصاره هذا وضم حلب وحماة وحمص ودمشق^(٤٦).

الان ان انتصار السلطان سليم في مرج دابق لم يوقف من طموحاته فقرر ان يستمر في زحفه نحو مصر وراودته فكرة توحيد العالم الاسلامي. فعرض على طومان بأي ابن شقيق الغوري الذي تولى السلطة بعد عمه ان يعلن خضوعه له مقابل ان يسند سليم الاول اليه حكم مصر على ان يضرب اسمه على السكة ويخطب باسمه على المنابر ويدفع ضريبة سنوية، الا أن طومان باي لم يقبل فكرة الهزيمة فاضطر السلطان سليم الاول الى نقل الحرب الى مصر، ونتيجة لهذا الامر قرر طومان بانسحاب قواته الى القاهرة وبالقرب من الريدانية الضاحية الشمالية لعاصمة المماليك حفرت الخنادق واقيمت الاسوار والتحصينات المضادة للمدافع ونشبت المعركة بين الطرفين في ٢٢ كانون الثاني ١٥١٧ والتي عرفت بمعركة الريدانية، حيث لم يتمكن الجيش المملوكي من هزيمة الجيش العثماني، فتراجع على اثرها بقايا الجيش المملوكي الى القاهرة^(٤٧) اذ جرت معارك طاحنة في شوارع القاهرة، وقد ابدى المماليك في تلك المعركة مقاومة ضارية كانوا يقاتلون فيها من شارع الى شارع ومن دار الى دار حتى قتل منهم ومن سكان القاهرة انذاك ما يبلغ الخمسين الفا ووقع طومان باي رئيس المماليك في ايدي العثمانيين فامر السلطان سليم بشنقه بباب زويلة^(٤٨)، وبعد هذه المعارك عد السلطان سليم نفسه حامياً للإسلام والبلاد الاسلامية اذ تلقب بلقب (خادم الحرمين الشريفين)^(٤٩)، وقد ذكر بعض المؤرخين انه كان في القاهرة رجل من سلالة الاسرة العباسية هو محمد المتوكل على الله وان هذا الرجل تنازل للسلطان سليم عن حقه في الخلافة^(٥٠) الاسلامية وسلمه المخلفات النبوية

المقدسة وهي البيرق والسيف والبردة وسلمه كذلك مفاتيح الحرمين الشريفين ومنذ ذلك الحين صار كل سلطان عثماني يلقب بـ (امير المؤمنين) و (خليفة رسول رب العالمين) ^(٥١).

والحقيقة انه لم تكن موقعة جالديران الا حافظاً على سرعة قيام السلطان سليم بفتح مصر والشام، فقد كانت نفسه تتوق الى ذلك للأسباب التالية :

١. تأكيد زعامة الدولة العثمانية للعام الاسلامي ولاسيما عند دخول الأراضي المقدسة في حوزتها.

٢. حماية ظهر الجيش العثماني من ناحية الغرب إذ ما اضطّر لحرب الصفويين كذلك تأمين خطوط الامداد والتموين عبر سواحل البحر الأبيض المتوسط.

٣. الايقاع بالبرتغاليين في مياه البحر الأحمر لاسيما بعد أن استفحل خطرهم نتيجة عدم وجود جبهة اسلامية متمسكة ^(٥٢) للوقوف بوجه اطماعهم التوسعية في الخليج العربي.

لاسيما وأن البرتغاليون كانوا قد اظهروا تودداً للشاه اسماعيل قبل معركة جالديران وكانوا يهدفون من وراء ذلك ان تتاح لهم فرصة تحقيق اهدافهم في ايجاد مراكز لهم في الخليج العربي، وكانوا يدركون انهم اذا لم يكسبوا ود الصفويين فأن تعاون قوتهم مع القوى المحلية في الخليج قد يؤدي الى فشل البرتغاليين في تحقيق اهدافهم ولاسيما ان مشروعاتهم في ايجاد مراكز نفوذ في البحر الاحمر منيت بالفشل الى حد كبير ^(٥٣).

وفي هذا الامر يقول عبد العزيز سليمان نوار : ((ان الشاه لم يتوقف عن البحث عن حلفاء ضد الدولة العثمانية التي اصبحت القوة الكبرى التي تحول بينه وبين الوصول الى البحر المتوسط وكان مستعداً لان يتحالف حتى مع البرتغاليين اشد القوى خطراً على العالم الاسلامي حينذاك. وهكذا بينما كان البرتغاليون يخشون من وجود جبهة اسلامية قوية ضدهم في المياه الاسلامية، وجدوا أن هناك من يريد ان يتعاون معهم. ومع انه امثلك هرمز الجزيرة الصغيرة التي اضيرت بشدة في اقتصادياتها بمجيء البرتغاليين المريعة، الا ان الشاه وضع مصالحه الخاصة وحققه

الشديد على الاتراك العثمانيين في مقدمة اية تسوية او تحالف مع البرتغاليين، فلا غرو أن وافق على ان تظل هرمز تحت السيطرة البرتغالية في مقابل حصوله على الاحساء ولكن حتى هذه الفرصة لم يتحها البرتغاليون لحليفهم الشاه، وكانت النتيجة ان ساعدت سياسة الشاه هذه على تقوية التسلط البرتغالي على الخليج^(٥٤).

لم ينته الصراع بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية بانتهاء معركة جالديران وانما ازداد العداء حدة وازداد الصراع ضراوة وظل الطرفان يتربص كل منهما بالآخر.

المبحث الرابع

الحرب العثمانية الصفوية في عهد السلطان سليمان القانوني

بعد وفاة السلطان العثماني سليم الأول ١٥٢٠ تقلد العرش أبنه سليمان (١٥٣٠-١٥٦٦)^(٥٥) الذي لقب بالقانوني كما توفي الشاه اسماعيل الصفوي عام ١٥٢٤ واعتلى أبنه طهماسب الأول (١٥٢٤- ١٥٧٦) عرش الدولة الصفوية. وكان عصر الشاه طهماسب الاول امتداد لعصر ابيه الشاه اسماعيل الصفوي في تواصل الصراع مع المعسكر العثماني في عهد السلطان سليمان القانوني، الذي تخوف من التوسع الصفوي واستمر الصراع مابين الدولتين فقد بقيت الأوضاع مضطربة ما بينهما^(٥٦).

فعندما خلف الشاه طهماسب الشاه اسماعيل على عرش فارس، وجه السلطان سليمان القانوني الى هذا العاهل الجديد رسالة تهنئة تعبر صراحة عن المشاعر التي كان يكنها له وتصور مقدار العجب الهائل الذي كان يوغر عليه صدر السلطان. فما قاله فيها : ((لو بقي في نفسك التي اغواها الضلال نبذة من الكرامة والحزم لهلكت منذ زمن بعيد ودخلت في عداد الأموات. فما أنا قد عقدت العزم على أن أقود جيوشي الى تبريز واذريجان وأن أضرب سرادقي في ايران وطوران وفي سمرقند وخراسان. فان كنت قد تأخرت عن تحقيق حملتي هذه عليكم، فما ذلك ألا لأنه شغلنتني عنها غزواتي للمجريين والفرنجة ولبلغراد ورودس أعظم قلاع المعمورة وأبدع معالم الدنيا... فعليك أذن قبل ان تغطي أرضك جحافلي التي عرامها كالجبال، فتخرب ملكك وتغني بطانتك، أن تطأئي رأسك وتلقي بتاجك وتلبس المسموح التي ارتداها أجدادك من قبلك. وأن رضيت أن تقف ببابي وتسالني رغيغ خبز لوجه الله، منحتك آياه وتركت بلدك كاملاً غير منقوص. لكن أن أنت أصررت وتماديت على كبر فرعون وجبروت نمروود وسلكت سبيل الغي فأنتك ستحس قريباً، وسط صلصة السيوف وقعقة الرماح ودوي المدافع، بوشك نهايتك وحتى أن أنت وأريت نفسك مواراة النملة في التراب أو

حلقت باجنحتك تحليق الطائر في الفضاء، فسأعرف كيف أدركك بأذن الله وأخلص العالم من شر وجودك))^(٥٧).

جاءت هذه الاتهامات التي وجهها السلطان سليمان القانوني للدولة الصفوية باعتبارها انها كانت تقوم بنشاطات معادية ضدهم وبخاصة في الأناضول. هذا بالإضافة الى استمرار سياسة بلاد فارس في عهد الشاه طهماسب في التحالف مع القوى الأوروبية ضد الدولة العثمانية، خاصة وأن هذه السياسة كانت تخدم أوروبا التي كانت بحاجة الى أشغال العثمانيين والتخفيف من ضغطهم على حدودهم. غير أن تردي الأوضاع الداخلية في بلاد فارس وتعرض أقاليمها الشرقية باستمرار لحملات قوات الاوزبك التركية في تركستان جعل تحالفها مع أوروبا غير مجد ^(٥٨).

كما أن الشاه طهماسب لم يغير من سياسته اتجاه الدولة العثمانية بل زادت سوءاً بوقوع حادثتين أدت الى اضطراب الأوضاع فيما بينهما. تمثل الحادث الأول بلجوء احد أمراء ايران الى الدولة العثمانية ولجوء شرف خان الوالي العثماني على بتليس الى ايران، فما كان من العثمانيين الا أن عينوا الأمير الفارسي والياً على بتليس بعد هروب وأليها العثماني، وقد ظلت قصة الهروب من طرف واللجوء الى الطرف الآخر من الاسباب التقليدية لتردي الأوضاع بين البلدين طوال تاريخ الصراع بينهما ^(٥٩). والحادث الثاني كان مقتل والي بغداد من قبل الصفويين لانه نبذ سلطة الشاه وإرساله الى السلطان سليمان مفاتيح المدينة فقد كان الباب العالي يعتبر أن احراز مفاتيح المدينة يجعله هو مالکها الوحيد^(٦٠).

وعلى أية حال كان استيلاء الصفويين على بغداد واستغاثة حاكمها الذي استعان بالسلطان سليمان القانوني سبباً مباشراً لزحف الجيش العثماني قاصداً بلاد فارس وقد كان السلطان سليمان يسعى من وراء حملته هذه تحقيق هدفين أساسيين : أولهما : تأمين ظهر الدولة العثمانية أثناء حروبها في أوروبا بعد الاتفاق الصفوي البرتغالي ونفوذ الأسطول البرتغالي في الخليج العربي.

ثانياً : إعادة صناعة الحرير الى سابق مجدها بعد ان أصابها البوار نتيجة الحصار الذي فرضه سلفه عليها^(٦١).

لذلك اصدر السلطان سليمان القانوني أمره الى الصدر الأعظم ابراهيم باشا الذي منحه صلاحيات واسعة بالتوجه على رأس قوة من ٨٠٠٠٠ رجل الى اذربيجان وبعد أن عبر الصدر الأعظم الأناضول واذريجان واجهت الجيوش صعوبات تسببت فيها رداءة الأحوال الجوية والطبيعية الجبلية للبلاد،وعندما كاد ابراهيم باشا يبلغ قونية حتى جيء إليه برأس والي بتليس الذي التجأ الى الشاه طهماسب، وكان قد أرسله اليه والي اذربيجان الذي خان بدوره سيده الشاه طهماسب. كما أعلن حكام القلاع الصفوية بجهة بحيرة وأن بأنهم يبايعون السلطان سليمان ويعترفون بسلطته في هذه البلاد^(٦٢).

وبعد أن نجح الصدر الأعظم في اختراق اذربيجان والاستيلاء على أجزاء واسعة منها واستولى على العاصمة الصفوية تبريز بسهولة في تموز ١٥٣٤ بعد أن غادرها الشاه منذ زمن غير بعيد الى خراسان^(٦٣).ولتحقيق نتيجة حاسمة ضد الصفويين سار السلطان على رأس جيش متجهاً الى تبريز للالتحاق بالصدر الأعظم،وفي تبريز جاء للسلطان أمير جيلان وأمير شيروان فعبرا له عن ولائهما فقام السلطان بتعين ابن أمير شيروان واليا على تبريز^(٦٤).

ومن هناك تحرك السلطان على رأس القوات العثمانية متجهاً الى السلطانية جنوبي بحر قزوين للقاء طهماسب والاستيلاء على عاصمته قزوين التي اتخذها عاصمتاً له، بعد فقدانه لعاصمته تبريز والاجهاز على الدولة الصفوية، فأوقع هزيمة كبيرة بالجيش الصفوي بالقرب من نهر قزل أوزون في الجنوب الشرقي من اذربيجان وانفتح الطريق أمامه الى قزوين ولكن ما فشل فيه الشاه من مواجهة الجيش العثماني نجح فيه الطقس وسوء الأحوال الجوية حيث هطلت الأمطار الغزيرة وتساقطت الثلوج وأشدت البرد وسأت الطرق فأصبح من العسير سير العربات وجر المدافع مما أثر كثيرا في نفسية الجنود^(٦٥).

وبعد فشل السلطان في الوصول الى قزوين أمر السلطان قواته بالانحراف نحو بغداد وسلك السلطان طريق همدان بهدف السيطرة على الطريق التي تربط بغداد بالشمال والشرق وبذلك قطعت القوات العثمانية امكانية نجدة الصفويين لحاميتهم في بغداد، وعند اقتراب الجيش العثماني من بغداد هرب حاكمها محمد خان تكة لو^(٦٦) ودخل الصدر الأعظم بغداد في ٣١ كانون الأول ١٥٣٤ وبعده بيومين دخلها السلطان سليمان القانوني^(٦٧).

ويذكر أن السلطان عندما دخل بغداد^(٦٨) لم يسمح لجنوده بالنهب أو أيذاء أحد من السكان وقد تقدم أن ذاك الشاعر المشهور فضولي البغدادي^(٦٩)، فالقى بين يدي السلطان قصيدة في مدحه كان مطلعها :

أيد اللهم في الأفاق أمن المسلمين بادوام دولت باينده سلطان دين^(٧٠)

والذي معناه : ((جاء الباد شاه الشهير الى برج الأولياء))^(٧١)

وكانت أبيات القصيدة كلها من هذا الطراز حيث يكون الشطر الأول منها باللغة العربية والثاني بالفارسية^(٧٢). كما قام السلطان سليمان، بزيارة مرقد الأمام علي بن أبي طالب في النجف الاشرف ومرقد الأمام الحسين بن علي وتصدق على الفقراء، وزار مرقدي الأمام موسى الكاظم والأمام الأعظم أبي حنيفة النعمان وكان قبر الأمام أبي حنيفة قد تعرض للهدم والنبش على يد القوات الصفوية اثناء احتلالها للعراق، فأمر بتشديد قبة وجامع عليه والظاهر انه لم يكن حول القبر سكان انذاك فأمر السلطان بتعمير دار ضيافة وحمام وخان ونحو اربعين أو خمسين دكاناً، ثم أمر بتعمير قلعة لحراستها ووضع فيها جنوداً يبلغ عددهم مائة وخمسون ومعهم المعدات الحربية والمدافع للدفاع عن المكان^(٧٣). وبعد ذلك قام السلطان القانوني بزيارة الحلة وشهربان ولورستان وواسط والبصرة وعين راشد بن مغامس^(٧٤) شيخ عشائر المنتفك حاكماً على البصرة^(٧٥) فالحقت البصرة بالامتلاكات العثمانية سلماً، وبقي راشد بن

مغامس حاكماً عليها على ان يتلقى الاوامر من حاكم بغداد،وان يذكر اسم السلطان في الخطبة والنقود^(٧٦).

وفي ٢ نيسان ١٥٣٥ غادر السلطان سليمان وجيشه بغداد بعد أن أمضى فيها أربعة أشهر متجهين الى تبريز وبعد مسيرة ثلاثة أشهر، وحال وصوله استقر بقصر الشاه إذ كان يعتقد أنه يستطيع أن يواجه الشاه طهماسب مباشرة وأن يتخلص نهائياً من التهديد الفارسي، وبعد أسبوعين قضاها السلطان بتبريز أصدر الأمر بالرجوع. فقد كان من المستحيل التمديد في مدة حملته التي جلبت له لا للدولة فخر الانتصار لكن مقابل خسائر ثقيلة. فقد مات ما يقارب الثلاثين ألف رجل جوعاً وبرداً كما هلك اثنان وعشرون ألف من الخيل والابل. وفي أوائل كانون الثاني ١٥٣٦ رجع السلطان سليمان والصدر الأعظم ابراهيم باشا الى اسطنبول^(٧٧).

وفي ربيع ١٥٤٨ استعان القاص ميرزا أخ الشاه طهماسب غير الشقيق بالسلطان سليمان القانوني لتقديم المساعدة له. وكان القاص ميرزا حاكماً على شيروان وحاول الاستقلال في تلك المنطقة والخروج على الحكومة المركزية^(٧٨).

وكانت مدينة شيروان بالنسبة للدولة الصفوية مهمة لانها تنتج الحرير وتقع على الطريق بين القوقاز وايران، وعندما زحف الجيش الصفوي قاصداً سيروان قام القاص ميرزا بأرسال امه وابيه الى الشاه طهماسب واعتذر له فعفى الشاه عنه. الا أنه اقدم على الانفصال مرة اخرى ملتجاً الى السلطة العثمانية في اسطنبول^(٧٩) وكان القاص ميرزا قد حل باذربيجان حيث جاء يحرض على الثورة ضد الشاه، فأستعد السلطان سليمان وتوجه على رأس جيوشه الى بلاد فارس وفي الطريق مر بقونية وسيواس الى أن بلغ ارضروم. وعندما أقبل القاص ميرزا لملاقات السلطان سليمان طلب منه أن يهاجم العاصمة تبريز التي كان أخيه الشاه قد تولى عنها. لكن السلطان سليمان رفض وفضل ضرب الحصار على منطقة وأن، أهم قلعة حصينة في المنطقة وهي التي كان قد احتلها عام ١٥٣٤ واسترجعها منه الشاه. ولم يصمد

الحصن أكثر من أسبوع أمام حصار السلطان سليمان وبعد أن حل الشتاء في شرقي الأناضول توجه السلطان الى حلب عبر ديار بكر ليقضي هناك الفصل البارد^(٨٠). وعلى اثر ترك السلطان سليمان تبريز وانسحاب قواته الى ديار بكر تابعته قوات الشاه طهماسب حتى مدينة ارزنجان ودخلوا المدينة فاتحين واحرقوا المدينة وحاصرت القوات الصفوية قلعة أخلاط ودخلتها وتمكنت من الاستيلاء على ارجيش، وقتلوا جميع المدافعين الاكراد عن القلعة المذكورة وأمر طهماسب بهدم القلعة من أساسها وعندما علم السلطان سليمان القانوني بتوغل الجيش الصفوي في امبراطوريته تملكه الغضب وهاجم للمرة الرابعة الحدود الفارسية وتجددت الحرب بين الطرفين مرة أخرى عام ١٥٥٣ ووصلت القوات العثمانية الى نخجوان وقد سميت هذه الحملة بحملة نخجوان وكان السلطان قد استصحب معه في هذه الحملة اصغر أبنائه الأمير جهانكير وأنضم إليه في الطريق فيما بعد ابنه الأوسطان سليم الثاني والأمير بايزيد^(٨١).

وعندما علم الشاه طهماسب بهجوم القوات العثمانية على التخوم الفارسية أرسل سفيراً يدعى فرخزاد بيك للمفاوضة مع السلطان العثماني وعلى أثر المساعي الحميدة للسفير ومحاولاته الجادة وقناعة الطرفين المتخاصمين بان الحرب لن توصلهما الى نتيجة حاسمة، خاصة وأن كلا الطرفين المتخاصمين بان الحرب لن توصلهما الى نتيجة حاسمة، خاصة وأن كلا الطرفين بحاجة ماسة الى الهدنة لكي يتفرغ كل منهما لمواجهة المشاكل الكبرى التي كانت تواجههما داخل بلادهما^(٨٢).

كما حدثت حادثة أخرى بينت أن الشاه طهماسب كان معنياً بالإبقاء على هدوء العلاقات بينه وبين السلطان سليمان القانوني، فقبل وفاة طهماسب جاءه سفير من البندقية هو فنسنتيود السندي يحذر من أن العثمانيون يستعدون للاستيلاء على قبرص. وكان هذا في الواقع ضربة قاسية للبندقية جعلها تسعى الى التحالف مع أعداء

السلطان باي شكل، خاصة وأن أوروبا كانت مشغولة بأمورها عن نداءات البندقية بها، فأتجهت البندقية الى حث الفرس على التحالف معها.

ولكن كانت الانتصارات العثمانية الكبيرة في أوروبا الشرقية وفي فارس تحول دون أن يصل البنادقة الى أي نتيجة مجدية في هذا الصدد. فلم يتحرك طهماسب رغم تشديد البندقية على أن قبرص أن سقطت بيد العثمانيين فأن الهدف الثاني للعثمانيين سيكون فارس نفسها ^(٨٣) إلا ان الشاه طهماسب لم يعطي للامر اهمية خاصة وانه بدء يواجه مشاكل اخرى على حدود دولته.

وأخيرا بعد أن أنهكت الحروب الجانبين وخاصة الصفويين الذين كانوا يقاتلون الاوزبك ^(٨٤) من جهة الشرق والعثمانيون من جهة الغرب هذا الأمر حث الشاه طهماسب على عقد الصلح مع السلطان العثماني سليمان القانوني فأرسل وفدا يطلب عقد معاهدة مع السلطان سليمان القانوني ^(٨٥).

والواقع أن الطرفين كانا يرغبان في تحقيق نوع من الهدوء بينهما لمواجهة المشكلات الخاصة التي برزت في وجه كل منهما وفي ٢٩ نيسان ١٥٥٥ وقعت في أماسية (مدينة في شمالي الأناضول وقصبة ولاية سيواس) أول معاهدة بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية والتي عرفت ب معاهدة أماسية وقد نصت هذه المعاهدة على:

١. تكون ولايات (اذريجان الشرقية، ارمينيا الشرقية، كرجستان الشرقية) تحت تصرف الصفويين في حين تكون ولايات (ارمينيا الغربية، كرجستان الغربية، العراق) تحت تصرف الدولة العثمانية وتكون قارص حداً فاصلاً بين الدولتين.
٢. تحدد ولاية شهرزور - شمالي العراق التي طالبت المنازعات عليها منعاً لوقوع الحوادث المعركة لصفو السلام بين الدولتين.
٣. تأمين سلامة الزوار الفرس الذاهبين الى زيادة العتبات المقدسة في العراق والى الأراضي الاسلامية المقدسة في الحجاز ^(٨٦).

٤. يتبادل الطرفان تسليم اللاجئين لدى كل منهما.

هذه المعاهدة على بساطتها، لكنها كشفت الصراع بين الدولتين الصفوية والعثمانية على النحو التالي :

١. كانت الدولة العثمانية تسعى بجد لان تطمئن على حدودها شرق الاناضول، وكانت قارص من القلاع المهمة والمواقع الحصينة التي تعطي العثمانيين فرصاً اوسع لصد الغزوات لا من جانب الايرانيين كما هو حال القرنين السادس عشر والسابع عشر بل ومن جانب الروس في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

٢. ان مشاكل الحدود الايرانية العثمانية كانت مثار ازمات طويلة واعقد هذه الازمات ووضحها هي تحديد الحدود الشمالية في المناطق الجبلية التي يسكنها الاكراد.

٣. يعتبر تأمين سلامة الزوار الايرانيين الى العتبات المقدسة في العراق والحجاز واحداً من اسباب النزاع بين الطرفين حيث يتهم الايرانيون السلطات العثمانية والسلطات المحلية في العراق والعشائر العراقية بابتزاز الحجاج والزوار الايرانيين ومعاملتهم معاملة سيئة، ومع ان العثمانيون كانوا يعملون على حماية هؤلاء الحجاج لما في ذلك من فوائد مادية، الا أن اوضاع العشائر كانت تحول دون استمرار هذه الحماية فعلاً، ففي بعض الاحيان تنتقم العشائر النائرة على الحكومة العثمانية عن طريق مهاجمة قوافل الحجاج على قدم المساواة مع مهاجمتهم قوافل التجار وكان هذا يحدث لقوافل الحج الايرانية ولقوافل الحج القادمة من بلاد الشام على حد سواء.

٤. حصل الصفويون على مناطق قريبة من حدودهم وبالمقابل حصل العثمانيون على مناطق مهمة وخاصة تبريز المنتجة للحبر الوافر، ومناطق اخرى

كارمينيا وكرجستان والعراق بأسره فأصبح للدولة العثمانية نفوذ وسياسة على مناطق انتاج الحرير الايراني في تبريز^(٨٧).

وبعد أبرام هذه المعاهدة سارت العلاقات بين الجانبين سيراً حسناً إذ وصل الأمر الى تبادل الهدايا الثمينة والرسائل المفعمة بالود والاحترام، حتى جميع المناوشات الحدودية والأزمات المحلية التي كانت تحدث بين الدولتين كانت تحل بالطرق السلمية والدبلوماسية وهذا دليل على تحسين العلاقات السياسية بين الجانبين^(٨٨).

وخير دليل على هذه العلاقة الحسنة أنه عندما فر بايزيد وأولاده بن السلطان سليمان القانوني الى البلاط الصفوي مع عدة كتائب عسكرية سنة ١٥٥٩، ومع أن الشاه طهماسب استقبله في بادئ الأمر بحفاوة بالغة إلا أنه سرعان ما أدرك أن بايزيد لن يفيد شياً وأن المصلحة السياسية لبلاده تقتضي تسليم بايزيد الى والده السلطان سليمان القانوني. لذلك قرر طهماسب تسليم ضيفه الى أبيه عام ١٥٦١ مقابل مبلغ كبير من الذهب يقدر بـ ٤٠٠ ألف قطعة ذهبية^(٨٩). ولقي بايزيد الذي كان مسجوناً حتفه، وأرسل أخوه سليم رأسه الى والده وبعد مقتله كان مصير أبنائه الأربعة أورخان وعثمان وعبد الله ومحمود الى الموت مثل مصير والدهم بايزيد^(٩٠).

واستمرت المفاوضات العثمانية الصفوية بشأن معاهدة اماسية عندما أرسل السلطان سليمان القانوني عام ١٥٦١ وفد مفاوض رفيع المستوى قدم للشاه طهماسب طلباً على شكل رسالة اكد فيها على المعاهدة، وفي عام ١٥٦٢ ارسل السلطان الى الشاه نصف مليون مسكوكة ذهبية واربعين حصاناً عربياً وهدايا اخرى في وقت كان فيه الشاه يرسل برقيات تهنئة بمناسبة انتصارات السلطان في اوربا^(٩١).

وعندما اعتلى السلطان سليم الثاني عرش الدولة العثمانية عام ١٥٦٦ بعد وفاة والده السلطان سليمان القانوني^(٩٢) عام ١٥٦٦، اقام الشاه طهماسب احتفالاً كبيراً ولغرض تعزيز العلاقات العثمانية الصفوية انشا البلاط الصفوي في عهد الشاه طهماسب الاول اطول رسالة دبلوماسية بلغ طولها ٧٠ ياردة وجاء وصفها

في المدونات التاريخية بحدود سبعين صفحة، وبعث الشاه وفداً مهماً برئاسة شاه قولي خان أمير شيروان مع هدايا كثيرة جداً لغرض تهنئة السلطان الجديد بجلوسه على سدة الحكم في الدولة العثمانية، كما قام الشاه بزيارة العتبات المقدسة في كربلاء للمرة الثالثة عام ١٥٧١ وابدى اهتمام خاص بتلك المراكز^(٩٣).

والتزم الشاه طهماسب ببند معاهدة اماسية وابدى احتراماً لها وخاصة عندما حاول البنادقة عقد حلف عسكري مع الدولة الصفوية عام ١٥٧٠ بعد احتلال العثمانيين لجزيرة قبرص وارسالهم وفداً رفيع المستوى الى الشاه، الامر الذي رفضه الشاه لهذه الدعوة وذلك احتراماً منه لعهد الصداقة التي تربطه بالسلطان العثماني سليم الثاني، وعند وفاة الشاه سليم الثاني عام ١٥٧٤ ارسل الشاه طهماسب الى السلطان الجديد مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥) وفداً برئاسة حاكم ولاية ايروان مع هدايا ثمينة وقدم تعازيه بوفاة السلطان سليم الثاني وتهانيه بمناسبة جلوس السلطان مراد الثالث على العرش العثماني^(٩٤).

وفي السنوات الاخيرة لحكم الشاه طهماسب، اتضح انه اثر الاعتكاف في قصره تاركاً شؤون الحكم لكبار مستشاريه ومعظمهم من غير الاكفاء والمرتشين لذا دخلت ايران بوفاته عام ١٥٧٦ في فوضى عارمة استغلها العثمانيون للتوسع في اقليم الكرج واحتلال مدن تفليس وشيروان. كما أن عدم الاستقرار ظلت السمة المميزة للاوضاع السياسية الصفوية طيلة الحقبة من ١٥٧٦ الى ١٥٨٧ وفيها تردد على العرش ثلاثة ملوك غير اكفاء كان ابرزهم الشاه الاعمى محمد خدا بندا الذي نصبه الزعماء القزلباش عام ١٥٨٧ اثر اغتيالهم شقيقه المضطرب عقلياً الشاه اسماعيل الثاني^(٩٥). فكان هذا سبباً لان يوقف السلطان العثماني مراد الثالث ١٥٧٤-١٥٩٥ حملته ضد ايران والتي جاءت رداً على نقض الشاه اسماعيل الثاني بتحريض من اتباعه صلح اماسية ومهاجمة العثمانيين^(٩٦).

المبحث الخامس

العلاقات ما بين البلدين أواخر القرن السادس عشر

بعد وفاة الشاه طهماسب اهتز عرش الصفويين بسبب نشوب النزاع بين أفراد الأسرة الحاكمة أبناء طهماسب (حيدر ميرزا، اسماعيل ميرزا، محمد ميرزا وأبنة عباس) على العرش، فعندما توفي الشاه طهماسب تولى بعده أبنة حيدر الذي قتل بعد بضع ساعات من وفاة أبيه فدفنا معاً، ثم تولى بعده اسماعيل الثاني بن طهماسب الذي توفي هو الآخر وخلفه الشاه الاعمى أخوه محمد خدا بندا (خدا بندا معناه عبد الله) والذي صادف حكمه فترة حكم السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥)^(٩٧) بن السلطان سليم الثاني بعد وفاته^(٩٨).

لم يكن الشاه محمد خدا بندا جديراً بتولي مسؤولية الحكم في الدولة الصفوية التي كانت بحاجة الى رجل قدير يدعم كيائها ويدعم اركانها وينتشلها من الفوضى التي امت بها نتيجة المجازر التي ارتكبتها الشاه اسماعيل الثاني بحق اخوته وسائر الامراء فقد شهدت الاوضاع الداخلية مزيداً من التفكك من ظل حكم هذا الشاه بسبب سوء ادارته وتدخل النساء^(٩٩) في شؤون الدولة وعانت من التنازع الاسري وصراعات طوائف القزلباش بسبب التنافس على تبوؤ المناصب القيادية وبدا مستقبل ايران كئيها وتعرضت البلاد لغزو خارجي عثماني اسفر عن توسع العثمانيين في ارمينيا واذريجان^(١٠٠).

ونتيجة لهذه الأوضاع الداخلية المضطربة التي مرت بها بلاد فارس، استغل السلطان مراد الثالث وبأيعاز من الصدر الأعظم محمد باشا صقلي هذه الأحداث، فقاما بتجهيز حملة لاحتلال بلاد فارس، وفعلاً نجحت الحملة بالاستيلاء على تبريز وتقليس وداغستان. ألا أن الصفويين وبفضل استعدادتهم وقوة شخصية حمزة ميرزا وهو الابن الأكبر لمحمد خدا بنده^(١٠١). تمكنوا من التصدي للدولة العثمانية وأوقفوا زحفهم^(١٠٢).

وخلال الفترة التاريخية الممتدة من (١٥٨٨-١٦٢٩) والتي تولى فيها الشاه عباس الكبير^(١٠٣) عرش بلاد فارس، فقد عمل الأخير في بداية أمره على تنظيم جيشه وأمور دولته الإدارية. ولكي يتفرغ لخطر قبائل الاوزبك. بعد أن أدرك الشاه عباس أنه غير قادر أن يحارب في جبهتين في وقت واحد^(١٠٤).

هذا فضلاً عن خطر القزلباش الذي أخذ يتعاظم نفوذهم في داخل الدولة الصفوية ومن أجل الحد من نفوذهم، عقد صلحاً مع الدولة العثمانية والذي عرف تاريخياً بصلح فرهاد باشا في اذار ١٥٩٠ حيث أكد هذا الصلح على : تنازل الشاه للعثمانيين عن جورجيا الشرقية واذربيجان الجنوبية والشمالية باستثناء اربيل وجزء من لرستان، ونصت المعاهدة على عدم قيام الفرس بالاستفزازات العقائدية والكف عن سب الخلفاء الثلاثة الأولين في اراضي مملكته، وعلى أن يبقى حيدر ميرزا (ابن أخي الشاه) رهينة في الاستانة حتى لا ينكث الشاه بتعهداته كما اتفق الطرفان على الإفراج عن الأسرى الموجودين لديهما^(١٠٥).

ألا أن هذا الصلح لم ينهي الأطماع التوسعية للدولة الصفوية، فبعدما أنهى الشاه عباس خطر الاوزبك، بعد أن أنزل بهم هزيمة كبيرة في سنة ١٥٩٨ وبعد وفاة زعيمهم الخان عبد المؤمن، استعد الشاه لمواجهة الدولة العثمانية التي استولت على المقاطعات الغربية من بلاده، لذلك توجه الشاه أول الأمر الى تنظيم جيشه على أسس حديثة وتزويده بسلاح المدفعية الذي كان يعوزه من قبل والذي كان الفرس عاجزين بسببه عن مضاهاة العثمانيين في ميدان القتال ومن أجل هذا الأمر استعان بخبرة أحد الضباط الانجليز وهو انتوني شيرلي Sherly عام ١٥٩٩^(١٠٦).

وفي أواخر عهد السلطان عهد السلطان محمد الثالث (١٥٩٥-١٦٠٣)^(١٠٧) استغل الشاه عباس الظروف التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، حيث كانت منهكة في حرب مستمرة مع النمسا وتواجه الاضطرابات في آسيا الصغرى. وفي

عام ١٥٩٩ أرسل الشاه عباس الكبير ممثلين له الى أوربا لكي يجروا مفاوضات عسكرية واقتصادية ضد العثمانيين. وفي فيينا استقبل الامبراطور الوفد بحماسة ونقل إليه رغبته بتشكيل تحالف مع الروس والجورجيين ضد العثمانيين، وأنه يعمل على توحيد ملوك أوربا المسيحية في حملة صليبية جديدة^(١٠٨).

وعندما علمت الدولة العثمانية ببعثة شيرلي صرحت بان هذه البعثة نقض صريح لاتفاقية فرهاد وعبر السلطان عن غضبه برسالة بعثها الى الشاه في حزيران ١٦٠٠ معتبراً تصرفه هذا عملاً لا يصدر عن شخص عاقل ابداً حين صرح وقال : ((فلم يعد خافياً علينا أمر سفارتك الى الكفرة ونحن نعرف ايضاً ان الهدف من هذه السفارة هو ارضاء هوى نفسك واتباع نزعة توسيعة تتغلب عليك... وانك مع الكفرة على اتفاق)) وطالبه باضافة فقرة جديدة الى المعاهدة تحرم على الطرفين التعاقد مع عدو الاخر وارسال ابنه محمد باقر الى الاستانة لضمان تقيده بالمعاهدة^(١٠٩).

لم يدرك السلطان محمد الثالث بسبب مشاكله الداخلية وحروبه الطويلة في اوربا التي شغلت معظم سنوات حكمه، ان الظروف لم تعد كما كانت عند توقيع معاهدة عام ١٥٩٠، لذا هزأ الشاه عباس من طلباته معتبراً من الحماقة جعل ولي عهده رهينة في الاستانة، وعوضاً عن ذلك استغل الاضطرابات التي اثارها الجالليون في الاناضول واذريجان بسبب مصادرة اقطاعاتهم العسكرية الواسعة لمصلحة محضيات البلاط^(١١٠). وجاءت وفاة السلطان محمد الثالث وتولى ابنه احمد الاول ليعلم الشاه عباس الحرب على الدولة العثمانية عام ١٦٠٢ تمكن على أثرها من استرداد تبريز وروان ونخجوان وواصل زحفه حتى وصل الى مدينة وان الامر الذي زاد من النزاع العسكري مابين البلدين لسنوات طويلة^(١١١).

الخاتمة

لم يشهد قرن مثلما شهده القرن السادس عشر من أحداث وتطورات وخاصة بالنسبة للدولة العثمانية ففي هذا القرن تدهورت العلاقات مابين الدولة العثمانية والدولة الصفوية الحديثة النشأ في بلاد فارس، فأستمرت الحروب بينهما حتى بعد نهاية هذا القرن على الرغم من عقد كلا البلدين للعديد من المعاهدات بينهما. كما أثرت هذه الحروب على كلا البلدين اقتصادياً وعسكرياً فكلا البلدين كانا منشغلين في حروب أخرى غير التي بينهما فالدولة العثمانية كانت تواجهها مشاكل في البلقان وأوربا أما الدولة الصفوية فكانت تواجه خطر الاوزبك.

شهد هذا القرن تغيير في استراتيجية الدولة العثمانية فبعد أن كانت تقاتل في جهة الغرب القوى الأوروبية توقف زحفها لفترة ، ثم توجهت لمحاربة الدولة الصفوية في جهة الشرق واستمرارها في هذه المنطقة ومن ثم التوجه نحو احتلال البلاد العربية وذلك بعد القضاء على سلطة المماليك في بلاد الشام ومصر واعلان السلطان العثماني نفسه كحامي للبلاد الاسلامية وحامي الحرمين الشريفين.

وخلال القرن السادس عشر أيضا كان العراق مسرحا طبيعيا لنزاعات هذين البلدين وجبهة القتال الرئيسية بينهم فنراه تارة يخضع للدولة الصفوية أو أجزاء منه وتارة يخضع للدولة العثمانية وهذا الأمر أثر كثيراً على البلاد من جميع النواحي.

الهوامش

(١) ينتمي العثمانيين الى قبيلة من قبائل الغز التركية وهي قبيلة قايي، وقد خرجت هذه القبيلة من اواسط اسيا متجهة الى الغرب تحت قيادة ارطغرل ووقفت هذه القبيلة الى جانب السلطان علاء الدين الاول، سلطان دولة الروم السلاجقة اذ انضمت الى جيشه ضد جيش اعدائه مما ادى الى انتصاره عام ١٢٣٢، ويعد عثمان بن ارطغرل بن سليمان شاه مؤسس السلالة التي تحمل اسمه. لمزيد من التفاصيل.

ينظر : عزتلو يوسف بك اصاف تاريخ سلاطين بني عثمان من اول نشأتهم حتى الان، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١١، ص ٣٢-٣٣ ؛ زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١٠.

(٢) ولد محمد الثاني بن السلطان مراد الثاني عام ١٤٢٩ في مدينة ادرنة وهو سابع سلاطين الدولة العثمانية وسلالة ال عثمان يلقب الى جانب الفاتح بابي الفتوح وابو الخيرات حكم ما يقرب من ثلاثين عاماً يعرف هذا السلطان بانه هو من قضى نهائياً على الامبراطورية البيزنطية بعد ان استمرت احد عشر قرناً لقب السلطان محمد بالفاتح بعد فتحه لمدينة القسطنطينية التي حاصرها في نيسان من عام ١٤٥٣، بقوات من جهة البر والبحر، واتم فتحها والسيطرة عليها في ٢٩ أيار ١٤٥٣، وقد سميت استانبول أي مدينة السلام، وجعلها كعاصمة لدولته توفي عام ١٤٨١ بالسّم. لمزيد من التفاصيل. ينظر : محمد سالم الرشدي، السلطان محمد الفاتح، طبعة ثانية، دار البشير للثقافة، مصر، ٢٠١٣.

(٣) ينتسب الصفويون الى الشيخ صفي الدين اسحاق الاردبيلي (١٢٥٢-١٣٣٤) وهو الجد الخامس للشاه اسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية في ايران، ومن هذا الاسم صفي الدين، اخذت السلالة اسمها السلالة الصفوية ويصل مؤرخو عصره نسبه الى الامام موسى الكاظم من ناحية الاب، في حين يشكك بعض المؤرخين في صحة هذا النسب لعدم وجود دليل مقنع يثبتته. لمزيد من التفاصيل ينظر سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية (في ايران) دار النفائس، ٢٠٠٩، ص ٣٥.

(٤) محمد عبد الله عودة وابراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، بلا مكان، ١٩٨٩، ص ١٨٦.

- (٥) الاق قوينلو (الخروف الابيض) وقد سميت بذلك اما نسبة الى لون علمها او خرافها او الى ان الخروف الابيض كان رمزا عليها تمثلت السيطرة التركمانية على العراق في قيام دولتي القرة قوينلو والاق قوينلو وهما قبيلتان تركمانيتان حكمت الاولى العراق من ١٤١٠-١٤٦٨ وحكمت الثانية ١٤٦٨-١٥٠٨.
- ينظر : علي شاكرا علي، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٧٥٠ دراسة في احواله السياسية، منشورات مكتبة ٣٠ تموز، نينوى، ١٩٨٥، ص ١٩.
- (٦) كان العراق مسرحاً طبيعياً لنزاعات الدولتين العثمانية والصفوية وجبهتها للقتال فيما بينهما، استمر لقرون وذلك لمجاراته لهما، وما يتمتع به من موقع جغرافي، يضاف الى ذلك وجود العتبات المقدسة فيه، تلك العتبات التي كثيراً ما اتخذتها الدولة الصفوية ذريعة للتدخل بحجة المحافظة عليها وتأمين زيارة الفرس لها، لذا كانت بغداد تتأجج تارة بيد الفرس وتارة بيد العثمانيين. ينظر : علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩، ص ٢٢.
- (٧) محمد وصفي أبو مغلي، ايران دراسة عامة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٥، ص ٢٤٦ ؛ محمد عبد الله عودة وأبراهيم ياسين الخطيب، المصدر السابق، ص ٦٠-٦٢.
- (٧) البكتاشية : طريقة دينية صفوية اسسها رجل يدعى حاج بكتاش ولي فنسبت اليه، واكثر المعلومات عن هذا الرجل اسطورة ويقال انه من مواليد نيسابور في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي وتوفي عام ١٣٣٧ وهناك من يقول أن المؤسس الحقيقي لهذه الطريقة رجل يدعى بابا بالم والمتوفي عام ١٥١٦ والمرجح أن بكتاش ولي اسس الطريقة وان بابا بالم وسعها و اضاف اليها

ونظمها ويبدو ان موطنها كان في بلاد الاتراك واسيا الصغرى، الموسوعة العربية، المجلد الخامس، ص ٢٢٦.

(٩) محمد عبد اللطيف هريدي، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الاسلامي عن أوروبا، دار الصحوة للنشر والتوزيع، بلا مكان، ١٩٨٧، ص ٤٣ ؛ نصر الله فلسفي، ايران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ترجمة : محمد فتحي يوسف الرئيس، طهران، ١٩٨٩، ص ج - لينج.

(١٠) محمد عبد الله عودة وابراهيم ياسين الخطيب، المصدر السابق، ص ١٨ ؛ محمد وصفي أبو مغلي، المصدر السابق، ص ٢٤٤-٢٥٣.

(١١) ولد تيمور لنك في قرية (كيش) قرب مدينة سمرقند عام ١٣٣٦، منحدرًا من سلالة جنكيز خان من طرف الأم، واسمه تيمور أما (لنك) فتعني الاعرج باللغة التركية، وسمي كذلك لانه كان اعرجاً، وفي عام ١٣٦٩، خلع تيمور لنك أمير خراسان وما وراء النهر، وحول هذه الممتلكات الى أُمَبراطورية ضخمة بتوسعاته وحروبه المستمرة، اتخذ سمرقند عاصمة لامبراطوريته. لمزيد من التفاصيل. ينظر : محمد محمد فياض، تيمور لنك، دار المعارف، القاهرة، ١٨٩٠.

(١٢) بايزيد الثاني بن محمد الفاتح ثامن السلاطين العثمانيين ولد عام ١٤٤٧ حكم في عهد ابيه مقاطعة اماسيا تولى السلطنة بعد ابيه بعد ان نازعه اخوه جم عليها وصلت الغزوات في عهده لدولة البندقية. اجبر من قبل الانكشارية في اخر حياته على التنازل عن الحكم لابنه سليم الاول وهي نفس السنة التي توفي فيها وتقلد الحكم من ١٤٨١ - ١٥١٢ عرف عنه انه كان يؤلف الشعر ويؤلف الموسيقى ويتقن الخط العربي. ينظر : الهام عبد القادر حمودي الطائي، الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني ١٤٨١ - ١٥١٢، رسالة ماجستير، مقدمة الى كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٤، ص ٣١-٥٩.

- (١٣) خليل اينالچك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار، ترجمة : محمد. م. الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٥٢-٥٣.
- (١٤) مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الاسلامي العصر العثماني ١٥١٦-١٩١٦، دار اسامة للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠٩، ص ٢٣ ؛ خليل اينالچك، المصدر السابق، ص ٥٣.
- (١٥) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧، ص ١٨٦.
- (١٦) ابراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص ٧٦.
- (١٧) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج ١، ترجمة : عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح : محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ١٩٨٨، ص ٢١٠.
- (١٨) ولد سليم الاول عام ١٤٧٠ في مدينة اماسيا على ساحل البحر الاسود وهو تاسع سلاطين الدولة العثمانية واول من حمل لقب امير المؤمنين حكم الدولة العثمانية من عام ١٥١٢ حتى عام ١٥٢٠ يلقب بالقاطع او الشجاع عند الاتراك نظرا لشجاعته وتصميمه في ساحة المعركة وصل سليم الى الحكم بعد انقلاب قام به على والده بايزيد الثاني بدعم من الانكشارية يتميز عهده بأن الفتوحات تحولت في ايامه من الغرب الاوربي الى الشرق العربي. حيث اتسعت رقعة الدولة اتساعاً كبيراً لشمها بلاد الشام والعراق ومصر والحجاز. توفي عام ١٥٢٠. ينظر : منصور عبد الحكيم، الدولة العثمانية من الأمانة الى الخلافة وسلاطين بني عثمان، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٩٥-٢٠٧.

(١٩) القوات الانكشارية، وتسمى (بني جري) باللغة التركية، وتعني الجنود الجدد، وهو اسم كان يطلق على فرق المشاة النظاميين التي تأسست في القرن الرابع عشر الميلادي، حيث يرجع تنظيم الى زمن السلطان مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩) أصبحت بمرور الزمن من اهم القوات الضاربة في الدولة العثمانية والتي مكنتهم من الفتح والتوسع وكان العنصر الأساسي المكون للانكشارية هم الصبيان النصارى الذين يؤخذون من اهاليهم حسب (نظام الدوشرمة) وهو نظام جمع الغلمان من النصارى والذين تتراوح اعمارهم ما بين الثامنة والخمسة عشر عاماً، وينشؤون على التعاليم الاسلامية لجعلهم ينخرطون في الفرق الانكشارية والخدمية في القصور. للتفاصيل ينظر : احمد الشنتاوي وآخرون، دائرة المعارف الاسلامية، مج ٩، انتشارات جهان، تهران، د.ت، ص ص ٣١٩-٣٢٢.

(٢٠) محمد عبد الله عوض وابراهيم ياسين الخطيب، المصدر السابق، ص ١٩.

(٢١) كانت مصر وبلاد الشام في الفترة التي تعرض فيها المشرق الاسلامي للغزو المغولي في منتصف القرن الثالث عشر تحكمان من قبل دولة واحدة هي دولة المماليك، والمماليك هم مجموعة من سكان القبائل الذين اشترتهم الدولة الايوبية في عهد ملكها الصالح ايوب عند تبوئه عرش مصر وقد منحه حرية كبيرة لدرجة ان تلك الحرية انعكست سلباً على اهالي مصر الذي بدأ يضجر منهم ومن تصرفاتهم بسبب تنامي قوتهم وسطوتهم وعبثهم بشؤون الناس، اما عن اصول المماليك فأن اكثرهم يرجعون لاصول سلافية كانت تسكن بلاد القفقاس (جنوب روسي) وفي شمال ووسط اسيا وسيبيريا وبلاد ما وراء النهر : هاني فخري عطية الجزار، النظم العسكري في دولة المماليك ١٢٥٠-١٥١٧، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب، جامعة غزة، ٢٠٠٧.

(٢٢) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، الطبعة السادسة، ترجمة : نبيه أمين سري ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤، ص٤٤٦-٤٤٩.

(٢٣) كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٢٤) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص٧٢.

(٢٥) المصدر نفسه، ص٧٧.

(٢٦) خليل اينالجي، المصدر السابق، ص٥٣-٥٤.

(٢٧) محمد عبد اللطيف هريدي، المصدر السابق، ص٥٢.

(٢٨) عيسى الحسن، الدولة العثمانية عوامل البناء واسباب الانهيار، الاهلية للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠٩، ص١٢٣.

(٢٩) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص٧٨.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٣١) عيسى الحسن، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٣٢) كانت زوجة الشاه تدعى تاج لي خانم، ولم يردها السلطان سليم بل زوجها الى احد كتابه انتقاماً. ينظر : محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص٨٠.

(٣٣) كانت المدافع يومذاك من الاسلحة الحديثة وقد ادرك سلاطين ال عثمان اهميتها في الحروب فحرصوا على استجلاب الخبراء من اوربا لصنعها وتحسينها والظاهر انهم تفوقوا في ذلك على الدول الأوروبية اذ كان خبراء المدافع الاوربيين يجدون من التقدير والمكافاة في الدولة العثمانية اكثر مما يجدونه في دولهم : علي الوردی ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الاول، ايران، ٢٠٠٤، ص٥٠٤.

- (٣٤) عباس اسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية - الايرانية الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٣٠-١٣١.
- (٣٥) نصر الله فلسفي، المصدر السابق، ص لح - لط.
- (٣٦) علي الوردي، المصدر السابق، ص ٤٩.
- (٣٧) عباس اسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص ٣١.
- (٣٨) محمد عبد الله عودة وابراهيم ياسين الخطيب، المصدر السابق، ص ١٩.
- (٣٩) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦، دمشق، ١٩٧٤، ص ٥٧؛ مفيد الزبيدي، المصدر السابق، ص ٢٦.
- (٤٠) عباس اسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص ١٣٤.
- (٤١) عبد الكريم رافق، المصدر السابق، ص ٥٧.
- (٤٢) علي حسون، الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، المكتب الاسلامي، بلا مكان، ١٩٨١، ص ٥٧-٥٨؛ سيار كوكب علي الجميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١، ص ٦٩-٧٢.
- (٤٣) محمد عبد اللطيف هريدي، المصدر السابق، ص ٥٢.
- (٤٤) محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٦٥.
- (٤٥) كان قانصوة الغوري يدرك انه غير مستعد لخوض غمار حرب كبيرة ضد العثمانيين وحاول تاخير اندلاعها بكل الوسائل الا ان السلطان سليم اصر على ان يكون السيف هو الحكم ان لم يعلن الغوري خضوعه له وعندما شعر قانصوة الغوري انه لا يستطيع الصمود وحده امام الجيش العثماني سعى الى التحالف مع الشاه اسماعيل الصفوي ضد العدو المشترك ولعل ماشجعه على سلوك هذا المسلك ان الشاه اسماعيل الصفوي كان مستعداً بعد معركة جالديران لمتابعة

العمل ضد سليم الاول لكن الكراهية التي كان يكنها الشاه اسماعيل للغوري لم تكن تقل كراهيته للسلطان العثماني فرفض التعاون معه ولهذا لم تسفر محاولة الغوري التحالف مع الشاه اسماعيل بل انعكست سلباً على علاقاته مع العثمانيين اللذين راوا في هذه المحاولة طعنة للدولة العثمانية من الخلف ووضحت الحرب حتمية بين الطرفين. ينظر : محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ١٦٦.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٦٧-١٦٨.

(٤٧) فاضل مهدي بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المدار الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٥٩-٦٣ ؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين، ص ١٧٠-١٧١.

(٤٨) علي الوردي، المصدر السابق، ص ٥١.

(٤٩) فاضل مهدي بيات، المصدر السابق، ص ٥٩-٦٣ ؛ علي حسون، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٥٠) كان انتقال الخلافة العثمانية موضوع خلاف وجدل بين الفقهاء، وقد اعترض بعضهم على هذا الانتقال استناداً على ما ورد عن النبي من انه قال : " الأئمة من قريش " والشائع ان السبب الذي جعل الدولة العثمانية شديدة التمسك بالمذهب الحنفي هو ان ابا حنيفة كان لا يأخذ بهذا الحديث ويرى من الجائز ان تكون الخلافة في غير قريش. ينظر : علي الوردي، المصدر السابق، ص ٥١.

(٥١) المصدر نفسه، ص ٥١.

(٥٢) محمد عبد اللطيف هريدي، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٥٣) عيسى الحسن، المصدر السابق، ص ١٢٤.

(٥٤) عيسى الحسن، المصدر السابق، ص ١٢٤.

(٥٥) السلطان سليمان القانوني هو ابن السلطان سليم الاول ولد سليمان في طرابزون الواقعة على سواحل البحر الاسود، كان عاشر سلاطين الدولة العثمانية بلغت الدولة العثمانية في عهده اقصى اتساع لها، ويعتبر صاحب اطول حكم امتد من عام ١٥٢٠ حتى عام ١٥٦٦ عرف عند الغرب باسم سليمان العظيم وفي الشرق باسم سليمان القانوني لما قام به من اصلاح في النظام القضائي العثماني حاكماً بارزاً في اوربا وفي القرن السادس عشر قاد سليمان الجيوش العثمانية لغزو المعازل والحصون المسيحية في بلغراد ورودس واغلب اراضي المجر قبل ان يتوقف في حصار فينا عام ١٥٢٩، توفي سليمان القانوني اثناء حصار مدينة سيكتورا حيث سقط من اعلى الحصان وقد مات في تلك اللحظة. ينظر : هارولد لامب، سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم، ترجمة : شكري محمود نديم، المراجعان : احمد ناجي القيسي ومحمود الامين، مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر، بغداد، نيويورك، ١٩٦١.

(٥٦) فاضل مهدي بيات، المصدر السابق، ص ٣٠،

(٥٧) مقتبس من : اندري كلو، غازي الغزاة سليمان القانوني، تعريب : محمد الرزفي، دار التركي للنشر، ١٩٩١، ص ٧٥-٧٧.

(٥٨) حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ ايران دراسة في التاريخ السياسي منذ ظهور الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية، الجزء الثالث، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٢١١.

(٥٩) نصر الله فلسفي، المصدر السابق، ص ٦٣.

(٦٠) اندري كلو، المصدر السابق، ص ١١٦.

(٦١) نصر الله فلسفي، المصدر السابق، ص ٦٣.

(٦٢) فاضل مهدي بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الادارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً (مطلع العهد العثماني - أواسط القرن التاسع عشر)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٢٥٩-٢٦٠ ؛ اندري كلو، المصدر السابق، ص ١١٧.

(٦٣) فاضل مهدي بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي....، ص ٢٦١.

(٦٤) اندري كلو، المصدر السابق، ص ١١٧.

(٦٥) عبد الكريم رافق، المصدر السابق، ص ٦٧ ؛ علي حسون، المصدر السابق، ص ٦٤.

(٦٦) تكة لو : هي احدى القبائل التركمانية السبعة التي كان يعتمد عليها الشاه الصفوي في حروبه وهذه القبائل هي : استاجلو، شاملو، بهارلو، ذو القدر، قاجار، افشار، وتقطن هذه القبائل فيما وراء القوقاز عند الشاطئ الجنوبي لبحر قزوين والى الغرب من خراسان، وكانت قد هاجرت من اواسط اسيا اول امرها مه السلاجقة. ينظر : علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٢٣.

(٦٧) فاضل مهدي بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي....، ص ٢٥٧-٢٥٩.

(٦٨) قسم بعض المؤرخين الحكم العثماني في العراق الى خمسة عهود مختلفة لكل منها طابعه الخاص وتلك العهود هي : الاول : ويبدأ بدخول السلطان سليمان القانوني بغداد وحتى دخول الصفويين اليها مرة أخرى (١٥٣٤-١٦٢٤)، الثاني : ويبدأ منذ استعادة السلطان مراد الرابع لبغداد الى بداية حكم المماليك (١٦٣٨ - ١٧٤٩). الثالث : عهد المماليك (١٧٤٩ - ١٨٣١). الرابع : عهد اعادة الحكم المباشر (١٨٣١-١٨٦٩) للدولة العثمانية. الخامس : منذ تعيين مدحت باشا والياً على بغداد حتى نهاية الحكم العثماني (١٨٦٩-١٩١٨). ينظر : جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت

باشا الى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١
؛ علي شاكّر علي، المصدر السابق،

(٦٩) فضولي البغدادي من اشهر شعراء الترك، عراقي اسمه محمد بن سليمان البغدادي واصله من قبيلة البيات القديمة السكاني في العراق اكتسبت الصيت في بغداد فنسب اليها ويلقب عند العثمانيين بـ (رئيس الشعراء) كان ولايزال من فحول الشعراء مبدعاً في نهجه الادبي. ينظر : عباس العزاوي المحامي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين العهد العثماني الاول ١٥٣٤ - ١٦٣٩، المجلد الرابع، الدار العربية للموسوعات، ص١٢٢-١٢٣.

(٧٠) علي الوردي، المصدر السابق، ص٥٦.

(٧١) يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص٣٤١.

(٧٢) علي الوردي، المصدر السابق، ص٥٦.

(٧٣) نيقولايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤، ترجمة : يوسف عطا الله، راجعه : مسعود ظاهر، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٨، ص٨٩-٩٠ ؛ فاضل مهدي بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي...، ص٢٦٢ ؛ علي الوردي، المصدر السابق، ص٥٧.

(٧٤) ان اهمية ميناء البصرة كونه يقع على الخليج العربي وموقع البصرة الاستراتيجي المهم جعل الدولة العثمانية تتقلب على أمير البصرة (ابن مغامس) عام ١٥٤٦ لوقوفه الى جانب تمرد قبلي حين وقعت معركة بين الجانبين العثماني والعربي القبلي انتهت بانتصار العثمانيين وسيطرتهم على البصرة بالكامل بعد ان زحفت القوات العثمانية صوب البصرة واحتلتها عام ١٥٤٦ ليمتد بعد ذلك النفوذ العثماني الى سواحل الخليج العربي الشمالية. ينظر : باسم حمزة

- عباس، ايران في عهد الشاه طهماسب الاول الصفوي ١٥٢٤ - ١٥٧٦، مجلة الخليج العربي، المجلد ٤٠ العدد (٢-١)، ٢٠١٢، ص ٩.
- (٧٥) المصدر نفسه، ص ٩.
- (٧٦) ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط ٤، بغداد، ١٩٦٨، ص ٤٠.
- (٧٧) اندري كلو، المصدر السابق، ص ١٢٠.
- (٧٨) حسن كريم الجاف، المصدر السابق، ص ١٢٠.
- (٧٩) باسم حمزة عباس، المصدر السابق، ص ١١.
- (٨٠) اندرية كلو، المصدر السابق، ص ١٨٤ ؛ عباس اسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤٠.
- (٨١) يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص ٣٤٦.
- (٨٢) حسن كريم الجاف، المصدر السابق، ص ٣٤-٣٥.
- (٨٣) عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الاسلامية (الأتراك العثمانيون - الرفس - مسلمو الهند)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٤٢.
- (٨٤) الاوزبك : قبيلة تركية كانت قد استولت على الأمر في تركستان بزعامة محمد شيباني الذي تمرس بفن القتال في الحروب التي نشبت بين أمراء المغول في تلك البلاد، وفي سنة ١٤٩٤ قضت هذه القبيلة على بقايا التيموريين في خراسان وهرات لتصبح بذلك متاخمة للدولة الفارسية، لمزيد من التفاصيل ينظر : علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٢٤.
- (٨٥) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٢٣٩.
- (٨٦) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ١٠٥ ؛ علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٢٤-٢٥.

- (٨٧) باسم حمزة عباس، المصدر السابق، ص ١٤.
- (٨٨) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٢٤١.
- (٨٩) يذكر أن الشاه طهماسب طلب من السلطان سليم أبين السلطان سليمان لقاء تسليمه ليزيد وأولاده مبلغ ١٢٠٠٠٠٠ ليرة ذهب وقلعة قارص. ألا أنه لم يستلم سوى ٥٠٠٠٠٠ ليرة ذهب ومجوهرات قيمة فقط يلمازوزتونا، المصدر السابق، ص ٣٥١.
- (٩٠) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ١٠٦ ؛ نيقولاي ايفانوف، المصدر السابق، ص ٩٤.
- (٩١) شاكرك صابر الضابط، تاريخ العلاقات العثمانية - الايرانية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٠.
- (٩٢) توفي سليمان القانوني في معركة زيكنتور اثناء سفره الى فينا فعاود بجثمانه الى اسطنبول، واثاء التشييع وجدوا انه قد اوصى بوضع صندوق معه في القبر. فتحير العلماء وظنوا انه مليء بالمال فلم يجيزوا اتلافه تحت التراب وقرروا فتحه فاخذتهم الدهشة عندما رأوا ان الصندوق ممثلاً بفتاواهم. فراح الشيخ ابو السعود يبكي قائلاً : لقد انقذت نفسك ياسليمان، فاي سماء تظلنا واي ارض تقلنا ان كنا مخطئين في فتاوانا. ينظر : نور الدين صواش، السلطان الخاشع سليمان القانوني، مجلة حراء، السنة السابعة، العدد ٣٠، ٢٠١٢، ص ٦٢.
- (٩٣) باسم حمزة عباس، المصدر السابق، ص ١٥.
- (٩٤) المصدر نفسه، ص ١٥-١٦.
- (٩٥) اسماعيل الثاني : هو الابن الرابع لطهماسب وكان اسماعيل سجيناً بأمر والده واستمر سجنه مدة ٢٥ عاماً فلما وصل الى السلطة قام بقتل أخوته الواحد بعد الآخر حتى قتل منهم ثمانية أشخاص، بالإضافة الى ١٧ رجلاً اخرين من

الرؤساء، سمل أعينهم أو قتلهم وأخيراً دخل عليه خمسة عشر رجلاً استخفوا في ثياب النساء وقتلوه : لمزيد من التفاصيل ينظر : محمد وصفي أبو مغلي، المصدر السابق، ص ٢٤٩.

(٩٦) باسم خطاب الطعمة ومشعل مفرح ظاهر، العلاقات الصفوية العثمانية ١٥٨٧-١٦٢٩ دراسة تحليلية، مجلة اداب البصرة، العدد، ٢٠٠٨، ص ١٥٣.

(٩٧) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ١١٤-١١٦.

(٩٨) يذكر المؤرخون الغربيون ان وفاة السلطان سليم الثاني تعود الى افراطه في تناول الخمر، في حين يذكر المؤرخون المسلمون انه قضى نحبه بعد انزلاق قدمه اثناء استحمامه في قصر طوب قابي اذ توفي بعد ذلك بايام متأثراً بنزيف دماغي.

(٩٩) استغلت مهد عليا خير النساء بيكم زوجة الشاه محمد خدابندا فرصة ضعف نظر زوجها حتى الكفاف فراحت تتدخل في شؤون الدولة وشرعت تعزل وتتصب الحكام والولاة والقادة العسكريين حتى قبل أن يصل زوجها الى العاصمة قزوین قادما من شیراز وقد اثار ذلك بريخان خانم بما لها من نفوذ بين القزلباش وشهدت البلاد صراعاً من نوع اخر بين السيدتين وراحت كل منهما تتربص بالآخرى الدوائر. وكانت مهد عليا السبابة الى ذلك فقد اتفقت مع زوجها على التخلص منها وكلفا خليل افشار الوصي عليها منذ ايام الشاه طهماسب الاول بقتلها مقابل الحصول على ثروتها المقدرة بعشرة الاف تومان فخنقها في منزلها. ينظر : محمد سهيل طقوش، ترايخ الدولة الصفوية، ص ١١٦.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(١٠١) انجب الشاه محمد خدابندا اربعة اولاد هم : حمزة وعباس وابو طالب وطهماسب. وقد قتل الاول في حياة ابيه واصحى الثاني الشاه عباس الكبير

وسلمت اعين الثالث والرابع بأمر من اخيهما الشاه عباس الكبير بعد ان تولى الحكم. ينظر : محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية، ص ١١٦.

(١٠٢) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(١٠٣) كان الحاكم الاكثر سموا من سلالة الصفويين اصبح شاه ايران عام ١٥٨٨ بعدما تمرد على ابيه محمد الصفوي وسجنه، وصل الى العرش بمساعدة مرشد غولي اوستاجلو الذي قتل لاحقا عام ١٥٨٩ افرغ جهوده اولا ضد الازيكيين اللذين احتلوا خراسان وبعد كفاح طويل اعاد مشهد وهزمهم في معركة هرات عام ١٥٩٧ وابعدهم من بلاده. حرك عاصمته من قزوین الى اصفهان عام ١٥٩٢ كانت علاقته مابين الاسبان والبرتغاليين مد وجزر خاض العديد من المعارك مع العثمانيين، في حين انشأ علاقة طيبة مع الانكيز توفي عام ١٦٢٩. ينظر : محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية، ص ١٢٩-١٣٦.

(١٠٤) علي الوري، المصدر السابق، ص ٦٩.

(١٠٥) حسن كريم الجاف، المصدر السابق، ص ٤٣ ؛ محمد وصفي أبو مغلي، المصدر السابق، ص ٢٥١.

(١٠٦) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٢٧.

(١٠٧) محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثاني هو الخليفة العثماني الثالث عشر ولد عام ١٥٦٦ وامسك زمام الحكم عام ١٥٩٥ حتى عام ١٦٠٣ كان شاعراً وهو ابن جارية بندقية الاصل في بداية حكمه قتل اخوته الذكور كلهم قبل دفن ابيه وترك تسيير شؤون الدولة الداخلية لوزرائه شهدت البلاد في عهده العديد من الثورات التي اصبحت في عصره دليلاً واضحاً على ضعف النظام العسكري العثماني وعدم قدرته على حفظ الامن الداخلي والسيادة على الاقاليم الخارجية

- توفي عام ١٦٠٣ وخلفه ابنه السلطان احمد الاول. ينظر : منصور عبد الحكيم، المصدر السابق، ص ٣١٠-٣١٤.
- (١٠٨) خليل اينالچك، المصدر السابق، ص ٦٩.
- (١٠٩) باسم حطاب الطعمة ومشعل مفرح ظاهر، المصدر السابق، ص ١٥٨.
- (١١٠) المصدر نفسه، ص ١٥٩.
- (١١١) علاء موسى كاظم نورس، المصدر السابق، ص ٢٧.

المصادر والمراجع

أ- المصادر العربية والمعربة

١. ابراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤.
٢. اندري كلو، غازي الغزاة سليمان القانوني، تعريب : محمد الرزفي، دار التركي للنشر، تونس، ١٩٩١.
٣. جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩ - ١٩١٧، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١.
٤. حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ ايران (دراسة في التاريخ السياسي منذ ظهور الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية)، الجزء الثالث، بغداد، ٢٠٠٥.
٥. خليل اينالچك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار، ترجمة : محمد م الارناوط، دار المدار الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.
٦. زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١٠.
٧. سيار كوكب علي الجميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١.
٨. شاکر صابر الضابط، تاريخ العلاقات العثمانية - الايرانية، بيروت، ١٩٩٩.

٩. عباس اسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية - الايرانية (الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين)، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩.
١٠. عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الاسلامية (الأتراك العثمانيون - الفرس - مسلمو الهند) دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩١.
١١. عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦، دمشق، ١٩٧٤.
١٢. علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٨٠، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩.
١٣. علي حسون، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الاسلامي، ١٩٨١.
١٤. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الاول، الطبعة الأولى، ايران، ٢٠٠٤.
١٥. علي شاكِر علي، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ - ١٧٥٠ دراسة في احواله السياسية، منشورات مكتبة ٣٠ تموز، نينوى، ١٩٨٥.
١٦. عيسى الحسن، الدولة العثمانية عوامل البناء واسباب الانهيار، الاهلية للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠٩.
١٧. عباس العزاوي المحامي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين العهد العثماني الاول ١٥٣٤-١٦٣٩، المجلد الرابع، الدرا العربية للموسوعات.
١٨. فاضل مهدي بيّات، الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الادارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا (مطلع العهد العثماني - أواسط القرن التاسع عشر)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧.
١٩. فاضل مهدي بيّات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المدار الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٣.

٢٠. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، الطبعة السادسة، ترجمة : نبيه أمين سري ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤.
٢١. محمد سالم الرشيد، السلطان محمد الفاتح، طبعة ثانية، دار البشير للثقافة، مصر، ٢٠١٣.
٢٢. محمد محمد فياض، تيمور لنك، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.
٢٣. منصور عبد الحكيم، الدولة العثمانية من الامارة الى الخلافة وسلاطين بني عثمان، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ٢٠١٢.
٢٤. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية (في ايران)، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.
٢٥. —، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨.
٢٦. محمد عبد اللطيف هريدي، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الاسلامي عن أوربا، الطبعة الأولى، دار الصحوة للنشر والتوزيع، بلا مكان، ١٩٨٧.
٢٧. محمد عبد الله وابراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، بلا مكان، ١٩٨٩.
٢٨. محمد وصفي أبو مغلي، ايران دراسة عامة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٥.
٢٩. مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الاسلامي العصر العثماني ١٥١٦-١٩١٦، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩.
٣٠. نصر الله فلسفي، ايران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ترجمة : محمد فتحي يوسف الرئيس، طهران، ١٩٨٩.
٣١. نيقولايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦ - ١٥٧٤، ترجمة : يوسف عطا الله، مراجعة : مسعود ظاهر، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٨.

٣٢. هاروادلالمب، سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم، ترجمة : شكري محمود نديم، المراجعان : احمد ناجي القيسي ومحمود الامين، مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر، بغداد -نيورورك، ١٩٦١.
٣٣. يلمازاوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة : عدنان محمود سلمان، مراجعوا وتنقيح : محمود الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، ١٩٨٨.

٢-الرسائل والأطاريح الجامعية

١. الهام عبد القادر حمودي الطائي، الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني ١٤٨١-١٥١٢، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية - جامعة الموصل، ٢٠٠٤.
٢. هاني فخري عطية الجزار، النظام العسكري في دولة المماليك ١٢٥٠-١٥١٧، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب - جامعة غزة، ٢٠٠٧.

٣-الدوريات

١. باسم خطاب الطعمة ومشعل مفرح ظاهر، العلاقات الصفوية العثمانية ١٥٨٧-١٦٢٩، دراسة تحليلية،مجلة اداب البصرة، العدد ٤٥، ٢٠٠٨.
٢. باسم حمزة عباس، ايران في عهد الشاه طهماسب الاول الصفوي ١٥٢٤-١٥٧٦،مجلة الخليج العربي، المجلد ٤٠ العدد (١-٢)، ٢٠١٢.
٣. نور الدين صواش، السلطان الخاشع سليمان القانوني، مجلة حراء، السنة السابعة، العدد ٣٠، ٢٠١٢.

٤-الموسوعات

١. احمد الشنتتاوي وآخرون، دائرة المعارف الاسلامية، مج٩، انتشارات جهان، تهران.
٢. الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الخامس، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠.

الاسس المعتمدة في تنمية ماليزيا وعوامل تطبيقها في بعض البلاد العربية

د. ماهر جبار الخليلي

المقدمة

ان الكتابة التاريخية المتعلقة بالتنمية والتحديث اصبحت اليوم من أهم المواضيع التي تنال اهتمام المسؤولين وصانعي القرار في المجتمعات العالمية، نظرا لما تتضمنه من عناصر قوة للمجتمع، لاسيما دراسة تجارب الامم الحديثة، لغرض الاستفادة من الاخطاء وكسب الايجابيات والبناء عليها للنهوض والانطلاق نحو المستقبل بخطوات اكثر ثباتا واكثر عقلانية واسرع وتيرة

فالباحث العربي اليوم بأمس الحاجة الى تغيير نمط كتاباته التقليدية الى كتابات تحليلية واقعية تأخذ من التجارب الناجحة ايجابياتها ومن التجارب الفاشلة دروسها، لكي يستطيع توظيف افكاره وارائه واستنتاجاته بشكل فعال يخدم المجتمع، لذا كان اختياري لموضوع البحث (الأسس المعتمدة في تنمية ماليزيا وعوامل تطبيقها في بعض البلاد العربية) اخذا بنظر الاعتبار الاختلاف في الثقافة والبيئة واللغة والتاريخ .

إنّ التجربة الماليزية غنية بكل ما للكلمة من معنى فهذه الدولة حديثة التكوين السياسي (عام ١٩٦٣م) وعاشت واقعا اجتماعيا صعبا وفريدا فالاختلاف بين طوائفها الاجتماعية كبير يشمل اللغة والقومية والدين والثقافة ومن الصعوبة بمكان أن تجد مشتركات بينهم عدا الجغرافية متمثلة بالارض التي تجمعهم ،ومع ذلك نجدها اليوم من افضل الدول وأسرعها تقدما ونموا واصبحت من أقوى دول القارة الاسيوية اقتصادا (مجموعة النمر الاسيوية) مع اعتمادها على منظومة من القيم الشرقية والاسلامية والمحلية .

المنظومة القيمية الاخلاقية والاسس المعتمدة في تنمية ماليزيا هو ماتحاول هذه الدراسة التركيز عليه ، واستخلاص الافكار والاراء والاستنتاجات المهمة والرئيسة التي من الممكن تطبيقها في بعض البلدان العربية .

تم تصنيف الدراسة الى أربعة مباحث ،إختصا لاولمناها بالنظام السياسي الماليزي وطبيعة تصنيف المجتمع، فيما تناول الثاني مراحل التنمية الماليزية ،فيما اختص الثالث بالمنظومة القيمية والاسس المعتمدة في التنمية وتصنيفها الى فئتين مستوردة ومحلية .

اما المبحث الرابع فقد تناول امكانية تطبيق هذه الاسس في كل من العراق والاردن محاولا الاجابة على السؤال المهم التالي (هل بالامكان تطبيق التنمية والتحديث في بلداننا العربية دون التضحية بعاداتنا وتقاليدينا المحلية ؟).

إنّ النظام السياسي له دور كبير في تأسيس دولة حقيقية ، فالتشريع الصحيح يؤدي الى نتائج صحيحة والتشريع السيء او الضعيف يؤدي الى نتائج سيئة وضعيفة يقول جان جاك روسو (القوانين الجيدة تؤدي الى قوانين افضل منها والقوانين السيئة تؤدي الى قوانين اسوأ منها) فالتشريع اذن اساس الاصلاح واساس الدولة ، ومن يريد تكوين دولة مؤسسات عليه ان يزرع بذورها فعلا وقولا ،تشريعا وتنفيذا ،تطبيقا ونظرية وليست شعارات وصخباً اعلامياً .

هذا البحث القصير هدفه تحليل اداء التجربة الماليزية وتشخيص الداء الذي اصابها ونوع الترياق المناسب والمستخدم في العلاج ،لكي نستخدمه نحن العرب املا في التخلص من أمراضنا وآفاتنا مع مراعاة الفوارق .

وقد إعتد الباحث على عدة مصادر عربية واجنبية، فضلا على شبكة الانترنت التي اصبحت لاغنى عنها في البحوث الرصينة من خلال التواصل مع دول العالم المختلفة والاطلاع على بحوثهم وارههم وافكارهم .

ولا يدعي الباحث الكمال ولا تثبت الاراء التي وردت في البحث كمسلمات ، وإنما هي وجهة نظر قابلة للخطأ والصواب والتعديل ، يعرضها والمجال مفتوح لكل الباحثين كي يدلوا بدلوههم عن آراء الباحث علها تكون مفتاحاً لبحوث جديدة باطار وآراء جديدة .

في الختام اسأل الله جل وعلا أن يوفقنا بمسعانا ويحفظ عراقنا واحدا موحدا مستقرا شامخا شموخ النخيل انه سميع مجيب .

المبحث الاول

النظام السياسي والمجتمع

تكونت دولة ماليزيا الملكية الفدرالية من عدة مستعمرات بريطانية عندما نال اتحاد المالايو الاستقلال في ٣١ اب ١٩٥٧م المتكون من عدة ملكيات، ثم أعيد تنظيمها مرة أخرى بعد ان تم دمج كل من سنغافورة، ساراواك، وبورنيو الشمالية البريطانية واتحاد المالايا جميعا لتشكّل الدولة الجديدة باسم ماليزيا يوم السادس عشر من أيلول عام ١٩٦٣م، ثم حصلت في السنوات التالية توترات ضمن الاتحاد الجديد أدت إلى طرد سنغافورة في التاسع من أيار ١٩٦٥م^(١).

إنّ النظام القانوني والسياسي في ماليزيا يقول إنها دولة ديمقراطية تتبنى النظام الملكي الدستوري والبرلماني وفق النموذج الذي تتبناه بريطانيا (نظام ويستمنستر) مع فارق رئيس بين النظام الماليزي والنموذج المطبق في بريطانيا انه لدى ماليزيا دستور أعلى مكتوب قابل للتنفيذ من خلال المراجعة القضائية بينما ينعهد هذا الامر في بريطانيا ، فضلا على إنّ النظام أحادي في بريطانيا بوجود ملك أو ملكة بينما لدى ماليزيا نظام أشبه بالحكم الفيدرالي لأنّ الملكية تدور بين تسعة ملوك لكل دورة خمس سنوات^(٢).

تبلغ المساحة الاجمالية لماليزيا ٣٢٩,٧٥٠ كم ٢، ويبلغ تعداد السكان في ماليزيا حسب بيانات عام ٢٠١٢م حوالي ٢٩,٢٤٠,٠٠٠ مليون نسمة.

الزراعة في ماليزيا تعادل ١٢% من الناتج الإجمالي في البلاد و يعمل ١٦ % من سكان ماليزيا في الزراعة ، ولقد أنشئت مزارع واسعة النطاق من قبل البريطانيين في أيام الاحتلال وقد فتحت هذه الفرصة للمزارعين محاصيل جديدة مثل المطاط وزيت النخيل والكاكاو والشاي والموز وجوز الهند () ، ولكن الزراعة كانت تشكل في ماليزيا نهاية السبعينات حوالي ٩٣% من الناتج الاجمالي للدولة مما يؤشر ان هناك تحولا كبيرا قد طرأ على مصادر الدخل ، اذ دخل قطاع الصناعة كأهم مصدر من مصادر

الدخل القومي للدولة يليه القطاع التجاري وأصبحت الزراعة بكل ما فيها من امكانيات في المركز الاخير للدخل .

ولابد من الوقوف على امرين :

اولا : طبيعة نظام الحكم :

نظام الحكم في الدستور ملكي فيدرالي يجمع الممالك والولايات الماليزية تحت علم ونظام واحد راس الهرم فيه ملك منتخب كل خمس سنوات من الملوك التسع بعد عقد مؤتمر الحكام ولكن الملك منصبه شرفي وفخري ذو صلاحيات محدودة ، السلطة الواسعة بيد حكومة فيدرالية مركزية يرأسها رئيس الوزراء، الذي يشكل الحكومة بعد فوز حزبه في الانتخابات على مستوى الدولة، وهو ذو صلاحيات واسعة، كما أن هناك حكومات محلية للولايات، يرأس كلاً منها رئيس الوزراء الذي يفوز حزبه في الانتخابات على مستوى الولاية، وقد وُقر نظام الحكم مجموعة من الضمانات والإجراءات التي تعطي للدولة صبغة المالايو، كالملكية ولغة المالايو ودين الدولة الإسلام، وتضمن سيطرة المالايو على الحياة السياسية وعلى الخدمة المدنية، فضلاً عن إعطائهم بعض المزايا الاقتصادية والتعليمية^(٣).

ثانيا : المجتمع الماليزي

إنّ دراسة النهضة والتنمية في بلد ما تحتم على الباحث معرفة العناصر المكونة للمجتمع وتاريخ وجودها ومدى انسجامها وتناسقها او اختلافها وتعارضها للوقوف على حقيقة المجتمع وامكانياته ومعرفة البيئة التي انتجت قادة النهضة .

ويشكل عنصر المالايو الجزء الاكبر من المجتمع الماليزي والاكثر سيطرة والتاثير من الناحية الثقافية والدينية، والمالايو هم السكان الاصليون لشبه جزيرة المالايو ويطلق عليهم (الجنس الاصلي او ابناء الارض Bumiputera) اذ حاولت الحكومات الماليزية من خلال سياسة التمييز الايجابي الحفاظ على الهوية الاساسية للمالايو الذين يمثلون الأغلبية ولكن مع الضمانات لحقوق الطوائف الأخرى^(٤) .

اما العنصر الذي يأتي بالمرتبة الثانية من ناحية العدد والتأثير فهو العنصر الصيني والذي يشكل تواجده اليوم العصب الأساس للاقتصاد الماليزي ،ولكن السؤال عن كيفية وصولهم الى المنطقة وتبوءهم هذه المكانة الكبيرة والتأثير العالي في المجتمع ؟

تشير مصادر التاريخ الماليزي الى ان حاجة بريطانيا إلى عمالة كفوءة تعمل في صناعة المطاط وزراعة أشجار زيت النخيل اضطرها الى فتح باب الهجرة للصينيين والهنود ، ومع بداية القرن العشرين شكل الصينيون ٦٥% من سكان سيلانجور إحدى أهم الممالك الماليزية والتي تقع فيها العاصمة كوالالمبور، و٤٦% من سكان بيراك وهي من المناطق الصناعية المهمة ، وقد عمل هؤلاء في عدة مجالات أبرزها التعدين والقصدير والمطاط وزراعة التوابل والفلفل وقد زاد العدد حتى أصبح يشكل تقريبا ٥٠% من المجتمع عشية الاستقلال^(٥) .

وقد أشار الدكتور مهاتير في كتابه المهم(معضلة مالايو The Malay Dilemma) بأنّ الصينيين سيطروا على المال والنقد والتجارة بشكل كبير ،والذي يسيطر على المال يعني يتطور ويهيمن على الاقتصاد ،وقد كان للصينيين باع طويل مع النقد كعملة لأنّ التجارة كانت بأسلوب المقايضة وقد تقنن الصينيون في ادخال العملات الورقية والمعدنية الى المنطقة^(٦) .

أما الماليزيون من أصول هندية فيشكلون حوالي ٧,١ ٪ من السكان حيث بدأ الهنود الهجرة إلى المالايا في أوائل القرن التاسع عشر ،ولكن بأعداد ضئيلة وفردية وغالبيتهم من التاميل، لكن توجد جماعات أخرى مختلفة من قوميات هندية أخرى مثل(البنجاب، السند، البنغالوغوجارات) وغيرها^(٧) .

المبحث الثاني

مراحل التنمية الماليزية

التنمية (Development) لها أوجه عديدة وجوانب مختلفة منها الاقتصادية، ومنها ما هو سياسي وثقافي واجتماعي ولكن فكرة التنمية ترتبط بفكرة التحديث، Modernization ومواكبة التطور الحضاري والاخيرة ارتبطت بفكرة التغريب Westernization التي يحاول الكثير من علماء الغرب ومفكرهم تسويقها الى العالم ولاسيما الدول النامية أو الدول غير المتطورة من وجهة نظرهم ، إذ أنّ عملية التحديث بالنسبة لهم هي العولمة Globalization بمعنى أنّ عناصر التقدم والتطور يجب ان تغزو العالم بالطريقة التي يراها الغرب مناسبة والتي واعمت مجتمعهم وطورته .

إنّ التحديث والتنمية المطلوبة في أي مجتمع يجب أن يتمتع بعناصر نابذة من أرضها ذات الطابع المحلي المتصلة بالتاريخ والتراث، بمعنى أنّ الاصالاة ضرورة ملحة يجب أن تكون جزءاً أساسياً من خطط التنمية، لأنّ التاريخ جزء من الواقع ويعيش في أعماقه على مستوى الذاكرة والسلوك، كما انها لا بد أن تشمل جميع نواحي الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

التنمية في ماليزيا استوعبت هذه المفاهيم وبنّت تجربة رائدة ومميّزة في هذا الاتجاه وبالإمكان اكتشاف ذلك من خلال تصنيف التنمية تاريخياً بعدة مراحل مهمة وكالاتي:

اولا : مرحلة مابعد الاستقلال ١٩٥٧-١٩٦٩م

ثانيا: مرحلة مابعد الاحداث العرقية ١٣ مايس ١٩٦٩-١٩٨١م

ثالثا: مرحلة الظاهرة المهاتيرية ١٩٨١-٢٠٠٣م

وفيما يأتي بعض الملامح التي ميزت كل مرحلة عن الاخرى .

اولا : مرحلة مابعد الاستقلال ١٩٥٧-١٩٦٩م:

استطاع الماليزيون بفضل حسن سياسة رئيس الوزراء الماليزي تانكو عبد الرحمن ان ينتزعوا الاستقلال من الامبراطورية البريطانية في ٣١ اب ١٩٥٧م ،ولذلك لقب (ابو الاستقلال The Father of Independence) ، وقد اعتمد تانكو عبد الرحمن سياسة التغيير التدريجي لاسيما بعدما فرضت عليه بريطانيا اعطاء الجنسية الماليزية للمواطنين من اصول صينية وهندية ،وكان يعلم بان الاقتصاد الماليزي بيد الصينيين، وأنّ الغالبية من الشعب الماليزي لاسيما من ابناء المالايو فقراء ويعملون في الزراعة^(٨).

كانت السياسة البريطانية الاقتصادية تعتمد بشكل كبير على العنصر الصيني في الشركات والمصارف الكبيرة مع اعطاء جانب بسيط في معالجة اوضاع المالايو من خلال انشاء الهيئات والمؤسسات شبه الحكومية مثل هيئة تطوير الأراضي الاتحادية (Federal Land Development Authority (FELDA) التي انشئت عام ١٩٥٦م والتي عملت على تطوير الأراضي والمشاريع الاستيطانية لتحسين مستوى المعيشة وزيادة الدخل لسكان الريف وغالبيتهم من الفلاحين المالايو، وعملوا ايضا على زيادة انتاج المطاط وتحسين اوضاع زيت النخيل^(٩).

ومن الهيئات الاخرى (Rural and Industrial Development Authority (RIDA)) الهيئة العامة للتنمية الريفية والصناعية التي أنشئت في عام ١٩٥٠م وأعيد تنظيمها بعد خمسة عشر عاماً في مجلس أمانة راكيات (المجلس الاستئماني للسكان الأصليين) (مارا) (Majlis Amanah Ra'ayat Council of Trust for the Indigenous People) التابعة لهذه الهيئة ، وقد ضم معهد مارا للتكنولوجيا (الذي بدأ بطريقة متواضعة في عام ١٩٥٤ باعتباره مركزاً لصناعة جوز الهند والمطاط وتوسع الى معهد كبير النطاق) الكثير من رجال الأعمال والدراسات الفنية في عام ١٩٦٠م^(١٠).

وخلال الفترة ١٩٦٦-١٩٧٠م قدمت مارا قروضا ميسرة بعدد ٤٨٠٠ قرضاً بمجموع واحد وثلاثين مليون دولار لمشاريع مختلفة، وذلك لرجال الأعمال المالايو والصناعيين الاوائل، وشملت المنظمات الأخرى الهيئة الاتحادية للتسويق الزراعي (FAMA)، التي أنشئت في عام ١٩٥٢م لتحسين نظام التسويق والمزارعين لضمان الحصول على سعر عادل لمنتجاتهم، وبنك (السكان الاصليين (بوميوترا))، التي تم تشكيله في عام ١٩٦٥م (١١).

وعلى الرغم من كل هذه الهيئات والمؤسسات والدعم الكبير للنهوض بالاكثرية الفقيرة ولكن الواقع يشير الى نسب تقدم بسيطة طالت المنفعين من هذه السياسة واستمرت اوضاعهم بالتدهور واعدادهم بالتكاثر، بالمقابل استطاع الصينيون من تطوير اوضاعهم الاقتصادية وزيادة رؤوس اموالهم ونسب امتلاكهم للشركات والمصارف واصبحوا اكثر قوة وقدرة بالتحكم في الاقتصاد الماليزي .

ونتيجة هذا التفاوت الكبير في الامكانيات الاقتصادية ولد شعور عند أبناء المالايو بالخطر والتحسس من التواجد الصيني بهذه الكيفية ولكن عزاءهم كان في سيطرتهم على مقاليد السلطة السياسية التي تعرضت هي الاخرى الى الخطر الصيني بعد انتخابات ١٠ ايس ١٩٦٩م حيث فازت المعارضة الصينية بعدد جيد من المقاعد في البرلمان اندلعت على اثرها احداث دامية عرقية في ١٣ ايس ١٩٦٩م راح ضحيتها المئات من الاشخاص ودمرت الكثير من البيوت والمرافق العامة والشركات والمصارف (١٢).

من الممكن القول ان ماليزيا خلال هذه المرحلة شهدت ثبات وضعها السياسي والاداري والمؤسساتي، ولكن التنمية في هذا البلد شهدت فتورا وتلكاً لاسباب الالية:

١- تفاوت نسب الامتلاك للشركات ورؤوس الاموال بين فئات المجتمع لاسيما بين الصينيين والمالايو والهنود بتفوق واضح للعنصر الصيني .

- ٢- الظروف الاقليمية والتاثير الواضح لحرب فيتنام والتدخل الاندونيسي والفلبيني بالشؤون الماليزية وتداعيات خلافات الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية لما كان له الاثر الكبير في انهماك الحكومة الماليزية بضرورة المحافظة على الاستقرار السياسي للمجتمع الماليزي على حساب الخطط التنموية .
- ٣- خطط التنمية المعتمدة كانت قاصرة وغير مستوعبة للاختلاف العرقي ولم يكن للحزب الحاكم (UMNO) رؤية واضحة لاصلاح الأوضاع ، فكانت النتيجة صراعاً عرقياً بين الصينيين والهنود اعقب انتخابات عام ١٩٦٩ م .

ثانياً: مرحلة مابعد الاحداث العرقية ١٣ مايس ١٩٦٩-١٩٨١م

تشكلت في ماليزيا حكومة جديدة بعد استقالة تانكو عبد الرحمن من رئاسة الوزراء في ٢٢ ايلول ١٩٧٠م ومن زعامة حزب (UMNO) في حزيران عام ١٩٧١م تحت ضغط كبير من فئات الشعب المختلفة وشخصيات مهمة في الحزب والحكومة ^(١٣) .

تمثلت القيادة الجديدة بمجيء التون عبد الرزاق بن حسين ^(١٤) وهو الزعيم القومي من المالايو المتحمس لقوميته ولفكرة (Malay Malaysia) أعاد تشكيل التركيبة السياسية الماليزية ووسع التحالف الحاكم وشكل الجبهة الوطنية (باريسان ناشيونال) لتشكل قاعدة للحكم في المرحلة المقبلة ^(١٥) .

وقد أطلق التون عبد الرزاق سترراتيجية اقتصادية عنونها السياسة الاقتصادية الجديدة (النيب NEP) (New Economic Policy) شملت الكثير من الاجراءات واعتبره الكثيرون (بطل التنمية The Father of Development) ،حيث وضع ماليزيا على سكة التطور لاقتصادي، هذه السياسة قدمت رؤية اقتصادية لعشرين عاماً قادمة ١٩٧١-١٩٩٠ استهدف خلالها تحقيق تقدم اقتصادي لجميع فئات الشعب مع امتيازات خاصة لابناء المالايو لتحسين وضعهم الاجتماعي والاقتصادي اذ كانوا يعانون الفقر مقارنة بالصينيين والهنود بالتزامن مع توفير صمام امان للجميع يمنع تكرار الاضطرابات العرقية ^(١٦) .

كان رئيس الوزراء التون عبد الرزاق يعتقد بمبدأ الهيمنة الماليزية وحقوق أبناء المالايو، ولكنه اتبع سياسة التوازن والعدالة في مجتمع متعدد الأعراق من خلال الاسلوب المرن والحوار مع الصينيين والهنود، واستطاع بفضل مهارته الدبلوماسية ان يكسبهم الى جانب رؤيته وستراتيجه المستقبلية لماليزيا .

بعض مواصفات الخطة الاقتصادية الجديدة (NEP) ١٩٧١ - ١٩٩٠م

- كان من أهم الاهداف التي سعت الخطة الاقتصادية الجديدة الى تحقيقها :
- تحقيق درجة أعلى من التكامل الوطني والوحدة في المجتمع الماليزي المتنوع الذي يضم مجموعات عرقية متعددة .
 - القضاء على الفقر والبطالة .
 - إعادة هيكلة المجتمع وفق أسس مشاركة الجميع في القطاعات المختلفة لاسيما الاقتصاد بتوزيع مناسب بين فئات المجتمع .
 - إعادة هيكلة العمالة، وملكية الأسهم للشركات وتشكيل المجموعات التجارية والصناعية الخاصة بالجنس الاصلي (المالايو) .
- هذه الاهداف المهمة وضعت بعناية كبيرة وسببها بعض الاحصائيات المهمة ، فعلى سبيل المثال، كان معدل الفقر في عام ١٩٧٠م حوالي ٤٩,٣٪ وكان الهدف من السياسة الاقتصادية الجديدة تقليص هذا الرقم إلى حوالي ١٦,٧٪ بحلول عام ١٩٩٠م، علما بأنّ غالبية الفقراء في المناطق الريفية ،وقد شكل المالايو العدد الأكبر بين الفقراء في عام ١٩٧٠م من إجمالي الأسر الفقيرة في شبه الجزيرة ، اذ كانت النسبة ٧٤٪ من المالايو ، في الوقت أنّ هناك نسبة ٢٦٪ بين الصينيين وحوالي ٣٩٪ بين الهنود^(١٧).

ثالثا: مرحلة الظاهرة المهاتيرية ١٩٨١ - ٢٠٠٣م

الدكتور مهاتير محمد له عدة اراء تاريخية وسياسية واجتماعية صاغها بشكل نظريات وأسس وقواعد استرشد بها واستند عليها في قراراته واجراءاته الميدانية مُنذ أن أصبح في السلك الوزاري لغاية مغادرته السلطة .

وعلى سبيل المثال ارائه بشأن وصول الإسلام الى منطقة الملايو ،أكد مرونة الأسلاموعظمته من خلال كونه لم يتهم الثقافة الهندوسية والبوذية بالفساد أو القدم او الوثنية، وإنما تعامل معها كونها ثقافة أصيلة ،وقدم تغييرات ثقافية ودينية على المستوى السلوكي والادراكي دون أن يهدد نظام الطبقات الاجتماعية ، وقد أصبح هذا الدين ممارسة شائعة حيث بشر بالمساواة أمام الله ^(١٨).

بدأ مهاتير سياسته بازالة الحواجز العرقية من خلال المدارس القومية التي تضم طلاب الملايا جنباً الى جنب مع نظرائهم الصينيين والهنود وتحفيز شعب الملايا على تعلم علوم الطبيعة والتكنولوجيا من خلال التدريب والبعثات ^(١٩).

لقد ألف مهاتير محمد كتابه المهم (المعضلة الملاوية) ،الذي أحدث ضجة وسخط كبيرين تسببت في طرده من الحزب وسحب نسخه من الاسواق وذلك عام ١٩٧٠م، لانه تحدث فيه عن تهيش الملايو في عهد الاستعمار البريطاني، وانتقد بشدة استسلامهم لهذا التهيش، واتهم فيه شعب الملايو بالعجز والركون وعدم الرغبة في التطور ^(٢٠).

لقد بلور مهاتير في هذا الكتاب افكاره وتصوراته عن طريق النجاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي ،وهو بالضبط مانسجه كنظريات وقواعد ،ويعد اتجاهاً سياسياً جديدا اطلق عليه علماء السياسة بـ (المهاتيرية)، بحيث تركز أفكاره على التشكيك في نوايا الغرب من العولمة، والدعوة إلى التحرر من النفوذ الاقتصادي والثقافي والسياسي الذي تمارسه الدول الغربية على دول العالم الثالث.

تبنى مهاتير محمد المنهج التنموي ودفع بالشعب الماليزي نحو النهضة التنموية من خلال توفير مستويات عالية من التعليم والتكنولوجيا لهم، كما دفع بهم لتعلم اللغة الإنكليزية، وقام بإرسال البعثات التعليمية للخارج وتواصل مع الجامعات الأجنبية، حاول بكل جهده في إطار سياسته الاقتصادية بتجهيز المواطن الماليزي بالوسائل العلمية والتكنولوجية كافة ،لكي يستطيع الانفتاح والتواصل مع العالم الخارجي والتعرف على الثقافات المختلفة، ثم بعد ذلك الدفع به إلى سوق العمل من أجل زيادة الإنتاج وخفض مستوى البطالة بين أفراد الشعب، حيث كان يهدف لتفعيل الجزء

الأكبر من المجتمع، الأمر الذي يعود على ارتفاع مستوى التنمية الاقتصادية للبلاد في نهاية الأمر^(٢١).

لقد باشر مهاتير بوضع خطة إقتصادية لمدة عشر سنين، وأعطى التعليم أهمية كبيرة، فخصص لذلك ميزانية كبيرة، وأبدى إهتماماً خاصاً بالبحث العلمي والتدريب المهني والبعثات التدريبية .

كما شن حرباً على الفساد وكسب منها الكثير وأبدى شفافية عالية ، حيث إعتاد على مشاركة شعبه فيما يطرأ عليهم بكل أمانة من خلال اللقاء المستمر مع الناس وطرح القضايا المهمة امامهم واقناعهم بالحوار المستمر والحجة الدامغة مما اكسبه شعبية كبيرة .

حقق في المجال الصناعي تقدماً مذهلاً، فدخلت صناعات جديدة إلى السوق الماليزي، وفي حقل السياحة حول البلاد إلى منطقة جذب سياحي، فحول معسكرات الأسر اليابانية إلى منتجعات، وبنى الطرق والمطارات والفنادق، وعلى الصعيد الزراعي زاد إنتاج زيت النخيل نتيجة لزراعة ملايين الأشجار .

يكفي القول أن مهاتير ترك المنصب بإرادته سنة ٢٠٠٣ بعد أن أصبح معدل دخل الفرد السنوي في بلاده ١٦٠٠٠ دولاراً، بعد أن كان لا يزيد عن ١٠٠ دولار عند توليه رئاسة الوزراء .

لقد إمتاز مهاتير بالقوة والأمانة (نموذج القوي الأمين) ، فقد كانت له وجهات نظر لم تعجب الغرب، فاتهم بمعاداة السامية، كما أتهم بمعاداة الغرب، ومحلياً إعتبره بعض الصينيين عنصرياً ولكنه خدم بلاده، فأفاد من ذلك جميع فئات الشعب^(٢٢).

ومما تجدر الإشارة اليه أن مهاتير إعتد مطلع الثمانينات (سياسة أنظر شرقاً Look East Policy) ويقصد بها أن نموذج التغيير يمكن أن لا يكون غريباً متأثراً بقيم الغرب بل يمكن أن يكون شرقياً متأثراً بقيم الشرقولذلك كان يقول انظر باتجاه الشرق ويعني بذلك اليابان تحديداً لانها نموذج ناجح في البناء والتنمية دون اعتماد اسس غربية^(٢٣).

لقد وضع مهاتير رؤيته الشهيرة في ماليزيا(عشرين عشرين ٢٠٢٠) وهي الاستراتيجية بعيدة المدى التي تم تنفيذها بخطى متسارعة منذ عام ١٩٩٠م والتي

تجعل سقف سنة ٢٠٢٠ المنعطف الذي تصبح فيه ماليزيا دولة متطورة ومنقدمة وليس دولة في طور النمو^(٢٤).

إن أهمية تجربة مهاتير محمد تكمن في أنه لم يكتف بوضع أفكار نظرية مجردة، بل ترجمها فعلياً في شكل سياسات قابلة للتنفيذ، قامت بتحويل ماليزيا من بلد زراعي يعيش على زراعة المطاط وتصديره، إلى نمر اقتصادي يعيش على تصدير التكنولوجيا، ويجني منها عائد صادرات قيمته عالية وكبيرة، ويحقق فائضاً في ميزانه التجاري كبير جداً، وواصل الدخل القومي إلى أعلى مستوياته .

وما أحرانا نحن ان نؤسس ونحلم لدولة متقدمة سواءا على المستوى القطري او القومي ،فالبلاد العربية تتميز مجتمعة بالوافر الاكبر في المنطقة ان لم يكن في العالم من طاقات بشرية ومادية وثقافية وتاريخية ،فلم تعقم ارحام النساء عن مثل مهاتير ولكن لو تركت العقول متجردة عن المؤثرات الجانبية وروعت الطاقات والابداعات ورسمت الخطط السليمة ذات البعد الاستراتيجي ،لايجاد جيل من الشباب الواعي المبدع الغيور المحب لوطنه وامته ودربت الطاقات ونميت بصورتها الصحيحة لتنمو معها بلادنا وتزدهر اسرع بكثير من البلاد الاخرى .

المبحث الثالث

الاسس والقواعد التنموية المعتمدة في ماليزيا

دراسة التجارب التنموية تعد من الدراسات المهمة والضرورية لكل المجتمعات حتى المتقدمة منها لانها تعطي وتولد وتنتج افكارا وارااء جديدة تساهم في بناء تجربة جديدة متفهمة ومستوعبة لكل التجارب السابقة .

ولاجل ذلك يمكن القول إنّ التجربة الماليزية تجربة فريدة ومميزة ، ويمكن الاستفادة منها بشكل كبير من خلال تصنيف الأسس المعتمدة وتبويبها كالآتي :

اولا : النظام السياسي والديمقراطية

يعد النظام السياسي الماليزي نظاما غريباً وفريداً في العالم كما مر علينا سابقا ولكن السؤال كيف يمكن لهذا النظام ان يكون أساساً وقاعدةً للتنمية ؟

والاجابة على هذا السؤال ليست صعبة فالملك رمز وحدة الدولة رغم صلاحياته المحدودة ومنصبه الفخري ورغم أنه متغير كل خمس سنوات أو حين وفاته ولكن المجتمع الماليزي يحترم هذه الخصوصية للملك بصفته رمز وحدة الوطن.

فالسلاطات الواسعة بيد رئيس الوزراء الذي يمارس مهامه وفق الدستور والقانون ولم يذكر لنا التاريخ الماليزي منذ الاستقلال ١٩٥٧ ان تجراً أحد رؤساء الوزراء على تجاوز الدستور والقوانين النافذة او التخطي على صلاحيات البرلمان أو الملك.

إنّ الديمقراطية والنظام الانتخابي الذي اعتمد منذ عام ١٩٥٧ سار على أكمل وجه ولم يكن هناك تاجيلات وترحيلات وتجاوز المدد المحددة فكل الاطياف السياسية سواء كانوا في الحكومة أو المعارضة لديهم احترام كبير للنتائج وعدم تصدير أزمات السياسة الى الشارع، والحادثة الوحيدة هي الاحداث العرقية في ١٣ مايس ١٩٦٩م والتي تعرض فيها النظام الى خلل كبير،ولكن رغم ذلك سرعان ما عادت الامور الى نصابها ، فقد وقع الملك على قانون الطوارئ حل فيه البرلمان وتم تشكيل مجلس

العمليات الوطني برئاسة التون عبد الرزاق الذي استطاع ان يعيد التوازن الى المجتمع اولا ومن ثم العودة الى الدستور والانتخابات عام ١٩٧١ .

في فترة الدكتور مهاتير محمد اختلفت المسألة لان هناك رؤية خاصة للديمقراطية الليبرالية أكد فيها على ضرورة التمييز بين الغاية والوسيلة، وأن الديمقراطية رغم أنها واحدة من أفضل النظم السياسية التي عرفتها الإنسانية، إلا أنها لا تعدو كونها وسيلة للحكم غير مأمونة العواقب بالضرورة، فقد تؤدي إلى الفساد وإساءة استخدام السلطة كغيرها من الأنظمة السياسية، كما أنها لا تمثل ضمانا حقيقيا لتحقيق الاستقرار السياسي أو التقدم، وفي أحيان كثيرة أدت إلى الفوضى وإعاقة التطور، كما كانت في أحيان أخرى سببا في تراجع معدلات التنمية.

ويقوم التصور المهاتيري هنا على أولوية قضية التنمية على التطور الديمقراطي في المراحل الأولى من التطور الاقتصادي، وقد صاغ تجربة التنمية الماليزية وفق هذا التصور ، ولذلك نجد انه استطاع من خلال الديمقراطية المسيطر عليها والموجهة ان يفوز في اربع دورات انتخابية واستمر في الحكم ٢٢ سنة وخرج بارادته عام ٢٠٠٣ دون ان يضغط عليه احد معطيا مثلا كبيرا للديمقراطية الموجهة وليست ديمقراطية الفوضى التي يريدها الغرب .

ثانيا : الطابع الاسلامي

من أهم الاسس التي اعتمدت في ماليزيا واثارت اعجاب العالم اجمعه هو التمسك بالطابع الاسلامي للدولة واعتماد الاخلاق والمبادئ الاسلامية في التعامل العام داخليا وخارجيا .

الدكتور مهاتير محمد ابرز شخصية ماليزية اسلامية يرى في الاسلام قوة ومثانة ومنهج حياة وليس مجرد ممارسة لمجموعة من الشعائر الدينية، ولهذا دعا الماليزيين الى فهم روح الاسلام وجوهره والتركيز على اخلاقيات الاسلام ، كما اشار الى نقطة

مهمة وهي ان تقتنر الأفعال بالأقوال،ولذا تميزت حقبتة بالشعارات الواسعة والافعال الكبيرة التي تتخطى الشعارات .

تمتد نظرة الدكتور مهاتير الى الممارسة السياسية الحقيقية المبنية على الشريعة والتعاليم الاسلامية متزامنا مع خطط التنمية دون ان تكون عائقا ، بمعنى اخر تبني مهاتير محمد مشروع تنموي قائم على اسس وقواعد اسلامية مختلفة بشكل كبير عن مشاريع التنمية الغربية ونجح في هذا المسعى ،مما جعله نموذجا اسلاميا ناجحا^(٢٥).

تركزت المبادئ الإسلامية عند الدكتور مهاتير على عدة مفاهيم رئيسة جعلها قوانين وقواعد ومرتكزات لبناء مجتمع ماليزي اسلامي ، ولعل من أهمها مبدأ العدالة الذي جاء به القرآن الكريم والشريعة المحمدية الى المجتمع الجاهلي القائم على الجهل والقمع والحروب ،اذ نصت التعاليم الاسلامية على تحريم وعدم جواز اي عمل او فعل يؤدي الى الظلم بكل اشكاله^(٢٦).

كما كان مبدأ الاهتمام بالجواهر من الثوابت عند الدكتور مهاتير فالدين الاسلامي من وجهة نظره لم يعر الجوانب الشكلية اهمية ابداء على حساب الجوهر والمعاني الحقيقية لكل الممارسات والشعائر،واطلق مثالا على ذلك يتعلق بكيفية اداء الصلاة اليومية ، اذ ان الحركات والتصرفات الظاهرية تنقلص في بعض المواقف كالمرض والسفر وغيرها مما يؤكد ان الله سبحانه وتعالى يقدر النية والاخلاص في الاعمال والتوجهات للأفراد^(٢٧).

مفهوم الاخوة الاسلامية الحقيقية التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم من الثوابت الاخرى التي ركز عليها مهاتير داعيا الدول الاسلامية ومنظمة المؤتمر الاسلامي التركيز عليها وعدم السماح بالتكفير واللعن والشتيم والمزيد من التفرقة والتشردم ، كما دعا الى الاعتاض من تجارب الامم السابقة والحالية على النهج القراني من ضرب الامثال وسرد القصص لارشاد المجتمع الى الطريق القويم^(٢٨).

حسب راي الدكتور مهاتير فان النظام والتخطيط هي من اساسيات الاسلام لان الله سبحانه وتعالى خلق الكون بنظام وجعل لشعائر الاسلام نظاما محددا متعلق بالمكان والزمان في ظل تخطيط محكم من الباري عز وجل، وعلى الامة الاسلامية ان تلجأ اليها في التحديث وإحداث التنمية بما يمكنها من التسلح بتقنية المعلومات وامتلاك القدرات الضرورية لمعالجة التحديات ، مبديا ثقته بالمواهب والقدرات والامكانيات الاسلامية لتحقيق النجاح^(٢٩).

ثالثا : سياسة (أقرأ) أو دعم التعليم

بدأ التون عبد الرزاق عندما كان وزيرا للتعليم سياسة تعليمية جيدة منذ بداية الستينات عندما وضع متطلبات محددة لتحقيق الخطط التعليمية أهمها (الوحدة القومية ، استئصال الفقر، تخفيض التباينات الاقتصادية والاجتماعية ، اعادة بناء المجتمع الماليزي وغيرها)^(٣٠) .

على الرغم من وضوح الاهداف ولكنها لم تتحقق على ارض الواقع الا بشكل جزئي وينسب واطئة لغاية اوائل العقد السبعيني اذ تبوأ مهاتير عام ١٩٧٢م منصب وزير التعليم ، فبدأ مع الاية القرآنية (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)^(٣١) تلك أول آيات في القرآن الكريم نزلت على الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم ،كلمة (اقْرَأْ) اي تعلم هي سر نجاح ماليزيا فأخذها شعارا له لبدء عملية الإصلاح، بمعنى ان رؤية مهاتير تقول بان الله سبحانه وتعالى بدأ المشروع الاصلاحى للمجتمع الجاهلي من خلال التعلم والتفكر والتعقل وترجمها وحوورها الى مفاهيم وأفكار ناضجة تتعلق بالتعليم والمعرفة وحولها الى سياسة تعليمية عامة ذات ابعاد واسس ثابتة وواضحة.

تركزت الجهود على ثلاث محاور بالنسبة الى السياسة التعليمية اولها محور البعثات والتدريب والثاني محور اللغتين المحلية والانكليزية والثالث محور التقنية العلمية ، إذ أعدت برامج مدروسة لارسال بعثات علمية لغرض الدراسات العليا

وحرفية لغرض التدريب المهني على الصناعات المهمة لاعداد كوادر علمية وفنية تساهم في تعجيل حركة التنمية .

ومن المفاهيم المهمة التي ثبتها مهاتير في هذه المرحلة هي مسألة اللغة الانكليزية باعتبارها لغة عالمية ومهمة ،ولغة الاقتصاد الاولى فضلا عن أهمية اللغة في التخاطب المحلي، لأنّ الصينيين يجيدون الصينية والانكليزية ولا يجيدون المحلية، وكذلك الهنود فأصبحت الانكليزية مطلباً محلياً.

اما المحور الثالث فقد كان للتقنيات العلمية الحديثة دور اساس في كل البرامج التنموية العالمية لذلك فقد انصبت الجهود على ادخال المختبرات العلمية وكل المستلزمات التقنية المهمة في الجامعات والمصانع والشركات وفي جميع القطاعات الاقتصادية .

رابعا : السلك المدني

ومن الامور التي أثارت الإنتباه بشكل كبير ،أنّ كل رؤساء الوزراء الذين استلموا الحكم منذ الاستقلال هم من موظفي السلك المدني الذين تسلحوا بالخبرة العملية والممارسة والمعرفة بالقوانين والتشريعات وهي من الصفات المهمة للقيادي الناجح والاداري المنظم .

وعلى سبيل المثال رئيس الوزراء الاول بعد الاستقلال تانكو عبد الرحمن بوترا الحاج (١٩٥٧-١٩٧٠) الملقب بـ (أبو الاستقلال) حاصل على شهادة البكالوريوس في القانون والتاريخ من جامعة كامبريدج البريطانية عام ١٩٤٨م وكان عضواً فاعلاً في حزب (UMNO) الحاكم رغم انه من العوائل الملكية (٣٢).

اما رئيس الوزراء الثاني التون عبد الرزاق بن حسين (١٩٧٠-١٩٧٦م) فقد التحق بالسلك الإداري منذ عام ١٩٣٩م حصل على منحة دراسية لبريطانيا عام ١٩٤٧ لدراسة القانون، واصبح ايضا عضوا فاعلا في حزب (UMNO) بعد عودته الى ماليزيا، وانضم الى الخدمة المدنية ليتدرج ويصبح رئيس الوزراء لإقليم باهانج في شباط

عام ١٩٥٥ ثم فاز في أول انتخابات عامة في البلاد في تموز ١٩٥٥ وعين وزيرا للتربية والتعليم ،وبعد الانتخابات العامة في عام ١٩٥٩م أصبح وزيراً للتنمية الريفية بالإضافة إلى تولي منصب نائب رئيس الوزراء (٣٣).

ثم رئيس الوزراء الثالث حسين عون (١٩٧٦-١٩٨١) الذي عرف بلقب (أبو الوحدة)،والده داتو عون جعفر مؤسس حزب (UMNO) الحاكم، درس القانون في بريطانيا ايضا بعدما اخذ اجازة من وظيفته المدنية ، واصبح وزيرا للتربية والتعليم منذ عام ١٩٧٠ ثم اصبح نائبا لرئيس الوزراء الى عام ١٩٧٦م اذ اصبح رئيسا للوزراء بعد وفاة المرحوم التون عبد الرزاق فجأة (٣٤).

أما سيرة رئيس الوزراء الاسبق الدكتور مهاتير محمد (١٩٨١-٢٠٠٣) فتقول إنه ولد في كانون الاول عام ١٩٢٥ بولاية كيداه (قدح) بماليزيا، وتلقى دراسته بكلية السلطان عبد الحميد، ثم درس الطب بكلية الملك ادوارد السابع بسنغافورة كما درس الشؤون الدولية بجامعة هارفارد الأمريكية، عمل طبيباً في عيادته الخاصة لعلاج الفقراء مجاناً، وانتمى الى حزب (UMNO) منذ وقت مبكر من تأسيسه في الأربعينات وتدرج فيه من عضو المجلس الأعلى إلى نائب رئيس ثم رئيس وتدرج في الوزارة منذ عام ١٩٧٢ بعد تعيينه وزيراً للتربية والتعليم ثم وزيرا للتجارة والصناعة، ثم نائبا لرئيس الوزراء حسين عون ١٩٧٦ ثم رئيساً للوزراء عام ١٩٨١م إلى أن استقال بإرادته في ٣١ تشرين الثاني ٢٠٠٣م (٣٥).

وقد شكلت الشهادة الاكاديمية والخبرة العملية والممارسة الفعلية والمعرفة بالقوانين والتشريعات السمة الأساس لرؤساء الوزارة ولغالبية الوزراء، ولذلك عندما تعد خطط التنمية ويجري تطبيقها تجد أمامها الطريق مفتوحاً للسير قدماً الى الامام دون النظر إلى الأفراد والأشخاص الذين يشغلون المواقع والمناصب ودون أن يكون هناك عرقلة الرجوع إلى نقطة البداية بتغيير المسؤول لأنّ الآليات والقوانين تمنع ذلك وهذه فائدة الخبرة العملية .

خامسا : قيم العمل اليابانية

من السياسات المهمة التي اعتمدت في التنمية الماليزية مطلع الثمانينات (سياسة أنظر شرقا Look East Policy) وهي السياسة التي تمثل بجوهرها توظيف قيم العمل الناجحة التي اعتمدتها اليابان في نهضتها الكبيرة والسريعة رغم كونها دولة اسبوية تختلف دينيا وثقافيا وسياسيا عن الدول الغربية .

يذكر مهاتير محمد في أحد تقاريره عن الموازنة العامة قبل تقاعده كرئيس للوزراء إن حكومته أدركت تماماً أهمية اعتناق قيم إيجابية لتحقيق التقدم المنشود، ولهذا اعتنق سياسة النظر الى الشرق، وقد يبدو هذا مخالفاً لمفهوم البحث عن قيم التطور في الغرب عموماً والولايات المتحدة بشكل خاص، لكن مهاتير يرى دائماً إن ثقافة العمل في اليابان بشكل خاص هي الأنسب لثقافة بلاده وتكوينها .

وأهم هذ القيم كما اشار اليها الدكتور مهاتير :

- الالتزام بمواعيد الدوام .
- الجودة العالية .
- الالتزام بمواعيد التسليم للبضائع .
- التفرة بين الخاص العام .
- تنظيم الوقت وعدم اهداره .
- استخدام التقنية الحديثة قدر الامكان .
- الاخلاص في العمل والحرص على سمعة المؤسسة .
- الوارد على قدر الجهد المبذول فكلما زاد الجهد زاد الوارد .
- السعي الى تطوير الذات وتحسين المستوى المعيشي .
- الانضباط الشديد والالتزام بالتعليمات .
- الحرص على اختيار المديرين ليكونوا قدوة لموظفيهم.

هذه القيم المهمة تصنف بانها من النوع المستورد، لذا سعى الدكتور مهاتير الى تثبيتها كأسس حقيقية للنهضة والتحديث في ماليزيا فأعد من أجل ذلك برامج عديدة تثقيفية وتعريفية لكل المصانع والشركات ودوائر الدولة المختلفة لتوعية الناس وتعريفهم باهمية هذه القيم وتأثيرها على مستقبلهم وحياتهم المرتبطة أساساً بمستقبل البلد .

ساعات العمل في ماليزيا اليوم تستمر من الساعة الثامنة صباحا الى الساعة الخامسة عصرًا من ضمنها فترة استراحة ساعة واحدة للصلاة والغذاء ، مع وجود نظام تغذية جيد جدا داخل جميع دوائر الدولة باشراف حكومي ووسائل راحة داخل الدوائر من تكييف وتقنيات عالية ومساعد ،اما في المولات الحديثة والاسواق الكبيرة فهناك تحديد للوقت من الساعة العاشرة صباحا الى الساعة العاشرة ليلا ،والهدف من هذا النظام هو ضمان للعمال واجورهم ، وتقليل كلف استهلاك الكهرباء اعطاء مجال للصيانة والعمل الليلي ، وغيرها من الفوائد .

سادسا :مبادئ اقتصادية مهمة

أ : مبدأ تكافؤ الفرص

يعد هذا المبدأ من المبادئ المهمة والاساسية في اغلب المشاريع النهضوية في العالم لانه يتيح المجال امام الجميع للمشاركة دون أن يكون هناك محسوبيات والوساطة غير المشروعة التي تؤدي بطبيعة الحال الى استبعاد الشركات الكفوءة والفعالة والتفريط بكفاءات الاشخاص .

رغم ان مبدأ تكافؤ الفرص كان موجودا منذ الاستقلال، ولكن أبناء المالايو لايمتلكون القدرة على منافسة اقرانهم الصينيين من ناحية الامكانيات المادية والتقنية والاهم من ذلك لايمتلكون المعرفة والذكاء التجاري ولا رؤوس أموال والشركات كبيرة، لذلك اعتمدت ماليزيا وبشكل فعال وعلني سياسة التمييز الإيجابي في خطتها الاقتصادية (NEP)لصالح المالايو على حساب الصينيين والفئات الاخرى وبالاتفاق مع

الصينيين والهنود دون اثارهم من خلال اعطائهم الضمانات الكافية بأنّ الأمر سيعود الى وضعه الطبيعي بالتدريج ومع الوقت .

وعندما استلم السلطة الدكتور مهاتير محمد عام ١٩٨١م أصبح مبدأ تكافؤ الفرص مفتوحاً للجميع داخلياً وخارجياً بعد التحولات الكبرى في الاقتصاد من زراعي استهلاكي الى صناعي انتاجي ، ولم يكن ذلك يحدث لو لم تقتنع الشركات الكبرى في العالم والمصارف الشهيرة بان هذا المبدأ حقيقي ومحمي من الدولة بقوانين وتشريعات مناسبة تضمن حقوق واموال تلك الشركات .

ب : الاعتماد على الذات

انتهجت ماليزيا إستراتيجية تعتمد على الذات بدرجة كبيرة من خلال الاعتماد على سكان البلاد الأصليين وعلى الموارد الداخلية في توفير رؤوس الأموال اللازمة لتمويل الاستثمارات حيث ارتفع الادخار المحلي الإجمالي بنسبة ٤٠ % بين سنة ١٩٧٠م وسنة ١٩٩٣م، كما زاد الاستثمار المحلي الإجمالي بنسبة ٥٠ % خلال الفترة عينها .

ومثلما نجد العالم النامي يعاني من ثالوث (المرض والفقر والجهل)، فإن ماليزيا كان لها ثالوثاً آخرأ دفع بها إلى التنمية منذ مطلع الثمانينيات وهو ثالوث النمو والتحديث والتصنيع، باعتبار هذه القضايا الثلاث أولويات اقتصادية وطنية، كما تم التركيز على مفهوم "ماليزيا كشراكة" كما لو كانت شركة أعمال تجمع بين القطاع العام والخاص من ناحية وشراكة تجمع بين الأعراق والفئات الاجتماعية المختلفة التي يتشكل منها المجتمع الماليزي من ناحية أخرى .

ج : التركيز على البنى التحتية

رفضت الحكومة الماليزية تخفيض النفقات المخصصة لمشروعات البنية الأساسية، والتي هي سبيل الاقتصاد إلى نمو مستقر في المستقبل، وأولت اهتماماً كبيراً لتحسين المؤشرات الاجتماعية لرأس المال البشري ، من خلال تحسين الأحوال المعيشية

والتعليمية والصحية للسكان ، سواء كانوا من أهل البلاد الأصليين أو من المهاجرين إليها الذين ترحب السلطات بتوطينهم، وقد ارتفع ترتيب ماليزيا لتصبح ضمن دول الاقتصاد الخمس الأولى في العالم في مجال قوة الاقتصاد المحلي .

د : نظام مصرفي فعال

عندما تكون هناك تنمية في بلد ما لابد أن تسأل أولاً عن النظام المصرفي في البلد بدءاً من البنك المركزي الحكومي الى المصارف المحلية ثم المصارف الدولية ، فالتنمية تعتمد بالدرجة الاساس على وجود نظام مصرفي فعال ومتطور يواكب الحركة السريعة لنهضة الدول المتقدمة، وحركة الاختراعات التقنية الهائلة في هذا المجال .

يقن القادة الماليزيون بهذه الحقيقة؛ لذلك استطاعوا في سنوات قليلة أن يؤمنوا تواجد مصارف عالمية كبرى على الأراضي الماليزية ،ومن هنا بدأت الثقة تتسرب الى كل المستثمرين في العالم واصحاب رؤوس الاموال المغامرة والجبانة في ضرورة التوجه الى ماليزيا المتعطشة للنهوض والمقبلة على حركة اعمار كبيرة ، وهذا ماحدث فعلاً الى درجة أنه في التسعينات أصبحت ماليزيا تضم على أراضيها كبرى الشركات والمصارف العالمية .

هـ : تنوع مصادر الدخل القومي

من الاسس المهمة في العملية التنموية الماليزية هو اعتماد خطتها التنموية منذ الثمانينات على مبدأ تنوع مصادر الدخل القومي، وعدم الاعتماد على قطاع واحد او قطاعين كما كان يعمل سابقا في السبعينات بالاعتماد على القطاع الزراعي في تصدير مادة زيت النخيل وتصدير المطاط والقصدير .

فقد ادرك زعماء النهضة بان السير بالتنمية اعتمادا على قطاع واحد يهلك الميزانية العامة ويستهلك القدرات والامكانيات المادية والبشرية ويعرض الدولة الى ازمات متعددة ويبيط العملية التنموية بشكل عام ، لذلك تركزت الجهود على دعم القطاعات المختلفة بشكل متوازي للنهوض بها مع اعتماد مبدأ الاولوية في القطاع الاكثر ايرادا

والذي يحتاج دعم اكبر ، وهو ماتم تفعيله مع القطاع الصناعي ،الذي استطاع أن ينتج في مدة بسيطة أول سيارة (بروتون) بجهود وأيدٍ وشركة ماليزية خالصة فضلا ان ماليزيا أصبحت منذ مطلع التسعينات من أهم مصدري الرقائق الالكترونية والتقنيات الصناعية الاخرى .

اما قطاع السياحة فقد أُعطي اهتماماً كبيراً بخلق بنى تحتية مهمة في البلد من كهرباء وماء وطرق مواصلات ووسائل اتصال وتعبيد الطرق العامة فضلا عن خلق حالة من الجذب الكبير للسياح في العالم من خلال جولاته المكوكية واتفاقاته مع الكثير من دول العالم وعقد المؤتمرات السياسية وتنظيم مهرجانات فنية ودورات ووفود رياضية وغيرها من الأمور الجاذبة للسياحة .

ولم يهمل في كل ذلك قطاع الزراعة فقد اهتم بشكل كبير بالشجرة الأهم في ماليزيا (النخلة) التي تنتج زيت النخيل ووسع من عملية زراعتها في كل المناطق واصبحت ماليزيا من أوائل الدول في العالم بانتاج هذه المادة .

تطور العقلية الماليزية نحو الاستثمار الامثل لكل الامكانيات المتوفرة في البلد ، جعل من قطاع التعليم هدفا للاستثمار والاستفادة منها على افضل صورة ، فقد زادت الجامعات وتطورت بشكل ملحوظ ومذهل وسريع واصبحت مجهزة باحدث الاجهزة والمختبرات والوسائل الحديثة والمتطورة ،مما جعلها قبلة للطلبة والاساتذة على حد سواء، ونشأ على هذا الاساس مايسمى بالسياحة التعليمية التي تدر وارداً جيداً للبلد يضاف الى الواردات الاخرى .

المبحث الرابع

امكانية تطبيق الاسس التنموية الماليزية على العراق والاردن

تعاني الدول العربية عموما من بطء العمليات التنموية والنهضوية في البلاد واحيانا كثيرة تكون عرضة للمزايدات والمراهنات والصراعات الداخلية والخارجية، فضلا عن مشاكل كبيرة اخرى على مختلف الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهذه الدراسة تركز على مدى امكانية تحقيق تنمية حقيقية في بلدين عربيين من خلال اعتماد الأسس التي اعتمدت في ماليزيا .

اولا : العراق

عدد سكان العراق بلغ ٣١,٦٦٤,٤٦٦ نسمة حسب بيانات وزارة التخطيط العراقية منهم ٢١,٨٤٤,٤١٣ نسمة سكان المناطق الحضرية بنسبة ٦٩% ومنهم ٩,٨٢٠,٠٥٣ سكان المناطق الريفية بنسبة ٣١% ، وتبلغ مساحته ٤٣٧,٠٧٢ كم^٢ (٣٦) .

مما لا شك فيه تلكأ التنمية في العراق منذ مطلع الثمانينات والى اليوم بسبب الحروب المتعاقبة والحصار وغيرها من الاسباب ، ويمكن الاسترشاد ببعض المؤشرات في القطاع الزراعي الذي يعاني من مشاكل كثيرة وكبيرة ، فالمساحة القابلة للزراعة في عموم العراق ٥,٧٥ مليون هكتار ، منها ٣ مليون هكتار مزروعة ، و ٢,٧٥ مليون هكتار متروكة للمدة (١٩٧٠-١٩٩٠م) (٣٧).

على ضوء هذه الحقيقة يمكن تفهم معاناة الواقع الزراعي منذ بداية الحصار الاقتصادي عام ١٩٩٠م الى اليوم ، فالمؤشرات لا تدل على وجود زراعة صحيحة وسليمة ، بل تدل على تراجع وتدهور كبير، فالإنتاج الزراعي يساهم في تحقيق الأمن الغذائي للشعب العراقي بنسبة لا تزيد عن ٣٠% كمعدل للسلع الزراعية المختلفة، وهي نسبة واطئة جدا ، فضلاً على مشاكل أخرى تتعلق بقلّة السيولة النقدية لدى الفلاحين والمزارعين، وعدم كفاية المستلزمات الإنتاجية (الأسمدة الكيماوية، والمكائن الزراعية،

البذور عالية الإنتاجية) لتغطية حاجة الإنتاج النباتي، فضلاً عن زيادة نسبة التصحر ، وتضاؤل خبرة الفلاحين وتراجع مستوى التعليم عند طبقة مواطني الريف ، وزيادة نسب الهجرة من الريف الى المدينة (٣٨).

في الاطار العام مساحة ونفوس العراق مقارنة بشكل كبير مع مساحة ونفوس ماليزيا وأن تقسيم المجتمع الماليزي الى ثلاث فئات (المالايو والصينيين والهنود) يقابله في العراق تقسيم المجتمع الى ثلاث فئات رئيسة ايضا (مسلمين سنة ومسلمين شيعة واكراد) حسب التصنيف السياسي لما بعد عام ٢٠٠٣ م .

من المتشابهات الاخرى بين العراق وماليزيا في الواقع هي الاكثرية من المجتمع العراقي تعاني من الفقر والتخلف والجهل لاسباب عديدة منها الحروب العديدة والحصار والاحتلال، والاكثرية في المجتمع الماليزي تعاني المشاكل نفسها لغاية الثمانينات .

ومن المتشابهات أيضاً أن هناك تأثيراً كبيراً من الدول الاقليمية والدولية بالشان الماليزي لأسباب عديدة، منها قومية مثل الصين والهند واندونيسيا، ومنها اقتصادية مثل الولايات المتحدة الامريكية والدول الاوربية ،ومنها سياسية مثل بريطانيا الراعية لدول الكومنولث والفلبين .

ومن المتشابهات أيضاً دخول المجتمع الماليزي في صراعات عرقية دموية عام ١٩٦٩م باحداث ١٣ مايس الشهيرة والتي راح ضحيتها المئات من الصينيين والمالايو وهو ماحدث في العراق عامي ٢٠٠٧م و٢٠٠٨م من صراعات طائفية ومذهبية .

هذه المقارنة بين أوضاع العراق وماليزيا مهمة لتوضيح امكانية تطبيق الأسس التنموية الماليزية بطريقة فنية مدروسة مراعاة للتشابه المذكور مع الاخذ بنظر الاعتبار الاختلافات بين البلدين في نواحي عديدة، من أهمها أن ماليزيا لم تعانِ من الحروب التي عانى منها العراق فالعقد النفسية والمعنوية كبيرة جدا وذات اثر فعال في المواطن العراقي.

النظام السياسي العراقي بموجب الدستور نظام برلماني جمهوري اتحادي فدرالي تعددي تكون فيه صلاحيات رئيس الجمهورية محدودة بمعنى أنَّ المنصب فخري شرفي بروتوكولي وتكون السلطة العليا في البلاد بيد البرلمان مع صلاحيات واسعة للحكومة التنفيذية برئاسة رئيس الوزراء الذي يشكل الحكومة من الكتلة الاكبر الفائزة بالانتخابات .

في الاطار العام لهذا النظام مع الاطار العام لنظام ماليزيا السياسي يمكن القول إنَّ هناك تشابهاً كبيراً في هذا المجال من ناحية الصلاحيات والبرلمان والمنصب الشرفي والفارق الوحيد في مجلس الشيوخ الماليزي فلا يوجد نظير له في العراق ، وبالتالي من الممكن جداً أنَّ يجري تطبيق التفاهات السياسية بين الكتل او الاحزاب الكبيرة في مرحلة سابقة للانتخابات بعد تقديم تنازلات ضرورية من كل الاطراف والوقوف على المشتركات المهمة التي تضمن لكل العراقيين حقوقهم والدخول بقوائم موحدة تشمل جميع الفئات كما هو تحالف الجبهة الوطنية الماليزية (باريسان ناشيونال) الذي يسيطر على السلطة منذ السبعينات .

ويشكل المسلمون في العراق الاكثرية والاحزاب الاسلامية هي التي سيطرت على مقاليد الحكم بعد ٢٠٠٣م، ولكن دخل معها الصراع المذهبي والديني داخل اروقة السياسة فاصبحت دوائر الدولة والجامعات والقنوات الاعلامية والصحف وحتى الشوارع والمحلات ميداناً لهذا الصراع الفكري الذي تطور للاسف الى صراعدموي ، في الوقت الذي نظم القادة الماليزيون ذلك بمجموعة مبادئ اسلامية تمثل جوهر الاسلام وتبتعد عن الخلافات التاريخية والغوص في الجزئيات البسيطة وفي ذلك نجحوا نجاحاً باهراً .

بعد تحقيق الأساس الأول والثاني من السهل جداً تطبيق الأسس الاخرى، فأختيار رئيس الوزارة والوزراء والمسؤولين الكبار في الدولة يجب أن يكون خارج نطاق الولاء الحزبي بل يجب أن يكونوا من ذوي الخبرة والممارسة والشهادة العلمية الحقيقية

، وإمكانية تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص متوفرة بعد السيطرة الحقيقية على بؤر الفساد السياسي والاداري، وتنظيم القطاع المصرفي ليس صعباً اذا توفر الإستقرار السياسي، وتنويع مصادر الدخل القومي قد تكون مناسبة جداً للعراق لما فيه من امكانات هائلة تتمثل بالطاقات البشرية والمادية والمعدنية وفي جميع القطاعات السياحية والزراعية والصناعية والتجارية والنقل وغيرها .

ثانياً: الاردن

تبلغ مساحة المملكة الأردنية الهاشمية ٨٩,٢١٠ كم^٢ (٣٤٤٤٤٤ ميل مربع)، وعدد سكانها ٦,٢٤٩,٠٠٠ نسمة (٧٠,٤ شخص/كم^٢) (٣٩).

وتبلغ مساحة الأردن الزراعية حوالي (٨٩) مليون دونماً منها (٤,٢) مليون دونم صالحة للزراعة، بلغت مساحة الأراضي المزروعة منها حوالي (٢,٥٨) مليون دونم عام ٢٠٠٨ م ، وهناك ثلاث مناطق جغرافية مناخية رئيسة في الأردن تشمل وادي الأردن، الأراضي المرتفعة، والبادية الشرقية، وارتفعت مساحة الأراضي الزراعية المروية من (٨٠٠) ألف دونم عام ٢٠٠٥ م إلى (٨٧٠) ألف دونم عام ٢٠٠٧ م، بمتوسط معدل نمو سنوي حوالي (١,٨%) وهي نسبة نمو بطيئة بشكل عام (٤٠).

وقد لا يكون هناك تشابهاً كبيراً بين الاردن وماليزيا لا من ناحية المساحة ولا النفوس ولا من ناحية الامكانات الاقتصادية ولا من الناحية الاجتماعية ولكن المملكة الاردنية الهاشمية دولة تعتمد نظام ملكي دستوري برلماني بصلاحيات جيدة لرئيس الوزراء، وهو مقارب بشكل كبير للنظام الماليزي مع فارق بسيط هو صلاحيات الملك في الاردن أكبر من صلاحيات الملك في ماليزيا ، وفي الاطار العام فإنه من الممكن جداً الوصول الى الاستقرار السياسي في الاردن مثل الذي توصل اليه الماليزيون .

معاًن الاردن دولة اسلامية وعائلتها المالكة من الدوحة الهاشمية ولكن طابعها مدني ليبرالي، وهذا ليس انتقاصاً او عيباً ابداً ولكنه توصيفٌ للاطار العام ، والسؤال هل من الممكن تطبيق المبادئ الاسلامية في الدولة ؟

الاجابة طبعاً بالتاكيد ممكن ولكن السؤال الاهم : ماهي المبادئ التي طبقها مهاتير محمد في ماليزيا يمكن تطبيقها في المملكة ؟

مر معنا في المبحث الثاني أن زعماء النهضة في ماليزيا وجدوا في الاسلام قوة ومتانة ومنهج حياة ،وحاولوا تفهم روح الاسلام وجوهره والتركيز على اخلاقيات الاسلام وان تقتزن الافعال بالاقوال وهو المعيار او المقياس في التفريق بين الجيد والردىء،وابتعدوا تماماً عن الغوص في التفاصيل الجزئية من تفاسير واجتهادات وصراعات فكرية ومذهبية، كما أكدوا على كلمة (إقرأ) تلك أول كلمة نزلت من القرآن الكريم على الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم وهي سر نجاح ماليزيا، فهل هناك صعوبة في نقل هذه الافكار الى المملكة والعمل على نشرها وتثبيتها ؟

الاقتصاد الاردني متعافي وفيه اسس جيدة يمكن البناء عليها فالنظام المصرفي الجيد متوفر وهناك قواعد متينة للقطاع الزراعي مناسبة لتطبيق برنامج تنمية واسع وسريع، فضلا عن قواعد واسس جيدة للقطاع الصناعي بوجود مصانع وشركات عالمية على الاراضي الاردنية فضلا عن الموقع الاستراتيجي للمملكة على خليج العقبة، ونقطة اتصال مهمة بين الشرق العربي او الغرب الاسيوي مع شمال افريقيا وجنوب اوربا ودول البحر المتوسط، من كل ذلك هل من الممكن تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص وتنويع مصادر الدخل القومي ؟

هناك بعض البحوث المهمة التي اشارت الى احتياجات التنمية الاجتماعية والاقتصادية ومعالجة بعض المشاكل مثل البطالة والفقر، وأشارت بشكل واضح الى العامل الاجتماعي ، اذ ركز الباحث الدكتور مجد الدين خمش^(٤١) على مسائل مهمة منها :

- كثرة الانجاب في الأسرة الأردنية حيث إن معدل الإنجاب هو ٣,٦ طفل لكل سيدة حسب بي انا تمسح السكان والصحة الأسرة لعام ٢٠٠٧ م .

-عدم الالتزام المناسب بقيم وسلوك ان العمل الى جابة من قبل بعض اصحاب المحال التجارية والخدمية الصغيرة مما يؤدي إلي فقدانهم لزيائهم بالتدريج وتراجع أرباحهم ويتضح من الاحصائيات ان هذه المحال فقدت ٣٥ ألف فرصة عمل في عام ٢٠٠٧م.

-ضعف الشعور الطبقي لدى أبناء الطبقة الشعبية مما يزيد من تطلعهم للحصول على الوظائف الحكومية التي اصبحت قليلة ، ويقلل من اقبالهم على المهن الخدمائية واليدوية.

-عدم المواءمة الكافية بين مناهج التعليم الجامعي ومتطلبات سوق العمل والتي تشمل المهارات الحياتية والتطبيقية ومهارات تكنولوجيا المعلومات واتقان اللغة الانكليزية كلغة عالمية للأعمال، والتجارة، والتكنولوجيا الحديثة.

-قلة مشاركة المرأة الأردنية في النشاطات الاقتصادية خارج المنزل إذ شكلت النساء في الربع الثاني من عام ٢٠٠٩ م في حدود ١٦% من القوى العاملة ويعود ذلك إلى مجموعة من التقاليد والقيم الاجتماعية القديمة.

-إحجام الشباب الأردني بما في ذلك حملة الشهادة الثانوية ،أو أقل عن العمل في المهن الخدمائية واليدوية ومهن البناء والانشاءات بسبب (ثقافة العيب) .

على ضوء هذه الاحصائيات أمكن تشخيص المعوقات الاجتماعية لعملية التنمية وتطبيقاتها ولكن الا توجد اسباب سياسية تعرقل التنمية؟ فالاختلاف الداخلي ومشاكل التطرف الديني والتغييرات الوزارية المستمرة والصراعات البرلمانية وتقاطع برامج الاحزاب وخلافاتها وتصدير الصراع الى الشارع بالمظاهرات والاعتصامات، فضلا عن تاثير الاحداث الاقليمية في الوقت الراهن،كلها اشارات الى حالة انعدام الاستقرار السياسي ، وهذا بطبيعة الحال يؤثر سلبا على استقطاب رؤوس الاموال وعلى سير خطط التنمية بشكل جيد.

أما مبدأ تنويع مصادر الدخل القومي، فالواقع يشير الى أنّ الأردن سارت بهذا الإتجاه أفضل من العراق ولكن لازالت البنى التحتية تعاني الكثير فضلا على أنّ تطور الصناعة ليس بالمستوى المطلوب، ولا زالت الزراعة تعاني من نسبة نمو بطيئة كما سبق الاشارة اليه، ولكن هل من الممكن أن يكون الاقتصاد الأردني أفضل حالاً مما هو عليه؟

الاجابة طبعا بالتاكيد عندما يتم التركيز على تطوير القطاعات بشكل متوازي ولا بد من تطوير البنى التحتية بشكل كبير وتهيئة الاجواء لاقامة مهرجانات وندوات ومؤتمرات سياسية وفنية ورياضية واقتصادية وفتح اسواق جديدة .

الخاتمة / الدروس الماليزية

الاستفادة من التجربة الماليزية ضرورة ملحة فالمنعطفات والمفاصل التي تستحق الوقوف عندها وتاملها كثيرة ومتعددة يمكن تلخيصها بالاتي:

- الدرس الاول يتعلق بالنظام السياسي الفريد من نوعه، وهو ملكي دستوري فدرالي برلماني يجمع تسع ملكيات وثلاث فدراليات واقليم، وهو في الواقع نظام فيه الكثير من الثغرات والتشعبات التي يصعب جمعها وتبويبها وفق معايير واحدة ومع ذلك نجده نظاماً مستقراً ومستمراً وراعياً للدولة ومؤسساتها ومسؤولاً عن طوائفها ومكوناتها ، فالاحزاب السياسية الرئيسة والتي تمثل بدورها الأعراق الرئيسة قد اجتمعت في تحالف واحد وعلى أسس ومبادئ وخطوط عامة واحدة اتفقوا عليها وأعطى كل واحد منهم ضمانته للآخر نظرياً ثم ترجمها عملياً فأصبحت الضمانة الأولية ثقة كبيرة أعطاها لرفيقه في الوطن .

- الانقسام العرقي في ماليزيا غريب ومتفرد في العالم حيث ان الطوائف الثلاث المنتمية للمجتمع الماليزي والتي تشكل ركائزه الأساسية ،مختلفة في كل شيء ولايوجد مشترك واحد يربطهم سوى الارض ، فاللغة والقومية والدين والعادات والتقاليد والثقافة والتراث والفلكلور والملابس والغناء والطعام كلها مختلفة ،ومع ذلك استطاع القادة

الماليزيون أن يجمعوا هذا المجتمع على سكة قطار التنمية والتطور لتصبح ماليزيا نموذجا وقوة لكل المجتمعات المتعددة الاعراق .

- الأقتصاد الزراعي الذي يمثل عصب الدخل القومي الماليزي منذ الاستقلال طوره مهاتير محمد الى أفضل حالاته وجعل الدخل القومي يتنوع في مصادره وجعل اقتصاد ماليزيا صناعي بالدرجة الأساس، بمعنى حول المجتمع من خامل ومستكين الى مجتمع نشط وحيوي ومنتج .

- الدين لم يكن عائقا امام القيادات الماليزية بل تعاملوا بروح الاسلام الحقيقي وبانسانية عالية مع كل الأديان الاخرى حتى الوثنية منها .

فالنموذج الماليزي بالنهضة والتنمية أعطى لنا صورة جميلة وممتازة عن التنوع العرقي أو الطائفي وعن كيفية إدارته وجعله نقطة قوة ونقطة انطلاق نحو المستقبل بسرعة الصاروخ فكل البناء العمراني الماليزي الحقيقي تم في عهد مهاتير محمد الذي وصل للسلطة عام ١٩٨١ وغادرها بارادته عام ٢٠٠٣ م .

إنّ التحديث والتنمية التي تبناها مهاتير كانت معتمدة بالدرجة الأساس على قناعته بالطابع الإسلامي والمحلي للتحديث بمعنى إنه ليس بالضرورة أن يكون التحديث ذا طابع عالمي وغربي، وهذه الحقيقة أثارت الاستغراب عند مفكري الغرب وأفردوا لها بحثا ودراسات كثيرة .

كما اعتمد سياسة (انظر شرقا) بالتوجه نحو اليابان في استقطاب قيم العمل اليابانية التي نجحت فيها اليابان بالتطور والرقى ، حيث حاول ان يزرع في الانسان الماليزي روح الامل والتحدي والالتزام لتطوير نفسه اولا وبالمحصلة يكون التطور للمجتمع وللبلد بشكل عام .

من هذه التجربة الرائدة والمتفردة في كثير من عناصرها يجب على العراق والاردن الاستفادة منها ،بان ترتقي المكونات السياسية والفكرية في هذين البلدين الى تجسيد الوحدة الوطنية بافعالها وليس باقوالها ، باشاعة ثقافة التسامح وقلب صفحات

الماضي ، بالمضي قدما الى الامام وندع المستقبل يسحبنا نحوه بقوة وسرعة كبيرة ولانترك الماضي يجرنا اليه بكل آلامه ومعاناته ليعيد التاريخ نفسه بنفس الالام والمعاناة بصيغ جديدة واعذار جديدة .

خلاصة الحديث عن التنمية في الاردن والعراق تعتمد بشكل اساس على الارادة السياسية الحقيقية لبناء البلاد وفائدة العباد ، فالاسس التي ذكرت في هذا البحث ليست بعيدة عن الفكر والاخلاق الاسلامية وليست صعبة او مستحيلة التطبيق بل هي واضحة وبسيطة ومركزة ولكنها تحتاج الى ارادة سياسية موحدة ومتماسكة ومتفقة على بناء الوطن .

فعلى النخب السياسية ومن بيده القرار السياسي ان يسعى الى تحصين الجبهة الداخلية قبل رمي الاخرين بالاتهامات ، مشاكل البلدين في الوقت الراهن متقاربة من الناحية الاجتماعية مع فارق ان الاردن أفضل حالاً من العراق في الاستقرار السياسي والنزاهة والفساد الاداري.

إن المسؤولية يجب أن ترتبط بالأعمال الجيدة والمتقدمة والمفيدة، لأن السعي الى المناصب العالية ذات الجاه والسلطة ليس للشرف والرفعة والهيبة والمكانة والتباهي والجاه والمال والاستغلال والنقائل لاجل مصالح شخصية، وانما هي لخدمة الناس ولتطوير البلد ولبناء الوطن والحرص على رفاهية ابنائه والحفاظ على امواله والسعي الى ايجاد وسائل التقدم والبحث عن عوامل الترابط والوحدة وبذل الجهود المضنية لتقليل المال المهدور والمغصوب والضائع ورفع وتنويع الواردات ، هذه اهم الصفات التي يجب ان يتمتع الشخص المسؤول المتولي للسلطة فالتاريخ لايرحم من يسيء ولافائدة من المجد الشخصي بقدر الخدمة العامة .

اختتم كلامي بكلمات الشاعر الكبير عبد الرزاق عبد الواحد :

يا أمّ خالد ما يكون الـ عمر ٠٠؟ ٠٠ أعواما نغالي

بحسابها ٠٠ ؟ تفنى السنين وان تكن عدد الرمال

ليس الرجال العمر الأعمار تحسب بالرجال

كم خالدين جرت بهم
بينما يغطي الارض
اعمارهم بخطى عجال
اموات باعمار طوال

هوامش البحث (Footnotes)

(1)Khong Kim Hoong,**Merdeka! British Rule And The Struggle For Independence In Malaysia (1945-1957)** ,Strategic Information Research Development (SIRD),2003 .

(٢) شاد سليم فاروقي، دستور دولة ذات أغلبية مسلمة- النموذج الماليزي، المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان بدعم من الأمم المتحدة ،ورقة مقدمة الى منتدى صناعة الدستور-منتدى تشاوري لحكومة السودان،للفترة ٢٤-٢٥ ايار ٢٠١١ م ، الخرطوم،ص٧ .

(3)Jayum A. Jawan, **Malaysian Politics and Government**, Shah Alam-Malaysia: Karisma Publications, 2003, pp. 62-71.

(٤) تطلق تسمية (البوميوترا) على السكان المحليين الذين يعرفون باسم(ابناء الارض) ويكون عادة من اب وام من المالايو .للمزيد ينظر :باربرا واتسونأندايا (Barbara Watson Andaya) ، عالم الملايو من القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين، ترجمة : عايد سيف الدولة ، الموقع الالكتروني :

http://sjoseph.ucdavis.edu/ewic/ewic-arabic-translation/all-files/malay_world.pdf ,p224.

(5)LEON COMBER ,**13 may 1969- The Darkest Day in Malaysian History**, Marshall Cavendish Editions, Singapore, 2009,p2.

(6) Mahathir bin Mohamad, **The Malay Dilemma**, Marshall Cavendish,1Editions1970, Singapore,2008, p50 .

(٧) الموقع الالكتروني: <http://en.wikipedia.org/wiki/> ، ص ١٩ .

(8) DATO Abdullah Ahmad, **TENGKU ABDUL RAHMAN AND MALAYSIA'S FOREIGN POLICY 1963– 1970**, A Thesis submitted for the Degree of M.Litt. in the University of Cambridge, 1984 .

(9) LEON COMBER , op cit, p53.

(10) Ibid, p54.

(11) Ibid, p55.

(12) LEON COMBER , op cit, p71.

(13) ENCYCLOPEDIA BRITANNICA,
<http://www.britannica.com/EBchecked/topic/912/Tunku-Abdul-Rahman-Putra-Alhaj>

(14) THE WHO'S WHO 1970–1972, Malaysia and Singapore, Edited & Published J. Victor Morais, Malaysia , p. xxv .

(١٥) محسن محمد صالح ، النهوض المالي في قراءة في الخلفيات ومعالج التطور الاقتصادي ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابو ظبي ، ٢٠٠٨م ، ص ١٩ .

(16) Zainuddin Maidin, **Tun Razak – Profile of a Patriot , Board of Trustees Tun Razak Foundation**, Kuala Lumpur, 1999, p117.

(17) Jayum A. Jawan, **Malaysian Politics and Government**, Shah Alam–Malaysia: Karisma Publications, 2003, p187.

(18) Tun Dr Mahathir Mohamad, **A DOCTOR IN THE HOUSE – The Memoirs**, 3th

print,MPHGroupPublishingSdnBhd,PetalingJaya,Selangor,2011,p44.

(١٩) عادل الجوجري ، مهاتير محمد-النمر الاسيوي من شاب متمرّد الى بطل اسلامي ، دار الكتاب العربي ، حلب -سوريا ، ٢٠٠٨م ، ص ٧٧ .

(20) Mahather bin Mohamad ,**The Malay Dilemma** ,Marshall Cavendish Editions,Singapore,2008

(٢١) محمد السيد سليم ،التكوين الفكري السياسي لمهاتير محمد ،برنامج الدراسات الماليزية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص ٣.

(٢٢) عادل الجوجري ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٢٣) مهاتير محمد، خطة جديدة لاسيا، ترجمة فاروق لقمان ، مطبوعات بلاندوك ،كوالالمبور، ٢٠٠٥ ، ص ٧.

الموقع

(

٢٤)

الالكتروني

<http://www.mtholyoke.edu/~teh20y/classweb/worldpolitics/LookEast.html#proton>

(٢٥) عادل الجوجري ، المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٢٦) مهاتير محمد ، موسوعة الدكتور محاضير بن محمد ، مج ١ - الاسلام والامة الاسلامية، ١٠ مجلد، دار الكتاب المصري واخرون - القاهرة، ٢٠٠٤م ، ص ٢٧ .

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٢٨) موسوعة الدكتور محاضير بن محمد ، مج ١ ، صص ٣٠-٣٣ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

(30) ZainuddinMaidin, **TunRazak – Profile of a Patriot**, p87.

(٣١) القرآن الكريم ،سورة العلق ، آية ١ .

- (٣٢) الموقع الالكتروني الموسوعة الحرة :
http://en.wikipedia.org/wiki/Tunku_Abdul_Rahman:
- (٣٣) الموقع الالكتروني الرسمي لرئاسة الوزراء الماليزية :
<http://www.pmo.gov.my/?menu=page&page=1642>
- (٣٤) الموقع الالكتروني :
<http://www.olympic.org.my/museum/hof/ind/tho.htm>
- (35) TunDr Mahathir Mohamad, **A DOCTOR IN THE HOUSE – The Memoirs**, op cit .
- (٣٦) وزارة التخطيط – الجهاز المركزي للإحصاء ، احصاءات عام ٢٠١٠م ، الموقع الالكتروني :
http://www.cosit.gov.iq/cosit_census_ar.php
- (٣٧) وزارة التخطيط الجهاز المركزي للإحصاء ، الموقع الالكتروني :
http://cosit.gov.iq/pdf/reports/envi4_tables.pdf
- (٣٨) محمد علي مكي ، الزراعة العراقية بين الواقع والطموح ، الحوار المتمدن ، العدد ٣١٧٨ ، بتاريخ ٢٠١٠/١١/٧م ، الموقع الالكتروني :
<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=234493>
- (٣٩) دائرة الاحصاءات العامة في الاردن ، الموقع الالكتروني :
http://www.dos.gov.jo/dos_home_a/main/index.htm
- (٤٠) وزارة التخطيط والتعاون الانمائي الاردنية ، الموقع الالكتروني :
http://www.mop.gov.jo/arabic/pages.php?menu_id=200&local_type=0&local_id=0&local

(٤١) أ.دمجد الدينخمش، الأسباب الاجتماعية للبطالة وسبل معالجتها ،الجمعية الأردنية للبحث العلمي -عمان، محور الفقر والبطالة ، المؤتمر الرابع للبحث العلمي في الأردن / 31 -تشرين الأول ٢٠٠٩م، ص ٢ .

المصادر

اولا : الكتب العربية

(١) شاد سليم فاروقي(بروفيسور) ،دستور دولة ذات أغلبية مسلمة - النموذج الماليزي، المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان بدعم من الأمم المتحدة ،ورقة مقدمة الى منتدى صناعة الدستور - منتدى تشاوري لحكومة السودان، للفترة ٢٤-٢٥ ايار ٢٠١١م، الخرطوم-السودان .

(٢) عادل الجوجري ، مهاتير محمد-النمر الاسيوي من شاب متمرد الى بطل اسلامي ، دار الكتاب العربي ، حلب -سوريا ، ٢٠٠٨م .

(٣) مجدالدين خمش، الأسباب الاجتماعية للبطالة وسبل معالجتها ،الجمعية الأردنية للبحث العلمي -عمان، محور الفقر والبطالة ، المؤتمر الرابع للبحث العلمي في الأردن / 31 -تشرين الأول ٢٠٠٩م، ص٢ .

(٤) محسن محمد صالح ،النهوض الماليزي قراءة في الخلفيات ومعالم التطور الاقتصادي ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابو ظبي ، ٢٠٠٨م .

(٥) محمد السيد سليم ،التكوين الفكري السياسي لمهاتير محمد ،برنامج الدراسات الماليزية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦م .

(٦) مهاتير محمد، خطة جديدة لاسيا، ترجمة فاروق لقمان ، مطبوعات بلاندوك ،كوالالمبور، ٢٠٠٥ .

(٧) مهاتير محمد ، موسوعة الدكتور محاضير بن محمد ، مج ١ - الاسلام والامة الاسلامية، ١٠ مجلد، دار الكتاب المصري واخرون - القاهرة ، ٢٠٠٤م .

ثانيا : الكتب الانكليزية

- 1) Khong Kim Hoong, **Merdeka! British Rule And The Struggle For Independence In Malaysia (1945-1957)**, Strategic Information Research Development (SIRD), 2003 .
- 2) Jayum A. Jawan, **Malaysian Politics and Government**, Shah Alam-Malaysia: Karisma Publications, 2003 .
- 3) LEON COMBER , **13 may 1969- The Darkest Day in Malaysian History**, Marshall Cavendish Editions, Singapore, 2009
- 4) Mahathir bin Mohamad, **The Malay Dilemma**, Marshall Cavendish, 1 Editions 1970, Singapore, 2008 .
- 5) DATO Abdullah Ahmad, **TENGKU ABDUL RAHMAN AND MALAYSIA'S FOREIGN POLICY 1963- 1970**, A Thesis submitted for the Degree of M.Litt. in the University of Cambridge, 1984 .
- 6) **ENCYCLOPEDIA BRITANNICA**
<http://www.britannica.com/EBchecked/topic/912/Tunku-Abdul-Rahman-Putra-Alhaj>
- 7) Zainuddin Maidin, **Tun Razak - Profile of a Patriot** , Board of Trustees Tun Razak Foundation, Kuala Lumpur, 1999 .
- 8) Tun Dr Mahathir Mohamad, **A DOCTOR IN THE HOUSE - The Memoirs**, 3th print, MPH Group Publishing Sdn Bhd, Petaling Jaya, Selangor, 2011.

9) THE WHO'S WHO 1970-1972, Malaysia and Singapore, Edited & Published J. Victor Morais, Malaysia .

ثالثا : المواقع الالكترونية وشبكة الانترنت :

(١) الموقع الالكتروني : <http://en.wikipedia.org/wiki/>

(٢) الموقع الالكتروني :

<http://www.mtholyoke.edu/~teh20y/classweb/worldpolitics/LookEast.html#proton>^{٤١}

(٣) الموقع الالكتروني الموسوعة الحرة : http://en.wikipedia.org/wiki/Tunku_Abdul_Rahman:

(٤) الموقع الالكتروني الرسمي لرئاسة الوزراء الماليزية :

<http://www.pmo.gov.my/?menu=page&page=1642>

(٥) الموقع الالكتروني : <http://www.olympic.org.my/museum/hof/ind/tho.htm>

(٦) الموقع الالكتروني : <http://tours-malaysia.com/vb/showthread.php> ?

(٧) وزارة التخطيط - الجهاز المركزي للإحصاء ، إحصاءات عام ٢٠١٠م ،

الموقع الالكتروني : http://www.cosit.gov.iq/cosit_census_ar.php

(٨) محمد علي مكي ، الزراعة العراقية بين الواقع والطموح ، الحوار المتمدن ،

العدد ٣١٧٨ ، بتاريخ ٧/١١/٢٠١٠م ، الموقع الالكتروني :

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=234493>

(٩) دائرة الإحصاءات العامة في الأردن ، الموقع الالكتروني :

http://www.dos.gov.jo/dos_home_a/main/index.htm

(١٠) وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، الموقع الالكتروني :

http://www.mop.gov.jo/arabic/pages.php?menu_id=200&local_type=0&local

(١١) وزارة التخطيط الجهاز المركزي للإحصاء ، الموقع الإلكتروني :

http://cosit.gov.iq/pdf/reports/envi4_tables.pdf

(١٢) باريرا واتسون أندايا (Barbara Watson Andaya) ، عالم الملايو من القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين، ترجمة : عائدة سيف الدولة ، الموقع الإلكتروني :

<http://sjoseph.ucdavis.edu/ewic/ewic-arabic-translation/all->

دور القضاة العلمي والسياسي في إقليم خراسان خلال القرنين الرابع

والخامس الهجري/ العاشر والحادي عشر الميلادي

أ.م. د. زينب مهدي رؤوف

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى اله وصحبه الغر
الميامين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

تعد دراسة الدور العلمي والسياسي لقضاة إقليم خراسان من المواضيع
المهمة لأنها تسلط الضوء على دور القضاة الريادي واهتمامهم بدراسة العديد من
العلوم وهذا يؤدي بالمقابل إلى اتساع افق افكارهم وتنوع الرؤى لديهم، وارى أن
ذلك ضرورة لكونه لا يجعل من القاضي أسير النصوص القرآنية والسنة النبوية
الشريفة، بل هناك بعض من القضايا التي ليس لها سند في الشريعة.

وقد تضمن البحث الدور العلمي لقضاة إقليم خراسان في الدرس والتدريس،
والدور العلمي لقضاة إقليم خراسان في مجالس الاملاء والاستملاء، فضلا عن
دورهم في مجالس المناظرات، والدور العلمي لقضاة خراسان في العلوم وتاليف
الكتب، والدور السياسي لقضاة إقليم خراسان.

أ- الدور العلمي لقضاة إقليم خراسان في الدرس والتدريس:

كان لقضاة إقليم خراسان دور متميز في العلم كونهم لم يكونوا قضاة فحسب
لكنهم كان لهم دور علمي كبير في الدرس والتدريس نذكر منهم:

١- أبو عمر محمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن القاسم بن مالك

البسطامي^(١) (ت ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م)، وذكر سنة (ت ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م):

هو المحدث والفقهاء وقاضي مدينة نيسابور^(٢).^(٣) ومن المشايخ الشافعية،
رحل إلى مدن عدة^(٤). تولى التدريس والافتاء بنيسابور^(٥).

٢- أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحي (ت ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م):

هو المحدث والفقير وقاضي قضاة مدينة نيسابور ^(٦). من مشايخ الحنفية في عصره، والمقدم على الاكابر من القضاة والائمة في دهره ^(٧). له مجلس التدريس والتصنيف ^(٨).

٣- محمد بن عبد الله بن الحسين الناصحي (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م):

هو قاضي قضاة مدينة نيسابور ^(٩). حيث تولى مهمة التدريس في عهد والده في مدرسة السلطان ^(١٠)، فضلا عن ادارتها وادارة اوقافها ^(١١). صرف عن قضاء نيسابور إلى ولاية القضاء في الري ^(١٢)، ويذكر انه توفي في طريقه إلى اصبهان ^(١٣)، ودفن بها، ويذكر توفي في طريقه إلى الري ودفن في نيسابور ^(١٤).

٤- احمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الناصحي (ت ٥١٥هـ / ١١٢١م):

هو المحدث والفقير وقاضي مدينة نيسابور ^(١٥). خلف اسلافه في تحصيل العلم والتدريس في مدرسة السلطان في مدينة نيسابور ^(١٦).

ب- الدور العلمي لقضاة اقليم خراسان في مجالس الاملاء والاستملاء:

حفلت مجالس الاملاء والاستملاء بحضور القضاة بل كان لعدد من قضاة اقليم خراسان مجالس املاء خاصة بهذا القاضي أو ذاك نذكر منهم:

١- أبو عمر محمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن القاسم بن مالك

البسطامي (ت ٤٠٧هـ / ١٠١٦م)، وذكر سنة (ت ٤٠٨هـ / ١٠١٧م):

هو من قضاة مدينة نيسابور، والذي كان له مجالس املاء فيها ^(١٧).

٢- إسماعيل بن صاعد بن محمد بن احمد بن عبيد الله (ت ٤٤٣هـ /

١٠٥١م):

هو ابرز قضاة مدينة نيسابور، ولد سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م ^(١٨). عقدت

مجالس املائه بنيسابور سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م، وحضر مجلسه الصدور والمشايخ ^(١٩).

٣- أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحي (ت ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م):

هو قاضي قضاة مدينة نيسابور، ومن محدثيها وفقهائها، وقد عقد له مجلس الاملاء لسنين عدة (٢٠).

ج- الدور العلمي لقضاة إقليم خراسان في مجالس المناظرات:

شهدت مجالس المناظرات حضور عدد من القضاة البارزين في إقليم خراسان بل وكان حضورهم فعال فيها إذ كانت تعج بمجادلاتهم ومناظراتهم التي اغنت الجانب العلمي ليس في إقليم خراسان فحسب بل على صعيد المشرق الإسلامي عامة.

١- عتبة بن خيثمة بن محمد بن حاتم بن خيثمة بن الحسن بن حنظلة

النيسابوري (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م):

من قضاة مدينة نيسابور وفقهائها، تميز بكونه كان مناظراً طريف المعاشرة، حسن الطريقة (٢١).

٢- أبو عمر محمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن القاسم بن مالك

البسطامي (ت ٤٠٧هـ / ١٠١٦م)، وذكر سنة (٤٠٨هـ / ١٠١٧م):

من محدثي مدينة نيسابور وأهم فقهائها وقضااتها، وقد عقد مجالس المناظرة بها (٢٢).

٣- أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحي (ت ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م):

هو قاضي قضاة مدينة نيسابور، كان له مجلس النظر فيها (٢٣).

٤- محمد بن عبد الله بن الحسين الناصحي (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م):

عالم وفقه وقاضي قضاة مدينة نيسابور، كان مناظراً جيداً وله مناظرات مع كبار العلماء والمشايخ ومنهم الاستاذ الشيخ أبي المعالي الجويني الذي كان يثني عليه وعلى كلامه كثيراً ويحسن قوة فهمه (٢٤).

٥- احمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الناصحي (ت ٥١٥هـ / ١١٢١م):
محدث وفقيه وقاضي مدينة نيسابور^(٢٥). الذي عُرف بمجادلاته ومناظراته
في المحافل^(٢٦).

٦- أبو المظفر شبيب بن الحسين بن عبد الله البروجردي^(٢٧) (ت ٥٣٤هـ /
١١٣٩م):

من فقهاء ومحدثي وقضاة مدينة نيسابور^(٢٨). ولد سنة ٤٥١هـ / ١٥٠٩م
كان اماما في مناظراته^(٢٩). توفي ببغداد بعد رجوعه من الحجة الثالثة سنة
٥٣٤هـ / ١١٣٩م^(٣٠).

د- الدور العلمي لقضاة إقليم خراسان في العلوم وتأليف الكتب:

ظهر العديد من القضاة الذين برعوا في علوم عدة حيث قام قسم من هؤلاء
القضاة بتأليف الكتب إذ زخرت المكتبة الاسلامية في إقليم خراسان والمشرق
الاسلامي عامة بتلك المؤلفات والتي تنوعت اختصاصاتها نذكر منهم:

١- عتبة بن خيثمة بن محمد بن حاتم بن خيثمة بن الحسن بن حنظلة
النيسابوري (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م):

من فقهاء مدينة نيسابور وابرز قضاتها، ولي القضاء سنة ٣٩٢هـ /
١٠٠٠م، حتى سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤م^(٣١). كان بارعا في الفقه، تفقه على يد أبي
العباس التبان، وأبي الحسين قاضي الحرمين، كما كان من اصحاب أبي
حنيفة^(٣٢).

٢- أبو عمر محمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن القاسم بن مالك
البسطامي (ت ٤٠٧هـ / ١٠١٦م)، وذكر سنة (ت ٤٠٨هـ / ١٠١٧م):

هو من فقهاء ومحدثي وقضاة مدينة نيسابور^(٣٣). رحل إلى مدن عدة
لسماع الحديث، حدث وأقرأ المذهب الشافعي^(٣٤). ثم ولي قضاء نيسابور سنة
٣٨٨هـ / ٩٩٨م، وأظهر اهل الحديث من الاستبشار والفرح الشيء الكثير^(٣٥).

كان نظير ابي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي، ذكر انه قدم إلى بغداد في حياة ابي حامد الاسفراييني الذي كان يعظمه ويجله ^(٣٦).

٣- الهيثم بن أبي الهيثم عتبة بن خيثمة أبو سعيد التميمي النيسابوري
(ت ٤٣١هـ / ١٠٣٩م):

من قضاة مدينة نيسابور، درس الفقه والحديث، سمع الحديث عن ابيه وغيره ^(٣٧).

٤- صاعد بن محمد بن احمد بن عبيد الله أبو العلاء المعروف بالاستوائي ^(٣٨)
(ت ٤٣١هـ / ١٠٣٩م)، وذكر سنة (٤٣٢هـ / ١٠٤٠م):

العالم والفقيه والقاضي من مدينة نيسابور، عُدَّ من الادباء حيث درس الادب على يد أبي بكر محمد العباسي الخوارزمي ^(٣٩). ودرس الفقه على شيخ الإسلام أبي نصر بن سهل القاضي جده ^(٤٠)، صنف كتب عدة منها كتاب الاعتقاد ^(٤١).

٥- أبو محمد منصور بن القاضي أبي منصور محمد الأزدي الهروي
(ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م):

من قضاة مدينة هراة ^(٤٢) ومحدثيها ^(٤٣). درس الفقه على الشيخ أبي حامد الاسفراييني، وسمع وحدث ^(٤٤). كان شاعرا مجيدا ومن شعره قائلا ^(٤٥):

عليك نفسك فانظر كيف تصلحها وحلّ عن عشرات الناس للناس
فالذم للناس للمحصى مصائبهم والحمد عندهم للعاقل الناسي

٦- محمد بن عبد الجبار بن احمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الجبار
بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله بن منصور أبو منصور
السمعاني التميمي المروزي (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)، وذكر سنة (ت
٤٥١هـ / ١٠٥٩م):

هو الامام والقاضي والنحوي واللغوي والد العلامة أبي المظفر السمعاني ^(٤٦).
من مصنفاته كتاب الاصطلاح والخلاف ^(٤٧).

٧- محمد بن محمد بن علي أبو سعد (ت ٤٥٢هـ / ١٠٦م):

هو قاضي وفتيه من مدينة نيسابور ^(٤٨). روى عنه زاهر بن طاهر الشحامي ^(٤٩).

٨- منصور بن اسماعيل بن احمد بن المظفر الهروي (ت ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م):
من قضاة مدينة هراة ^(٥٠). درس الفقه والحديث، وعرف بقرض الشعر ^(٥١).

٩- الحسين بن محمد بن احمد أبو علي المروزي (ت ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م):
هو قاضي وفتيه مدينة مرو ^(٥٢)، درس الفقه على ابي بكر القفال، روى عن ابي نعيم الاسفراييني ^(٥٣). لقب بحبر الامة لكونه من ابرز فقهاء إقليم خراسان ^(٥٤) صنف مصنفات عدة منها التعليق الكبير، الفتاوي المشهورة، كتاب اسرار الفقه، وصنف في الاصول والفروع والخلاف ^(٥٥).

١٠- علي بن الحسين بن محمد بن الفضل بن سهل أبو الحسن الدهان المروزي (ت ٤٦٤هـ / ١٠٧١م):

هو قاضي من مدينة مرو ^(٥٦). درس الفقه وتفقه على القاضي ابي الهيثم عتبة بن خيثمة ^(٥٧). كان اماما في الفقه ^(٥٨). ورد إلى بغداد حاجا سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م ^(٥٩).

١١- محمد بن إبراهيم أبو زيد الهروي (ت ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م):

قاضي قضاة مدينة هراة ^(٦٠). عالم ومفتي درس الفقه الحنفي ^(٦١). روى عن ابي الحسن الديناري والقاضي ابي منصور الازدي ^(٦٢).

١٢- يعلى بن هبة الله بن الفضيل أبو صاعد الفضيلي الهروي (ت ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م):

احد قضاة مدينة هراة، ومن أهم شيوخها ^(٦٣). درس الحديث ورواه عن عبد الرحمن بن ابي شريح وغيره، روى عنه أبو الوقت وهو اخر من حدث عنه عاش اربعا وثمانين سنة، ومن الرواة أبو الفخر جعفر بن ابي طالب الهروي ^(٦٤).

١٣- محمد بن عبد الله بن الحسين الناصحي (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م):
هو قاضي قضاة مدينة نيسابور ^(٦٥). كان له حظ وافر في الطب، والادب،
والشعر، والفقه، والحديث ^(٦٦). كان يحفظ كثير من الابيات الشعرية، استمر في
منصبه قاضيا لمدة عشرة سنوات ^(٦٧). سمع الحديث عن والده وعن ابي سعيد
الصيرفي، وابي بكر الحميري وغيرهم، قدم بغداد، وحدث بها سنة (٤٨٣هـ/
١٠٩٠م)، روى عنه اهل بغداد الكثير، توفي بالقرب من مدينة اصبهان ^(٦٨)، ومن
شعره قائلاً ^(٦٩):

دار على العز والتأبيد معناها وبالكمارم والخيرات مغناها
واليسر اصبح مقرونا بيسراها واليمن أصبح موصولاً بيمنها
فلو رضيت مكان البسط اعيننا لم تبق عين لنا إلا فرشناها

١٤- أبو عامر محمود بن القاسم بن القاضي أبو منصور الازدي المهلبى
الهروي (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م):

من قضاة مدينة هراة، ولد سنة (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) ^(٧٠)، درس الفقه وعرف
بعمله وفضله ^(٧١) رحل اليه علماء عدة لأسانيده ^(٧٢).

١٥- أبو العلاء صاعد بن سيار الكتاني (ت ٤٩٥هـ / ١١٠١م):
أحد قضاة مدينة هراة ^(٧٣). درس الحديث وروى عن ابي سعيد الصيرفي
والطرازي وغيرهم ^(٧٤).

١٦- محمد بن محمد بن الفضل أبو نصر الماهاني المروزي (ت ٥٠٣هـ/
١١٠٩م):

من قضاة مدينة مرو، ولد سنة (٤١٢هـ / ١٠٢١م) ^(٧٥) هو من فقهاء
اصحاب ابي حنيفة، عمّر حتى صار محدث عصره ^(٧٦)، حدث بالكثير وسمعوا
منه، رحل إلى مدن عدة منها العراق والشام وغيرها ^(٧٧).

١٧- أبو سعيد محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الدهان المروزي
(ت ٥٠٨هـ / ١١١٤م)، وذكر سنة (ت ٥١٠هـ / ١١١٦م):

أحد قضاة مدينة مرو، ولد سنة (٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)^(٧٨). يعد من البيوتات العلمية والحديث في مدينة مرو^(٧٩).

١٨- أبو بكر محمد بن الحسين بن محمد الارسابندي المروزي (ت ٥١٠هـ / ١١١٦م):

من قضاة مدينة مرو، درس الفقه وتفقه على ابي منصور السمعاني^(٨٠). عرف بفخر القضاة ورحل عن بلده لطلب الفقه، حيث تفقه على القاضي الزوزني صاحب ابي زيد الدبوسي، وتفقه عليه أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد بن اميرويه بن إبراهيم الكرمانى، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الصايغي وغيرهما^(٨١). روى عنه أبو الفضل الكرمانى عمرو ومحمد بن عبد الله الصايغي قاضي مرو^(٨٢). ورد إلى بغداد حاجا مكة سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م^(٨٣).

١٩- يحيى بن صاعد بن سيار أبو عمر (ت ٥١٥هـ / ١١٢١م):

هو امام وقاضي من مدينة هراة^(٨٤). محدث سمع الحديث عن ابيه وعن المتأخرين^(٨٥).

٢٠- أبو جعفر محمد بن عبد الله بن ابي الحسن الصائغي المروزي (ت ٥٣٠هـ / ١١٣٥م):

هو إمام وقاضي من مدينة مرو، ولد سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م^(٨٦). درس الفقه على يد ابي بكر محمد بن الحسين الارسابندي، حيث عُد من نجباء اصحابه، ولي نيابة القضاء مدة ، ثم ولي قضاء مرو نيابة عن استاذة ثم عن ابنه القاضي عمر ثم عن ابنه ابي القاسم محمود بن عمر إلى أن فوض اليه القضاء بالرصافة بعد سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م^(٨٧). عرف بامانته سمع الحديث عن استاذة

ابي بكر وابي سهل احمد بن محمد الزوزني وغيرهما^(٨٨). تولى الخطبة في احد الجوامع المهمة لمدة طويلة^(٨٩).

٢١- هبة الله بن سهل بن عمر بن القاضي ابي عمر البسطامي النيسابوري
(ت ٥٣٣هـ / ١١٣٨م):

احد قضاة مدينة نيسابور، ولد سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١^(٩٠). درس الفقه وسمع الحديث عن ابي حفص عمر بن مسرور، وaba الحسين عبد الغافر الفارسي وغيرهم^(٩١). توفي بنيسابور سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م، ودفن بالحيرة^(٩٢).

٢٢- أبو المظفر شبيب بن الحسين بن عبد الله البروجردي (ت ٥٣٤هـ /
١١٣٩م):

من قضاة مدينة نيسابور، ولد سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م^(٩٣). درس الفقه على يد الشيخ ابي اسحاق الشيرازي، وروى الحديث عن مشايخ عدة^(٩٤). كان ذا معرفة بالادب والشعر^(٩٥). توفي ببغداد بعد رجوعه من الحجة الثالثة^(٩٦).

٢٣- أبو سعد عمر بن علي بن احمد بن محمد بن ابي ذر المحمودي
الطالقاني البلجي المروزي (٥٤٠هـ / ١١٤٥م):

هو قاضي من مدينة بلخ، ولد بها سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م^(٩٧). ولي القضاء بها وحسنت سيرته في ولايته لابييه خلافا لابنه^(٩٨)، ينتمي إلى بيت علمي، وكان فاضلا، كثير المحفوظ، مراعيًا للحقوق، كثير العبادة^(٩٩)، هو محدث سمع ببلده القاضي ابا علي الحسن بن علي بن محمد الوحشي الحافظ، وaba المظفر منصور بن محمد بن احمد البسطامي، وكان اخر من حدث عنهما^(١٠٠).

٢٤- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن ثابت الخرقى (ت ٥٤٠هـ/
١١٤٥م):

هو قاضي من مدينة مرو ^(١٠١). محدث سمع الحديث عن اباه والامام ابا
المظفر السمعاني ^(١٠٢).

٢٥- أبو المعالي الحسن بن محمد بن ابي جعفر الدزقي البلخي (ت ٥٤٨هـ/
١١٥٣م):

هو قاضي من مدينة بلخ ^(١٠٣). ولد سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م ^(١٠٤)، درس
الفقه على يد البغوي وروى عنه أبو سعد بن السمعاني واثى عليه ^(١٠٥). ولي
قضاء الدزق العليا ^(١٠٦) ^(١٠٧).

٢٦- عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين أبو سعيد الناصحي
النيسابوري (ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥م):

قاضي من مدينة نيسابور ^(١٠٨). محدث روى عن ابي بكر بن خلف وابي
عمر المحمي، روى عنه عبد الرحيم السمعاني وابو عبد الكريم ^(١٠٩).

٢٧- احمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسين أبو نصر الناصحي النيسابوري
(ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥م):

هو قاضي من مدينة نيسابور، ومن بيت العلم فيها ^(١١٠). محدث روى عنه
عبد الرحيم السمعاني ^(١١١).

٢٨- عزيز بن محمد بن احمد بن صاعد بن محمد أبو المعافر الصاعدي
النيسابوري (ت ٥٥١هـ / ١١٥٦م):

هو قاضي من مدينة نيسابور ^(١١٢). ولد سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨م ^(١١٣).
محدث روى عنه عبد الرحيم السمعاني ^(١١٤).

٢٩- منصور بن محمد بن احمد صاعد بن محمد بن احمد بن عبد الله
الصاعدي المعروف بالبرهان (ت ٥٥٢هـ / ١١٥٧م):

هو قاضي من مدينة نيسابور ^(١١٥). ولد سنة ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م ^(١١٦). درس
الحديث والفقه معاً ^(١١٧).

٣٠- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الطايكاني البلخي (مجهول سنة
الوفاة):

هو قاضي من مدينة بلخ ^(١١٨). محدث قدم إلى بغداد حاجاً وحدث بها عن
شعيب بن ادريس البلخي، وابراهيم بن عبد الله بن داود الرازي ^(١١٩). كتب عنه
الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) في سنة (٤٢٣هـ / ١٠٣١م) ^(١٢٠).

٣١- عبد الوهاب بن محمد بن احمد بن نصر النسفي (مجهول سنة الوفاة):
هو احد قضاة مدينة مرو لمدة سنتين من مدينة نسف ^(١٢١) ^(١٢٢). قدم مدينة
نيسابور ودرس الفقه بها على الامام القاضي عماد الاسلام صاعد وغيره ^(١٢٣)،
متولياً القضاء بها لمدة سنتين ^(١٢٤). سمع الحديث بنيسابور ^(١٢٥). توفي بمدينة
مرو ^(١٢٦).

هـ- الدور السياسي لقضاة إقليم خراسان:

كان لموسوعية القضاة في العلوم المختلفة دور في اتساع افكارهم وقدراتهم
مما جعلهم محط انظار الخلفاء والولاة وكسب ثقتهم، حيث تولى عدد منهم
لمناصب مختلفة فضلاً عن تقريب الخلفاء لهم نذكر منهم:

١- أبو عمر محمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن القاسم بن مالك
البسطامي (ت ٤٠٧هـ / ١٠١٦م)، وذكر سنة (٤٠٨هـ / ١٠١٧م):

من محدثي وفقهاء مدينة نيسابور الذي تولى القضاء بها، ومن مشايخ
الشافعية فيها ^(١٢٧). كان منفرداً بلطائف السيادة معتمداً لمواقف الوفادة سفر بين

دور القضاة العلمي والسياسي في إقليم خراسان خلال القرنين الرابع والخامس الهجري/
العاشر والحادي عشر الميلادي.....

السلطان المعظم ومجلس الخلافة أيام الخليفة القادر بالله (٣٨١هـ-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣١م) فأفتن اهل بغداد بلسانه واحسانه (١٢٨).

٢- اسماعيل بن صاعد بن محمد بن احمد بن عبيد الله (ت ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م):

هو من قضاة مدينة نيسابور (١٢٩). ولد سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م (١٣٠). ولي القضاء بمناطق عدة وعلى الرغم من انه لم يشتهر بشيء من العلوم، غير انه كان من دهاة الرجال والمشاهير في اقليم خراسان لمعرفة برسم القضاء، ولأمانته (١٣١). حدث عن الخفاف وغيره، حيث بعث رسولاً الى اقليم فارس فمرض بالطريق فوصل إلى ايج (١٣٢)، فتوفى بها (١٣٣).

٣- محمد بن عبد الله بن الحسين الناصحي (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م):

احد قضاة مدينة نيسابور الذي عرف بموسوعيته العلمية في الفقه والحديث، والادب، والطب وغيرها من العلوم (١٣٤). مما حظي بمكانة كبيرة، وبدرجة عالية في عهد السلطان الب أرسلان (١٣٥) نظرا لفضله وبراعته العلمية (١٣٦).

٤- أبو سعد محمد بن نصر بن منصور البشكاني الهروي (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م):

هو قاضي وفتيه من مدينة هراة (١٣٧). في ابتداء امره كان مختلفا إلى الدروس للارتفاق بالجراية والنفقة مكتسبا بالوراقة (١٣٨). تحمل المشاق إلى أن اتصل بخدمة دار الخلافة واقام بها مدة من الزمن حتى عرف بالكفاية وصار رسولا من تلك الحضرة إلى ملوك الاطراف بخراسان والشام، ومصر (١٣٩). كان تحت امرته عدد كثير من الخدم والحشم وتولى قضاء ممالك وحصل على الالقاب، كان سفيراً بين عدد من السلاطين، وبقي ساعياً وحريصاً على خدمتهم حتى توفي في همدان (١٤٠) (١٤١).

الخاتمة

يتضح من خلال العرض لقضاة إقليم خراسان انهم اسهموا برفد الجوانب العلمية المتنوعة نظرا لتوفر العناصر والمقومات المعرفية في شخص قضاتها، وهذا انعكس على الجانب السياسي وتقريب الخلفاء والولاة اليهم، وقد توصلنا إلى ما يلي:

- ١- ان رغبة القضاة في تعلم علوم ومعارف متنوعة إلى جانب عملهم بالشرعية والفقهاء جعل من القضاة يتصفون بالموسوعية. وهذا جعلهم يشاركون في مجالس املاء الحديث والمناظرات على مختلف انواعها.
- ٢- تعد معرفة القضاة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من الشروط الاساسية وما يتطلب ذلك من سلامة اللغة مما شجعهم على دراستها ودراسة الادب وهذا وسع من قريحتهم الشعرية في نظم الشعر فكان لبعض القضاة قدرة على ارتجال القصائد والاشعار ودور في الحركة الادبية.
- ٣- ونتيجة لاطلاعهم على هذه العلوم المختلفة فقد كانت لهم مشاركات في العملية التعليمية سواء بتلقيهم العلوم والمعارف والعكوف على دراستها وتوليهم مهمة التدريس، فضلا عن توفر الدافع والقدرة على تصنيف المؤلفات المتنوعة والتي اغنت الجانب العلمي والمكتبة الاسلامية في إقليم خراسان خاصة والمشرق الاسلامي عامة.
- ٤- نظراً للامكانية العلمية التي تمتع بها عدد من القضاة في إقليم خراسان فقد حظوا برعاية عدد من الخلفاء والولاة والسلاطين، فمنحوهم الالقاب الشريفة واغدقوا عليهم بالهبات والعطايا، كما إن عدد منهم اصبحوا سفراء لهم.

الهوامش

(١) البسطامي: نسبه إلى بسطام وهي بلدة بقومس. ابن الاثير، أبو الحسن علي أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، اللباب في تهذيب الانساب، بيروت، (دار صادر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، ج ١، ص ١٥٢.

(٢) نيسابور: وتعرف بابرشهر، ذات حدود واسعة، ورساتيق عامرة ولها قهندز وريض ومسجد وجامعها في ريضها وليس لها ماء جار إلا نهر يخرج اليهم في السنة، ولا يدوم مأؤه. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، صورة الارض، ط ٢، لندن، (مطبعة بريل، ١٩٣٨م)، ج ٢، ص ٤٣١-٤٣٤؛ ابن يونه التيطلي، بنيامين البنداري الاندلسي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م)، رحلة بنيامين، ترجمه عن العبرية، عزرا حداد، مصورة بمقدمة للمؤرخ الكبير عباس العزاوي، ط ١، بغداد، (المطبعة الشرقية، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م)، ص ١٦٠-١٦٣؛ الباكوي، عبد الرشيد صالح بن نوري (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م)، تلخيص الاثار وعجائب الملك القهار، ترجمه وعلق عليه: د. ضياء الدين بن موسى بونياتوف، أكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتي، معهد الاستشراق واكاديمية العلوم لجمهورية ازربيجان السوفيتية، موسكو، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، مخطوطة مصورة محفوظة في مكتبة كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، تحت الرقم ٢٦٣/١٩٠، ورقة ٥٠a.

(٣) الصريفيني، تقي الدين أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن الازهر بن احمد (ت ٦٤١هـ / ١٢٤٣م)، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تح: خالد حيدر، بيروت، (دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ)، ج ١، ص ١٧؛ السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح

محمد الحلو، ط ٢، د. م، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ)، ج ٤، ص ١٤٠.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ١٤٠؛ الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسين (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية، تج: كمال يوسف الحوت، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، مج ١، ص ١١٠.
(٥) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ١٤٠؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ١١٠.

(٦) القرشي، محي الدين أبي محمد عبد القادر (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م)، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، اعتناء: محمد عبد الله الشريف، ط ١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ص ١٨٠؛ الغزي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري (ت ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م)، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تج: د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط ١، الرياض، (دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ج ٢، ص ٥٩.

(٧) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ١٨٠؛ الغزي، الطبقات السنية، ج ٢، ص ٥٩.
(٨) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ١٨٠؛ الغزي، الطبقات السنية، ج ٢، ص ٥٩.
(٩) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ٧٠؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايمار (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تج: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، بيروت، (دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ج ٣٣، ص ١٣٦-١٣٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٣٦.

(١٠) مدرسة السلطان: لم اقف على ترجمتها.

(١١) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ٧٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٣، ص ١٣٦-١٣٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٣٦.

(١٢) الري: اسم مدينة الري هو المحمدية، وسميت بذلك لان الخليفة العباسي المهدي قد نزل فيها عندما كان واليا في عهد الخليفة العباسي المنصور (١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٤-٧٧٥م)، افتتحت على يد القائد قرظة بن كعب الانصاري في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سنة ٢٣هـ / ٦٤٣م، شرب اهلها من عيون كثيرة واودية عظام، للمدينة رساتيق واقاليم عدة، وهي مدينة عامرة كبيرة، لها ابواب عدة منها باب الطاق وباب هشام وغيرها، ولها حصن وفيها مسجد جامع. لمزيد من التفاصيل ينظر: البلاذري، أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٤هـ / ٨٩٢م)، فتوح البلدان، عني بمراجعته والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م)، ص ٣١٣؛ اليعقوبي احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)، البلدان، وضع حواشيه؛ محمد امين ضناوي، ط ١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)، ص ٨٩-٩٠؛ ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر احمد بن محمد (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م)، مختصر كتاب البلدان، ليدن، (مطبعة بريل، ١٣٠٢م)، ص ٢٦٨-٣٩٠؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تح: نخبة من العلماء الاجلاء، القاهرة، (مطبعة الاستقامة، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م)، ج ٣، ص ٢٣١-٢٣٢؛ ابن اعثم الكوفي، أبو محمد بن احمد (ت ٣١٤هـ / ٩٢٧م)، الفتوح، تح: علي شيري، ط ١، بيروت، (دار الاضواء للطباعة والنشر، ١٤١١هـ / ١٩٩١م)، ص ٣١٠-٣١٣؛ المنجم، اسحق بن حسين (من علماء القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، د. م، (د. مط، د. ت)، ص ١٥؛ الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، (دار

احياء التراث العربي، د. ت)، مج ٤، ص ٤٧١؛ القزويني، زكريا محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد واخبار العباد، بيروت، (دار صادر، ١٩٦٠م)، ص ٣٧٥-٣٧٧.

(١٣) اصبهان: مدينة عظيمة، وهي اسم لأقليم كانت مدينتها تسمى أولاً جيا، ثم صارت اليهودية، وهي من نواحي الجبل، وهي مدينة جليلة وواسعة. لمزيد من التفاصيل ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ٨٥-٨٧؛ ابن يونة التطيلي، رحلة بنيامين، ص ١٥٨ و ص ١٥٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص ١٦٧-١٦٩؛ الباكوي، تلخيص الاثار، ورقة ٣٦١a.

(١٤) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٣٦.

(١٥) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٧٣؛ الغزي، الطبقات السنية، ج ٢، ص ٥٩.

(١٦) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٧٣؛ الغزي، الطبقات السنية، ج ٢، ص ٥٩.

(١٧) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ١٤٠ و ص ١٤١؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ١١٠.

(١٨) الغزي، الطبقات السنية، ج ٢، ص ١٩٠ و ص ١٩١.

(١٩) الغزي، الطبقات السنية، ج ٢، ص ١٩٠ و ص ١٩١.

(٢٠) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ١٨٠؛ الغزي، الطبقات السنية، ج ٢، ص ٥٩.

(٢١) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ٤٣٧.

(٢٢) الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ١١٠.

(٢٣) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ١٨٠؛ الغزي، الطبقات السنية، ج ٢، ص ٥٩.

(٢٤) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ٧٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، تح: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط ٩، بيروت، (مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ)، ج ٩، ص ١٩-٢٠؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٣٦؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، لسان الميزان، تح: دائرة المعارف النظامية، الهند، ط ٣، بيروت، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج ٥، ص ٢٢٣.

(٢٥) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٧٣؛ الغزي، الطبقات السنية، ج ٢، ص ٥٩.

(٢٦) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٧٣؛ الغزي، الطبقات السنية، ج ٢، ص ٥٩.

(٢٧) البروجردي: نسبة إلى بروجرد بلدة حسنة كثيرة الاشجار والانهار من بلاد الجبل على مسافة ثمانية عشر فرسخا من همدان. لمزيد من التفاصيل ينظر: السمعاني، الانساب، ج ١، ص ٣٣٢؛ ابن الاثير، اللباب، ج ١، ص ١٤٣ و ص ١٤٤.

(٢٨) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٢٢٥؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ١٢٠.

(٢٩) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٢٢٥؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ١٢٠.

(٣٠) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٢٢٥؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ١٢٠.

(٣١) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ٤٣٧.

(٣٢) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ٤٣٧.

(٣٣) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ١٧؛ الذهبي، العبر في خبر من غير،
تح: صلاح الدين المنجد، ط ٢، الكويت، (مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م)،
ج ٣، ص ١٠١؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ١٤٠-١٤٢؛
الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ١١٠.

(٣٤) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ١٧؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ١٠١؛
السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ١٤٠-١٤٢؛ الاسنوي، طبقات
الشافعية، مج ١، ص ١١٠.

(٣٥) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ١٧؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ١٠١؛
السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ١٤٠-١٤٢؛ الاسنوي، طبقات
الشافعية، مج ١، ص ١١٠.

(٣٦) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ١٧؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ١٠١؛
السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ١٤٠-١٤٢؛ الاسنوي، طبقات
الشافعية، مج ١، ص ١١٠.

(٣٧) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٤٢٣.

(٣٨) الاستوائي: نسبة إلى استوا من نواحي نيسابور، كثيرة القرى والخير وتقترب
بخو جان فيقال استوا وخوجان وهي من عيون ناحية نيسابور واكثرها قرى
ورجال وحدودها متصلة بحدود نسا. لمزيد من التفاصيل ينظر: السمعاني،
الانساب، ج ١، ص ١٣٤؛ ابن الاثير، اللباب، ج ١، ص ٥٠٧.

(٣٩) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ١٧١.

(٤٠) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ١٧١.

(٤١) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ١٧١.

(٤٢) هرة: وهي من مدن خراسان، وهرة اسم لمدينة، كان يحيط بها سور وثيق،
افتتحت على يد القائد أوس بن ثعلبة وبتكليف من الوالي عبد الله بن عامر، لها

قهندزوربض وحصن، وهي حسنة السواد مشتبكة العمارة، من اهم مدنها مالن،
خيسار، استرييان، باشان وغيرها. لمزيد من التفاصيل ينظر: البلاذري، فتوح
البلدان، ص ٣٩٦؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج ٢، ص ٤٣٧-٤٤٠؛ ياقوت
الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص ٤٧١.

(٤٣) الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ٥٤.

(٤٤) الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ٥٤.

(٤٥) الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ٥٤.

(٤٦) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣٠، ص ٢٥٧-٢٥٨؛ الصفدي، صلاح الدين بن
ايبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تح: احمد الارناؤوط وتركي
مصطفى، ط ١، بيروت، (دار احياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ج ٣،
ص ١٧٧.

(٤٧) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٢٥٧-٢٥٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،
ج ٣، ص ١٧٧.

(٤٨) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٦٩.

(٤٩) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٦٩.

(٥٠) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٤٠٦.

(٥١) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٤٠٦.

(٥٢) مرو: وهي اشهر مدن خراسان وقصبتها، وسميت ب - مرو الشاهجان -
لأن الشاهجان فارسية معناها - نفس السلطان - لأن - الجان - هي النفس
أو الروح و - الشاه - هو السلطان سميت بذلك لجلالتها. لمزيد من التفاصيل
ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ٩٨-١٠٠؛ المنجم، آكام المرجان، ص ١٨؛
ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ٥٣؛ واصف بك، أمين، الفهرست،
معجم الخريطة التاريخية للمسالك الاسلامية، تح: احمد زكي باشا، القاهرة،

(دار المصري للطباعة، ١٩١٦م)، ص ١٠٦ و ص ١٠٧؛ الحديثي، د. قحطان عبد الستار، ارباع خراسان الشهيرة دراسة في احوالها الجغرافية والادارية والاقتصادية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، البصرة، (مطبعة دار الحكمة، ١٩٩٠م)، ص ٣٣١؛ العفيفي، عبد الحكيم، موسوعة ١٠٠٠ مدينة اسلامية، ط ١، بيروت، (اوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ص ٤٥٦.

(٥٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣١، ص ٦٢ و ص ٦٣؛ اليافعي، أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج ٣، ص ٨٥-٨٦؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحي بن احمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ج ٣، ص ٣١٠.

(٥٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣١، ص ٦٢ و ص ٦٣؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٨٥-٨٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣١٠.
(٥٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣١، ص ٦٢ و ص ٦٣؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٨٥-٨٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣١٠.

(٥٦) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٢٣٥.

(٥٧) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٢٣٥.

(٥٨) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٢٣٥.

(٥٩) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٢٣٥.

(٦٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣١، ص ٢١٤؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٢٩٩.

(٦١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣١، ص ٢١٤؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٢٩٩.

(٦٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣١، ص ٢١٤؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٢٩٩.

(٦٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣١، ص ٢٧٦.

(٦٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣١، ص ٢٧٦.

(٦٥) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ٧٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٣، ص ١٣٦-١٣٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٣٦.

(٦٦) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ٧٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٣، ص ١٣٦-١٣٧.

(٦٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٣، ص ١٣٦-١٣٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٣٦.

(٦٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٣، ص ١٣٦-١٣٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٣٦.

(٦٩) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٣٦.

(٧٠) الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ٥٦.

(٧١) الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ٥٦.

(٧٢) الاسنوي، طبقات الشافعية، مج ١، ص ٥٦.

(٧٣) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٤٠٢.

(٧٤) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٤٠٢.

(٧٥) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٧٢ و ص ٣٧٣.

(٧٦) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٧٢ و ص ٣٧٣.

(٧٧) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٧٢ و ص ٣٧٣.

(٧٨) السمعاني، التحبير في المعجم الكبير، تح: منيرة ناجي سالم، ط١، بغداد،
(رئاسة ديوان الاوقاف، (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م)، ج١، ص١٨٩.

(٧٩) السمعاني، التحبير، ج١، ص١٨٩.

(٨٠) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٢٨.

(٨١) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٢٨.

(٨٢) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٢٨.

(٨٣) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٢٨.

(٨٤) الصريفي، المنتخب، ج١، ص ٥٣٣.

(٨٥) الصريفي، المنتخب، ج١، ص ٥٣٣.

(٨٦) السمعاني، التحبير، ج٢، ص ١٤٣.

(٨٧) السمعاني، التحبير، ج٢، ص ١٤٣.

(٨٨) السمعاني، التحبير، ج٢، ص ١٤٣.

(٨٩) السمعاني، التحبير، ج٢، ص ١٤٣.

(٩٠) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ٣٢٦.

(٩١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ٣٢٦.

(٩٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ٣٢٦.

(٩٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ٢٢٥.

(٩٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ٢٢٥.

(٩٥) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ٢٢٥.

(٩٦) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ٢٢٥.

(٩٧) السمعاني، التحبير، ج١، ص ٥٢٤.

(٩٨) السمعاني، التحبير، ج١، ص ٥٢٤.

(٩٩) السمعاني، التحبير، ج١، ص ٥٢٤.

- (١٠٠) السمعاني، التحبير، ج ١، ص ٥٢٤.
(١٠١) السمعاني، التحبير، ج ٢، ص ٣٤٩.
(١٠٢) السمعاني، التحبير، ج ٢، ص ٣٤٩.
(١٠٣) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٤٨.
(١٠٤) السمعاني، التحبير، ج ١، ص ٢١١.
(١٠٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٤، ص ١٤٨.
(١٠٦) الدزق العليا: وهي قرية من مدينة مرو الروذ، خرج منها علماء عدة.
ينظر: السمعاني، الانساب، ج ٢، ص ٤٧٥؛ ابن الاثير، اللباب، ج ١، ص ٥٠٠.

- (١٠٧) السمعاني، التحبير، ج ١، ص ٢١١.
(١٠٨) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٢٠٢.
(١٠٩) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٢٠٢.
(١١٠) الغزي، الطبقات السنية، ج ٢، ص ١٢٣.
(١١١) الغزي، الطبقات السنية، ج ٢، ص ١٢٣.
(١١٢) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٢٢٦.
(١١٣) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٢٢٦.
(١١٤) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٢٢٦.
(١١٥) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٤٠٧.
(١١٦) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٤٠٧.
(١١٧) القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٤٠٧.
(١١٨) السمعاني، الانساب، ج ٢، ص ٣٥.
(١١٩) السمعاني، الانساب، ج ٢، ص ٣٥.
(١٢٠) السمعاني، الانساب، ج ٢، ص ٣٥.

(١٢١) نَسَف: وهي من بلاد ما وراء النهر، ويقال لها نخشب وهي بلدة نزهة على بعد عشرين فرسخا من بخارى خرج منها علماء عدة، فهي مدينة كبيرة على مستوى الارض، لها سور وريض كبير ولها اربعة ابواب ولها بالريض مسجد جامع، واسواقها في الريض مجتمعة متصلة بين دار الامارة والمسجد الجامع، وليس لديها كثير نواح وقرى، ولها نهر واحد يجري في وسط المدينة. لمزيد من التفاصيل ينظر: السمعاني، الانساب، ج٥، ص٤٨٦؛ ابن الاثير، اللباب، ج٣، ص٣٠٨؛ الادريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١، بيروت، (عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ج١، ص٤٩٢؛ الدمشقي، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي (ت٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وانسابهم والقابهم وكناهم، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط١، بيروت، (مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م)، ج٩، ص٧٦.

(١٢٢) الصريفيني، المنتخب، ج١، ص٣٨٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٢١٨.

(١٢٣) الصريفيني، المنتخب، ج١، ص٣٨٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٢١٨.

(١٢٤) الصريفيني، المنتخب، ج١، ص٣٨٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٢١٨.

(١٢٥) الصريفيني، المنتخب، ج١، ص٣٨٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٢١٨.

(١٢٦) الصريفيني، المنتخب، ج١، ص٣٨٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص٢١٨.

(١٢٧) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص١٤٢.

- (١٢٨) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ١٤٢.
- (١٢٩) الغزي، الطبقات السنية، ج٢، ص ١٩٠-١٩١.
- (١٣٠) الغزي، الطبقات السنية، ج٢، ص ١٩٠-١٩١.
- (١٣١) الغزي، الطبقات السنية، ج٢، ص ١٩٠-١٩١.
- (١٣٢) الغزي، الطبقات السنية، ج٢، ص ١٩٠-١٩١.
- (١٣٣) الغزي، الطبقات السنية، ج٢، ص ١٩٠-١٩١.
- (١٣٤) الصريفي، المنتخب، ج١، ص ٧٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص ١٣٦ و ص ١٣٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٣٦.
- (١٣٥) السلطان الب ارسلان: أبو شجاع الب ارسلان محمد بن السلطان جغري بيك داود بن ميكائيل بن سلجوق وهو اكبر اولاد جغري بك، تقرر له ملك خراسان والعراق وامتاز بحسن سياسته وقدرة التغلب على الاعداء والقضاء على الخصوم. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، مج٨، ص ٣٩٣؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي ابو الفداء الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، بيروت، (مكتبة المعارف، د. ت)، ج ١٢، ص ١٠٧؛ الجوزجاني، صدر جهان أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد، (ت ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م)، طبقات ناصري، تصحيح ومقابلة وتعليق: عبد الحي حبيبي قندهاري، د. م، (مطبعة كابل، ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م)، ج ١، ص ٢٥٧؛ الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م)، راحة الصدور وآية السرور، نقله إلى العربية، ابراهيم امين الشواربي، القاهرة، (دار العلم، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)، ص ٢٥٥؛ ريس، تامارا تالبوت، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري و ابراهيم الداوقي، مراجعة: عبد الحميد العلوجي، بغداد، (مطبعة الارشاد، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م)، ص ٢٩ - ٣٠.

(١٣٦) الصريفي، المنتخب، ج ١، ص ٧٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٣، ص ١٣٦ و ص ١٣٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص ٣٣٦ .

(١٣٧) السمعاني، الانساب، ج ١، ص ٣٦١ .

(١٣٨) السمعاني، الانساب، ج ١، ص ٣٦١ .

(١٣٩) السمعاني، الانساب، ج ١، ص ٣٦١ .

(١٤٠) همذان: سميت بهذا الاسم نسبة إلى همذان بن الفلوج بن سام بن نوح، وهي مدينة واسعة كثيرة الاقاليم والكور. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ج ٢، ص ٣٥٨-٣٦٠؛ ابن يونه التطيلي، رحلة بنيامين، ص ١٥٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٨٢-٤٨٧ .

(١٤١) السمعاني، الانساب، ج ١، ص ٣٦١ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الاصلية غير المطبوعة (المخطوطات):

الباكوي، عبد الرشيد صالح بن نوري (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م).

١. تلخيص الاثار وعجائب الملك القهار، ترجمه وعلق عليه: د. ضياء الدين بن موسى بونياتوف، أكاديمية العلوم للاتحاد والسوفيتي، معهد الاستشراق واكاديمية العلوم لجمهورية ازربيجان السوفيتية، موسكو، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، مخطوطة مصورة محفوظة في مكتبة كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، تحت الرقم ٢٦٣/١٩٠.

ثانياً: المصادر الاصلية المطبوعة (العربية وغير العربية "المعربة وغير المعربة"):

ابن الاثير، أبو الحسن علي أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).

١. الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، ط٢، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
٢. اللباب في تهذيب الانساب، بيروت، (دار صادر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- الادريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).
٣. نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١، بيروت، (عالم الكتب، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسين (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م).
٤. طبقات الشافعية، تح: كمال يوسف الحوت، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
- ابن اعثم الكوفي، أبو محمد بن احمد (ت ٣١٤هـ / ٩٢٧م).
٥. الفتوح، تح: علي شيري، ط١، بيروت، (دار الاضواء للطباعة والنشر، ١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- البلاذري، أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).
٦. فتوح البلدان، عني بمراجعته والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان، بيروت، (دار الكتب لعلمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).
- الجوزجاني، صدر جهان أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد.
٧. طبقات ناصري، تصحيح ومقابلة وتعليق: عبد الحي حبيبي قندهاري، د. م، (مطبعة كابل، ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م).
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).
٨. لسان الميزان، تح: دائرة المعارف النظامية، الهند، ط٣، بيروت، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).

٩. ، معجم البلدان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، (دار احياء التراث العربي، د. ت).
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ / ٩٧٧م).
١٠. صورة الارض، ط٢، ليدن، (مطبعة بريل، ١٩٣٨م).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن حمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
١١. سير اعلام النبلاء، تح: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، بيروت، (مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).
١٢. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، (دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
١٣. العبر في خبر من غير، تح: صلاح الدين المنجد، ط٢، الكويت، (مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م).
- الراوندي، محمد علي بن سليمان (ت٧٩٩هـ / ١٣٩٦م).
١٤. راحة الصدور واية السرور، نقله إلى العربية، ابراهيم امين الشواربي، القاهرة، (دار العلم، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م).
- السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ / ١٣٦٩م).
١٥. طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، د.م، (هجر للطباعة والنشر والوزيع، ١٤١٣هـ).
- السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ / ١١٦٦م).
١٦. الانساب، تح: عبد الله عمر البارودي، ط١، بيروت، (دار الفكر، ١٩٩٨م).

١٧. التحبير في المعجم الكبير، تح: منيرة ناجي سالم، ط١، بغداد، (رئاسة ديوان
الاوقاف، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م).

الصريفيني، تقي الدين أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الازهر بن احمد (ت ٦٤١هـ/
١٢٤٣م).

١٨. المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تح: خالد حيدر، بيروت، (دار
الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ).

الصفدي، صلاح الدين بن ابيك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).

١٩. الوافي بالوفيات، تح: احمد الاناؤوط وتركي مصطفى، ط١، بيروت، (دار
احياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م).

٢٠. تاريخ الرسل والملوك، تح: نخبة من العلماء الاجلاء، القاهرة، (مطبعة
الاستقامة، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م).

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحي بن احمد بن محمد
(ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م).

٢١. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر
عطا، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)

الغزي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري (ت ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م).

٢٢. الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تح: د. عبد الفتاح محمد الطلو، ط١،
الرياض، (دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر احمد بن محمد (ت ٣٤٠هـ / ١٩٥١م).

٢٣. مختصر كتاب البلدان، ليدن، (مطبعة بريل، ١٣٠٢م).

القرشي، محي الدين أبي محمد عبد القادر (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م).

٢٤. الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، اعتناء: محمد عبد الله الشريف، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
- القرويني، زكريا محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).
٢٥. اثار البلاد واخبار العباد، بيروت، (دار صادر، ١٩٦٠م).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).
٢٦. البداية والنهاية، بيروت، (مكتبة المعارف، د. ت).
- المنجم، اسحق بن حسين (من علماء القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي).
٢٧. آكام المرجان في ذكرى المدائن المشهورة في كل مكان، د. م، (د. مط، د. ت).
- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م).
٢٨. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، القاهرة، (دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
- اليعقوبي احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م).
٢٩. البلدان، وضع حواشيه؛ محمد امين ضناوي، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).
- ابن يونه التطيلي، بنيامين البنداري الاندلسي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م).
٣٠. رحلة بنيامين، ترجمه عن العبرية، عزرا حداد، مصورة بمقدمة للمؤرخ الكبير عباس العزاوي، ط١، بغداد، (المطبعة الشرقية، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م).

ثالثاً: المراجع الثانوية:

- الحديثي، د. قحطان عبد الستار.
١. ارباع خراسان الشهيرة دراسة في احوالها الجغرافية والادارية والاقتصادية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، البصرة، (مطبعة دار الحكمة، ١٩٩٠م).

رايس، تامارا تاليوت.

٢. السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري وإبراهيم الداوقي،
مراجعة: عبد الحميد العلوجي، بغداد، (مطبعة الارشاد، ١٣٨٨هـ/
١٩٦٨م).

العفيفي، عبد الحكيم.

٣. موسوعة ١٠٠٠ مدينة اسلامية، ط١، بيروت، (اوراق شرقية للطباعة
والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
واصف بك، أمين.

٤. الفهرست، معجم الخريطة التاريخية للمسالك الاسلامية، تح: احمد زكي
باشا، القاهرة، (دار المصري للطباعة، ١٩١٦م).

Abstract

Although the role of judges in judicial systems and what it requires of knowledge in eloquent and jurisprudence matters, so they known in their wide know ledge in sciences and other various knowledges, but most of them were scientists in fiqh, hadith, literature, history, philosophy, midicen and others.

Their councils (Majalis) weren't held onley for judgenig and settle enmities but they got councils in dictation and argument, composing poetry, exchanging ideals in other sciences. The studied and taught in many schools in Islamic eastern country, therefore many of them interested in klassifing literatue in many various sciences.

The result of that effort emerged to us many judges who were pioneers (Aame) in sciences according to the science they were good in it.

Many of the khurasany judges got a role in the political life and interest by khulafaa and Aumaraa, wulat, so they got care and a signed in higher positions, by khilafaa.

قطع معدنية من موقع أيشان خالد ، دراسة فنية

أ.م.د قصي صبحي عباس

مقدمة

أسهمت حضارة بلاد الرافدين في تقديم نتائج عمارية وفنية عديدة كانت القاعدة الأساسية في أرساء البناء الحضاري وفي جوانب متنوعة ساعدت الإنسان العراقي القديم على الاستقرار ونشر ثقافته. وعند التطرق الى بداية معرفة الإنسان بالتعدين والصناعات المعدنية فأنها برزت الى الوجود بشكل أساسي بعد استقراره في القرى الزراعية ومعرفته بالصناعة الفخارية التي كانت من الصناعات المكملية للمجتمع الزراعي القديم فضلا عن التقدم الذي حصل في الصناعات الحجرية التي تمتد الى تاريخ مبكر من العصور الحجرية وأستمر هذا التطور الى معرفة الإنسان بالمعادن والحقيقة أن الحاجة الأساسية هي التي حفزته الى البحث والخلق والأبتكار للأشياء والالات والأدوات التي تنهض بواقعه الاجتماعي والاقتصادي وتطوره (١) .

لذلك كانت أولى الأدوات المعدنية المنتجة هي من النحاس بسبب توافره بصورة طبيعية وسهولة تصنيعه وبذلك أستطاع الإنسان أن يصنع الات وأدوات زراعية كالمحاريث والمناجل والفؤوس وهي أفضل نوعا ما من بقية المواد (٢). لقد حصل هذا التطور الكبير فيما يعرف بالعصر الحجري المعدني كما يسميه الباحثون نسبة لظهور الصناعة المعدنية الى جانب الصناعات الحجرية (٣) ومن هنا تطورت الصناعة المعدنية مع التقدم الذي حصل في بلاد الرافدين خلال العصور التاريخية وبروز الحياة المدنية والتمدن وخطت هذه الصناعة خطوات كبيرة دخلت فيها كثير من جوانب الحياة الاجتماعية في الات والأدوات التي كانت تستعمل في الحياة اليومية والتجارية وحتى في الجوانب الحربية في صناعة الأسلحة والأدوات الحربية ولاسيما في عصر فجر السلالات ما يقارب (٣٠٠٠-٢٤٠٠ ق.م) (٤).

وأستمرت الصناعة المعدنية بتقدم كبير من حيث الخبرة في الصناعة والمعرفة بالتعدين وفق حاجة المجتمع العراقي القديم وذلك لاسباب عديدة منها قلة وندرة بعض المعادن في البيئة العراقية القديمة وكذلك نفاسة البعض الآخر من المعادن ولاسيما الذهب والفضة والتي حفزت على أستيرادها من مصادرها الأصلية (٥) وهذا بالطبع أنعكس على عدد وكمية المنتج الصناعي بل وحتى على الأفراد والطبقات التي تملكه كما هو الحال بالنسبة للحلي والصناعات الذهبية والفضية الجميلة والتي أصبحت اليوم كنوز مهمة تستهوي المنقبين والباحثين عن المجد (٦).

يتناول هذا البحث دراسة فنية لعدد من القطع المعدنية التي أكتشفت في موقع أيشان خالد وهو من المواقع التي شملتها التنقيبات الأنقاذية من قبل بعثة من دائرة الآثار العراقية خلال الأعوام (٢٠٠٧ و ٢٠٠٩) حيث أظهرت بقايا عمارية وفنية فضلا عن مجموعة من الألواح الطينية المسمارية التي لا تزال بحاجة الى دراسة بهدف التعرف على مضامينها (٧).

لقد أنصب أهتمامي في حقيقة الأمر من خلال أطلاعي ودراستي لسجلات التنقيب لموقع أيشان خالد على عدد من القطع المعدنية المتنوعة غير المنشورة وهي تعود للعصر البابلي الحديث (٦١٢-٥٣٩ ق.م) وذات الأهمية الخاصة من حيث الأغراض الأساسية التي صنعت من أجلها وكذلك من حيث النقوش الزخرفية التي زينتها.

تشمل القطع المعدنية المختارة الأشكال الآتية:

أولا : الآنية النحاسية (الصواني) / شملت هذه الآنية مثالين من الآنية النحاسية وذات النقوش الزخرفية الجميلة وهي على قدر كبير من التفنن في الصناعة وهذه الآنية تشبه الى حد كبير الصواني التي تستعمل في الوقت الحاضر لتقديم السوائل التي توضع في كوؤس أو الأطعمة التي توضع في صحون وتقدم بهذا الشكل من الصواني.

ونلاحظ أن الطريقة التي أتبعها الحرفي هي طريقة القطع والطرق وقد أخذ بنظر الاعتبار الجانب الفني فلم تقتصر الزخرفة على الوجه الأمامي وإنما شملت أيضا الوجه الخلفي لاسيما وأنها كانت تستعمل لأغراض التقديم للضيوف كما ذكرنا وفيما يلي وصف لهذه الأشكال (ينظر حول تفاصيل قطع الدراسة جدول ١) .

١- آناء نحاسي(صينية) متصدئة مكسورة ومرممة قليلة الغور ذات حافة عريضة مائلة نحو الخارج مزخرفة بزخرفة شبيهة بأشعة الشمس من الوجهين الداخلي والخارجي والقاعدة شبه مسطحة (ينظر شكل رقم ١ ، ٢ صورة ٢٠١)(٨).

٢- آناء نحاسي(صينية) متصدئة قليلة الغور بديعة الصنع عليها نقوش زخرفية في الوجه الأمامي تشبه زهرة عباد الشمس تبدأ من المركز وتنتهي عند الحافة وهي عريضة وفي الوجه الخلفي زخرفة هندسية تتألف من أربعة صفوف دائرية الواحدة منها أصغر من الأخرى باتجاه المركز الأول يتمثل بدوائر والثلاثة الأخرى بأشكال بيضوية أو لوزية(ينظر شكل رقم ٣ صورة ٣)(٩).

ثانيا : الأقداح /

وهي أقداح نحاسية صغيرة ذات أبدان أسطوانية وقواعد مدببة والحقيقة أن هذه الأقداح لها مايمثلها في الأقداح الفخارية والتي تعود الى عصور سابقة وأستمرت في العصر البابلي الحديث(٦١٢-٥٣٩ق.م) وهي بالطبع كانت تستعمل لأغراض شرب السوائل.أما الطريقة لصناعتها فهي بطريقة الصب بالقالب (ينظر شكل ٤ صورة ٤)(١٠) .

ثالثا : الدلاء /

وهي من الأشكال الجديرة بالاهتمام حيث تمثل دلاء ذات أبدان أسطوانية الشكل وقواعد محدبة ولها مقبض مقوس يتصل بسطح الحافة عند البداية لكن ما يثير التساؤل حول أستعمالاتها والتي في حقيقة الأمر أرجح أن تكون هذه الدلاء كانت تستعمل لأغراض دينية طقوسية أو ربما لأغراض الزينة وذلك بسبب حجمها الصغير حيث لا يتجاوز طولها عن (١٥سم) فضلا عن معانها فهي من الهدايا

الجنائزية .أما الطريقة لصناعتها فهي الصب والطرق وقد أضفى الحرفي القابلية الحركية لهذه الدلاء من خلال المقبض المتحرك (ينظر شكل ٥ صورة ٥) (١١).

رابعاً : الجرار /

لم يغب هذا الشكل على الصناعة المعدنية فهو معروف بشكل كبير في الصناعة الفخارية وبتنوع كبير من حيث الأشكال والأحجام .ولكن بالنسبة للصناعة المعدنية فهي قليلة عند مقارنتها بالأولى وعلى كل حال فإن الجرار المعدنية التي وصلتنا من موقع أيشان خالد مصنوعة من النحاس بطريقة الصب في القالب وذات أبدان بيضوية لها فوهة واسعة وقاعدة مدببة كما في (الشكل ٦ صورة ٦) (١٢) وقد تكون ذات مقبضين وفوهة واسعة (١٣) .

الخلاصة :

هناك مجموعة من النقاط التي أود أن أثبتها للقارئ الكريم من هذه الدراسة وكالاتي:

١- تعتبر الآنية المعدنية من المواد المهمة التي أستعملت في بلاد الرافدين وذلك ابتداء من العصر الحجري المعدني حيث كانت الانطلاقة الأولى لهذا النوع من الصناعة التي كانت تتطلب قدرة عالية في التصنيع من حيث آذابة المادة الأولية للمعدن الخام وتنقيته ومعرفة تركيبه والمواد المعدنية الأخرى القابلة للاندماج معه فضلاً عن قلة مصادر خامات المعادن في بلاد الرافدين والتي كثيراً ما كان يتم أستيرادها من مصادرها الأصلية في الأقاليم المجاورة لبلاد الرافدين ولاسيما بلاد الأناضول وبلاد إيران وآسيا الصغرى ومناطق الخليج العربي . لذلك فإن الآنية المعدنية تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأستعمال بعد الآنية الفخارية التي أحتلت المرتبة الأولى في الأستعمالات المنزلية بما تتميز به من توفر المادة الأولية لصناعتها وهي الصلصال وكذلك سهولة تشكيلها نوعاً ما مقارنة بالآنية المعدنية وكذلك زخرفتها.

- ٢- التشابه في بعض الأشكال ولاسيما الجرار والأقداح التي ظهرت في الصناعة الفخارية والصناعة المعدنية .
- ٣- القابلية الحركية يمكن أن توجد في الصناعة المعدنية على خلاف الصناعة الفخارية كما هو الحال في الدلاء ذات المقابض المتحركة .
- ٤- إن المعادن أكثر عرضة للتأثر بالعوامل البيئية ولاسيما الرطوبة مقارنة بالفخار .
- ٥- أهتم الحرفي بالناحية الفنية الجمالية في زخرفة بعض القطع المعدنية وذلك تبعا لأستعمالاتها الحياتية ولاسيما الأنية النحاسية (الصواني) الخاصة بالتقديم وقد تمثلت العناصر الزخرفية بالنقوش الهندسية فهي الأسهل في التنفيذ على النتائج المعدنية .
- ٦- جميع القطع المعدنية في هذه الدراسة مصنوعة من معدن النحاس الذي يحتل النسبة الأكبر من الصناعات المعدنية في موقع أيشان خالد وهذا بالتأكيد يرجع أولا الى رخص قيمته مقارنة بالمعادن النفيسة وثانيا مطاوعته للعمليات التقنية والزخرفية .

الهوامش :

١. حجارة .أسماعيل حسين، "أوائل العصر الحجري المعدني ٥٨٠٠-٤٨٠٠ق.م"، سومر، المجلد ٥٢، بغداد، ٢٠٠٤، ص ٩.
٢. الجادر.وليد، "صناعة التعدين"، حضارة العراق، ج ٢، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٤٠.
- المعماري.رعد سالم محمد جاسم، الأحجار والمعادن في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة أجازت من قسم الآثار-كلية الآداب-جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ص ١٠٣، ص ١١٠.
٣. قسم الباحثون العصور الحجرية الى عدة تقسيمات رئيسة وثنوية وذلك بالاعتماد على نوع وأشكال الآلات والأدوات وطبيعة المادة التي صنعت منها فضلا عن نمط المعيشة للمدة الزمنية التي شغلها ومن هذه التقسيمات هي العصر الحجري (Stone Age) والعصر البرونزي (Bronze Age) والعصر الحديدي (Iron Age) والأكثر من ذلك هناك تقسيمات أخرى على أساس المدة الزمنية مثل العصر الحجري المعدني الأول والثاني والثالث وهكذا. ينظر لمزيد من المعلومات: حجارة .أسماعيل حسين، المصدر السابق، ص ٩.
٤. السعدي.رائد حميد رشيد، الآثار المعدنية من عصر فجر السلاطات ،رسالة ماجستير غير منشورة أجازت من قسم الآثار -كلية الآداب-جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص ج.
٥. المعروف أن بلاد الرافدين كانت تفتقر الى المعادن التي استعملت منذ المراحل الأولى لهذه الصناعة لذلك كانت تستورد من مصادرها الأصلية ولاسيما البلدان والأقاليم المجاورة مثل شمال إيران وبلاد الأناضول ومناطق الخليج العربي مثل مكان (ربما عمان الحالية) وميلوخا (ربما بلاد السند) فعلى الأرجح أن صناعة التعدين ظهرت في هذه المناطق ثم وصلت الى بلاد الرافدين مع الصلات الحضارية والتجارية. ينظر: لاوي.سليم، المعادن وأول المستعمل منها في هذه البلاد "، سومر، مجلد ٢، بغداد، ١٩٤٦، ص ٩١.

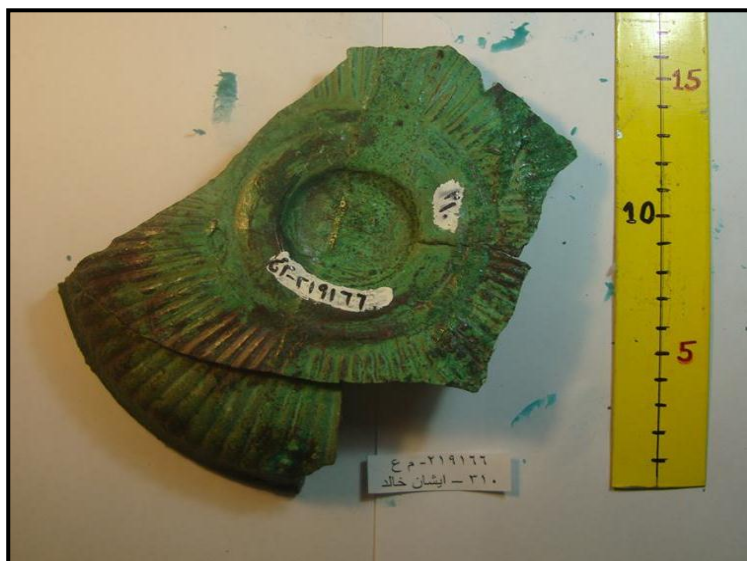
٦. ليفي .مارتن، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، ترجمة وتعليق محمود فياض وآخرون، بغداد، ١٩٨٦، ص٢٤٧. وكذلك: أوبنهايم. ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد، ١٩٨١، ص٤٨.
٧. يقع موقع أيشان خالد في مدينة الشامية ضمن محافظة القادسية حيث نقت في هذا الموقع بعثة آثارية من دائرة الآثار والتراث برئاسة محمد يحيى راضي خلال موسمين عام (٢٠٠٧ و٢٠٠٩) ينظر: أبو الشون. سماح صالح، الفخار الفرثي دراسة فنية آثارية، رسالة ماجستير غير منشورة أجازت من قسم الآثار- كلية الآداب- جامعة بغداد، ٢٠١٤، ص٧٢. وكذلك: راضي. محمد يحيى، التقرير النهائي عن نتائج تنقيبات موقع أيشان خالد- محافظة القادسية الموسم الثاني، ٢٠٠٩، ص٢.
٨. الهيئة العامة للآثار والتراث (السجلات)، سجل حفريات تل أيشان خالد- محافظة القادسية (التسلسل ٢)، رقم السجل ٢١٧/٢، بغداد، ٢٠٠٩، رقم القطعة ٢١٩١٦٦ م ع.
٩. المصدر نفسه، رقم القطعة المتحفى ٢١٩١٦٧ م ع.
١٠. المصدر نفسه، رقم القطعة المتحفى ٢١٩١٦٨ م ع.
١١. المصدر نفسه، رقم القطعة المتحفى ٢١٩١٧٠ م ع، ورقم القطعة المتحفى ٢١٩١٧١ م ع.
١٢. المصدر نفسه، رقم القطعة المتحفى ٢١٨٩٣٨ م ع.
١٣. الهيئة العامة للآثار والتراث (السجلات)، سجل حفريات تل أيشان خالد- محافظة القادسية، قضاء الشامية، بغداد، ٢٠٠٧، رقم القطعة المتحفى ٢٠٩٢٢٦ م ع.

الجدول (١)/

الشكل	المادة	نوع القطعة	القياسات	المعثر	الرقم المتحفي
١	نحاس	آناء (صينية)	القطر ٢٠ سم السمك ٥ سم	رابية رقم ١ المربع J- 8 قبر رقم ٦	٢١٩١٦٦ م ع
٢	نحاس	آناء (صينية)	القطر ٢٠ سم السمك ٧ سم	رابية رقم ١ المربع J- 8 قبر رقم ٥	٢١٩١٦٧ م ع
٣	نحاس	قدح	الارتفاع ٨ سم قطر الفوهة ٥ سم قطر القاعدة ٤ سم	رابية رقم ١ المربع J- 8 قبر رقم ٥	٢١٩١٦٩ م ع (٢٠١)
٤	نحاس	دلو صغير	الارتفاع ١٥ سم قطر الفوهة ٧,٦ سم سمك الحافة ٥ سم	رابية رقم ١ المربع J- 8 قبر رقم ٦	٢١٩١٧١ م ع
٥	نحاس	دلو صغير	الارتفاع ١٤ سم قطر الفوهة ٦,٥ سم سمك الحافة ٥ سم	رابية رقم ١ المربع J-8 قبر رقم ٥	٢١٩١٧١ م ع
٦	نحاس	جرة صغيرة	الارتفاع ١٣ سم قطر الفوهة ٥ سم سمك الحافة سم	رابية رقم ١ المربع A-73 قبر رقم ٢٥	٢١٨٩٣٨ م ع



صورة ١



صورة ٢



صورة ٣



صورة ٣



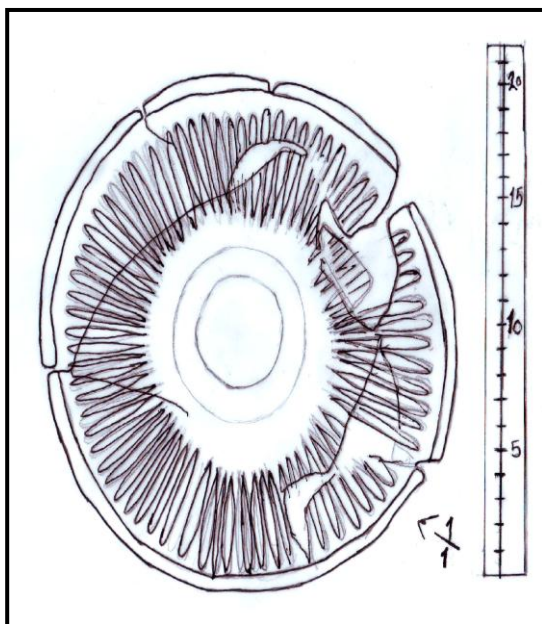
صورة ٤



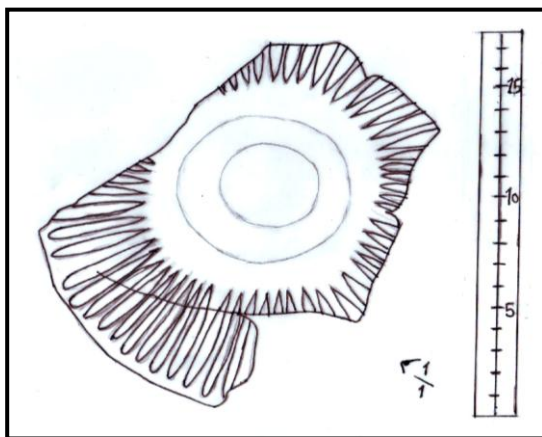
صورة ٦



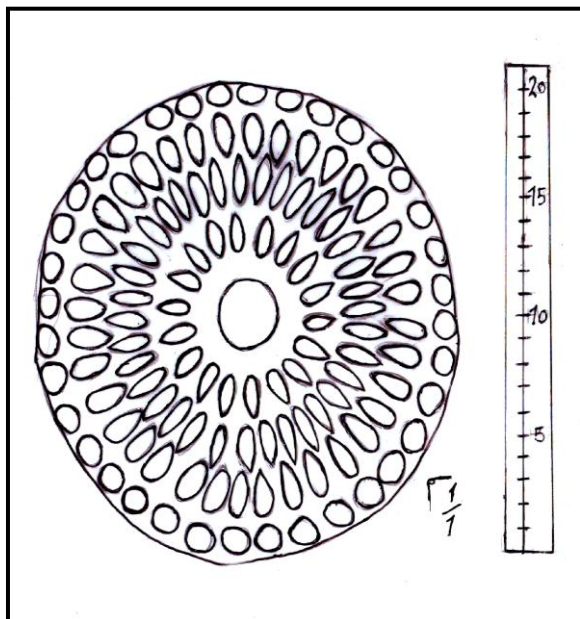
صورة ٥



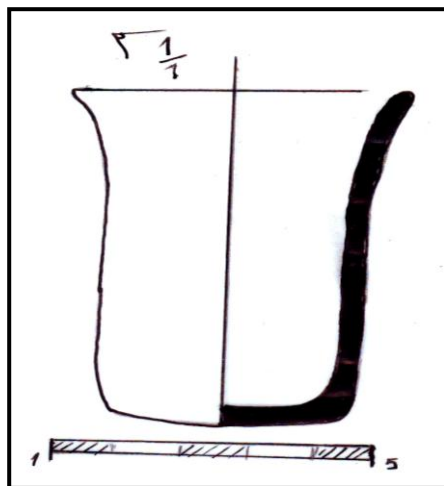
شكل ١ (الوجه) (الباحث)



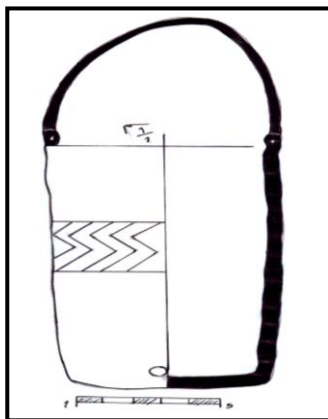
شكل ٢ (القفا) (الباحث)



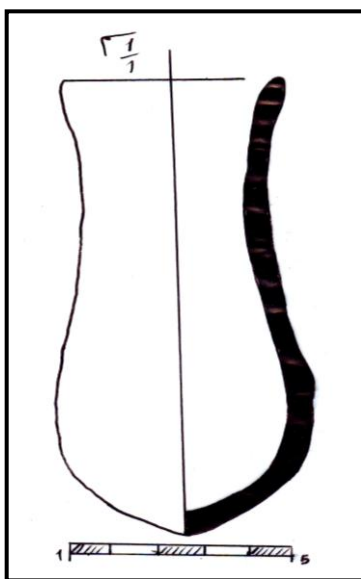
شكل ٣ (القفا) (الباحث)



شكل ٤ (الباحث)



شكل ٥ (الباحث)



شكل ٦ (الباحث)

ابن أبي الحديد، وكتابه شرح نهج البلاغة

د. رحيم فرحان صدام

الفصل الأول

لعل من المفيد القول في البدء الحديث إن ابن أبي الحديد قد حظي بأهتمام جمهرة واسعة من المؤرخين والباحثين المحدثين إذ تناوله هؤلاء بالبحث والدراسة، وتناولوا جوانب حياته وسيرته العلمية وعصره، وفصلوا فيها، وأماطوا اللثام عن كثير من جوانب الغموض التي تكتنفها، ولذلك فإن الدراسة الحالية ستكتفي بعرض موجز عن أبرز مسارات حياته وتوجهاته وميوله، حفاظا على وحدة العرض التاريخي من جهة، ولأن في حوزة الدراسة توضيحات لأحد أهم مساراته الفكرية ونقصد عقيدته، إذ لم نلمس من خلال تراجمه التي خصها له هؤلاء توغلا في عمق كينونة عقيدته التي فصلها هو في مقدمة سفره الذائع الصيت (شرح نهج البلاغة) من جهة، وفي تضاعيفه من جهة أخرى.

المبحث الأول

ابن أبي الحديد، حياته وعصره

إن حياة ابن أبي الحديد قد أشبعت بحثاً لذلك لن نقف طويلاً عندها ولن نأتي بجديد عنه وإنما ذكرنا هذا الفصل كتمهيد للبحث، وأهم من تناول ابن أبي الحديد بالدراسة هو محمد أبو الفضل إبراهيم عندما حقق شرح ابن أبي الحديد نهج البلاغة^(١) ثم دار في فلكه عدد من الباحثين الذين لم يأتوا بجديد بعده وبالنسبة لعقيدته سيكون القول الفصل فيه لابن أبي الحديد نفسه ومن خلال شرح النهج نفسه، وليس كتبه الأخرى لأنه وضح عقيدته في مقدمة الكتاب وفي أثناء شرحه للنهج.

١ - اسمه ونسبه وولادته وأسرته وعقبه

هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، لم يرد في مصادر ترجمته أية معلومات عن إنتمائه القبلي، وإذا ما كان ينحدر من أصول عربية أو أعجمية، إذ اكتفت المصادر بذكر الموطن (المدائن) من غير ذكر أصله، وهذا يؤثر ولا شك غموضاً يصعب على الباحث أن يبيد رأياً محدداً، وإن كان الميل أكثر نحو الرأي الثاني (الأصل الأعجمي)؛ لأنه لو كان عربياً أصالة أو موالاة لذكرها هو في سلسلة أسمائه، ومع ذلك يبقى هذا مجرد رأي في الوقت الحاضر ولا يمكن العلم به وربما يظهر في قادم الأيام والسنين ما يؤكد، أو يخالف ما ذهبنا إليه، عندئذ يماط اللثام عن هذا الجانب الضبابي الذي يكتنف الأصل.

أما ما يخص كنيته، فقد أجمعت المصادر على أنه كني بابي (حامد)، ولا نعرف على وجه الدقة إذا هذه الكنية تخص أحد أبنائه، أو أنه كني بها جرياً على العرف الشائع الذي دأب عليه العرب والمسلمون آنذاك.

وفيما يخص ألقابه، فإن الدارس لسيرته حين يستعرض تراجمه في كتب التراجم يجد ثلاثة ألقاب:

الأول هو عز الدين، وهو اللقب التصق باسمه، ولعله عرف به منذ نشأته.

وأما اللقبان الآخران (الشيخ صاحب) و(صاحب الديوان)^(٢). فعلى الأرجح إن لهما علاقة وثيقة بالوظائف الكبيرة التي تقلدها في الدولة العباسية في عصره، وقد جاءت من مصاحبته للوزير الذائع الصيت مؤيد الدين ابن العلقمي^(٣)، ويبدو إن هذا التقليد قد شاع إطلاقه في الدولة مثلما لقب (ابن عباد) بـ (الصاحب) لصحبته (ابن العميد)^(٤).

والى جدّه الأعلى (أبي الحديد) عُزي عبد الحميد كما عُزي أخوه (موفق الدين)، فيقال لكلّ منهما (ابن أبي الحديد). " وهذه الكتب التي ترجمت لهذا الأخ أو ذاك لم تذكر شيئاً عن هذا الجد الأعلى الذي أضفى كنيته على عقبه البعيد، وظلوا يعرفون بها إلى الوقت الحاضر " ^(٥).

٢- ولادته:

اتفقت المصادر التي ترجمت لابن أبي الحديد على انه ولد في المدائن^(*) في ذي الحجة من سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠م)^(٦). لكنها لم تبين أي مكان في المدائن ولد.

٣- أسرته:

ولد ابن أبي الحديد في كنف اسرة دينية وأدبية نبغ فيها عدد من رجال العلم والحديث والقضاء فوالده أبو الحسن هبة الله، عمل مدرسا في المدرسة النظامية في بغداد، وهو أحد شيوخ الحديث في زمانه في بغداد والمدائن^(٧)، وقد تولى القضاء في مسقط رأسه المدائن، وكان يعد من خطبائها المعروفين، وأحد العدول الذي يلجأ إليه الرعية، وكان متفقهاً على المذهب الشافعي، وهبة الله كما يذكر كتاب التراجم ولد في سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م)، وتوفي في سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م)^(٨). وعلى الرغم من منزلته الدينية والعلمية فإن تراجمه تخلو من الإشارة إلى أثاره (مؤلفاته) وإما أخوانه فإن المصادر التي بين أيدينا تذكر أنهم ثلاثة إخوة وهم:

١- أبو البركات محمد بن هبة الله، الذي يصفه ابن الساعي بقوله: "كان فاضلاً أديباً موصوفاً بالذكاء، وكان عنده فضل غزير وكتابه ضبط تام،

ويقول الشعر..^(٩) . ولم تذكر لنا المصادر التاريخية سنة ولادته إلا أنها أشارت إلى وفاته في ليلة الحادي والعشرين من شهر صفر سنة (٥٩٨هـ/١٢٠١م) وعمره حينئذ أربعة وثلاثين سنة، وبذلك يحتمل إن ولادته في سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م)، وقال ابن الديبشي (ت ٦٣٧هـ) عنه: "تولى عدة أشغال تتعلق بخدمة المخزن المعمور وكان معلماً بالمدرسة النظامية أيام نظرنا في أوقافها"^(١٠) . وقد دفن في مشهد الإمام موسى بن جعفر (ع) بعد وفاته^(١١) .

٢- **عبد اللطيف** : وهو من المتفقيين على المذهب الشافعي، وصف بالفضل، وكان له نظر في علم الكلام والأدب^(١٢) . لم تذكر المصادر سنة ولادته ولا سنوات مدة عمره عند وفاته، لكنها تذكر وفاته في ليلة الثامن من شهر ربيع الأول سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م) في حياة أبيه، وقد دفن في مشهد الإمام موسى بن جعفر (ع) جنب أخيه محمد^(١٣) .

٣- **موفق الدين أحمد**، المكنى بأبي المعالي، القاسم. ولد بالمداين سنة (٥٩٠هـ/١١٩٣م)^(١٤) ، وتولى القضاء فيها في أثناء خلافة الظاهر لدين الله (٦٢٢-٦٢٣هـ/١٢٢٥-١٢٢٦م)^(١٥) . ثم انتقل إلى بغداد، بعدها رحل إلى حلب للتدريس في مدرسة قاضي القضاة فيها كما يذكر ابن العديم ذلك وقد : "كان دمث الأخلاق حسن المحاضرة، طيب المفاكهة، اجتمعت به في مجلس الوزير أبي طالب ابن العلقمي وجرى بيني وبينه مباحثة في الفقه"^(١٦) . وأما عقيدته فالمصادر تذكر أنه كان أشعرياً^(١٧) على خلاف أخيه عبد الحميد الذي كان معتزلياً. وهذا ما جعل الأستاذ علي محيي الدين يقف فيه موقف المشكك، إذ يقول ما نصه : "لأن العداء كان مستحكماً بين الأشاعرة والمعتزلة، بينما الذي نعلمه من أحوال

الأخوين أنهما كانا على حال الود والوفاق قلّ أن يتفق لاثنين يختلفان
اختلافاً بيناً في العقيدة، كالاختلاف بين الأشاعرة والمعتزلة" (١٨).

تقلد أبو المعالي القاسم وظائف عدة منها كتابة ديوان الإنشاء للخليفة
المستعصم العباسي (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م)، و تولى أمر
خزائن الكتب مع أخيه عزّ الدين والشيخ تاج الدين ابن الساعي
(ت ٦٧٤هـ) بعد احتلال بغداد من قبل المغول (١٩).

توفي في جمادي الآخرة سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) بعد وفاة الوزير ابن
العلقي بنحو أسبوع، فرثاه أخوه عز الدين بأبيات قال فيها:

أبأ المعالي هل سمعت تأوهي	فلقد عهدتك في الحياة سميعة
عيني بكتك ولو تطيق جوانحي	وجوارحي أجرت عليك نجيعا
أنفأ غضبت على الزمان فلم تطع	حبلاً لأسباب الوفاء قطوعا
ووفيت للمولى الوزير فلم تعش	من بعده شهراً ولا أسبوعا
وبقيت بعدكما فلو كان الردى	بيدي لفارقنا الحياة جميعاً (٢٠)

وبذلك نستطيع أن نقول بأن ابن أبي الحديد قد نشأ في أسرة عربية كان
بعض أفرادها من رجال العلم والحديث والأدب، ومن متقليد القضاء والتدريس
والخطابة والكتابة في دواوين الدولة العباسية وعلى مذهب الإمام الشافعي (٢١).

٤- عقبيه:

على الرغم من أن المصادر لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى أولاده أو
أحفاده - إن وجدوا - إلا أننا نجد في مقدمة شعره في المناجاة عند خلواته ما يرجح
وجود صلة بأهله وولده إذ يقول: "ومن شعري أيضاً في المعنى وكنت أنادي به ليلاً
في مواضع مقفلة خالية من الناس بصوت رفيع وأجد قلبي أيام كنت مالكاً أمري مطلقاً
من قيود الأهل والولد وعلائق الدنيا" (٢١).

ومن يؤكد هذا الرأي إن ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ) يذكر أنه تزوج أرملة جندي ورزق منها بابين اسمه (غازي) ولقبه (فلك الدين)، وكان زواجه في أثناء تأليف كتاب (الفلك الدائر على المثل السائر) ^(٢٢)، وعمره وقتئذ في السابعة والأربعين لأن تأليفه لهذا الكتاب كان في سنة (٦٣٣هـ).

٥- مذهبه وعقيدته

اختلفت آراء المؤرخين في مذهب ابن أبي الحديد، فهي محل خلاف حتى يومنا هذا، فقسم يرى أنه معتزلي ^(٢٣)، وقسم آخر يذهب إلى القول انه كان شيعياً مغالياً ^(٢٤) وقسم ثالث يقول انه كان معتزلاً شيعياً، وقسم رابع ذهب إلى "عقيدته مرت في مرحلتين مختلفتين اختلافاً تاماً، كان في المرحلة الأولى من حياته شيعياً موعلاً في تشييعه، أما في المرحلة الثانية فكان معتزلياً موعلاً في اعتزاليته" ^(٢٥).

ان نظرة تحليلية فاحصة لعقيدة الرجل في ضوء قرائن متمعة لسيرته:

١- إن المدائن - على خلاف ما ذكره ياقوت الحموي - بأن غالبية أهلها من الشيعة الإمامية ^(٢٦). فهناك جماعات إسلامية من مذاهب أخرى على سبيل المثال أصحاب المذهب الشافعي، وقد بدا ذلك واضحاً في عائلة ابن أبي الحديد نفسه، إذ إن والده فقيهاً من فقهاء المذهب الشافعي ^(٢٧). وكذلك الحال مع أخوته الثلاثة، فإن أحدهم وهو أبو البركات محمد قد تقلد كتابة الوقف في المدرسة النظامية في بغداد ^(٢٨)، وهذه المدرسة لا تستقبل إلا من كان على مذهب الإمام الشافعي. أما أخوه الثاني عبد اللطيف فكان هو الآخر فقيهاً من فقهاء المذهب الشافعي ^(٢٩)، في حين نجد أن أخاه الثالث موفق الدين أبا المعالي كان أشعرياً ^(٣٠).

٢- إن بداية حياة ابن أبي الحديد الفكرية والعلمية كانت على يد والده فهو أستاذه الأول في الفقه والعلوم، ولا شك أنه غرس فيه عقيدة المذهب الشافعي وأصوله وإلى جانب ذلك، فإنه كان دائم الحضور طالباً في

المدرسة النظامية ببغداد في سنواته الأولى -كما ذكر بنفسه^(٣١)، فضلاً عن ملازمته لعلماء كبار من الحنابلة والشوافع وهو دون سن العشرين من عمره، كابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، وأبي حفص الدباس (ت ٦٠١هـ)، وعبد الوهاب ابن سكينة (ت ٦٠٧هـ)، وأبي يعقوب اللمغاني المعتزلي (ت ٦٠٦هـ) الذي اشتغل معه في علم الكلام، الذي على ما يبدو قد رسخ عنده فكرة الاعتزال وهو لم يبلغ العشرين من عمره.

٣- إن من يرى إلى أن ابن أبي الحديد كان شيعياً، جاء نتيجة لقراءاتهم للقوائد العلويات التي نظمها في سنة (٦١١هـ) للخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي كان يتشيع ويرى رأي الإمامية ويميل إلى مذهبهم^(٣٢). وبذلك يمكن عد نظمه لهذه القوائد سعياً للتقرب من الخليفة في حينها، وهذا هو منهجه، إذ نجده عندما يقوم بتأليف كتاب يهديه إلى الخزانة الشريفة للخليفة أو للوزير لغرض التقرب اليهم. فمثلاً عندما ألف كتاب (الفلك الدائر على المثل السائر) أهداه إلى خزانة كتب الخليفة المستنصر بالله العباسي^(٣٣)، وينطبق الحال على كتابه (حلّ سيفيات المتنبّي) والذي لم يكمله، فقد ضمنه عبارة يقصد التقرب إلى خزانة كتب الخليفة المستنصر بالله العباسي أيضاً^(٣٤). ولذلك نراه يمدح الخليفة الناصر لدين الله العباسي في إحدى القوائد العلويات ويجعله الآخذ بثأر الإمام الحسين بن علي (ع) بقوله:

تا الله لا أنسى الحسين وشلوه	تحت السنايك بالعرء موزع
ملتقاً حمر الثياب وفي غدٍ	بالخضر في فردوسه يتلقع
تطأ السنايك صدره وجبينه	والأرض ترجف خيفةً وتضعض
يأبى أبو العباس أحمد إنه	خير الورى من أن تطل ويمنع
فهو الولي لثأرها وهو الحمول	لعبئها إذ كل عود يضلّع

والده طوع والشيبية غضة والسيف غضب والفؤاد مشيع^(٣٥)

أما كتاباه (شرح نهج البلاغة) و(شرح الآيات البينات) فقد ألفهما وأهداهما إلى مكتبة الوزير ابن العلقمي الذي يصفه بالصادق له، وبسيد وزراء الشرق والغرب^(٣٦).

٤- نستنتج مما تقدم : إن ابن أبي الحديد كان شافعيًا في مذهبه، شأنه شأن والده وإخوانه. بدليل قبوله في المدرسة النظامية ببغداد التي لا تقبل فيها في الدراسة أو التدريس إلا مَنْ كان ينتمي إلى مذهب الإمام الشافعي، وعرف وأن حبه للإمام علي (ع) وأهل بيت الرسول (ع) في ضوء نظمه لأبياتٍ يذكر فيها ذلك الحبّ والهيّام فيهم هي التي سبّبت نعته بالشييعي المغالي المطبق، أو بالمعتزلي المتشيع. بل إن حبّ أهل البيت (ع) هو ديدن أغلب الفرق الإسلامية، و لا يقتصر على الشيعة فقط. ولا يمكن أن نعمم التشيع على كل محبٍ لهم، على سبيل المثال لا الحصر الحافظ الدار قطني (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥ م)، الذي قال عنه الخطيب البغدادي ما نصه : "كان أبو الحسن الدار قطني يحفظ ديوان السيد الحميري في جملة ما يحفظ من الشعر، فنسب إلى التشيع لذلك"^(٣٧). والحال نفسه مع الإمام النسائي (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥ م) الذي هو الآخر نعت بالشييعي^(٣٨) لتأليفه في خصائص الإمام علي (ع) . فضلا عن ذلك فإن ابن أبي الحديد قد أضاف الاعتزال إلى مذهبه، فنراه معتزلياً سنياً شافعيًا، وقد ذهب في الاعتزال مذهب البغداديين من المعتزلة، التي تذهب إلى تفضيل الإمام علي (ع) على غيره من الصحابة بقوله: "أما نحن فنذهب إلى ما يذهب اليه شيوخوا البغداديين من تفضيله (ع)"^(٣٩).

فمذهب الاعتزال الذي ذهب إليه ابن أبي الحديد يلاحظ في ضوء آرائه الاعتزالية التي عرضها في كتابه (شرح نهج البلاغة) إذ نلمس اعتزاليته ومناقضته

لآراء الشيعة وردّه على بعض آرائهم ومعتقداتهم التي لا تتماشى مع مذهبه. منها: ردّه الشيعة بشأن مسألة النص على إمامة الإمام علي(ع) مبيناً رأيه الاعتزالي في ذلك بقوله: "أمّا على مذهبنا فإنه لم يكن (ع) منصوباً عليه"^(٤٠). وقوله: "واعلم أنّ الآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً، ومن تأملها وأنصف علم انه لم يكن هناك نص صريح ومقطوع به لاتختلجه ومقطوع به لا تختلجه الشكوك ولا تتطرق إليه الاحتمالات كما تزعم الإمامية..."^(٤١).

وكذلك نراه يعرض مخالفته للشيعة في العصمة للأنبياء والأئمة. فبعد أن يشرح قول الإمام (ع) في نبي الله آدم (ع) يتساءل في بعض فقراته ما أورده بقوله: " أن يقال هذا الكلام من أمير المؤمنين (ع) تصريحٌ بوقوع المعصية في آدم (ع) وهو قوله " فباع اليقين بشكّه والعزيمة بوهنه" فما قولكم في ذلك؟ الجواب: أمّا أصحابنا فإنهم لا يمتنعون من إطلاق العصيان عليه، ويقولون: " إنها كانت صغيرة وعندهم أن الصغائر جائزة على الأنبياء عليهم السلام . أما الإمامية فيقولون: إن النهي كان نهياً تنزيه لا نهياً تحريم، لأنهم لا يميزون على الأنبياء الغلط والخطأ، لا كبيراً ولا صغيراً. وظواهر هذه الألفاظ تشهد بخلاف قولهم"^(٤٢).

فهاتان المسألتان هما من أهم المعتقدات التي تذهب إليها الإمامية من الشيعة، فنرى ابن أبي حديد يقف منها موقف النّدّ مدافعاً عن معتقده الاعتزالي في ذلك بكل ما أوتي من قوة. إضافة إلى تعرّضه لمسائل أخرى منها: إسلام أبي طالب، والقول في ولادة الإمام المهدي(ع)، وغيرها من المسائل الخلفية الأخرى.

واهم مسألة خالف ابن أبي حديد فيها الشيعة هي مسألة خلافة أبي بكر رضي الله عنه حيث قال: "اتفق شيوخنا كافة رحمهم الله المتقدمون منهم و المتأخرون و البصريون و البغداديون على أن بيعة أبي بكر الصديق بيعة صحيحة شرعية".^(٤٣) مما يدل على تسننه وهو كما صرح بأنه معتزلي، ويرى الأستاذ علي محيي الدين بأنه "كان عالماً حرّ الفكر، سمحاً في عقيدته، نبيلاً في خصومته، ومن حقه علينا أن

نسجل له بالإكبار - إنه كان قليل الاحتفال بالخلافات المذهبية الشائعة في عصره، وقبل عصره، وأنه لم يتعصب لمذهب بعينه، وإذا كان قد اضطر إلى الدخول في جدل مع بعض الفرق والأشخاص فإن ذلك لم يكن حباً في الجدل، أو طلباً للحاجة والخصومة، وإنما كان رائده طلب الحق حيثما كان" (٤٤).

ولكنه كان شديد التكلف والتمحل في تبرير، وتصحيح بعض الأخطاء والحروب التي ارتكبها خصوم الإمام علي (ع) كأدعائه ان السيدة عائشة قد تابت عن حربها في معركة الجمل وإنها نتيجة ذلك من أهل الجنة (٤٥). وهي مسائل خالف فيها في عقيدتهم لا سيما في خلافة أبي بكر وهو دليل قاطع على تسننه ومع ذلك فهو يعتقد بأفضلية الإمام علي (ع) على أبي بكر وعمر وعثمان بل أفضل من الصحابة قاطبة (٤٦).

٦- وفاته

ذكرت اغلب المصادر والمراجع أن ابن أبي الحديد توفي في بغداد في سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) (٤٧). وهو خطأ وقع فيه كثير من المؤرخين، والصحيح هو أن ابن أبي الحديد، كان قد توفي في سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م). فابن الفوطي " المؤرخ العراقي البغدادي الذي هو أعلم من غير العراقيين بأحوال العراقيين المعاصرين" (٤٨). كان قد نص في " الحوادث الجامعة" على أن ابن أبي الحديد كان ممن توفي بعد الواقعة إذ قال: " توفي الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي في جمادى الآخرة ببغداد، وتوفي علم الدين أحمد أخوه بعده، والقاضي موفق الدين أبو المعالي القاسم ابن أبي الحديد المدائني في جمادى الآخرة، فعاش عز الدين بعد أخيه أربعة عشر يوماً" (٤٩).

٧- سيرته العلمية وعطاؤه

إن المتأمل في السيرة العلمية للرجل، وما قدمه في أثنائها من نتاج فكري وجهد علمي يصل إلى يقين لا جدال فيه على سعيه الدؤوب في تحصيل العلم وتعليمه، وهذا لم يكن يتحقق إلا برعاية أسرته التي أحاطته برعايتها ووفرت له فرصة لقاء الشيوخ في مختلف فروع العلم من فقه ولغة وأدب، ولعل قائمة الشيوخ الذين نهل من

علومهم الدينية واللغوية أفصح دليل على منزلة هذا الرجل ومكانته العالية في العلوم التي تخصص فيها، وسنشير إلى أبرز الشيوخ الذين أخذ منهم على وفق الترتيب التاريخي لسنوات وفياتهم:

١- ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م)

وهو من شيوخ بغداد الكبار، واحد العلماء الموسوعيين في زمانه ^(٥٠). وهو علم غني عن التعريف، وذكر ابن أبي الحديد ^(٥١) انه أجازه في رواية احد الأحاديث على الرغم من صغر سنه في تلك الفترة وقد استشكل احد الباحثين ذلك ^(٥٢).

٢- عمر بن عبد الله الدباس البغدادي الشافعي (ت ٦٠١هـ / ١٢٠٤م)

ولد سنة (٥٦٥هـ / ١١٦٩م)، ولكن لا يعرف مكان ولادته، أثنى عليه السيوطي بأنه كان " من أظرف الشباب وأجملهم وأحسنهم لباساً، وأطفهم خلقاً وعشرة" ^(٥٣)، حتى يمكن للباحث القول إن العز كان قد أخذ منه صديقاً بعدما كان قد أتخذه أستاذاً، ولاسيما أنهما كانا يحضران معاً سماع حديث رسول الله (ص) على الشيخ الصوفي الشهير عبد الوهاب بن سكينة (ت ٦٠٧هـ / ١٢١٠م) ^(٥٤) والمرجح أن ابن أبي الحديد كان قد درس على يد شيخه هذا النحو واللغة ^(٥٥). إذ كان الدباس قد برع في النحو واللغة ^(٥٦).

٣- أبو الخير مصدق بن شبيب بن الحسين الواسطي (ت ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م)

ولد بواسط سنة (٥٣٥هـ / ١١٤٠م) ^(٥٧) وصحب منذ صغره الشيخ الزاهد، صدقة بن الحسين (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م)، وأقام برباطه، فقرأ عليه القرآن وشيئاً من النحو، وسمع منه الحديث ^(٥٨).

قدم إلى بغداد ^(٥٩)، وقرأ الأدب بها على ابن الخشاب (ت ٥٦٧هـ / ١١٧١م) وعلى ابن العصار (ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م) وعلى أبي البركات عبد الرحمن ابن محمد الانباري (ت ٥٧٧هـ / ١١٨١م) وابن الجواليقي (ت ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م). وقد حصل له معرفة النحو حتى صار يشار إليه مع ما كان عنده من علم الفرائض وقسمة التركات

واللغة العربية" ^(٦٠)، و" طلب الأدب حتّى برز فيه" ^(٦١) و" تخرج به جماعة من أهل الأدب" ^(٦٢) و" جماعة من أولاد الأعيان" ^(٦٣) كما وحدث ببغداد وواسط" ^(٦٤).

٤- أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمغاني (ت ٦٠٦هـ / ١١٢٩م)

ولد في لمغان ^(٦٥) سنة (٥١٨هـ / ١١٢٤م) ^(٦٥)، و كان من أسرة علمية معروفة بالعلم والفضل، أثنى عليه ابن الساعي بقوله: " الفقيه الحنفي محلة ومذهباً تفقه على أبيه وعمه وكانت له معرفة بالمذهب والخلاف والكلام على مذهب أهل العدل [والتوحيد]" ^(٦٦).

وقال عنه الذهبي: " الفقيه الحنفي، كان عارفاً بالمذهب والخلاف والكلام على طريقة أهل العدل [والتوحيد]" ^(٦٧). وذكره ابن كثير قائلاً: " أحد الاعيان من الحنفية ببغداد، وكان معتزلياً في الاصول، بارعاً في الفروع، أشغل على أبيه وعمه وأتقن الخلاف وعلم المناظرة" ^(٦٨).

وقال عنه تلميذه ابن أبي الحديد: " ولم يكن يتشيع وكان شديداً في الاعتزال" ^(٦٩).

٥- ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن بن علي بن سكينه البغدادي الشافعي (ت ٦٠٧هـ / ١٢١٠م) ^(٧٠)

ولد في بغداد سنة (٥١٩هـ / ١١٢٥م) ^(٧١)، وكان قرأ القرآن بقراءاته المختلفة على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي سبط الشيخ أبي منصور الخياط (ت ٥٣٧هـ / ١١٤٢م)، وأبي الحسن بن محموية (ت ٥٥١هـ / ١١٥٦م)، وعلى الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م)، وصاحب الامام السمعاني (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م) ببغداد، ورافق أيضاً الحافظ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ^(٧٢)، وكان أحد أصحاب ابن الجوزي، إذ كان من جلساء مجلسه الملازمين ^(٧٣).

وقد سمع الحديث من خلق كثير، منهم أبوه، وجده لأمه صدر الدين أبي البركات إسماعيل شيخ الشيوخ (ت ٥٤١هـ / ١١٤٦م)، وقرأ الأدب على ابن الخشاب

(ت ٥٦٧هـ/ ١١٧١م)، وحدث بمكة والمدينة وبغداد والشام ومصر وخرج له تلميذه ابن النجار (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) مشيخة في جزآين^(٧٤).

وأثنى عليه المنذري بقوله: "كان من الصالحين والعباد العاملين لازماً لطريقة السلف الصالح"^(٧٥)، ووثقه الذهبي بقوله: "وكان ثقة صحيح الاصول فهماً ذكياً ذا سكينة ووقار"^(٧٦)، وقال عنه ابن كثير: "سمع الحديث كثيراً وأسمعه ببلاد شتى"^(٧٧). وكان ابن أبي الحديد قد أخذ عنه علم الحديث في شرح نهج البلاغة^(٧٨). توفي ابن سكينة ببغداد سنة (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)^(٧٩).

٦- فخر الدين أبو محمد إسماعيل بن عليّ البغدادي الأزجي المأموني (٦١٠هـ/ ١٢١٢م)

ولد في بغداد سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)^(٨٠). قال عنه الذهبي: "كان بارعاً في الفقه، والجدل، ومسائل الخلاف، فصيحاً، مناظراً، صنف تعليقة في الخلاف، وكان يقرئ العلوم في منزله"^(٨١).

وقال عنه أيضاً: "كان يُضرب به المثل في المناظرة"^(٨٢) وقد اظهر ابن أبي الحديد تأثراً بهذه الناحية من نواحي شخصية شيخه العلمية وقد وصفه بالقول: "وكان الفخر إسماعيل بن عليّ هذا مقدم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف ويشغل بشيء في علم المنطق، وكان حلو العبارة، وقد رأيته أنا وحضرت عنده، وسمعت كلامه"^(٨٣).

ولد بالبصرة سنة (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)^(٨٤)، كان نقيب الطالبين ثم تركها إلى ولده^(٨٥)، ليغادر بعدها إلى بغداد^(٨٦).

مدح الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٧٩-١٢٢٥م) بقصائد^(٨٧)، ونالت استحسان الخليفة لذلك قربه وجعله من جلسائه^(٨٨)، ولا عجب في ذلك، فلقد كان أبو جعفر بن أبي زيد، وكان شاعراً مقتدرًا، امتاز شعره بالجودة^(٨٩)، والرقّة^(٩٠)، وصدق العاطفة، هذا فضلاً عن أنه كان عارفاً بالأدب والأنساب، وأيام العرب وأشعارها^(٩١)، الأمر الذي أهله لأن يكون من جلساء الخليفة حقاً^(٩٢).

كانت العلاقة بين عبد الحميد بن أبي الحديد وبين استاذة أبي جعفر بن أبي زيد علاقة وطيدة إذ لازم الطالب الشيخ زمناً طويلاً، فأفاد منه كثيراً ونهج منهجه في الجدل والحجاج^(٩٣).

توفي ابن أبي زيد في سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م)^(٩٤). وقال في حقه عبد الحميد بن أبي الحديد: "وكان رحمه الله على ما يذهب اليه من مذهب العلوية منصفاً وافر العقل" ^(٩٥).

٨- محب الدين أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله العكبري (ت ٥١٦هـ/١٢١٩م)

ولد ببغداد سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م)^(٩٦)، وقد تفقه على المذهب الحنبلي وكان على حد تعبير المنذري: "جامعاً لفنون من العلم وله تصانيف مفيدة مشهورة"^(٩٧)، ومن هذه التصانيف:

١- إعراب القرآن الكريم

٢- إعراب الحديث

٣- التكملة في النحو

٤- التلقين في النحو

٥- شرح شعر أبي الطيب المتنبي

من خلال عناوين كتبه يبدو أن أبو البقاء العكبري، كان عالماً بالنحو واللغة والأدب والبلاغة والقرآن الكريم والحديث الشريف^(٩٨). ولكن الغالب على علمه كان هو النحو على ما يظهر^(٩٩). ويبدو أن ابن أبي الحديد كان قد درس عليه الأدب^(١٠٠).

٩- أبو محمد قريش بن السبيع بن المهنا العلوي الشريف (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م)

ولد بالمدينة المنورة سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م)^(١٠١)، وقدم بغداد صبيّاً، واستوطنها، وسمع بها كثير من العلماء، وعُني بالحديث، وطالع كثير من الكتب^(١٠٢) ويعد "أحد مشاهير المحدثين الثقاة"^(١٠٣).

١٠- شمس الدين أبو عليّ فخر بن معدّ بن فخر الموسوي الحائري الموسوي (ت ١٢٢٢هـ/١٢٢٢م)

له العديد من الكتب منها: الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب (١٠٤) صنف " الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب - ط " وأرسله إلى ابن أبي الحديد، شارح نهج البلاغة، وكان معاصراً له، فكتب على ظهره: ما يؤذن بمدح أبي طالب من غير أن يصرح بإسلامه، وكان ابن أبي الحديد لا يقول بإسلام أبي طالب، والروضة في الفضائل والمعجزات (١٠٥)، والمقباس في فضائل بني العباس (١٠٦).

و مما تحصل له من العلوم والمعارف اثناء تتلمذه على يد مشايخ عصره، توافد عليه طلبة العلم من كل حذب وصوب لينهلوا من علومه ومعارفه، ومما يؤكد ذلك ان ثلاثة من ابرز العلماء قد اجتمعوا به واقتدوا به واخذوا عنه وهم:

١- سديد الدين أبو المظفر يوسف بن عليّ بن المطهر الحلي (ت القرن السابع الهجري)

مدحه ابن حجر العسقلاني بقوله: " كان رأس الشيعة الإمامية في زمانه. وله معرفة بالعلوم العقلية وصنف كتاباً في فضائل عليّ (2) (١٠٧).

وقال عنه: صاحب منتهى المقال في أحوال الرجال " كان مدرساً فقيهاً عظيم الشأن.. جلالتة أشهر من أن يذكر.. وهو من مشايخ ولده العلامة [ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م]... وقد أكثر [ولده العلامة] من النقل عنه في كتبه " (١٠٨).

٢- تاج الدين أبو طالب عليّ بن أنجب بن عثمان بن عبد الله البغدادي المعروف بابن الساعي (ت ١٢٧٤هـ/١٢٧٥م)

ولد ببغداد سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م) (١٠٩). قال عنه الذهبي: " هو الإمام المؤرخ البارع... خازن كتب المستنصرية وصاحب التصانيف، صحب ابن النجار (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٤م)، سمع من جماعة وذيل على الكامل لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) وعمل تاريخاً لشعراء زمانه و(مناقب الخلفاء) و(تاريخ الوزراء) و(تاريخ نساء الخلفاء) و(سيرة الخليفة الناصر) وغير ذلك (١١٠).

وقال الدكتور مصطفى جواد (ت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) عن رغبة ابن الساعي الشديدة في التاريخ " ودرس ابن الساعي الادب وعنى بالتاريخ عناية تامة. وخالط أرباب الدولة العباسية، وألف بأسمهم كتب التاريخ والأدب " (١١١). وقال أيضاً: " وقد ألف ابن الساعي كتباً عدة أكثرها في التاريخ وقد وصفوا جملتها بأنها وقر بعير (١١٢). وقال أيضاً بعدما استعرض جملة من مؤلفاته: " ومن يتأمل أسماء هذه التأليف يوقن بأن ابن الساعي كان من كبار المؤرخين، ولذلك كثرت النقول من تواريخه " (١١٣). وقد أورد الدكتور مصطفى جواد في مقدمته التي قدم بها لكتاب (الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير)، ستة وثلاثين كتاباً في مختلف العلوم والفنون وهذه مجموعة منها :

١- أخبار الحلاج

٢- أخبار قضاة بغداد

٣- أخبار الوزراء

٤- تاريخ نساء الخلفاء من الحرائر والاماء

٥- الروض الناظر في أخبار الامام الناصر

٦- نزهة الأبصار في معرفة نقباء الأسرة الأطهار (١١٤)

وغيرها من الكتب.

٣- شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدماطي (ت ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م)

ولد بدمياط سنة (٦١٣هـ/ ١٢١٦م) ونشأ فيها (١١٥). وهو فقيه وعالم اصول، وحديث ونسابة و أديب (١١٦).

وصفه الذهبي - وهو تلميذه/ قائلاً: " كان صادقاً حافظاً متقناً جيد العربية غزير اللغة واسع الفقه رائداً في علم النسب ديناً كيساً متواضعاً بساماً محبباً إلى الطلبة مليح الصورة نقي الشبهة كبير القدر " (١١٧).

وكانت الرحلة بغية طلب العلم عموماً، وعلم الحديث خصوصاً، ديدنه، فرجل مطوّفاً في كبريات الحواضر العربية الإسلامية، وكانت أهم المدن التي رحل إليها:- الإسكندرية، والقاهرة، وحلب، وماردين، وبغداد، وحران^(١١٨).

وقد أَلَفَ كتباً عدة في مواضيع عدة، منها:

١- الإسناد في حديث أهل بغداد

٢- التسلي والاعتباط بفوات من تقدم من الإفراط

٣- كتاب الخيل

٤- السراجيات الخمسة

٥- كتاب الصلاة الوسطى

وفيما يخص تتلمذه على شيخه ابن أبي الحديد، فقد ذكر الذهبي، وهو تلميذ الدميّاطي، أن ابن أبي أبي الحديد، كان من شيوخ الدميّاطي، إذ قال عنه: " وهو [عبد الحميد بن أبي الحديد] من شيوخ الدميّاطي))"^(١١٩).

ولقد كان لابن أبي الحديد " ديوان مشهور، روى عنه الدميّاطي)"^(١٢٠).

٨- أشاره (مؤلفاته)

كثير عناونات الكتب صنفها عبد الحميد والتي تدل على تنوع معارفه وعلومه، إذ ترك نتاجاً تأليفياً أكد علو كعبه في الموضوعات التي بحث فيها، فهو لم يحصر اهتمامه بحقل معرفي معين، انما وجه جهوده لولوج حقول فقهية ولغوية وأدبية ليس من اليسير الكتابة فيها، إذ أن نظرة سريعة عناونات الكتب التي صنفها تؤكد على ذلك، وقبل استعراض، لا بد من التنويه على أن المصادر لم تذكر النتاج التأليفي الكامل للرجل مما دفع احد الباحثين إلى إحصاء ما يرد في التراجم من عناونات منسوبة له في أثناء مقدمته^(١٢١) على شرح نهج البلاغة ومع ذلك فأن هذا الجهد لم يستوف نتاج عبد الحميد، فلم يحص إلا ستة عشر كتاباً، وقد بادر عدد آخر من

الباحثين إلى إتمام الجهد السابق، مما أضاف أربعة عشر كتاباً آخر ليصبح العدد ثلاثين كتاباً، سنذكر على الترتيب الهجائي :

١- الاعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشريعة : وهو شرح لهذا الكتاب الذي ألفه الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م) (١٢٢).

٢- انتقاد المستصفى: وهو نقد لكتاب المستصفى في الأصول للغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) (١٢٣).

٣- الحواشي على كتاب المفصل في النحو (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م) (١٢٤).

٤- شرح المحصل، وهو شرح لكتاب المحصل الكلامي للفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م) (١٢٥).

٥- شرح مشكلات الغرر: لإبي الحسن محمد بن عليّ البصري (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م)، وقد أوضح فيه ما أشكل في الكتاب الكلامي المذكور وهو مفقود (١٢٦).

٦- شرح الآيات البينات (١٢٧).

٧- ديوان شعره (١٢٨).

٨- شرح نهج البلاغة : وهو أشهر كتبه (١٢٩)، ويعدّ شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة من أوسع شروح النهج واشملها ، ويقف اليوم في الاتساع والشمول بين شروح النهج في المرتبة الثانية بعد شرح المرزا حبيب الله الخوئي الذي سماه (منهاج البراعة) وهو تكرار لعنوان شرح الراوندي.

بدأ ابن أبي الحديد تصنيف كتابه في الأول من رجب سنة (٦٤٤ هـ) وفرغ منه في آخر صفر سنة (٦٤٩ هـ)، فأمضى أربع سنين وثمانية أشهر في تأليفه، وكان يقول : هي مدة حكومة الإمام علي (ع).

وذكر ابن أبي الحديد في مقدمته: أنّه صنف هذا الكتاب المشتمل على عشرين جزءاً، وأهداه إلى وزير الخلافة العباسي آنذاك ابن العلقمي (١٣٠).

ولعل أهم ما امتاز به شرح ابن أبي الحديد :

أولاً: كان يورد في البداية نصّ الخطبة الذي يعد اليوم من المراجع في معرفة نسخ نهج البلاغة، ويقسم الخطب، والكتب الطويلة أقساماً، ثم يشرح كل قسم بعد ذكره.

ثانياً: يصدر شرحه بإيضاح الكلمات وشرح معاني المفردات ثم يعرب ما استغلق إعرابه، ثم يذكر تصريف بعض الكلمات الغامضة أو الغريبة، ثم يأتي بالمسائل البلاغية مع الاستشهاد بالقرآن، أو الحديث النبوي الشريف، أو الشعر.

ثالثاً: يستطرد في كثير من المواضع لذكر موضوعات تاريخية ذات صلة بأحداث الخطبة التي يشرحها، ويعد اهتمام ابن أبي الحديد بالتاريخ سبباً كبيراً في اتساع متن شرحه ولولا ولعه بالتاريخ لما بقي من شرحه النهج إلا ثلثه أو أقل من ذلك. ومن أهم مسائله التاريخية، ذكر مناسبة الخطبة، أو مكان إلقائها، وترجمة أهم شخصياتها وغير ذلك من المسائل.

رابعاً: عني في شرحه بعدد المباحث الكلامية ذات الصلة بالخطبة التي يشرحها وفي هذه المباحث تتضح نزعة ابن أبي الحديد الاعتزالية، وتأثره بآراء الجاحظ، وكثيراً ما يظهر خلافاً للشيعية في مباحثهم الكلامية.

خامساً: يبدو ابن أبي الحديد في شرحه النهج ميالاً إلى الرد على القطب الراوندي في مسائله اللغوية والعقدية كافة، ومن يقرأ الجزء الأول من شرح ابن أبي الحديد يحسب انه ما ألف شرحه إلا للحط من منزلة الراوندي والتشنيع عليه، فكان يبادر إلى الإتيان بقول الراوندي، ثم إنكاره، ومخالفته، و الرد عليه حتى في المسائل الواضحة التي لا خلاف فيها^(١٣١).

- ٩- العبقريّ الحسان، وهو مجموعة من مختارات الكلام، والتّاريخ، والشّعر، ونظائرها (١٣٢).
- ١٠- الفلّك الدّائر على الملك السّائر الفه سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م، وهو نقد على كتاب « الفلك السّائر في أدب الكاتب والشّاعر » لابن الأثير الجزريّ (ت ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م) (١٣٣).
- ١١- أرجوزة في شرح عقيدة المعتزلة (١٣٤).
- ١٢- القصائد السّبع العلويّات أو السّبع العلويّات، وهي قصائد في مدح النّبي (٩)، وعليّ (ع)، وفتح خيبر، وفتح مكّة، واستشهاد الإمام الحسين (ع)، نظمها سنة (٦١١ هـ) (١٣٥).
- ١٣- نقض المحصول في علم الأصول، وهو نقد وردّ على كتاب «المحصول في علم الأصول» للفخر الرّازيّ (١٣٦).
- ١٤- تنمة نهج البلاغة (١٣٧): وهو الكلمات الألف القصار المنسوبة إلى الإمام علي بن أبي طالب (ع)، والتي جمعها ابن أبي الحديد شخصياً من دون أن يذكر مصادرها؛ وطبعت في آخر الجزء العشرين من شرح نهج البلاغة (١٣٨)؛ وهي التي لو لم يكن لابن أبي الحديد من أثرٍ سواها لكفاه ذلك فخراً على الأيّام؛ وإنما قيمتها العلمية تكمن في أن جامعها إنما هو الثقة عد الحميد بن أبي الحديد المدائني.
- ١٥- تقرير الطريقتين في أصول الكلام (١٣٩).
- ١٦- تلخيص نقض السفينانية (١٤٠).
- ١٧- حل سيفيات المتنبّي (١٤١).
- ١٨- رسائله الديوانية (١٤٢).
- ١٩- المستصرّيات (١٤٣).
- ٢٠- مناقضة السفينانية (١٤٤).

- ٢١- نظم فصيح ثعلب (١٤٥).
- ٢٢- نقض الأربعين للفخر الرازي (١٤٦).
- ٢٣- الوشاح الذهبي في العلم الأدبي (١٤٧).
- ٢٤- مقالات الشيعة (١٤٨).
- ٢٥- شرح الياقوت لابن نوبخت في الكلام (١٤٩).
- ٢٦- رسالة في التعزية بعثها إلى بعض أصدقائه (١٥٠).
- ٢٧- رسالة في اللذة والألم على مذهب الفلاسفة (١٥١).
- ٢٨- الرسالة النظامية (١٥٢).
- ٢٩- الرسالة الشرفية في كشف الفلسفة الحفية (١٥٣).
- ٣٠- زيادات النقضين (١٥٤).

٩- وظائفه الإدارية:

- تقلد عبد الحميد خلال سني حياته عددا من الوظائف الادارية المهمة، ويمكن إجمالها على النحو الآتي :
- ١- تولى وظيفة كاتب في دار الشريفات سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م) ثم كاتب في المخزن (١٥٥).
 - ٢- تولى وظيفة كاتب بالديوان ثم مشرف البلاد الحلية سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م) (١٥٦).
 - ٣- ثم كان خواجه للأمير علاء الدين الطبرسي ثم ناظر البيمارستان العضدي (١٥٧).
 - ٤- كان ضامناً - من دون ضمان وإنما بالأمانة - عوضاً عن الضامن الهارب جعفر بن الطحان ولكنه سرعان ما عزل عن وظيفته هذه لأنه لم يعمل شيئاً (١٥٨).
 - ٥- كان مشرفاً على خزائن الكتب في بغداد مع أخيه موفق الدين أبي المعالي وابن الساعي سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) (١٥٩).

المبحث الثاني عصر ابن أبي الحديد

- ١- الأوضاع السياسية
- ٢- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية
- ٣- الحركة العلمية

١- الأوضاع السياسية

حفلت الحقبة التي عاش في كنفها ابن أبي الحديد بأحداث مهمة، ففي طفولته استعادت الدولة العباسية بعض سلطاتها بعد القضاء على السلاجقة على يد الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) سنة (٥٩٠هـ/١١٩٣م)^(١٦٠). وفي مطلع شبابه ظهر المغول كقوة سياسية وعسكرية، فارضين سلطتهم على الواقع آنذاك لاسيما بعد قضائهم على الإمارة الخوارزمية سنة ٦٢٨ هـ. وتعقبهم لأقاليم ومناطق ومدن الدولة العربية الإسلامية، وتهديدهم المستمر للمناطق المجاورة لحاضرة الخلافة العباسية (بغداد) فضلا عن ذلك فقد رأى ابن أبي الحديد بأم عينيه تداعيات الخطر المغولي المهدد للإسلام والمسلمين، وما يقابله من إجراءات ضعيفة غير قادرة بالمرّة على إيقاف تقدمهم نحو المشرق الإسلامي، وإلى جانب ذلك فإن ابن أبي الحديد كان على مقربة من الفتن المذهبية، والاضطرابات الخطرة وكان العراق مسرحا لها ولا شك في أنه وغيره ممن عاشوا أحداثها، لم يلمسوا جدية الدولة العباسية في إيقافها أو الأقل الحد من تداعياتها على الرعية وهذا قد ترك أثرا عميقا وشرخا في بنية المجتمع العراقي.

ومما لا شك فيه، فإن قربه من مؤسسة الخلافة العباسية بحكم موقعه الوظيفي الرفيع ومعاصرته لأربع من الخلفاء العباسيين وهم الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م)، والخليفة الظاهر بأمر الله (٦٢٢-٦٢٣هـ/١٢٢٥-١٢٢٦م) والخليفة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) والخليفة

المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) قد منحه فرصة الأطلاق على الأوضاع السياسية والعسكرية لأكثر من خمسة عقود من الزمان على إن السنوات الأخيرة من حيلته كانت الأشد واقعا وتأثيرا على الساحة السياسية في العراق وبغداد خاصة، إذ انهارت مؤسسة الخلافة العباسية بعد أكثر من خمس قرون من الزمان، إذ آل صرحها الى خراب ودمار على يد المغول في أثناء دخولهم حاضرتها بغداد سنة ٦٥٦ هـ، وقتل آخر الخلفاء المستعصم بالله، ولعل تلك الأحداث المؤلمة قد عاصرها ابن أبي الحديد عن قرب، ولعل وصف ابن الطقطقي لحال الخلافة العباسية في عهد الخليفة الأخير إلا برهانا على تردي أوضاع العراق والحضارة بغداد إذ يقول ما نصه: "كان المستعصم رجلاً خيراً متديناً، لين الجانب، سهل العريكة، عفيف اللسان حمل كتاب الله تعالى وكتب خطأ مليحاً. وكان سهل الأخلاق، وكان خفيف الوطأة، إلا انه كان مستضعف الرأي، ضعيف البطش، قليل الخبرة بأمور المملكة، مطموعاً فيه، غير مهيب في النفوس، ولا مطلع على حقائق الأمور، وكان زمانه ينقضي أكثره بسماع الأغاني والتفرج على المساخرة، وفي بعض الأوقات يجلس بخزانة الكتب جلوساً ليس فيه كبير فائدة، وكان أصحابه مستولون عليه وكلهم جهال من أراذل القوم.." (١٦١).

٢- الحالة الاجتماعية والاقتصادية

ان نظرة سريعة في أحوال المجتمع أبان العصر الذي عاش فيه ابن أبي الحديد تشير إلى وجود طبقتين هما:

الأولى: الطبقة المترفة الغنية وعلى رأسها الخليفة وأتباعه من الأقرباء المتنفذين، ويتلوهم حواشيهم من الوزراء والقادة والأمراء والولاة وكبار الموظفين والطبقة الثانية وهي الطبقة العامة الفقيرة المعدمة، وتشتمل على غالبية المجتمع المنهمك بالصراع الديني والمذهبي (١٦٢).

والملاحظ أن الطبقة الأولى كانت تعيش في رخاء ونعيم لكثرة ما كان يجبي لها من الأموال عن طريق الضرائب التي كانت تؤخذ من الناس وهي متعددة. وكانت قصورهم تكتظ بالتحف والأواني الذهبية والفضية، وقد روى ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) أن

حريقاً عظيماً شبّ في دار الخلافة فأحرق من الأمتعة والرياش والسلاح والعتاد والمقتنيات الفاخرة ما بلغت قيمته أربعة آلاف ألف من الدنانير ^(١٦٣).
الطبقة الثانية وهي الطبقة العامة الفقيرة المعذمة كانت تعاني كثيراً من الضنك والضيق لكثرة الضرائب التي كانت تجبى منها، وقلة ما كان يعود عليها من الكسب، فضلاً عن ابتلائهم بأوضاع اقتصادية متدهورة من جرّاء الكوارث الطبيعية، منها كثرة الأمطار والفيضانات التي سببت غرق كثير من المحال وتلف كثير من الأمتعة والغلاف. وأورد ابن الفوطي في حوادث سنة (٦٤٦هـ) أن نهر دجلة قد فاض ونبع الماء من أساس حائط المدرسة المستنصرية وامتألت الطرق بالمياه، فلم يبق من دار إلا هدمها ولم يتمكن أحد من نقل شيء مما لديه سوى النجاة بنفسه، إذ وقعت الدور على ما فيها ^(١٦٤). ولذلك فلا غرابة أن تكون هذه الكوارث سبباً للقطط وغلاء الأسعار وتقشي الأمراض على نحو لم يكن باستطاعة الفقراء تحملها ^(١٦٥). ومما يؤكد ذلك أيضاً أن ابن الفوطي في أثناء استعراضه لحوادث سنة (٦٤٣هـ) يقول ما نصه انه "غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ الكرّ (*) من الحنطة تسعين ديناراً، ومن الشعير أربعين ديناراً، والتبن كلّ ألف رطل ^(١٦٦) بخمسة دنانير، وكان مع هذا لا يوجد في الأسواق إلا الخبز الفائق السمين" ^(١٦٧).

ولا شك في أن هذه الأوضاع المضطربة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً كان لها الأثر البالغ في المجتمع العراقي وبغداد وفي سقوط الدولة العباسية ذلك السقوط الرهيب أمام التتار المغول.

٣- الحركة العلمية

ازدهرت الحركة العلمية قبل الغزو المغولي لبغداد، إذ ظهرت إلى جانب المساجد مدارس لرواد العلم، وكان في هذه المدارس أساتذة وعلماء مختلفون يحاضرون في جميع العلوم. ومن أشهرها المدارس المدرسة النظامية ببغداد، التي كانت تشهد بين الحين و الآخر إضافات مهمة، فقد أمر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب فيها ورفدها بالكتب النفيسة ألوفاً لا يوجد مثلها ^(١٦٨). مما جعلها أشبه بجامعة كبيرة وإن كانت تقتصر في الدراسة والتدريس فيها على المذهب الشافعي. وإلى جانبها بنيت مدارس عدة في بقية المدن الإسلامية ^(١٦٩).

ولعل من مظاهر ازدهار الحركة العلمية في بغداد بناء المدرسة المستنصرية من قبل الخليفة المستنصر بالله العباسي ببغداد في سنة (٦٣١هـ) لتكون أعظم جامعة علمية ببغداد و"أول جامعة في العالم الإسلامي عُيّنت بدراسة علوم القرآن والسنة النبوية والمذاهب الفقهية وعلوم العربية والرياضيات وقسمة الفرائض والتركات ومنافع الحيوان وعلم الطب وحفظ قوام الصحة وتقويم الأبدان في آن واحد، كما إنها أول جامعة إسلامية جمعت فيها الدراسات الفقهية على المذاهب الإسلامية الأربعة في بناية واحدة هي مدرسة الفقه" (١٧٠).

وكان من آثار الحركة العلمية والفكرية في هذه الحقبة أن كثر عدد العلماء في كل علم مما حدا بعضهم إلى تأليف كتب في تراجم كل مجموعة على حدة. منها كتب للفقهاء، وكتب للمفسرين، وكتب للنحاة، وكتب الأطباء إلى غير ذلك من بقية العلوم الأخرى. وبذلك نرى بأنّ العقل كان نشيطاً خلاقاً مبدعاً حتى يمكن القول بأنه بلغ النشاط الفكري والثقافي الدرجة العالية من النضج.

وقد لمعت في هذا العصر شخصيات فكرية كبيرة، فكان من المؤرخين: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، وابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، وابن الديبثي، محمد بن سعيد (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، وابن النجار، محمد بن محمود بن الحسن (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، والقفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، وسبط ابن الجوزي، يوسف بن شمس الدين (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).

ومن الشعراء: ابن سناء الملك، هبة الله بن جعفر (ت ٦٠٨هـ/ ١٢١٢م) وابن الفارض، عمر بن علي بن مرشد (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م)، والبيهاء زهير، بن محمد بن علي (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وابن الساعي، علي بن أنجب (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م).

المبحث الثالث

موضوعات شرح نهج البلاغة

يعد الإمام علي (ع) الشخصية الثانية بعد رسول الله (ص) التي اهتم المسلمون بجمع خطبه ورسائله وقصار أقواله أو حكمه نظرا لبلاغته الرائعة التي تحاكي أسلوب القرآن الكريم أسلوبا ومضمونا بل إن خطبه ورسائله تضمنت كثير من المواضيع الدينية التي عالجت مواضيع بحثها علماء الكلام فيما بعد، كما تضمنت أيضاً خطب الإمام مواضيع سياسية وفكرية وفلسفية من دون استخدام المصطلحات الفلسفية، لأنها غير موجودة في عصره مما جعل بعض الإخباريين والمؤرخين والأدباء يتوجه ليدوينها اما في كتب مستقلة أو تخصيص أقسام مستقلة لها.

ومن أهم هذه المؤلفات التي سبقت نهج البلاغة :

١- خطب أمير المؤمنين على المنابر في الجمع والأعياد وغيرهما^(١٧١): لزيد بن وهب الجهني المتوفى سنة (٩٦ هـ/ ٧١٤ م) ويبدو أن هذا الكتاب أول كتاب جمع في كلامه (ع) لأن مؤلفه أسلم في حياة النبي (ص)، وهاجر إليه فبلغته وفاته صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الطريق، فهو معدود من كبار التابعين، سكن الكوفة وكان في الجيش الذي كان مع علي والذين ساروا إلى الخوارج. وكان الكتاب موجودا حتى منتصف القرن الخامس الهجري، إذ روى عنه الشيخ الطوسي صاحب الفهرست^(١٧٢).

٢- خطب أمير المؤمنين^(١٧٣): المروية عن الإمام الصادق (ع) : لأبي محمد مسعدة بن صدقة العبدي الكوفي.

٣- كتاب الخطبة الزهراء لأمير المؤمنين^(١٧٤) : هذا الكتاب من جملة كتب أبي مخنف لوط بن يحيى بن الازدي (ت ١٥٧ هـ/ ٧٧٤ م).

٤- خطب أمير المؤمنين^(١٧٥) : لأبي يعقوب إسماعيل بن مهران بن محمد السكوني الكوفي المتوفى بعد سنة (١٤٨ هـ / ٧١٥ م). وكان الكتاب متداولاً

- حتى القرن الخامس الهجري، وذلك لأن النجاشي^(١٧٦)، كان يروى عنه. وقد توفي النجاشي سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م).
- ٥- خطب أمير المؤمنين (ع) : للسيد أبي القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن علي الحسن الرازي (ت ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م)^(١٧٧).
- ٦- خطب علي (ع) : لإبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري المتوفى (ت ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م)^(١٧٨).
- ٧- خطب أمير المؤمنين (ع) برواية الواقدي (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م)^(١٧٩).
- ٨- خطب علي (ع) : لأبي الفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي (ت ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م)^(١٨٠).
- ٩- خطب علي كرم الله وجهه: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م)^(١٨١).
- ١٠- خطب علي وكتبه إلى عماله : لأبي الحسن علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م)^(١٨٢).
- ١١- خطب أمير المؤمنين عليهم السلام : لصالح بن حماد الرازي صاحب الإمام أبا الحسن العسكري (ع)^(١٨٣).
- ١٢- مائة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب : اختارها الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) من كلام أمير المؤمنين (ع) ، و توجد منها نسخ خطية تختلف تواريخ نسخها في غير واحدة من المكتبات الخاصة والعامة، منها عدة نسخ في مكتبة المتحف العراقي^(١٨٤).
- ١٣- رسائل أمير المؤمنين (ع) وأخباره وحروبه^(١٨٥) : لإبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي الكوفي (ت ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م).
- ١٤- الخطب المعربات (المقربات) : للثقفى أيضاً^(١٨٦).

١٥- خطب أمير المؤمنين (ع) مع شرحها : للقاضي أبي حنيفة الفاطمي (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م) ^(١٨٧).

١٦- خطب أمير المؤمنين (ع) : ألفها الشيخ عبد العزيز بن يحيى الجلودي البصري المتوفى سنة (٣٣٢ هـ / ٩٤٤ م) ^(١٨٨).

١٧- مواظ علي (ع) له أيضاً ^(١٨٩).

١٨- رسائل علي (ع) له أيضاً ^(١٩٠).

١٩- كلام علي (ع) له أيضاً ^(١٩١).

٢٠- الملاحم له أيضاً ^(١٩٢).

ولم تحفظ لنا الأيام من تلك الآثار سوى أسمائها في كتب الفهارس وما ينقل عنها في بعض كتب الأخبار مع مزيد الأسف ^(١٩٣).

هذه أهم المصادر التي سبقت الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) في جمع خطب الإمام علي (ع) وقد أسرف المستشرق مرجوليوث كثيرا على نفسه بادعائه أن الشريف الرضي لم يثق بمجموعة الخطب والرسائل التي جمعها المدائني حيث قال : " وتوجد عدة مقتطفات من أبحاث المدائني عند المؤرخين المتأخرين، وفي العقد الفريد للجماعة الاسباني ابن عبد ربه • وربما كانت مجموعته من خطب علي كاملة في هذه الكتب، ولعله راوي مجموعة الرسائل المتبادلة بين علي ومعاوية وغيرهما المحفوظة في الكتاب نفسه، والمذكورة في غيره من الكتب. ويقال ان اكثر مادته عن عوانة • ولكن القيمة التي يمكن ان نعطيها لهذه الوثائق مشكوك فيها اشد الشك، كما سنرى بعد.

فقد جمع أحد المشهورين من آل علي، الشريف الرضي في حقبة متأخرة هي أواخر القرن الرابع، مجموعة مما بقي من آثار جده العظيم سماها نهج البلاغة، و ظاهر ان الشخص لم يثق كثيرا بمجموعة المدائني.

وعلىنا ان نبحت في المجموعتين كلتيهما، في الرسائل و الخطب، عما اذا كان هناك احتمال بأن يطلع شخص على الرسائل التي تسلمها الفريقان كلاهما، أو على الخطب المدونة المحفوظة " (١٩٤).

ولدينا ملاحظات عدة على رأي مرجوليوث وهي :

- ١- إن الشريف الرضي لم يصرح بشيء عن كتاب المدائني أعلاه لا سلبا ولا إيجابا فكيف علم مرجوليوث بشك الشريف الرضي بكتاب المدائني.
- ٢- إن المدائني لم ينفرد بتأليف كتاب عن خطب الإمام ورسائله وأقواله بل شاركه عدد من الكتاب والمؤلفين مما يعزز الثقة بمروياته.
- ٣- إن المدائني يحضى بالقبول والثقة لأغلب العلماء.
- ٤- اما بالنسبة بتشكيكه بنسبة الخطب والرسائل إلى الإمام فهو امر غريب ينقضه كلامه إن الخطب رواها ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد قبل وانه ربما كان من موارده لهذه الخطب.

لم يكن مرجوليوث أول من شكك في نسبة نهج البلاغة إلى الإمام علي (ع) بل سبقه بعض المؤرخين وأولهم ابن خلكان (١٩٥) ثم تبعه الذهبي (١٩٦) من دون تقديم أدلة علمية أو تاريخية وإنما اكتفوا بحجة عدم وجود أسانيد في الكتاب متناسين إن اغلب نصوص نهج البلاغة موجودة في المصادر المتقدمة على الشريف الرضي كالطبقات الكبرى لابن سعد والبيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد وانشاب الأشراف للبلاذري وتاريخ الطبري والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي وغيرها من المصادر التاريخية والأدبية وكثير من هذه المصادر تذكر أسانيدها مما يثبت إن أغلب نصوص نهج البلاغة هي للإمام (ع) (١٩٧).

توجد معظم محتويات نهج البلاغة في كتب المتقدمين وإن لم يذكرها الشريف الرضي.

ومما تقدم فإن لا قيمة علمية لقول مرجوليوت بل هو رأي يندرج ضمن منهجية الإستشراق بشكل عام في التشكيك والطعن بالتراث الإسلامي لا سيما أن مرجوليوت هو المشكك الأول في صحة الشعر الجاهلي من غير أدلة علمية صحيحة بل بطريقة النفي الكيفي.

ولا يفوتنا بعد ما تقدم أن نذكر رأي ابن أبي الحديد في نهج البلاغة فإن له يدا طولى في النقد والتمحيص، وقدم راسخة في التحقيق والدراية إذ يقول مانصه: " وإنما ذكرت هذا لأن كثيرا من أرباب الهوى يقولون إن كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة و ربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن و غيره و هؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح و ركبوا بنيات الطريق ضلالا و قلة معرفة بأساليب الكلام و أنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول : لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعا منحولا أو بعضه و الأول باطل بالضرورة لأننا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين ع وقد نقل المحدثون كلهم، أو جلهم و المؤرخون كثيرا منه، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك و الثاني يدل على ما قلناه لأن من قد أسس بالكلام و الخطابة، و شدا طرفا من علم البيان وصار له ذوق في هذا الباب لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك و الفصيح و بين الفصيح، والأفصح و بين الأصل والمولد، و إذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعة من الخطباء أو لاثنتين منهم فقط فلا بد أن يفرق بين الكلامين ويميز بين الطريقتين ألا ترى أننا مع معرفتنا بالشعر، و نقده لو تصفحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام و نفسه و طريقتة، ومذهبه في القريض ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس شيئا كثيرا لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه، و لا من شعره وكذلك غيرهما من الشعراء و لم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق

خاصة. وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدا و نفسا واحدا، وأسلوبا واحدا كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقي الأبعاض في الماهية وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كآخره، و كل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ و المذهب و الفن و الطريق و النظم لباقي الآيات و السور ولو كان بعض نهج البلاغة منحولا و بعضه صحيحا لم يكن ذلك كذلك فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب، أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين ع. واعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له به لأننا متى فتحنا هذا الباب و سلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله (ص) أبدا و ساغ لطاعن أن يطعن، و يقول هذا الخبر منحول و هذا الكلام مصنوع وكذلك ما نقل عن أبي بكر و عمر من الكلام و الخطب و المواعظ و الأدب وغير ذلك وكل أمر جعله هذا الطاعن مستندا له فيما يرويّه عن النبي ص، و الأئمة الراشدين والصحابة و التابعين و الشعراء و المترسلين، و الخطباء فلناصرى أمير المؤمنين ع أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة و غيره و هذا واضح^(١٩٨).

ومن ذلك كله فان ابن أبي الحديد يرى أن نهج البلاغة كله للإمام علي (ع) نظرا لوحدة الأسلوب فيه، ونحن نعتقد إن اغلب الكتاب للإمام.

شرح النهج قبل ابن أبي الحديد :

- توالت الشروح على نهج البلاغة منذ أن جمعه الشريف الرضي وممن شرحه:
- ١- أحمد بن محمد الوبري الخوارزمي (ت ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م). شرحه باسم (معارج نهج البلاغة). وهو من الكتب الضائعة^(١٩٩).
 - ٢- إعلام نهج البلاغة^(٢٠٠) : السيد علي بن ناصر المعاصر للبيهقي المتوفى سنة (٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) مؤلف (معارج نهج البلاغة)^(٢٠١).
 - ٣- التعليق على نهج البلاغة : للسيد ضياء الدين أبي الرضا فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسيني الراوندي ألفه سنة ٥١١ هـ^(٢٠٢).
 - ٤- أبو الحسن علي بن زيد البيهقي النيسابوري (ت ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م)^(٢٠٣): وهو من ذرية خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين صاحب رسول الله (ص) وشرحه وأسماه بـ (معارج نهج البلاغة)^(٢٠٤) انتهى من شرح سنة ٥٥٢ هـ. كما قال في شرحه^(٢٠٥).
 - ٥- (منهاج البراعة)^(٢٠٦). للقطب الراوندي: سعيد بن هبة الله بن الحسن (ت ٥٧٣ هـ / ١١٨٧ م). - كان ابن أبي الحديد قد صرح في مقدمته قائلاً: " لم يشرح هذا الكتاب قبلي - فيما اعلمه إلا واحد، وهو سعيد بن هبة الله ابن الحسن الفقيه المعروف بالقطب الراوندي. وكان من فقهاء الإمامية ولم يكن من رجال هذا الكتاب ؛ لاقتصاره مدة عمره على الاشتغال بعلم الفقه، وأتى للفقيه أن يشرح هذه الفنون المتنوعة، ويخوض في هذه العلوم المتشعبة ! لا جرم إن شرحه لا يخفى حاله عن الذكي"^(٢٠٧).
 - ٦- حقائق الحقائق في فسر افصح الخلائق^(٢٠٨): قطب الدين الكيدري : أبو الحسين محمد بن الحسين بن الحسن الكيدري البيهقي، له شرحه الموسوم بـ (حقائق الحقائق) فرغ من تأليفه سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م^(٢٠٩).

- ٧- شرح نهج البلاغة ^(٢١٠): أفضل الدين الحسن بن علي بن أحمد الماه ابادي المتوفى بعد سنة (٥٨٥هـ / ١١٨٩م) . وهو من الكتب الضائعة.
- ٨- شرح نهج البلاغة **للفخر الرازي** : محمد بن عمر الشافعي (ت ٦٠٦هـ / ١٢١٠م) لم يتمه ^(٢١١).
- ٩- شرح نهج البلاغة : لأبي الفضائل يحيى بن ابي طي حميد بن ظافر البخاري الحلبي (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م)، ذكره الطهراني ^(٢١٢) وأشار الى انه يقع في ستة مجلدات ويبدو إنه من الكتب المفقودة إذ لم يشر إلى مكان وجوده.
- ١٠- شرح نهج البلاغة : لأبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر الصاغاني ت ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م. وهو مفقود ^(٢١٣).

الخاتمة

- بعد أن تناولنا حياة ابن أبي الحديد وبشكل مفصل في ضوء شرح نهج البلاغة فقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج:
- ١- وبالنسبة لمنهجه في الشرح فهو يتميز بأنه كان يورد في البداية نصّ الخطبة الذي يعد اليوم من المراجع في معرفة نسخ نهج البلاغة ، ويقسم الخطب، والكتب الطويلة أقساماً ، ثم يشرح كل قسم بعد ذكره. ويأتي بالمسائل البلاغية مع الاستشهاد بالقرآن ، أو الحديث النبوي الشريف، أو الشعر.

وكان يستطرد في كثير من المواضع لذكر موضوعات تاريخية ذات صلة بأحداث الخطبة التي يشرحها، ويعد اهتمام ابن أبي الحديد بالتاريخ سبباً كبيراً في اتساع متن شرحه ولولا ولعه بالتاريخ لما بقي من شرحه النهج إلا ثلثه أو أقل من ذلك. ومن أهم مسائله التاريخية ، ذكر مناسبة

الخطبة، أو مكان إلقائها، وترجمة أهم شخصياتها وغير ذلك من المسائل.

٢- عني في شرحه بعدد المباحث الكلامية ذات الصلة بالخطبة التي يشرحها وفي هذه المباحث تتضح نزعة ابن أبي الحديد الاعتزالية، وتأثره بآراء الجاحظ، وكثيراً ما يظهر خلافاً للشيعية في مباحثهم الكلامية.

٣- يعتقد ابن أبي الحديد إن جميع نصوص نهج البلاغة للإمام علي ع نظراً لوحدة النفس و الأسلوب فضلاً عن كثرة المصادر التي نقلت نصوص خطب الامام ورسائله قبل الشريف الرضي وبعده. كان ابن أبي الحديد ينقل رواياته عن مصدر واحد أحياناً عن الحادثة بل ومصدره منحاز تماماً ضد الأسرة الأموية وهو ما يتنافى مع الموضوعية التي يتمتع بها عندما نجده في مواضع أخرى حيث يذكر أكثر من مصدر للرواية الواحدة.

(١) ينظر : مقدمة شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، (بيروت - ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م).

(٢) اليونيني: موسى بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م): ذيل مرآة الزمان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، (الهند - ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م) : ج ١ ص ٢٣.

(٣) ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) ٠ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: أحسان عباس، مطبعة دار صادر، (بيروت - ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م). وفيات الأعيان: ج ٥ ص ٣٩١ ؛ ابن الطقطقي : محمد بن علي بن محمد ابن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، (بيروت - بلا ت)، ص ٣٣٧؛ ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل

عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت ٧٢٣هـ/١٢٢٦م): تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق د. مصطفى جواد، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، (دمشق - ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) ج ٤، ص ١٩٠-١٩١؛ الحوادث الجامعة والحوادث النافعة في المائة السابعة، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣) ص ٢٤١.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج ٥ ص ٣٩١؛ ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ص ٣٣٧؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، (مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م): ج ٤ ص ١٩٠-١٩١؛ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ص ٢٤١.

(٥) ينظر: الأبياري: (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد)؛ بحث منشور في مجلة تراث الإنسانية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (القاهرة- ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م): م ٢، ص ١٢٥.

(*) وهي مدينة تقع جنوبي شرق بغداد على مسافة ستة فراسخ منها.

(٦) ذكر بطرس البستاني أن ولادته كانت في سنة (٥٩٠هـ/١١٩٤م) وهو خطأ؛ وينظر: دائرة المعارف: (دار المعرفة، بيروت، د.ت): ج ١ ص ٣٤٨.

(٧) ينظر: البديري، السيد سامي: مصادر السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، (دار الفقه للطباعة، قم - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م): ص ١٣٣.

(٨) ينظر: ابن الديبشي، أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م): ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق: الدكتور بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، (بيروت ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ج ٥ ص ٩٥؛ المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م): التكملة لوفيات النقلة،

- تحقيق: الدكتور بشّار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٤، (بيروت- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م): ج ٤ ص ٣٨٢.
- (٩) ينظر: ابن الساعي: أبو طالب علي بن أنجب (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م): الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، (بغداد-١٣٥٣هـ/١٩٣٤م): ج ٩ ص ٨٨.
- (١٠) ينظر: ذيل تاريخ مدينة السلام: ج ٢ ص ١٥٣.
- (١١) ينظر: المنذري: التكملة لوفيات النقلة: ج ١ ص ٤١٧.
- (١٢) ينظر: ابن الديبثي: ذيل تاريخ مدينة السلام: ج ٤ ص ١٩١.
- (١٣) ينظر: المنذري: التكملة لوفيات النقلة: ج ٤ ص ١٩١؛ ج ٢ ص ٥٨.
- (١٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج ٥، ص ٧٥؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان: ج ١ ص ١٠٤.
- (١٥) الصفدي: صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٦هـ/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار أحياء التراث العربي، ط ١ (بيروت- ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ج ٨ ص ١٤٧.
- (١٦) ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت-بلا ت): ج ٣ ص ١٢١٤.
- (١٧) ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات: ج ٨ ص ١٤٦؛ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٩٨هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرؤوط ومحمود الأرؤوط، دار ابن كثير، ط ١، (دمشق- ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م): ج ٥ ص ٢٨١.
- (١٨) ينظر: د. علي محيي الدين: ابن أبي الحديد، مطبعة المواهب، ط ١، (النجف الأشرف - ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ص ٧١.

- (١٩) ينظر: المصدر نفسه، ص ٧١.
- (٢٠) ينظر: ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: ص ٢٤٣؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تحقيق الدكتور بشار عواد والدكتور محيي هلال سرحان، مؤسسة الرسالة، (بيروت - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م): ج ٢٣، ص ٣٧٢.
- (٢١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ج ١٣، ص ٥٢.
- (٢٢) ينظر: تلخيص مجمع الآداب: ج ٤، ص ٣، ص ٥٠٨.
- (٢٣) ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٤٦.
- (٢٤) ينظر: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٣٣.
- (٢٥) ينظر: د. علي محي الدين، ابن أبي الحديد، ص ٨٣.
- (٢٦) ياقوت الحموي: أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، (بيروت - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م): ج ٥، ص ٧٥.
- (٢٧) المنذري: التكملة لوفيات النقلة: ج ٤، ص ٣٨٢.
- (٢٨) ابن الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام: ج ٢، ص ١٥٣.
- (٢٩) ابن الدبيثي: ذيل مدينة السلام: ج ٤، ص ١٩١؛ المنذري: التكملة لوفيات النقلة: ج ٢، ص ٥٨.
- (٣٠) ابن العماد: شذرات الذهب: ج ٥، ص ٢٨١.
- (٣١) ينظر: شرح نهج البلاغة، الكتب العلمية، (بيروت - ٢٠٠٣م) ج ١٤، ص ٢٨٠.
- (٣٢) ينظر: ابن الطقطقي: الفخري في الأحكام السلطانية: ص ٣٢٢؛ السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ

- الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، (القاهرة-
١٣٧١هـ/١٩٥٢م)، ص ٤٥١.
- (٣٣) ابن أبي الحديد: الفلك الدائر على المثل السائر، تحقيق: الدكتور أحمد
الحوفي والدكتور بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، ط ١، (بيروت-
١٤١٧هـ/١٩٩٦م): ص ٨٥؛ شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٤.
- (٣٤) ابن أبي الحديد، الفلك الدائر على المثل السائر، ص ٣١.
- (٣٥) ابن أبي الحديد، القصائد السبع العلويات، شرح السيد صاحب المدارك، دار
الفكر (بيروت-١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، ص ٤٥.
- (٣٦) ابن أبي الحديد: شرح الآيات البيّنات، دراسة وتحقيق: الدكتور مختار جبلي،
دار صادر، ط ١، (بيروت-١٤١٧هـ/١٩٩٦م): ص ٨٥؛ شرح نهج البلاغة،
ج ١، ص ٤.
- (٣٧) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ
بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،
(بيروت-١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) : ج ١٢، ص ٣٥.
- (٣٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج ١، ص ٧٧.
- (٣٩) شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٩.
- (٤٠) شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٢٥٥.
- (٤١) شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٥٩.
- (٤٢) شرح نهج البلاغة ج ١، ص ١٠٣.
- (٤٣) شرح نهج البلاغة : ج ١، ص ٨.
- (٤٤) ينظر: ابن أبي الحديد: ص ٩٧.
- (٤٥) شرح نهج البلاغة ج ٤، ص ٩٨.
- (٤٦) شرح نهج البلاغة ج ٤، ص ٨٤.

- (٤٧) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٥، ص ٣٩٢؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، م ١، ج ١، ص ٦٢؛ الصفدي؛، عيون التواريخ، ج ٢٠، ص ١١٢؛ المقرئزي، نقي الدين أبو العباس أحمد بن عليّ العبيدي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت - ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ج ١، ص ٤٩٧؛ ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتاكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق وتقديم: فهمي محمد شلتوت، (مطبعة جامعة أم القرى - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ج ١، ص ٣٩٥؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، م ١، ص ٧٩٩، ص ٩٧٧، م ٢، ص ١٧٢٣، م ٢، ص ١٢٩١.
- (٤٨) جواد علي: عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني شارح نهج البلاغة (٦٥٦/٥٨٦هـ)، مجلة المعرفة، العدد ٢٩، ص ٤.
- (٤٩) م.ن، ص ٢٣٦.
- (٥٠) ابن كثير : عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، (بيروت - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ج ١٣ ص ٣٥؛ ابن العماد الحنبلي ج ٤ ص ٣٣١.
- (٥١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٨٥.
- (٥٢) احمد الربيعي : العزيق النضيد بصادر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، (بغداد - ١٩٨٧ م) ص ٧٢.

- (٥٣) السيوطي،، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاءه، ط ١ (مصر- ١٩٦٤م)، ج ٢، ص ٢١٩.
- (٥٤) ابن سكيّنة هو أحد شيوخ العز الآخر، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، م ٨، ج ١٥، ص ٧١.
- (٥٥) د. علي محي الدين، ابن أبي الحديد، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، دائرة المعارف، دار المعرفة (بيروت، بلا ت)، ص ١٤١.
- (٥٦) السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ٢، ص ٢١٩.
- (٥٧) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، تراجم الرجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، عنى بنشره: عزت العطار الحسيني، ط ١، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة - ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م)، ج ٣، ص ٢٧٥.
- (٥٨) ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، الطريق السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك، تحقيق: حسن محمد الشماع، مطبعة دار الطباعة الحديثة، (البصرة: ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، م ٥، ج ١، ص ٨٥.
- (٥٩) ياقوت الحموي، معجم الأدباء : دار المشرق ، (بيروت - بلا ت)، ج ١٩، ص ١٤٨.
- (٦٠) القفطي : جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) أخبار العلماء بأخبار الحكماء تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت - ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) ج ٣، ص ٢٧٥.
- (٦١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٩، ص ١٤٨.
- (٦٢) القفطي، أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية (القاهرة - ١٣٦٩هـ)، ج ٣، ص ٢٧٥.

- (٦٣) ابن الساعي، الجامع المختصر، ج ٩، ص ٢٧٤.
- (٦٤) ياقوت الحموي، معجم الأدياء، ج ١٩، ص ١٤٨؛ ابن الفرات، الطريق
المسلوك في تاريخ الخلفاء والملوك، ج ١، ص ٨٥.
- (*) لمغان، وهي كورة تشتمل على عدة قرى في جبل غزنة، ينظر: معروف،
تأريخ علماء المستنصرية، ص ٥٤.
- (٦٥) المنذري، التكملة، م ٣، ص ١٧٩.
- (٦٦) الجامع المختصر، ج ٩، ص ٢٩٥.
- (٦٧) ابن الساعي: الجامع المختصر ج ٣، ص ٢٣٢.
- (٦٨) البداية والنهاية / (ج ١٢ / ص ١٣٦).
- (٦٩) شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ١٣٠.
- (٧٠) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : ج ٩ ص ١٩٩.
- (٧١) السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي
(ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد
الخلو ومحمود محمد الطناحي، ط ١، مطبعة عيسى البابي وشركاه،
(القاهرة - بلا) ج ٨، ص ٤٢٤.
- (٧٢) المنذري، التكملة، م ٣، ص ٢٠١؛ الذهبي، المختصر المحتاج من تاريخ ابن
الدبيثي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة
الأولى (بيروت - ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م)، ج ٣، ص ٥٨؛ السبكي، طبقات
الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٣٢٤.
- (٧٣) ابن كثير، البداية والنهاية، م ٧، ج ٣، ص ٥٨.
- (٧٤) المنذري، التكملة، م ٣، ص ٢٠١/٢٠٢؛ الذهبي، المختصر المحتاج، ج ٣،
ص ٥٨، ٥٦؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٣٢٤/٣٢٥.
- (٧٥) التكملة، م ٣، ص ٢٠٢.

- (٧٦) طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٣٢٥.
- (٧٧) المختصر المحتاج، ج ٣، ص ٥٨.
- (٧٨) شرح نهج البلاغة ج ١٥، ص ٧١.
- (٧٩) المنذري، التكملة، م ٣، ص ٢٠١.
- (٨٠) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، ط ١ (حيدر أباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، ج ٨، ق ٢، ص ٥٦٥.
- (٨١) الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى، (بيروت - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م) ج ٤٣، ص ٣٦١.
- (٨٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٤٣، ص ٣٦٢.
- (٨٣) شرح نهج البلاغة، م ٥، ج ٩، ص ٢٠٢.
- (٨٤) المنذري، التكملة، م ٣، ص ٣٧٩.
- (٨٥) المنذري، التكملة، م ٣، ص ٣٧٩.
- (٨٦) د علي محي الدين، ابن أبي الحديد، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ١٤٤.
- (٨٧) أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٠٠.
- (٨٨) ابن كثير، البداية والنهاية، م ٧، ج ١٣، ص ٧٠.
- (٨٩) الذهبي، المختصر المحتاج، ج ٣، ص ٢٤٩.
- (٩٠) أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٠.
- (٩١) المنذري، التكملة، م ٣، ص ٣٧٩.
- (٩٢) د علي محي الدين، ابن أبي الحديد، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ١٤١.
- (٩٣) المنذري، التكملة، م ٣، ص ٣٧٩.

- (٩٤) الذهبي، المختصر المحتاج، ج ٣، ص ٢٤٩.
- (٩٥) شرح نهج البلاغة، م ٥، ج ٩، ص ١٦٦.
- (٩٦) المنذري، التكملة، م ٤، ص ٣٨٠.
- (٩٧) المنذري، التكملة، م ٤، ص ٣٨٠.
- (٩٨) المنذري، التكملة، م ٤، ص ٣٧٩/٣٨٠ ؛ د علي محيي الدين، ابن أبي الحديد، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية ص ١٥٣.
- (٩٩) م.ن، ص ١٥٣.
- (١٠٠) ابن الشعار: أبو البركات المبارك بن أحمد الموصلي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م)، عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، (بيروت-١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) م ٣، ج ٤، ص ١٧٠.
- (١٠١) الذهبي، المختصر المحتاج إليه، ج ٣، ص ١٦١.
- (١٠٢) الذهبي: تاريخ الإسلام ج ٤٤ ص ٥٠٦، وينظر: محسن الأمين(ت: ١٣٧١هـ / ١٩٥٢ م): أعيان الشيعة، تحقيق: تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات (بيروت- ١٣٧١هـ / ١٩٥٢ م) ج ٨ ص ٤٥٠، الخوئي: السيد أبو القاسم الموسوي (ت: ١٤١٣/١٩٩٢): معجم رجال الحديث، الطبعة الخامسة (النجف الأشرف- ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م): ج ١٥ ص ٨٥.
- (١٠٣) د. علي محي الدين، ابن أبي الحديد، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ١٥٣.
- (١٠٤) محسن الأمين، أعيان الشيعة، م ١٣، ص ٥٧.
- (١٠٥) البحراني: ابن عصفور يوسف بن أحمد الدرازي (ت ١١٨٦ هـ / ١٧٧٢ م) لؤلؤة البحرين في الإجازات والتراجم، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مطبعة النعمان (النجف الأشرف - ١٩٨٠ م) ص ٢٨؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، م ١٣، ص ٥٧.

- (١٠٦) البحراني، لؤلؤة البحرين، ص ٢٨؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، م ١٣، ص ٥٧
- (١٠٧) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، لسان الميزان، مجلس دائرة المعارف النظامية ط ١، (حيدر آباد الدكن - ١٣٣١هـ/١٩١٢م)، ج ٦، ص ٣١٩.
- (١٠٨) الحائري المازندراني، أبو علي محمد بن أسماعيل (ت ١٢١٦هـ/١٨٠١م)، منتهى المقال في احوال الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت : لإحياء التراث، ط ١، مطبعة ستاره (قم- ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج ٧، ص ٨٣.
- (١٠٩) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٨٦.
- (١١٠) الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، (بيروت - ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، ج ٤، ص ١٤٢٩.
- (١١١) جواد علي: (ابن الساعي Ibn as/Say)، دائرة المعارف، م ٣، ص ١٥٨.
- (١١٢) م.ن، م ٣، ص ١٥٩.
- (١١٣) م.ن، م ٣، ص ١٥٩.
- (١١٤)
- (١١٥) الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، تحقيق: روحية عبد الرحمن السيوفي، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص ٣٣٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، (القاهرة - ١٩٦٣ م)، ج ٨، ص ٢١٥؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط ١، (بيروت - ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج ١، ص ٢٧٤.
- (١١٦) الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص ٣٣٦/٣٣٧؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٧٧/١٤٧٨؛ الكتبي : محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد بن عبد الموجود، دار

الكتب العلمية، ط ١، (بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) م ٢، ص ٤٠٩ - ٤١٠؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ١٣٢/١٣٣؛ ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، (ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م)، غاية النهاية في ابن طبقات القراء، نشر: ج/ برجستراسر، ط ١، مكتبة الخانجي (مصر - ١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، ج ١، ص ٤٧٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٨، ص ٢١٨.

(١١٧) تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٧٨؛ الكتبي، فوات الوفيات، م ٢، ص ٤١٠.

(١١٨) الكتبي، فوات الوفيات، م ٢، ص ٤١٠؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٧٨؛ الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص ٣٣٧؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ١٣٣.

(١١٩) تاريخ الإسلام، ج ٤٨، ص ٤٠٣.

(١٢٠) الكتبي، فوات الوفيات، م ٢، ص ٢٥٩.

(١٢١) ينظر: شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ١ ص ١٨.

(١٢٢) البحراني، الكشكول، وهو مخطوط: مكتبة استنبول برقم ٢٣٩٧ ناقصة الآخر، تقع في ٩٢ ورقة وهي ضمن مجموع يبتدئ بالورقة ٣٧٤ وينتهي بالورقة ٤٩٥. ج ٣، ص ٧٤١؛ البغدادى، إسماعيل باشا بن محمد الباباني (ت ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، مطبعة وكالة المعارف، (استانبول - ١٣٧١هـ/١٩٥١م)، م ١، ص ٥٠٧؛ الزركلي، خير الدين (ت ١٩٧٦ م)، الأعلام، قاموس تراجم، دار العلم للملايين، ط ٥، (بيروت - ١٩٨٠ م)، م ٣ ص ٢٨٩؛ د. علي محي الدين، شرح نهج البلاغة، ص ٢٢٥.

(١٢٣) البغدادى، هدية العارفين، م ١، ص ٥٠٧؛ الربيعي، العذيق النضيد، ص ٨٤.

- (١٢٤) البحراني، الكشكول، ج٣، ص٧٤١؛ د. علي محيي الدين، ابن أبي الحديد، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص٢٢٩/٢٣٠؛ الربيعي، العذيق النضيد، ص٨٥.
- (١٢٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٤٦؛ البحراني، الكشكول، ج٣، ص٧٤١.
- (١٢٦) البحراني، الكشكول، ج٣، ص٧٤١؛ البغدادي، هدية العارفين، م١، ص٥٠٧. د. علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص٢٢٤/٢٢٥.
- (١٢٧) بروكلمان : كارل (ت١٣٧٦هـ/١٩٥٦م). تأريخ الادب العربي، ترجمة: رمضان عبد التواب، دار المعارف (القاهرة -١٩٧٥م). ج٥، ص١٧٩؛ الزركلي، الأعلام، م٣، ص٢٨٩؛ د. علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص٢٣٠؛ الربيعي، العذيق النضيد، ص٨٧، وهو مخطوط: الاسكوريال: لمجموعة ٣٣، ينظر: الزركلي، الأعلام، م٣، ص٢٨٩.
- (١٢٨) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٨، ص٢٠٣؛ الكتبي، فوات الوفيات، م٢، ص٢٥٩؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، م١، ص٧٩٩؛ البغدادي، هدية العارفين، م١، ص٥٠٧.
- (١٢٩) ابن خلكان، وفيات الاعيان، م٥، ص٢٥٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٤٦.
- (١٣٠) شرح النهج ج٢٠ ص ٣٤٩.
- (١٣١) ينظر: ردود ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦ هـ) على الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) في شرحيهما نهج البلاغة، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية، اعداد الطالب محمد محمود ياسر الجوراني.

(١٣٢) ابن الشعار، قلائد الجمان، م٣، ج٤، ص١٧٠؛ البحراني، الكشكول، ج٣، ص٧٤١؛ الخوانساري، روضات الجنات، ج٥، ص٢٠؛ د علي محي الدين، ابن أبي الحديد، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص٢٢٣/٢٢٤، وهو مفقود.

(١٣٣) ابن الشعار، قلائد الجمان، م٣، ج٤، ص١٧٠/١٧١؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، م٥، ص٣٩١؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، م١، ج١، ص٦٤/٦٥؛ المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ج١، ص٤٩٧؛ طاش كبري زادة، أحمد بن مصطفى (ت٩٦٨هـ/١٥٦١م) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق: كامل بكري وعبد الوهاب أحمد أبو النور، مطبعة الاستقلال الكبرى (القاهرة - ١٩٦٨م)، ج٢، ص٤٥٦، وقد طبع غير مرة، آخرها: طبعة دار الرفاعي الرياض - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ينظر: د علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص٢١٤/الهامش.

(١٣٤) د علي محي الدين، ابن أبي الحديد، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص٢٢٩.

(١٣٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٤٨، جرجي زيدان: (ت ١٢٣٣هـ/١٩١٤م). تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة: شوقي ضيف، دار الهلال، (بيروت - بلا ت) ج٣، ص٤٥؛ القمي: عباس بن محمد الرضا (ت١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م) الكنى والالقب، المطبعة الحيدرية، = (النجف - ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م). ج١، ص١٨٩؛ البستاني: ابن أبي الحديد - Abn Abi Hadid، دائرة المعارف، م٢، ص٢٩٩، وطبع في ايران والهند، كما طبع في بيروت، ينظر: د علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص٢٢٢.

- (١٣٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٤٦؛ الكتبي، فوات الوفيات، م ٢، ص ٢٥٩، البحراني، الكشكول، ج ٣، ص ٧٤١، وهو مفقود.
- (١٣٧) احمد الربيعي، العذيق النضيد، ص ٨٥.
- (١٣٨) البغدادي، هدية العارفين، م ١، ص ٥٠٧؛ احمد الربيعي، العذيق النضيد، ص ٨٥.
- (١٣٩) البحراني، الكشكول، ج ٣، ص ٧٤١؛ الربيعي، العذيق النضيد، ص ٨٥.
- (١٤٠) الربيعي، العذيق النضيد، ص ٨٥.
- (١٤١) بروكلمان، تأريخ الادب العربي، ج ٥، ص ١٧٨؛ د. علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ٢١٤/٢١٨؛ الربيعي، العذيق النضيد، ص ٨٥.
- (١٤٢) الربيعي، العذيق النضيد، ص ٨٦، وهو مفقود.
- (١٤٣) وهي مجموعة من قصائد مديح في الخليفة المستنصر بالله بلغت خمس عشرة قصيدة، بروكلمان، تأريخ الادب العربي، ج ٥، ص ١٧٨؛ د. علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ٢١٨، طبع في بغداد سنة (١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، وطبع في بغداد ضمن الجزء الأول من مجلة اليقين ١٩٩٢م، ص ٣٦٥ وما بعدها، ونشرها محمود شكري الألوسي عام ١٩٢٣ م وطبعت في مطبعة دار السلام في بغداد، كما طبع في بغداد بمطبعة دار النشر والتأليف بتحقيق خضر العباسي، ينظر: د. علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ٢٢٠-٢٢١.
- (١٤٤) د. علي محي الدين، ابن أبي الحديد، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ٢٢٨؛ الربيعي، العذيق النضيد، ص ٩٦، وهو مفقود.
- (١٤٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٤٦؛ الكتبي، فوات الوفيات، م ٢، ص ٢٥٩، مخطوط: الاسكوريال ثان ١٨٨، ينظر: بروكلمان، تأريخ الادب العربي، ج ٥، ص ١٧٨.

- (١٤٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٤٦؛ الكتبي، فوات الوفيات، م ٢، ص ٢٥٩، البحراني، الكشكول، ج ٣، ص ٧٤١، والكتاب مفقود.
- (١٤٧) البحراني، الكشكول، ج ٣، ص ٧٤١؛ الأبياري: (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد)، مجلة تراث الانسانية، م ٢، ص ١٣٢؛ د علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ٢٣٠، وهو مفقود، ينظر: م.ن، ص ٢٣٠.
- (١٤٨) الربيعي، العذيق النضيد، ص ٩٦، وهو مفقود.
- (١٤٩) البغدادي، هدية العارفين، م ١، ص ٥٠٧؛ د علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ٢٢٤، وهو مفقود.
- (١٥٠) الربيعي، العذيق النضيد، ص ٨٦، لم يشر أحد إلى أنه مفقود أو موجود. بأستثناء الدكتور الربيعي الذي أشار إلى أن ابن أبي الحديد كان قد ذكره في كتابه ((شرح نهج البلاغة)).
- (١٥١) د. علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ٢٢٧، وهو مفقود.
- (١٥٢) د. علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ٢٢٧، وهو مفقود.
- (١٥٣) د. علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ٢٢٧، وهو مفقود.
- (١٥٤) د. علي محي الدين، سيرته وأثاره الأدبية والنقدية، ص ٢٢٧، وهو مفقود.
- (١٥٥) ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج ٤، ق ١، ص ١٩٢. والمخزن: أحد الدواوين الكبرى الذي يشبه وزارة المالية أو التموين؛ وينظر: معروف، تأريخ علماء المستنصرية، ص ٣٣٧.
- (١٥٦) ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج ٤، ق ١، ص ١٩٢. والديوان هو ديوان الزمام: وهو الديوان الرئيسي الذي يشرف على دواوين الدولة العباسية المختلفة... وقد يوصف الديوان بالعزير فيقال: الديوان العزيز. والمشرف: كالمفتش المالي أو المراقب ويكون مع الصدور والنظار والخزان؛ وينظر: معروف، تأريخ علماء المستنصرية، ص ٣٣٧/٣٣٨. والناظر: موظف مالي كبير ينظر في الأموال، وطرق صرفها. يرفع إليه

حسابها وينظر فيه، ويتأمله فيمضي ما يمضي، ويرد ما يرد. وهو أيضاً
موظف اداري يترأس ولاية أو ديواناً أو مدرسة؛ وينظر: ناجي معروف،
تأريخ علماء المستنصرية، ص ٣٣٧.

(١٥٧) ن.م، ج ٤، ق ١، ص ١٩٢.

(١٥٨) ن.م، ج ٤، ق ١، ص ١٩٢.

(١٥٩) البحراني، الكشكول، ج ٣، ص ٧٤١.

(١٦٠) ينظر: ابن كثير، ج ١٣، ص ١٣.

(١٦١) ينظر: ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية: ص ٣٣٣.

(١٦٢) ينظر: ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: ص ١٣٥، ١٣٨/١٣٩.

(١٦٣) ينظر: البداية والنهاية: ج ١٣، ص ٤٩.

(١٦٤) ينظر: الحوادث الجامعة، ص ١٨٢/١٨٣.

(١٦٥) ينظر: الحوادث الجامعة، ص ١٢٧.

(*) الكر الذي كان يستخدم في بغداد هو الكر المعدل، ويعادل ٢٩٢٥ كغم؛
وينظر: هنتس، فالتر: المكايل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي
(عمان- ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ص ٧١.

(١٦٦) الرطل يساوي ٤٠٦.٢٥ غم؛ ينظر: د. صالح أحمد العلي،: الخراج في
العراق في العهود الإسلامية الأولى، (مطبعة المجمع العلمي العراقي،
بغداد- ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ص ١٢٧.

(١٦٧) ينظر: المصدر نفسه: ص ١٦٤.

(١٦٨) ينظر: ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)
الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت- ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) ج ١٢
ص ١٠٤.

- (١٦٩) ينظر: ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مطبعة الإرشاد، ط ١، (بغداد - ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م): ص ١٩-٢٠.
- (١٧٠) ينظر: ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، مطبعة العاني، ط ٢، (بغداد - ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م): ج ١ ص ٢٧.
- (١٧١) الطوسي: (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م): الفهرست، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، (قم - ١٤١٧هـ) ص ٩٧. الطهراني: أغا بزرك (ت ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م)، الذريعة، دار الأضواء، الطبعة الثالثة (بيروت - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ج ١٠ ص ٢٣٠.
- (١٧٢) الطوسي: الفهرست: ص ٩٧. الطهراني: الذريعة ج ١٠ ص ٢٣٠.
- (١٧٣) الطهراني: الذريعة ج ١٠، ص ٢٣١.
- (١٧٤) الطوسي: الفهرست ص ١٥٠. وينظر: ابن عبد ربه الأندلسي: أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) العقد الفريد، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، (بيروت - ١٤٠٤ هـ) ج ٢ ص ٣٧٠؟
- (١٧٥) النجاشي: كتاب الرجال: ص ٢٦، الشيخ الطوسي: الفهرست: ص ٤٦، ٥٢.
- (١٧٦) النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي الأسدي (ت ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م) رجال النجاشي، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٥ (قم - ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م)، ص ٢٦.
- (١٧٧) النجاشي: كتاب الرجال: ص ١٩٠. الحلي: الحسن بن يوسف علي بن المطهر (ت ٧٦٢ هـ - ١٣٥١ م) خلاصة الأقوال، المطبعة الحيدرية، ط ٢١ (النجف - ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م). ص ٢٢٦، الطهراني: الذريعة ج: ٧ ص ١٩٠.
- (١٧٨) الشيخ الطوسي: الفهرست ص ٢٧.

- (١٧٩) الطهراني : الذريعة : ج ٧، ص ١٩١.
- (١٨٠) الشيخ الطوسي : الفهرست : ص ١٤٣.
- (١٨١) ابن النديم : محمد بن إسحاق أبو الفرج (ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٧م)، الفهرست، دار المعرفة، (بيروت - ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ص ١٤٣؛ ياقوت الحموي : معجم الأدباء : ج ١٤، ص ١٣٤.
- (١٨٢) ابن النديم : الفهرست ج ١، ص ١٤٩؛ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ١، ص ١٣٤.
- (١٨٣) النجاشي : الرجال، ص ١٤٨.
- (١٨٤) عبد الزهراء الحسيني الخطيب : مصادر نهج البلاغة وأسانيده، دار الزهراء، الطبعة الأولى، (بيروت - ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م)، ج ١، ص ٧٨.
- (١٨٥) ابن شهر آشوب : أبو عبد الله محمد علي (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) : معالم العلماء، (قم - بلا)، ص ٣٩، الطوسي : الفهرست ص ٢٧، ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ١ : ص ٢٣٣.
- (١٨٦) النجاشي : كتاب الرجال، ص ١٨، الطوسي : الفهرست ص ٣٦.
- (١٨٧) الطهراني الذريعة ج ١٣، ص ٢٠٩ . السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب : مصادر نهج البلاغة وأسانيده ج ١، ص ٨٢.
- (١٨٨) النجاشي : الرجال، ص ١٦٦.
- (١٨٩) النجاشي : الرجال، ص ١٦٦.
- (١٩٠) النجاشي : الرجال، ص ١٦٦.
- (١٩١) النجاشي : الرجال، ص ١٦٦.
- (١٩٢) النجاشي : الرجال، ص ١٦٦.
- (١٩٣) السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب : صادر نهج البلاغة وأسانيده ج ١ ص ٨٢.

- (١٩٤) مرجوليوث :دافيد صمويل (ت ١٩٤٠م)، دراسات عن المؤرخين العرب،ترجمة د حسين نصار، دار الثقافة بيروت، ص : ١٠٤.
- (١٩٥) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٣.
- (١٩٦) الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) : ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق :علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (بيروت - ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣م)، ج ٣، ص ١٢٤.
- (١٩٧) ينظر : عبد الزهراء الحسيني الخطيب : مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ج ١ ص ٨٢. الشيخ عبد الله نعمة : مصادر نهج البلاغة، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٩٧٢ م).امتياز عليخان العرشي، استناد نهج البلاغة تحقيق : تعريب : عامر الأنصاري، قدم له وعني بنشره : الشيخ عزيز الله العطاري، المطبعة العلمية (قم - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م).
- (١٩٨) شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٧٥.
- (١٩٩) الطهراني : آغا بزرك :الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ١٤ ص ١١٥، الأميني: عبد الحسينا بن أحمد (ت ١٣٩٢ هـ / ١٩٧١ م) ٠ الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة، بيروت(١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧) ٠ ج ٤، ص ١٨٦.
- (٢٠٠) الكتاب مطبوع في مؤسسة الطباعة والنشر، عطار، قم، ط١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م تحقيق :عزيز الله العطاردي.
- (٢٠١) الطهراني : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ٣ ص ٢٣٩.
- (٢٠٢) السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب: مصادر نهج البلاغة وأسانيده ج ١، ص ٢٢٣
- (٢٠٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٥٨٥.
- (٢٠٤) وهو مطبوع طبعتين الأولى في منشورات مكتبة اية الله المرعشي (قم- ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م)، والطبعة الثانية في مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي قم/ ٢٠٠١م تحقيق اسعد الطيب.

- (٢٠٥) معارج نهج البلاغة ج٢، ص٩٠٠.
- (٢٠٦) الطهراني : الذريعة ٧: ١٤٥، البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص ٣٩٢.
- (٢٠٧) شرح نهج البلاغة ج١، ص٥.
- (٢٠٨) طبع الكتاب مرتين، الأولى مدينة في دلهي (الهند - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م)، تحقيق عزيز الله العطاردي، والثانية في مؤسسة نهج البلاغة ، ط١، (قم - ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م).
- (٢٠٩) الكيدري : حقائق الحقائق، ج٢، ص ٧٠٩.
- (٢١٠) الطهراني الذريعة ج١٤، ص١٢٣. الأميني : الغدير ج٤، ص ١٨٧.
- (٢١١) القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ج٢، ص ٢٢١.
- (٢١٢) الذريعة ج١٤، ص١٥٣.
- (٢١٣) الذريعة ج١٤، ص١٥٨. عبد الزهراء الخطيب : مصادر نهج البلاغة وأسانيده ج١، ص٢٤٥.

أصل الألعاب الأولمبية ((الاسطورة - النشأة - التنظيم))

د. ماجدة حسو منصور عيسو

المقدمة

كان للالعاب الاولمبية دوراً مهماً في حياة الاغريق في التاريخ القديم حيث كانت تعتبر أعظم احتفالية بالنسبة لهذا الشعب ، جاءت أهميتها ليس في كونها مهرجاناً رياضياً فحسب بل اعتبرت تجمعاً ثقافياً وسياسياً واجتماعياً يلتقي فيه جميع المواطنين في بلاد الاغريق ليكونوا وحدة حضارية بديلة لحقيقة مهمة في حياتهم الا وهي عدم وجود الدولة الواحدة التي تربط دويلات المدن الاغريقية في وحدة سياسية مركزية ، وكان الواعز الكامن خلف هذه الالعاب هو الواعز الديني اذ كانت تقام على شرف الاله زيوس أبو الالهة في الميثولوجيا الاغريقية وبذلك أصبح للدورات الرياضية منذ نشأتها الاولى قدسية ملزمة من قبل الاغريق .

وقد كانت مدينة أولمبيا قبلة الاغريق في هذه الدورات كونها المكان الذي تقام فيه هذه الالعاب فكانت هذه المدينة محجة لهم في فترة الاولمبيات عبر تاريخهم القديم ، الا أن الالعاب اوقفت تحت تأثير الافكار الدينية المسيحية عام ٣٩٤ م باعتبارها جزءاً من الممارسات الوثنية ، فتم نسيانها لقرون عديدة حتى استحدثت في التاريخ الحديث في باريس عام ١٨٩٤ م من قبل البارون بيري دي كوبرتن وأجريت للمرة الاولى في اثينا عام ١٨٩٦ م ، وهي قائمة حتى الوقت الحاضر اذ تجرى كل أربعة سنوات باحتفالية كبرى تضم متنافسين من جميع دول العالم .

أولاً : الاصول الاسطورية للألعاب الاولمبية

لاتخلو الاساطير من خلفيات ذات حقائق تاريخية ، بالرغم من صعوبة امكانية تحديد تلك الحقائق من قبل المؤرخين لاسيما فيما يخص الحقبة التاريخية التي يعود اليها الحدث التاريخي^(١) ، لذلك عادة ما يتم الرجوع الى الاساطير في

معرفة أصل الأحداث سواء ما يخص التواريخ أو الأشخاص أو ماهية الحدث التاريخي نفسه ، ومن هذا المنطلق لا بد من استعراض أحداث بعض الأساطير التي تشير الى كيفية نشوء الألعاب الاولمبية في بلاد الاغريق والغاية التي أقيمت من أجلها تلك الألعاب ، وفي الواقع فهناك عدة أساطير عن هذا الموضوع الأمر الذي يدل على أن الاغريق كانوا شعباً مهتماً بتلك الألعاب وبمدينة اولمبيا ، مركز اقامتها منذ الازمنة القديمة^(٢) .

ولعل اولى الاساطير تلك التي تربط نشوء الألعاب بتأثير وانتشار الحضارة الكريتية التي ازدهرت خلال الفترة ٢١٠٠-١٤٠٠ ق.م^(٣) على شبه جزيرة البيلوبونيز^(٤) ، والمقصود بذلك اسطورة ((ولادة الاله زيوس)) كبير آلهة اليونان وأبو الالهة جميعاً ، والتي تعزو تأسيس الألعاب الاولمبية الى الاله ((هرقل ايدا)) أو ما يسمى بـ ((هرقل الكبير)) تمييزاً له عن شخصية البطل الاسطوري المعروف بـ ((هرقل طيبة))^(٥) والذي له علاقة باسطورة اخرى عن نشأة الألعاب الاولمبية سيأتي ذكرها .

تحتل اسطورة ((ولادة زيوس)) مكانة مهمة ومميزة في سجل الأساطير الاغريقية بتحدثها عن ((ملك السموات))^(٦) ، وملخصها ان الاله ((كرونوس)) ابن ((اورانوس وجيا)) (إلهي السماء والأرض) وهما الآلهة الاولى في قصة نشأة الكون بحسب الرؤية الاغريقية^(٧) ، كان قد أقصى والده ((اورانوس)) عن الحكم^(٨) وانفرد بالسيطرة على الكون كله ، ولكي يحتفظ بملكه دون منافس كان يقوم بابتلاع اولاده ساعة ولادتهم ، باستثناء الاله زيوس الذي استطاعت امه ((ريا)) انقاذه عن طريق لف حجارة بملابس طفل فابتلعه ((كرونوس)) على انه الطفل الوليد دون ان يعلم ، ثم أبعدت الام وليدها ((زيوس)) عن خطر أبيه الى مكان آخر حيث قضى طفولته ، فقام بتربيته والسهر عليه خمسة آلهة اخوان يسمون ((الكوريت)) حتى بلغ أشده^(٩) .

بحسب هذه الاسطورة فإن زيوس الطفل تم نقله الى كهف في جزيرة كريت حيث قامت بإرضاعه عزة اسمها (أمالثيا) ، وكان ((الكوريت)) كلما صاح الطفل أو أصدر صوتاً يرقصون من حوله ويجلسون بحرابهم ودروعهم كي لا يسمع ((كرونوس)) صوته وبكائه ، وكانت أمه ريا تذهب لزيارته عندما يكون أباه نائماً^(١٠). وبعد ان شبَّ الطفل قليلاً نقله الكوريت الى شبه جزيرة البيلوبونيز فكانت وقفتهم في مدينة اولمبيا حيث أقاموا بالتحديد في كهف ايدا الواقع في جبل كرونيون المطل على المدينة^(١١) . ولكي يقوم هؤلاء الكوريت الخمسة ، الذي كان أحدهم هو هرقل ايدا (نسبة الى كهف ايدا) ، بتسليّة الطفل أجروا فيما بينهم سباقاً للركض فكان ذلك أول سباق عرفته مدينة أولمبيا^(١٢) ، وكانت جائزة الفائز فيه أغصان الزيتون البرية التي كانت وفيرة جداً في المنطقة حتى ان هرقل واخوته اعتادوا بعد السباق الاستراحة على أرائك متكونة فيها ، كما تقول الاسطورة^(١٣).

بل ان هناك اسطورة اخرى تغزو انشاء الألعاب الاولمبية الى الاله زيوس نفسه ، فبعد ان أصبح شاباً أعلن الحرب على أبيه كرونوس وأتباعه وفاز عليه ومن ثم قسم الكون بينه وبين أخويه بوسيدون وهاديس^(١٤) ، ثم أمر ان تقام الألعاب الاولمبية كعلامة عن الابتهاج بالنصر، حتى أن الآلهة جميعاً شاركوا في المسابقات لا سيما الاله ابولو (إله النور والشعر والعرافة) الذي برز اسمه بين الآلهة حيث هزم كلا من الاله هرمل (رسول الآلهة) في مسابقة الركض والاله أريس (إله الحرب) في الملاكمة^(١٥) .

أما الاسطورة الاخرى التي لها علاقة بجزيرة كريت ايضاً وعبادة الاله زيوس ، فهي تلك التي تذكر ان الألعاب الاولمبية أعيد انشاؤها من قبل أحد أحفاد هرقل ايدا وهو المدعو ((كليمينوس)) والذي أتى الى مدينة أولمبيا قادماً من كريت فأقام الألعاب هناك ، كما ويعزى اليه بداية نشوء عبادة الاله زيوس في اولمبيا أي في العالم الاغريقي ، والتي كانت بالأساس قائمة في كريت التي استولى عليها

الآخيون^(١٦) وبذلك ومع الوقت انتقلت هذه العبادة الى اولمبيا^(١٧) في حوالي نهاية النصف الثاني من الالف الثاني ق.م^(١٨) .

أما الاسطورة التي لها النصيب الأوفر في كيفية ابتداء الألعاب الاولمبية فهي ((اسطورة بيلوس)) وملخصها ان مدينة بيزا الواقعة على شاطئ نهر الفيوس في الجهة المواجهة لمدينة اولمبيا ، وكانت الاثنتان جزءاً من اقليم تسيطر عليه بيزا^(١٩) ، التي كان يحكمها ملك يدعى ((اوينوماوس)) هام حباً بابنته ((هيبوداميا)) فكان يرفض تزويجها ، ولكي يبرر رفضه هذا أقام سباقاً بالعربات يقوم هو بنفسه بالتنافس مع أي متقدم لخطبتها ، فاذا خسر الخطيب السباق معه كان مصيره الموت ولذلك قتل (١٣) خطيباً قبل ان يتقدم لخطبتها ملك فريجيا^(٢٠) المدعو ((بيلوس))^(٢١) والذي هامت هيبوداميا حباً به بمجرد أن رآته فقامت بمساعدته وكذلك فعل سائق عربة أبيها السحرية بأن أرخى لجام العربة بتحريض واغراء بالمكافأة من بيلوس فكانت النتيجة ان خسر أباهما السباق ولقي مصرعه بعد أن انقلبت مركبته^(٢٢) ، وبعد ان تزوج بيلوس من هيبوداميا أصبح ملكاً على مدينة بيزا ، وتكريماً لذكرى الملك المتوفى وابداءً للشكر للالهة أقام بيلوس ألعاباً جنازية أصبحت فيما بعد تقليداً في بلاد الأغريق^(٢٣) .

وأخيراً لابد من الإشارة الى أسطورة اخرى تربط تجديد او اعادة النشاط للألعاب الاولمبية على يد البطل الاسطوري الشهير ((هرقل طيبة)) نسبة الى مدينة طيبة^(٢٤) ، وهو ابن الاله زيوس من زوجة بشرية^(٢٥) كذلك هو أحد أحفاد بيلوس ، اذ تذكر الاسطورة ان هذا البطل بعد قهره لمدينة إيليس^(٢٦) في حربه ضد ملكها واحتفاءً بالنصر أقام عدة مسابقات على شرف جده بيلوس وشارك هو نفسه فيها وفاز ، بل واستناداً الى الشاعر ((بندار)) (٥١٨ ق.م - حوالي ٤٤٥ ق.م)^(٢٧) فإن هرقل هو مؤسس الألعاب الاولمبية ، التي كانت تتضمن مسابقات

الركض والملاكمة والمصارعة وركوب الخيل والمباراة الخماسية وسباق العربات^(٢٨).

يرى البعض في صحة حقيقة كون هذا له علاقة قوية بالألعاب الاولمبية ونشأتها في أن معبد زيوس في اولمبيا والذي كمل بناءه عام ٤٥٦ ق.م صورت على جدرانها أعمال هرقل الاثنى عشر^(٢٩) الشهيرة^(٣٠) ، بل وهناك اشارة عن هذه العلاقة تذكر انه هو من جلب غصناً من شجرة الزيتون^(٣١) من احدى الأراضي العجيبة وزرعها في مدينة اولمبيا حيث ازدهرت واتخذت مكانة رفيعة بين الأشجار وأصبحوا يصنعون منها التيجان التي توضع على رؤوس المنتصرين في المسابقات الاولمبية^(٣٢) .

ثانياً : مدينة اولمبيا وبقاياها الأثرية

تقع مدينة اولمبيا التي اعتبرت مركز المسابقات الرياضية الاحتفالية لكل العالم الاغريقي^(٣٣) ، في شمال غرب جزيرة البيلوبونيز على بعد نحو ١٢ كلم من البحر ، في وادٍ خصب منبسطة^(٣٤) عند ملتقى نهري ألفيوس وكلاديوس^(٣٥) ويشرف عليها جبل كرونيون^(٣٦) .

لقد ألحقت الزلازل أضراراً كبيرة بهذه المدينة الأثرية وذلك خلال القرن الرابع الميلادي وكذلك فعلت فيضانات نهري ألفيوس وكلاديوس خلال القرون الوسطى ، الأمر الذي أدى الى فقدان الموقع الكثير من ملامحه ، حتى اكتشفه من قبل الانكليزي ريتشارد تشاندلر عام ١٧٦٦م^(٣٧) وجرت أول حفريات فيه عام ١٨٢٩م من قبل بعثة فرنسية ، تلا ذلك تنقيبات كاملة من قبل البعثة الالمانية في الأعوام (١٨٧٥-١٨٨١م) و (١٩٠٦-١٩٠٩م) و (١٩٣٦-١٩٤١م)^(٣٨) ، وقد أسفرت التنقيبات عن أن المدينة كانت عامرة منذ القرن الثامن ق.م^(٣٩) استناداً الى اكتشاف بقايا أقدم معبد فيها والذي يعتبر أقدم معبد في بلاد الاغريق^(٤٠) وهو المعبد المخصص لزوجته الاله زيوس ((هيرا)) المسمى (Heraeum) والذي

يرجعه البعض الى القرن السابع ق.م^(٤١) ، مع أن بعض المؤرخين لا يستبعد وجود هياكل عبادة كلا الالهين زيوس وهيرا في اولمبيا قبل الهجرة الدورية نحو عام ١١٠٠ ق.م^(٤٢) ، وذلك بحسب ماسبق وذكر من أن عبادة الاله زيوس جاءت من كريت بعد الانتشار الآخي في بلاد الإغريق .

بني معبد زيوس في اولمبيا في الفترة (٤٦٨-٤٥٦ ق.م)^(٤٣) احتفاءً بالنصر الذي حققه الاغريق على الفرس والذي تم في (٤٨٠-٤٧٩ ق.م)^(٤٤) ، وهو أكبر معبد في الموقع تبلغ أبعاده (٦٤.١٢ × ٢٧.٦٨ م) وارتفاعه (٢٠ م) حيث أعد لاستقبال تمثال الاله زيوس الضخم^(٤٥) والذي عُدّ احدى عجائب الدنيا السبع ، قام بتصميمه النحات المعروف فيدياس (٤٩٠-٤٣٠ ق.م) والذي يعتقد انه (أي التمثال) عُدّ خصيصاً بسبب الألعاب الاولمبية لتقديم القرابين والهدايا له^(٤٦)، وقد أقيم في معبد زيوس هذا ، الذي تهدّم في القرن السادس الميلادي^(٤٧) ، ورشة الفنان فيدياس وذلك ليقوم بصنع التمثال ، والتي عثر فيها على بقايا لأدواته الخاصة بالنحت^(٤٨) .

والأثر المهم الآخر في هذه المدينة والذي من الصعوبة تحديد تاريخه فهو قبر بيلوبس المسمى (Pelopion) ، أو بالاحرى ما تبقى منه ، فهو اليوم عبارة عن بقايا جدار حجري يوحى بمقام تعبدى أكثر منه قبراً بالمعنى المعروف^(٤٩) . أما ما تبقى من آثار ومعالم الشواخص الرياضية في اولمبيا فهي بقايا كل من : الملعب (Stadium) وميدان سباق الخيل والعربات (Hippodrome) ، فالأول تم بناؤه عام ٣٥٠ ق.م بعيداً عن معبد زيوس^(٥٠) حيث كانت تقام فيه معظم الفعاليات الرياضية ، وقد كان أكبر ملعب في بلاد الاغريق بأبعاده التي بلغت حوالي ٢١٢ طولاً و ٣٠-٧٠ عرضاً ، والجدير بالذكر ان هذا الملعب لم يكن يحتوي على مقاعد للجلوس باستثناء تلك الموجودة في الجهة الجنوبية والمعدّة للحكام وضيوف الشرف^(٥١) .

أما الثاني أي ميدان سباق الخيل والعربات فكان يقع الى الجنوب من الملعب وكانت أبعاده ٧٧٠م طوياً وحوالي ٣٢٠م عرضاً^(٥٢) ، وقد أزال فيضان نهر أليفسوس معظم آثاره^(٥٣) .

ثالثاً : الاصول التاريخية للألعاب الاولمبية

هناك محورين أساسيين يجب مناقشتهما في هذه الفقرة ، يتركز المحور الأول على تساؤل مهم وهو : هل أن بداية الألعاب الاولمبية كان سنة ٧٧٦ ق.م كما اعتاد الباحثون الاغريق احتسابه ؟ وهو التاريخ الذي وضعه المدعو ((تيموس)) لأول دورة أولمبية فأصبح نقطة انطلاق استخدمه الاغريق لتأريخ أعمالهم ، فيقولون وقع هذا الحدث في المهرجان رقم كذا وبذلك أمكن وضع نظام دقيق لتاريخ حوادثهم^(٥٤) .

أما المحور الثاني فهو الغاية التي من أجلها أقيمت الألعاب الاولمبية ، وما ترتب على ذلك من امور تتعلق بتنظيم هذه الألعاب وكيفية الالتزام بقوانينها في بلد كان معروفاً في تاريخه القديم بعدم وجود سلطة مركزية تحكم دويلات مدنه التي كانت على شكل وحدات سياسية منفصلة الواحدة عن الأخرى عرفت بـ ((البوليس))^(٥٥) ، بل ان السمة الأساسية في بلاد الاغريق كانت الصراعات العسكرية والتنافسات بين دويلات المدن هذه ، فقد كان الاغريق شعباً من أكثر الشعوب ولعاً بالمنافسة في التاريخ الأمر الذي دفعهم الى التصارع من أجل المجد الشخصي والشهرة ومن أجل الثروة والسلطة بالوسائل التي كانت متاحة لهم^(٥٦) .

لاشك ان الاشارات العديدة عن بدء الألعاب الاولمبية في الأساطير التي سبق استعراضها تدل على عمق قدمها في التاريخ الاغريقي ، مع الاعتراف بحقيقة عدم امكانية وضع تاريخ واضح لهذه البداية ، ولكن من الممكن استنتاج حقائق مهمة في ضوء ترتيب هذه الأساطير تاريخياً ومنطقياً . فاستناداً الى اسطورة ((كليمينوس)) الذي قدم من كريت بعد انتشار الأخيين في حوالي النصف

الثاني من الالف الثاني ق.م ، كما سبق وتمت الإشارة ، فقد تم نقل عبادة الاله زيوس الى اولمبيا وتأسيس الألعاب الرياضية فيها إكراماً لهذا الاله ولمعبده المقام لأول مرة هناك^(٥٧) بل يمكن القول إكراماً لذكرى اسطورة زيوس الطفل حين تم نقله من كهف كريت الى اولمبيا حيث قام الكوريت بألعاب المسابقات لغرض إبهاجه .

وبما أن بعض الاساطير تتحدث عن تجديد ممارسة الألعاب الاولمبية فهذا يعني ان لها بداية قديمة ، الأمر الذي يؤكد ما سبق وأشار اليه أعلاه ، لذلك يعتقد ان هذه الألعاب قد أهملت بعد عصر كليمينوس لفترة طويلة من الزمن تقدر بحيل حتى جاء الملك بيلوبس فأعاد إحياءها على شرف الاله زيوس وروح والد زوجته المصروع بعد انتصاره عليه في السباق المعروف ، والأمر الذي يدل على وجود شخصية بيلوبس في التاريخ وجود قبره او مقامه المسمى (Pelepium) الذي سبقت الإشارة اليه والذي أقيم بين معبدي زيوس وهيرا^(٥٨) في المكان المسمى ((ألتس)) والذي كان يشكل الأرباض المقدسة لاولمبيا وكان من الأصل عبارة عن غابة^(٥٩) ، ومن الواضح أن هذا المقام قد أقيم تكريماً لبيلوبس الأمر الذي يدل على أن الاسطورة لها أصل تاريخي حقيقي وأن الألعاب الجنازية التي أقيمت فيما بعد على شرف بيلوبس أصبحت بالحقيقة أقدم شكل للالعاب الاولمبية^(٦٠) .

أذن فبالاستناد الى اسطورة بيلوبس الذي أقام الطقوس الجنازية ومن ضمنها المباريات ، يبدو واضحاً انه ربط هذه المسابقات بالموت فحقق الصلة بينهما^(٦١) وهو نهج أصبح من الواضح أن الأغريق ساروا عليه في مراسيم دفن أبطالهم ، فهذا هوميروس (القرن ٩ ق.م) يروي لنا بالتفصيل في إلياذته كيف ان القائد الاغريقي أخيلوس أقام ألعاباً جنازية تكريماً لصديقه باتروكلس الذي قتل أثناء حرب طروادة ، وذلك بعد حرق جثته ، وقد أشير في معرض الكلام عن هذه الألعاب الى القرابين والأضاحي المختلفة تكريماً وتقرباً للآلهة وكذلك جوائز الفائزين وهي عبارة عن قدور ومساند ثلاثية القوائم وخيول وبغال وأبقار قوية

ونساء حسنات المظهر وكميات من الذهب ، وشملت المسابقات سباق العربات والمصارعة وسباق الجري والمبارزة وقذف الكرة الحديدية ورمي السهام^(٦٢) .

اذن كان الدافع الأساسي في إقامة الألعاب الاولمبية هو الواعز الديني^(٦٣) إكراماً للآلهة ولأرواح الأموات^(٦٤) ، وبما ان الشعب الاغريقي شعب متدين ويخاف الآلهة فقد استطاع على الرغم من تعدد أقوامه المتصارعة فيما بينها إقامة مثل هذه الألعاب والاشتراك فيها جميعاً والتقيّد بأنظمتها يقودهم في ذلك حبهم للمنافسة وإظهار القوة الجسدية والفوز بالمجد الشخصي ، وفي الحقيقة ان مثل هذا الأمر أي القيام بمسابقات رياضية لهذه الاسباب لم توجد بين شعوب العالم القديم مثلما برزت عند الأغريق^(٦٥) ، فقد اعتبرت الألعاب الاولمبية أعظم مهرجان كرنفالي بالنسبة للأغريق^(٦٦) . مع ان الباحث ساكز^(٦٧) يرى ان لعبة الملاكمة في العراق القديم كانت شائعة وكانت نشاطاً له علاقة بالطقوس الدينية .

وبالعودة الى استخلاص تاريخ أكيد لبدء الألعاب الاولمبية تبرز لنا وثيقة تاريخية مهمة تبين ان بدء هذه الألعاب لا يعود الى عام ٧٧٦ ق.م ، بل أقدم من هذا التاريخ بنحو مئة عام ، عندما كانت شبه جزيرة البيلوبونيز تحت نزاع وصراع ثلاثة أجناس اغريقية وهم الايتوليون^(٦٨) المسيطرون على مدينة إيليس والآخيون المسيطرون على مدينة بيزا والتي كانت العاصمة القديمة لهم^(٦٩) والدوريون المسيطرون على اسبارطة ، وهذه الصراعات انعكست على الألعاب الاولمبية ايضاً من خلال رغبة كل طرف في السيطرة على تنظيمها والاشراف عليها حتى توصلوا الى عقد اتفاقية سميت بـ ((الهدنة المقدسة)) والتي يعتقد انها تعود الى عام ٨٨٤ ق.م تم فيها الاتفاق على حماية الألعاب من أية صراعات عسكرية بين المدن^(٧٠) لمدة معينة وبالتالي فإن هذه المعاهدة صانت سير الألعاب بشكل سلس ولقرون طويلة فعزّزت الوحدة الثقافية والحضارية للأغريق^(٧١) .

يقول بلوتارك ان الفيلسوف الاغريقي ارسطو (المتوفى سنة ٣٢٢ ق.م) رأى بأم عينه قرصاً معدنياً (يستعمل في الألعاب الاولمبية للرمي) كان موضوعاً في الـ (Heraeum) في مدينة اولمبيا منقوش عليه بنود المعاهدة ، جاء فيه : ((اولمبيا هي مكان مقدس ، وأي شخص يتجرأ على الدخول اليها مسلحاً يتم وسمه بالنار كشيء مدّنس ...))^(٧٢) .

ويبدو ان تنظيم هذه الألعاب بقي تحت سلطة المدن الثلاثة سوية ولكن بمرور الوقت ولأسباب غير واضحة أصبحت إيليس ومنذ عام ٥٧٢ ق.م هي المشرفة الوحيدة على هذا الأمر^(٧٣) وظلت كذلك حتى نهاية الألعاب عام ٣٩٤م^(٧٤) .

اذن فقد اعتبرت فترة أيام المهرجان الاولمبي الذي كان يقام كل أربع سنوات في الصيف ما بين شهري آب وأيلول ، أيام حرم أي لا يجوز القتال أو الحرب فيها^(٧٥) ، وكان رسول يخرج من مدينة إيليس المسيطرة على مدينة اولمبيا ويسافر عبر العالم الاغريقي معلناً بدء الاحتفالات داعياً المتنافسين للمشاركة ومعلناً الهدنة المقدسة بين المدن الاغريقية والتي كانت مدتها في البداية شهراً واحداً ثم أصبحت ثلاثة أشهر ، حيث كانت دويلات المدن تلقي الأسلحة وتوقف نزاعاتها ، ونادراً ما اندلعت الخلافات السياسية التي تهدد سير المسابقات عبر التاريخ الطويل لهذه الألعاب^(٧٦) ، فقد كان المشاركون يتوافدون حجاجاً براً وبحراً نحو اولمبيا دون ان يتعرض لهم أحد او يمسهم بسوء فتتحول القرية المقدسة الى مدينة تضج بالزوار الرياضيين والحجاج والخطباء والشعراء وغيرهم^(٧٧) ، اذ كانوا يأتون من جميع بلاد الاغريق ليس من داخلها فقط وانما حتى من المستعمرات التي كان يقيم فيها الاغريق في مناطق البحر الاسود وآسيا الصغرى والجزر المجاورة وجنوب ايطاليا وصقلية^(٧٨) .

ومن الواضح أن هذه الهدنة كانت تفرض إجبارياً على دويلات المدن الاغريقية بفعل الواعز الديني حيث يكون معبد الاله زيوس في اولمبيا قبلتهم التي يتوجهون نحوها ، وكانت الروح التنافسية تصل القمة خلال هذه الألعاب اذ ان الفوز بالجائزة الكبرى تعني جلب السمعة والشهرة ليس للمتسابق فحسب وإنما لمدينته وقومه أيضاً^(٧٩) .

ومنذ تاريخ عقد الهدنة أصبحت المباريات تقام بشكل منتظم ، ويعتقد أنها في البداية كانت تقام بشكل سنوي ولكن بسبب ان المشاركين كانوا في مختلف انحاء الاغريق الأمر الذي يتطلب فترة طويلة لوصولهم ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى انها كانت تتعارض سنوياً مع الاحتفالات الرياضية المحلية الاخرى التي كانت تقام في بلاد الاغريق^(٨٠) ، لذلك يعتقد الباحثون انه منذ عام ٧٧٦ ق.م ، وهو العام الذي أحتسبت فيه الألعاب الاولمبية بشكل رسمي ، حوّلت هذه الاحتفالية بالمباريات الى احتفالية تقام بشكل دوري كل أربعة سنوات^(٨١) .

وكان يشترط في المشاركين ان يكونوا من الذكور الاغريق الأحرار المنحدرين من أبوين اغريقيين لم تلحق بهم أية وصمة تشين سمعتهم ، فقد كان محضوراً على العبيد المشاركة في المسابقات^(٨٢) ، كذلك كان محضوراً على النساء أيضاً بل كان محضوراً عليهن حتى ان يكن من بين المتفرجين^(٨٣) وعوضاً عن ذلك كان لهن احتفالاً رياضياً منفصلاً عن الألعاب الاولمبية يقام كل اربع سنوات ايضاً يسمى بـ (Heraia) يقام على شرف الالهة هيرا ، يتسابقن فيه سباقاً واحداً فقط هو سباق الجري تتبارى فيه ثلاثة فئات عمرية من النسوة^(٨٤)، ويبدو أن هذا التقليد او السباق يعود بجذوره الى الاسطورة الخاصة بـ ((هيبوداميا)) التي يعتقد انها هي من أسست ال ((Heraia)) لأن النساء كن مستبعدات عن المشاركة مع الرجال منذ البداية^(٨٥) . أما الفئة الثالثة التي كان محضوراً عليها

المشاركة في الألعاب الاولمبية فكانت فئة الأجانب او الغرباء باستثناء الرومان الذين كان مسموحاً لهم بالمشاركة^(٨٦) .

أصبحت الألعاب الاولمبية مع مرور الوقت مجال لمنافسة المحترفين أكثر فأكثر وأصبحت أقوى اختبار للأبطال^(٨٧) ، ومع نهاية الفترة الكلاسيكية (القرن الرابع ق.م) بدأت السلطة الدينية للألعاب تتناقص خاصة مع بدء سيطرة المقدونيين^(٨٨) على بلاد اليونان^(٨٩) . وفي عام ١٤٦ ق.م فقدت الألعاب الاولمبية خصوصيتها كونها خاصة بالأغريق فقط اذ بدأت قبائل ودول غير اغريقية تشارك في المباريات^(٩٠) . ومع سيطرة الرومان على بلاد اليونان استمرت مسابقات الألعاب الاولمبية ارضاءاً للحشود في أجل كسب العيش^(٩١) ولكنها بدأت بالاضمحلال أثناء النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي ، ثم وضعت المسيحية حداً لها اذ كان عام ٣٩٣ م آخر عام أجريت فيه الالعاب ، ففي السنة التالية أمر الامبراطور ثيودوسيوس الاول (٣٤٧-٣٩٥ م) باغلاق المعابد كلها^(٩٢) واييقاف المسابقات باعتبارها جزءا من الممارسات الوثنية ، ولم تستأنف هذه الألعاب الا في التاريخ الحديث في اثينا عام ١٨٩٦ م^(٩٣) .

رابعاً : برنامج الألعاب الأولمبية

كما ورد أعلاه فإن عملية تنظيم الالعاب كانت بيد مواطني مدينة إيليس ، فقبل بداية الدورة الاولمبية كان يطلب من المتنافسين التدريب لمدة شهر في هذه المدينة وكانت هذه التدريبات تتم تحت إشراف لجنة من الموظفين المسؤولين عن إدارة الألعاب^(٩٤) يسمون الـ (Hellandotics) يتم ترشيحهم قبل شهرين من بدء الدورة^(٩٥) .

وكانت التمارين الرياضية تقام في بنائيتين رياضيتين كانتا تستخدم للتنشئة الاجتماعية وكمدارس للأولاد ، حيث كانت المدن اليونانية عادة ما تحوي على الأقل واحدة منهما ، وهاتان البنائتان هما الجمناسيوم (Gymnasium) والبالسترا

(Palaestra)^(٩٦) وتعني الاولى حرفياً ((مكان العراة)) وهي مشتقة كلمة (Gymnos) اليونانية بمعنى ((عاري)) ، وهذه البناية كانت تشير الى صالة للألعاب الرياضية كان اللاعبون يمارسون فيها الألعاب الرياضية وهم عراة او شبه عراة^(٩٧) ، أما Palaestra فتعود بأصلها الى الكلمة الاغريقية الخاصة بالمصارعة أو حلبة المصارعة وهذه البناية او القاعة عادة ما تكون ملحقة بالبناية الاولى في أغلب المدن الاغريقية^(٩٨) . وقد كانت كلتا البنائتان ذات مساحة مركزية مفتوحة للهواء الطلق محاطة بأروقة معمّدة وأحياناً بغرف إضافية^(٩٩) .

أما مدة دورة الألعاب الأولمبية فقد اختلفت عبر تاريخها الطويل منذ نشأتها الاولى ، ولكن بشكل عام كانت تستمر (٣-٥) أيام تختتم بمراسيم تمنح فيها الجوائز^(١٠٠) . وكان اليوم الأول مخصصاً للصلوات والأدعية وتقديم القرابين للاله زيوس ، السبب الأساسي لأقامة الألعاب ، حيث كان يقدر عدد الموجودين بنحو (٤٠-٤٥) ألف شخص^(١٠١) يحيطون بمعبده على شكل مواكب من الموظفين المشرفين والرياضيين ومندوبين من مختلف المدن يحملون القرابين للاله كان بعضها عبارة عن أعمال فنية لأمهر الفنانين حتى أصبحت أولمبيا بالتدريج مستودعاً للأعمال الفنية ، كما أشار الى ذلك بعض الباحثين الأغريق في القرن الثاني الميلادي^(١٠٢) . وكان المتنافسون في هذا اليوم يؤدون القسم على اللعب النزيه^(١٠٣) هم ومدربيهم وأبائهم أمام تمثال الاله زيوس في معبده ، ثم يمضون في موكب الى ملعب المدينة حيث يقوم المسؤولون بتقديم كل رجل مشارك بالمنافسة بإعلان اسمه واسم أبيه واسم مدينته^(١٠٤) ، والجدير بالذكر أن المتنافسين كانوا يقومون بالمسابقة وهم عراة بالكامل ، وهي ممارسة نشأت في نهاية القرن الثاني ق.م استناداً الى عرف متداول ان أحد المتسابقين القداماء عند عدوه وفوزه بالمسابقة سقط منه سرواله القصير^(١٠٥) .

تبدأ أولى الالعب بسباقي العربات ذات الأربعة خيول ، وهذا النوع من السباق كان أعظم الألعاب شهرة^(١٠٦) ، ثم سباق ركوب الخيل^(١٠٧) ذات ميدان السباق الخاص به والمسمى (Hippodromos) ، والذي كان طوله ضعف طول الStadium ، وكان على المتسابقين ان يقطعوا مسافة الحلبة عشرة مرات ذهاباً وإياباً^(١٠٨) . ومن الجدير بالذكر ان سباقي العربات والخيول لم يكن يشارك فيهما سوى النبلاء والأشخاص المهمين الذين كانوا يمتلكون الخيول والعربات ذات العجلتين والذين كان الغرض في مشاركتهم نيل الشرف والشهرة ، ولعل أشهر الشخصيات التي شاركت في هذا السباق هو هيرون ملك سيراكوز^(١٠٩) الذي فاز في السنوات ٤٧٦ و ٤٧٢ و ٤٦٨ ق.م على التوالي^(١١٠) .

وبعد ذلك تبدأ المنافسات الخاصة بالرياضيين والمسمات بـ((المبارء الخماسية)) (pentathlon) والتي كانت تتضمن الجري والقفز الطويل ورمي القرص ورمي الرمح والمصارعة ، وقد جرت العادة ان يتم العزف على موسيقى الفلوت أثناء ممارسة هذه الألعاب^(١١١) .

فبالنسبة للجري كانت تقام ثلاثة سباقات للركض ذات مسافات مختلفة ، في البداية كانت المبارات مقتصرة على سباق المسافات القصيرة في الملعب لمسافة طولها (٢٠٠) ياردة وبعد ذلك أدخلت مباريات سباق المسافات المضاعفة حيث كان المتسابقون يركضون نحو هدف هو عبارة عن عمود قصير ثم يستديرون حوله ويعودون الى نقطة الانطلاق الاولى ، ثم أدخل سباق المسافات الطويلة التي تتراوح بين ميلين وثلاثة أميال^(١١٢) . وتذكر إحدى القصص عن طول هذه المسافة التي كانت تجري تحت أشعة شمس الصيف اللاهبة ان أحد المتسابقين الاسبارطيين توفي عام ٤٤٠ ق.م بعد تجاوز خط النهاية بسبب الارهاق حتى أن الملعب دعي بأسمه ((لاداس)) اكراماً له ، وظلت هذه التسمية لمدة (٦٠٠) سنة من بعد موته^(١١٣) .

كان الملعب الذي كانت تجرى فيه المباريات ذات مسار بيضوي كما هو حال الملاعب اليوم ، وكان خط البداية عبارة عن لوح من الرخام يحفر به أخاديد مزدوجة يضع المتسابقون أرجلهم العارية عليها قبل الانطلاق (اذ كانوا يركضون عاريي الأقدام) وهي فكرة تكاد تكون مشابهة لمثيلتها في الوقت الحاضر من وجود تجاويف أو حفر توضع فيها رجل المتسابق قبل الانطلاق ، والمتسابقون كانوا ينطلقون للجري بسماعهم كلمة (Apite) بمعنى انطلق^(١١٤) ، وكان كل سباق يتكون من أربعة متسابقين فقط في كل مرة^(١١٥) .

أما بالنسبة لمسابقات الملاكمة والمصارعة فقد كان المتنافسون يلفون على أيديهم شرائط من الجلد الناعم (بدل الكفوف التي لم يكونوا على دراية بها) ، ولم يفصل خلال هذه المسابقات جولات أو أشواط للراحة ، كما هو الحال في الوقت الحاضر ، بل ينتهي السباق عندما يعلن أحد المتنافسين بأنه لم يعد بأستطاعته الاستمرار^(١١٦) .

وأما المسابقة العامة (Pancratium) فكانت لعبة تجمع بين المصارعة والملاكمة أنشئت لها حلبة خاصة تسمى بالسترا^(١١٧) ، سبقت الإشارة إليها ، وكانت هذه اللعبة وحشية ان صح التعبير ، اذ كانت تجمع بين مسكات المصارعة وضرب بقبضات اليد مثل الملاكمة وكان مسموحاً بالخنق والركل ، حتى أن هناك قصة تروى عن هذا الأمر أنه في احدى السنين وقع أحد المتنافسين ميتاً جراء وحشية القتال وعندما أعلن عن الفائز وقع هو الآخر ميتاً ايضاً^(١١٨) .

إضافة الى هذه المسابقات كان هناك مباريات سباق بين الرجال وهم يحملون أسلحتهم أو يحملون المشاعل واخرى كان على الفرسان ان يقفزوا فيها على صهوات جيادهم ويجرون بجوارها ممسكين بألجمتها ، هذا فضلاً عن مسابقات بين المنادين ونافخي الابواق^(١١٩) .

اليوم الخامس والأخير من المسابقات كانت تقام فيه مراسيم الاختتام والتي تتضمن تتويج الفائزين بالمرتبة الاولى فقط أي لم يكن هناك جائزة للفائز الثاني والثالث كما هي الحال عليه في الألعاب الاولمبية الحالية^(١٢٠) ، اذ كان ينادى بأسم الفائز فيتوجه الى مائدة الحكام المصنوعة من العاج والذهب^(١٢١) فيمنح اكليلاً مصنوعاً من أغصان أشجار الزيتون المقدسة التي كانت تنمو في البساتين المجاورة^(١٢٢) . وكان يتم اختيار لجنة التحكيم من بين الأسر النبيلة في اقليم إيليس حيث يرتدون أرواباً حمراء اللون ويجلسون في مقاعد خاصة بهم ، وكانوا هم من يفرضون العقوبات والجزاءات عند خرق قواعد الألعاب^(١٢٣) .

وفي مساء هذا اليوم الأخير وقبل مغادرة الجميع اولمبيا راجعين الى بيوتهم كانت تقام مأدبة طعام كبيرة للفائزين يرأسها الحكام^(١٢٤) في ((ألتس)) أقدس مكان في المدينة ، فكانت جوقات المغنين تتشد أناشيد النصر وكان كثير من الشعراء والخطباء الاغريق ينتهزون هذه الفرصة لألقاء الاشعار والخطب السياسية وبالتالي تكون الدورة فرصة لتبادل وجهات النظر بين مختلف شعوب الاغريق وتوثيق الروابط الثقافية بينهم^(١٢٥) .

وعند عودة الفائزين المتبارين كل الى مسقط رأسه كانوا يجدون المدينة مستعدة لأستقبالهم استقبال الابطال وفرحة بفوزهم فتقدم لهم مختلف الهدايا ومن ضمنها هدايا نقدية^(١٢٦) بل حتى أنها كانت تقيم لهم التماثيل لتخليدهم^(١٢٧) .

خامساً : الألعاب الأولمبية الحديثة

يعود الفضل في إحياء الألعاب الأولمبية الى البارون بيري دي كوبرتن (١٨٦٣-١٩٣٧م) الذي يعتبر مؤسس الألعاب الاولمبية الحديثة^(١٢٨) ، فقد أقيمت أول دورة لهذه الألعاب في أثينا عام ١٨٩٦^(١٢٩) وترأس البارون اللجنة الأولمبية فيها وبقي كذلك لمدة (٢٩) سنة فكان له الفضل في كثير من الامور الخاصة بالاولمبياد التي تقام كل أربعة سنوات في بلد مختلف يتحمل تكاليف اقامتها ،

وهناك ألعاباً صيفية وأخرى شتوية يشارك فيها جميع بلدان العالم بدون تمييز قومي أو ديني أو عرقي أو سياسي^(١٣٠) .

تبدأ الأولمبياد باحتفال يتضمن ترديد القسم من قبل الرياضيين المشاركين وضعه البارون كوبرتن ينص على : ((اننا نقسم على ان نقبل على الألعاب كمثابرين شرفاء ، نحترم قوانينها ، ونسعى للاشتراك فيها بشهامة لشرف بلادنا ولمجد الرياضة))^(١٣١) .

وتكريماً لبلاد اليونان جرت العادة ومنذ عام ١٩٣٦ على إيقاد جذوة الشعلة الاولمبية في بلاد الاغريق في الموقع الذي أقيمت فيها أول دورة أولمبية فتعاقب على حملها ونقلها عداؤون من مختلف انحاء العالم (٣٠٠٠ عدا) حتى وصلوا الى برلين مكان اقامتها في تلك السنة فأصبحت تلك سنة وتقليداً متبعاً في الدورات اللاحقة حيث توقد الشعلة في اليونان وينقلها العداؤون الى المكان الذي تقام فيه الدورة^(١٣٢) .

الاستنتاجات

١. ورد ذكر الألعاب الاولمبية ونشأتها في عدة أساطير اغريقية الأمر الذي يدل على قدم وجودها على الأرض اليونانية .
٢. أسفرت التنقيبات في اولمبيا عن بقايا معبد (هيرا) الذي يعتبر أقدم معبد في بلاد الاغريق والمؤرخ للقرن السابع ق.م ، كذلك معبد الاله زيوس المشيد لتمثاله الضخم والذي كان أحد عجائب الدنيا السبع ، ومقام أو قبر المدعو (بيلوبس) المرتبط بنشأة الألعاب الاولمبية ، أما آثار الشواخص الرياضية المتبقية فهي كلاً من الملعب (Stadium) وميدان سباق الخيل والعربات المسمى (Hippodrome) .

٣. كانت مدينة اولمبيا ، التي أخذت الألعاب التسمية منها ، مركز المسابقات الاحتفالية لكل العالم الاغريقي منذ نشأتها الاولى وحتى تاريخ نهاية هذه الألعاب عام ٣٩٤ م .

٤. أقيمت المسابقات في هذه المدينة تكريماً للاله زيوس ولمعبده المقام فيها وتكريماً لأرواح الموتى ، أي ان الدافع الأساسي كان الواعز الديني وهذا الأمر أدى الى مشاركة الاغريق جميعاً فيها والتقييد بأنظمتها على الرغم من صراعاتهم المستمرة فيما بينهم يحدوهم في ذلك حبهم للمنافسة وإظهار قواهم الجسدية والفوز بالمجد الشخصي .

٥. لا يمكن اعتبار ان البداية التاريخية للألعاب كانت عام ٧٧٦ ق.م كما هو متعارف عليه رسمياً ، بل يعتقد انها بدأت في حوالي ٨٨٤ ق.م وهو العام الذي عقدت فيه ((الهدنة المقدسة)) بين الايتوليين والآخيين والدوريين الذين كانوا مسيطرين على شبه جزيرة البيلوبونيز .

٦. نصّت الهدنة المقدسة على حماية الألعاب من أية صراعات عسكرية بين المدن مدة إقامة الدورة ، وبذلك صانته هذه المعاهدة سير الألعاب بشكل طبيعي ولقرون طويلة في بلاد اليونان ، اذ التزم الجميع (سكان اليونان) ببئودها التي نصّت على ان تكون فترة قيام المهرجان أيام حرم أي لا يجوز القتال او الحرب فيها ، وقد كانت هذه الفترة لمدة شهر ثم أصبحت ثلاثة أشهر .

٧. منذ عام ٧٧٦ ق.م أصبحت المباريات تقام كل أربعة سنوات في الصيف بين شهري آب وأيلول بعد أن كانت تقام سنوياً .

٨. اشترط في المشاركين ان يكونوا من الذكور الأحرار ذات الأصل الاغريقي والسمعة الحسنة وكان محضوراً على العبيد والنساء والغرباء (الاجانب)

المشاركة فيها ، في المقابل كانت تقام ألعابا خاصة بالنساء في فترة زمنية مختلفة عن فترة ألعاب الذكور .

٩. استمرت الألعاب منذ نشأتها الاولى وحتى عام ٣٩٣ م بشكل متواصل ، وفي عام ٣٩٤م أمر الامبراطور المسيحي ثيودوسيوس الاول بأغلاق المعابد وإيقاف المسابقات باعتبارها جزء في الممارسات الوثنية ولم تستأنف الا في التاريخ الحديث في أثينا عام ١٨٩٦ م .

١٠. قبل بدء الدورة الاولمبية كان المتنافسون يقومون بالتدريب لمدة شهر في مدينة إيليس التي يتم اختيار موظفين منها يقومون بالإشراف على التدريب إضافة الى لجنة الحكام الخاصة بالألعاب المتكونة من عشرة أشخاص يتم اختيارهم من الأسر النبيلة من هذه المدينة أيضاً .

١١. كانت التمارين الرياضية تقام في بنايتين هما الجمناسيوم والبالسترا .
١٢. مدة الدورة كانت حوالي (٣-٥أيام) يتضمن اليوم الاول تقديم القرابين للاله زيوس في معبده وإداء القسم أمام تمثاله على اللعب النزيه من قبل المتنافسين ، ثم تبدأ الألعاب التي كانت تتضمن سباق العربات ذات الاربعة خيول وسباق ركوب الخيل والمباراة الخماسية (الجري والقفز الطويل ورمي القرص ورمي الرمح والمصارعة) والمسابقة العامة التي تجمع بين الملاكمة والمصارعة إضافة الى ألعاب ثانوية اخرى .

١٣. اليوم الخامس كانت تجرى فيه مراسيم الاختتام المتضمنة تتويج الفائزين بالمرتبة الاولى بأغصان الزيتون ثم اقامة مأدبة عشاء فخم تحت إشراف لجنة التحكيم حيث تتشد أناشيد النصر وتلقي قصائد الشعر والخطب .

Summary

Olympic Games was an important role in the life of the Greeks in ancient history where it was considered the greatest celebration for the people, came significance is not being only festival mathematically but considered culturally, politically and socially gathering which meets all citizens of the country the Greeks to be the unit civilized alternative task for the fact in their lives, but It is the lack of a single state that bind states Greek cities in a centralized political unit, and the motive behind the underlying these games is the religious impulse as she was held in honor of the god Zeus the father of gods in Greek mythology, and thus became the sports courses since its inception, the sanctity of the first bound by the Greeks.

Olympia City was the point of the Greeks in these courses being the place where the games were held this city, a place of pilgrimage for them in the Olympics period through ancient history, but the games stopped under the influence of Christian religious ideas in 394AD as part of pagan practices, Shoved forgotten for so many centuries have been developed in recent history in Paris in1894 by Baron Perry de Koprtm and performed for the first time in Athens in1896, the list until

the present time, as are held every four years, a major merryly includes competitors from all nations of the world.

المصادر والهوامش

(١) قاسم الشواف ، الفينيقيون والالعب الاولمبية - دور مدينة عمريت الفينيقية في نقل

ممارسة المباريات الرياضية الى اليونان ، (دمشق ، دار علاء الدين ، ٢٠١١) ،

ص ١٦٧ .

(٢) Heinz Schöbel , The Ancient Olympic Games , (Leipzig , 1966), p.18.

(٣) عن التأثيرات المختلفة لأوجه حضارة جزيرة كريت على شبه جزيرة البيلوبونيز بشكل خاص

وعلى بلاد اليونان بشكل عام . ينظر : سيد احمد علي الناصري ، الأغريق تاريخهم

وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام امبراطورية الاسكندر الاكبر ، (ط٢ ، القاهرة

، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦) ، ص ٣٢-٤٧ .

(٤) أي ((جزيرة بيلوبس)) وهي شبه جزيرة تقع جنوبي بلاد اليونان تحتوي على عدد من المدن

لعبت دوراً مهماً في التاريخ الاغريقي منها : كورنثيا ومسينا وسيكون وابيداروس

واولمبيا واسبارطة وبيلوس ومسترا الخ . وعن هذا الموضوع ينظر :

David Sacks, Encyclopedia of the Ancient Greek world, (U.S.A,2005), pp.243.

وقد اخذت تسمية ((بيلوبونيز)) من اسم البطل الاسطوري بيلويس الذي سيرد اسمه في

احدى الاساطير اذ له علاقة بنشأة الالعب الاولمبية . ينظر : دريني خشية ،

أساطير الحب والجمال عند الاغريق ، (ط٢ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ،

١٩٨٦) ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(٥) Schöbel, op.cit , p.19 .

(٦) أبكار السقاف ، الدين عند الاغريق والرومان والمسيحيين ، (بيروت ، الانتشار العربي ،

٢٠٠٤) ، ص ٢٤ .

(٧) Michael Grant , Myths of the Greeks and Romans, (U.S.A, 1995) , p.87.

(٨) كاظم سعد الدين ، معجم الميثولوجيا الكلاسيكية اليونانية والرومانية ، (بغداد ، دار المأمون

للترجمة والنشر ، ٢٠٠٦) ، ص ١٣١ .

(٩) عبد المعطي شعراوي ، أساطير اغريقية - الآلهة الكبرى ، (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٥) ، ج ٣ ، ص ٣٢-٣٣ .

(١٠) الحسيني الحسيني معدى ، الأساطير الأغريقية ، (القاهرة ، كنوز للنشر والتوزيع ، ٢٠١١) ، ص ٧١ .

(١١) Schöbel , op.cit , p.19.

(١٢) الشواف ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(١٣) Schöbel , op.cit , p.19 .

(١٤) أ.أ. نيهاربت ، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة ، تر : هاشم حمادي ، (دمشق ، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٤) ، ص ١٣-١٦ .

(١٥) Schöbel , op.cit , p.19

(١٦) الآخيون : أقوام هندوأوربية بدأوا بالهجرة الى بلاد اليونان في حوالي ١٩٠٠ ق م قادمين تقريباً في شرق بحر قزوين وأواسط آسيا وقد دخلوا البلاد على شكل دفعات متعاقبة وشيئاً فشيئاً طغوا على السكان الأصليين بعد ان تأثروا بحضارتهم وأصبحوا هم المسيطرون ، وهؤلاء الأقوام هم الذين يسميهم هوميروس (القرن التاسع ق.م) بالآخيين الذين قاموا بحرب طروادة ، وابتداءً من القرن السابع تقريباً صاروا يطلقون على انفسهم اسم الهيلينيين وهم من سماهم الرومان فيما بعد بالاغريق . عن هذا الموضوع ينظر : عبد اللطيف احمد علي ، التاريخ اليوناني ، العصر الهيلادي (١) ، (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦) ، ص ٨٦-٨٨ .

(١٧) R. F. Willettes , M.A. Gertan, Cults and Festivals , (London , 1962), p.231.

(١٨) Schöbel , op.cit , p.19 .

(١٩) الناصري ، المصدر السابق ، ص ١١٥ .

(٢٠) مملكة فريجيا : هي احدى الممالك التي نشأت في آسيا الصغرى في القرن التاسع ق.م ، أسسها الفريجيون في الموضع الذي يعرف اليوم بأسم انقرة ، وقد اشتهر الفريجيون باتصالهم الثقافي بالاغريق وظهر اسمهم في العديد من الاساطير الاغريقية . ينظر : طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، (ط ٢ ، مطبوعات دار المعلمين العالية ، ١٩٥٦) ، ج ٢ ، ص ٣٥٨-٣٥٩ .

(٢١) عن الاسطورة الخاصة بكيفية اعتلاء بيلوبس عرش فريجيا بعد أبيه ينظر : خشبة ،
المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٣٧-١٥٠ .

(٢٢) عن هذه الاسطورة ، ينظر : عبد المعطي شعراوي ، أساطير اغريقية - أساطير البشر ،
(القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣) ، ج١ ، ص٢٧٥-٢٨٣ .

(٢٣) الشواف ، المصدر السابق، ص١٦٢ .

(٢٤) طيبة : المدينة الرئيسية في مقاطعة بيوتيا الواقعة في وسط بلاد اليونان ، بقاياها اليوم

مدفونة تحت مدينة Thivai اليونانية . ينظر : Sacks, op.cit, p.340.

(٢٥) الحسيني الحسيني معدي ، الاساطير اليونانية والرومانية ، (القاهرة ، كنوز للنشر والتوزيع
٢٠٠٩) ، ص٨٣ .

(٢٦) إيليس : مدينة كانت تقع على نهر بينيوس ضمن مقاطعة إيليس التي كانت تشمل الركن
الشمالي الغربي من البيلوبونيز ، وكانت مدينة أولمبيا وبيزا ضمن هذه المقاطعة .
ينظر: علي ، المصدر السابق(١٩٧٦) ، ص١٦٦-١٦٧ .

(٢٧) شاعر أصله من مدينة قرب طيبة في بويوتيا ، كتبت قصائده بالدرجة الاولى للتغني
بالانتصارات الرياضية . ينظر :

Luke Roman and Monica Roman , Encyclopedia of Greek and Roman
Mythology , (New York, 2010), p.413.

(٢٨)Schöbel , op.cit, p.20.

(٢٩) عن هذه الأعمال مفصلة ينظر : شعراوي ، المصدر السابق(١٩٨٣) ، ج١ ، ص٣٨٥-
٤١٢ .

(٣٠)Schöbel , op.cit, p.20.

(٣١) استناداً الى الاساطير اليونانية فأن الالهة اثينا هي التي أدخلت شجرة الزيتون في اقليم
أثينا لأول مرة ، الا أن الاكتشافات الحديثة ترجح ان هذه الشجرة كانت اصيلة في
بلاد اليونان حتى انها اشتهرت بتصدير زيتها ، وثمة معلومة مهمة وهي ان أشجار
الزيتون لا تتضج الا بعد فترة طويلة من غرسها تتجاوز (١٦-١٨ سنة) بل وقد لا
تعطي أجود محصول الا بعد (٤٠ - ٦٠ سنة) ، لذلك أصبح غصن الزيتون رمزاً
للسلام بمعنى أنه يحتاج الى فترة سلام طويلة تحت ظل ادارة حكومة قوية تكفل الأمن

فلا تتعرض الارض المزروعة للتخريب ويتاح لهذه الشجرة الوقت لتنمو وتتضج ،
ينظر : علي ، المصدر السابق (١٩٧٦) ، ص ٤٠ .

(٣٢) Schöbel , op.cit, p.21.

(٣٣) Jiří Frel , Greek Architecture , (London , 1964) , p.11.

(٣٤) Charles Gates , Ancient Cities – The archaeology of urban Life in the Ancient Near East and Egypt, Greece , and Rome , (London,2011) , p.245.

(٣٥) نخبة من العلماء ، الموسوعة الأثرية العالمية ، تر : محمد عبد القادر وزكي اسكندر ،
(ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧) ، ص ٢٣ .

(٣٦) الشواف ، المصدر السابق ، ص ١٧٧ .

(٣٧) Gates , op.cit, p.245.

(٣٨) الشواف ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(٣٩) Gates , op.cit, p.245.

(٤٠) Schöbel , op.cit, p.21.

(٤١) Frel , op.cit , p.12.

(٤٢) الدوريون : أقوام هندوأوربية قضوا على الحضارة الآخية بعد سيطرتهم على شبه جزيرة
البيلوونيز قادمين من شمال اليونان ، ثم مدوا سيطرتهم الى كريت وجزر بحر أيجه ،
وقد أدى انتشارهم الى احلال الفوضى في كافة أنحاء البلاد اليونانية وتأخر تطورها
عدة عصور ، وتعتبر اسبارطة احدى أهم مستوطناتهم . عن هذا الموضوع ينظر :
محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ، (ط ٣ ، بلا ، دار الفكر ، ١٩٨٠) ، ج ١ ،
ص ٩٨-١٠٤ .

(٤٣) Schöbel , op.cit, p.42.

(٤٤) N.G.L. Hammond, ((The expedition of Xerxes)), C.A.H , vol.4,
(Cambridg , 2008), pp.569-591.

(٤٥) الشواف ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

(٤٦) عن هذه الاعجوبة ينظر : عجائب الدنيا السبع القديمة ، (ب.م ، سلسلة المكتبة العلمية
للشباب ، ب.ت) ، ص ٤٦-٤٩ .

(٤٧) الموسوعة الأثرية العالمية ، ص ١٢٤ .

(٤٨) Frel , op.cit, p.13.

(٤٩) الشواف ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

- (٥٠) Gates , op.cit, p.249 .
- (٥١) Schöbel , op.cit, p.51 .
- (٥٢) Ibid , p.52 .
- (٥٣) Gates, op.cit, p.250 .
- (٥٤) الناصري ، المصدر السابق ، ص١١٦ .
- (٥٥) عاصم احمد حسين ، المدخل الى تاريخ وحضارة الاغريق ، (القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ب.ت.) ، ص٥٣-٥٥ .
- (٥٦) روبرت ج. ليتمان ، التجربة الاغريقية حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي ، ٨٠٠-٤٠٠ ق.م ، تر : منيرة كروان ، (القاهرة ، المجلس الاعلامي للثقافة ، ٢٠٠٠) ، ص١٤-١٥ .
- (٥٧) Schöbel , op.cit, p.19.
- (٥٨) الشواف ، المصدر السابق ، ص١٦٦ .
- (٥٩) الموسوعة الأثرية العالمية ، ص١٢٣ .
- (٦٠) Schöbel , op.cit, p.21.
- (٦١) الشواف ، المصدر السابق ، ص١٦٦ .
- (٦٢) Ilyad , Bk.23, 165-897.
- (٦٣) Frel , op.cit , p.11.
- (٦٤) Schöbel , op.cit, p.21.
- (٦٥) Ricard Mansfield Haywood , Ancient Greece and the Near East , (New York, 1964), p.269.
- (٦٦) J.C. Evans and S.H. Sankowsky, Graphic World History , (U.S.A,), p.63.
- (٦٧) هاري ساكر ، عظمة موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة ، تر: عامر سليمان ، (ط٢ ، الموصل ، ١٩٧٩) ، ص٢١٤ .
- (٦٨) الايتوليين : قبيلة اغريقية هاجرت من الشمال بصحبة الدوريين نحو وسط وغرب اليونان في حوالي ١١٠٠ ق.م واستقرت في مدينة إيليس غربي شبه جزيرة البيلوبونيز . ينظر : Schöbel , op.cit, p.128 .
- (٦٩) Ibid, p.146.
- (٧٠) Ibid, p.22.

(٧١) سيرغي أ. توكاريف ، الأديان في تاريخ شعوب العالم ، تر : احمد م. فاضل ، (دمشق ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨) ، ص ٤٣٣ .

(٧٢) Schöbel , op.cit, p.22.

(٧٣) فوزي مكاوي ، تاريخ العالم الآغريقي وحضارته من أقدم عصوره حتى عام ٣٢٢ ق.م ، (الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ، ١٩٨٠) ، ص ٦٢ .

(٧٤) Schöbel , op.cit, p.30.

(٧٥) Schöbel , op.cit, pp.22, 104.

(٧٦) Gates, op.cit, p.250.

(٧٧) الناصري ، المصدر السابق ، ص ١١٦.

(٧٨) Haywood , op.cit, p.270.

(٧٩) Frel, op.cit, p.11.

(٨٠) كان للأغريق أربع مهرجانات رياضية كبرى أطلق عليها تسمية (Pan-Hellenic) أي ((لكل الاغريق)) وكانت هذه المباريات في عرف الاغريق مباريات مقدسة ، هذه المهرجانات هي:

١- الدورة الاولمبية .

٢- الدورة الاسمئية : نسبة الى بلدة اسثموس قرب كورنثوس ، وكانت تقام كل سنتين وقد أنشئت عام ٥٨١ ق.م.

٣- الدورة البيثية : نسبة الى بيثو الاسم القديم لمعبد أبولو في مدينة دلفي المقدسة ، أنشئت منذ عام ٥٨٢ ق.م وكانت تقام كل ثلاث سنوات .

٤- الدورة النيمية : نسبة الى مدينة نيميا بأقليم أرجوليس في شبه جزيرة البيلوبنيز ، وقد اقيمت هذه الدورة عام ٥٧٣ ق.م وكانت تقام كل سنتين .

عن هذا الموضوع ينظر : علي ، المصدر السابق (١٩٧٦) ، ص ١١٧-١١٩ . وفي الحقيقة فأن هذه المهرجانات ام تكن الا تقليداً للالعب الاولمبية ، وقد انشئت ايضاً على شرف الآلهة .

Haywood, op.cit, p.269 .

(٨١) Schöbel , op.cit, pp.23.

(٨٢) علي ، المصدر السابق (١٩٧٦) ، ص ١١٤ .

(٨٣) Evans and Sankowsky, op.cit, p.63 .

(٨٤) Gates, op.cit, p.251.

- (٨٥) الشواف ، المصدر السابق ، ص١٦٢ .
- (٨٦) علي ، المصدر السابق (١٩٧٦) ، ص١١٤ .
- (٨٧) Gates, op.cit, p.251.
- (٨٨) كانت مقدونيا تضم المناطق الشاسعة الواقعة شمال بلاد اليونان ، وكانت دولة ضعيفة مفككة يسيطر عليها الارستقراطيون ، وبفضل الملك فيليب تحولت الى دولة قوية . ينظر : عكاشة ، علي وآخرون ، اليونان والرومان ، (إريد ، دار الأمل ، ١٩٩١) ، ص٩٢ .
- (٨٩) الموسوعة الثرية العالمية ، ص١٢٣ .
- (٩٠) Schöbel , op.cit, pp.34 .
- (٩١) Gates, op.cit, p.351 .
- (٩٢) الشواف ، المصدر السابق ، ص١٨٠ .
- (٩٣) Haywood, op.cit, p.269 .
- (٩٤) Schöbel , op.cit, p.57.
- (٩٥) مكايي ، المصدر السابق ، ص٦٢ .
- (٩٦) Gates, op.cit, p.250 .
- (٩٧) محمد السيد محمد عبد الغني ، بعض ملامح الفكر اليوناني القديم ، (الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٩٩) ، ص٢٠٨-٢٠٩ .
- (٩٨) علي ، المصدر السابق ، ص١١٣ .
- (٩٩) Gates, op.cit, p.250.
- (١٠٠) Ibid, p.251.
- (١٠١) Schöbel , op.cit, p.106 .
- (١٠٢) Haywood, op.cit, p.271.
- (١٠٣) مكايي ، المصدر السابق ، ص٦٢ .
- (١٠٤) Haywood , op.cit, p.270f.
- (١٠٥) Gates, op.cit, p.251.
- (١٠٦) محمود فهمي ، تاريخ اليونان ، (الجيزة ، مكتبة ومطبعة الغد ، ١٩٩٩) ، ص٤٠ .
- (١٠٧) Haywood, op.cit, p.270 .
- (١٠٨) علي ، المصدر السابق ، ص١١٣ .
- (١٠٩) عن هيرودس ملك سيراكوز ينظر :
- T. Frank, ((Rome and Carthage : the first Punic War)) C.A.H, vol.7, (Cambridge, 1954).

- (١١٠) Schöbel , op.cit, p.94.
(١١١) Haywood, op.cit, p.270 .
(١١٢) علي ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .
(١١٣) Schöbel , op.cit, p.68 .
(١١٤) Haywood , op.cit, p.271 .
(١١٥) Schöbel , op.cit, p.68 .
(١١٦) Haywood, op.cit, p.271 .
(١١٧) علي ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .
(١١٨) Haywood, op.cit, p.272 .
(١١٩) علي ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .
(١٢٠) Schöbel , op.cit, p.99.
(١٢١) Haywood, op.cit, P.272.
(١٢٢) Schöbel , op.cit, p.18.
(١٢٣) علي ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .
(١٢٤) Haywood, op.cit, p.272 .
(١٢٥) علي ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .
(١٢٦) فهمي ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .
(١٢٧) مكايي ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .
(١٢٨) Schöbel , op.cit, pp.7 , 115 .
(١٢٩) Haywood , op.cit, p.269 .
(١٣٠) Schöbel , op.cit, p.118.
(١٣١) عبد الكريم البديري ، ((من أجل موسوعة رياضية - الألعاب الأولمبية من الالف الى الباء)) ، الصباح ، ع ٨٥٢ ، (الاثنين ، ٥ ، حزيران ، ٢٠٠٦) ، ص ٢٢ .
(١٣٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

صناعة المباخر في العصر الإسلامي

م . د . د . حيدر فرحان حسين الصبيحاي

رافق الطيب والتطيب الإنسان منذ نشوء الحضارات الأولى واستمرت عبر مراحل التاريخ المختلفة وصولاً إلى حياتنا الحالية ، فقد زودتنا بعض الرقم الطينية عن الحياة اليومية في العراق القديم بقيام الناس رجالاً ونساء على حد سواء بالزينة والتطيب وتعطير أجسامهم بأنواع العطور صباح كل يوم قبل الذهاب إلى أعمالهم المعتادة ، وفي نص مسماري يصف لنا أحد الصاغة الموسرين في الحضارة العراقية القديمة عن نشاطه اليومي مع عائلته منذ الصباح الباكر فيقول : (.... ومن ثم يذهب إلى الحمام وينتهيان منه بوضع زيت الزيتون على أجسامهم وشعرهم ومن ثم تعطير نفسيهما بالعطور المختلفة) (١) .

مثلاً أهتم الإنسان القديم بنظافة مظهره وجسمه ، اعتنى أيضاً بتعطير الأماكن التي يرتادها كالبيت والمعبد وأماكن عمله حيث كشفت لنا التنقيبات الأثرية عن بعض أشكال المباخر التي تستخدم لنفث العطور الزكية وتطيب المكان ومنها مبخرة تغلي رأس تمثال لكاهاناً عارياً واقفاً على أربعة أرجل وعلى كتفه كتابات مسمارية ، مصنوع من البرونز ، عثر عليه في خفاجي (٢) ويرجع زمنه إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، كان محفوظاً في القاعة السومرية في المتحف العراقي (٣) (صورة ١) .

ثمة مبخرة أخرى تتجلى فيها البراعة والدقة الفنية العالية عثر عليها في باسمويان في حوض دوكان (٤) تعود إلى العهد الحوري من منتصف الألف الثاني قبل الميلاد وكانت محفوظة في القاعة الأكديّة - البابلية في المتحف العراقي ، وهي عبارة عن أنموذج من الفخار ذي طابقين ، يزين أسفله تمثال ماعز في وضعية جلوس ذو قرنين كبيرين (٥) ويحمل على ظهره تصميم بنائي قد يمثل أنموذجاً لمعبد المدينة أو ربما أحد أبراج سور المعبد الخارجي ، الطابق الأعلى أصغر مساحة من أسفله ولكل منهما نوافذ مستطيلة قريبة الشبه من أشكال المزاعل وهي أحد عناصر

العمارة العسكرية ومن أهم مقوماتها الأساسية في الدفاع ويستخدمها المقاتل لغرض مراقبة ما يجري خارج الأسوار (٦) ويزين النهايات العليا للطابقين شرفات مسننة ، والشرفات المسننة أيضاً هي من العناصر المعمارية الدفاعية وتبنى متقاربة في أعلى السور يحتمي من وراءها المدافعون ومن خلالها يشرفون على المهاجمين ويطلقون عليهم السهام (٧) واستعملت في العمائر العسكرية والدينية والمدنية (٨) وقد رصعت تلك الشرفات في المبخرة بصفين من الدوائر الغائرة لغرض إضفاء جمالية فنية عليها أو لربما كانت تلك المبخرة (صورة ٢) .

كما عثرت البعثات التنقيبية في تل أبو المشاعل (٩) على مبخرة ذات صناعة جيدة ورقيقة ودقيقة (١٠) لها فوهة دائرية على حافاتها عدة مقابض نصف دائرية وقاعدتها دائرية مجوفة وقد نقش البدن والفوهة والقاعدة بزخارف هندسية ويعود تاريخها إلى العصر البابلي القديم (١١) .

مبخرة أخرى من الفخار (١٢) تتألف من ثلاثة أقسام أسطوانية متدرجة ، إذ أن كل قسم يكون أصغر حجماً من الذي أسفله ، يحتوي القسم الأخير على رقبة ضيقة وقصيرة تنتهي بفوهة دائرية ذات حافة مستوية ويحيط بكل قسم عدد من الثقوب لغرض تمرير الروائح منها (١٣) (صورة ٣)

عند ظهور الإسلام الحنيف حث على النظافة والاهتمام بالمظهر العام للمسلمين سواء الجسدية منها أو نظافة الأماكن التي يرتادونها وقد وردت الكثير من الآيات الكريمات في هذا الصدد ففي قوله تعالى " يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين * قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لعلهم يعلمون " (١٤) .

كما نجد في أحاديث الرسول الأكرم " صلى الله عليه وآله " الشيء الكثير الذي جاء بهذا المعنى ، فعن النبي قال : " الرائحة الطيبة تشد القلب " (١٥) وفي حديث آخر قال : " خير طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه ، وخير طيب النساء ما ظهر لونه

وخفي ريحه " (١٦) ، وكان الرسول " صلى الله عليه وآله " يتطيب كل يوم جمعة فإذا لم يجد أخذ بعض خُمر نسائه فرشه بالماء ويمسح به . وعن الإمام الصادق " عليه السلام " (١٧) قال : " إن الله تعالى يحب الجمال والتجمل ويكره البؤس والتبؤس وإن الله إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يرى عليه أثرها ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : ينظف ثوبه ويطيب ريحه " (١٨) ونقل عن الإمام علي الهادي " عليه السلام " (١٩) أنه كان يدعوا المسلمين إلى النظافة والتجمل فقليل له وكيف ذلك ؟ : قال : " ينظف ثوبه ويطيب ريحه ويحسن داره ويكنس أفنيته ، حتى أن السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد الرزق " (٢٠) .

كان ابن عباس (٢١) يستجمر بعود غير مطري ويجعل معه الكافور ويقول : هكذا كان رسول الله يستجمر ، كما يروى عن عكرمة : أن ابن عباس كان يطلي جسده بالمسك فإذا مر قالوا : أمر ابن عباس أم مر المسك (٢٢) وكان مسجد الرسول ينظف ويخلق بالطيب فقد روى إن عثمان بن مظعون تفل في القبلة فأصبح كئيباً لذلك فسألته امرأته فأخبرها فعمدت الى القبلة فغسلتها وخلقتها ، وقيل إن الذي رأى ذلك هو النبي فحكها ثم أمر بخلق فلطخ به مكانها ، ثم خلق الناس المساجد (٢٣) .

أما عن أصل تسمية المبخرة فقد جاءت من أصل بخور ، والبخور " دخنه يتبخر بها " (٢٤) وكذلك من التبخر كما يذكر ذلك الفيروز آبادي بقوله : " البخر : فعل البخار ، بخرت القدر فهو أبخر ، وأبخره الشيء ، وكل رائحة ساطعة : بخر ، وكل دخان من حار : بخار " (٢٥) . والمجمره أيضاً تعني المبخرة - رغم استعمال هذه اللفظة بشكل محدود - وفي اللغة : " المجمره : بكسر الميم واحدة المجامر وكذا المجمر بكسر الميم وضمها ، فبالكسر أسم الشيء الذي يجعل فيه الجمر وبالضم الذي هيئ له الجمر " (٢٦) ، ويعرفها الرصافي هي وعاء البخور والمجمره التي يحرق فيها البخور جمعها مباخر (٢٧) .

بلغ الاهتمام بالطيب والتطيب حداً أصبح من أبرز الهدايا التي يتبادلها الناس في المجتمع الإسلامي في مناسباتهم المختلفة وكان المسك والعنبر ونضود الرياحين وأنواع الخلق الحظ الأوفر في التبادل بين أنواع الطيب (٢٨) ، وكان التطيب من أبرز السمات التي يجب أن تتوفر في ظرفاء بغداد في العصر العباسي (٢٩) .

تخبرنا المقامات بأبلغ مجادلة أدبية حدثت بين أبي زيد السروجي وشخص آخر في منتدى بطلوان كان للطيب النصيب الأكبر في صياغتها مفادها إن أبي زيد سأل رجل كان يقرأ بديوان أبي عباد ، فقال : هل عثرت له فيما لمحتة على بديع أستملحته ؟ فقال : نعم

كأنما تبسم عن لؤلؤ * * منضد أو برد أو أقاح (٣٠)

فأنه أبدع في التشبيه المودع فيه ، فقال له : ياللعجب ولضيعة الأدب ، أين أنت عن البيت الندر الجامع مشبهات الثغر وأنشد :

نفسى الفداء لشعر راق مبسمه * * وزانه شنب ناهيك من شنب

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * * وعن أقاح وعن طلع وعن خبب (٣١)

إزاء هذا الاهتمام بالطيب والبخور وأنواع العطور الزكية والتي تفيد بعض الدراسات بأن المجتمع العربي الإسلامي قد أستعمله في شتى المناسبات سواء كان ذلك في أفراحهم أو أحزانهم ، فقد أنعكس ذلك على الصناعة والفنون ، فكان لابد من العناية بأدواته التي تحمل الطيب وتأتي المخرة في مقدمة تلك الأدوات - على الرغم من إن البخور والمسك يمكن أن يوضع في أي آنية لبيعث روائحه الزكية - ولكن حب الناس للتطور وإظهار ترفها كان عاملاً مهماً لصناعة مباخر عالية الجودة وبدرجة عالية من الرقي الفني والتقني ، وقد توخى صانعوا المباخر عند صنعها أن تكون موافقة لحياتهم العملية ، فبعض هذه المباخر يصنع لكي تبقى في مكانها والتي تكون أكبر حجماً وأثقل وزناً قياساً الى المباخر الصغيرة التي كان يراعى في صنعها أنها تحمل في اليد ليسهل استعمالها وقت الحاجة إليها (٣٢) .

لقد أعتمد المعدن وخاصة النحاس في صناعتها بالدرجة الأولى كون هذه المادة من أكثر المواد مقاومة للحرارة والنار ، وتفنن الصناع في طرق صناعتها مثل القطع والطرق والقالب (٢٢)

تؤكد الشواهد والتحف أن العصر العربي الإسلامي محطة تطور ونضوج للصناعات المعدنية من حيث المادة المستخدمة وتقنية الصناعة وتنوع الأمثلة حتى بلغت بعضها مبلغاً يصعب الوصول إلى مثله في وقتنا الحاضر (٢٤) سيما وإن الصناع كان لهم بالغ الأثر في تطويرها ، فضلاً عن دور المحتسب في الإسلام الذي كان يشرف على الأسواق وأصحاب الحرف والمهن ويراقبهم ويمنع الغش والتلاعب في الإنتاج (٢٥) وبالرغم من قلة ما وصلنا من تحف معدنية إسلامية إلا إنها تشهد بما حققه الفنان المسلم من تقدم في هذا المجال (٢٦) .

لعل المباخر - موضوع بحثنا - أحد تلك التحف الفنية التي أبدع في صنعها الفنان المسلم حتى ترك لنا تحف فنية رائعة تشهد بالإبداع وتقنية الإنتاج ، وقبل الاسترسال بالحديث عن الأمثلة التي وقعت بين أيدينا كان لزاماً علينا أن نتحدث أولاً عن أجزائها والتي تتوفر في كافة المباخر الإسلامية رغم اختلاف أشكالها ويمكن أجمالها على النحو التالي :-

١. اليد :- هو الجزء الرئيس في المبخرة والذي يعتمد بالدرجة الأساس في تحديد شكلها ، وفي اللغة : هو الدرع القصير (٢٧) .

٢. المقبض :- هو المكان الذي يقبض فيه مثل مقبض السكين والقوس والسيف ومقبضتها ما قبض عليه بجمع الكف وكذلك مقبض كل شيء (٢٨) ، على إن هناك بعض المباخر كانت خالية من المقبض .

٣. القاعدة :- عادة ما تكون للمبخرة قاعدة أو ركيزة تساعد في إسنادها أو تثبيتها في الأرض ، وفي اللغة : القاعدة أصل الأسس والقواعد الأساس (٢٩) .

في عودة إلى أمثلة المباخر التي تحتفظ بها المتاحف العالمية ، مبخرة من إنتاج العراق محفوظة في متحف برلين يرجح أنها تعود إلى القرن الثاني الهجري /

الثامن الميلادي(٤٠)، وهي على شكل حمامة لها مقبض على شكل نصف دائرة متعرجة وغير منتظمة ، وأظهر الفنان الحمامة وهي واقفة على ساق واحدة ويلاحظ عليها البعد عن تمثيل الطبيعة حيث خلت من الأطراف المعروفة عند الطيور ، ولغرض أبقاء الحمامة واقفة ومتوازنة عمد إلى إضافة مسندين بالإضافة إلى الساق ، المسند الأول يقابل الساق والآخر أسفل الذنب ، ولا نعلم هل المساند كانت من عمل الصانع الذي قام بصناعة المبخرة ، أم أنهما وضعا من خلال عملية صيانة للمبخرة . وقد أستطاع الفنان أن يظهر الأجنحة بصورة واضحة وجيدة باستعماله الخطوط الطويلة المستوية وتعلوها بعض الخطوط المتموجة كتعبير عن طيات الريش الذي تتمتع به الطيور عادة ، وفي أعلى بدن المبخرة نجد فتحة دائرية تستخدم لإدخال الطيب والجمرة من خلالها وكذلك لتكون مكاناً ملائماً لخروج الروائح العطرة منها (صورة ٤) .

لدينا مبخرة أخرى تعود للقرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي محفوظة في متحف الأرميتاج في لينينغراد وهي تمثل بطة واقفة على قدميها(٤١)، يلاحظ عليها البعد عن تمثيل الطبيعة وبظهر ذلك جلياً في وجود العرف في أعلى رأس البطة والذي هو سمة خاصة بالديكة تتفرد به عن باقي الطيور كما نرى بعد تمثيل الطبيعة في قدمي البطة ، وعمد الفنان إلى تصميم الذنب بشكل زخرفي بحت والذي اتخذه كمقبض لحمل المبخرة ، وقد استفاد الفنان من جعل أجنحة البطة تتكون من عدة طبقات مكونة فتحات فيما بينها لكي يوفر فتحات يخرج من خلالها الطيب إلى الفضاء الخارجي ، فيما زيننت الأجنحة بزخارف غائرة عبارة عن خطوط تنتهي بعدة دوائر ذات مركز واحد (صورة ٥)

لدينا مثالان لمبخرتين من صناعة مصر في العصر الفاطمي(٤٢) بين نهاية القرنين الثالث والسادس الهجريين / التاسع والثاني عشر الميلادي ، الأولى تمثل ببغاء من البرونز محفوظة في متحف برلين(٤٣) وهذه الببغاء قريبة من الطبيعة لها مقبض في أعلى الظهر ، وهي تخلو من أي ضرب من ضروب الزخرفة ولها

قدمان مثلاً بشكل دائرتين أحدهما فوق الأخرى ومثبتة على قاعدة مستطيلة ، وقد أستغل الفنان فتحة المنقار والعينين لتكون فتحات لتمرير العطور من المبخرة (صورة ٦) .

أما المبخرة الفاطمية الثانية فمحفوظة في متحف فريير للفن بواشنطن(٤٤) والتي تعد من روائع الأعمال الفنية الإسلامية وتعبّر عن مقدرة فائقة للفنان العربي المسلم حيث جمعت هذه المبخرة بين عناصر عمارية وهندسية وحيوانية ونباتية بنسيج منسجم تماماً فضلاً عن وظيفتها كمبخرة ، وعلى العموم فإن المبخرة ذات بدن مربع تحيطه من الأعلى شرفات مسننة وترتكز على سطحها خمس قباب ، أربعة منها موزعات على الأركان الأربع والخامسة وهي الأكبر حجماً تتوسط سطح المبخرة وجميع القباب متماثلات وهي أقرب شكلاً الى قوارير العطور ، وفي أعلى القباب نجد نسور متقابلات وجميعهم باتجاه النسر الواقف في أعلى القبة المركزية وقد فقد أحد تلك النسور في ظرف ما - على الأرجح - أما القاعدة فقد مثلت على شكل أربعة أرجل بمخالب أسد

أما الجزء الأوسط من المبخرة كان مكان وضع الطيب والجمر فيها وكان حر الحركة ويمكن فتحه وغلقه على شكل جرار ، وكل أجزاء بدن المبخرة ذو زخارف مخرمة كي تسمح بمرور أبخرة العطور من خلالها وتمثلت زخارفها بأشكال هندسية من معينات ودوائر وتتخللها عناصر نباتية من وريادات ومراوح نخيلية وأغصان ملتوية (صورة ٧) .

من الفن الأندلسي لدينا مخرتان ، الأولى وصلتنا من غرناطة(٤٥) مصنوعة من البرونز(٤٦) ذو بدن كروي ينتهي من الأعلى بشكل قبة مخروطية يعلوها طائر ربما يمثل الهدد ، ويمتاز بدن المبخرة بأنه حر الحركة - كما لاحظنا ذلك في المبخرة الفاطمية - ويمكن إغلاقه بقفل وقد صمم على شكل حيوان يمثل الثعلب - على الأغلب - الجزء العلوي من البدن حتى القبة مخرم بزخارف نباتية عبارة عن مراوح نخيلية ، ولها قاعدة مكونة من ثلاثة أرجل (صورة ٨) .

أما المبخرة الثانية فهي أيضاً ذو بدن كروي(٤٧) ينتهي من الأعلى بقبة كروية مخرمة يعلوها شي - غير واضح المعالم - ويرتبط بالجزء الأسفل من البدن أنبوب مخرم مربع ينتهي بمقبض مخروطي له حافة عريضة ، والبدن من النوع المتحرك الذي يمكن فتحه وغلقه عند وضع الطيب والجمرة فيه ، أما القاعدة فهي عبارة عن ثلاث أرجل (صورة ٩) .

من الأمور التي تسترعي الانتباه هو وجود مبخرة برونزية من صناعة إيران من العصر السلجوقي(٤٨) تعود إلى القرنين الخامس أو السادس الهجريين / الحادي عشر أو الثاني عشر الميلاديين(٤٩) وهي قريبة الشبه من المبخرة الثانية التي عثر عليها في الأندلس حيث تتكون من بدن كروي ينتهي من الأعلى بقبة كروية مخرمة يعلوها طائر برأس إنسان يقف على ظهره تتين فاتحاً فمه ومثبتاً يديه على رأس الطائر ، ويرتبط بالجزء الأسفل من البدن أنبوب طويل مخرم بصف من المثلثات المتعاقبة بين الرأس والقاعدة ، وبدن المبخرة من النوع المتحرك الذي يمكن غلقه وفتحه ، أما القاعدة فهي مؤلفة عن ثلاث أرجل (صورة ١٠) .

من إيران أيضاً لدينا مبخرة من البرونز تعود للقرنين الخامس أو السادس الهجريين / الحادي عشر أو الثاني عشر الميلادي محفوظة بمتحف برلين ، ذات بدن مربع ومخرم بزخارف نباتية ينتهي من الأعلى بقبة كروية ، والبدن من النوع المتحرك الذي يمكن غلقه وفتحه ويرتكز على أربع أرجل على هيئة حوافر الدواب ، ويرتبط بالجزء الأسفل من البدن أنبوب طويل مخرم أيضاً بنفس زخارف البدن وينتهي بمقبض لغرض حمل المبخرة (٥٠) (صورة ١١) .

ومن ليرن لدينا مبخرة من البرونز تعود للقرنين السادس أو السابع الهجريين/الثاني عشر أو الثالث عشر الميلادي محفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة لها بدن أسطواني مقطوع نصف جزئه العلوي بشكل عمودي لغرض ملأه بالبخور والجمر وكذلك كي يسمح بمرور الروائح الطيبة من خلاله ،

عليه زخارف من أشرطة كتابية على أرضية نباتية دقيقة ويعلو البدن طائر صغير ، يرتكز البدن على ثلاثة أرجل (٥١) (صورة ١٢) .

كما لدينا مبخرة تعود إلى أواخر العصر العباسي أي القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي وهي على شكل أسد واقف (٥٢) فيه بعض التحوير عن صدق تمثيل الطبيعة حيث يخلو من فروة الرأس وركب على رأسه قرنين ، وكان الأسد بلا ذنب ، أما البدن مزدان بزخارف هندسية مخرمة عند القدمين الأماميتين والخلفيتين تتكون من خطوط مضفورة ويلاحظ عند مقدمة البدن وجود غطاء متحرك لوضع الطيب والجمرة (صورة ١٣) .

بعد عرضنا لأمتثلة المباخر التي ترجع بتاريخها إلى عصور مختلفة والتي من خلالها نستشف أهمية التطيب بالبخور والذي حذا بالفنان المسلم إلى صنع آنية ذات قيمة فنية عالية بما تحمله من زخارف وأشكال ذوات الأرواح والتي أعطتنا صورة واضحة لمدى تقدم صناعة التحف المعدنية الإسلامية ومن ضمنها المباخر .



صورة رقم (١)



صورة رقم (٢)



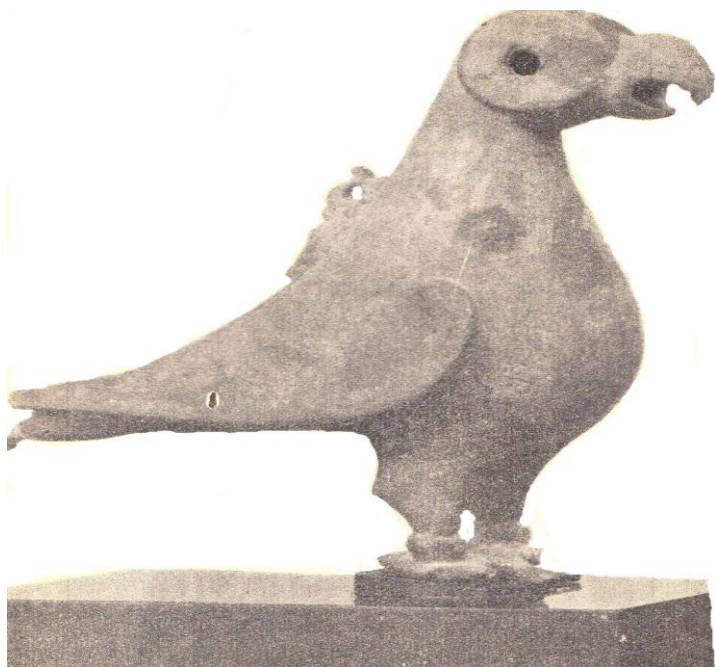
صورة رقم (٣)



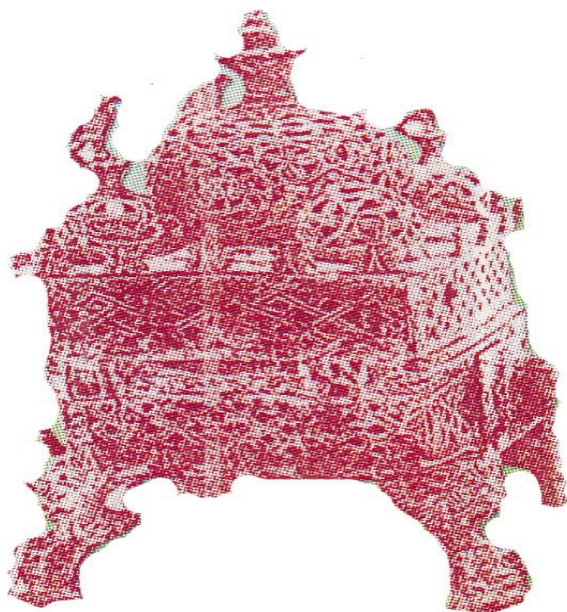
صورة رقم (٤)



صورة رقم (٥)



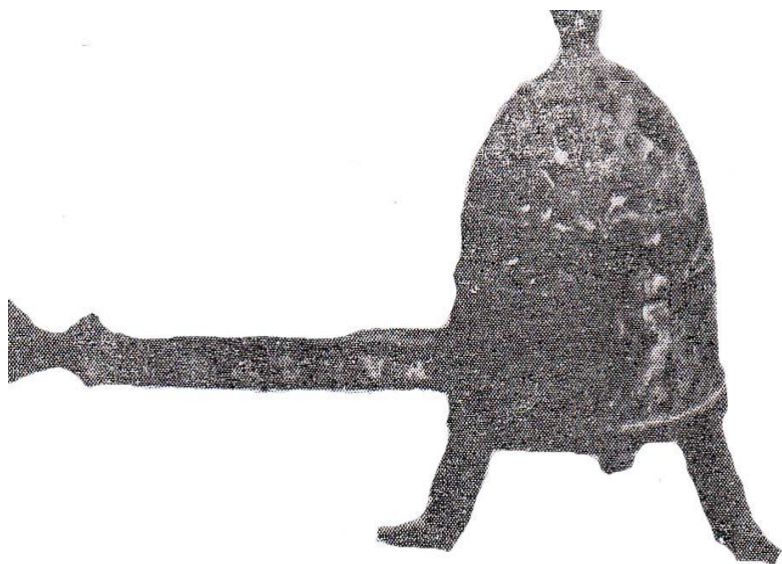
صورة رقم (٦)



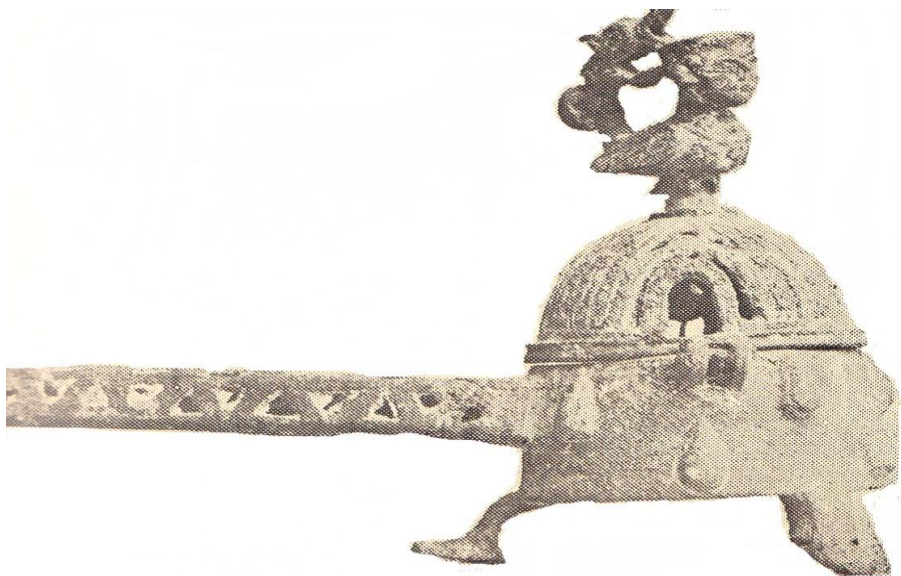
صورة رقم (٧)



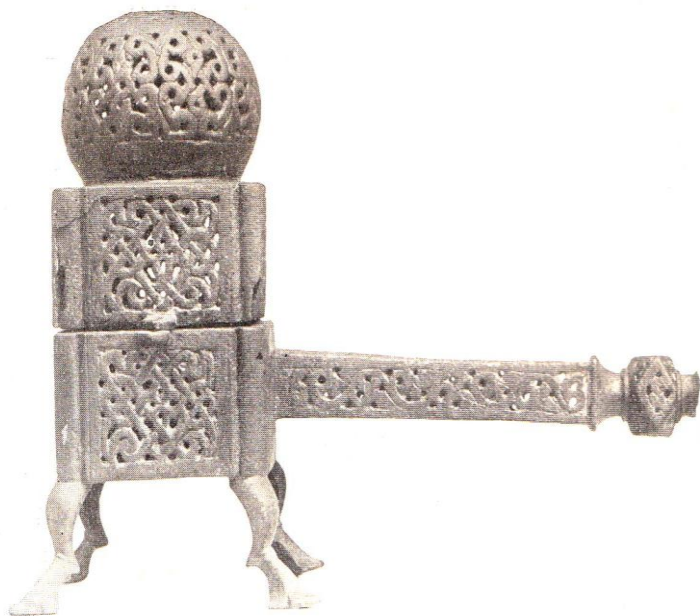
صورة رقم (٨)



صورة رقم (٩)



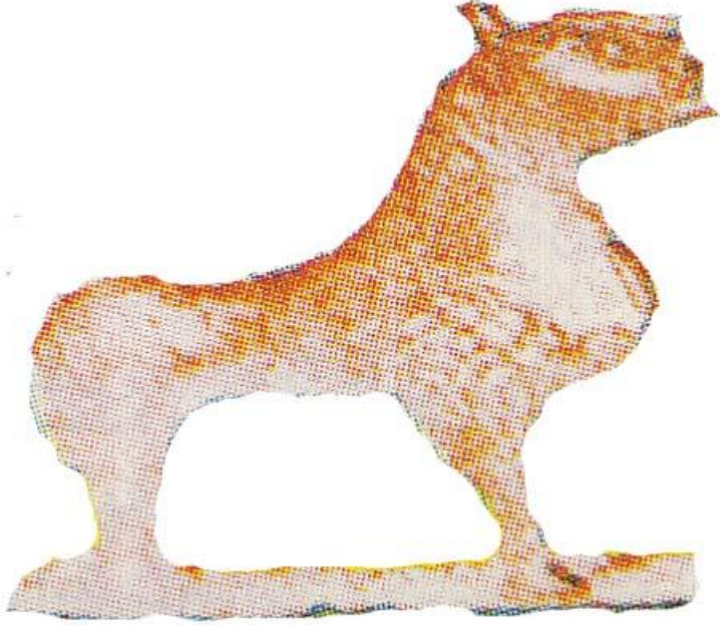
صورة رقم (١٠)



صورة رقم (١١)



صورة رقم (١٢)



صورة رقم (١٣)

الهوامش

- ١- الراوي ، فاروق ناصر ، " جوانب من الحياة اليومية " ، حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ .
- ٢- خفاجي : أسمها القديم توتب وتقع بالقرب من الضفة اليسرى لنهر ديالى على مسافة ١٥ كم من مصبه ، يتألف الموقع من ثلاثة تلول ، استيطان كل منهما من زمن معين وأقدمها التل A الذي وجدت فيه تماثيل كثيرة من عصر فجر السلالات وأهمها ما كشف عنه في معبدي سن وننتو .
- مورتكات ، أنطوان ، الفن في العراق القديم ، ترجمة وتعليق : عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٣٣ .
- ٣- بصمة جي ، فرج ، كنوز المتحف العراقي ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص ٢١٥ ، شكل ٧٨ .

- ٤- حوض دوكان : يبعد حوالي ٦٠ كم شمالي غربي مدينة السليمانية ويقع فيه سد دوكان وهو سد خرساني على نهر الزاب الصغير في مضيق دوكان .
- مطر ، سليم وآخرون ، موسوعة المدائن العراقية ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٤٦ .
- ٥- بصمة جي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٠ ، شكل ١٣١ .
- ٦- علي ، فاروق محمد ، الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة العربية الإسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص ١٥١ .
- ٧- غالب ، عبد الرحيم ، موسوعة العمارة العربية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٢٣٣ .
- ٨- البطاينة ، طه خلف سليمان ، عمارة الخانات وتخطيطها في العصرين الأيوبي والمملوكي في الأردن ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٨ ، ص ٨٢ .
- ٩- تل أبو المشاعل : يقع في السهل المحصور بين جبل حميرين ونهر دجلة في محافظة صلاح الدين ، ويبعد عن مركز مدينة تكريت بحدود (٤٣) كم ، سمي بتل أبو المشاعل وهي تسمية محلية بسبب انتشار مواقع النار والتنانير التي كانت تغطي الطبقة العلوية للتل .
- الحياي ، حافظ حسين كاظم ، التنقيب والصيانة الأثرية لمواقع الآثار الشاخصة في تكريت - صلاح الدين (١٩٩١-٢٠٠٣) ، كركوك ، العراق ، ٢٠١٢ ، ص ٢٣١ .
- ١٠- لم يرفق صاحب الكتاب صورة للمبخرة لذلك أقتضى التتويه .
- الحياي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .
- ١١- الحياي ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ .
- ١٢- تعتقد إحدى الباحثات بأنها مسرجة تستخدم للإضاءة والواقع أن شكلها وتصميمها وكذلك طينتها غير النقية تؤكد على أنها مبخرة وليست مسرجة .
- يرجع إلى :- أبو الشون ، سماح صالح ، الفخار الفرثي " دراسة فنية أثرية " ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠١٤ ، ص ٤٧ ، شكل ١٩ .
- ١٣- أبو الشون ، المصدر السابق ، ص ٤٧ ، شكل ١٩ .
- ١٤- سورة الأعراف ، آية ٣١ و ٣٢ .

١٥- الطبرسي ، رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل ، مكارم الأخلاق ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٦ .

١٦- الطبراني ، أبي القاسم سليمان بن أحمد ، المعجم الكبير ، ج ١٢ ، ط ٢ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ١٢٠ .

١٧- الإمام الصادق : هو الإمام جعفر بن محمد سادس أئمة أهل البيت "عليه السلام" ولقب بالصادق لصدقة في مقاله ، وفضله أشهر من أن يذكر . ولد عام ٨٠ هجرية ، وتوفي عام ١٤٨ هجرية ودفن في البقيع جنب قبر أبيه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي "عليه السلام" .

- السبحاني ، جعفر ، الأئمة الاثني عشر " دراسة موجزة عن شخصيتهم وحياتهم - عليه السلام - " ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص ٧٣ .

١٨- الطبرسي ، المصدر السابق ، ص ٣٧ .

١٩- الإمام علي الهادي : هو الإمام علي الهادي بن محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر عاشر أئمة أهل البيت "عليه السلام" سمي بالهادي لأنه أهدى الناس إلى التقى والخير فضلاً عن ألقاب أخرى كثيرة ، ولد في سنة ٢١٢ هجرية وقيل في سنة ٢١٤ هجرية وتوفي سنة ٢٥٤ هجرية ودفن بسامراء .

- القرشي ، باقر شريف ، حياة الإمام علي الهادي "عليه السلام" دراسة وتحليل ، تحقيق : مهدي باقر القرشي ، ط ١٠ ، النجف الأشرف ، ٢٠١٣ ، ص ٢١ .

٢٠- الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) ، الأمالي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة ، ط ١ ، قم المقدسة ، ١٤١٤ هـ ، ص ٢٧٥ .

٢١- أبن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، حبر الأمة ، الصحابي الجليل ، ولد بمكة سنة (٣ ق . هـ / ٦١٩ م) ونشأ في بدء عصر النبوة ، فلازم رسول الله " صلى الله عليه وآله " ، روي عنه الأحاديث الصحيحة وشهد مع الإمام علي " عليه السلام " معركتي الجمل وصفين ، كف بصره في آخر عمره فسكن الطائف ، توفي سنة (٦٨ هـ / ٦٨٧ م) .

- الزركلي ، فخر الدين ، الأعلام " قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين " ، ط ١٥ ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ج ٤ ، ص ٩٥ .

٢٢- الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، عيون الأخبار ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، مج ١ ، ص ٣٠٣ و ٣٠٤ .

- ٢٣- طلس ، محمد أسعد ، تاريخ الأمة العربية " عصر الأنطلاق " ، ج ٢ ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ٩٣ .
- ٢٤- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، (١٠٠ - ١٧٥ هـ) ، كتاب العين ، ط ٢ ، بيروت ، ٢٠٠٥ .
- ٢٥- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (٧٢٩ - ٨١٧ هـ) ، القاموس المحيط ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، ط ٢ ، بيروت ، ٢٠٠٣ .
- ٢٦- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٨ .
- ٢٧- الرصافي ، معروف ، الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات ، تحقيق وتعليق : عبد الحميد الرشودي ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٣٢٦ .
- ٢٨- الرازي ، فاطمة حمزة ، " الظرف البغدادي " ، مجلة المورد ، بغداد ، ١٩٧٩ ، مج ٨ ، ع ٤ ، ص ٢٣٨ .
- ٢٩- الرازي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .
- ٣٠- أقاح : الأقحوان وهو نبات طيب الريح حواليه ورق ابيض ووسطه أصفر وجمعه (أقاحي) و (أقاح) - الرازي ، المصدر السابق ، ص ٥٢٢ .
- ٣١- بقاعي ، يوسف ، المقامات في شرح مقامات الحريري ، بيروت ، د . ت ، ص ٢٦
- ٣٢- العبيدي ، صلاح حسين ، الفنون الزخرفية العربية الإسلامية ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١٢ .
- ٣٣- الصبيحاي ، حيدر فرحان حسين ، المسارج الإسلامية في المتحف العراقي - غير المنشورة - رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٩٧ ، ص ٧٨
- ٣٤- لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة : محمد عادل ، دار إحياء الكتاب العربي ، ١٩٤٥ ، ص ٥٤٠ .
- ٣٥- القرشي ، محمد بن محمد بن أحمد (٦٤٨ - ٧٢٩ هـ) ، معالم القرية في أحكام الحسبة ، تحقيق : محمد محمود شعبان و صديق احمد عيسى الطبيعى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٧٦ ، ص ٢٥ .
- ٣٦- الباشا ، حسن ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار ، مصر ، ١٩٦٥ ، ج ١ ، ص ٤١٩ .

٣٧- الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : احمد عبد الغفور ، مصر ، ١٣٧٧ هـ ، ج ٥ ، ص ٢٠٧٧ .

٣٨- أبن منظور ، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت ، ١٩٥٥ ، مج ٩ ، ص ٥١٩ ،

٣٩- أبن منظور ، المصدر نفسه ، مج ٣ ، ص ٣٦١ .

٤٠- حسن ، زكي محمد ، فنون الإسلام ، ط ١ ، مصر ، ١٩٤٨ ، ص ٥١١ ، شكل ٤١٧ .

٤١- حسن ، زكي محمد ، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، شكل ٤٤٤ .

٤٢- العصر الفاطمي : كان أول ظهور للدولة الفاطمية في المغرب العربي سنة ٢٩٦ هجرية وكان أول خلفائهم المهدي عبيد الله واستمرت حتى سنة ٥٦٧ هجرية وكان آخر خلفائها العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله الذي مات في تلك السنة .

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال ، تاريخ الخلفاء من الخلافة الراشدة إلى سنة ٩٠٣ هـ ، ضبط وتحقيق : رضوان جامع رضوان ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٥٦٤ .

٤٣- حسن ، فنون الإسلام ، ص ٥١٧ ، شكل ٤٢٣ .

٤٤- _____ ، " روائع أشغال المعادن الإسلامية " ، مجلة المجال ، أمريكا ، ١٩٨٦ ، ع ١٨ ، ص ٢١

٤٥- غرناطة : تعني رمانة بلسان عجم الأندلس سمي البلد لحسنه بذلك ، وهي أقدم كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحصنها يشقها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم وعليه وقد أقتطع منه ساقية كبيرة تخترق نصف المدينة فتعم حماماتها وسقاياتها وكثيراً من دور الكبراء وبينها وبين البيرة أربعة فراسخ ، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخاً .

- الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت : ٦٢٦ هـ) ، معجم البلدان ، تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ج ٦ ، ص ٣٨٣ .

٤٦- مورينيو ، مانويل جوميث ، الفن الإسلامي في أسبانيا ، ترجمة : لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم ، مصر ، د . ت ، ص ٣٩٢ ، شكل ٣٩٥ أ .

٤٧- مورينيو ، المصدر نفسه ، ص ٣٩٢ ، شكل ٣٩٥ ب .

- ٤٨- العصر السلجوقي : يبدأ تاريخ السلالات السلجوقية الحاكمة منذ سنة (٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) حتى حوالي (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) وهم ينحدرون من أحد بطون قبيلة الغز وسيطروا على مناطق واسعة في الشرق الإسلامي .
- رايس ، تامارا تالبوت ، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة : لطفي ألخوري وإبراهيم داقوق ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص ٥ - ١٧ .
- ٤٩- حسن ، فنون الإسلام ، ص ٥٢٥ ، شكل ٤٣٠ .
- ٥٠- حسن ، أطلس الفنون ، ص ١٥٣ ، شكل ٤٦٩ .
- ٥١- حسن ، أطلس الفنون ، ص ١٥٣ ، شكل ٤٧٠ .
- ٥٢- ديمانند ، م . س ، الفنون الإسلامية ، ط ٢ ، ترجمة : احمد محمد عيسى ، مصر ، ١٩٥٨ ، ص ٨٠ .

المصادر

١. القرآن الكريم .
٢. ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت ، ١٩٥٥ ، مج ٩ .
٣. أبو الشون ، سماح صالح ، الفخار الفرثي " دراسة فنية آثارية " ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠١٤ .
٤. الباشا ، حسن ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار ، مصر ، ١٩٦٥ .
٥. بصمة جي ، فرج ، كنوز المتحف العراقي ، بغداد ، ١٩٧٢ .
٦. البطاينة ، طه خلف سليمان ، عمارة الخانات وتخطيطها في العصرين الأيوبي والمملوكي في الأردن ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٨ .
٧. بقاعي ، يوسف ، المقامات في شرح مقامات الحريري ، بيروت ، د . ت .
٨. الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : احمد عبد الغفور ، مصر ، ١٣٧٧ هـ ، ج ٥ .
٩. حسن ، زكي محمد ، فنون الإسلام ، ط ١ ، مصر ، ١٩٤٨ .
١٠. حسن ، زكي محمد ، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
١١. الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت : ٦٢٦ هـ) ، معجم البلدان ، تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ج ٦ .

١٢. الحياياني ، حافظ حسين كاظم ، التنقيب والصيانة الأثرية لمواقع الآثار الشاخصة في تكريت - صلاح الدين (١٩٩١-٢٠٠٣) ، كركوك ، العراق ، ٢٠١٢ .
١٣. ديماند ، م . س ، الفنون الإسلامية ، ط ٢ ، ترجمة : احمد محمد عيسى ، مصر ، ١٩٥٨ .
١٤. الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، عيون الأخبار ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، مج ١ .
١٥. الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، بيروت ، ١٩٧٩ .
١٦. الرازي ، فاطمة حمزة ، " الظرف البغدادي " ، مجلة المورد ، بغداد ، ١٩٧٩ ، مج ٨ .
١٧. الراوي ، فاروق ناصر ، " جوانب من الحياة اليومية " ، حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ج ٢ .
١٨. رايس ، تامارا تالبوت ، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة : لطفي الخوري وإبراهيم داقوق ، بغداد ، ١٩٦٨ .
١٩. الرصافي ، معروف ، الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهئات ، تحقيق وتعليق : عبد الحميد الرشودي ، بغداد ، ١٩٨٠ .
٢٠. الزركلي ، فخر الدين ، الأعلام " قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين " ، ط ١٥ ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ج ٤ .
٢١. السبحاني ، جعفر ، الأئمة الأثني عشر " دراسة موجزة عن شخصيتهم وحياتهم - عليهم السلام - " ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠١ .
٢٢. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال ، تاريخ الخلفاء من الخلافة الراشدة إلى سنة ٩٠٣ هـ ، ضبط وتحقيق : رضوان جامع رضوان ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .
٢٣. الصبيحايوي ، حيدر فرحان حسين ، المسارج الإسلامية في المتحف العراقي - غير المنشورة - رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٩٧ .
٢٤. الطبراني ، أبي القاسم سليمان بن أحمد ، المعجم الكبير ، ج ١٢ ، ط ٢ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، بغداد ، ١٩٨٦ .
٢٥. الطبرسي ، رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل ، مكارم الأخلاق ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
٢٦. طلس ، محمد أسعد ، تاريخ الأمة العربية " عصر الانطلاق " ، ج ٢ ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٥٧ .

٢٧. الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) ، الأمالي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة ، ط ١ ، قم المقدسة ، ١٤١٤ هـ .
٢٨. العبيدي ، صلاح حسين ، الفنون الزخرفية العربية الإسلامية ، بغداد ، ١٩٨٧ .
٢٩. علي ، فاروق محمد ، الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة العربية الإسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ .
٣٠. غالب ، عبد الرحيم ، موسوعة العمارة العربية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٨ .
٣١. الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، (١٠٠ - ١٧٥ هـ) ، كتاب العين ، ط ٢ ، بيروت ، ٢٠٠٥ .
٣٢. الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (٧٢٩ - ٨١٧ هـ) ، القاموس المحيط ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، ط ٢ ، بيروت ، ٢٠٠٣ .
٣٣. القرشي ، باقر شريف ، حياة الإمام علي الهادي "عليه السلام" دراسة وتحليل ، تحقيق : مهدي باقر القرشي ، ط ١٠ ، النجف الأشرف ، ٢٠١٣ .
٣٤. القرشي ، محمد بن محمد بن أحمد (٦٤٨ - ٧٢٩ هـ) ، معالم القرية في أحكام الحسبة ، تحقيق : محمد محمود شعبان و صديق احمد عيسى الطبيعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٧٦ .
٣٥. لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة : محمد عادل ، دار إحياء الكتاب العربي ، ١٩٤٥ .
٣٦. مطر ، سليم وآخرون ، موسوعة المدائن العراقية ، بغداد ، ٢٠٠٥ .
٣٧. مورتكات ، أنطوان ، الفن في العراق القديم ، ترجمة وتعليق : عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٥ .
٣٨. مورينيو ، مانويل جوميث ، الفن الإسلامي في أسبانيا ، ترجمة : لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم ، مصر ، د . ت .
٣٩. ——— ، " روائع أشغال المعادن الإسلامية " ، مجلة المجال ، أمريكا ، ١٩٨٦ ، ع ١٨ .

التصور الامريكي للشرق اوسطية ١٨٩٠-١٩٩٧

دراسة تاريخية- سياسية

م. د. حيدر ماجد إبراهيم

م. د. تغريد عبد الزهرة رشيد

احتلت منطقة الشرق الاوسط حيزا كبيرا في تفكير وتخطيط صناع السياسة الامريكية وخصوصا عند رسم استراتيجيتها الدولية^(١)، في العالم بشكل عام والمنطقة العربية بشكل خاص لأهميتها سياسيا واستراتيجيا.

حيث تشكل المنطقة العربية مفصلاً رئيساً في استراتيجية الولايات المتحدة فهي بمثابة القلب الارضي^(٢) لها، الامر الذي جعلها تلعب دوراً مهماً في تحديد نظرتها الى امكانية القدرة في السيطرة على العالم. وتعود بدايات اهتمام الولايات المتحدة بمنطقة الشرق الأوسط إلى القرن الثامن عشر من خلال بناء علاقات دبلوماسية مع الامبراطورية العثمانية^(٣).

وقبل الدخول في تفاصيل التغلغل الامريكي حيال المنطقة الشرق اوسطية عموماً والعربية بشكل خاص يتوجب علينا ان نوضح ان السياسة الامريكية سارت في المنطقة العربية وفق مبادئ كانت تنادي بها الادارات الامريكية المختلفة، ثم تطورت تبعا لصيغة الصراع الدولي في المنطقة ومتغيرات الصراع العالمي، وطبيعة تطور الاستراتيجية الامريكية حيال هذا الصراع ويمكن تلمس ذلك من خلال اتجاهين.

الاول: اتجاه ثقافي سياسي، تمثل بالمؤسسات التبشيرية والتعليمية الامريكية التي انشئت في منطقة الشرق الاوسط حيث قامت هذه المؤسسات بفتح المدارس البروتستانتية والمراكز الثقافية والمدارس الثانوية كالمدرسة الثانوية في بغداد وكذلك المدرسة الثانوية في طهران، وقامت هذه المؤسسات ايضا بفتح الجامعات مثل الجامعة الامريكية في كل من بيروت والقاهرة^(٤).

وقد توالى الاعمال التبشيرية والتعليمية لهذه المؤسسات في معظم مناطق الشرق الاوسط ومن الجدير بالذكر ان هذه المؤسسات كانت تمون منذ بداية ظهورها من قبل خزينة الدولة الأمريكية والتي كانت تهدف بشكل كبير من وراء هذه الاعمال إلى كسب سمعة جيدة للولايات المتحدة بغية تحسين صورتها لدى سكان منطقة الشرق الاوسط وفي نفس الوقت استغلت واشنطن مؤسساتها التبشيرية هذه لصالح تغلغلها في الشرق الاوسط ولتحقيق اهدافها وخدمتها.

واما الاتجاه الثاني فقد تمثل في التغلغل الأمريكي الاقتصادي اذ كان اتجاها اقتصاديا سياسيا، حيث بدأت الشركات الأمريكية تحاول الحصول على مواطئ قدم لها في الحياة الاقتصادية للدولة العثمانية حيث قامت احدى شركات الملاحة الأمريكية قبل اندلاع الحرب العالمية بتنظيم عملية النقل بين سواحل تركيا والعالم. وكذلك حصلت شركة ستاندر اويل وشركة فاكوم اويل وشركة ماك اندروس على مواطئ لها في الامبراطورية العثمانية فضلا عن ذلك فتح فرع لاحد البنوك الأمريكية في استانبول^(٥).

ان التغلغل الاقتصادي الأمريكي في منطقة الشرق الاوسط بدأ بطيئا، الا انه شهد بعد الحرب العالمية الاولى تطورا ملحوظا وتحول بشكل سريع الى عنصر سياسي فعال يؤثر على القضايا المصيرية في المنطقة خصوصا بعد اكتشاف منابع البترول في المنطقة العربية ١٨٩٠^(٦). وقد تمكنت شركات النفط الأمريكية الكبرى خلال حقبة زمنية نسبيا من الحصول على امتيازات نفطية مهمة في الخليج العربي منذ عام ١٩٢٨، وبعد نزاع دبلوماسي شديد بين الحكومتين البريطانية والأمريكية حصلت المصالح النفطية الأمريكية المتمثلة بـ (شركة انماء الشرق الادنى) على ٣٣,٧٥% من اسهم شركة النفط التركية وفي السنة نفسها حصلت شركة ستاندر كالفورنيا الأمريكية على امتياز لتقيب النفط في البحرين وكذلك

حصلت الشركة امتياز اخر عام ١٩٣٣ لتتقيب النفط في السعودية وبدأت الامتيازات تزداد على الشركات الامريكية بازدياد كميات النفط والانتاج^(٧).

وعلى الرغم من وجود المصالح الامريكية الاقتصادية في منطقة الشرق الاوسط والمنطقة العربية بشكل خاص الا ان الاهتمام السياسي الامريكي بالمنطقة لم يظهر بشكل واضح وخصوصا بالفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية وذلك لهيمنة النفوذ البريطاني عليها وجاءت الخطوة الامريكية الاولى اتجاه الشرق الاوسط من خلال مبدأ ترومان الذي اعلنه الرئيس الامريكي (هاري ترومان ١٩٤٥-١٩٥٣) في ١٢ اذار ١٩٤٧ الذي اعلن فيه "التزام الولايات المتحدة بتحمل كافة المسؤوليات في الشرق الاوسط والتي تتجاوز الخطوط العريضة للسياسة الخارجية التقليدية وسوف تقبل الولايات المتحدة الموقف الغربي بالنسبة للقيادة التي كانت بريطانيا تتنازل عنها شيئاً فشيئاً"^(٨)، وقد كرس المبدأ ايضاً لمواجهة التوسع السوفيتي بتقديم مساعدات اقتصادية للدول التي اعدت انها تتأثر بالشيوعية^(٩)، ويمكن القول ان هذا المبدأ كان خطوة مهمة على طريق الحرب الباردة وفي اطار ما تلا ذلك من مصالح جيوبوليتيكية وايدولوجية واقتصادية وعسكرية للولايات المتحدة بالمنطقة الشرق اوسطية^(١٠).

اذ اعتمدت لتطبيق مبدأ (ترومان) على التفوق الاقتصادي للولايات المتحدة التي استعانت بالاقتصاد لتقوية دورها السياسي بدءاً من الافادة من قانون (الاعارة والتأجير)^(١١). للتوغل الى الاسواق العالمية ومرورا بمشروع مارشال للانعاش الاوربي ثم باعلان مبدأ ترومان^(١٢)، ذي الدلالات الواضحة للقرار الامريكي ليس بالتدخل المباشر في شؤون اوربا فحسب بل ايضاً في شرقي البحر المتوسط والشرق الاوربي بحجة مناهضة الشيوعية^(١٣).

وقد وصف الرئيس الامريكي ترومان مبداه (بانه سلاح دبلوماسي امريكي قوي في الوقت الحاضر وفي المستقبل)^(١٤)، وقد الحقه الكونغرس الامريكي عام

١٩٥٠ بقانون الامن المشترك الذي ربط بين المعونة الاقتصادية وسياسة الاحتواء عبر اقامة تحالفات امنية مع الدول المستفيدة^(١٥). وجاء بعد مبدأ ترومان الاعلان الثاني في ٢٥ ايار ١٩٥٠ كسياسة اعلنتها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا للسيطرة على تدفق الاسلحة الى العرب والاسرائيليين ومن ثم الى ابقاء الاتحاد السوفيتي- بشكل ضمني- خارج المنطقة وعزز هذا الاعلان بالاقترح الامريكي القاضي بانشاء قيادة شرق اوسطية (منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط) الذي طرح عام ١٩٥١-١٩٥٢ الا ان مصيره كان الفشل بسبب المعارضة العربية التي رأت الاقتراح وسيلة لربط المنطقة بالاستعمار الغربي^(١٦). وهذا الفشل جعل الولايات المتحدة توجه أنظرها نحو العمل على اقامة (حلف بغداد ١٩٥٥)^(١٧)، وبعد العدوان الثلاثي على مصر ٢٩-٣٠ تشرين الاول ١٩٥٦، تأزم الوضع السياسي في منطقة الشرق الاوسط، حيث كان هذا العدوان ايذاناً بنهاية النفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة الامر الذي دعى الرئيس الامريكي (دوايت ايزنهاور ١٩٥٣-١٩٦١) الى اعلان مبدأه في ٥ كانون الثاني ١٩٥٧ والذي سمي بـ (مبدأ ملء فراغ القوة) والذي ينص على (اعطاء الرئيس الامريكية سلطة استخدام القوة في الحالات التي يراها ضرورية لضمان السلامة الاقليمية وحماية الاستقلال السياسي لاي دولة او مجموعة من الدول في المنطقة (الشرق اوسطية) اذا ما طالبت تلك الدولة مثل هذه المساعدة لمقاومة اي اعتداء عسكري تتعرض له من قبل اي مصدر تسيطر عليه الشيوعية الدولية، وحتى يتحقق ذلك فان الحكومة الامريكية تعهدت بتقديم المساعدات العسكرية لاي دولة وكذلك تقديم يد العون الاقتصادي حفاظا على ما تسميه باستقلالها الوطني)^(١٨). وكان من اسباب اعلان مبدأ ايزنهاور فضلا عن احتواء الشيوعية هو (حلول الولايات المتحدة الامريكية محل بريطانيا في المنطقة العربية بعد ان وجد الانسحاب البريطاني من المنطقة جوا من التنافس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، كما ان نشاط الحركة

القومية العربية ومعاداتها للغرب اعتبرت تهديدا للمصالح الامريكية في المنطقة العربية، ومصالح الغرب باكملة^(١٩).

وجرى تطبيق هذا المبدأ في المنطقة العربية، عندما استجابت الولايات المتحدة لطلب الرئيس اللبناني كميل شمعون خلال الحرب الاهليه في لبنان ١٩٥٨، اذ ارسلت الولايات المتحدة قوات من جيشها للحفاظ على وضع الحكومة في لبنان، الا ان هذا التصرف اضر بمكانة الولايات المتحدة في الوطن العربي كثيرا. وقد صاغ (جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة من ١٩٥٣ - ١٩٦١) تبريرات السلوك الامريكي تحت ذريعة الحرب البارد، (وماسماه الحصار الصحي للجريمة السوفيتية)^(٢٠). واستمرت سياسة الولايات المتحدة بالسعي الى الاهداف الموصلة لتحقيق مصالحها والحفاظ على الشرق الاوسط منطقة بعيدة عن النفوذ السوفيتي المتزايد، ثم مساندة اسرائيل كما ان الهم الاساسي للولايات المتحدة وحلفائها انما يتمثل في المحافظة على حقوق المرور الجوي والبحري، مع تأمين تدفق نفط الشرق الاوسط الى الاسواق الغربية، ولضمان هذه المصالح، توجهت نشاطات الولايات المتحدة في الشرق الاوسط الى صرف نظر الدول العربية عن الاعتماد على الاتحاد السوفيتي مع الحفاظ على سيطرة الحكومات الصديقة في المنطقة على مقاليد القوة^(٢١).

وخلال فترة ما قبل حرب ١٩٦٧ وضعت واشنطن لنفسها ثلاثة اهداف رئيسية تسعى لتحقيقها في المنطقة العربية: اول هذه الاهداف يتعلق بترويض العناصر الثورية في النظام العربي، ثم تطويع النظام باسره فالمشكلة الامريكية في المنطقة العربية بدأت مع وبتأثير هذه العناصر المتمردة حين لم يكن الاتهام لامريكا بتأييد اسرائيل عنصرا قويا في العلاقات العربية الامريكية وعلى الرغم من ان هذا الاتهام اصبح بعد ذلك الخلافات العربية الامريكية.

الهدف الامريكى الثانى هو اضعاف النفوذ السوفيتى فى المنطقة وهو هدف امريكى تقليدى ولا يقتصر على المنطقة العربية ولا على هذه المرحلة ولكنه صار اكثر الحاحاً لان الدعم السوفيتى لبعض الدول العربية استمر فى منحها القوة اللازمة للامتناع عن تقديم التنازلات ويشجعها على عدم تغيير مناهج عملها وممارستها من ناحية اخرى بدءاً يتضح للولايات المتحدة مدى اعتمادها على النفط المستورد من المنطقة العربية وضرورة تأمين مصادره ومساراته بعيدا عن ممارسات النفوذ السوفيتى.

اما الهدف الثالث فهو المتعلق بضمان تدفق البترول بكميات وباسعار تناسب الظروف الامريكية وقد اصبح هذا الهدف من اهم الاهداف الامريكية فى المنطقة العربية فتحقيقه مرتبط اشد الارتباط بتحقيق الهدفين الاولين وبنجاح الولايات المتحدة فى تقايد موقف تظطر فيه الى ارضاء الاطراف المنتجة على حساب الدول العربية المصدر للنفط وتحقيق هذه الهدف من خلال اضعاف العناصر العربية الضاغطة على الدول المنتجة او ترويضها وزرع الخصومات بين القياادات العربية وهو ماركزت عليه السياسة الخارجية الامريكية خلال هذه المرحلة^(٢٢). اذا ادركت الولايات المتحدة الامريكية ان من الصعب جدا تحمل اعباء هذه الاستراتيجية لوحدها لضخامة تكاليف هذه الاستراتيجية ونفقاتها لذا كان لابد من التفكير الجدي فى صياغة جديدة معتدلة قدر الامكان تمكن الولايات المتحدة من تخفيف هذا العبء وتحمل حلفائها الاوربيين وحلفائها فى منطقة الشرق اوسطية قسما منه. وضمن هذا الاطار جاء مبدأ الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون ١٩٦٩-١٩٧٤ الذى اعلن فيه ان الولايات المتحدة سوف تحافظ على كل الالتزامات التى وقعت عليها وسوف تقدم غطاء اذا ما صدر تهديد من قوة نووية وفى المجالات التى تتطوي على انواع اخرى من التهديد سوف تقدم مساعدات عسكرية واقتصادية، عندما تطلب وبالشكل المناسب لكننا نحرص على ان نتحمل

الامة التي تتعرض مباشرة للتهديد مسؤولية تقديم القوة البشرية لدفاعها^(٢٣). كان الرئيس الامريكي نيكسون يسعى من خلال اعلان مبدئه هذا الى المزج بين استراتيجية الاحتواء واستراتيجية المشاركة الاقليمية وكانت هذه الاستراتيجية تركز في المنطقة العربية على الكيان الصهيوني كحارس للجبهة الغربية وإيران كحارس للجبهة الشرقية^(٢٤). والحفاظ على الانظمة القائمة في منطقة الخليج والجزيرة العربية^(٢٥). ورغم ان هذا المبدأ كان متعلقا بالأوضاع في اسيا بفعل التورط الامريكي في فيتنام لكنه كان من الممكن تطبيقه في اماكن اخرى وقد اثرت الاجراءات التي تمت بموجبه على المؤسسة العسكرية الامريكية وكالة المخابرات المركزية او مايعرف بالمركب الصناعي العسكري فانخفض عدد القوات الامريكية بنسبة ٦٠% وميزانية الدفاع بمقدار الثلث في الفترة نفسها كما خضع نشاط وكالة المخابرات المركزية الى رقابة متعددة من قبل لجان الكونغرس^(٢٦). فضلا عن ذلك استطاعت الولايات المتحدة خلال هذه الفترة ان تقيم العلاقات مع دول الخليج العربي عبر معاهدات واتفاقيات تعاون عسكرية ثنائية وخاصة مع المملكة العربية السعودية ودولة الكويت وبذلك استطاعت ان امركيا بموجب هذه الاتفاقية اقامة قواعد عسكرية وجوية مثل (قاعدة الظهران في المملكة العربية السعودية النس انشئت في عام ١٩٤٥)^(٢٧)، ومن امثلة ذلك النوع كذلك القاعدة الامريكية في البحرين، ووحدات الولايات المتحدة البحرية التي تعمل في الخليج العربي وتتمتع بتسهيلات خاصة^(٢٨). وعملت المصالح المتنامية للولايات المتحدة على زيادة تعاطيها لشؤون الشرق الاوسط خلال سنوات الصراع العربي الاسرائيلي وخاصة منذ حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ التي اسفرت عن حظر نفطي عربي وما تلا ذلك من جهود امريكية للتوصل الى الى فصل للقوات بين مصر وسوريا واسرائيل فضلا عن مفاوضات السلام التي درات بين مصر واسرائيل، وموجز القول ان الولايات المتحدة طورت لنفسها مصالح سياسية - استراتيجية واقتصادية

وغيرها، على صعيد شرق اوسط مستقر بالنسبة لمصالحها وفي ما يتعلق بالصراع العربي- الاسرائيلي فان الموقف الامريكي يؤكد بعامة على استقلال اسرائيل ومحدودية دور السوفييات ومشاركتهم في صراع الشرق الاوسط وعلى قبول قرار مجلس الامن ذي الرقم (٢٤٢) الصادر في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧ (القاضي بانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي احتلتها في الحرب دون قيد او شرط)، وعلى تجنب موقف اللاسلم واللاحرب مع تشجيع الاطراف على مباشرة ومن ثم مواصلة المفاوضات وعلى عدم تأييد مبدأ الاستيلاء على اراض بالحرب فضلا عن توحيد القدس تحت ادارة اردنية واسرائيلية مشتركة^(٢٩). ومن اجل تعزيز هذه الاهداف الامريكية خلال هذه الفترة ظهر ماسمي (بالدبلوماسية المكوكة) التي قادها (هنري كيسنجر) وزير الخارجية الامريكي في تلك الفترة والتي اسفرت عن دخول مصر في عهد الرئيس محمد انور السادات في مشاريع التسوية مع الكيان الصهيوني والتي قادت الى معاهدة كامب ديفيد^(٣٠). التي جعلت مصر تخرج من الدور القيادي التي كانت تتبناه وتعمل من اجله في عهد الرئيس جمال عبد الناصر. وكما نجحت الدبلوماسية الامريكية في بسط نفوذها على جزيرة مصيرة العمانية، هذه الجزيرة التي تتحكم في منطقة الخليج العربي كلها وفي مضيق هرمز الذي يمثل مفصل العبور والبوابة الضيقة الى منطقة الخليج العربي، وتتمثل اهمية المضيق في كونه يمثل شريانا حيويا في حياة البلدان الغربية وانه يمثل الرئة التي تتنفس منها بلدان المنطقة^(٣١). وتلت هذه الفترة احداثا كثيرة شهدت المنطقة العربية، خاصة ازمة الطاقة ودخول الاتحاد السوفيتي في افغانستان وبلغت تلك الاحداث قمتها في قيام الثورة الايرانية وسقوط نظام الشاه في ايران^(٣٢). الامر الذي دعا الولايات المتحدة الى اعادة تفكيرها بالاولويات والسياسات الواجب اتباعها في منطقة الشرق الاوسط فخلال السبعينات كان الشاه يتلقى كميات كبيرة وغير عادية من الاسلحة الامريكية، فقد كانت ايران هي

المستفيد الاول من مبدأ نيكسون الخاص بالمشاركة الاقليمية^(٣٣). كل ذلك ادى الى بروز مبدأ اخر في السياسة الامريكية تجاه الشرق الاوسط وهو ما عرف باسم (مبدأ كارتر) الذي اعلنه الرئيس الأمريكي (جيمي كارتر ١٩٧٧-١٩٨١) في ٢٤ كانون الثاني ١٩٨٠ والذي حدد الخطوات الحيوية التي ستتخذها الادارة الامريكية في منطقة الشرق الاوسط وتتضمن هذه الخطوات مايلي:

١. زيادة فعليه في ميزانية الدفاع الامريكية بنسبة ٥% كل عام خلال السنوات الخمسة المقبلة.

٢. تقوية وتطوير القدرة الامريكية على (التدخل السريع) في المناطق البعيدة عن القارة الامريكية (اي بالاساس في منطقة الخليج العربي).

٣. العمل على ايجاد (حل) لازمة الشرق الاوسط والصراع العربي الاسرائيلي (اي الاستمرار في سياسة كامب ديفد) مع (التاكيد على الضمانة الامنية الامريكية لاسرائيل).

٤. تقوية حلف (ناتوا) وسائر الاحلاف الامنية الامريكية الاخرى.

٥. زيادة حجم التواجد العسكري الأمريكي في المحيط الهندي وايجاد القواعد والتسهيلات للقوات الامركية في (شمالي - شرق افريقيا) (اي مصر) ومنطقة الخليج.

٦. التأكيد على (الالتزام الأمريكي بسيادة الباكستان) ودعمها سياسيا او عسكريا، لضمان عدم دخول الاتحاد السوفيتي في الباكستان.

٧. العمل على الوصول الى (صيغة دفاعية مشتركة بين دول الشرق الاوسط مع الاخذ بعين الاعتبار الفوراق السياسية والايدولوجية بينها)^(٣٤).

ويمكننا مما تقدم ان نقول ان مبدأ كارتر ضم منطقة الخليج العربي الى حدود المناطق الحيوية لأمن الولايات المتحدة وبموجبه اعطت الولايات المتحدة حق التدخل عسكريا اذا ما تعرضت مصالحها في المنطقة العربية خصوصا

للخطر لذلك انشئت لهذا الهدف (قوات التدخل السريع) التي بين سبب ارسالها الى الشرق الاوسط الرئيس كارتر عام ١٩٨٠ في شهاداته امام الكونغرس حيث قال (ان قواتنا ارسلت هناك ليس ردع هجوم محتمل بل للاضطرابات المحلية والاقليمية وخاصة (الوطنية الراديكالية) والتي كانت وماتزال مصدر قلق رئيس لنا)^(٣٥). كما ان الرئيس (رونالد ريغان ١٩٨١-١٩٨٩) لم يأخذ المبدأ بالكامل فحسب بل طوره الى فكرة تقول (بان التدخل الامريكي يجب ان يتم عندما تتعرض منطقة الخليج لعدم استقرار لاسباب اقليمية محلية او غيرها)^(٣٦). كما عملت ادارة ريغان على مكافأة الكيان الصهيوني وارضائه، حيث رفعت العلاقة بينه وبين الولايات المتحدة الى درجة التحالف الاستراتيجي فتم في تشرين الثاني ١٩٨١ توقيع الاتفاق التعاوني الاستراتيجي الاول (اتفاق ريغان - بيكن) الذي يشمل التعاون العسكري الشامل، ثم في تشرين الاول ١٩٨٢ ثم الاتفاق التعاوني الاستراتيجي الثاني (اتفاق ريغان - شامير) الذي تضمن اتفاقا للدفاع المشترك بين البلدين والسماح للقوات الامريكية باستخدام القواعد العسكرية "الاسرائيلية"^(٣٧). ويمجيء الرئيس الامريكي (جورج بوش ١٩٨٩-١٩٩٣) اصبحت السياسة الامريكية اكثر سوءا بالنسبة الى للعرب مما كانت عليه خلال ادارة ريغان اذا حاربت ادارة بوش بصورة نشطة محاولة بعض الاقطار العربية زيادة مناعتها تجاه الكيان الصهيوني وطلبت من العرب تقديم المزيد من التنازلات له ولعلنا نتذكر التي بعث بها بوش الى القمة العربية الاستثنائية المنعقدة اواخر ايار ١٩٩٠ في بغداد تحت شعار (الامن القومي العربي) والمخصصة لموضوعين اساسيين هما:

- هجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل.

- والتهديدات الغربية للعراق.

وطالب بوش في الرسالة القادة العرب بعدم معارضة هجرة اليهود السوفيت الى اسرائيل وكذلك العمل على الاعتراف باسرائيل وعدم ربط نزع الاسلحة

الكيميائية والنووية بهذا الاعتراف ويمكن اجمال أهداف الولايات المتحدة الامريكية من هذه الحرب بالآتي:

- مصالح تتعلق بحماية اسرائيل وضمان تفوقها العسكري الاقليمي في مواجهة الدول العربية مجتمعه من منطلق انها الحليف الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه فضلا عن ان للارتباط الامريكي باسرائيل دوافع سياسية ودينية وتاريخية وفكرية تخص فلسفة المجتمع الامريكي وتوجهاته الداخليه والخارجية^(٣٨).

- مصالح اقتصادية استراتيجية، تتعلق بحماية تدفق النفط، وضمان السيطرة الامريكية على عمليات استخراجة ونقله وتسعيه واستثمار عوائده ضمن حدود تضعها الاهداف الامريكية والتي وضحها قائد القوات الامريكية شوارتسكوف في تصريح لمحطة (سي، ان. ان CNN) في بداية حرب الخليج الثانية حيث يقول: (جننا كي نصحح ونعطي هذه الثروة (النفط) لمن يستحقوها)^(٣٩).

- تجريد العراق من عناصر القوة وفي المقدمة منها عرقلة انتقاله الى العالم الصناعي.

- مصالح تتعلق بمنع تحقيق الوحدة العربية والوقوف بوجه تطلعات العرب نحو الوحدة بعين الريبة بالنسبة الى مستقبل المصالح الامريكية والغربية عموماً.

ونتيجة للسياسة التي اتبعها النظام السياسي في العراق دفع الامم المتحدة والمجتمع الدولي إلى انتهاج سياسه خاصة تجاهه، والتي عبرت عن هذه السياسة الغربية رئيسة وزراء بريطانيا (مارغريت تاتشر ١٩٧٩-١٩٩٠)، اثناء لقاءها مع رئيس الوزراء السوفيتي (يفغيني بريماكوف) قبل شن الحرب على عدم القبول باي حل دبلوماسي حيث قالت: (بل يجب توجيه ضربة ساحقة الى العراق، وتدمير

قدرات هذا البلد العسكرية وربما طاقاته الصناعة ولا يجوز الحوؤل دون تحقيق هذه الهدف، بل ولا ينبغي لاحد ان يحاول تجنب العراق الضربة اللازمة^(٤٠).

ان التصور الامريكي الحديث للنظام الشرق اوسطي يعود الى الوثيقة التي اعدتها وكالة التنمية الدولية الامريكية في عام ١٩٨٢ تحت عنوان (التعاون الاقليمي في الشرق الاوسط) وقدمتها الى الكونغرس، وشاركت في اعدادها ثمانى وزارات وعشرة مراكز بحوث على رأسها الاكاديمية الامريكية للعلوم^(٤١)، حيث اكدت الوثيقة على بناء تعاون اقليمي في الشرق الاوسط كبديل عن النظام العربي وتفكيكه لصالح اسرائيل وايران وتركيا وحصل (برناد لويس)^(٤٢). على موافقة الكونغرس عام ١٩٨٣ لرسم خريطة جديدة للشرق الاوسط، وفي عام ١٩٨٥ قدم (برجنسكي) مستشار الامن القومي الامريكي الاسبق مشروعة الذي يقضي قيام اتفاق بين دول الشرق الاوسط على غرار مؤتمر الامن والتعاون الاوربي يضم جميع دول المنطقة.

وبعد حرب الخليج الثانية ابدى (هنري كيسنجر) تصوراته عن اهمية قيام واشنطن ببناء ترتيبات للنظام الشرق اوسطي يقوم على اساس:

- الحد من التسليح.
- تقديم اتفاق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- تقديم برنامج لمكافحة الارهاب.
- الابقاء على ميزان قوي اقليمي ودولي يمنع خلق فراغ سياسي في المنطقة.
- اقامة حالة من الاستقرار تقدم المسوغات على طريق تسوية الصراع العربي - "الاسرائيلي"^(٤٣).

ونتيجة هذه الأهداف ومن اجل تحقيقها سعت الولايات المتحدة الامريكية في نطاق توجهها لاقامة ما يسمى ب(النظام الدولي الجديد) من اجل سيطرتها على السياسات الدولية.

ان هذا السعي الامريكي متأث - كما يقول (وليامز ماينسر) رئيس تحرير مجلة نورن بوليس، (من وعي الادارة الامريكية للأعباء الباهضة للتدخل في المستقبل، من دم يسيل، ونقود تبدد في المقام الاول، ويجب من ثم ان يقوم النظام الدولي على شيء اكبر من اكتاف القدرة العسكرية الامريكية، ولا يمكن لأولئك الذين يراهنون على غير ذلك ان يتوقعوا ان تجهد الولايات المتحدة نفسها بالدرجة عينها في ازمة قادمة)^(٤٤)، كما فعلت في حرب الخليج الثانية وهذا يعني في الفكر السياسي الامريكي ان تكون البنية الاقليمية بمثابة احجار الزاوية في بناء الامن في مختلف اجزاء العالم، ويعكس هذا التوجه جزئياً الصعوبات السياسية واللوجستية للتدخل وتكاليفه فضلاً عن ذلك التصور الشائع ان الترتيبات الامنية، اكثر قبولاً من التواجد الاجنبي المباشر، وانها ستبدو انعكاساً مشروحاً للسياسات المحلية للاطراف المنتمية للمنطقة^(٤٥). بذلك تحل الانظمة الامنية الاقليمية محل الوجود العسكرية المباشر للولايات المتحدة في الاقاليم المعنية، كما تتحمل الدول المشاركة في النظام الاقليمي التكاليف المالية، ولا توضع الولايات المتحدة في موقع يستفز مشاعر الشعوب والقوى المناهضة للهيمنة الاجنبية وفي الوقت نفسه تضمن حماية المصالح الامريكية وتكرس النفوذ الامريكي في المنطقة، وبناءً على ذلك عقد مؤتمر مدريد في عام ١٩٩١ والذي اطلق عليه (مؤتمر سلام الشرق الاوسط) ومن ثم اتفاقية (غزة - اريحا) اولا في عام ١٩٩٣ والاتفاق الاردني - "الاسرائيلي" عام ١٩٩٤ والمؤتمر الاقتصادي الاول في الدار البيضاء في عام ١٩٩٤ والمؤتمر الاقتصادي الثاني في عمان ١٩٩٥ وثم المؤتمر الاقتصادي الثالث الذي عقد في القاهرة ١٩٩٦، وصولاً الى مؤتمر الدوحة في عام ١٩٩٧. ويتأسس التصور الامريكي للنظام الشرق اوسطي على ثلاث ركائز اساسية ومتفاعلة: هي الامن والاقتصاد والسياسة^(٤٦).

وتعتمد الركيزة الامنية بشكل اساسي على نزع سلاح العرب ووضع قدراتهم العسكرية تحت الرقابة والسيطرة لضمان امن "اسرائيل" اولاً وللحيلولة دون نمو مراكز قوة عربية في اي جزء من الوطن العربي ثانياً.
وتبنى الركيزة الامنية في التصور الامريكي على مجموعة عناصر منهما^(٤٧):

- ان تكون للولايات المتحدة الكلمة العليا والاخيرة في التخطيط الامني للمنطقة بعد مصالحتها الخاصة بها في امن الخليج واستقراره.
- رفض اي دور عربي متكامل في امن المنطقة، وفصل المشرق العربي عن المغرب العربي.
- التشاور مع حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة لتحديد مايلزم لحماية مصالح هذه الدول التي عليها ان تكون مبادرة في تحديد ذلك.
- تكثيف الوجود العسكرية الامريكي في الخليج و"اسرائيل" وتركيا بعده انه هو الاساس العلمي للترتيبات الامنية من وجهة النظر الامريكية، ويشمل هذا الوجود على قوات ومستشارين عسكريين ومخزون من المعدات الحربية.
- تطوير اشكال التعاون الثنائي بين الولايات المتحدة من جهة واصدقائها من الدول العربية و"اسرائيل" من جهة ثانية، ويتمثل ذلك في القيام بمناورات عسكرية مشتركة ومزيد من التدريب للقوات الامريكية ودول الخليج ودول اخرى في المنطقة، وهذا ما حصل طيلة المرحلة التي اعقبت حرب الخليج الثانية.
- الاعتماد على الامم المتحدة في القيام بدور مهم في الترتيبات الامنية تتخلص في اصدار القرارات التي تضمن استمرار احتفاظ الولايات المتحدة بالكلمة العليا وذلك من خلال استمرار الهيمنة الامريكية باعطائها الشرعية الدولية المطلوبة.

- تعزيز التعاون بين دول الخليج بعضها مع بعض، وبينها وبين الولايات المتحدة والدولة الصديقة "اسرائيل" وباقي الشركاء الامنيين الخارجيين (بريطانيا وفرنسا وتركيا) على ان تقوم الولايات المتحدة في تحقيق الترتيبات الامنية.
 - فرض حصار على الدول المناوئة للسياسات الغربية عموماً والامريكية خاصة وحضر تزويدها بالمعدات العسكرية والاسلحة، مع ضبط وتدمير الصواريخ والقدرات النووية والكيمياوية العربية، وهذا ما حصل مع العراق بعد حرب الخليج الثانية.
 - فرض قيود اقليمية على التسلح، وخاصة على الجانب العربي.
 - الحفاظ على تفوق "اسرائيل" العسكرية والتقني، وهذا ما أكدته (نائب وزير الدفاع الامريكي سمث) حيث يقول: (ان نقل التكنولوجيا المتقدمة لا يزال عنصراً حيوياً في التزامنا باستمرار التفوق النوعي "اسرائيل"، ومن خلال برامج تعاونية مكثفة في مجال البحوث والتطور ومبيعات السلاح)^(٤٨).
 - اقامة مؤسسات وتنظيمات اقليمية مستقرة ودائمة لضمان استقرار المنطقة.
 - مساعدة حكومات الشرق الاوسط الحليفة لأمريكا لمواجهة التهديد المتنامي من احتمال سيطرة الاسلام السياسي.
- واما الركيزة الاقتصادية فاساسها (اجراء تحولات في سياسات وبنى الاقتصاديات العربية، لكي تكون مهيأة لاستقبال اندماج "اسرائيل" مع المنطقة، وفتح ابوابها امام الاقتصاد الامريكي والغربي بوجه عام..).
- ومن اهم عناصر هذه الركيزة هي:
- اجراء تحولات في الاقتصاديات العربية من الاعتماد على التخطيط الى اقتصاد السوق، ومن الاعتماد الواسع على القطاع العام الى اعتماد كلي على القطاع الخاص.

- الحصول على افضل النتائج التي تساعد الاقتصاد الامريكي في الخروج من مأزقة الراهن، خصوصاً مع فقدان قدرته التنافسية والحيوية، واحتدام المنافسة مع البلدان الاخرى، لا سيما اليابان وشرق اسيا والاتحاد الاوربي^(٤٩).
- تسعى امريكا الى فرض نظرية الردع الاقتصادي "الاسرائيلي" من خلال الترتيبات الاقتصادية الشرق اوسطية وبذلك تستبدل الاستراتيجية الامريكية - "الاسرائيل" نظرية الردع العسكري بنظرية الردع الاقتصادي.
- تتطلق الرؤية الاقتصادية الامريكية الى الشرق اوسطية من هدف منع ظهور اية قوة اقليمية بخلاف "اسرائيل" تسيطر على مقدرات وثروات الوطن العربي، وذلك لابقاء الهيمنة الامريكية على نفط المنطقة واستخدامها كورقة بيد امريكا ضد القوى الاقتصادية الصاعدة.
- تمكن الرؤية الامريكية الاقتصادية الى مساعدة "اسرائيل" وتمكينها من تحقيق عملية الدمج الاستراتيجي في المنطقة وتعميق امنها الاقتصادي ومن ثم فرض هيمنتها الاقتصادية على المنظومة الاقتصادية الشرق اوسطية^(٥٠).
- ان النظام الشرق اوسطي سيمكن الاقتصاد الامريكي من معالجة ازمته الاقتصادية نتيجة انتعاش المنطقة وانعكاس ذلك على انتعاش الاقتصاد الامريكي.
- تتطلق الرؤية الامريكية للشرق اوسطية من اعتبارات العولمة الاقتصادية القاضية بان الشرق اوسطية جزء من الموجه الاقليمية الثانية التي تدرج في سياق العولمة الاقتصادية ثم الامركة الاقتصادية^(٥١).
- تسعى الولايات المتحدة في تنفيذ الترتيبات الاقتصادية الشرق اوسطية الى انهاء حالة القلق "اسرائيل" بشأن المالية الامريكية التي بات استمرارها امراً

مشكوكاً فيه من خلال ايجاد بدائل للمساعدات المالية الامريكية من خلال (استخدام مطار اسرائيل" للسلاح الاقتصادي، الذي سيمكنها من تحقيق اهداف اقتصادية واسعة النطاق تبدد ذلك القلق وتؤمن لها اعماقاً اقتصادية بدلاً من الاعماق الجغرافية اي استبدال امن الحدود (بامن الاعماق) عن طريق السيطرة على مجريات الامور السياسية الاقتصادية في محيط بلدان الجوار^(٥٢).

- كما سعت الولايات المتحدة وبشكل حثيث الى اقامة (البنك الاقليمي للتنمية في الشرق الاوسط) وبرزت هذه الفكرة في اعقاب حرب الخليج حيث اشار (الرئيس الامريكى بيل كلنتون) بالقول (اذا تمكنا من انشاء البنك المخصص للتنمية في الشرق الاوسط، فلن يكون من اجل تنمية الاقتصاد الفلسطيني فقط، بل من اجل المنطقة كلها)^(٥٣).

- تعمل الولايات المتحدة على انهاء المقاطعة الاقتصادية العربية، "لاسرائيل" وكذلك على اهمال دور القطاع العام (الحكومي) والتركيز على دور القطاع الخاص، وتستشهد بالوثيقة الامريكية التي قدمها وزير خارجية امريكا (كريستوفر) خلال المؤتمر الاقتصادي الاول الذي عقد في الدار البيضاء عام ١٩٩٤ حيث يقول:

(ان الحكومات بإمكانها ايجاد مناخ يساعد النمو الاقتصادي، الا ان القطاع الخاص فقط يمكنه ايجاد السلام الدائم عن طريق النمو والتنمية القابلة للبقاء والاستمرار).

كما كشفت الادارة الامريكية مساعيها لخلق مناخ اقتصادي جديد في الوطن العربي من خلال التأكيد على دور القطاع الخاص، بالاعتماد على مبادرات رجال الاعمال والشركات الخاصة، الامر الذي يعني ان واشنطن تسعى الى خلق منطقة التبادل التجاري الحر بين دول المنطقة وفقاً لترتيبات النظام الدولي الجديد الذي

يهيء لجغرافية سياسية جديدة للمنطقة^(٥٤)، الامر الذي سيحقق فوائد كبرى ليس لامريكا فحسب وانما لحليفاتها الاقليمية "اسرائيل" نظراً لارتباط الاخير باتفاقيات للتجارة الحرة مع كل من الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي.

وهنا يمكننا القول ان التحكم الامريكى في المنطقة يكون عبر سيطرة الكيان الصهيوني التي تعتبر ركنا اساسيا من اركان النظام الدولي الجديد، فالولايات المتحدة تسعى للاحتفاظ بمركز القطب الواحد في العالم، وتحاول جاهدة بلوغ هذه الغاية بوسائل ومفاهيم في مقدمتها الاقتصاد الحر والانفتاح. وهكذا تقوم الرؤية المشتركة الامريكية "الاسرائيلية" على احلال الاتفاقات السياسية بالمصالح الاقتصادية.

ومن ابرز اهداف الركيزة السياسية الامريكية للنظام الشرق اوسطي:

١. هو القيام بالغاء الحدود القومية للوطن العربي بفصل مشرقه عن مغربه وادخال دول اخرى مثل (ايران وتركيا)، فضلا عن "اسرائيل" المدعومة امريكيا^(٥٥)، واقامة منطقة فسيفساء.

٢. تحقيق الهدف الاستراتيجي الامريكى وهو (بعثرة الصراع العربي الصهيوني) الامر الذي يمكن امريكا من تحقيق مصالحها في الوطن العربي بشكل عام، وفي الخليج العربي بشكل خاص (بازهد الاثمان وبأدنى قدر من الخسائر)^(٥٦).

٣. توطيد تبعية المنطقة بما يجعلها جسداً مطوعاً بيد الهيمنة الامريكية، والذي يعد هدفاً قائماً يسعى اليه الغرب والولايات المتحدة للسيطرة على قراراته وثرواته حتى العقد القادم، والامساك بمنابع النفط العربية تحت قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن الدولي، وعلى نحو يخدم الشراكة الامريكية "الاسرائيلية" وعزز هذا الاعتبار من التوجه الامريكى لتسوية القضية الفلسطينية كبداية لتطبيع العلاقات الاقتصادية والاوزاع

الاقليمية والامنية وصولاً الى بناء مناخ تتوافر فيه مستويات القبول المتبادل والعلاقات السلمية بين دول المنطقة^(٥٧)، وقد حدد (دان كيرتر - نائب مساعد وزير الخارجية الامريكي) ثلاث وظائف رئيسة للمفاوضات الفلسطينية - "الاسرائيلية":

اولاً:- اسقاط الحواجز النفسية بين العرب و " الاسرائيليين".

ثانياً:- احداث نشاطات فعلية من خلال مجموعات العمل المختلفة.

ثالثاً:- التوجه نحو اقامة مؤسسات اقليمية كوسيلة لدفع عملية المصالحة الاقليمية.

ويتابع (دان كيرتر) قوله: (اننا نحاول بلورة تصور مستقبلي للشرق الاوسط يسمح للاطراف الاقليمية بالتغلب على مشاكل ستكون قائمة بغض النظر عن وجود نزاع عربي - "اسرائيلي").^(٥٨)

١. اعادة ترتيب التوازنات بما يحقق المصلحة الامريكية "الاسرائيلية" على حد سواء والتواصل لانهاء الصراع العربي - الصهيوني، واقامة علاقات عربية - "اسرائيلي" في اطار شرق اوسطية، وعليه فان السعي الامريكي المحموم لتسوية الصراع لم يكن الا وسيلة لتحقيق توازن مستقر لصالح الولايات المتحدة وعلى حساب المصالح العربية^(٥٩).

وبعد الحرب الخليج الثانية فرضت الولايات المتحدة معادلة جديدة مفادها ان اقامة وتحسين اية علاقات جديدة معها ينبغي ان يتم عن طريق التطبيع مع الكيان الصهيوني بحيث صار التطبيع بمثابة بطاقة الضمان الامني التي تلعبها واشنطن مع بعض الحكومات العربية، او بمثابة كلمة السر لتقديم المساعدات الاقتصادية الى بعضهم الاخر. فالولايات المتحدة صارت جزءاً من النسيج السياسي العربي، توفر الدعم لطرف معين وتمنع المصالحات تخوفاً من الطرف الاخر، معيار ذلك الطرف من عملية (التسوية) وتحديداً من العلاقات الثنائية مع الكيان الصهيوني.

وهذا ما تم لمسه بوضوح في النقاشات والحوارات التي دارت خلال المؤتمرات الاقتصادية الاربعة ابتداءً من مؤتمر الدار البيضاء ١٩٩٤ وصولاً الى مؤتمر الدوحة ١٩٩٧. حيث شكلت هذه المؤتمرات خطوة متقدمة على الصعيد العلمي لاقامة النظام الشرق اوسطي الجديد كما تراه امريكا وحليفاتها "اسرائيل"^(٦٠).

المصادر والمراجع

اولاً:- الكتب العربية والمعرية

١. صلاح العقاد، الحرب العالمية الثانية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣.
٢. ليستر ثرو، المتناطحون، ترجمة محمد فريد، دار الامارات للدراسة والبحوث الاستراتيجية ابو ظبي، ط٢، ١٩٩٦.
٣. احمد عطية الله، قاموس السياسة، دار المرتضة العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٠.
٤. Arthurelink, American Epoch New York, Akople, 1965.
٥. احمد عبد الرحيم مصطفى، الولايات المتحدة والمشرق العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣.
٦. ادورد ميديل، رواد الاستراتيجية الحديث، ترجمة محمد عبد الفتاح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٥.
٧. اسماعيل صبري مقلد، الاستراتيجية الدولية في علم متغير، قضايا ومشكلات، الكويت، ١٩٨٣.
٨. بيتر مانغولد، تدخل الدول العظمى في الشرق الاوسط، ترجمة اديب يوسف كشيح، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٥.
٩. توماس بريسون، العلاقة الدبلوماسية الامريكية مع الشرق الاوسط ١٧٨٤ - ١٩٧٥، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٥.
١٠. جان غيتون، الفكر والحرب، ترجمة هيثم الايوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٥.
١١. حسن البزاز، القوى العظمى بين شريعة الغاب وصراع الفيلة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨.

١٢. حسين اغا واخرون، الاستراتيجية الامريكية الجديدة، سلسلة الدراسات الاستراتيجية رقم (١١)، مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، لندن، ط١، ١٩٨٢.
١٣. حسين اغا واخرون، الوجود العسكري الغربي في الشرق الاوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢.
١٤. خليل علي مراد، تطور السياسة الامريكية في منطقة الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٠.
١٥. روجر باركتسن: (موسوعة الحرب الحديثة)، ج٢، ترجمة احمد الجلي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠.
١٦. ريتشارد نيكسون، ما وراء السلام، ترجمة مالك عباس، الاهلية للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٥.
١٧. ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ترجمة احمد صدقي مراد، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٢.
١٨. شارل عيسوي ومحمد بجانة، اقتصاديات البترول في الشرق الاوسط، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦.
١٩. عايد طه ناصيف، الاستراتيجية الدولية في منطقة الخليج العربي، مرز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٢.
٢٠. عبد السلام ابراهيم بغدادي، الشرق اوسطي (البعد السياسي)، نشرة الدراسات، العدد ١٠٥، الدار العربية للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٩٦.
٢١. كاظم هاشم نعمة، دراسات في الاستراتيجية والسياسة الدولية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤.
٢٢. كامل ميشيل، اميركا والمشرق العربي، دار الفجر، القاهرة، ١٩٨٥.

٢٣. كمال مظهر احمد، اضواء على قضاية دولية في الشرق الاوسط، بغداد، ١٩٧٨.

٢٤. ليدل هارت، الاستراتيجي والتاريخ في العالم، ترجمة هيثم الايوبي، دار الطلبة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨.

٢٥. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، اتفاق كامب ديفيد وخطره، بيروت، ط١، ١٩٧٨.

٢٦. نبيل محمود عبد الغفار، السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي"الاسرائيلي" الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢.

٢٧. نعوم جومسكي، ردع الديمقراطية ، دار فيرجو، لندن ونيويورك، ط١، ١٩٩١.

٢٨. وليم ساليغان، امريكا وايران، ترجمة نجدة الشواف، دار الملتقى للنشر، قبرص، ط١، ١٩٩١.

٢٩. وليم كوان، الاولويات الامريكية في الشرق الاوسط، المجلد الاول، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ١٩٨٠.

ثانياً الاطاريح والرسائل الجامعية

١. جهاد مجيد محي الدين، حلف بغداد، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٠.

٢. عصام عبد الحسين الدليمي، السياسة الخارجية الامريكية في الخليج العربي، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، بغداد، ١٩٨٨.

ثالثاً:- البحوث والدراسات

١. احمد ثابت، المخطط الامريكي الصهيوني عن (النظام الشرق اوسطي)، بحث مقدم الى اعمال المائدة المستديرة لاساتذة الجامعات العرب، منشورات جامعة ناصر الاممية ليبيا، ١٩٩٥.

رابعاً:- الندوات العلمية

١. احمد صدقي الدجاني وآخرون، ندوة (التحديات الشرق اوسطية الجديدة والوطن العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٤.
٢. التحديات (الشرق اوسطية) الجديدة والوطن العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٤.
٣. طلعت مسلم، قضايا ومتطلبات الامن العسكري العربي في نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين، الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٤.
٤. جميل مطر وعلي الدين هلال، النظام الاقليمي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.
٥. عبد الله عبد المحسن السلطان، البحر الاحمر والصراع العربي الاسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤.

خامساً:- المجالات والصحف

١. مازن اسماعيل الرمضاني، النظام الشرق اوسطي الرؤى "الاسرائيلية" والامريكية، مجلة افاق عربية، اذار، بغداد، ١٩٩٤.
٢. محمد جاد، المعونة الخارجية والاهداف الامنية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٧، ١٩٩٧.
٣. نيفين عبد الخالق مصطفى، المشروع الشرق اوسطي والمستقبل العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٩٣، بيروت، ١٩٩٥.
٤. وحيد عبد المجيد، ادارة ريغن الثانية - مرحلة ثالثة للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣، بيروت، ١٩٨٥.
٥. عبد الفتاح الجبالي، قمة عمان بين اوهام السلام وطموح التسوية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٠٤، بيروت، ١٩٩٦.

٦. عبدالله السيد ولد اباه، التسوية في الشرق الاوسط ومستقبل النظام العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٩٢، ١٩٩٥.
٧. ناصيف حسين، العرب وثورة التناقضات في المفاهيم القومية والاقليمية والعالمية (ورقة عمل)، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٠٠، ١٩٩٥.
٨. محمود عبد الفضيل، مشاريع الترتيبات، الاقتصادي الشرق اوسطية، تصورات المحاذير - اشكال المواجهة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٧٩، بيروت، ١٩٩٤.
٩. منصف السليمي، اعلان الدار البيضاء - تسوية بين مطالب (السياسي) ومصالح (الاقتصادي)، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٩٣، ١٩٩٥.
١٥. وليد عبد الحي، اثر المتغيرات في النظام الدولي المعاصر على مستقبل الوظيفة الاقليمية "لاسرائيل"، مجلة شؤون عربية، العدد ٦٥، ١٩٩١.
١٦. هدى شاكر معروف، الموقف التركي في ازمة وحرب الخليج، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد المزدوج ٤٦-٤٧، بغداد ١٩٩٣.
١٧. هنري كيسنجر، النظام العالمي الجديد، صحيفة الشرق الاوسط، القاهرة، ١/ شباط/ ١٩٩١.
١٨. حسن طبرة، اخطار الشرق اوسطية على العرب، صحيفة الجمهورية، بغداد، ١٣/١٠/١٩٩٨.

الهوامش

(١)تعرف الاستراتيجية بانها فن توزيع واستخدام مختلف الوسائل العسكرية لتحقيق الاهداف السياسية للمزيد من التفاصيل ينظر: (ليل هارت): الاستراتيجية وتاريخها في العالم، ترجمة هيثم الايوبي، دار الطليعة، بيروت ط ٢، ١٩٧٨، ص ٢٧٤-٢٧٦، وكذلك ينظر جان غيتون: الفكر والحرب، الفكر والحرب، ترجمه الهيثم الايوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥، ص ١٠٧.

(٢) القلب الارضي نظرية (جيكوبوليتيكية) للمزيد من التفاصيل ينظر: ادوارد ميدايرل: رواد الاستراتيجية الحديثة، ترجمة محمد عبد الفتاح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، بيروت، ١٩٨٥، ص ٨٠.

(٣) للمزيد من التفاصيل ينظر: توماس بريسون: العلاقات الدبلوماسية الامريكية مع الشرق الاوسط ١٧٨٤-١٩٧٥، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٥.

(٤) كمال مظهر احمد: اضاء على قضايا دولية في الشرق الاوسط، بغداد، ١٩٧٨، ص ٣٥-٣٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٦) شارل عيسوي ومحمد يمانه: اقتصاديات البترول في الشرق الاوسط، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٦٩.

(٧) خليل علي مراد: تطور السياسة الامريكية في منطقة الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٢-٢٧.

(٨) توماس بريسون: المصدر السابق، ص ٣٢٧.

(٩) احمد عطية الله: القاموس السياسي دار النهضة العربية، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٨، ص ٢٨٧.

(١٠) عبدالله عبد المحسن السلطان، البحر الاحمر والصراع العربي الاسرائيلي مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ١٩٨٤، ص ١٠٦.

(١١) (قانون الاعارة والتأجير) اصدره الرئيس الامريكى فرانكلين روزفلت (١٩٣٣-١٩٤٥)، عام ١٩٤١، الذي بموجبه يخول الحكومة الامريكية بتقديم معدات ومعلومات دفاعية تحت ذريعة مصلحة الدفاع القومي الامريكى لاية دولة يعتقد ان دفاعيا ضروري لامن الولايات المتحدة ينظر صلاح العقاد: الحرب العالمية الثانية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٦٧.

(١٢) ليستر ثرو: المتناطحون، ترجمة محمد مزيد، دار الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، ط ٢، ١٩٩٦، ص ١٤١.

(١٣) Arthurelink American Epoch (New York, Aknope ie. 1965 P.7.8

(١٤) كامل ميشيل: امريكا والمشرق العربي، دار الفجر القاهرة، ١٩٥٨، ص ٦٨-٦٩.

(١٥) محمد جاد: المعونة الخارجية والاهداف الامنية، مجلة السياسة الدولية والعدد ١٢٧، ١٩٩٧، ص ١٠٣.

(١٦) عبدالله عبد المحسن السلطان المصدر السابق، ص ١٠٧.

- (١٧) وللمزيد من التفاصيل ينظر، جهاد محي الدين، حلف بغداد، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٧٠، ص ١١٠.
- (١٨) اسماعيل صبري مقلد: الاستراتيجية الدولية في عالم متغيرة - قضايا ومشكلات، الكويت، ١٩٨٣، ص ١٥.
- (١٩) احمد عبد الرحيم مصطفى: الولايات المتحدة والشرق العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣، ص ١٤٦.
- (٢٠) للمزيد من التفاصيل ينظر: كريم علي حمادي، الانزال الامريكى في لبنان ١٩٥٨، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى معهد التاريخ والتراث العلمي، بغداد، ١٩٩٨.
- (٢١) عبد الله عبد المحسن السلطان، المصدر السابق، ص ١٠٨.
- (٢٢) هاله سعودي، السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي الاسرائيلية ١٩٦٧-١٩٧٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦، ص ١٣٩-١٦٠..
- (٢٣) بيتر مانغولد: تدخل الدول العظمى في الشرق الاوسط، ترجمة اديب يوسف كشيش، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٥، ص ٨٦-٨٧، وكذلك ينظر، ريتشارد نيكسون، الفرصة السائحة، ترجمة احمد صدقي مراد، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٢.
- (٢٤) حسين اغا واخرون: الوجود العسكري الغربي في الشرق الاوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٧.
- (٢٥) ريتشارد نيكسون: ماوراء السلام، ترجمة مالك عباس، الاهليه للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٥، ص ١٤٨.
- (٢٦) عصام عبد الحسين الدليمي: السياسة الخارجية الامريكية في الخليج العربية، رسالة ماجستير/ معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، بغداد، ١٩٨٨، ص ٣٤٨.
- (٢٧) نبيل محمود عبد الغفار: السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٣٨.
- (٢٨) محمد كمال عبد الحميد: الشرق الاوسط في الميزان الاستراتيجي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٢، ص ١٠٤-١٠٥.
- (٢٩) عبدالله عبد المحسن السلطان، المصدر السابق، ص ١٠٢.
- (٣٠) للمزيد من تفاصيل المعاهدة، ينظر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية: اتفاق كامب ديفيد واخطاره، بيروت، ط ١، ١٩٧٨.

- (٣١) عايد طه ناصيف: الاستراتيجية الدولية في منطقة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٢، ص ٥١.
- (٣٢) من المهم جدا مراجعة ماكتبه وليم ساليغان السفير الامريكي في ايران ابان نشوب الثورة الايرانية، عام ١٩٧٩، اذ يقول (ولكن الشاه اكتشف فجأة اننا لا نملك ايه خطة او مشروع او فكرة وان النزوات والاهواء هي التي تقود وتوجه سياستنا) ويقول في مكان اخر من كتابه: (علينا الآن ندع الشاه ورائنا ونركز اهتمامنا بالدرجة الاولى على مصالحنا القومية) ينظر: وليام ساليغان، امريكا وايران، ترجمة نجدت الشواف، دار الملتقى للنشر، قبرص، ط ١، ١٩٩١، ص ٢١٧ و ص ٢٢٣.
- (٣٣) وليام كوانت: الولايات الامريكية في الشرق الاوسط، مجلد الدراسات الاستراتيجية، المجلد الاول، مؤسسة الابحاث الرعية، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦.
- (٣٤) حسين اغا واخرون: الاستراتيجية الامريكية تجديدة، سلسلة الدراسات الاستراتيجية رقم (١١)، مركز العالم الثالث للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٨٢، ص ٩-١٠.
- (٣٥) نعوم جومكسي: ردع الديمقراطية، دار فيرجو، لندن ونيويورك، ط ١، ١٩٩١، ص ٢٩.
- (٣٦) حسن البزاز: القوى العظمى بين شريعة الغاب وصراع الفيلة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨، ص ٩٨.
- (٣٧) وحيد عبد المجيد: ادارة ريغن الثانية - مرحلة ثالثة للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٩٨٥٨٣، بيروت، ص ٢٨-٢٩.
- (٣٨) طلعت مسلم: قضايا ومتطلبات الامن العسكري العربي في نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين، الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٤، ص ٢٧٤.
- (٣٩) نيفين عبد الخالق مصطفى، المشروع الشرق اوسطي والمستقبل العربي/ مجلة المستقبل العربي، العدد ١٩٣، بيروت، اذار، ١٩٩٥، ص ٥.
- (٤٠) يفيغيني بريماكوف، حرب تجنبها ممكنا، بيروت، ١٩٩١، ص ٥٤.
- (٤١) احمد ثابت، المخطط الامريكي الصهيوني عن (النظام الشرق اوسطي) بحث مقدم الى اعمال المائدة المستديرة لاساتذة الجامعات العرب، منشورات جامعة ناصر الاممية ليبيا، ١٩٩٥، ج ١، ص ١٣٦.
- (٤٢) برناد لويس: احد السياسيين الامريكان المتخصصين بشؤون الشرق الاوسط.

- (٤٣) هنري كيسنجر: النظام العالمي الجديد، صحيفة الشرق الاوسط، القاهرة، ١/ شباط/ ١٩٩١، ص٦.
- (٤٤) احمد صدقي الدجاني: ندوة (التحديات الشرق اوسطية الجديدة والوطن العربي) مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٤، ص ٦٤-٦٥.
- (٤٥) عبد السلام ابراهيم بغدادي: الشرق الاوسطى (البعد السياسى)، نشرة الدراسات العدد ١٠، الدار العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦، ص ٢١.
- (٤٦) مازن اسماعيل الرمضانى: النظام الشرق الوسطى الرؤى "الاسرائيلية" الامريكىة، مجلة افاق عربية، اذار، السنة التاسعة عشر، بغداد، ١٩٩٤، ص ٢٥.
- (٤٧) التحديات (الشرق اوسطية) الجديد والوطن العربي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، اذار ١٩٩٤، ص ٢٦٩-٢٧٠.
- (٤٨) عبد الفتاح الجبالي: قمة عمان بين اوهام السلام وطموح التسوية، مجلة المستقبل العربي، العدد/٢٠٤، بيروت، شباط ١٩٩٦، ص ٩.
- (٤٩) عبد السلام بغدادي، المصدر السابق، ص ٢٢.
- (٥٠) عبدالله السيد ولد اباه: التسوية في الشرق الاوسط ومستقبل النظام العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٩٢، شباط ١٩٩٥، ص ٤٧.
- (٥١) ناصيف حسين: العرب وثورة التناقضات في المفاهيم القومية والاقليمية والعالمية (ورقة عمل)، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٠٠ تشرين الثاني، ١٩٩٥، ص ٩-١١.
- (٥٢) محمود عبد الفضيل: مشاريع الترتيبات الاقتصادية الشرق اوسطية - تطورات المحاذير - اشكال المواجهة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٩ بيروت، ١٩٩٤، ص ١٤٦.
- (٥٣) عبد الفتاح الجبالي، المصدر السابق، ص ٢٥.
- (٥٤) منصف السليمي: اعلان الدار البيضاء - تسوية بين مطالب (السياسي) ومصالح (الاقتصادي)، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٩٣، اذار ١٩٩٥، ص ٢١-٢٨.
- (٥٥) حسن طبرة: اخطار الشرق اوسطية على العرب، صحيفة الجمهورية، بغداد، ١٣/١٠/١٩٩٨.
- (٥٦) كاظم هاشم نعمة: دراسات في الاستراتيجية والسياسة الدولية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص ٤٤٣.

(٥٧) وليد عبد الحى: اثر المتغيرات في النظام الدولي المعاصر على مستقبل الوظيفة الاقليمية "لإسرائيل"، مجلة شؤون عربية، العدد ٦٥، نيسان ١٩٩١، ص ٨٢.

(٥٨) Dankurtizer ((Multilaterals are Trans Forming the Mededeas Region))
the Wireless File (U.S.A) 18-7-1994.

(٥٩) هدى شاكر معروف، الموقف التركي في ازمة وحرب الخليج، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد المزدوج ٤٦ - ٤٧، بغداد، ١٩٩٣، ص ١٠٦.

(٦٠) عبد السلام ابراهيم البغدادي، المصدر السابق، ص ٢٧.

Abstract

The middle east region took a great field in planning and thought of the American policy producers, especially in planning its international strategies in general and arab region particularly.

This policy moved within two attitudes: first, political cultural , represented by the American educational and missionary institutes established in the middle east, Were it established protestant schools, cultural secondary schools like Baghdad and Tahrán secondary school, and American university in Beirute and Cairo.

Second: political economical, represented by American companies of economic impact which started looking for a place in the Ottoman State, also ,shipping companies and stock transportation, between Turkey coasts and the world. In addition to opening American banks in Istanbul.

The era after the First World War witnessed a great expansion for American oil companies in Middle East especially after exploring oil wells in Arab Region in 1890 A.C.

علوم اهل الاندلس في كتاب طبقات الامم لابن صاعد

الاندلسي (ت ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م)

م.د. الاء حماد رجه

المقدمة

لقد زخرت الدولة العربية الاسلامية بنتاجات غزيرة ومتنوعة على يد جملة من الكتاب والمؤرخين، لاسيما في مجال تراجم السير الشخصية على اختلاف توجهاتها، الدينية والسياسية والادارية والفكرية والثقافية والاجتماعية، فضلاً عن من اختص منهم في كتابة العلوم الطبيعية والعلوم الصرفة التي امتاز بها العرب المسلمين في فترة حكمهم، فكان نصيب المؤرخين والمؤلفين الاندلسيين غزيراً في ذلك المجال، وان كان منهم من ابدع واجاد الى درجة لا يمكننا الاستغناء عن مؤلفاته عند توثيق البحث في أي مجال من مجالات حياة الاندلس والتي ذكرناها اعلاه، ومنها من اختص في مجال معين، ومنهم من اطلال في تراجمه وشروحاته وموضوعاته، ومنهم من^(١) اختصر، ووفق هذا السياق نال كتاب ابن صاعد الاندلسي الموسوم ((طبقات الامم)) اهمية واسعة في مجال العلوم، وان تناول في كتابه علوم الاولين والآخرين في محاولة منه تعريف القارئ لما لكل امة من فضل في مجال العلوم وبأي علم تخصص.

وسنحاول في بحثنا الموسوم ((علوم اهل الاندلس من خلال كتاب طبقات الامم لابن صاعد الاندلسي. معرفة المنهج الذي استخدمه في تدوين معلوماته ومصادره، وتبسيط الضوء على علوم اهل الاندلس، لكننا بالوقت نفسه عالجنا منهجه وموارده في الكتاب ككل رغباً منا في ادخال بعض المعلومات التي ثبتها عن بقية علوم الامم في سياق الامثلة التي سقناها في البحث، وتاركين دراسة بقية علوم الامم لدراسات اخرى تتناولها اقلام الباحثين.

قسم البحث على مقدمة وفكرة بسيطة ن حياة ابن صاعد الاندلسي واهم النقاط السلبية والايجابية في كتاب "طبقات الامم"، واهم ماردته ومنهجه الذي اتبعه

وبدايات ظهور العلوم عن اهل الاندلس واهم تلك العلوم من فلسفة ومنطق وعلوم رياضية وفلسفة وطب، فضلاً عن خاتمة لاهم الاستنتاجات التي تولت اليها الباحثة.

اولا- حياة ابن صاعد الاندلسي (ت ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م)

هو ابو القاسم صاعد بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي المعروف بـ صاعد الاندلسي، ولد سنة (٤١٩ هـ / ١٠٢٩ م)، رحل الى مدينة طليطلة سنة ٤٣٨ هـ وهو بسن الثامنة عش، لغرض الدراسة والتعلم، فلقى عناية خاصة من امير طليطلة يحيى بن اسماعيل من اسرة ذي النون (٤٣٥ - ٤٦٧ هـ / ١٠٤٣ - ١٠٤٧ م)^(٢)، وتتلّمذ على يد ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م)^(٣).

لم تكن لديه نظرة طائفية او عرقية بنى افكاره على اسس جغرافية وثقافية عامة، وهذا ما نلاحظه في كتابه "طبقات الامم" عندما يساوي الامم السوداء والبيضاء في الایجاب والسلب من دون تمييز، لاسيما في مسألة الفكر وعف النباهة لديهم^(٤)، وفي موقع اخر يساوي بين العرب، وهم ابناء جلدته، والهنود والروم^(٥)، فان دل على شيء انما دل على انه تجرد من كل العصبية التي يتمايل اليها الانسان عند ورود اخبار ابناء جلدته دافعت الى تفضيلهم على غيرهم، لكن ابن صاعد الاندلسي تجرد من تلك العصبية، لاسيما انه قاض شرعي.

الف ابن صاعد اربعة كتب شملت موضوعات متنوعة، خصص الاول منها دراسة علوم الفلك والنجوم والرصد الذي سماه "حركات النجوم والكواكب"، والكتاب الثاني خصص لدراسة الملل والنحل في العالم الاسلامي الذي اطلق عليه تسمية "الديانات والمعتقدات والفرق الاسلامية وغير الاسلامية"، والكتاب الثالث تناول فيه تاريخ حوادث العرب والعجم باسم "جوامع اخبار العرب والعجم"، وقد فقدت هذ الكتب ولم يصلنا اي منها سوى اسمائها^(٦)، وقد ذكر منها ابن صاعد في

كتابه "طبقات الامم" في باب الاحالة والرجوع الى المعلومات^(٧)، اما كتاب "طبقات الامم" فهو محاولة من ابن صاعد الاندلسي ما بدئه استاذة ابن حزم الظاهري الذي الف كتابه عن دور الاندلس في انتاج العلوم والتعريف باهم الشخصيات الفكرية التي برزت في مختلف العهود^(٨).

امتازت المدة الزمنية التي عاصرها ابن صاعد الاندلسي حتى وفاته سنة ٤٦٢ هـ، بالازدهار من الناحية العلمية والاستقرار السياسي، إذ ان المدة الاولى من دخول العرب المسلمين الى الاندلس لم تشهد على اختلاف مناطقها استقراراً سياسياً، فاهملت الجوانب العلمية والفكرية جانباً، لانشغالهم بتحقيق الانتصارات وفرض السيطرة على مناطق الاندلس، لاسيما ان اهل الاندلس من غير العرب لم يكونوا اهل علم وفكر^(٩). وهذا ما سنتناوله في صفحات البحث القادمة.

ثانياً- عرض وتحليل كتاب طبقات الامم.

قبلولوج في موضوع بحثنا لابد من تبيان موارد ابن صاعد في تدريس كتابه، والمنهج والاساليب التي اتبعها في ذلك، فيمكننا تحديد عدد من الخصائص التي اشتهرت بها، فقد اعطى بعض المقدمات عن طبيعة كل امة من الامم السبعة المعنوية بالعلوم، لكن جل معلوماته عن العلوم جاءت عند كلامه عن العلماء على تنوع اختصاصهم. واهم تلك الخصائص التي اتصف بها كتاب طبقات الامم هي.

١- لم يهتم ابن صاعد الاندلسي بكتابة مقدمة لكتابه "طبقات الامم" سوى الاشارة الى تسمية الامم وفق العلوم التي ابدعوا بها، لذلك قسمها على قسمين، القسم الاول، وهي سبع امم ممن اعتنوا وبرعوا بالعلوم على اختلاف انواعها، والقسم الثاني، الامم التي لم تعر العلوم أي اهمية^(١٠)،، وقد حاول ابراز اهمية العلوم في تاريخ الامم ونهضتها وتطورها، فقد ساق امثلة على الامم الجاهلة والغير مكترثة بالعلوم بانها لم تصل الى منزلة الحيوان والدواب في صفاتها، لانها لاتهم سوى بعيشتها من دون أي تفكير او تطوير في طبيعة حياتها، فوضح ذلك

بقوله: ((والعنكبوت المتقنة لخيوط بيوتها وتجويد تناسب الدوائر المقاطعة لها وغيرها من البهائم التي ظهرت منها الصنائع العجيبة والافاعيل الغريبة))^(١١).

٢- ان حجم الكتاب صغير بعدد صفحاته لكنه ذو فائدة كبيرة لانه شمل فترات تاريخية طويلة جداً، بل انه دون تاريخ وعلوم الامم منذ وجودها وتوضيف اصولها، أي انه حدد الاطار الزمني والمكاني لمادة مولفه ابتداءً منذ بدايات ضهور الامم وانتشار افكارها وعلومها وصولاً الى زمنه، لذا اتسعت الرقعة الجغرافية التي تناولها في جميع انحاء الارض من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها، فلم يترك من الامم الموجودة الى زمانه الا وتناول علومها وعلمائها^(١٢).

٣- لم يكن اختيار ابن صاعد الاندلسي للعلوم التي تناولها ومن اشتهر بها من العلماء انتقائياً ولا عشوائياً بقدر ما كان قائماً الاختيار على من عرفه او قرأ عنه او ذكر له علمه، فهو كثيراً ما اورد عبارة دلت على امكانية وجود اسماء علماء لم يتطرق اليهم، بقوله: ((فهؤلاء المشهورين من علماء المسلمين بالعلوم القديمة بالمشرق والمغرب ولست ادعي الاحاطة بهم، فقد تمكن في من لم اعرفه من يرى على كثير من هؤلاء))^(١٣)، وفي هذا تبرير، ان صح التعبير، عن هذا القصور الذي لديه بانه لايعرف كل من اهتم بالعلوم وابدع فيها، لكن بالوقت نفسه نعه قصوراً في جهود المؤلف بعدم متابعة او الاستقصاء على مزيد من المعلومات على اختلاف مواردها، بل اكتفى بما لديه من معلومات وموارد، وقد يكون سبب ذلك انه تطرق الى كثير من المعلومات في كتبه السابقة، فاراد تجنب التكرار لاسيما ان عنوان مولفه "العريف بطبقات الامم"، أي اعطاء نبذ عن كل علم وعلمائه في كل امة.

٤- لم يكن اسلوب الكتابة والكلمات والجمال التي انتقاها معقدة وصعبة للغاية، وبالوقت نفسه لايمكن فهمها بسهولة، لكنه وضع اساساً جديداً لفهم تاريخ العلوم وتطورها وتتابع الافكار ونتاج العلماء المكمل الواحد للآخر، ودراسة كل جيل

واطلاع على العلوم التي سبقتهم ليتدارسوها ويتداولون تطبيقها بعد تطويرها او على الاقل الاستفادة منها في خدمة المجتمع قدر المستطاع^(١٤).

٥- غاب عن ابن صاعد الاندلسي اتباع منهج واضح ومعين في تدوين معلومات مولفه، فلم يتناول الامم حسب قدمها او براعتها في العلوم، لكن ما يلفت النظر انه راعى التسلسل الزمني عند تناول كل امة في سير احداثها^(١٥)، بل انه اختلف عن مؤرخي عصره والمؤرخين الذين سبقوه باتباع ترتيب العلماء على اساس حروف المعجم، بل ان المكان والزمان كان له اثراً في طريقة تدوينه لذا يمكن عده اول مؤرخ عربي فسر طبائع البشر وفقاً للظروف الجغرافية وتغير المناخ مما له اثراً في اذهان البشر^(١٦).

٦- اهم ما امتاز به كتاب ابن صاعد الاندلسي كثرة الاسماء والعلوم التي اشتهروا بها، فضلاً عن كون تلك الاسماء والعلوم متنوعة بتنوع امم العالم اجمع لان الكتاب تناول الامم الموجودة في الارض على اختلاف مشاربها واصولها الانسانية ونتاجها العلمي، مما اضفى صعوبة واضحة عند التعامل مع الكتاب، وما زاد من تلك الصعوبة اسلوبه الذي اتسم بالتعقيد والصعوبة نوعاً ما^(١٧)، كما نوهنا اعلاه.

٧- عند قراءة الصفحات الاولى من كتاب ابن صاعد الاندلسي يلفت النظر الى مسألة واضحة، ان تصنيف ابن صاعد للكتاب يختلف او يتناقض مع المحتوى، إذ انه قسم الكتاب على اساس الاخلاق والصور، لكن عندما نقرأ الكتاب نجد مادته تتناول الامم والشعوب التي اشتغلت بالعلوم والامم الاخرى التي لم تشغل بالعلوم^(١٨)، بقوله: ((فأنهم يتميزون بثلاثة اشياء الاخلاق والصور واللغات))^(١٩)،

فهنا تبادر الى الذهن تساؤل ما هي غاية ابن صاعد من وراء ذلك؟

يبدو ان ابن صاعد الاندلسي قرن العلوم بالاخلاق، وان الامم التي لم تشغل بالعلوم ((فهم اشبه بالبهائم منهم بالناس))^(٢٠)، على عكس الامم التي اشتغلت بالعلوم ((فهم صفوة الله من خلقه وخلاصته من عباده))^(٢١) وفي هذا اشارة الى ايمان وقناعة ابن صاعد باهمية العلوم في مسيرة الامم والشعوب، ولاسيما

علوم الحكمة والفلسفة، وفي هذا امر غريب بعض الشيء لكون ابن صاعد الاندلسي قاضياً شرعياً وصنفه من القضاة عادتاً يبغضون الفلاسفة ويوجهون لهم الانتقاد بأسائتهم للدين، لعدم توافق ارائهم الفلسفية مع بعض ما جاء في تعاليم الدين الاسلامي.

٨- امتاز كتاب طبقات الامم بكثرة اسماء الاعلام والاماكن والمعلومات التاريخية عن مختلف الامم والازمان، فضلاً عن العلوم المتنوعة والكثيرة التي اشتهرت بها تلك الامم، وفي هذا ما دل على ان الكتاب له اهمية واسعة، وبذل فيه جهد كبير ليتمكن من الالمام بكل تلك المعلومات، وما يثبت ذلك قوله: ((ومن علمائهم بعد هرمس برجس صاحب كتاب "اسرار النجوم في معرفة الفلك والدول والملاحم"، ومنهم واليس صاحب "كتاب الصور" وكتاب البرندج المؤلف في المواليذ وتحويلها، وهو يستخدم كذلك مدخلاً للنجوم، وكان ملكاً، ومنهم اصطفن البابلي له كتاب جليل في احكام النجوم))^(٢٢)، وهذا نص اخر يثبت ما ذهبنا اليه بقول ابن صاعد الاندلسي ((ولم يصل الينا من مذهب البابليين في حركات النجوم وصورة هيئة الفلك مذهب مستقصى ولا جملة ولا عندنا من ادابهم في ذلك ولا من ارصادهم غير الارصاد التي نقلها عنهم بطليموس اليوناني في القلوذي في كتاب "المجسطي"، فإنه اضطر اليها في تصحيح حركات الكواكب المتحيرة، إذ لم يجد لاصحابه في ذلك ارصاداً يثق بها))^(٢٣).

لكن ما نلاحظ ايضاً، وان كان مناقضا بعض الشيء لما ذكرنا وفي جانب معين، بأن معلوماته عن بعض الامم ومنها امة العرب ولاسيما عند تناوله بلاد الاندلس فاننا نجده ضعيف المعلومات وفيها قصور واضح من حيث طبيعة ذكر علمائها وما يتعلق بهم من معلومات وعلومهم التي اشتهروا بها، ومن جانب اخر، هناك اعداد كبيرة من العلماء لم يتطرق اليهم ابن صاعد الاندلسي^(٢٤)، او جاء ذكر اسمائهم من دون اعطاء فكرة عن اعمالهم، وان برر ذلك بنفسه بقوله: ((واذا قدمنا هذه الطبقة التي عنيت بالعلم ثمانى امم، وكان قصدنا التعريف بعلومهم

والتنبيه على علمائهم، فنشرع في ذلك على حسب ما نذهب اليه من الايجاز (والاختصار))^(٢٥) ، غير ان هذا لايعفيه من القصور لان الباحث وجب عليه استقصاء معلوماته بشتى الوسائل والطرق لا الاقتصار على مالمديه من معلومات مع شكه بوجود مزيد من العلوم والعلماء، وقد اكد بنفسه هذه الحقيقة عندما قال: ((فهؤلاء مشاهير من عني بالعلم الرياضي بالاندلس، وقد كان بها جماعة غيرهم اضربت عن ذكرهم، اما لتقصيرهم عن هؤلاء، واما لجهلي باسمائهم فاخبارهم قمنازلهم من المعرفة وان كانوا مشهورين باسمئهم عندنا بالاندلس))^(٢٦)

٩- اتبع ابن صاعد الاندلسي اسلوباً موحداً في تدوين معلومات كتابه، فعندما يتناول كل امة من الامم التي تضمنها كتابه، ابتداءً بسطور قليلة عن بدايات العلوم فيها ووقوعها تحت سلطة معينة من جهة معينة، واعطاء نبذة تاريخية بسيطة للغاية عن تلك الامم، فأفتتح علوم الاندلس بقوله: (واما الاندلس فكان فيها ايضاً بعد تغلب بني امية عليها جماعة عنت بطلب الفلسفة ونالت اجزاء كثيرة منها، وكانت الاندلس مثل ذلك من الزمان القديم خالية من العلم)^(٢٧). وبعد ذلك تطرق ابن صاعد الاندلسي الى ديانة اهل الاندلس منذ اقدم الازمنة وصولاً الى عهده (ابن صاعد الاندلسي) فيقول: (واما دين اهل الاندلس دين الروم من الصابئة اولاً، ثم النصرانية الى ان افتتحها المسلمون ...) ^(٢٨). وأشار الى الاقوام التي حكمت الاندلس متعددة مبتدأً (من تلك الامم الروم، وكان عمالهم ينزلون مدينة طالقة العتيقة المجاورة لاشبيلية، واتصل ملكهم بها زماناً طويلاً الى ان غلبتهم عليها القوط، فانتسخ الملك الرومي منها، واتخذ القوط مدينة طليطلة، ومن مدائن العتيقة قاعدة لملكهم، وملكوا الاندلس اضخم ملك قريباً من ثلثمائة سنة، الى ان غلبهم المسلمون عليها في التاريخ الذي قدمنا ذكره واتخذ ملوكهم قرطبة وطناً ولم تزل مركزاً لملك المسلمين بها الى زمان الفتنة وانتشار الامر على بني امية، فأفترق عند ذلك شمل الملك بالاندلس وصار الى عدة من الرؤساء حالهم

كحال ملوك الطوائف من الفرس^(٢٩)، وتتناول حدود الاندلس الجغرافية، وتحديد مدن الاندلس وموقعها وجبالها، ومناخها^(٣٠).

ثالثاً: موارده

على الرغم من اقتضار بحثنا على علوم اهل الاندلس من خلال كتاب "طبقات الامم" لابن صاعد الاندلسي، أي جزء من امة من الامم السبعة التي صنّفها بانها اشغلت بالعلوم، وهي العلوم عند العرب، فأنا سنتناول الكتاب ككل في توضيح منهجه وموارد معلوماته.

ان موارد ابن صاعد الاندلسي التي اعتمد عليها في تدوين معلومات كتابه "طبقات الامم" متنوعة ، ولكن مايلفت النظر انها فقيرة بعض الشيء عند الحديث عن كل امة، لكنها غنية بمجملها في الكتاب ككل،، لذلك جاءت معلوماته مختصرة باكثر الاحيان، كما انها اقتصرت في ذكر عدد من علماء الاندلس واهمل البقية، وان دل ذلك على شيء انما دل على قلة اطلاع ابن صاعد على المصادر السابقة له التي يمكن الاستعانة بها في تدوين العلوم والعلماء الذين برعوا في مختلف مجالات العلوم، وقد اكد بنفسه على ذلك بالقول: ((فهذا ما حضر في حفظه من تسمية علماء الامم والتعريف بنبذ من تواليفهم واخبارهم))^(٣١)، واهم هذه الموارد.

١- لقرآن الكريم

واستشهد ابن صاعد بايات القرآن الكريم في سياق كلامه عن الامم وعلومها وفق ما ارتأه مناسباً ويخدم النص والمعلومة، وغالباً ما كان استشهداً وفق ما يلائم صفات وافعال تلك الامم، فعند استهلال حديثه عن امة الكلدان بين انهم ((ممن اشغل بالعلم وهم الكلدانيون، فكانت امة قديمة الرئاسة نبهية الملوك، كان منهم النماردة الجابرة الذين كان اولهم النمرد بن كوش بن حام باني المجلد الذي ذكره الله تعالى في قوله "قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون" ^(٣٢)))^(٣٣)، وفي سياق كلامه

عن ديانة العرب في الجاهلية ، وهي عبادة الاوثان اشار الى الالية القرانية ((مانعدهم الا ليقربونا الى الله زلفى^(٣٤)))^(٣٥).

٢ - الرواية الشفاهية والمشاهدة والمدونة.

في الواقع ان موارد الرواية الشفاهية والمشاهدة نالت اهمية واسعة في كتابات الاوائل من المؤرخين العرب والمسلمين، كما انها ما تزال الى يومنا هذا تعد احد موارد البحث والتقصي عن الحقائق، إذ ان ظهور التدوين وانتشاره رغم اهميته وحلوله المقام الاول في اغناء الباحثين بالمعلومات التي يحتاجونها، لكنه لم يبلغ ما يمكن التعرف عليه من معلومات من افواه اصحابها او من عاصر تلك الاحداث، لاسيما اذا علمنا ان بعض الاحداث بقت غامضة لم يدون عنها ما يشفي الصدور ويكشف الحقائق او يسلط الضوء عليها، او الاحداث التي لم يعاصرها المؤلف فيسمعها من غيره من المقربين الى شخصيات تراجمه، وهذا ما نلاحظه عند كلامه عن ابن الهيثم المصري صاحب تأليف في "المرائي المحرقة" قائلاً: ((اخبرني القاضي ابو زيد عبد الرحمن بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن انه لقيه بمصر سنة ثلاثين واربعمئة))^(٣٦)، وفي الاشارة بامكانيات جابر بن حيان الصوفي المشهور بصناعة الكيمياء قائلاً: ((واخبرني محمد بن سعيد السرقسطي المعروف بابن المشاط الاسطرلابي، انه رأى لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفاً في العمل بالاسطرلاب تضمن الف مسألة لانظير له))^(٣٧)، وفي سياق كلامه عن ابي بكر بن ابي عيسى قال: ((اخبرني ابو عثمان سعيد بن محمد بن البغوش الطليطي انه كان يسمع معلمه مسلمة بن احمد المرحيط [المجريطي] عند ذكر ابن ابي عيسى هذا وكان معلمه يخرج عنه صناعة الهندسة ويقر له بالسبق فيها وفي سائر العلوم الرياضية))^(٣٨).

كما استقى معلوماته عن عبد الرحمن بن اسماعيل بن زيد الاقليدي كم احد اقربائه بقوله: ((اخبرني عنه ابن اخته ابو العباس احمد بن ابي حاتم محمد بن عبدالله بن عبد هرثمة بن ذكوان انه رحل الى المشرق في ايام الحاجب

المنصور بن ابي عامر [٣٢٧-٣٩٢ هـ / ٩٣٨-١٠٠٢ م] (وتوفى هناك)^(٣٩)، وفي السياق نفسه، اخذ معلوماته عن ابو القاسم اصبغ ابن السمح بأنه دون معلوماته بما اخبره بها احد تلامذته بقوله: ((واخبرني عنه تلميذه ابو مروان سليمان بن محمد بن عيسى الناشئ المهندس انه توفى بمدينة غرناطة... ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين واربعمئة))^(٤٠)، وينطبق الحال في مصدره عند تناوله ابو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى بقوله: ((اخبرني عنه تلميذه الحسن احمد بن الحسين بن حي المهندس المنجم))^(٤١).

وعند تعداد مؤلفات ابو محمد علي بن احمد قال: ((ولقد اخبرني ابنه الفضل المكنى ابو رافع ان تبلغ مؤلفاته في الفقه والحديث والاصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ وكتب الادب... ما علمناه في احد ممن كان في دولة الاسلام قبله الا لابي جعفر بن جرير الطبري الكبير))^(٤٢)، واعتمد ابن صاعد الاندلسي على الوزير ابو المطرف اللخمي في تدوين معلومات الطبيب ابو عبدالله محمد بن الحسين المعروف بابن الكنانى بقوله: ((اخبرني عنه الوزير ابا المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وافد اللخمي انه كان دقيق الذهن))^(٤٣)، وكذلك ما جاء من كلام ابو العرب يوسف بن محمد بن احمد بلسان الوزير ابو المطرف بقول ابن صاعد: ((وحدثني الوزير ابو المطرف ... انه كان محكماً لاصول الطب نافذ في فروعه حسن التصرف في انواعه))^(٤٤).

وحصل ابن صاعد الاندلسي على بعض معلوماته من افواه اصحابها الذين عاصروهم والتقى بهم كثيراً او قليلاً، فهذا ابو الوليد هشام بن احمد بن هشام بن خالد الكنانى المعروف بابن الوقشي المشهورين بالهندسة والمنطق بقوله: ((لقيته بطليطلة سنة ثمان وثلاثين واربعمئة))^(٤٥).

وكانت احد موارد ابن صاعد الاندلسي ما حصل عليه من معلومات بخط يد اصحابها، فقال بشأن ولادة ابي محمد بن حزم: ((وكتب الي بخط يده انه ولد بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس اخر يوم من شهر رمضان من سنة اربع

وثمانين وثلاثمائة^(٤٦)، كما اعتمد على مصادر مكتوبة التي وضعتها شخصيات بخط ايديهم التي اعانت ابن صاعد الاندلسي في تثبيت معلومات شخصياته، فذكر بشأن ابو محمد الهمداني ((وجدت بخط امير الاندلس الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر... ان ابا محمد الهمداني توفي بسجن صنعاء في سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة^(٤٧)، وفي تحديد نسب ابو محمد الهمداني قال: ((استخرجت نسبه من كتابه المعروف بالاكليل المؤلف في انساب حمير وايام ملوكها^(٤٨).

لم تقتصر معلومات ابن صاعد الاندلسي على ما ذكر له من اناس عاصروا اصحاب تراجمه، وما كتبه بعضهم اليه بخط يدهم، انما استقى بعض معلوماته من مشاهداته لبعض اثار ما تركه اصحاب الترجمة اثناء ترحاله في البلاد الاندلسية، فعند زيارته الى قرطبة وجد ما يشير الى جهد محمد بن تميم في زيادة البنيان في قلتي جامع قرطبة فقال: ((ورأيت اسمه مكتوباً بالذهب وقطع فسيفساء على حائط المحراب بها، وان ذلك البنيان كمل على يده على امر الخليفة الحكم في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة^(٤٩).

٣- الكتب

وفي مواقع اخرى نجده واضحاً كل الوضوح في احالة معلوماته الى مصادرها بالاشارة الى اسم المؤلف واسم كتابه، فعند الحديث عن مدى فضل الهنود وبراعتهم في علوم الكواكب والاشارة بابرز علمائهم كنكه الهندي فيقول: (فان ابا معشر جعفر ابن عمر البلطي ذكر في كتاب الالوف انه المقدم في علم النجوم)^(٥٠)، وفي ترجمة عمر بن الفرخان المطري احد رؤساء التراجم والمحقق والعاملين في حركات النجوم واحكامها فقال: (وذكر ابو جعفر ابن محمد البلطي في كتاب المذاكرات)^(٥١)، وبتعيين سنة وفاة الطبيب حنين بن اسحاق قال: (وذكر ابن النديم في الفهرست ان حنيناً مات ...) ^(٥٢) وفي استخدام المصدر نفسه لتحديد مولد ثابت بن قره الحراني (وذكر ابن النديم في كتابه الفهرست ...) ^(٥٣) واستقى معلوماته عن الشخصيات التي اشتغلت في الترجمة في عهد الاسلام

قائلاً: (وقال ابن معشر في كتاب المذاكرات ...) ^(٥٤) وأشار ابن صاعد الاندلسي عن اشتقال بني حمير في علوم الكواكب والنجوم بالقول: (وزعم ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني في كتاب الاكليل المؤلف في اخبار حمير وانسابها ...) ^(٥٥) وجاء في ادراج عدد مؤلفات محمد علي بن احمد ((وذكر ابو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الفرغاني كتابه في التاريخ المعروف بالصلة)) ^(٥٦).

٤ - مؤلفاته

اعتمد ابن صاعد الاندلسي على ما الفه من مؤلفات، استعان بها وأشار الى ضرورة الرجوع اليها عند الكلام عن الكواكب فعند تطرقه لعلم الكواكب عند الهند ومدى اشتهاهم بها فيقول: (ولكل واحد من الكواكب والاوزجات والجوزهرات ادوار ما في هذه المدة التي هي عندهم مدة العالم. قد ذكرتها في كتابي المؤلف لاصلاح حركات النجوم) ^(٥٧) وفي مستهل كلامه عن علوم الفرس فيعطينا مقدمة بسيطة عن الامم التي شاطرت الفرس في العلوم في وقتها، فيقول: (ولاهل العلم بتاريخ الامم منازع في مدة مملكة الفرس، ليس هذا موضع ذكره، وقد اتينا باختلافهم في ذلك في كتابنا في جوامع اخبار الامم من العرب والعجم) ^(٥٨)

٥ - الشعر

واحتل الشعر مكانة بين موارد ابن صاعد الاندلسي، لكن ما وجدنا ان جميع الاشعار التي استخدمها من نظم شعراء اخرين وليست له، ويوحى لنا ذلك ان ابن صاعد الاندلسي لا يجيد تنظيم الشعر ، بل اكتفى بالاستشهاد باشعار الآخرين، فإشار الى بيت شعر بحق ارسطاطاليس من دون ان يذكر قائله جاء فيه وليس على الله بمستكر ان يجمع العالم في واحد ^(٥٩).

واستشهد بشعر ابو تمام حبيب بن اوس الطائي في وصف اسعد ابو كرب وبرزة الوجه قد اعيت رياضتها كسرى وصدت صدوداً عن ابي كرب ^(٦٠) وستشهد على الاعراب في اعتقادهم بوجود الله فاوصى خزيمة بن الاشيم الفقعسي ابنه

ياسعد إما اهلكن فانني اوصيك ان اخا الوصاة الاقرب
لا تترك اباك يمشي خلفهم تعباً يخر على اليمين وينكب
احمل اباك يمشي خلفهم وابق الخطيئة انه هو اصب
ولعل مالي ماتركت مطية في البهم اركبها اذا قيل اركبوا^(٦١).

رابعا - منهجه

لم يحدد ابن صاعد الاندلسي المنهجية التي سار عليها في تدوين معلومات كتابه او مؤلفه، اي انه لم يتطرق كعادة مؤلفي عصره ومن سبقه وفي توضيح سيرته الشخصية وموارد بحثه ومنهجه المتبع في كتابه بكتابة ديباجة او مقدمة تسبق مادة كتابه يبين فيها ما ذكرنا اعلاه. وهذا ما اوجد امام الباحثة بعض الصعوبة في تحديد منهجه وموارده، لكن من خلال قراءة متأنية يمكننا الوقوف على طبيعة منهجه والاسلوب الذي اتبعه في كتابة مؤلفه، فقد ابتدأ بكل امة من الامم التي تناولها سواء منها التي اشتغلت بالعلم او التي لم تهتم به، باعطاء وصف لموقعها الجغرافي ومكانتها وصفاتها التي امتازت بها العلمية وغير العلمية كالاخلاق والشجاعة وغيرها من الصفات، ومن ثم التطرق الى اهم العلوم التي اشتهرت بها كل امة وفضلها في العلوم وتطورها من خلال تسليط الضوء على اهم العلماء ونتائجهم العلمي بمختلف اصناف العلوم، مشيراً الى علماء كل امة كيف استفادت من الامم التي سبقتها^(٦٢).

لم يتقيد في اختيار تراجمه للعلماء طريقة او صيغة معينة، مثل الالتزام بترتيبهم على اساس الحروف الاعجمية او غيرها من المقاييس، بل يبدو انه اتبع ظهور شخصياته، فتنبعا حسب ما متوافر لديه من معلومات، مع محاولة جمع قدر المستطاع بشكل متتالي ممن يشتركون في علم معين^(٦٣).

يبدو ان ابن صاعد قد التزم بما اشار اليه بنية الاختصار في كتابه ليس في معلومات تراجمه وعلومهم فقط، بل عندما يأتي ذكر حدث معين اكثر من مرة لا يكرره بل يشير الى ما يدل عليه بكلمة او اثنتين، فبعد ان اشار الى تاريخ دخول

العرب الى الاندلس في شهر رمضان سنة اثنين وتسعين من الهجرة، وعندما وجب تكرار التاريخ في سياق كلامه قال: ((ثم النصرانية الى ان افتتحها المسلمون في التاريخ الذي ذكرنا))^(٦٤)، وبعد اسطر قليلة قال: ((الى ان غلبهم المسلمون عليها في التاريخ الذي قدم ذكره))^(٦٥). واتبع عدد من الاساليب المنجية في تثبيت معلوماته، اهمها.

١ - الإشارة الى المصدر

يكرر ابن صاعد الاندلسي عند الإشارة الى مصدر معلوماته بعض العبارات التي تجعله مبهماً لا يفهم القارئ منها ما هو مصدرها (المعلومة)، فيكرر عبارة (ومما بلغنا ذكره من علمائهم لهيبة العالم وتركيب الافلاك وحركات النجوم كنكة الهندي)^(٦٦)، وفي موقع آخر عند كلامه عن ديانة الفرس فيقول: (وذكر بعض علماء الاخبار ان الفرس في اول امرها كانت موحدة على دين شيوخ الحنفاء)^(٦٧)، ويستشهد بمجموعة مصادر قرأها من دون ذكرها في تحديد هوية الملك اوغسطس بالقول: (واجمع اهل العلم باخبار الامم السالفة والمعرفة بتواريخ الاجيال الخالية، ان اوغسطس هذا ملك رومي)^(٦٨) وتكرار استخدامه لمثل تلك العبارات في تحديد تاريخ علوم مصر قال ابن صاعد الاندلسي ((وذكر جماعة من العلماء ان جميع العلوم التي ظهرت من قبل الطوفان))^(٦٩).

وفي حالات كثيرة ترك ابن صاعد الاندلسي القارئ حائراً في تحديد مصدر معلوماته بذكر اسم المؤلف من دون اسم كتابه، فعند ذكره لجالينوس جاء فيه كلامه: (وقد قال ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي)^(٧٠) من دون الإشارة الى اسم كتاب المسعودي، وان كان المسعودي معروفاً لدى ابن صاعد الاندلسي ولدينا، لكن ما يختلط علنياً ان المسعودي له اكثر من مؤلف، فايهما استند اليه ابن صاعد، هذا غير محدد. والحال نفسه بقوله: (قال ابن قتيبة كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاة)^(٧١).

وفي بعض الحالات يشير ابن صاعد الاندلسي الى اسم المؤلف سواء كنيته فقط او باسمه الكامل مع كنيته من دون الاشارة الى اسم كتابه او مؤلفه، كما فعل عند حديثه عن علماء الفلسفة عند اليونان قائلاً: (وذكر حنين بن اسحاق الترجمان وابو نصر محمد بن نصر الفارابي المنطقي وغيرهما من العلماء بالفلسفة ان فلاسفة اليونانيين سبع فرق سميت بسبعة اشياء اشتقت لها من سبعة اشياء)^(٧٢).

٢ - نقد النصوص وابداء الرأي

يبدو ان ابن صاعد الاندلسي لم يكن ناقلاً للمعلومات فقط، اي انه لم يكتف بتدوين المعلومات في كتابه وتركها للقارئ بقدر ما كان يتدخل في اقرار صحيحها عن خطأه، واعطاء رأيه في المعلومات او على اقل تقدير تفضيل رأي على آخر، لاسيما في المعلومات التي تواترت فيها الاراء واختلفت او عدم ملائمتها للعقل، فقد حدد رأيه في تحديد اول ملوك الفرس ومدى حكم مملكتهم فقال: (واصبح ما قيل في ذلك ان من ابتداء ملك كيومرت بن اميم بن سام بن نوح ابي الفرس كلها)^(٧٣) وفي حكمه على احد مصادر معلوماته عن علوم الفرس ذكر (منها كتاب في صور درجات الفلك ينسب الى ازدرشت وكتاب التفسير وكتاب جاماستف وهو جليل جداً)^(٧٤)، وخير ما يبين توضح تدخل ابن صاعد الاندلسي في النصوص واطلاقه الاحكام ما قاله بحق ارسطاطاليس والرازي (ولو ان الرازي وفقه الله تعالى للرشد وحبب اليه نصر الحق لوصف ارسطاطاليس بأنه تحصي اراء الفلسفة ونحل مذاهب الحكماء، فنفي خبثها، واسقطه عنها، وانتقى لبابها، واصطفى خيارها، فأعتقد منها ما توجهه العقول السليمة وتراه البصائر الناقدة)^(٧٥)، ويعطينا صورة اخرى لابداء رأيه في النصوص وترجيح بعضها على الاخر، عند كلامه عن سنة وفاة حنين بن اسحاق ان ابن النديم اشار الى سنة وفاته ((في يوم الثلاثاء لست خون من صفر سنة ستين ومائتين وهو الصواب))^(٧٦).

كان لا يتأنى في الكشف عن هفوات العلماء واخطاءهم، فلم يكن ذكره لهم المدح فقط، فقال بعد مدحه لابو القاسم مسلمة بن احمد المجريطي ((عنى بزيج محمد بن موسى الخوارزمي وصرف تاريخه الفارسي الى التاريخ العربي، ووضع اوساط الكواكب فيه لاول تاريخ الهجرة، وزاد فيه جداول حسنة على ان اتبعه على مكاتبة فيه ولم يتنبه على مواضع الغلط فيه))^(٧٧)، كما ابدى ابن صاعد رأيه في الاحداث واجزم فيها، فقد اجزم على ان ابو الحكم الكرمانى هو اول من ادخل رسائل اخوان الصفا الى الاندلس قائلًا: ((لا احداً ادخلها الاندلس قبله))^(٧٨)، وينتقد ابن صاعد الطبيب ابو مروان عبد الملك الاشبيلي بان اراءه في العلاج غير مستساغة من العالم والجاهل بشأن تناول الحمام بانه يعفن الاجسام فقال: ((وهذا رأي خالف فيه الاوائل والاواخر ويشهد بخطئه العوام والخواص، بل اذا استعمل على الترتيب الذي يجب بالتدريج الذي ينبغي ان يكون رياضة فاضلة ومهنة نافعة لتتقية المسام ونظريته للفضول وتلطيفه لما غلظ من الكيموسات))^(٧٩)، فنصب ابن صاعد نفسه عارفاً بالطب ودقائق علاجاته وعدم اكتفائه بنقل المعلومات او الرد على خطأها، بل بين فوائد المعالجة ووسيلة اتباع العلاج وفوائده.

٣- الاقتباس من الكتب الاخرى

ما يلحظ على كتاب ابن صاعد الاندلسي انه كثيراً ما اقتبس معلوماته من الكتب التي اطلع عليها فيسبق الكلام بكلمة "قال" و"يقول" و"حكى"، وهذا ما نلاحظه عند مدحه ابو محمد الهمداني فذكر ((وحكى ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني المعروف بابن ذي الدمينه صاحب كتاب "سرائر الحكمة: نو" كتاب الاكليل))^(٨٠)، وعند ابراز جهد ارسطاطاليس في كتب الالات المستعمل في علوم الفلسفة في كتابه سوفسطيكا ذكر ((فقال واما صناعة المنطق وبناء السلوجسيوس، فلم يجد له فيها خلاء اصلاً متقدماً يبني عليه))^(٨١)، وفي تحديد مدة حياة جالينوس يقتبس الكلام من المسعودي ((وقد قال ابو الحسن علي بن الحسين

المسعودي كان جالينوس بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتي سنة^(٨٢)، واستشهد بالاسلوب نفسه بتحديد افضل من مارس الترجمة في عهد الاسلام من كتاب المذكرات بقوله: ((وقال ابو معشر في كتاب المذكرات ان حذاق الترجمة بالاسلام اربعة حنين ابن اسحاق ويعقوب بن اسحاق الكندي وثابت بن قرة الحراني وعمر بن فروخان الطبري))^(٨٣).

٤ - طبيعة حجم الترجمة

لم يسير ابن صاعد الاندلسي بمستوى واحد وثابت في ترجمة اعمال تراجمه، ففي اكثر الاحايين يذكر العالم وتعداد مؤلفاته، وان كانت كثيرة العدد وبعض صفاته فكتب بحق قسط بن لوقا البعلبكي الشامي انه (مشهور التحقق بالعدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية، وكان ماهراً بصناعة الطب، وله كتب مختصرة بارعة، منها كتابه في المدخل الى الهندسة، وهو مؤلف على المسألة والجواب لا نظير له، وكتاباه في المدخل الى علم الهيئة والافلاك وحركات النجوم، وكتاباه بين الحيوان الناطق والصامت، وكتاباه في الفرق بين النفس والروح او كتابه نسبة الاختلاط، وكتاباه في غلبة الدم وغير ذلك من كتبه)^(٨٤) وفي الصفحة نفسها تقتصر تراجمه على ذكر اسمائها فقط بقوله: (ولهم فلاسفة مشهورون غير هؤلاء مثل جاليس الملطي صاحب فيثاغورس وذو مقراطيس القائل بانحلال الاجسام الى جزء لا يتجزء وله في ذلك تاليف وانكاجوراس وغيرهم ممن كان قبل ارسطاطاليس ومعاصراً له)^(٨٥).

ويمكن تفسير ذلك بأن ابن صاعد الاندلسي اختار التراجم التي اعتقد واقتنع بأهميتها عن غيرها من معاصريها او ممن سبقها او لحقها، واذا لقينا العذر لابن صاعد الاندلسي في اقتصار معلومات تراجمه في باب ذكره بأنه سيلجئ الى لاقتصار بقوله (فشرع في ذلك على حسب ما تذهب اليه من الايجاز والاقتصار)^(٨٦)، لكن لا يعني الاختصار على ذكر الاسماء فقط، اما الاطالة في ذكر بعض تراجمه سواء في نسبها ام علومها، فيبدو انه وجد فيهم سيكون قمة ما

وصل اليه كل واحد منهم في العلوم التي اشتهروا بها على سائر بقية العلماء، ووجد في اطلاع الناس على علومهم ما يفيدهم اذا ما اطلعوا على سيرة غيرهم من العلماء، اي ان الفائدة منهم اوسع واشمل من الاطلاع على غيرهم.

وفي مرات قليلة يسترسل على غير عادته في تتبع نسب القبائل والشخصيات العربية فيذكر (وكان بيت الملك فيهم بنو الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الفوث بن حيران بن قيطان بن عريب بن زهير بن ايمن بن ابي الهميح بن حمير)^(٨٧) وتتبع نسب يعقوب بن اسحاق الكندي فيلسوف العرب واحد ابناء ملوكها بالقول: (وهو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل بن لحد بن الاشعث ... بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان)^(٨٨)

واعطى ترجمة واسعة لنسب ابو محمد الهمداني العامل في احكام النجوم (وهو الحسين بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان المعروف بأبن ذي الدمينه بن عمرو بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان)^(٨٩).

٥ - تحديد سنوات الولادة والوفاة

ومن ابرز ما امتاز به كتاب ابن صاعد الاندلسي افتقاره لتدوين التواريخ سواء تحديد سنوات وفاة العلماء او مواليدهم او سنوات الاحداث التي تناولها عن الامم، وغالباً ما اشار في تحديد المدة الزمنية التي يتكلم عنها بالاشارة الى حكم احد الملوك او الامراء او اي حدث بارز، كما ان ما دونه من سنوات الوفيات والمواليد مع قلتها، لم تكن سنوات محددة بقدر ما كانت عبارات دالة على التواريخ التقريبية، فعن وفاة الطبيب حنين بن اسحاق ابو زيد قال: ((ومات حنين في ايام المتوكل))^(٩٠)، واذا ما ذكر سنوات الوفاة لتراجم علمائه نجدها في اغلب الاحيان سنوات تقريبية، او يردها بحدث معين، كما فعل عند ذكره لسنة وفاة الطبيب

والفيلسوف محمد بن زكريا الرازي ((وتوفى قريباً من سنة عشرين وثلاثمائة والله سبحانه اعلم))^(٩١).

ومن الحالات القليلة التي ذكر فيها تواريخ المواليد والوفيات لشخصيات تراجمه ،مثلاً فعل في ترجمة الخليل بن احمد ((وتوفى بها سنة سبعين ومائتين))^(٩٢)، ومثال اخر قائلاً : ((ومات اسحاق بن حنين في سنة ٢٩٨هـ))^(٩٣).

٦ - طبيعة ذكر اسماء تراجمه

في الغالب الاعم تناول ابن صاعد لتراجمه بشكلين، الشكل الاول بذكر لقب او كنية المترجم له ومن ثم اسمه الكامل، او يذكر الاسم كاملاً ومن ثم لقبه او كنيته، فيأتي لديه ذكر المنجمين والعاملين بالبروج والفلك بقوله: ((احمد بن عبدالله البغدادي المعروف المعروف بحبش))^(٩٤)، و((احمد بن محمد بن كثير الفرغاني احد منجمي المأمون والمعتصم وله ثلاثة ازياج وصاحب المدخل الى علم هيئة الافلاك وحركات النجوم))^(٩٥)، ومن العاملين في علم الفلسفة ورصد الكواكب ((جعفر بن محمد بن سنان بن جابر الحراني المعروف بالنبهاني))^(٩٦)، ومن العاملين بحركات النجوم ((عمر بن الفرخان المطري))^(٩٧).

اما ما خص تقديم اللقب ومن ثم ذكر الاسم واللقب، فكثر لديه في علوم الاندلس، فيورد كلمة "قاما" قبل البدء بترجمته مثل ((قاما ابن السمح فهو ابو القاسم اصبح بن محمد بن السمح المهدي الغرناطي))^(٩٨)، وفي موقع اخر ذكر ((واما ابن الصفار فهو ابو القاسم احمد بن عبدالله بن عمر))^(٩٩)، ويكرر هذه الصيغة في اغلب تراجمه لعلماء الاندلس بقوله: ((واما الزهراوي فهو ابو الحسن على بن سلمان))^(١٠٠)، وكذلك ((اما الكرمانى فهو ابو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن احمد بن علي الكرمانى))^(١٠١)، و((قاما ابن برغوث فهو محمد بن محمد المعروف بابن برغوث))^(١٠٢)، وغيرها كثير.

وعند انتقاله من فقرة الى فقرة جديدة غالباً ما يبدأ فقرته ((ومن نظراء هذه الطبقة))^(١٠٣)، او ((ومن مشاهير اصحاب ابن برغوث))^(١٠٤)، و((ومنهم ابو

اسحاق ابراهيم بن محمد...))^(١٠٥)، و((من نظراء هؤلاء...))^(١٠٦)، و((ومنهم من اهل سرقسطة))^(١٠٧)، و((ومنهم من اهل بلنسية...))^(١٠٨).

٧- ذكر تاريخ الحدث

وفي حالة احوالتين وقد تزيد، اشار ابن صاعد الاندلسي الى سنة تأليف العلوم، فعندما اشار الى ما الفه جعفر بن محمد بن سنان الحراني في رصد الكواكب بقوله: ((وكان بعض ارساده التي سماها في زيجه في سنة تسع وستين ومائتين للهجرة وذلك في السنة الثامنة من خلافة المعتصم))^(١٠٩).

خامسا - بدايات ظهور العلوم عند اهل الاندلس

يبدو ان ابن صاعد الاندلسي حاول اعطاء فكرة بسيطة وشاملة لكل امة قبل البدء بتناول علومها وعلمائها، وقد يكون غرضه تعريف القارئ على التوجهات العامة لكل امة وطبيعتها الجغرافية وديانيتها، من باب ادراكه لتأثير تلك العوامل في سير العلوم ونموها وتطورها وتفتح العقل البشري، أي ان جاز لنا التعبير، انه من اصحاب الرأي القائل ان الانسان ابن بيئته وفطرته، فضلاً عن ما يبذله الانسان في تطوير نفسه، إذ ان الغاية من تأليف كتابه بالاساس هو اطلاع القارئ على علوم الامم، وهذا ما اكده بعد ان اعطانا فكرة عن احوال الاندلس وجغرافيتها فقال: ((ولنعد الان الى ذكر علمائها الذين هم غرضنا من ذكرها))^(١١٠).

قسم علوم الاندلس حتى زمانه (ت ٤٦٢ هـ) على مرحلتين، تبدأ المرحلة الاولى من دخول المسلمين الاندلس وصولاً الى بداية القرن الخامس الهجري، واكد ان العلوم في تلك الفترة اتسمت ببدايات التوجه نحو العلوم بقوله ((تحرك افراد من الناس الى طلب العلوم او لم يزلوا يظهرون ظهوراً غير شائع الى قريب من وسط المائة الرابعة))^(١١١)، واكد على ان خلو الاندلس قبل دخول العرب المسلمين اليها من العلوم، وعدم اهتمام اهلها بها وما يوجد فيها من علوم بسيطة جداً ما هي الا نتاج الروم، كون الاندلس كانت تابعة للملوك الروم، وبعد دخول الاسلام اليها اقتصر اهتمام اهلها على علوم الشريعة واللغة فقال ابن صاعد الاندلسي:

((وكانت الاندلس قبل ذلك الزمان القديم خالية من العلم، لم يشتهر عند اهلها احد بالاعتناء به الا انه يوجد فيها طلسمات قديمة في مواقع مختلفة، وقع الاجماع على انها من عمل ملوك رومية... الى ان افتتحها المسلمون... فدامت على ذلك ايضاً لايعني اهلها بشيء من العلوم الا بعلوم الشريعة وعلم اللغة))^(١١٢).

والمرحلة الثانية تبدأ باستقرار ملك بني امية بعد انتهاء عهد الفتنة (٣٩٩-٤٢٢ هـ / ١٠٠٨-١٠٣١ م) وصولاً الى عهد المؤلف الذي سبق ذكره، ليحاكي اهل الاندلس العلوم المختلفة ((الى ان توطد الملك لبني امية بعد عهد اهلها بالفتنة، فتحرك ذوو الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لاثارة الحقائق))^(١١٣).

يظهر من نصوص ابن صاعد الاندلسي ان بلاد الاندلس قبل وصول الاسلام اليها كانت من الامم التي صنفها بأنها لم تشتغل بالعلوم والتي شبهها بالحيوانات، التي لانفع من وراءها، وهذا يعني ان فضل الاسلام على اهل الاندلس كبير، ففضلاً عن ادخالهم في دين الله تعالى وابعادهم عن الاشراك والالحاد، اعطائهم دافعاً للتفكير والابداع في مجالات الحياة العامة والعلوم بشكل خاص، فحاكوا ما كتبه قبلهم الاولون من اليونانيين والاغريقين في العلوم وما نقله اليهم العرب المسلمين من تلك العلوم وزادوا عليها، لتبدأ مرحلة جديدة لدى الاندلسيين بالاطلاع على كل ذلك النتاج العلمي السابق وازدادة ابداعهم واكتشافاتهم عليه، ليصبح لاهل الاندلس علومهم وعلمائهم الخاصين بهم شأنهم شأن بقية الامم المهمة بالعلوم وتطويرها في جميع مجالاتها.

يرجع الفضل في تنبيه اهل الاندلس للاشتغال بالعلوم القديمة والحديثة الصرفة والشرعية الى الامير الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٥٠-٣٦٦ هـ / ٩٦١-٩٧٦ م)، الذي اوكل اليه ابيه ((العناية بالعلوم واظهار اهلها))^(١١٤)، ولم يكتف بذلك، بل سعى جاهداً الى جلب امهات الكتب في شتى المصنفات والعلوم القديمة والحديثة ومصنفاتها الغريبة من ديار الشرق لدرجة انه ((جمع منها في بقية ايام ابيه ثم في مدة ملكه من بعده ماكاد يضاهي ما

جمعبته ملوك بني العباس في الازمان الطويلة))^(١١٥)، ومما ساعد الناس على التشجع في الاطلاع على كتب القدماء، ان الامير الحكم لتبنيه العلوم والعلماء وذلك لفرط محبته للعلم ورغبته منه التشبه بالحكام مما ادى الى ((تحرك الناس في زمانه الى قراءة كتب الاوائل وتعلم مذهبهم))^(١١٦)، لكن بوفاته سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م، وتولي ابنه هشام المؤيد بالله (٣٦٦-٣٩٩هـ / ٤٠٠-٤٠٣هـ / ٩٧٦-١٠٠٨ / ١٠١٢م) الحكم وهو غلام لم يبلغ الحلم بعد، فانترى على الحكم حاجبه المنصور ابو عامر محمد بن عبدالله المعافري، الذي عرف عنه بكره علوم القدماء، فكان اول اعماله التخلص من الكتب (فاحرق بعضها وطرح في ابار القصر وهيل عليها التراب والحجارة)^(١١٧)، وعمل ذلك تقرباً لسكان الاندلس الذين عدو كل من يقرأها خارج عن ملة الاسلام وملحداً بالشرعية لدرجة ان من كان لديه علماً يتقنه من علوم النجوم والكواكب لم يفسحوا عنه فيصفهم ابن صاعد الاندلسي (فسكن اكثر من كان تحرك للحكمة عند ذلك وحملت نفوسهم، وتستروا بما كان عندهم من تلك العلوم، ولم يزل اولو النباهاة من ذلك الوقت يكتمون ما يعرفونه منها ويظهرون ما يتجوز لهم فيه من الحساب والفرائض والطب وما اشبه ذلك الى ان انقرضت دولة بني امية من الاندلس)^(١١٨)

في الحقيقة ان ابن صاعد الاندلسي يعزي عودة العمل في العلوم القديمة في حواضر الاندلس مع بداية القرن الخامس الهجري، الى ما انتشر من المؤلفات القديمة التي بيعت ايام الحروب من مكتبة قرطبة، فاننتشرت بين حواضر الاندلس، فضلاً عن ما اخفي واقلت من حملة الحاجب المنصور ابي عامر المعافري، فيقول: (واضطرت الفتنة الى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع، فبيع ذلك باوكس ثمن واتفه قيمة، وانتشرت تلك الكتب باقطار الاندلس ووجد في خلالها اعلاق من العلوم القديمة)^(١١٩)

وكشف لنا ابن صاعد الاندلسي مدى تحسن طلب العلوم في الاندلس في هذه المدة عما سبقتها بقوله: (فلم تزل الرغبة ترتفع من حينئذ في طلب العلم القديم

شيئاً فشيئاً وتواعد الطوائف تتمصر قليلاً قليلاً الى وقتنا هذا، فالحال بحمد الله افضل ما كانت بالاندلس في ايامه تلك العلوم والاعراف عن تحجير طلبها الى ان زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها^(١٢٠).

سادساً - انواع العلوم عند اهل الاندلس

١ - العلوم الطبيعية

لم يكن نصيب اهل الاندلس من العلوم الطبيعية والالهية شيئاً يذكر، فلم يورد لن ابن صاعد الاندلسي سوى ثلاثة اسماء اهتموا بها هم عبدالله محمد بن عبدالله بن حامد المعروف بابن النباش البجاني وابو عامر بن الامير بن هود وابو الفضل بن حسداي الاسرائيلي^(١٢١).

٢ - العلوم الشرعية واللغوية

يبدو ان الاختصاص لدى علماء الاندلس كان نادراً لان السمة البارزة هي شمولية العلماء باتقانهم ومهاراتهم بشتى العلوم بالوقت نفسه، فهذا ابو عبيدة بن مسلم بن احمد^(١٢٢)، وعرف عن يحيى بن يحيى ابن السمينه من اهل قرطبة انه^(١٢٣) متصرفاً في العلوم، متقناً في ضروب المعارف، بارعاً في علوم النحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاعراب والجدل^(١٢٤)، واشتهر محمد بن اسماعيل الحكيم بعلوم اللغة، فقد كان^(١٢٥) دقيق الذهن لبيب الخاطر، وكان مع ذلك نحويّاً ولغويّاً^(١٢٦)، وعلى الرغم من توجه محمد بن عمر ابن برغوث توجهاً واضحاً بالعلوم الصرفة^(١٢٧) كان له مع ذلك تحقق بعلم النحو ومعرفة القرآن والفقه والوثائق واشراف حسن على سائر العلوم^(١٢٨)، وكان عبدالله بن محمد^(١٢٩) (له كتاب مشهور في السبع [السبع المثاني] وكان مع ذلك رجلاً ناسكاً فقيهاً اماماً في النحو واللغة^(١٣٠)).

٣- العلوم الصرفة

- العلوم الرياضية

ابتدأ ابن صاعد الاندلسي في علماء الاندلس بابي عبيدة مسلم بن احمد بن ابي عبيدة البنسي المعروف بصاحب الصلاة، الذي اشتهر بجملة من العلوم الحسابية والفلك فقال عنه: ((فاعتني بعلم الحساب والنجوم... وكان عالماً بحركات الكواكب واحكامها))^(١٢٧)، وأشار الى ان يحيى ابن السمينه ((كان بصيراً بالحساب والنجوم))^(١٢٨)، فضلاً عن محمد بن اسماعيل الحكيم الذي ((كان عالماً بالحساب والمنطق دقيق الذهن لبيب خاطر))^(١٢٩). ويبدو ان ابن صاعد الاندلسي اكتفى بذكر هؤلاء العلماء في المرحلة الاولى التي حددها باهتمام اهل الاندلس في العلوم وصولاً الى القرن الخامس الهجري من دون ان يذكر ان كان لهؤلاء العلماء تألف، لتبدأ المرحلة الثانية بوصول الحكم المستنصر بالله الى الحكم التي اتصفت باهتمام الاندلسيين بشتى العلوم القديمة والحديثة وهذا ما وضحناه سابقاً.

اختلف ابن صاعد الاندلسي في هذه المرحلة بذكر تأليف من عمل وبرع في العلوم، فذكر ان ابي ايوب عبد الفاخر بن محمد ((احد المهرة بعلم الهندسة، وله تأليف حسن في الفرائض))^(١٣٠)، واشاد بما تركه ابو غالب حيان بن عباد الفرائضي بنه ((كان مشهوراً بعلم العدد في وسط ملك عبد الرحمن الناصر لدين الله، وله في الفرائض تأليف حسن مشهور عندنا الى اليوم))^(١٣١)، كما نال عبدالله بن محمد السري رعاية واهتمام الحكم لانه ((كان عالماً بالعدد والهندسة... وكان نسب اليه العلم بصناعة الكيمياء))^(١٣٢)، واشتهر ابو بكر بن ابي عيسى باكثر من علم، إذ ((كان متقدماً في علم العدد والهندسة والنجوم))^(١٣٣)، لدرجة ان مسلمة بن احمد المرحبط من اجل علماء الاندلس اكد على ان ابو بكر اسبق غيره في علم الهندسة وفي سائر العلوم الرياضية^(١٣٤)، ومن علماء الهندسة ممن وضعوا تأليف قيمة عبد الرحمن بن اسماعيل بن زيد الاقليدسي، الذي ((كان متقدماً في علم

الهندسة معتبياً بصناعة المنطق، وله تأليف مشهورة في اختصار الكتب الثمانية المنطقية^(١٣٥).

اختص بعض العلماء باحد العلوم ونالوا منها نيلاً عظيماً، فبينما اشتهر محمد بن عمر بن محمد ابن برغوث بالعلوم الرياضية عامة الا انه ((مختصاً بآثار علم الافلاك وهيئاتها وحركات الكواكب وارصادها))^(١٣٦)، كما اختص ابو الاصبع عيسى بن احمد الواسطي بالهندسة، فهو ((احد المحنكين بعلم العدد والهندسة والفرائض...وله ايضاً بصر بجمل من علم هيئة الافلاك وحركات النجوم))^(١٣٧).

- الفلسفة والمنطق

اقتصرت اخبارهم في كتاب "طبقات الامم" على ذكر اسماء من اشتهر بهذه العلوم، واهم ما وضعوه من تأليف بخصوصها، وعدهم من خيرة ابناء الاندلس فهماً ورجاحة العقل، فوصفهم ((ذوو افهام صحيحة وهم رفيعة))^(١٣٨)، امثال ابو الحسن علي الصيدلاني الذي نالت الهندسة كل اهتمامه^(١٣٩)، وابو اسحاق ابراهيم بن النقاش الذي كان اعلمهم بحركات النجوم وهيئة الافلاك حتى عده ابن صاعد ((ابصر اهل زماننا بارصاد الكواكب وهيئة الافلاك وحساب حركاتها واعلمهم بعلم الازياج واستنباط الالات النجومية))^(١٤٠)، وعرف عن ابي عامر بن الامير بن هود انه انفرد عن بقية المهتمين بعلم الفلسفة ((بعلم المنطق والعناية بالعلم الطبيعي والعلم الالهي))^(١٤١)، ويعد ابو محمد علي بن احمد من تخصص بصناعة المنطق ((فعني بعلم المنطق والف فيه كتاباً سماه "التقريب لحدود المنطق"... وخالف ارسطاطاليس واضع هذا العلم في بعض اصوله))^(١٤٢)، كما عني ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة الاعمى ((بعلوم المنطق عناية طويلة، والف فيها تأليفاً كبيراً مبسوطاً ذهب فيه الى مذهب متي بن يونس))^(١٤٣)، ومن تأليفه "غريب المصنف" و"اصلاح المنطق" و"شرح اصلاح المنطق"^(١٤٤)، فضلاً عن

ابو عبدالله الكناني الذي انسب الى اصحاب المنطق والفلسفة^(١٤٥)، وغيرهم ممن اهتم بالمنطق والفلسفة الى جانب العلوم الرئيسة التي اشتهروا بها.

- الطب

اعتمد اهل الاندلس في التطب على قوم من النصارى لا معرفة لهم بصناعة الطب سوى انهم ((يعولون على كتاب بايديهم من كتب النصارى يقال له الابرسيم وتفسيره الجامع والمجموع))^(١٤٦)، ولم يبرز احد في الاندلس في صناعة الطب من حيث دراسته واستيعاب اصنافه وطرق علاجه، لان غالييتهم من اراد العمل في الطب ان يكون وسيلة سريعة للكسب، لذلك اقتصر غرضهم على ((قراءة الكنانيش المؤلفة في فروعه فقط دون الكتب المصنفة في اصوله مثل كتاب ابقراط وجالينوس ليستعجلوا ثمر الصناعة ويستفيدوا به خدمة الاملاك في اقرب مدة))^(١٤٧).

اول من ذكره ابن صاعد في كتابه بانه اهتم بصناعة الطب هو يحيى بن يحيى ابن السمينة ((كان بصيراً بالحساب والنجوم والطب))^(١٤٨)، فضلاً عن ابو القاسم اصبع بن محمد الغرناطي ابن السمح تلميذ المجريطي، الذي اشتهر بكثرة تأليفه في الهندسة والعدد ((وكانت له مع ذلك عناية بالطب))^(١٤٩)، وحاكاه بالطريقة نفسها ابو الحسن علي بن سليمان الزهراوي الذي ((كان عالماً بالعدد والهندسة معتبياً بعلم الطب وله كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان وهو الكتاب المسمى بكتاب الاركان))^(١٥٠)، وعرف ابو مسلم عمرو ابن خلدون بأنه ((مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبعاً بالفلاسفة))^(١٥١)، وعد ابن السمح من المعتنين بالطب^(١٥٢)، كما اعتنى ابو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى ((بعلم الهندسة والطب))^(١٥٣). اي انهم اتخذوا من الطب علماً ثانوياً الى جانب العلوم الاخرى التي ابدعوا فيها وعرفوها، وعلى ما يبدو انهم لم يمارسوا التطبيب وانما اكتفوا بما اطلعوا عليه من معلومات، او ان مارسوا فعلى نطاق ضيق.

لكن هذا لايعني عدم وجود من عمل في الطب ودرسه لمعرفة هذه الصناعة لذاتها، فتعرف على كتبه على مراتبها، فنالوا شهرة في التطب امثال الطبيب احمد بن اياس من اهل قرطبة ايام الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط^(١٥٤)، وبلغ الحراني الذي لم يتعرف على اسمه ابن صاعد مكتفيا بذكره ابن الحراني، درجة عالية في صناعة الطب بممارسته، إذ ((كانت عنده مجربات حسان في الطب))^(١٥٥)، وهناك من الاطباع مارس التطب بنفسه وصنع الادوية بيده منهم يحيى بن اسحاق وابوه اسحاق، فوصفهما ابن صاعد قائلاً: ((كان ابوه نصرانياً طبيباً مجرباً صانعاً بيده))، وان يحيى ((كان ذكياً بصيراً بالعلاج صانعاً بيده))، والف كناشاً من خمسة اسفار حاكي فيه الروم^(١٥٦).

كتب الطبيب سعيد بن عبد الرحمن رجلاً جليلاً في الطب احتوى على جمل حسنة منه، دل على مدى قدرته وامكانياته في ممارسة الطب لدرجة ((دل على تمكنه من العلم وتحققه مذاهب القدماء))^(١٥٧)، اي عدم الاكتفاء بقراءة ما متوافر من معلومات عن الطب، بل ذهب مذهب القدماء في التحقق والتثبت من المعلومات وتجربتها، حتى انه اتخذ كتب الطب جليسا من غير اقربائه

لما عدمتك مؤنساً وجليسا نادمت بقراطاً وجالينوساً

وجعلت كتبهما شفاء تفردى وهما الشفاء لكل جرح يوسى^(١٥٨).

خدم عدد من الاطباء الامراء والحكام وانخرطوا بالعمل في ديوان الاطباء، مثلما فعل احمد بن حكم بن حفصون الذي ((كان طبيباً نبيلاً جيد القريحة حسن الفطنة دقيق النظر))^(١٥٩)، اي تشخيص الامراء. فعمل في ديوان الاطباء في قصر الحكم المستنصر بالله، لكنه طرد من الديوان وبقي مهملاً حتى وفاته^(١٦٠)، كما خدم محمد بن تمليح الذي عرف عنه الوقار والسكينة ومعرفة بالطب الناصر والمستنصر بصناعة الطب^(١٦١).

اشتهر بعض الاطباع بقدرتهم على العلاج بأسلوب سهل والضيهور بمظهر مقبول لدى المرضى، فقد كان ابو الوليد محمد بن الحسين الكناني ((عالماً

بالطب حسن العلاج لطيف المعافاة سرياً محبباً الى الناس وخدم الناصر والمستنصر))^(١٦٢)، وكان ابو عبدالله البجاني ((معتن بصناعة الطب منتصب بعلاج المرضى))^(١٦٣) وابو بكر يحيى بن احمد الذي ((كان معتنياً بصناعة الطب دقيق العلاج))^(١٦٤)، فضلاً عن ابو العرب يوسف بن محمد ((المتحقق بصناعة الطب الراسخين في علمه))، واجاد صناعة الطب بفروعها واصولها وممارستها، فيصفه الوزير ابو المطرف اللخمي ((انه كان محكماً لاصول الطب نافذاً في فروعه حسن التصرف في انواعه))، لكنه ابتلي بحب الخمر مما اوجد بحال السكر طوال الليل والنهار فلا يصحى منه فحرم الناس من الانتفاع بعلمه^(١٦٥). كما شذ بعض الاطباء المتقدمين في علاج الامراض في ابداء اراء غير مقبولة، فيصف ابن صاعد ابو مروان الاشبيلي ((اشتهر بها زماناً بالتقدم في صناعة الطب وطار ذكره منها الى اقطار الاندلس وله في الطب اراء شاذة منها منعه من الحمام واعتقاده انه يعفن الاجسام ويفسد تركيب الامزجة))^(١٦٦)

على عكس هؤلاء، وجد بعض الاطباء الذين اجادوا ووضعوا التوليف في صناعة الطب بشتى فروعها واصولها، لكنهم لا يمارسونها، بمعنى انهم اجادوا الصناعة نظرياً واخفقوا بها عملياً، فهذا ابو عثمان بن سعيد البغونش ((نشأ على كتب جالينوس وجمعها وتناولها بتصحيحه ومعاناته، فحصل بتلك العناية فهم كثير منها، ولم يكن له درية بعلاج المرض ولا بطبيعة نافذة في فهم الامراض))^(١٦٧).

وجد بعض الاطباء من اجاد العلاج في احد الامراض وهو ما يشبه التخصص في يومنا هذا، فقد اشتهر احمد الحراني في تدوي العين ((مداوة نفيسة وله في ذلك في قرطبة اثار عجيبة))^(١٦٨)، وابو عبدالله محمد بن الحسين الكناني ((بصيراً بالطب متقدماً فيه))^(١٦٩)، ووصفه الوزير والطبيب ابو المطرف اللخمي ((انه كان دقيق الذهن، ذكي الخاصر، جيد الفهم، حسن التوليد والتنتج))^(١٧٠)، واهتم الكرمانى في معالجة الامراض والجروح بكيها بالنار او اجراء التدوي بشقها، فاشار ابن صاعد

ان ((له عناية بالطب مجربات فاضلة فيه ونفوذ مشهورة بالكى والقطع والشق والبط وغي ذلك من اعمال الصناعة الطبية))^(١٧١)

ومن جمع من الاطباء بين وظيفتين الاولى الطب والثانية احدى خطط او وظائف الحكم، فقد كلف الطبيب ابن تملخ ببناء زيادة قبلتي جامع قرطبة^(١٧٢)، وتقلد الطبيب احمد الحراني خطة السوق والشرطة في عهد الحكم المستنصر وابنه هشام المؤيد بالله^(١٧٣)، وتقرب ابو عثمان سعيد بن محمد البغونش بالطب من امير طليطلة فأصبح ((احد مدبري دولته))^(١٧٤)، وبرز من جمع بين الوظيفتين الوزير ابو المطرف عبد الرحمن اللخمي، إذ اهتم بصناعة الادوية المفردة واجاد فيها على بقية اطباء عصره لدرجة الف كتاباً لانظير له جمع فيه ما تضمنه كتاب ديوستوريدس وكتاب جالينوس المؤلفين في الادوية المفردة، وقام بترتيبه بخمسائة ورقة، الذي استمر جمعه ما يقارب عشرون سنة، بذل فيه جهوداً كبيرة ((في ترتيبه وتصحيح ما ضمنه من اسماء الادوية وصفاتها وادعه اياه في تفصيل قواها وتجديد درجاتها))^(١٧٥)، ومن ارائه الطبية فضل الابتعاد عن تناول الادوية المزوجة بشتى انواعها، وكان يداوي الناس بالاغذية او ما يعوض عنها، واذا اضطر فإنه يعتمد على الادوية المفردة وان لم يصل الى نتيجة في شفاء المرض اضطر الى استخدام الادوية المركبة مع عدم الاكثار منها قدر الامكان، فترك نوادر وغرائب مشهورة في علاج الناس وشفائهم من العلل المستعصية والامراض الصعبة^(١٧٦).

حرص بعض الاطباء السفر الى المشرق للاستزادة من العلوم الطبية، فقد وصل عمرو احمد الحراني الى بغداد وبقي فيعا عشر سنوات درس فيها كتب جالينوس على يد ثابت بن سنان بن قره الصائب^(١٧٧)، وغادر محمد بن عبدون الجبلي الاندلس ووصل مصر والبصرة وشاهد برماستاناتها، وتمهر في الطب على يد الشيخ ابا سلمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي، فأجاد الطب على اصوله الصحيحة وزهد في الانتفاع من وراءه، فذكر ابن صاعد انه ((تمهر

في الطب ونبل فيه واحكم كثيراً من اصوله^(١٧٨)، حتى عده البعض افضل من تواجد في الاندلس ايام حياته في صناعة الطب فلا يجاريه احد فيه من حيث فهمه وممارسته وضبط اصوله ومعرفة الامور الغامضة فيه^(١٧٩).

ما يلفت النظر فضلاً عن ما قيل بشأن قصور ابن صاعد في تغطية علماء الاندلس ونتائجهم فإنه لم يتطرق الى الصيادلة او الاعشاب التي تصنع منها الادوية مع وجودهم بكثرة في الاندلس ونالوا شهرة واسعة^(١٨٠).

سابعا- نشاطات علماء اهل الاندلس

١- الجمع بين الوظائف

اهتم بعض العلماء الى جانب اشتغالهم وبحثهم بالعلوم، بمناصب ادارية مهمة في الاندلس، فقد تولى ابو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن مختار الرعيني القضاء الى جانب معرفته وعمله بالعلوم المختلفة، فقال ابن صاعد الاندلسي انه ((كان بصيراً بالهندسة في النجوم، متقدماً في اللغة والنحو والحديث والفقہ بليغاً شاعراً متكلاً ذا دهاء ومعرفة بالسير والتواريخ وولي القضاء في مدينة المرية اخر دولة زغير العامري))^(١٨١)، وولي محمد بن احمد ابن الليث المتحقق بعلم العدد والهندسة وحركة الكواكب، فضلاً عن النجوم واللغة والفقہ، وتوفي سنة ٤٠٥ هـ، ((وهو متفقد القضاء بشريون من اعمال بلنسية))^(١٨٢)

وهناك من العلماء من ارسل بسفارة مثل الحسن بن محمد التجيبي الذي ترأس وفداً في سفارة مثل امير اليمن وحاكمها الصليحي امير اليمن وحاكمها الذي نال حضوة لديه بعد رحيله من الاندلس اثر محنة اصابته، الى الخليفة القائم بامر الله ببغداد في هيئة فخمة، ونال هناك دنيا عريضة^(١٨٣)، وجمع ابو الوليد هشام بن احمر مع براعته في علوم المنطق والهندسة واللغة والفقہ والشعر، خطة القضاء في طليطلة قاعدة الامير المأمون يحيى بن الظاهر ذي النون^(١٨٤)، وهناك من اثر دراسة العلوم والاستزادة منها على العمل الاداري والتقرب

الى السلطة الحاكمة، فقد ترك ابو محمد علي بن احمد منصب الوزارة لدى عبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام))^(١٨٥). وتفرغ لدراسة العلوم.

٢ - الرحلات العلمية الى المشرق

لم يكتف علماء الاندلس بما حصلوا عليه من العلوم ممن سبقهم الاولين والمعاصرين، وحرصاً منهم وحباً في معرفة مزيد من العلوم وتطوير نتاجاتهم، ولمعرفة ما وصلت اليه الامم الاخرى والاستفادة منها، ان اصبحت رحلة علماء الاندلس الى المشرق سمة بارزة فيهم، طلباً للعلم ، فعلى الرغم من شيوع سمعة ابو عبيدة مسلم بن احمد في اكثر من علم اجاد فيه وابدع، رحل الى بلا المشرق)) (ودخل الى المشرق فسمع بمكة من علي بن عبد العزيز))^(١٨٦)، وواصل رحلته الى مصر فسمع)) (من المزنى والربيع بن سليمان المرادي ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبدالله بن الحكم وجماعة سواهم))^(١٨٧). ويبدو ان اهل المشرق اعجبوا بهمة ابو عبيدة فاثثوا عليه بابيات شعرية على لسان ابن عبد ربه

ابا عبيدة ما المسؤول عن خبر يحكيه الا سوار الذي سالا
ابيت الا شذودا عن جماعتنا ولم يصب رأي من ارجى ولا اعتزلا
كذلك القبلة الاولى مبدلة وقد ابيت فما تبغي بها بدلا
زعمت بهرام او بيدخت يرزقنا لا بل عطارد او برجيس او زحلا^(١٨٨).

وكان ليحيى بن يحيى ابن السمينه رحلة في طلب العلم فيقول ابن صاعد عنه)) (ورحل الى المشرق ثم انصرف عائداً))^(١٨٩)، من دون ان يحدد ما اطلع عليه ودرسه واستفاد منه في بلاد المشرق. وكان ابو الحكم الكرمانى افضل من استفاد من علماء الاندلس من رحلته الى المشرق فقد)) (رحل الى بلاد المشرق وانتهى منها الى حران من بلاد الجزيرة، وعنى هناك بعلم الهندسة والطب، ثم رجع الى بلاد الاندلس واستوطن مدينة سرقسطة من غربها وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل اخوان الصفا))^(١٩٠)

وهناك من العلماء من رحل من الاندلس الى المشرق هروباً من محنة اصابتهم، فعلى سبيل المثال عبد الرحمن بن اسماعيل ((رحل الى المشرق في ايام الحاجب المنصور بن ابي عامر وتوفي هناك))^(١٩١)، ومثلما نال بعض العلماء رعاية الامراء، هناك من نالهم سخطهم، فقد عانى ابو عثمان سعيد السرقسطي ((العالم بعلم الهندسة والمنطق والموسيقى ومتصرفاً في سائر علوم الفلسفة والنحو واللغة إذ))^(١٩٢) نالته في ايام المنصور محمد بن ابي عامر محنة شديدة مشهورة السبب، ادته بعد انطلاقه من السجن الى الخروج عن الاندلس فتوفي في جزيرة صقلية))^(١٩٣)، وعانى ابو القاسم احمد ابن الصفار من الفتنة تاركاً بلده قرطبة ((واستقر بمدينة دانية قاعدة الامير مجاهد العامري من ساحل البحر الاندلسي الشرقي وتوفي بها رحمه الله))^(١٩٤).

٣- تدريس العلوم

وهناك من العلماء من امتحن بعلمه بجلوسه في حلقات دراسية يعلم التلاميذ ما يعرفه من العلوم، كما فعل ابو بكر ابن ابي عيسى ((فكان يجلس لتعليم ذلك في ايام الحكم))^(١٩٥)، وجلس مسلمة بن احمد المرحيط يلقي الدرس على تلاميذه في الهندسة وغيرها من العلوم^(١٩٦)، ((فقد كان امام الرياضيين في الاندلس في وقته، واعلم ممن كان قبله بعلم الافلاك وحركات النجوم، وكانت له عناية بارصاد الكواكب)) حسب رأي ابن صاعد^(١٩٧)، لدرجة ان ابن صاعد عده افضل من درس العلوم فقال: ((وقد انجب تلاميذ جلة، ولم ينجب عالم بالاندلس مثلهم، فمن اشهرهم ابن السمح وابن الصفار والزهرراوي والكرماني وابن خلدون))^(١٩٨).

سار ابو القاسم احمد ابن الصفار على سيرة معلمه المجريط في تعليم العدد والهندسة والنجوم، إذ ((قعد في قرطبة لتعليم ذلك وله زيج مختصر على مذهب السند هند^(١٩٩)، وكتاب في العمل بالاسطرلاب))^(٢٠٠) واشهر من مارس تعليم العدد والهندسة ابو القاسم احمد بن محمد الطنيزي الذي ((كان معلماً بعلم العدد

والهندسة نافذاً فيها، وله كتاب حسن في المعاملات^(٢٠٠)، وأشار ابن صاعد الى ان ابو الاصبع عيسى بن احمد الواسطي ((احد المحنكين بعلم العدد والهندسة والفرائض، وقعد بقرطبة لتعليم ذلك))^(٢٠١)، كما مارس محمد بن خيرة العطار تعليم العدد والهندسة والفرائض ((وهو لوقتنا هذا معلم لذلك في مدينة قرطبة))^(٢٠٢) على حد قول ابن صاعد الاندلسي. كما عرف عن عبدالله بن احمد السرقسطي تعليمه الهندسة والنجوم في بلده^(٢٠٣)، وابو جعفر احمد الذي نال دراية وشهرة واسعة بالهندسة والعدد والفرائض ((قعد للتعليم بذلك زماناً طويلاً))^(٢٠٤).

الخاتمة

- توصل البحث الى عدد من النتائج والاستنتاجات اهمها.
١. ان كتاب طبقات الامم لابن صاعد الاندلسي مثل صورة لتطور العلوم في الاندلس بعد انطلاق اهلها لممارسة العلوم التي كانت محرمة.
 ٢. فضل العرب المسلمين على اهل الاندلس باخراجهم من جهلهم وجعلهم في مصاف الدول المتقدمة علمياً، بما ادخلوا عليهم من علوم مختلفة.
 ٣. يبدو ان اهل الاندلس كانوا اداة طيبة تقبلوا علوم الحكمة والفلسفة.
 ٤. مرت الاندلس بمراحل علمية مختلفة خلال تاريخهم وصولاً الى سنة ٤٦٢ هـ وهي سنة وفاة ابن صاعد، كان اولها متخلفاً وآخرها متقدماً على سائر الامم.
 ٥. سعى اهل الاندلس الى طلب العلم فتمكنوا من الابداع واخراج علماء ظاهوا علماء المشرق العربي في مختلف العلوم.
 ٦. كان الفصل الاكبر في انطلاق العلوم في الاندلس الى الامير الحكم المستنصر بالله الي شجع وتبنى العمل في العلوم محاولاً كسر الجهود الذي انتاب الناس تجاه العلوم الصرفة.
 ٧. كان الاثار اليونان والرومان القدماء العلمية الاساس والاثر الواضح في معرفة العرب عموماً والاندلسيين على وجه الخصوص لمختلف العلوم، وازافة ابداعاتهم عليها.

٨. اتصف علماء الاندلس بصفة الشمولية، فكل عالم اجاد اكثر من علم في آن واحد، وهذه هي صفة علماء ذلك الوقت
٩. كان للرحلات العلمية التي انتجها اهل الاندلس الى المشرق اثراً في ادخال العلوم وتطيرها في الاندلس ولاسيما في صناعة الطب.
١٠. على الرغم من الاختصار وصغر الحجم وعدم الالمام باخبار علماء الاندلس جميعهم، فان كتاب طبقات الامم مثل قيمة علمية كبيرة بما جاء فيهم من معلومات تاريخية وعلمية، اصبحت الاساس في بعض جوانبه ام لم يكن في اغلبها اعتمد عليه من جاء بعد ابن صاعد في اقتباس معلوماتهم منه مثل ابن ابي اصيبعة صاحب كتاب عيون الاطباء والقفطي صاحب كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء.

(١) ابو بكر محمد القرطبي ابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)، افتتاح الاندلس، تحقيق: عبدالله انيس الطباع، ط (بيروت: ١٩٥٧)، ابو مروان ابو حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م)، المقنيس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ط (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٥).

(٢) خلف بن عبد الملك الانصاري ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م)، الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائها ومحدثيهم وفقهائهم واديانهم، نشر وتصحيح: عزت العطار الحسيني، ط (القاهرة: مكتبة مؤسسة نشر الثقافة، ١٩٥٥)، ج ١، ص ٢٠٩-٢١١.

(٣) ام اكبر علماء الاندلس واكبر علماء الاسلام تصنيفاً وتأليفاً، وهو امام خافض فقيه ظاهري، وكان مالكياً ثم شافعيّاً ثم غير مذهبه الى الظاهرية، وهو فقيه ومدرس للحديث وعلم الكلام والفلسفة، عالم بالانساب والتاريخ والادب والشعر، ووزير وسياسي لبني امية، محمد بن عثمان بن قايماز ابو عبدالله الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٤ م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط

- (القاهرة: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ج ١٨، ص ١٨٤-٢١٣؛ محمد ابو زهرة، ابن حزم حياته وعصره، ط، (القاهرة: مط دار الفكر العربي، ١٩٥٤)، ص ٢٧.
- (٤) ابي القاسم صاعد ابن احمد بن صاعد الاندلسي (ت ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م)، طبقات الامم، تحقيق وتعلق: حسين مؤنس، ط (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٣)، ص ١٧-١٨.
- (٥) المصدر نفسه، ص ٤٧-٦٠.
- (٦) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ط (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٦١)، ج ١، ص ٨٢٦.
- (٧) ينظر: ابن صاعد الاندلسي، طبقات الامم، ص ٢٤، ٢٧.
- (٨) ذكر ابن حزم (واما الامم الدائرة من القبط واليمانيين والسرانيين والاشمانيين وعمون ومرأب وسائر الامم فقد بادت اخبارهم جملة، فلم يبق منهم الا تكاذيب وخرافات، واما الفرس فلا يصح شيء من اخبارهم الا ما كان من عهد دارا بن دارا فقط واصح اخبارهم))، ينظر: ابو محمد علي بن احمد بن سعيد ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م)، رسائل ابن حزم، تحقيق: د. احسان عباس، ط ٢ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧)، ج ٢، ص ٧٨-٨٠.
- (٩) ابن صاعد الاندلسي، طبقات الامم، ص ٨٤.
- (١٠) المصدر نفسه، ص ١٦.
- (١١) المصدر نفسه، ص ١٩.
- (١٢) الفرس والكلدانيون والاثوريون والارمانيون والارمنيون واليونانيون والروم والمصريون والترك والهنود والصينيون. ينظر: ص ١٣-١٥.
- (١٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨.
- (١٤) المصدر نفسه، ص ٨٤.
- (١٥) ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٦-٥٧.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ١٧-١٨.
- (١٧) للاطلاع على كل تلك الاسماء والعلوم، ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٩-٥٩.
- (١٨) المصدر نفسه، ص ١٦.
- (١٩) المصدر نفسه، ص ١٢.
- (٢٠) المصدر نفسه، ص ١٧.
- (٢١) المصدر نفسه، ص ١٩-٢٠.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٢٣) المصدر نفسه

(٢٤) للاطلاع على اسماء العلماء وتراجمهم الذين لم يذكرهم ابن صاعد وتم ذكرهم في مصادر اخرى، ينظر: جمال الدين ابي الحسن بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٩٤ م)، اخبار العلماء باخبار الحكماء، ط (مصر: مطبعة السعادة، ١٩٨٠)، ص ١٣٣-٢٥٠؛ موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم السعدي الخزرجي ابن ابي اصيبعة (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م)، عيون الانباء في طبقات الاطباء، ضبط وتصحيح: محمد باسم عيون السود، ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ص ٢٥٠-٢٩٠؛ صبح ابراهيم الشخيلي، اطباء الاندلس في كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطي، في ابحاث المؤتمر السنوي الثامن والعشرين لتاريخ العلون عند العرب المنعقد في حلب ٢٥-٢٧ حزيران ٢٠٠٧، تحرير واعداد: مصطفى موالدي، ٢٠٠٩، ص ٢٠٥-٢١٦.

(٢٥) ابن صاعد الاندلسي، طبقات الامم، ص ٢٠

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٩٦

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٨٤

(٢٨) المصدر نفسه

(٢٩) المصدر نفسه

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٨٤-٨٥

(٣١) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٣٢) سورة النحل، الآية ٢٦

(٣٣) ابن صاعد الاندلسي، طبقات الامم، ص ٢٩

(٣٤) سورة الزمر، الآية ٣

(٣٥) ابن صاعد الاندلسي، طبقات الامم، ص ٥٩

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٨١

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٨٩

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٩٠

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٩١

(٤١) المصدر نفسه، ص ٩٢

- (٤٢) المصدر نفسه، ص ٩٨
- (٤٣) المصدر نفسه، ص ١٠٤
- (٤٤) المصدر نفسه
- (٤٥) المصدر نفسه، ص ٩٦
- (٤٦) المصدر نفسه، ص ٩٩
- (٤٧) المصدر نفسه، ص ٧٩
- (٤٨) المصدر نفسه، ص ٧٨
- (٤٩) المصدر نفسه، ص ١٠٢
- (٥٠) المصدر نفسه، ص ٢٥.
- (٥١) المصدر نفسه، ص ٧٥.
- (٥٢) المصدر نفسه، ص ٥٠.
- (٥٣) المصدر نفسه، ص ٥١.
- (٥٤) المصدر نفسه، ص ٥٠.
- (٥٥) المصدر نفسه، ص ٥٧.
- (٥٦) المصدر نفسه، ص ٩٨.
- (٥٧) المصدر نفسه، ص ٢٤.
- (٥٨) المصدر نفسه، ص ٢٧.
- (٥٩) المصدر نفسه، ص ٤٦.
- (٦٠) المصدر نفسه، ص ٥٧.
- (٦١) المصدر نفسه، ص ٥٩.
- (٦٢) المصدر نفسه، ص ص ٥٦، ٦٨، ٨٤.
- (٦٣) المصدر نفسه، ص ٨٤.
- (٦٤) المصدر نفسه.
- (٦٥) المصدر نفسه.
- (٦٦) المصدر نفسه، ص ٢٥.
- (٦٧) المصدر نفسه، ص ٢٨.
- (٦٨) المصدر نفسه، ص ٤٣.

- (٦٩) المصدر نفسه، ص ٥٣ .
(٧٠) المصدر نفسه، ص ٤٠ .
(٧١) المصدر نفسه، ص ٥٨ .
(٧٢) المصدر نفسه، ص ٤٤ .
(٧٣) المصدر نفسه، ص ٢٦ .
(٧٤) المصدر نفسه، ص ٢٨ .
(٧٥) المصدر نفسه، ص ٤٦ .
(٧٦) المصدر نفسه، ص ٥٠ .
(٧٧) المصدر نفسه، ص ٩٠ .
(٧٨) المصدر نفسه، ص ٩٢ .
(٧٩) المصدر نفسه، ص ١٠٦ .
(٨٠) المصدر نفسه، ص ٢٩ .
(٨١) المصدر نفسه، ص ٣٨ .
(٨٢) المصدر نفسه، ص ٤٠ .
(٨٣) المصدر نفسه، ص ٥٠ .
(٨٤) المصدر نفسه، ص ٣٩ .
(٨٥) المصدر نفسه .
(٨٦) المصدر نفسه، ص ٩٦ .
(٨٧) المصدر نفسه، ص ٥٦ .
(٨٨) المصدر نفسه، ص ٧٠ .
(٨٩) المصدر نفسه، ص ٧٨ .
(٩٠) المصدر نفسه، ص ٥٠ .
(٩١) المصدر نفسه، ص ٧٢ .
(٩٢) المصدر نفسه، ص ٥٠ .
(٩٣) المصدر نفسه .
(٩٤) المصدر نفسه، ص ٧٤ .
(٩٥) المصدر نفسه .

- (٩٦) المصدر نفسه، ص ٧٥
- (٩٧) المصدر نفسه.
- (٩٨) المصدر نفسه، ص ٩١
- (٩٩) المصدر نفسه.
- (١٠٠) المصدر نفسه، ص ٩٢.
- (١٠١) المصدر نفسه.
- (١٠٢) المصدر نفسه، ص ٩٣.
- (١٠٣) المصدر نفسه، ص ٩٤.
- (١٠٤) المصدر نفسه، ص ٩٥.
- (١٠٥) المصدر نفسه، ص ٩٤.
- (١٠٦) المصدر نفسه، ص ٩٦.
- (١٠٧) المصدر نفسه، ص ٩٧.
- (١٠٨) المصدر نفسه.
- (١٠٩) المصدر نفسه، ص ٧٩.
- (١١٠) المصدر نفسه، ص ٨٥.
- (١١١) المصدر نفسه.
- (١١٢) المصدر نفسه، ص ٨٤.
- (١١٣) المصدر نفسه.
- (١١٤) المصدر نفسه، ص ٨٧.
- (١١٥) المصدر نفسه.
- (١١٦) المصدر نفسه.
- (١١٧) المصدر نفسه، ص ٨٨.
- (١١٨) المصدر نفسه.
- (١١٩) المصدر نفسه.
- (١٢٠) المصدر نفسه، ص ٨٨-٨٩.
- (١٢١) المصدر نفسه، ص ٩٩.
- (١٢٢) المصدر نفسه، ص ٨٦.

- (١٢٣) المصدر نفسه، ص ٨٧.
- (١٢٤) المصدر نفسه.
- (١٢٥) المصدر نفسه، ص ٩٣.
- (١٢٦) المصدر نفسه، ص ٨٩.
- (١٢٧) المصدر نفسه، ص ٨٦.
- (١٢٨) المصدر نفسه، ص ٨٧.
- (١٢٩) المصدر نفسه.
- (١٣٠) المصدر نفسه، ص ٨٩.
- (١٣١) المصدر نفسه.
- (١٣٢) المصدر نفسه، ص ٩٢.
- (١٣٣) المصدر نفسه، ص ٨٩.
- (١٣٤) المصدر نفسه.
- (١٣٥) المصدر نفسه، ص ٨٩-٩٩.
- (١٣٦) المصدر نفسه، ص ٩٣.
- (١٣٧) المصدر نفسه.
- (١٣٨) المصدر نفسه، ص ٩٦.
- (١٣٩) المصدر نفسه، ص ٩٧.
- (١٤٠) المصدر نفسه.
- (١٤١) المصدر نفسه.
- (١٤٢) المصدر نفسه، ص ٩٨.
- (١٤٣) المصدر نفسه، ص ٩٩.
- (١٤٤) المصدر نفسه.
- (١٤٥) المصدر نفسه، ص ١٠٤.
- (١٤٦) المصدر نفسه، ص ١٠٠.
- (١٤٧) المصدر نفسه.
- (١٤٨) المصدر نفسه، ص ٨٧.
- (١٤٩) المصدر نفسه، ص ٩٢.

- (١٥٠) المصدر نفسه.
- (١٥١) المصدر نفسه، ص ٩٣.
- (١٥٢) المصدر نفسه، ص ٩٤.
- (١٥٣) المصدر نفسه، ص ٩٢.
- (١٥٤) المصدر نفسه، ص ١٠٠.
- (١٥٥) المصدر نفسه.
- (١٥٦) المصدر نفسه.
- (١٥٧) المصدر نفسه.
- (١٥٨) المصدر نفسه، ص ١٠١.
- (١٥٩) المصدر نفسه، ص ١٠٢.
- (١٦٠) المصدر نفسه، ص ١٠٣.
- (١٦١) المصدر نفسه.
- (١٦٢) المصدر نفسه، ص ١٠٢.
- (١٦٣) المصدر نفسه، ص ١٠٧.
- (١٦٤) المصدر نفسه، ص ١٠٨.
- (١٦٥) المصدر نفسه، ص ١٠٥.
- (١٦٦) المصدر نفسه، ص ١٠٦.
- (١٦٧) المصدر نفسه، ص ١٠٥.
- (١٦٨) المصدر نفسه، ص ٥٨، ١٠٣.
- (١٦٩) المصدر نفسه، ص ١٠٤.
- (١٧٠) المصدر نفسه.
- (١٧١) المصدر نفسه، ص ٩٢.
- (١٧٢) المصدر نفسه، ص ١٠٢.
- (١٧٣) المصدر نفسه، ص ١٠٣.
- (١٧٤) المصدر نفسه، ص ١٠٥.
- (١٧٥) المصدر نفسه، ص ١٠٦.
- (١٧٦) المصدر نفسه.

- (١٧٧) المصدر نفسه، ص ١٠٢.
- (١٧٨) المصدر نفسه، ص ١٠٣.
- (١٧٩) المصدر نفسه.
- (١٨٠) ينظر: امنية حميد حكمة، الصيادلة والعشابون في الاندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠٠٧.
- (١٨١) المصدر نفسه، ص ٩٣.
- (١٨٢) المصدر نفسه، ص ٩٥.
- (١٨٣) المصدر نفسه.
- (١٨٤) المصدر نفسه، ص ٩٦.
- (١٨٥) المصدر نفسه، ص ٩٨.
- (١٨٦) المصدر نفسه، ص ٨٦.
- (١٨٧) المصدر نفسه، ص ٨٦.
- (١٨٨) المصدر نفسه.
- (١٨٩) المصدر نفسه، ص ٨٧.
- (١٩٠) المصدر نفسه، ص ٩٢.
- (١٩١) المصدر نفسه، ص ٩٠.
- (١٩٢) المصدر نفسه.
- (١٩٣) المصدر نفسه، ص ٩٢.
- (١٩٤) المصدر نفسه، ص ٨٩.
- (١٩٥) المصدر نفسه.
- (١٩٦) المصدر نفسه، ص ٩٠.
- (١٩٧) المصدر نفسه، ص ٩١.
- (١٩٨) اول من وضع هذا المذهب العالم كنكة الهندي.
- (١٩٩) المصدر نفسه، ص ٩١.
- (٢٠٠) المصدر نفسه، ص ٩٠.
- (٢٠١) المصدر نفسه، ص ٩٣.
- (٢٠٢) المصدر نفسه، ص ٩٤.
- (٢٠٣) المصدر نفسه.
- (٢٠٤) المصدر نفسه، ص ٩٦.

مسلات النصر السومرية والاكديّة اقدم الوثائق الحربية الاعلامية

المصورة في الشرق الادنى القديم: دراسة تحليلية

م. اشير احمد حسين

الملخص:

امتاز الفكر العراقي القديم بالتجدد والابداع في تنفيذ رؤياه الفلسفية واساليب عرضها وتوصيلها للآخرين، من خلال استخدام العناصر الفنية، بابلغ الصور واكثرها تأثيرا في نفس وحس المشاهد، لترك البصمات المقصودة التي يهدف اليها، لاسيما لاهداف اعلامية ودعائية فضلا عن تخليد الاحداث المهمة التي ساهم في انجازها الملوك والحكام العراقيون القدماء، أذ سُخِرَت اغلب الانجازات الفنية الكبيرة لهذه الشريحة، كونها المتنفذة والقائدة لمقدرات المجتمع(مركز السلطة)، لهذا استخدم هولاء الملوك وسيلة ابداعية لتخليد انجازاتهم من جهة واستخدامها وسيلة اعلامية دعائية للاصدقاء والاعداء على حد سواء، من اجل استعراض قيم وصور البطولة والبسالة والقوة التي يتمتع بها الملك وجيوشه، لترك الرعب والرهبه في نفوس الاعداء وكل من تخول له نفسه بالاعتداء، وكانت المسلات خير وسيلة ابتدعها العراقيون القدماء ووظفها من اجل هذه المفاهيم، لتصبح لوحة كبيرة مصنوعة من اقوى المواد الحجرية لضمان بقائها عبر الزمن خالدة، مخلدة بتفاصيلها الفنية ومشاهدها كل الاحداث التي صورها وانجزها الملوك غالبا، ولتكون وسيلة اعلامية ثابتة للجميع عبر كل الاوقات والفترات الزمنية، حملت بين طياتها مفاهيم ورؤى كثيرة للفكر العراقي القديم، التي تنوعت وتغيرت عبر العصور، بعيدة عن النمطية والرتابة.

المقدمة :

شهد الفن في العراق القديم ارتقاء حضاري متقدم، متفردا بنقلات ورؤى ابداعية على مر العصور وفي كافة مجالاته لاسيما النحت البارز، الذي وظفه

العراقي القديم لاسيما الملوك والحكام، من خلال التعامل مع المشهد الفني لاسيما بالشكل السردى للاحداث، وباسلوب رمزي، تعبيرى وواقعي، لعكس رؤياهم ومفاهيمهم الفكرية، العقائدية والسياسية، بهدف الابهار والتاثير الحسي على المشاهد، وعدم الاقتصار على السرد اللغوي، ليكون بذلك ابلغ تعبيراً وتأثيراً في الآخرين لاسيما كصورة اعلامية للانجازات الملكية، وبالتالي تخليد ذكراهم المعنوي، باستخدام قوة المشهد اكثر من قوة الكلمة، لصعوبة الكتابة المسمارية واقتصار تعلمها على شريحة محدودة من المجتمع، وفي عصر اقتصر فيه الاعلام السمعي على المنادي فقط، الذي تميز بمحدودية التأثير، لعدم استمراريته وثباته، مع فقدان التأثير المعنوي(الحسي) ، لذلك كان السعي الى الاعلام المرئي، الذي تميز بالثبات والاستقرار في مكان خاص، مرئي من قبل الجميع وبشكل باق مستمر، مؤثراً في المشاهد من خلال التمتع والتأمل الذي يفقدها في الاعلام السمعي .

وبسبب اهمية الحدث المصور كان السعي لابرار المشهد الفني المتكامل، وذلك من خلال سعي الفنان لتحقيق اللمسة الفنية الجميلة للمشهد بالاعتناء بجمالية الشكل ودقة تفاصيله، معتمدا المزج بين المضمون المعنوي والشكل الجميل المقبول، ليحوز على الرضى والاستحسان من قبل المشاهد، ببذل اقصى الامكانيات لذلك، ونلاحظ تطور ذلك عبر العصور التاريخية للعراق القديم، حتى نرى في استخدام الاعمدة الكتابية ونثرها على ارجاء المشهد، حالة من حالات الزخرفة لتجميل المشهد اذا جاز لنا التعبير فضلاعن قيمتها التاريخية والتوثيقية للحدث، هذا المزج ما بين الشكل والمضمون، هو من ابرز الابداعات الفنية العراقية القديمة، لاسيما وقد تميز هذا الفن، وبشكل واضح، بالتنوع والتجديد والابتعاد عن النمطية التي ميزت فنون بعض الحضارات الاخرى، تاتي ذلك من التنوع الفكري والجنسي لشعوب هذه البلاد التي ساهمت ارضها في صهر ثقافتهم

في بودقة العراق القديم، ومن ابرز النماذج الفنية التي ابدعتها هذه الحضارة والتي عكست الكثير من الصور الفنية والفكرية بمضامينها وسماتها المتنوعة، هي المسلات .

اهمية البحث :

تعد المسلة نتاج فني وفكري من ابداع الحضارة العراقية القديمة، أذ تعكس في مضمونها، فضلا عن جمال الصورة، رؤى فلسفية وعقائدية كدلالات قصدية ورمزية لاحداث اجتماعية، اقتصادية، تاريخية وسياسية او مضامين عدة مجسدة في قطعة فنية واحدة متكاملة الحبكة. ولمسلات النصر اهمية كبيرة، بما تحمل من مدلولات كثيرة كالتوثيق التاريخي للحدث الحربي والسياسي، والتخليد المعنوي للرمز الملكي والالهي معا، في اغلب الاحيان، المتمثل بصورة الاله الى جانب الملك وهو وكيل الاله او من نسل الاله حسب بعض الاشارات الرمزية لبعض ملوك العراق القديم، كالامير أياناتم كما سيمر بنا، لاضفاء نوع من الشرعية ومباركة الاحداث المصورة والموثقة، وقد يمثل كذلك الملك او الحاكم بمفرده، وفي كلا الحالتين تصور هذه المسلات دلالة رمزية لبطولته واقدامه وشجاعته، فضلا عن الاعلام والاشهار لهذه الصور للجميع من خلال الكلمة والصورة المعبرة بابلغ صورها، لتكون من جانب اخر صورة من صور التهديد والوعيد للاخرين كوسيلة اعلامية مهمة رصينة وثابتة وخالدة، تمثل نموذجا مهما من نماذج الحرب النفسية للعدو والصديق على حد سواء، أذ تجتمع اكثر من صورة وتعبير في قطعة فنية، غالبا ما تكون من الحجر، لتغطي موضوعا سياسيا وحربيا يحمل قيما تاريخية متعددة ما بين التخليد، الوعيد والاعلام فضلا عن عناصر ومظاهر حضارية مهمة اخرى تنتظر ان تكون مادة دراسية مهمة للباحثين .

كشفت لنا هذه المسلات ابعادا كثيرة نستطيع من خلالها بناء رؤى تحليلية لمظاهر فكرية، اجتماعية وعقائدية، ربما تكون صورة جديدة او منظور جديد

لمعلومات أقدم، لأنها تعطي فرصة كبيرة للتحليل والدراسة لتنوع مضامينها، وهنا تأتي أهمية مثل هذه البحوث لبعض المظاهر والنشاطات الموسوعية والشمولية في المجتمع العراقي القديم، فضلا عن ذلك توفر بعض الترجمات الجديدة باللغة الأجنبية لبعض النصوص المسمارية المدونة على قسم من هذه المسلات لاسيما مسلة النسوراء العقبان، لناخذ دور متواضع بترجمتها الى العربية بشكل كامل لما له من أهمية في الكشف عن بعض المدلولات.

المسلة : تسمية ومضمون

شاع استخدام هذه المفردة عند علماء الآثار للدلالة على النُصب الأثرية القائمة أو العمودية المستندة غالبا على قاعدة لتثبيتها على الأرض، ذات شكل طولي مستقيم^(١)، وبارتفاعات متفاوتة لكنها غالبا ما تزيد عن متر ونصف حتى مترين وأكثر^(٢)، ويتفاوت عرضها في حدود المتر حتى يتجاوز المتر قليلا أحيانا، وهي نماذج متقدمة، مع وجود نماذج بسيطة من المسلات لا يزيد ارتفاعها عن المتر الواحد وعرضها أقل من نصف المتر، صنعت أغلبها من مادة الحجر وبأنواعه المختلفة، كالديوريت (البازلت)، الحجر الرملي، الجيري (اللايمستون)، الرخامي (الالباستر) وغيرها^(٣)، لينفذ عليها مشاهد فنية لتصوير حدث ما بالنحت البارز (Relief)، مع توثيق التفاصيل بالكتابة المسمارية غالبا، باستخدام الوجه الأمامي، أو وجهي المسلة في أكثر الأحيان لهذه العملية أو محيطها كله، حسب ما يفرضه الشكل المُعد لها، مما يشير الى أنها كانت تقام بمنطقة مركزية، يمكن مشاهدتها من جميع الجهات .

تعني تسمية المسلة في اللغة العربية الابرة^(٤)، وهو معنى ملائم لشكل المسلة الطولي والممدود، لاسيما المسلات المصرية ذات القمة المدببة، اما في اللغة الانكليزية فاستخدمت مفردة (stela, stèle) وجمعها (stelae)، وهي ذات اصول اغريقية لها علاقة مع مفردة (stylos) والتي تعني العمود^(٥)، وهي تشير

الى نوع المسلات غير المضلعة ذات الوجه والوجهين، اما مفردة (obelisk) فهي تعني المسلة ايضا لكن بشكلها المضلع الرباعي بزوايا قائمة، ذات قاعدة رباعية ترتفع بشكل طولي مستقيم كذلك ولاارتفاعات مختلفة، ولكن بقمته المتميزة بشكل هرمي كما في مسلات مصر القديمة^(٦)، التي تسمى بالهرمية او بنبت (بالمصرية القديمة)^(٧)، اما في العراق القديم لاسيما في العصر الاشوري الحديث، فتميزت مثل هذه المسلات (المضلعة)، لاسيما مسلات النصر، وبقمتها بالشكل المدرج^(٨)، يشبه الى حد بعيد شكل الزقورة، وذلك ربما لدلالات عقائدية، ومن المحتمل ان يكون هناك نوع من التأثير والتاثر ما بين الحضارتين المصرية والعراقية بهذا الجانب، مع اختلاف الرؤية الرمزية للشكل، اما المسلات الاخرى فقد تميزت غالبا ومنذ العصر السومري القديم بقمة محدبة نصف دائرية او مقوسة، ربما لدلالات ما، تتعلق بكروية السماء او الكون، كون اعلى المسلة يمثل المستوى الاعلى من البصر وهي السماء، اومن خلال التأمل بشكل القوس قرح كظاهرة طبيعية مميزة، والمعروف بالمفردة الاكديّة (marratu)، من خلال الاشارات الكثيرة له، بامتداده من الشرق الى الغرب^(٩)، وقد يكون نوع من التيمن بشكل الهلال وهو في السماء، وربما هي انعكاس لمفهوم الاحاطة لما موجود ضمن حنايا المسلة يشكل عام .

اما في اللغة السومرية فقد استخدمت مفردة (na-ru-a) للدلالة على المسلة^(١٠)، ومنها مفردة (naru) في اللغة الاكديّة (الجزرية)^(١١)، اذ اشير بها الى جميع انواع المسلات ومنها احجار الحدود (الكودورو)، التي تعد وثيقة بملكية الارض مصورة ببعض المشاهد والرموز الدينية، ويشير بعض الباحثين الى ان بعض من هذه الكودورو، كانت تعد احدى المصادر التاريخية المهمة، كونها تغطي ببعض تفاصيلها، الانجازات الملكية الحربية والانتصارات العسكرية، مثل كودورو شيتي مردوخ، التي يُسرد فيها انتصار الملك نبوخذنصر الاول على

العيالبيين^(١٢)، الا اننا لانستطيع عدها كمسلات انتصار، بسبب وظيفتها المعروفة

نُفِّدَت على هذه المسلات مواضيع مهمة، تميزت اغلبها بكونها من الانجازات الملكية المهمة بشكل عام، تباينت ما بين الاجتماعية، التذكارية، الدينية والعمرانية ومنها على سبيل المثال مسلة مانشتوسو، كوديا (امير سلالة لكش الثانية)، اورنمو (مؤسس سلالة اور الثالثة) ومسلة حمورابي (الملك السادس لسلالة بابل الاولى) التي دون عليها قانونه الشهير، وهناك المسلات السياسية والحربية التاريخية، التي تخلد الانجازات البطولية للملوك كحملات الانتصار (موضوع البحث)، الغاية منها توثيق وتخليد هذه الانجازات، وان تكون صورة اعلامية مرئية موثقة للجميع من داخل البلاد وخارجها، لذلك تعد المسلة واحدة من الوسائل المستخدمة لتوثيق الاحداث لتكون بحد ذاتها وثيقة من الوثائق الخالدة، فليس الغاية هي المسلة بل المضمون الوثائقي المتميز بالمشهد والنص، اي وثيقة بمضمونها ومعناها ومسلة بشكلها، لذلك ان الوثائق التاريخية واحدة في كل العصور والازمان، مع اختلاف المادة والاشكال المستخدمة في التوثيق، حتى اصبحت كتباً ومجلدات وافلام مصورة عبر العصور الى الوقت الحاضر، لتكون المسلات في العراق القديم من اولى واقدم الوثائق الحربية المدونة والمصورة .

من الجدير بالذكر الاشارة الى ان اهم ما تميز به فن النحت البارز، في اغلب القطع الفنية لاسيما المسلات، هو اسلوب الطابع السردى القصصى للحدث، من خلال التعامل مع اكثر من مشهد بشكل متتابع، لتفسير الحبكة الرئيسة من الحدث وتفاصيله، مع وجود مشهد رئيس (ملفت للنظر) لاسيما الشخصيات ملوك او آلهة، مميز بارز في اللوحة وهو محور الحدث العام^(١٣)، الذي يتميز باهميته من خلال حجمه المبالغ به نسبة الى المشاهد الاخرى، ليكون ذلك مفهوماً ومحسوساً من قبل المشاهد دون الرجوع الى التوثيق الكتابي، لاسيما

في الاحداث التاريخية المتميزة بتفاصيلها التي تكون غالبا مجهولة من قبل العامة الذين يجهلون قراءة النص لصعوبة التعلم انذاك^(١٤)، أذ يتميز هذا الطابع السردى بتقسيم السطح المنحوت الى حقول افقية عدة، يفصل بينها اطر او اشربة بارزة، متحليا كل مشهد بخصوصيته من جهة وعلاقته مع المشهد الاخر الذي يليه من جهة اخرى، وهذه السمة اتصف بها الفن السومري بعصره القديم، مع ترك تاثيراته في الفن الاكدي لاحقا، رغم تميز الاخير بأسلوب اخر جديد، فضلا عن القديم، وهو توحيد المشاهد بمتابعتها ودلالاتها، متناسقة ومنسجمة كوحدة متكاملة في منظر واحد، مع بقاء المشهد الرئيس المتميز (الملفت للنظر)^(١٥).

مسلات النصر: وثيقة تاريخية خالدة

تعددت اسباب الحروب على مر العصور التاريخية، منها الاقتصادية، الدينية، السياسية والفكرية ومنها لاطماع وطموحات شخصية، فبشكل ما كان هناك صراع ما بين جانبين او اكثر ليكون نتيجة ذلك اما الانتصار او الهزيمة، وارتباط القوة والمجد والسلطة والاقتدار مع الملك المنتصر لاسيما اذا ما كان موكلا من قبل السلطة الالهية، باضفاء الشرعية لهذه الانجازات، لذلك سعى الملوك المنتصرين في العراق القديم بتوثيق انتصاراتهم وتدوين تفاصيلها، غالبا ما على المسلات تخليدا معنويا لهم، واستخدامها كصورة اعلامية للابهار والتاثير الحسى في النفوس من خلال اظهار معالم القوة، الجبروت والسلطة للملك، الذي سعى لان تكون مثل هذه المسلات اثارا خالدة، من خلال صنعها من مادة الحجر التي تعد من المواد القوية والمتينة التي لاتبلى عبر الزمن خالدة، وهذا ما نستشفه من بعض الاشارات الكتابية " دعه يكتب انتصاراته وحملاته العسكرية الى هذه المسلة لتكون ذكرى ابدية(مستمرة)"^(١٦)، فضلا عن كتابات ملكية كثيرة لاسيما الاشورية تعكس تفاصيل كثيرة تتعلق بهذا النوع من المسلات.

تعرضت هذه المسلات للتدمير والتحطيم بشكل قصدي من قبل الاعداء، لطمس معالم هزيمتهم لاسيما بفترات ماضية وثقتها هذه المسلات، اوبغرض التتكيل عند احتلال المدن، كون هذه المسلات تعد من اهم الرموز السياسية ذات الاثر النفسي في تمجيد الهوية الوطنية، والمعروف ان الكثير من الاثار العراقية القديمة لاسيما الاكديّة^(١٧)، وكذلك مسلة حمورابي، كُشِفَتْ في بلاد عيلام (جنوب غرب ايران)، كانت قد سُلِبَتْ كغنائم من قبل الملك العيلامي شتروك ناخونتي بعد احتلاله لمدينة بابل ومدن اخرى (١١٧٠ ق.م)^(١٨).

صُنِعَتْ هذه المسلات من مادة الحجر وبانواع عديدة كما اشرنا سابقا، وهي من المواد الضرورية والمهمة، والتي تعد من المواد النادرة في المناطق الجنوبية والوسطى من العراق القديم، مهد الحضارة السومرية والاكديّة، ماعدا المنطقة الشمالية الجبلية، مهد الحضارة الاشورية، التي تعد مصدرا مهما للحجر الكلسي^(١٩)، اما انواع الحجر الاخرى المهمة كالديورايت، فكانت مصادره الرئيسة من بلاد مكان (مجان)، والتي يشير اليها الباحثون الى انها مدينة عمان او المنطقة التي تشمل جانبي الخليج العماني^(٢٠)، وهذا ما ذكره الامراء والملوك السومريون والاكديون، متفاخرين بجلبه اما بطريق الحرب كغنائم او من خلال التجارة^(٢١)، لصنع تماثيلهم المهمة ومسلاتهم.

وما يشير الى ابداع الفنان العراقي القديم المتميز، هو التعامل الفني مع مثل هذه الانواع القاسية من الحجر، وهي غير مالوفة في محيطه البيئي، وكذلك اسبقيته عن باقي الحضارات الاخرى، كالمصرية القديمة، في انجاز اولى المسلات الحجرية، التي نستطيع في الوقت نفسه من عدها، اذا جاز لنا التعبير، من اقدم مسلات النصر، وهي مسلة الاسود (شكل-١)، المصنوعة من حجر الديورايت والتي تعود الى عصر الوركاء ما يقارب (٣٢٠٠ ق.م)، والمحفوطة في المتحف العراقي^(٢٢)، بارتفاع ٨٠سم، وعرض ٥٧سم، وسمك ٣٧سم، بيضاوية الشكل،

وبوجه امامي مهذم فقط، مكسورة من الجانبين^(٢٣)، وربما يكون هذا هو شكلها الاصلي بهيئة غير قياسية مع مجرد تشذيب الجوانب، ربما يعود ذلك الى البدايات الاولى للتعامل مع هذه النوعية من الاعمال، وربما فرض ذلك شكل الحجر وحجمه الاصلي المستحصل عليه، ومحاولة استغلال كامل الوجه بتوزيع المشاهد بعد صقله وهندمته، وتصور هذه المسلة صراع احد الكهنة- الحكام (priest-king)، انذاك مع الاسود وانتصاره عليهم، وبسلاحين احدهما الرمح والاخر القوس، يوضحهما المشهدين المنحوتين بالنحت البارز^(٢٤)، واشرت كونها قد تكون مسلة نصر، لانها توثق الانتصار بمعناه الحقيقي ضد الشر او الاذى الذي يسببه الاسود للمجتمع، مع تخليد قوة وسلطة الحاكم.

تعد مسلة النصور او العقبان من اقدم مسلات الانتصار العراقية القديمة، التي حازت على السمات التاريخية والفنية بشكل متكامل ومقبول، وتعود الى عصر فجر السلالات الثالث (٢٥٥٠ ق.م) من العصر السومري القديم، وهي اقدم مسلة انتصار في حضارات الشرق الأدنى القديم، لاسيما الحضارة المصرية القديمة، أذ ان اقدم نماذج مسلاتها كانت عبارة عن الواح حجرية مستوية، منحوتة بالنحت البارز، استخدمت كشواهد للقبور الدفنية لاسيما لقبور او مدافن الملوك، والتي توضع بمكان الباب (المدخل) الوهمي للقبور لاسيما في عصر الاسرتين الاولى والثانية^(٢٥). اما كمسلات انتصار فاستخدمت لأول مرة بشكل واضح لتخليد انجازات الملوك في عصر الاسرة الثامنة والتاسعة عشر، ومنها مسلة الملك كاموس الذي خلد فيها انتصاره على الهكسوس (١٥٧٠ ق.م)^(٢٦)، مسلة الملك تحتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ ق.م) والملك رمسيس الثاني (١٣٠١-١٢٣٤ ق.م)^(٢٧)، وهذا لا ينفي وجود لوحات مصرية تمثل احداث لانتصارات حربية لكنها ليست بمسلات مثل ما يعرف بصلاية (قطعة حجرية صغيرة لطحن كحل العين) الملك نارمر او مينا ومقمة (راس دبوس او صولجان) الملك العقرب

والتي تعود الى مرحلة عصر بدايات الاسر الحاكم في مصر القديمة ما يقارب
نهاية الالف الرابع ق.م^(٢٨).

مسلات النصر والكتابات الملكية:

مما يؤسف له، لم نستطع التوفيق الى بعض الكتابات الملكية السومرية
والاكديّة التي تشير الى اقامتهم مثل هذه المسلات او تفاصيل عنها، كالسبب
والغاية ومكان اقامتها، ربما لقصور من قبلنا، او ان الكثير من النصوص
المسمارية قيد الدراسة والتحليل من قبل علماء المسماريات، قد تكشف لنا مستقبلا
عن الكثير من المضامين، علما ان اكثر الكتابات الملكية السومرية والاكديّة، التي
تميزت باقتضابها، غطت الكثير من الانجازات العمارية لاسيما ابنية المعابد، فتح
القنوات، الاصلاحات القانونية والحملات الحربية، لكن دون الاشارة الى تخليدها
في مسلات خاصة، ماعدا اشارة للملك انتمينيا(سلالة لجش الاولى) للمسلات
والنصب التي اقيمت ومنها مسلة الملك مسيلم ملك كيش اثناء الصراع ما بين
المدينتين الجارتين اوما ولجش^(٢٩)، والتي سناتي على ذكرها لاحقا، وربما تكون
هذه المسلات كاحجار حدود (كودورو)، لذلك ارتأينا ان نشير الى بعض الكتابات
الملكية الاشورية، على الرغم من انها خارج حدود الحقبة الزمنية للبحث، التي
تميزت بشموليتها وطولها وغزارة تفاصيلها، وهي تنقل ذات الرؤى والمفاهيم
الفكرية، باحتمال كبير، للسومريين والاكديين، لما تميز به الفكر العراقي القديم
بالتواصل والانسجام ما بين شعوبه وثقافته عبر العصور، مع وجود صلات قرابة
الدم الجزري بينهم، لاسيما ما بين الشعب الاكدي والاشوري، ومن خلال هذه
النصوص نستطيع ان نستنتج بعض التفاصيل عن هذه المسلات وكذلك الكثير
من الاشارات التاريخية التي توضح سبب اقامة مثل هذه المسلات وذلك للاعلام
والتخليد المعنوي والترهيب من خلال عرض قوة وسلطة الملك المحارب فضلا عن

تحديد مكان اقامتها في مراكز مهمة كارض المعركة والمعبد ومركز العاصمة من خلال نسخ عدة وذلك باحتمال كبير.

يشير الملك الاشوري شمشي ادد الاول (١٨١٣-١٧٨١ق.م) في احدى نصوصه ((في ذلك الوقت استلمت الضرائب من ملوك بلاد توكرش وملوك البلاد العلوية واقمت مسلتي العظيمة وعليها اسمي في مدينة لابان (la-ab-an) على ساحل البحر العظيم))^(٣٠). اما الملك اشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ق.م) فيذكر في احدى نصوصه ((انا تسلفت جبال الامانوس وصنعت مسلة (نَحْتُها) وكتبت عليها انجازاتي البطولية واقمتها هناك))^(٣١)، ليشير ابنه الملك شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ق.م) بنص ((انا صنعت مسلة تصورني كملك ومحارب جبار وكتبت عليها انجازاتي الحربية في ساحل البحر العظيم واقمتها على الساحل بمواجهة البحر))^(٣٢)، وللملك نفسه نص اخر يذكر فيه اقامته لمسلة انتصار على منبع نهر سالوارا عند اقدام جبال الامانوس^(٣٣). ويطلعنا الملك تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م) بنص ((انا اسرت مدينة كازا واقمت تمثالي ومسلتي ووضعتها في قصر حاكمها))^(٣٤). ويدون الملك سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ق.م) في احدى نصوصه ((تلك المدن انا حاصرتها ودمرتها وطاردت شعبها المتمرد على قمم الجبال وهزمتهم، انا اقمت مسلة تذكارية وكتبت عليها انتصاراتي واقمتها في وسط المدينة المهزومة))^(٣٥)، وبعبارات قوية واثقة ومعبرة يشير الملك اسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ق.م) بنص ((انا صنعت مسلة باسمي كتبتها واسم الاله اشور سيد انجازاتي الشجاعة والباسلة، وقوة يدي المنتصرة، اقمتها لاجل ان ينظر اليها كل الاعداء ولكل الوقت))^(٣٦).

((مسلات النصر في العصر السومري القديم))

يعد هذا العصر من اولى العصور التاريخية المهمة في العراق القديم، وقد ساد فيه الشعب السومري من حيث السيطرة والسلطة للمدة من (٢٨٠٠-

٢٣٧٠ ق.م)^(٣٧)، بتشكيلة سياسية عبارة عن دويلات مدن مستقلة، ويقسم هذا العصر كما يشير بعض الباحثين الى ثلاثة عصور ثانوية، سميت بعصور فجر السلالات الاولى والثاني والثالث، تميز الثالث منها، الذي يقسم بدوره الى دورين، بكثرة مخلفاته الفنية والتاريخية لاسيما النصوص الملكية^(٣٨)، منها الاشارات الاولى للحملات الحربية، فضلا عن المشاهد الفنية التي تجسد تلك الحملات المنتصرة ومظاهر الاحتفال والفخر بها وبعض ما يتعلق بشؤون الجيش ونظامه .

راية اور الملكية ام وثيقة او مسلة اور الحربية :

مما يؤسف له، على الرغم من تميز هذا العصر بغزارة مادته الفنية والتاريخية، الا ان هناك ندرة في مسلات النصر الحربية المصورة، الا من واحدة لها اهميتها المتميزة وهي مسلة النسر، التي سنأتي على ذكرها لاحقا، لكن هذا لا يمنعنا من الإشارة الى واحدة من القطع الفنية المصورة، المميّزة بتخليدها لمشاهد الحرب والانتصار، وتفاصيل اخرى لها اهميتها في الدراسات العسكرية والسياسية، فضلا عن قيمتها كمادة اعلامية، الا انها لا تعود الى نوع المسلات اوفن النحت البارز .

كُشِفَت هذه القطعة الاثرية المهمة في احدى حفر دفن مقبرة اور الملكية، في مدينة اور^(٣٩)، التي تعود الى عصر فجر السلالات الثالث، دون تحديد تاريخها بدقة^(٤٠)، أذ يشير بعض الباحثين بانها تعود الى العهد الذي يعقب سلالة اور الاولى مباشرة^(٤١)، وهي عبارة عن صندوق خشبي صغير الحجم مستطيل الواجهة، بارتفاع ٢٠سم وطول ٤٧سم محفوظة في المتحف البريطاني^(٤٢)، (شكل-٢)، وجِدَت بالقرب من الكتف الايمن لاحدى الشخصيات المدفونة، وقد اشار المنقب والباحث السير ليونارد وولي، مكتشف هذه القطعة ومرمم اجزائها، الى استعمالها ربما على سارية من قبل هذه الشخصية، وهو احد الجنود على الاغلب، لتشكل راية لمدينة اور في الحرب^(٤٣)، وقد عُرِفَت بين الباحثين بهذه

التسمية على الرغم من عدم وجود أي دليل حقيقي يثبت ذلك^(٤٤)، ولهذا لايعرف الغرض منها بالتاكيد^(٤٥).

نُفِدت مشاهد هذه القطعة بواسطة التطعيم من مواد مختلفة، كالصدف والالزورد وقطع صغيرة من الرخام الاحمر، تم تثبيتها بالقيصر على ارضية خشبية، وتوزعت هذه المشاهد على واجهتي وجانبي هذه القطعة، ضمن ثلاثة حقول مفصولة باطر مستطيلة^(٤٦)، لتعكس لنا صورة من السرد القصصي للاحداث بطريقة مفهومة وواضحة، لاسيما بغياب النص الكتابي^(٤٧)، والموضوع الرئيس لهذه المشاهد، تصوير لاحداث احدى الحملات الحربية المنتصرة والاحتفال بهذا النصر^(٤٨). وتأتي قيمة هذه القطعة، فضلا عن الموضوع، من قيمة المواد الثمينة المستعملة في التطعيم، لذلك فان هذه من الاسباب التي تستدعي حفظها في مكان مهم، لا تتعرض فيه الى العنف او الحركة المستمرة، ومن اهم هذه الامكنة ربما هي القصر الملكي وقاعة العرش، لتكون في موضع مركزي متميز وواضح للجميع، يخولهم من الاطلاع على جميع الالوجه، كوثيقة ولوحة اعلامية، لاسيما وهي تخلد انتصار ملكي في حملة حربية ما على احد وجهيها، مع تخليد مناسبة الاحتفال بالنصر على الوجه الثاني منها، لذلك نرى ان جاز لنا التعبير، بموجب هذه الحثثيات، ان نسميها مسلة اور الخشبية، والتي تعد ربما الفكرة الاولى او النموذج الرائد لمسلات النصر الحربية بعد ذلك، وربما يكون الجندي او الشخص التي وُجِدَت بمعيته هو الحارس او الحامي لها والمسؤول عن ادامتها لانها رمز وطني مقدس لذلك رافقته الى القبر كفرد من افراد الحاشية الملكية، بصرف النظر عن اسباب اقامة هذه المقبرة الملكية .

صُمِمَت هذه اللوحة بشكل مميز، أذ ان جوانبها لم تاخذ الشكل المستطيل القياسي، فكانت بشكل مثلث مقطوع الرأس ليكون عرض القاعدة اكثر من القمة، ليخلق ربما زاوية ميل للوجهين الى الخلف قليلا، وذلك لتسليط النور على المشاهد

وخلق بعد بصري مريح للعين، وربما ليكون مركز الثقل في القاعدة اكثر مما هو في القمة لزيادة الثبات والاستقرار كونها تعد من ذوات الوزن الخفيف، فضلا عن ذلك فقد تميزت كما سنرى لاحقا باغفالها لاي شخصية او اشارات ورموز آلهية لاسيما لآلهة المدينة، ودفنها في المقبرة الملكية كجزء من ممتلكات خاصة، وعدم استخدامها كمُلكية عامة كرمز للمدينة، ومن كل ماسبق سيكون من الصعب تصور هذه القطعة الفنية النادرة كونها راية ما، وانما انجاز ملكي، بصرف النظر عن مجهولية الاسم، يخلد ويوثق بالمشهد، احداث حربية مهمة مع تمجيد الانتصار فيها .

يصور الحقل الاعلى لاحد اوجه هذه اللوحة المشهد الرئيس (الملفت للنظر)، وهو عبارة عن شخصية مميزة بحجمها الضخم نسبة الى باقي الشخصيات الاخرى، ربما يكون الحاكم او الملك^(٤٩)، لاعتماد مبدا مكانة الشخص بدلالة الحجم في الفن العراقي القديم، لاسيما في الفكر السومري، ليظهر هذا الملك بلباسه الحربي معتمرا خوذة قتالية، ممسكا بصولجان او ربما سلاح ما، وهو يستعرض مجموعة من الاسرى العراة مقيدي الايدي، مقادين من قبل الجنود بواسطة حبال مربوطة برقابهم^(٥٠)، ومن الاسرى من كان معصوب الاعين، اما خلف الملك فيقف الحرس الخاص به والعربة الملكية وهي مسحوبة باربعة حمير مع سائسها قصير القامة^(٥١) .

غالبا ما يكون المشهد الرئيس في الحقل الاعلى، على الرغم من تتابع الاحداث التي تبدا من الحقل الاسفل، الذي يصور احداث المعركة في ساحة القتال، بداية من هجوم العربات الحربية المدججة بالجنود والاسلحة، تجربها اربعة من الحمير وهي تسحق القتلى من الاعداء بقوائمها، وربما تعد العربات من الاسلحة الثقيلة بمثابة الدبابات والدروع في الجيوش الحديثة لذلك تكون في المقدمة، ليأتي دور الجنود المشاة بصفوف قتالية نظامية عبارة عن ارتال منفردة،

وهذا ما يصوره الحقل الثاني الاوسط، وهم بقيافة حربية كاملة، يتقدمهم جنود خفيفي الحركة بتجهيزات حربية قليلة^(٥٢)، يساعدهم ذلك في الحركة السريعة ومباغثة الاعداء وقتلهم او اسرهم .

اما الوجه الاخر من اللوحة فيعرض لنا في حقله الاعلى شخصية الملك نفسه، كمشهد رئيس، بلباس مدني حاسر الراس، جالس في مأدبة او مجلس احتفالاً بالنصر، بذات الطول المميز عن الاخرين الذين يجلسون امامه كحاشية له او شركاء له بالحرب، يرفعون اقداح الشراب بايديهم اليمنى احتفاءً بالنصر، وبوجود الطرب بعزف القيثارة والغناء ربما من قبل مغنية^(٥٣)، بشعر طويل مميز، ربما لتمييزها عن الرجال وهم حليقي الراس . اما الحقل الاسفل فيصور لنا نتائج الانتصار بشكل مرتبط مع الوجه الاول من خلال استعراض الغنائم المستحصل عليها من قهر الاعداء وهي محمولة على اكتاف الجنود والتابعين فضلا عن الحمير المؤسرة^(٥٤)، لنرى بعد ذلك في الحقل الاوسط، وهو يمهد للحدث في الحقل الاعلى، موكب من الجنود او التابعين يقودون انواع من الحيوانات كالثيران والخراف والماعز وحمل الاسماك، وهذا من سخاء وكرم هذه الارض كما يشير بعض الباحثين^(٥٥)، ربما وباحتمال كبير من اجل وليمة الاحتفال بالنصر او كاضحيات باحتمال اقل.

مسلة اور نانشه ملك لكش:

خَلَفَتْ مدينة لكش^(٥٦)، اثارا فنية وتاريخية غزيرة، لها اهميتها في تاريخ حضارة العراق القديم، لاسيما بسلالتها الاولى ومؤسسها الملك اورنانشه (٢٤٩٤-٢٤٦٥ ق.م)^(٥٧)، الذي سجل الكثير من انجازاته في نصوص وصل إلينا الخمسين منها، خلد ووثق فيها بناءه لمعابد الالهة، حفر القنوات، بناء سور المدينة واقامته لتمائيل الالهة^(٥٨)، ومنها اقدم اطول نص تاريخي وصل الى يد الباحثين لحد الان^(٥٩)، دون على قطعة من الحجر، وهي ربما تكون جزء من مسلة لهذا الملك

كما يشير بعض الباحثين، وقد استعملت هذه القطعة في فترة لاحقة من عصر فجر السلالات كصنارة حجرية لاجد الابواب(قاعدة محورية)^(٦٠)، وهي بشكل غير قياسي بعرض ٣١،٥سم، وطول ٣٤،٣سم، وسمك ٥،٥سم^(٦١)، (شكل - ٣)، كُشِفَتْ في تلو^(٦٢)، دون عليها انجازات هذا الملك على كلا الوجهين، ولربما ان ما اشير اليها كونها مسلة، قد يعود الى سمكها والى كتابتها من الوجهين، وما يميز هذه القطعة، اختلاف الموضوع ما بين الوجه الخلفي، الذي يوثق فيه انجازات الملك العمارية بسرد اسماء الالهة التي شيد لها المعابد، حتى سُمّي هذا الوجه او الجانب من قبل بعض الباحثين بالجانب السلمي^(٦٣).

اما الوجه الامامي فقد خُصِصَ الى حملات هذا الملك الحربية واشارات النصر، ليطلقوا عليه بعض الباحثين تسمية الجانب الحربي^(٦٤)، الذي استعرض فيه الملك انتصاره في القتال على كل من مدينة اور واوما^(٦٥)، المدينة الجارة والحدودية لمدينة لكش، اذ يشير النص (([اورنانشه]، ملك مدينة لكش، ذهب للحرب ضد رجل اور ورجل اوما، رجل اور انهزم وتم اسر قائد السفن وحامل الختم وقائد الضباط والجنود، وجعل من قتلاهم اكوام واقام تلال دفنية، رجل اوما انهزم، الضباط والقادة لوباو بيلالا تم اسرهم، وبابيل كال توكو حاكم اوما تم اسره، الضابط اوربوساك تم اسره، رئيس التجار تم اسره، امبراكسي المراقب.....وجعل من رجال اوما (قتلاهم) تلول واكوام))^(٦٦). وفي هذا النص من بين اشاراته المتعددة، الاشارة الى ان حاكم مدينة اوما اسمه بابيل كال توكو في هذه الفترة وهي اشارة تاريخية مهمة، وتم اسره لكن دون الاشارة الى مصيره، فضلا عن ذلك هنا نجد اول اشارة حول عبارة اقامة التلال الدفنية لقتلى العدو في موقع المعركة وهي احدى دلائل النصر^(٦٧)

مما يؤسف له ان هذا الاثر الفريد لم يصل الينا كاملا، شكلا او كتابتا، فلا نستطيع التخمين حول مكان وجوده الاصلي او الغرض الحقيقي منه، الا ان

وجود مثل هذه القطعة المتبقية منه واستخدامها كصنارة حجرية وفي فترة لاحقة ربما يشير هذا الى وجودها الاصلي ضمن قصر الملك او مكان اقامته او ربما كانت محفوظة في المعبد الرئيس للمدينة، وتحطيمها فيما بعد من قبل احد اعداء والتكامل بها، ومن المحتمل ان هذه القطعة هي جزء من مسلة مصورة او بمشهد فني يخلد الملك اورنانشه، ربما وهو بهيئة قتالية او بهيئة اخرى، كما نراها واضحة في اللوح الجدارية النذرية العديدة له^(٦٨)، ومع عائلته غالبا، منها مشاركا بعمليات البناء والتعمير لاسيما المعابد، لتخليد شخصيته بالذات، والتميزة بحجمها الكبير، للاشارة الى مكانته في المجتمع، وهكذا نسبة الى افراد عائلته ومكانتهم، مع اغفال تصوير الشخصيات الالهية بشكل ملحوظ، وهذا ما نستشفه كذلك في النص اعلاه من خلال عدم ذكر أي اشارة للالهة في مجريات الحرب او حتى مباركتها لها، أذ يشير بعض الباحثين الى ان شكل آلهة الحرب لم تتبلور في هذه الفترة كسادة للحرب، واقتصارها على منح الخير والعطاء كآلهة للخصب والربيع، وان كان ذلك لايمكن التاكيد منه من خلال نص واحد^(٦٩)، ومن ناحية اخرى لربما شعور هذا الملك بقوته وجبروته وسلطته، التي عرفنا انها وصلت الى جنوب الخليج العربي من خلال افتخاره بوصول سفن دلمون الى مدينة لكش وقد جلبت له الاخشاب كاتاوة^(٧٠)، وكذلك اللوح النذرية التي تخلد اثاره، وقد لاحظنا هذه الرؤية باغفال الاشارات الالهية في راية اور كذلك، يشير ذلك ربما الى الرؤية الانسانية للاحداث واهمية الدور البشري في تقرير المصير، وتخليد اثاره والاعلام عنها، لاسيما في ميادين الحرب والسياسة التي تظهر السلطة والقوة والجبروت، وربما هذا ايضا لتحديد وتحجيم سلطة الكهنة في تلك الفترة .

مسلة النصور لامير لكش أياناتم :

تعد هذه المسلة (شكل-٤٤أ)، اذا جاز لنا التعبير، واحدة من اهم القطع الفنية للعصر السومري القديم، ومن اهم مسلات النصر للعراق القديم لغاية العصر

الاشوري الحديث، بسبب تكاملها الفني والوثائقي، بجمعها المشاهد الفنية (بما تبقى منها)، التي تتناول احداث حربية تاريخية مهمة بشكل سردي معبر، فضلا عن سرد تفاصيل مهمة لهذه الاحداث باسبابها ونتائجها وحيثيات اخرى باللغة السومرية، دونت بالخط المسماري بحقول واعمدة متناثرة بشكل جميل مميز بين حنايا المشاهد، كقيمة تاريخية وزخرفية في ذات الوقت، ليشير بعض الباحثين ان هذه الاعمدة الكتابية قد غطت في بعض الاحيان المشاهد نفسها لتضيف جمالية ما دون تشويه^(٧١).

يعد امير او حاكم مدينة لكش أياناتم (٢٤٥٤-٢٤٢٥ ق.م)^(٧٢)، من اقوى حكام وملوك سلالة لكش الاولى، وهو ابن اكوركال وحفيد الملك اورنانشه، وقد اقام هذه المسلة لتخليد وتوثيق انتصاره الكبير على مدينة اوما، بسبب الصراع على الارض الزراعية الحدودية ما بين المدينتين والمعروفة بـ (حقل كوايدينا). وكُشِفَ عن بقايا المسلة وهي عبارة عن قطع صغيرة وكبيرة مع ضياع، ومما يؤسف له، القسم الاكبر من المسلة، لتكشف بدورها على الرغم من ذلك الكثير من المعلومات المهمة، من خلال ربط هذه القطع وتخمين بعض من اجزاءها المفقودة من قبل الباحثين، استنادا الى دراسات مقارنة فنية وتاريخية^(٧٣)، (شكل-٤ب).

أُكشِفَت بعض الاجزاء منها، باديء الامر، من قبل البعثة الفرنسية في تلو(كيرسو) عام ١٨٨٤م^(٧٤)، وقسم اخر عام ١٨٨٨-١٨٨٩م^(٧٥)، مع الكشف عن قطعة منها محفوظة في المتحف البريطاني تم التعرف عليها مصادفة، ومحاولات مجتهدة من قبل الباحثين، لاسيما ليون هيوزي لتشكيلها من خلال جمع اجزائها^(٧٦)، والمسلة محفوظة الان في متحف اللوفر، صُنِعَت من الحجر الكلسي (اللايمستون)^(٧٧)، قدرت ابعادها بارتفاع ١,٨٨م وعرض ١,٣م وسمك ١٠سم^(٧٨)، بقمة محدبة قوسية، استعرضت الاحداث بطريقة السرد القصصي من خلال حقول مفصولة بأطر بارزة عن مستوى الارضية المنحوتة بالنحت البارز، وقد نُفِذَت

مشاهد هذه المسلة على كلا الوجهين والجوانب، بحقلين في الوجه الامامي واربعة حقول في الوجه الخلفي .

مُثِّلَ في الحقل الاعلى من الوجه الامامي، الاله ننكرسو وهو بحجم كبير مبالغ به ليغطي كامل الحقل لاهمية مكانته^(٧٩)، ملتحٍ بلحية كثة وبشعر طويل ينساب على كتفيه، يمسك بشبكة الحرب المقدسة بيده اليسرى^(٨٠)، ويشير بعض الباحثين الى ان الشبكة من الاسلحة المعروفة في العراق القديم^(٨١)، وقد كُِدِسَتْ فيها جثث جنود الاعداء من مدينة اوما وهم عراة، ضاربا اياهم بصولجانه الذي يمسك به بيده اليمنى، وقد ظهر من بين فتحات الشبكة راس احدهم، محاولا ربما الهرب، وهو يُضرب بالصولجان، وتوجّ اعلى الشبكة، شعار الاله ننكرسو وهو طائر الامدكود- أنزو، الذي يُعرف بطائر العاصفة، وهو رمز الموت^(٨٢). وتقف الى الخلف من الاله احدى الالهات مرتدية التاج المقرن، وهي تمثّل حسب ما يشير بعض الباحثين الالهة انا-عشتار(الهة الحب والحرب)^(٨٣)، او ربما تجسد الاله الشخصي لأياناتم^(٨٤)، مع طائر الامدكود الى الاعلى منها قليلا، واشير باحتمال بسيط، ربما ان هذه الالهة هي سيدة الجبال ننخرساك (وهي شكل من اشكال الالهة الام لدى العراقيين القدماء)^(٨٥)، بارتدائها التاج المقرن المورق باوراق النبات، مع ظهور الاغصان المبرعمة من بين كتفيها، وهذا ما يظهر جليا في المشهد، وهي من الصفات التي لازمت الالهة ننخرساك في قطع فنية اخرى لاسيما قطعة من الاناء النذري لانتمينا(ملك لكش، ابن اخ أياناتم)^(٨٦)، وكذلك صورت بنفس التاج على لوح نذري يعود الى هذه الفترة^(٨٧)، وسيرد ذكر دور هذه الالهة بارضاع أياناتم من حليبها الطاهر في حيثيات النص الذي سنذكره لاحقا، لتمثّل برؤية ما انها الام المباركة او الراعية لهذا الامير. اما في الحقل الاسفل فيصور نفس الاله، الذي ربما قد يمثّل، وباحتمال بسيط، الاله انليل صاحب الشبكة المقدسة، وهو راكبا العربة الالهية المقدسة، كما يبدو، التي تتميز بنيرها

المقوس، وهو ما تبقى من المشهد، فضلا عن طائر الامدكود وكذلك الالهة نفسها بتاجها المورق والاغصان المبرعمة، مع انتشار الاعمدة الكتابية لتغطي الفراغات الموجودة على ارضية المشهد في كلا الحقلين، ليعطينا هذا الوجه طابعا دينيا مقدسا للحرب.

اشار بعض الباحثين الى ان هذه الشخصية الرئيسة تمثل الامير أياناتم وهو من يحمل الشبكة، استنادا الى ماورد في النص، وذلك ان الاله انليل اعطى الشبكة لأياناتم، فضلا عن الاراء الاخرى التي لاتؤيد ذلك^(٨٨)، وبصرف النظر عن ذلك فان الاشارات كثيرة تدل على هوية الشخصية الالهية وليست البشرية، من خلال حجمها الكبير الذي يغطي نصف السطح المنحوت، مع اللحية الكثّة التي لم يصور أي من حكام لكش بها، فضلا عن الشعار الالهى الامدكود وكذلك العربة الالهية التي تختلف عن عربة أياناتم المصورة في الوجه الاخر، والشخصية الاخرى التي تمثل احدى الآلهات وهي ننخرساک، قد صورت بشكل اصغر وهذا لايتناسب مع مكانة الالهة اتجاه البشر حتى لو كانت من الالهة الحامية او الشخصية، فضلا عن ذلك فقد ذكر انتمينا ملك لكش بكتابته التأريخية المشهورة عن الصراع مابين لكش واوما، بان الاله ننكرسو القى الشبكة العظيمة على رجال اوما بكلمة من الاله انليل^(٨٩)، وقد اشار بعض الباحثين الى ان النتائج غير كافية لتحديد شخصية الاله، لكننا نفترض بانه الاله ننكرسو الاله الرئيس لمدينة لكش تابيدا لما يشير الى ذلك بعض الباحثين^(٩٠)، ومن هذا المنطلق سيكون هذا الوجه هو الوجه الامامي بسبب اهمية المكانة الالهية للشخصية المصورة، كونها تمثل المشهد الرئيس (الملفت للنظر) في الموضوع، لذلك ربما وضعت كما يشير بعض الباحثين في ساحة المعبد او احدى الغرف الرئيسة فيه^(٩١)، على الرغم من اشارة أياناتم في النص بانه اقام مسلة هناك في مكان الحدث، وهذا مايشير اليه بعض الباحثين^(٩٢)، وربما ماشار اليه هي عبارة عن مسلة حدود وليس هذه المسلة كونها

كُشِفَتْ في مركز مدينة كيرسو (تلو)، وفي كل الاحوال قد اقيمت لتكون مرأى من الجميع وصورة الاله المبهره والمؤثرة بمواجهة الداخل او القادم، وهذا قد يخالف بعض الشيء ما اشار اليه بعض الباحثين بتحديد هذا الوجه كونه الوجه الخلفي^(٩٣)، وعلى ما يبدو ان الامير أياناتم اراد نقل مفهوم واضح ربما ومن خلال النص المدون في هذا الوجه، بان الاله ننكرسو، الذي زرع نطفة الامير في الرحم، هو بمثابة ابيه، حتى يشير بعض الباحثين الى ان هذا النص دلالة على مفهوم الابوة الالهية الحقيقية للحاكم، وليس بالتبني كما هو معروف في الفكر العراقي القديم^(٩٤)، وقد فرح هذا الاله جدا بولادته^(٩٥)، والالهة ننخرسك بمثابة امه لاسيما بالرضاعة، وان هذه الحرب الشرعية كانت بمباركتها وقيادتها لكن ببطولة وبسالة الامير أياناتم وهو ما يصوره الوجه الثاني (الخلفي) للمسلة .

استعرض الوجه الخلفي، من خلال اربعة حقول مفصولة بأطر مستقيمة، رفيعة وبارزة عن السطح، لتشكل نوع من الارضيات التي تقف عليها الشخصيات المصورة، ومن خلال ما تبقى من اجزائها، مظاهر القوة، العظمة وشجاعة الامير أياناتم مع افراد جيشه وهم في معترك الحرب ودلائل النصر واضحة المعالم فيها، إذ يعرض الحقل الاعلى مشهدين لهما اهميتهما واسبقيتهما، اولهما تصوير جنث الاعداء المستقلبة على الارض عارية مكدسة بعضها على بعض، تعرضت الى نهش وتقطيع الاوصال من قبل النسور او العقبان، وهي تحوم في الاعلى ممسكة بايدي وارجل ورؤوس القتلى بمخالبها ومناقيرها^(٩٦)، ومنها جاءت تسمية المسلة بمسلة النسور او العقبان، لانها تمثل سابقة في تصوير الحالة المؤلمة والمرعبة لجنث الاعداء، كصيغة اعلامية تحمل في طياتها دلالات القسوة والتكيل لتكون عبرة ورهبة للآخرين، وكصورة من صور الحرب النفسية بوجه اخر.

يرينا المشهد الاخر الى اليسار من المشهد الاول، قيادة الامير أياناتم راجلا بلباس الحرب، بخوذة مميزة، حاملا للفاأس الحربية بيده اليمنى^(٩٧)، والرمح باحتمال

كبير في اليد اليسرى، لكتيبة من الجند، تعد من صنف المشاة الثقيلة بمشهد فريد، تتكون من ستة صفوف من المشاة، يمثلون نظام الكردوس العسكري (الكتيبة)، وهم يسيرون بثبات، وقتلى الاعداء تحت اقدامهم^(٩٨)، ليكون هذا التشكيل اقدم من النظام المعروف في الجيوش اليونانية والرومانية والمسمى بـ (phalanx)، أذ اراد الفنان السومري القديم خلق ثلاثة ابعاد من خلال التصوير ببعدين اثنين، مشيرا الى عدد الصفوف الست بادئ الامر، مبينا ذلك برسم الرماح الطويلة الست متعاقبة عموديا بشكل جانبي، ممسكة بكل رمح اثنين من ايدي الجنود، كتعبير عن المجموع، في كل صف لاسيما في الصف الخلفي، ليتكرر ذلك على عدد صفوف الكردوس التسعة في الوجه مع صفين في جانب المسلة مكملًا المشهد، وهذا ما لم نلاحظه في الرتل العسكري المصور في راية اور، ومن هذا المنطلق ربما نستطيع ان نتصور عدد جنود كل كردوس عسكري في جيش أياناتم، وربما كنظام عسكري ثابت في كل دويلات المدن السومرية هو ٦٦ جندي، ومن المحتمل ان لذلك علاقة وثيقة بالنظام السيني المعتمد من قبل العراقيين القدماء، وفضلا عن الرماح يحمل هؤلاء الجنود الدروع المزودة وبشكل متميز ايضا، أذ يشير بعض الباحثين ان هذه الدروع المتميزة بحجمها الكبير والذي يغطي اغلب الجسم والرماح، لم تخصص للمناورة العسكرية والتحرك السريع، بل لتشكيل جدار صلد واقى للتشكيل، من خلال صف الدروع بشكل عمودي للصف الاول واستخدام الرماح من قبل الصف الثاني للطعن من بين الدروع، وهو ما كان يستخدم عند اليونان والفيالق الرومانية^(٩٩).

اما خوذة أياناتم فقد تميزت بنوع من التفرد من بين خوذة الجند، ولاول مرة بنوع من لمة او كتلة ما، معقودة الى الخلف بشريط ربما من الجلد، أذ يشير بعض الباحثين ربما هي عبارة عن كومة الشعر المستعار الذي يرتديه كل من أياناتم وجنوده^(١٠٠)، والاعتقاد بهذا الشعر المستعار بدلالة خصلات الشعر المنسابة على

اكتاف الجنود والامير أياناتم، وهناك من الباحثين وبدراسة بسيطة يشيرون الى ان هذه اللمة اما ان تكون نوع من الثقل الذي يسند الخوذة وعدم سقوطها في المعركة^(١٠١)، لكن باحتمال كبير انها تمثل قناع لتغطية نصف الوجه مع بدأ المعركة وقاية من بعض المقذوفات وهي من الجلد السميك وربما من المعدن^(١٠٢)، وباوقات السلم او الاستعداد للمعركة يوضع هذا القناع الى الخلف كما هو مصور في المسلة، ليكون بذلك اذا صح الاجتهاد، اقدم شكل من اشكال الاقنعة الحربية في التاريخ^(١٠٣)، ويرى قسم اخر ان هذه العقدة او الكعكة الصلدة ما هي الا وقاية لخلفية الرقبة^(١٠٤)، وربما يكون ذلك مقبولا لاسيما لحماية خلفية الرأس عموما من ضربات الهراوات او الفؤوس .

يقود أياناتم جنوده في الحقل الثاني من الاعلى راكبا عربة حربية، ربما بعجلتين التي تعد من اقدم هذه الانواع^(١٠٥)، لاطهار براعته ومهارته القتالية في كل الصنوف الحربية، وخلفه رتلين من الجنود مزودين بالرماح والفؤوس دون دروع، ربما ليمثلون صنف المشاة الخفيف او الحماية الخاصة بالامير كنوع من الحرس الملكي، يسيرون بثقة وجثث القتلى الاعداء تحت اقدامهم. اما أياناتم فيمسك بيده اليمنى الفأس الحربية وبيده اليسرى رمحا طويلا مرفوعا بامتداد افقي عند مستوى الراس مهياً لطعن الاعداء به، وقد يشير هذا باحتمال كبير ان أياناتم كان اعسرا، بسبب استخدامه الرمح في القتال باليد اليسرى وترك يده اليمنى ماسكة بما يبدو كفأس الحرب بدون حركة، وهي ذات الحالة ربما في مشهد الحقل العلوي الذي فقد قسم منه، وتكرر كذلك في المشهد الاخير للأسفل، بنفس اللباس القتالي والخوذة، واقفا دون جنود للقتال او الحماية، وهو يطعن بالرمح رؤوس الاعداء، ربما كانوا رتل من الاسرى ينتظرون مصيرهم من القتل او الاعدام من قبل الامير^(١٠٦)، حتى يبدو ان حرب أياناتم لا اسرى فيها، فمصير الاعداء كلهم هو القتل .

يصور الحقل الثاني من الاسفل مظهر من مراسيم الاحتفال ابتهاجا بالنصر، ممثلة بطقوس سكب المياه المقدسة، او نوع من انواع السوائل الاخرى، من قبل احد الكهنة العراة في اثنين من الآنية مملوءة بالنباتات^(١٠٧)، مع تجسيد مشهد الاضحيات من خلال مجموعة من ست حيوانات صغيرة مكدسة بعضها فوق بعض، مع ربط رأس ثور كبير بوتر الى الارض، بانتظار التضحية بها كلها^(١٠٨)، امام شخصية جالسة اشير اليها من قبل الباحثين على انها أياتام الحاكم، لكن من خلال المقارنة مع بعض القطع الفنية الاخرى كاحدى الألواح النذرية، التي اشرفنا اليها سابقا، تظهر هذه الطقوس نفسها مقدمة الى الالهة نخرساک^(١٠٩)، لاسيما وان الشخصية المصورة على المسلة بما تبقى من قدميها مستندة على ما يبدو على مرتفع ارضي، يرتفع عن مستوى الإطار الفاصل بين الحقول، والمرتفع الارضي هو رمز ربما لمرتفع جبلي رمز الالهة نخرساک(سيدة الجبال)، فضلا عن ان السوائل المقدسة غالبا ما تسكب امام الالهة لاسيما في العصر السومري القديم، فضلا عن ارتقاء ساكب المياه (الكاهن) بما يظهر وكأنه مرتفع عال مكون من قطع حجرية متراسة فوق بعضها، والى اليسار من هذا المشهد مشهدا اخر يصور بعض التابعين يحملون سلال من التراب لدفن قتلى الاعداء المكدرين بعضهم فوق بعض، باقامة تلأل دفنية او قبور تلية، موضحة بارتقاء حاملي السلال صعودا لرمي التراب، وهذا ما اشار اليه النص باقامة ٢٠ من التلال الدفنية لقتلى الاعداء، ويشير بعض الباحثين الى ان هذه التلال كانت من اجل قتلى جنود مدينة لكش، وقد احتوت السلال على الفواكه والحبوب في مشهد يمثل طقوس للقربان الجنائزية^(١١٠)، هذا وقد تآثرت الاعمدة الكتابية لتغطي الفراغات ما بين المشاهد وعلى اسطح الاطر الفاصلة لتشكل مصدرا مهما لبعض التفاصيل التاريخية بما يخص هذه الحرب فضلا عن اعطاء طابع زخرفي زاد من جمالية الالوجه المنحوتة .

تصور لنا هذه المسلة رؤية خاصة من خلال المزج بين القوة الالهية والانسانية في دحر الاعداء، ربما لاسباب شخصية واقتصادية لكن بشفاعة ومباركة الهية، لم نرى لها مثيل سابق، ربما ذلك ما يستدعيه التأثير الاعلامي والحسي على الشعب الغالب والمغلوب بنتائج مختلفة، تبعا للروحية العقائدية والدينية للشعب السومري، بعد احساس الحكام انذاك بجدوى هذا المزج وعدم الاتكال على المجد الشخصي فقط في التأثير.

النص المدون على المسلة:

مما يؤسف له، فقدان جزءا كبيرا من الاعمدة الكتابية لهذه النص، على الرغم من طول ما تبقى منه، الذي غطى وبشكل جميل مساحة واسعة من هذه المسلة، مع وجود ثغرات متعددة ما بين اسطره، الا ان هذا النص، فضلا عن النصوص التاريخية لهذه الحاكم، ومن قبله الملك اورنانشه، كانت من المصادر المهمة التي اعتمد عليها فيما بعد الامير انتمينا في كتابة نصه التاريخي الشهير حول الصراع الدائم ما بين لكش واوما، لتكشف كذلك هذه النصوص عن اقدم الاتفاقات والعهود برباط القسم الالهى، واقدم التسويات للنزاع ما بين دويلات المدن من خلال تدخل اطراف دولية اخرى، ليكون ذلك اقدم صيغة للقانون الدولي من حيث الالتزام به او انتهاكه^(١١١).

تميز هذا النص بالاعادة والتكرار لبعض عباراته وفقراته، زيادة في التاكيد والتاثير، وهذا ما تميزت به النصوص العراقية القديمة بشكل عام، مما سنراعي عدم ذكرها اثناء ترجمتنا لهذا النص من اللغة الانكليزية لاهم واحداث الترجمات المسمارية من قبل الباحثين، وذلك لاهمية هذا النص، مع الاشارة الى الثغرات التي تخللت مضمون النص، الذي يغطي كل من وجه وظهر المسلة، أذ يشير الى ((ثغرة ما يقارب ٢٠ سطر..... توجب عليه دفع الحصص من الحبوب المفروضة عليه^(١١٢)، (الحصص من المواد المزروعة، رجل اوما منعها)^(١١٣)،

ملك لكش،..... ثغرة ٢١ سطر.....، رجل اوما ارتكب فعل عدواني متغطرس، وتحدى مدينة لكش(الى حدود لكش حشد جنوده)، اكوركال، ملك لكش، ابن اورنانشه، ملك لكش،..... ثغرة ١٣ سطر.....، رجل اوما قام بفعل متغطرس ضد الممتلكات الخاصة لمدينة لكش وضد بيرك...كيرنوم- شاك، الاله ننكرسو زئر كالاسد، اوما قامت عشبي(اشجار وخضروات)، ملكيتي الخاصة، حقل كوايدينا..... لكش يجب....، السيد ننكرسو، محارب الاله انليل قال.....ثغرات، الاله ننكرسو زرع نطفة اياناتم في الرحم..... الالهة انا رافقته واسمته اياناتم (اللائق او الجدير بمعبد انا البيضوي العظيم)، واجلسه الالهة ننخرساك على ركبته وقدمت له ثديها الطاهر، الاله ننكرسو بفرح اضاف له مساحات اكثر بطول خمسة اذرع (كيوبت، بالسومرية cubits)، وبفرح عظيم منحه ملوكية لكش،.....ثغرة......اياناتم الذي امتلك القوة، اعلن، الاراضي (البلاد) الخارجية تعود اليه، وصرح، الان وبعد ذلك الى الابد يا عدوي، حاكم اوما يريد ان يُسترضى دائما، مع رجال (جنود) اخرين استغل حقل كوايدينا، الحقل المحبوب للاله ننكرسو، عسى(ننكرسو) ان يخسف به الارض.....ثغرة ٣ اسطر.. تبعه، اياناتم كان نائما، سيده المحبوب دخل راسه(من خلال الحلم)،..... مدينة كيش يجب ان تترك اوما^(١١٤)، وستغضب ولا تدعمها، الاله اوتو(اله الشمس) سيشرق على يمينك، و..... سيكون على جبهة راسك، يا اياناتم.....ثغرة ٧ اسطر.. سوف تذبح هناك اعداد هائلة (من الجنود) ستصل الى قاعدة السماء، في مدينة اوما،.....ثغرة.....، شعبة رفع يده ضده، وسوف يُقتل هناك في مدينة اوما نفسها، انت سوف.....ثغرة ١٨ سطر.....، هو تقاتل معه، شخص رمى اياناتم بسهم وكان من الصعب اخراجه^(١١٥)، فكسره) يشير ذلك الى قيادة هذا الملك للحرب وتقدمه (الصفوف)^(١١٦)، هو صرخ بشدة بوجهه، الشخص.....ثغرة، اياناتم احدث

الاعصار والفيضان والمطر القاتل في داخل مدينة اوما، ثغرة....، امر
اينانتم بتحديد الحدود، وترك بعض الارض تحت سيطرة اوما واقام مسلة في ذلك
المكان(ربما مسلة حدود)، رجل(قائد) اوما.....ثغرة ٦ اسطر، هو هزم اوما
واقام عشرون من القبور التلية (التلال الدفنية) لاجل قتلاهم، الاله شول-
موش-با ذرف دموع الفرح من اجل اينانتم، دمر اينانتم الاراضي الخارجية،
واعاد كوايدينا الحقل المحبوب للاله ننكرسو.....ثغرة ٦ اسطر....، استلام
الحصص من الحبوب للحقول الاخرى العائدة للاله، ثغرة من عدة
اسطر....، اقام اينانتم مسلته في المعبد الجليل(الشامخ)، ثغرة ٨ اسطر
مع ثغرات اخرى لاسماء الحقول المسترجعة^(١١٧)، ثغرة ٢٤
سطر....، اعطى اينانتم شبكة الاله انليل الحربية المقدسة لرجل اوما وجعله
يقسم بها، رجل اوما اقسام لاينانتم، بحياة الاله انليل ملك السماء والارض، انا
سوف استغل حقل الاله ننكرسو كقرض بفائدة مقابل حصّة من الحبوب، مع
حفر القنوات واقامة السدود في الربيع، الى الابد سوف لا انتهك ممتلكات الاله
ننكرسو(اراضيه)، انا سوف لا اغير مجرى النهر وقنوات الري، انا سوف لا ازيل
مسلاته، متى ما قمت بالمخالفة، عسى ان تسقط شبكة الاله انليل الحربية على
اوما، ولذكاء اينانتم، قام بوضع الكحل على عيون اثنين من طيور الحمام
ومسح راسيهما برانتج(مواد صمغية عطرة) خشب الارز واطلقهما الى معبد الاله
انليل (الايكور) في نفر(ربما هذا التصرف كنوع من طقوس الشكر والابتهاج او
تحقيق الامنيات او نوع من القرابين)، مع ترديد العبارات، الى سيدي الاله انليل،
اذا ما انكر أي رجل من اوما هذا العهد او عارضه وانتهك الاتفاق، عسى ان
تسقط شبكة الاله انليل التي أُقسِمَ بها على مدينة اوما^(١١٨)، (تكرر العبارات
والفقرات السابقة حول القسم وتلاوة العهود ونتائج نقضها، لكن بشبكات حربية
مقدسة وحياة لبعض الالهة الاخرى، منها شبكة الالهة ننخرساك، واطلاق

حمامتي الامنيات الى معبدها في كيش، وشبكة الاله انكي (سيد مياه العمق)،
وشبكة الاله سين، الابن العنيف للاله انليل، واطلاق الحمامتين الى معبده في
مدينة اور، وشبكة الاله اوتو(سيد الحياة النباتية) ومعبده الـ أي - ببار في
مدينة لارسا، واخيرا يجعل اياناتم رجل اوما يقسم بحياة الالهة ننكي وعند
المخالفة ستقوم ثعابين الارض من لدغ قدم اوما)^(١١٩)..... اياناتم ملك
لكش، الذي منحه الاله انليل القوة، ومنحه الاله انكي الحكمة، المختار في قلب
الالهة نانشه، السيدة العظيمة، الذي رضع من حليب الالهة ننخرسك الطاهر،
الذي اخضع جميع الاراضي الخارجية لاجل الاله ننكرسو، محبوب الاله دموزي،
والصديق المحبوب للاله لوكال-اورو- كار، القرين المحبوب للالهة انانا، هزم
عيلام وسوبارتو(المنطقة الشمالية من العراق)، الاراضي الجبلية ذات الاخشاب
والكنوز،.....هزم..... هزم سوسة، هزم حاكم اروا(Arawa)، الذي كان
في الطليعة حاملا شعار المدينة،.....هزم..... ودمر اروا (Arua).....
ارض بلاد سومر، هزم اور،.....ثغرة ١٩ سطر، ارجع حقل كوايدينا الى
الاله ننكرسو،.....ثغرة ١٩ سطر، اقام مسلة للاله،.....ثغرة.....
عسى ملك كيش.....، اسم المسلة ليس اسم رجل، هو اعلن اسمها،"
ننكرسو، السيد النبيل، تاج لوم- ما (Lum-ma) هو حياة قناة بيريك - ايدينا
(Pirig - Edena)، اقام مسلة كوايدينا الحقل المحبوب للاله ننكرسو، الذي
اعاد له اياناتم السلطة عليه .

اياناتم من اخضع جميع الاراضي الخارجية للاله ننكرسو.

اياناتم من اخضع جميع الاراضي الخارجية للاله ننكرسو.))^(١٢٠) .

((مسلات النصر في العصر الاكدي))

تميز هذا العصر بسيادة الشعب الاكدي وسلطتهم، بعد ان تحقق للملك
سرجون الاكدي من اقامة اقوى الممالك في الشرق الادنى القديم(٢٣٧١-

١٥٤ ق.م)، وهم من الشعوب الجزرية، التي اتسمت بالقوة، الصرامة وشدة البأس في حروبهم وانظمتهم السياسية والاجتماعية، مما دفعهم لتجديد الشخصية القيادية الحاكمة، أي الملك، كرمز مؤثر في المجتمع، من خلال اظهاره باروع صوره البطولية في كل من النصوص، الملكية منها او التكريسية، والمشاهد الفنية(المنحوتات) لاسيما في مسلات النصر، التي زخر بها هذا العصر، وقد كان لمسلة النصور وطابع الفن السومري القديم اثاره المتميزة على الفن الاكدي الذي اتسم فضلاعن ذلك بهويته الخاصة من خلال التقنية وفلسفة المشهد الفني، باضافة اللمسات الخاصة من قبل الاكديين على الشكل والمضمون، مجسدين ما يمكنهم من مهارات وقدرات فنية، تقنية وجمالية، لاضافة مسحة التأثير الحسي والاعلامي باروع صورة واشدها وقعا على النفس، لذلك تم الاهتمام بواقعية المشهد المصور، وابرار معالمه الدقيقة تفصيليا، بشيء من الحيوية والحركة، من خلال تجسيد التباين ما بين الضوء والظل من جهة والتاكيد على دقة ومرونة الخطوط لتفاصيل العنصر المنفذ بالنحت البارز والمجسم، لاسيما التركيز على ابراز معالم القوة والرجولة، كابرار العضلات المفتولة للمشاهد الملكية والشخصيات الاخرى مثل الجنود الاكديين، وكذلك التاكيد على دقة تصوير تقاطيع الوجه الصارمة وغيرها، أي التاكيد على الجانب التشريحي للجسام، حتى سمي هذا الاسلوب الفني بشكله الناضج بـ (المدرسة الملكية للنحت)^(١٢١)، وقد احتلت شخصية الملك المشهد الرئيس(الملفت للنظر) في اغلب المسلات الاكديّة مع تهميش المشهد الالهي واقتصاره احيانا على الرموز فقط، واتخاذ قوة المشهد في التأثير على حساب قوة الكلمة من خلال الاهتمام بالشكل وقلة الاعمدة الكتابية .

مسلات النصر للملك سرجون الاكدي(شرو- كين) :

يرجع لهذا الملك اقامة اولى الممالك القوية في العراق القديم (٢٣٧١- ٢٣١٦ ق.م)^(١٢٢)، اشار في كتاباته الى الكثير من حروبه، لاسيما توحيده

لدويلات المدن العراقية القديمة وكذلك بلاد عيلام (جنوب غرب ايران) وبراخشوم^(١٢٣)، ليقيم بدوره اكثر من مسلة نصر مخدا وموثقا فيها انتصاراته الحربية بابهي صورة، لكن ومما يؤسف له لم تصل الينا واحدة من هذه المسلات بشكل كامل، أذ ان ما كُثِفَ منها كانت عبارة عن قطع او اجزاء من المسلات الاصلية المفقودة، وقد وجدت اغلبها في مدينة سوسة عاصمة بلاد عيلام، ربما تم سلبها كغنائم، كما اشرنا سابقا، وربما كما يشير بعض الباحثين الى ان بعضها ربما قد اقيمت هناك من قبل الملوك الاكديين لاسيما الملك سرجون الاكدي لتخليد انتصاراته على هذه البلاد^(١٢٤)، وبالتالي فقدت نتيجة دمارها الكثير من التفاصيل لاسيما الكتابية والتي تعرض ما تبقى منها الى الازالة والمحو المتعمد، مما يصعب على الباحثين من تعيين تاريخ اقامتها الدقيق ضمن عهد حكم الملك وكذلك هوية الجيوش المهزومة (الاعداء)، لذلك يتم الاعتماد على بعض المؤشرات الفنية لتحديد اسبقيتها من حيث التنفيذ .

كُثِفَ عن واحدة من قطع احدى مسلات النصر المهمة، وهي من حجر الديورايت الاسود، بارتفاع ٥٤،٧سم وعرض ٢٦سم في مدينة سوسة، ومحفوظة الآن في متحف اللوفر تحت حروف (Sb2) ^(١٢٥)، (شكل - ٥)، ذات شكل استثنائي مميز، بهيئة اسطوانية قُفِّدَ القسم الاعلى منها، وربما كان بقمة مستدقة^(١٢٦)، ومن المحتمل ان يكون بشكل كمثري او مخروطي، مع فقدان قسم كبير من جانبها، ففيما يبدو ان المسلة كانت بقاعدة دائرية عريضة من الاسفل تضيق تدريجيا نحو الاعلى، وربما تم تنفيذ مشاهدتها بالسلوب السرد القصصي، بتصويرها ضمن حقول افقية تحيط بكامل سطح المسلة، أذ يشير بعض الباحثين الى وجود اثار نحتية بسيطة في اسفل هذه القطعة، وربما يشير هذا الى وجود مشاهد تعود الى حقل اسفل، ليغطي المشهد الرئيس الحقل العلوي^(١٢٧)، وبصرف النظر عن وجود هذا الحقل، فان المشهد الرئيس فيما يبدو وقد غطى اغلب سطح

المسلة، بتصويره بشكل انسيابي مستمر ليمثل مشهدا واحدا متجانسا يحيط بكامل المسلة، وهو يصور شخصيتين متواجهتين، لم يبق منهما الا الايدي وبعض التفاصيل الاخرى البسيطة، لتمثل الشخصية من جهة اليمين، ربما الالهة عشتار وهي جالسة على عرشها^(١٢٨)، ولم يبق من ملابسها الا جزء من تنورتها وهي بحاشية مهذبة، ويظهر من خلف كتفها ثلاثة خطوط متموجة^(١٢٩)، احدها كان براس صولجان^(١٣٠)، تمد يدها اليمنى، ربما لاعطاء البركة والشرعية وابداء الرضى على ما تقوم به الشخصية الثانية التي تقابلها، وهي تختلف عن مشهد الالهة في مسلة النسر، التي تظهر من خلف اكتافها ثلاثة اغصان مبرعمة او براعم نباتية، والتي اشرنا الى انها ربما تكون الالهة ننخرساك، وهذه الاشارة هنا للتشابه الكبير بين هذه المسلة السرجونية ومسلة النسر، من خلال التأثيرات الفنية السومرية القديمة التي تركت بصماتها في المدارس الفنية اللاحقة.

تمسك الشخصية التي تقع الى اليمين شبكة باليد اليسرى، مملوءة بسبعة من جنود الاعداء الاسرى، وهم عراة على قيد الحياة بوضع الجلوس^(١٣١)، حليقي اللحية لكن بشعر راس مصفوف الى الاعلى، مع بروز راس احدهم من احدى فتحات هذه الشبكة، ربما هو ملك الجيش المعادي، لتمييزه عن باقي الاسرى براسه الكبير وانسياب شعره الطويل على اكتافه ولحيته الطويلة^(١٣٢)، ليضرب راسه من قبل ماسك الشبكة بالصولجان او الفأس الممسوكة بيده اليمنى، مع وجود بعض المفردات باللغة الاكديّة اعلى قليلا من مستوى الكتف الايمن لهذه الشخصية، وهي نهاية لمقطع كتابي اندثر اكثره، ولم يتم تمييز اسم الملك الذي خلد هذا الاثر من العبارات المتبقية، التي تنص (ثغرة....[عسى الالهة.....]وأيلابا، تقتلع جذوره.....ثغرة و[يدير ذريته]....)^(١٣٣)، الا ان بعض الباحثين، ومن خلال دراسات مقارنة ودلالات فنية، اشار الى ان هذه الشخصية تعود الى الملك سرجون الاكدي، الذي خلد مسلة النصر هذه، وهو يرتدي قماشا سميكا ربما من الصوف،

وهي العبادة الملكية^(١٣٤)، بخصل منسدلة تشبه السنة الذهب^(١٣٥)، تغطي كتفه الايسر، الذي يشبه الى حد بعيد رداء الحاكم اياناتم في مسلة النسر، فضلا عن التشابه الكبير مع المسلة السابقة، باستخدام شبكة الحرب بين المسلتين، لكن بنوع من التميز وبعض الاختلافات، يتعلق بتصوير الدور الملكي لسرجون الاكدي في ضرب الاعداء بالشبكة، وهو بحجم كبير موازيا لحجم الالهة عشتار ان لم يكن اكبر قليلا، ومن الباحثين من يشير الى ان هذه الشخصية ربما تمثل احد الالهة^(١٣٦). اما الملك المضروب بالصولجان فلربما يمثل الملك لوكال زاكيزي^(١٣٧)، من خلال دلالات معينة كما يشير بعض الباحثين^(١٣٨)، ربما انتقاما منه لاحتلاله مدينة كيش وقتل ملكها، وهي المدينة التي تعد الملاذ الاول للملك سرجون^(١٣٩)، على الرغم من ان الملك سرجون اشار في كتاباته على اسر هذا الملك وربطه من رقبته بالحبل والعصى واقتياده الى بوابة معبد الاله انليل^(١٤٠)، وربما كان تصوير هذا المشهد شبيها بمشهد مسلة النسر لسبب مقصود، كونها تخلد الانتصار على اوما، وهي المدينة الام للملك لوكال زاكيزي، تنكيلا به .

نلمس هنا الجانب الاعلامي المؤثر، على الرغم من التشابه الكبير بين هذه المسلة ومسلة النسر من حيث المشهد، لكن باختلافات جذرية عديدة من حيث المضمون، لغايات مهمة منها ابراز الدور الملكي للملك الاكدي بضرب الاعداء والانتصار عليهم من خلال سلاح الالهة الرئيس وهو الشبكة لاسيما في هذا العصر، فاذا ما جاز لنا التعبير لتسمية هذه المسلة، بمسلة الشبكة للملك سرجون الاكدي، وتهميش الدور الالهي للمباركة ربما، ليكون هذا نوع من الارتقاء كمرحلة اولى الى مصاف الالهة، من حيث القوة والسلطة وتقرير المصير، وبالتأكيد من ناحية ثانية على ابراز الصرامة والهيبة للشخصية الملكية من خلال التأكيد على دقة التفاصيل لاسيما عضلاتها المفتولة وتناسق حركاتها واتزانها، ليقابلها ذلة الاسير وخضوعه وقبوله بسلطة الملك عليه، ومن خلال هذا التشابه وبعض

الدلالات الاخرى، لاسيما راس الملك المأسور، الذي يمثل الملك لوكال زاكيزي باحتمال كبير، فضلا عن ذكر الاله ايلابا في النص^(١٤١)، ربما تكون هذه المسلة من اولى مسلات الملك سرجون الاكدي لتخليد اولى معاركه وانتصاراته المهمة في جنوب العراق القديم .

ومن المسلات الاخرى التي تعود الى الملك سرجون الاكدي، قطعة من مسلة كُشِفَ عنها في مدينة سوسة العيلامية ضمن مجموعة من القطع الاثرية العراقية القديمة، محفوظة الآن في متحف اللوفر تحت حروف (sb1)^(١٤٢)، وهي من حجر الديوراييت، على شكل كتلة حجرية رباعية الاوجه لكن بزوايا غير قائمة بل منحنية او محدبة تقترب بشكلها من المحيط الدائري، كنوع من انواع ما يسمى بـ(المونوليث) (monolith)^(١٤٣)، وليس الاوبليسك قائمة الزوايا (obelisk)، وربما فرض ذلك شكل الحجر المستحصل عليه لقيّمته الكبيرة وليس لشكل مقصود مسبقا، لِتُعدّ اول مسلة من هذا الشكل الرباعي، ارتفاعها ٥٠ سم^(١٤٤)، ويظهر انها قد كُسِرَت من الوسط تقريبا بشكل متعمد فضلا عن التعمد بمحو وازالة بعض المشاهد والاعمدة الكتابية منها.

توزع ما تبقى من مشاهدها على حقلين علوي وسفلي، مع اختفاء القسم الاعلى من الحقل العلوي، اذ يتوقع بعض الباحثين ان هناك اكثر من حقلين لهذه المسلة^(١٤٥)، التي اعتمدت مشاهدها اسلوب السرد القصصي السومري القديم، ومع وجود استمرارية للتأثيرات الفنية السومرية، لاسيما الطابع الفني لمدينة لكش^(١٤٦)، الا ان الاسلوب والتقنية للفن الاكدي كان واضح المعالم من خلال اضفاء الحركة والحيوية للمشاهد، من خلال التاكيد على التفاصيل الجسدية والتشريحية لشخصيات المشهد لاسيما ابراز عضلات الارجل والايدي للجنود الاكديين^(١٤٧)، لنشعر بروحية المشهد وتعبيره، اذ تشكل هذه المشاهد نوعا من التواصل كشريط مصور واحد، مناسبة على ثلاثة اوجه من سطح المسلة، بعد ان تم محو وازالة

السطح الرابع بعمد من قبل جهات معادية ربما بعد سلبها، وأشار الباحثين الى هذه السطوح بحروف A,B,C^(١٤٨)، مع محاولة رسم شكل توضيحي لها (شكل-٦).

يصور لنا مشهد الحقل السفلي، وهو يغطي بشكل متصل الاسطح (C,B)، الذي تم ازالة بعض الاجزاء السفلى منه بتعمد، موكبا عسكريا مهيبا يقوده الملك سرجون الاكدي، بدلالة وجود كتابة مقابل وجهه، على ارضية مصقولة، لتبدو كبطاقة تعريف، تذكر اسم سرجون، وقد صُوِّرَ بحجم اكبر من باقي الشخصيات الاخرى في المسلة، لعكس مكانته العليا ولجعل مشهده محور الحدث ومركز الرؤية الرئيسية (ملفتا للنظر)، وهو بلحية طويلة وشعر طويل لرأسه ملموما الى الخلف بشكل كعكة^(١٤٩)، ماسكا بيده اليمنى هراوة ضخمة، وهو بزي عسكري ربما بقماش من الصوف، يشبه الى حد ما ملبس الامير اياناتم في مسلة النسر^(١٥٠)، ويتقدم كما يبدو مجموعة من القادة العسكريين، يحملون فؤوس قتالية مميزة بنصل محدب^(١٥١)، وربما يكون هذا من النماذج الاولى لهذا النوع من الفؤوس، وهناك تابع الى الملك سرجون يحمل بيده مضلة لوقاية الملك من الشمس وحرارتها^(١٥٢)، كنوع من انواع الهيبة والوجاهة. وعلى امتداد هذا الحقل الى السطح (A) الذي يصور مشهدا مهما له دلالاته التاثيرية والحسية في المُشَاهِد، شبيه الى حد كبير بما صور في مسلة النسر، وهو مشهد جثث قتلى العدو المتروكة في ساحة القتال والتي تتعرض الى نهش الجوارح لاوصالها، من ايدي وارجل، بمناقيرها ومخالبها لتطير بها في السماء^(١٥٣)، مع اضافة جميلة من قبل الفنان الاكدي بجمع الكلاب او الذئاب مع الجوارح في عملية نهش الجثث، لانراها في مسلة النسر، وذلك امعانا في تصوير مهانة قتلى الاعداء لتكون عبرة ودعوة لعدم التعرض لسلطة الملك سرجون، مع وجود بقايا لاعمدة كتابية اسفل هذا المشهد ضمن السطح ذاته تنص ((...ثغرة...عندما سرجون احتل المنطقة.....في معركة.....عسى الالهين.....يزيلون جذوره ويدمرون ذريته))^(١٥٤)، ومما

يؤسف له لم يتم الاستدلال من هذا النص، الممحو قسم كبير منه بتعمد، على
الجهة المعادية والخاسرة في هذه المعركة والتي اقيمت هذه المسلة تخليدا لها.
يصور الحقل العلوي، مع فقدان الجزء الاعلى منه، وعلى امتداد الاسطح
الثلاث مشاهد متنوعة لعملية اسر الجنود الاعداء، واطهار وضعهم المهين، من
قبل الجنود الاكديين الذين يرتدون، بما يظهر من اجسامهم، تنور قصيرة بحافة
مائلة من اليسار الى اليمين، وربما شال متقاطع على الاكتاف، بدلالة ظهور
نهايات هذه الشالات المهدبة^(١٥٥)، ففي مشهد السطح (C)، نرى رتل من الاسرى
العراة، لم يظهر منهم الا القسم الاسفل من اجسامهم، وهم موثقي الايدي الى
الخلف يقتادهم احد الجنود، ربما من خلال وضع يده اليمنى على كتف الاسير
الاخير منهم، وربما تم ربط هذا الرتل من الاسرى بواسطة اثنين من الاعمدة او
العصي الخشبية الطويلة لتحصر بينها رقابهم وهي مشدودة الى هذه العصي
لتشكل شكلا يشبه السلم المحمول على الرقاب^(١٥٦)، ربما بشكل يشبه الصورة التي
سنراها بشكل واضح في مشهد الاسرى على ما يسمى بمسلة الناصرية، التي
سناتي على ذكرها لاحقا. لنرى كذلك مشهد اخر لاسرى وهو راکع بشكل
ذليل متعرضا لعملية الاسر، ومنهم من يُضرب على راسه بعد تجريده من السلاح،
للاطاحة به على الارض، وهناك اسير اخر بوضع السجود وهو مقيد بعصا
الرقبة، وهي عصى خشبية يُقتاد بها الجنود الاسرى من رقابهم، مجهزة بحبل
خاص يربط بالرقبة، تُعرف بصيغة شيكارو (shigarum)^(١٥٧)، وقد وردت هذه
المفردة في كتابات الملك سرجون الاكدي^(١٥٨)، علما نحن رأينا عملية اقتياد الاسير
براية اور الملكية من خلال الحبل المربوط بالرقبة دون عصى لتكون هذه الحالة
الاولى من نوعها في العصر الاكدي الذي تميزت مسلاته بالتاكيد على عملية
الاسر واذلالهم.

يلفت نظرنا الى هذه المسلة، بتاكيدها على نتيجة المعركة وليس تفاصيلها، ربما تكون هناك بعض التفاصيل في الحقل او الحقول المفقودة، لكن مع ذلك فان مأساوية النتائج بالنسبة للاعداء، من نهش الجثث المقتولة وذلة ومهانة الاسر الممثل بأسوء صوره، سيكون عبرة ورسالة مهمة من الملك سرجون الاكدي لكل من لا يخضع لسلطته، مع استعراض سلطته وخطوته بتقدمه موكبة من القادة العسكريين، وربما الحلفاء، بشكل مهيب، ولإضافة لمسة ارسقراطية اكمالا للوجاهة والمهابة الملكية، تم تصوير ولأول مرة، حمل مضلة واقية من حرارة الشمس من قبل تابع للملك، وقد استخدمت هذه الصورة لاحقا وبشكل كبير في المنحوتات الجدارية الاشورية من خلال التابعين حاملي المضلات بشكل راجل، فضلاعن مضلات خاصة للعربات الملكية وهي مزينة باجمل الزخارف.

يتكرر مشهد الاسرى واقتيادهم من قبل احد الجنود الاكديين على قطعة اخرى وهي جزء من مسلة اكديّة،(شكل-٧)، من حجر الديوريت بلون اردوازي، كُشِفَ عنها في مدينة سوسة ومحفوظة حاليا في متحف اللوفر تحت الحروف (sb3)، ارتفاعها ٤٦,٢سم وبعرض ٣٥سم^(١٥٩)، لها شبه كبير من حيث التقنية والموضوع بالمسلة اعلاه، وربما تعود الى الملك سرجون الاكدي، لاسيما الى الفترة المتأخرة من حكمه، إذ لم تحمل هذه القطعة اية اشارات كتابية .

تتوزع مشاهدنا على حقلين منفصلين باطار بارز، ويمثل الحقل السفلي احد الجنود الاكديين، وهو يرتدي زيا حربيا، عبارة عن تنورة قصيرة مع شال يتقاطع على الصدر^(١٦٠)، وهو اللباس الموحد على ما يبدو للجيش الاكدي لاسيما لجنود المشاة، يحمل الفاس القتالية على كتفه، وبخوذة حربية تشبه الخوذ التي يرتديها قادة الملك سرجون في المسلة اعلاه، مقتادا اثنين من الاسرى الاعداء، وهم عراة مقيدي الايدي الى الخلف وبشعر مصفوف الى الاعلى، بشكل مشابه تقريبا بشعر الاسرى في مسلة الشبكة، ويصور ما تبقى من الحقل العلوي احد

الاسرى وهو بحالة الركوع والخضوع في مشهد مشابه للمسلة السابقة، وقد تم الاعتاء كثيرا بابرار عضلات الارجل والايدي بشكل مميز، لكل من الجنود والاسرى لاعطاء المشهد الحيوية والحركة المؤثرة.
مسلة النصر للملك الاكدي ريموش^(١٦١):

تعود الى هذا الملك مسلة نصر مهمة كما يشير الى ذلك بعض الباحثين^(١٦٢)، كُشِفَ عن قطعتين منها في تلو (كيرسو) عند تل(K) من قبل المنقب الفرنسي دي سارزيك^(١٦٣)، محفوظة حاليا في متحف اللوفر، تحت علامة(AO, 2678, 2679)^(١٦٤)، غطت احداها مشاهد فنية وعلى كلا وجهيها، وتحمل الثانية ما تبقى من نص باللغة السومرية وعلى كلا وجهيها ايضا^(١٦٥)،(شكل - ٨)، ويشير بعض الباحثين الى ان هاتين القطعتين هي جزء من مسلة كبيرة، ومن المحتمل ان تكون بقمة محدبة او قوسية الشكل على غرار المسلات السومرية القديمة^(١٦٦)، والاشارة الى ان القطعة المنحوتة ربما تشكل الجزء العلوي من المسلة وذلك لانحناء جانبيها من الاعلى، وهي من الحجر الكلسي الابيض (اللايمستون)، اقصى ارتفاع للقطعة المنحوتة (2678) ٣٤,٥سم، بعرض ٢٥,٩سم وبسمك ١٢سم، ويبلغ اقصى ارتفاع للقطعة المكتوبة (2679) ٢٨,٥سم، بعرض ٢٩,٥سم وبسمك ١٠,٩سم^(١٦٧).

تصور لنا القطعة المنحوتة مشاهد قتالية بين الجيش الاكدي وبين اعداء من القبائل الجزرية ربما من الآموريين في بدايات نزوحهم وتواجدهم ضمن المنطقة وربما متمردين من بعض المدن التابعة للمملكة الاكديّة، ربما من سكة مدينة كيش وضواحيها او المنطقة الوسطى والجنوبية من العراق القديم^(١٦٨) بدلالة تسريحة الشعر واللحي المميزة للجنود المغلوبين، مقارنة ببعض المشاهد على الاختتام الاسطوانية من هذا العصر^(١٦٩)، وقد توزعت المشاهد، بما تبقى من هذه القطعة، على ثلاثة حقول مفصولة باطر بارزة لتشكل ارضية المشهد، ولكلا

الوجهين (أ،ب)، متخذة اسلوب فني وتقني متطور واكثر تقدما من القطع الفنية السابقة، من خلال الشكل والمضمون، لنرى مشاهد لاحداث ومواقف قتالية متميزة بمهارات فردية، تتركز على العنصر الفردي من الجيش وليس المجموع، بشكل الرتل او التشكيل كما راينا ذلك سابقا، فضلا عن تمتع هذه الشخصيات بمرونة عالية، من خلال دقة التفاصيل ورقة الخطوط المنحوتة، لتعطي حيوية وحركة اكثر من القطع الفنية الاكديّة السابقة، مع وجود تجهيزات عسكرية متنوعة، فضلا عن الابداع في خلق الفكرة المتجددة عن ما سبق، لخلق صورة اعلامية اكثر قدرة في التأثير.

صُورَ الجنود الاعداء في هذه المشاهد بمختلف المواقف من قتل، أسر وضرب باساليب مختلفة، وهم عراة كاشارة الى مهانتهم وذلتهم، مع تنوع اسلحة افراد الجيش الاكدي^(١٧٠)، من رماح طويلة برؤوس مستدقة محمولة بشكل عمودي، وهي طويلة لحد انها اخترقت بقسم منها الحقل العلوي، بمسكها من قِبَل احد الجنود الى جانبه الایسر بصورة عسكرية مهیبة^(١٧١)، وهو يقتاد احد الاسرى العراة ويديه مقيدتين من المرفق، او مستخدما اياه في الطعن بمشهد اخر، ويشير بعض الباحثين الى وجود حقل رابع باحتمال كبير من خلال وجود راس رمح خلف احد الجنود الاكديين في الحقل الاسفل المدمر من الوجه (ب)^(١٧٢)، وهناك ايضا القوس والسهم الذي تميز في هذه المسلة كسلاح مهم، وبشكل واضح لاسيما في مشاهد الوجه(أ)، ضمن الحقل الاعلى، وكذلك استخدامه من قبل شخصية في الحقل الاوسط من الوجه ذاته، متميزة عن الشخصيات الاخرى بلبسها رداء طويل وبطيات جميلة، مع ارتداء شريط عريض في المعصم الايمن، وذلك دلالة على اختلاف منزلتها عن الآخرين، وهي تصوب سهمها الى الامام واحد القتلى من جنود الاعداء تحت اقدامه^(١٧٣)، وهناك ايضا سلاح الفاس القتالية او الهراوة المستخدمة بشكل متجدد، بضرب احد الاعداء واقفا من قبل احدى الشخصيات المميزة ايضا

بارتداء الشريط العريض في المعصم الايمن، بعد مسكه من لحيته على الوجه (أ)،
ليشير بعض الباحثين الى ان هذه الشخصية ربما تمثل الملك الاكدي بمهابته
وشجاعته^(١٧٤)، ليتكرر الضرب بهذه الفاس وذات الشخصية في الوجه (ب) لاحد
الاعداء، وهو جالس على الارض مسترحما الملك الذي يضع قدمه اليمنى على
جسمه بشكل مؤثر صارم.

أضيفَ ربما لأول مرة، كما اعتقد، سلاح الخنجر وهو في غمده يتدلى
بشريط محمول على كتف حملة الاقواس والشخصية الملكية، وسنرى مثل هذا
الخنجر لاحقا في مسلة الناصرية، وليس مايشبه عرنوص الذرة كما يشير بعض
الباحثين^(١٧٥)، فضلا عن ذلك فقد استُحدثت في هذه الفترة الخوذة الجلدية المميزة
بتغطيتها للراس والرقبة والاذن، لم نجد مثيلاتها في الفترة السابقة، مع احتفاظ
الجندي الاكدي لاسيما المشاة بملبس التنورة القصيرة والمنسابة حافتها بشكل مائل
لتعطيه ربما حرية الحركة والمراوغة .

اما القطعة الاخرى وهي المكتوبة من كلا الوجهين، أذ يستعرض النص
فيها مجموعة من المقاطعات والاراضي التي تعود الى مدينة لكش ومساحاتها،
يقابلها اسماء بعض القادة العسكريين والاداريين من ذوي الالقاب الملكية الاكديّة،
ومنهم حاملي لقب (النوبندا)، وهي مرتبة عسكرية مهمة في الجيوش الجزرية^(١٧٦)،
ومن خلال دراسة لغوية، وفيزيائية لنوعية الحجر لكلا القطعتين مع مقارنة قطعة
اخرى مشابهة لها نوع ما، تم ارجاعها الى مسلة واحدة والى فترة حكم الملك
ريموش لاسيما من خلال بقايا علامة مسمارية بلفظة (ush) في نهاية العمود
الكتابي^(١٧٧)، وهو من المحتمل الكبير نهاية لاسم ملكي يختم بها النص المدون،
الذي تعرض للزالة والمحو المتعمد تتكيلا به، فضلا عن كسر وتدمير المسلة التي
لم يبق منها غير هاتين القطعتين، وكما يشير بعض الباحثين بانه لا يوجد ملك
اكدي ينتهي بهذا المقطع غير الملك ريموش^(١٧٨)، ومن خلال دراسة مستفيضة تم

التوصل الى اعتقاد بن هذه المسلة اقيمت تخليد وتوثيقا لانتصار الملك الاكدي ريموش على التمرد الذي قام به سكان مدينة لكش وتوزيع اراضيها ومقاطعاتها بعد ذلك لكل التابعين للملك الاكدي^(١٧٩).

اشار بعض الباحثين استنادا الى التطور في العناصر الفنية من شكل ومضمون، الى ان هذه المسلة تعود الى فترة ما بين فترة الملك سرجون الاكدي والملك نرام سين^(١٨٠)، ومنهم من يرى بانها تعود الى فترة الملك شاركلي شري ابن الملك نرام سين (٢٢١٧-٢١٩٣ ق.م)^(١٨١)، ومقابل ذلك يعترض بعض الباحثين على هذه الدراسة من خلال دراسة لغوية من اوجه مختلفة لاسيما للقطعة المكتوبة والاشارة الى انها عبارة عن تدوين لاراضي تابعة لمدينة لكش وتوزيعها كوقف او هدايا لانتصار الملك عند توليه العرش وليس توزيع الاراضي بعد الانتصار على شعب مدينة لكش^(١٨٢)، وتأييد البعض الاخر للدراسة السابقة، وبوصفها الاقرب للحقيقة، مع الاتفاق بان هذه المسلة تعود الى الملك ريموش^(١٨٣)، ومهما يكن من امر فان هذه المسلة تعد من المسلات المهيبة والمؤثرة بتفاصيلها وتقنياتها المميزة واسلوبها الفني المتجدد، وهناك ايضا الكثير من اوجه التشابه المميزة بين عناصر هذه المسلة مع مسلة اخرى اكديّة، مجهولة خالية من النص الكتابي وبالتالي صعوبة تحديد شخصية الملك الذي امر باقامتها او المعركة التي خلدتها .

المسلة الاكديّة من مدينة الناصرية :

حاز المتحف العراقي على قطعتين من مسلة حجرية من الرخام المائل للصفرة (A,B)، الصغرى منها، اشار حائزها بعد تقديمها الى المتحف، بان مصدرها من منطقة الحي، بين الكوت والناصرية في جنوب العراق، والثانية حصل عليها مفتش الاثار في الناصرية، وهاتان القطعتان منحوتتان بالنحت البارز وهي خاليتان من الكتابة، قياس الصغرى منها ٢٩×٢١×٨ سم، ومن خلال دراستهما ظهر انهما تعودان الى احدى مسلات النصر الاكديّة المهمة^(١٨٤)، وتمثل مرحلة

متقدمة من الناحية الفنية والتقنية للمسلات الاكديّة (شكل- ٩ أ)، فضلا عن ذلك هناك قطعة اخرى محفوظة في متحف بوسطن للفنون الجميلة، وهي من الحجر الرخامي المائل للصفرة، منحوتة بمشهد فني خالية من الكتابة ايضا، بقياس ٣٥×١١,٥ سم (شكل- ٩ ب)، ومن خلال دراسة احد الباحثين تبين انها تعود الى نفس المسلة مع القطعتين السابقتين^(١٨٥)، الا ما يؤسف له، ان هذه القطع الثلاث تم حيازتها بطريقة غير علمية، أي ليس ضمن الطبقات الاثرية او بدلالة قرائن اثرية اخرى لتحديد تعاقب تاريخي دقيق، فضلا عن خلوها من النص والاشارات الكتابية، جعل من الصعب تحديد الفترة الزمنية الدقيقة لاقامتها واسم الملك الاكدي الذي امر بها^(١٨٦)، وكذلك اسم الجهة المعادية التي خلدت الانتصار عليهم، لذلك تم الاعتماد على الدراسات الفنية المقارنة، لمحاولة الوصول الى بعض الاراء النسبية في صحتها، ومهما يكن من أمر فانها تظهر بشكل واضح شبه كبير من حيث العناصر الفنية والتقنية مع المسلة السابقة العائدة الى الملك ريموش.

اعتمدت هذه المسلة طابع السرد القصصي، بتوزيع مشاهدتها على ثلاثة حقول باقل تقدير، والمنحوتة على وجه واحد، تفصلها أطر بارزة عريضة بقياس ٢,٦سم^(١٨٧)، لتشكل ارضية مناسبة للشخصيات المصورة، وتمثل كما اشرنا الى مرحلة متقدمة في الاسلوب الفني والتقني، بدقة خطوطها المنحوتة، وابرار التفاصيل التشريحية للشخصيات الاكديّة منها والمعادية، لاسيما العضلات والاوردة، لاطهار معالم الرجولة والقوة والصرامة لدى عناصر الجيش الاكدي، وزيادة التأثير الحسي بالمشاهد والتاكيد على ابقاء وتخليد ذكرى هذه المناسبة في الازهان . اما المحور الرئيس للمشاهد، فهو عملية اقتياد الاسرى الاعداء، في الحقل الاوسط، الذي يزيد عددهم عن ستة اسرى، وهم عراة بذلة ومهانة، مقيدي الايدي بشكل مميز، بربط مرفقي الايدي من الخلف وربط المعصمين الواحد فوق الاخر من الامام، بشكل مشابه لمسلة ريموش، يسيرون بشكل رتل الواحد خلف

الآخر بصورة نظامية، مقيدون بعضهم لبعض من خلال ما يسمى بعصى الرقبة، وهي ابتداء اكدى لاقتياد الاسرى، بشكل انفرادي كما اشرنا سابقا، لاسيما في عصر الملك سرجون الاكدي، ، اما في حالة الرتل او المجموع فقد استعمل الاسلوب نفسه لكن بصورة ثانية، من خلال مد اثنين من العصي او الاعمدة الخشبية ، بشكل متوازي وهي تحصر بينها رقاب الاسرى التي تُحَكَم على العصي بربطها بها، او ربط العصي بعضها مع بعض بحبال من خلف وامام رقبة كل اسير لتتشبه بهذه الحالة شكل من اشكال السلال، حتى لا يتمكن الاسير من الالتفاف خلفا او التحرك يمينا او يسارا، وهذا ما دفع بعض الباحثين الى الإشارة الى ان الملك سرجون الاكدي هو من اقام هذه المسلة^(١٨٨)، وقد تميز الاسرى بتسريحة شعر تشبه الضفيرة منسدلة الى الخلف مع لحية كثة، وهناك من لم يكن بهذه التسريحة وهو غير ملتصق، ربما لصغر عمره، او ربما يمثل جهة معادية اخرى^(١٨٩).

يقتاد الاسرى في هذه المسلة جنود اكديون، لاسيما في الحقل الاوسط، وفي الحقلين العلوي والاسفل يُصَوَّر الجنود لكن دون اسرى على الاغلب، وهم يرتدون زيا عسكريا مميزا برداء طويل ذي نهاية مشرشفة او بطيات بدلالة الخطوط الطولية المحززة لحافة هذا الرداء، مع حمل شال عريض وطويل ينساب من الكتف الايسر الى الركبة، وذا نهاية مشرشفة بدلالة الخطوط المتموجة في حافة هذه الشال^(١٩٠)، وارتداء خوذة متميزة بحجمها الكبير وهي من الجلد تغطي كل من الراس والاذن ونهاية الرقبة الخلفية، محززة باخاديد عرضية، مغطاة ربما تمثل اشربة معدنية لتقويتها مع شريط اخر يحيط بالحافة الخارجية للخوذة، وهي تشبه الى حد كبير خوذ الجنود في مسلة ريموش، الا انها تتميز بوجود شريط منساب على امتداد الكتف في نهايتها الخلفية^(١٩١)، ربما تمثل قطعة من الجلد او من القماش السميك خلف الخوذة مناسبة الى الاسفل لحماية اعلى الظهر، ومثل هذه الخوذ لم نشاهدها

في مسلات الملك سرجون، اما السلاح المستعمل من قبل الجنود فهو الفاس القتالية بنصل عريض^(١٩٢)، محدودب الزوايا، محمولا على الكتف من قبل الجندي برفقة الاسرى، او محمولا على الخصر من قبل الجنود الاكديين لاسيما في الحقل الاسفل^(١٩٣)، وهم كما يبدو يسيرون برتل عسكري كنوع من انواع العرض القتالي، ويحملون فضلا عن هذه الفأس، بيدهم اليمنى خنجر بغمده مثبت بشريط جلدي طويل بنهاية معقودة^(١٩٤)، وهنا يظهر هذا الخنجر كسلاح مهم بشكل واضح، وبصورة مشابهة لمسلة ريموش، ويحملون هولااء الجند أنفسهم في الحقل الاسفل آنية ربما من المعدن، في ايديهم اليسرى، يشير بعض الباحثين الى انها من الطراز الاناضولي (اسيا الصغرى)^(١٩٥)، وهذا ما لم نره في كل المسلات الاكديّة ومنها مسلة ريموش، ومن خلال التشابه معها في الكثير من العناصر، ربما تعد هذه المسلة مرحلة متقدمة عن مسلة ريموش، أي اقامتها بوقت لاحق عن السابقة، وربما تعود الى الملك نفسه . وبالتالي جسدت هذه المسلة اسلوبا فنيا مهما جدا وهو تصوير الاسرى بشكل جانبي، أي استخدام البعد الثالث(العمق) في النحت^(١٩٦)، او كما يعرف بالرسم ثلاثي الابعاد، وهو ما لم يكن معروفا في الفن العراقي القديم، باعتماده على استخدام البعدين الطولي والعرضي فقط، وهذا يشير الى ان الفنان كان على ادراك بهذه الابعاد، ولم يكن جاهلا بها، لكن لاهتمامه ربما باظهار التفاصيل الكاملة للجسم، دفعه لاعتماد اسلوب البعدين فقط في كل ابداعاته الفنية .

مسلات النصر للملك الاكدي نرام سين:

يعد الملك الاكدي نرام سين (٢٢٥٤ - ٢٢١٨ ق.م)، ابن الملك مانشتوسو، من اقوى واشهر ملوك الاسرة السرجونية بعد جده الملك سرجون^(١٩٧)، خلف لنا الكثير من الاشارات والنصوص المسمارية، التي تعكس التطورات السياسية والحربية في المنطقة، ومدى اتساع رقعة المملكة الاكديّة بكافة الاتجاهات، وقد

بسط الامن والاستقرار فيها بعد قضاءه على الكثير من التمردات والثورات ومنها ما يسمى بالتمرد العظيم، فضلا عن الكثير من الحملات الحربية التي اشار اليها في كتاباته، منها على بلاد عيلام وممالك بلاد الشام وجنوب اسيا الصغرى، كبلاد ارمانوم، وشعوب اللولوبو الجبلية، ووصله الى منابع نهري دجلة والفرات^(١٩٨)، ليرتقي بذلك مكانة سياسية وعسكرية مهمة، بسلطة متفردة وقوة لا يضاهيه بها احد، دفعه ذلك الى ابتداع منظور جديد في الفكر العراقي القديم وهو تأليه ذاته الانسانية، ليكون بمصاف الالهة، من خلال ارتداء التاج المقرن، وهو احد الرموز المهمة للالهة العراقية القديمة، واسبق اسمه بعلامة التأليه النجمة (دنكر)، وهي العلامة التي تسبق اسماء الالهة فقط، واتخاذها فضلا عن ذلك لقب ملك الجهات الاربع^(١٩٩)، وهي دلالات لقوته وجبروته وسلطته القوية، لتصبح في هذا العصر السلطة الانسانية تفوق بشكل او بآخر السلطة الالهية مع تداعيات ذلك واثاره في المجتمع، وهذا مبحث وطرح آخر، لذلك خلد الاثار الكثيرة ومنها مسلتين للنصر.

مسلة نصر بير حسين (Pir Hüseyin):

وصلت الى متحف استنبول في تركيا قطعة من حجر الديورائيت او البازلت الصلب، منحوتة بالنحت البارز مع بقايا لنص بالكتابة المسمارية (شكل-١٠)، اشار مصدرها الى انها كشفت من قبل مجموعة من القرويين تحت طبقات ترابية في قرية بالقرب من مدينة صغيرة تسمى بير حسين، وتقع بنحو ٢٥ كم الى الشمال الشرقي من ديار بكر، وقد احتفظ بها رئيس القرية لمدة من الزمن اذ اقامها على احدى زوايا نافورة مياه في ساحة بيته الكبير، ليقوم احفاده باهدائها الى المتحف بعد ذلك^(٢٠٠)، وهي بقياس ٢٠×٤٢×٥٧ سم، ويغطي الجزء المكتوب منها مساحة ١٨×١٩ سم، تحمل الرقم المتحفي (ES 1027)^(٢٠١)، وقد اشار الباحثان بعد دراستها الى انها تعود الى الملك نرام سين، وهي جزء من مسلة نصر كبيرة اقيمت هناك، تخليدا لمعركة لم يتم التعرف على مكانها الدقيق او هوية الجهة المعادية

المهزومة^(٢٠٢)، وتم التوصل لهذه المعلومات من خلال قراءة النص الكتابي والمكتوب باللغة الاكديّة الذي ينص ((نرام سين الملك القوي) الاسم مسبوق بعلامة التأليه)..... اعطاه الاله أيا (انكي) السلطة وخضوع الجهات الاربع..... هو جعلهم اكوام من القتلى واقام المدافن التلية..... من يقوم بازالة هذه الكتابة، عسى الالهة عشتار والالهة.... تهدم اسسه وتدمر ذريته....))^(٢٠٣).

يمثل المشهد المنحوت القسم الاعلى من جسم شخصية الملك نرام سين بشكل مهيب ووقور، ذو وجه تعلوه الصرامة، ولحية كثة طويلة دقيقة النحت، بخصلات مبرومة(مخصلة) او بصورة ادق تجعيدات حلقيّة، بشكل صفوف افقية متعاقبة تختلف في حجمها واتجاهها بين عدة صفوف واخرى، لتضيف حركة وانسيابية على خصلات هذه اللحي، بشكل يشبه كثيرا لحي الملوك الاكديين لاسيما الملك ذاته نرام سين، والمصورة في المنحوتات البارزة والتماثيل، كطابع جزري استمر لاحقا في الفنون البابلية والاشورية، مع شعر رأس كثيف بدلالة كومة الشعر المجدولة الى الخلف والتي تسمى بالكعكة^(٢٠٤)، وهي ربما تعد خاصية ملكية او الهية، والتي صورت في المنحوتات السومرية والاكديّة على حد سواء، ولوجود الكسر القريب منها لم نتمكن من معرفة التفاصيل الاخرى لها كنوع الرباط المربوطة بها او غير ذلك. ويلبس الملك غطاء للرأس مخروطي الشكل بحافة سفلى عريضة وبارزة، محززة افقيا وعموديا كنوع من التطريز او الزخرفة، وهي لاتشبه التيجان المقرنة التي ارتداها الملك في منحوتات اخرى، لكنها تشبه كثيرا قبعات الابطال الاكديين الممثلة في الاختام الاسطوانية، وتشبه كذلك القبعة العسكرية من مدينة ايبلا(شمال سوريا)، وربما تم تصوير الملك بهذه القبعة بعد حملاته في القسم الشمالي من المملكة الاكديّة^(٢٠٥). ويرتدي الملك ثوبا طويلا مخصلاً طريا حتى تبدو معالم الصدر من تحته^(٢٠٦)، يغطي كتفه الايسر ليبقى

الكتف الايمن عاريا، ويحمل في كلا معصميه سوارا كبيرا^(٢٠٧)، ربما تكون احدى الرموز الملكية او الرئاسية، اذ تم تصويرها كذلك في مسلة ريموش، وسنراها لاحقا في مسلة النصر الاخرى للملك نرام سين، والتي تعد كذلك سمة خاصة رافقت الشخصيات الملكية الاشورية لاحقا والتي زينت بشكل وردة او زهرة الببيون، ويمسك الملك نرام سين بكلا يديه سلاحا لم يبقى منهما الا مقابضهما، لذلك لم يتم التعرف عليهما بشكل دقيق لكن ربما تكون هذه الاسلحة بدلالة المقابض اما الفاس القتالية او الصولجان الملكي^(٢٠٨)، وربما كلاهما.

ارتبطت مع هذه المسلة بعض الاراء المهمة، اذ يشير بعض الباحثين الى ان هذه المسلة ربما تخلد انتصار الملك نرام سين على بلاد ارمانوم التي اشار اليها في كتاباته كثيرا، وان هذه البلاد ربما تمثل بشكل كبير بلاد ارمينيا التي عرفت بعد ذلك لاسيما في النصوص الاشورية، او تقع ضمن مركزها^(٢٠٩). ومن ناحية اخرى يشير بعض الباحثين الى ان هذه المسلة حملت الدلالات الاولى لتأليه الملك نرام سين وهي علامة التأليه النجمة التي تسبق اسمه، وهذا التطور في بدعة الوهية الملك جاءت بعد انتصار الملك في حملاته الشمالية وليس بعد انتصاره على التمرد العظيم او ما يعرف بالثورة الكبرى من قبل مدن العراق الجنوبية والشمالية بتحالفها ضد المملكة الاكديّة^(٢١٠).

مسلة النصر ضد اللولوبو:

كُشِفَت هذه المسلة من قبل جاكبوس دي موركان السفير الفرنسي في ايران خلال تنقيباته في مدينة سوسة عاصمة بلاد عيلام^(٢١١)، كونها واحدة من الغنائم التي سلبها الملك العيلامي شتروك ناخونتي، الذي اشار الى اغتنامها من مدينة سبار(تل ابو حبة، في اليوسفية، ٤٥ كم جنوب غرب بغداد) في احدى نصوصه^(٢١٢)، وهي من الحجر الرملي المحمر، محفوظة الان في متحف اللوفر تحت رقم Sb4، ارتفاعها بشكلها الحالي بحدود ٢م وعرضها عند اعرض جزء

فيها بحدود ١٠٥سم^(٢١٣)، وقد اخذت هذه المسلة الطابع الشكلي للمسلة السومرية من حيث تحذب القمة، وهذا ما يبدو بشكل واضح على الرغم من فقدان جزء من الجانب الايسر لقمتها، ونفذت مشاهدتها بالنحت البارز على وجه واحد فقط، (شكل - ١١ أ).

تعد هذه المسلة اكثر المسلات الاكديّة والسومرية القديمة كمالا بشكل عام، كونها قطعة واحدة غير مجزئة أذ لم تفقد الكثير من معالمها، الا انها عانت من كسر وفقدان لبعض اقسامها لاسيما القسم السفلي، وتمثل كذلك مرحلة متقدمة من الناحية الفنية والتقنية، بدقة عناصرها التصويرية وايحاءاتها الحسية والتعبيرية، فضلا عن دقة تمثيل التفاصيل الفلسجية(التشريحية) للشخصيات المصورة من حيث ابراز العضلات والاوردة والتقاطيع الاخرى، لاضافة حركة وحيوية للمشهد عموما، فضلا عن عدم التقيد والتحرر من التقليد السومري القديم الذي اعتمد مبدأ السرد القصصي ضمن حقول مفصولة بأطر^(٢١٤)، وذلك بنشر المشاهد على ارضية واحدة، للتعبير عن قصة موحدة، بحبكة متكاملة لموضوع بتفاصيل عدة، دون الحاجة الى حقول بسرد قصصي متتالي^(٢١٥)، لتعطي انطباع موحد واضح، والاستغناء عن مواصلة التفسير والتتبع من قبل المشاهد للاحداث شيء فشيء .

اقام الملك نرام سين هذه المسلة تخليد لانتصاره على شعوب المناطق الجبلية اللولوبو(قبائل همجية استوطنت منطقة جبال زاكروس شمال شرق العراق وسهل شهرزور) وملكهم سيدور، بدلالة ما تبقى من النص الكتابي المدون باللغة الاكديّة على المسلة، أذ جاء فيه ((نرام سين الملك القوي.....سيدور..وشعوب الاراضي المرتفعة(الجبال) من اللولوبو اجتمعوا معا.....معركة لاجل...شعوب الاراضي المرتفعة جعلت جثثهم اكواما.... واقمت تلالا دفنية لهم....كرست هذه..الى الاله.....))^(٢١٦)، علما ان هناك نص اخر باللغة العيلامية تم اضافته

من قبل الملك العيلامي شتروك ناخونتي على هذه المسلة، يشير فيه الى انه الملك الاعظم لبلاد عيلام وهو من احتل مدينة سبار عاصمة بلاد اكد^(٢١٧).

يتمركز محور الحدث المصور في هذه المسلة على هيئة الملك نرام سين المعتدة بسلطتها وقوتها والمبجلة بهالتها الالهية، أذ تم تمثيل شخصيته كاحد الابطال الاكديين، كمشهد رئيس ملفت للنظر ضمن الحبكة الموحدة للحدث، بحجم كبير مميز عن باقي شخصيات الحدث من جنود اكديين واعداء، بهيئته، صرامته، بسالته واقدامه في الحرب، وكذلك اتخاذه شكل من اشكال الالهة المبجلة والمعبودة، بدلالة ارتدائه التاج المقرن الذي ارتبط مع الالهة فقط والمخلوقات المقدسة، فهو الملك الاله او اله مدينة اكد^(٢١٨)، ليصبح الشخصية المهمة في الحدث بشكلها الديني والدنيوي وتهميش الدور الالهي في هذا الحدث، والاستعاضة عن الآلهة بعدة نجوم ثمانية الشكل مشعة تمتد بشكل قوسي، على ما يبدو، فوق راس الملك نرام سين في اعلى المسلة، ربما لتشير الى اله الشمس والقمر كما يشير بعض الباحثين^(٢١٩)، او لاله الشمس فقط^(٢٢٠)، وربما للالهة عشتار، الالهة الحامية للأسرة السرجونية، أذ ارتبطت معها النجوم في كثير من صورها لاسيما في الاختتام الاسطواني^(٢٢١)، أذ تميزت هذه الالهة بمكانتها الكبيرة في الفكر الاكدي، أذ صُوِّرت مع الملك نرام سين مرتديا تاج الالهية المقرن وهي تمسك بيديه، على قالب حجري معد لاستخدامه في صنع الدروع^(٢٢٢)، وربما كما اذن انها تشير الى تأكيد ومباركة قدسية الملك نرام سين ذاته فضلا عن التاج المقرن .

شُخِصَ هذا الملك بأسلوب فني راقي متطور، بابرار معالم وتفاصيل جسمه لاسيما العضلات والاوردة وتقاطيع الوجه، بدقة من خلال معالم التصيليل لاضافة حيوية وحركة لهذه الشخصية، محسوسة من قبل المشاهد لزيادة التأثير الحسي فيه، مع تمثيل المدلولات الايحائية بالرفعة، الهيبة والكبرياء بتجسيد وضعية وهيأة الملك الاله بنفس الوقت بشكل لا يضاهاها احد، بارتدائه التاج المقرن من جهة

وحمله الاسلحة من جهة اخرى، منها القوس باليد اليسرى مضموما الى صدره برفعة وكبرياء، والسهم بيده اليمنى متهيناً لرمي الاعداء به فضلاعن سلاح الفاس القتالية التي يضمها الى صدره بساعده اليسر، ويحمل على رقبة ما يشبه القلادة ربما هي تعويذة ما لحمايته من الشر^(٢٢٣)، لم نرها سابقا، وقد ارتدى لباسا حربيا متميزا بخفته لاطهار معالم جسمه البديع بعضلات الارجل والافخاذ والايدي المفتولة، فضلاعن دقة وجمال رسم اردافه^(٢٢٤)، مع عقدة للثوب على خصره، جميلة جدا ومميزة بشكلها كانها نوع من الورود، وقد تحصن هذا الملك بدرع واقى للجسم، ربما من الجلد المقوى بصفائح معدنية^(٢٢٥)، مميزة بتدليها الى ما بين الفخذين لحماية الجسم من الامام، واكمالا لجمال هذه الهيئة، صورَ وهو يرتقي سفح الجبل باقدام ثابتة وثيقة، ليتساقط القتلى الاعداء من حوله منهم من كانوا كومة من الجثث تحت مستوى اقدمه ومنهم من يتهاوى امامه صريعا جراء سهمها اخترق رقبة او حنجرته، ربما كان سهمها من نرام سين ذاته^(٢٢٦)، ومنهم من يسقط من اعلى الجبل بشكل عمودي على راسه، برميهِ من قبل الملك ايضا باحتمال كبير، مع ملاحظة عدم اشتباك هذا الملك بشكل ملموس مع أي واحد من الاعداء وربما ذلك لترفعه وارتقائه عن هذا المستوى البشري، وهو باتجاه مقر الاعداء في المنطقة الجبلية الممتلة امامه بشكل مخروطي كصورة للجبل وفيه شخصية صغيرة اتجاه الملك ترفع يدها متضرعة ومسترحمة^(٢٢٧)، ربما تمثل الملك اللولوبي، مع تمثيل للشجار الصنوبرية التي تشير الى طبيعة ومحيط المكان ببيئته الجبلية، لنرى مثل هذه الصورة هنا لأول مرة^(٢٢٨).

صُورت الى جانب الملك شخصيات عدة من الجنود الاكديين وهم يرتقون السفح الجبلي بشكل ارتال متتالية متعاقبة بشكل متعرج(زكزاك)^(٢٢٩)، ظهر منها رتلين كاملين وجزء من الرتل الثالث، لوجود كسر كبير في القسم الاسفل من المسلة، ويشير بعض الباحثين الى ان هذه المسلة وباكتمال مشهد الرتل الثالث

سيزداد طولها من ٣٠-٥٠سم، ومن خلال دراسات فنية مقارنة، يشير بعض الباحثين الى وجود مشهد لرتل رابع كذلك، ليلبغ ارتفاع هذه المسلة الثلاثة امتار تقريبا^(٢٣٠)، (شكل ١١ ب)، وقد صورت هذه الارتال كأنها حقول مفصولة عن بعضها بارضية الجبل الصخرية، الا انها تمثل مشهدا واحد وهو تسلقهم هذا الجبل، قسم منهم يحملون الاسلحة والقسم الاخر يحمل الرايات العسكرية، يلبسون خوذا تغطي الراس والاذن والرقبة بشكل مشابه لخوذ مسلتي الناصرية وريموش، وكانوا جميعا يتجهون بنظرهم الى الاعلى، ربما لتحديد مسارهم وهم يرتقون الجبل صعودا^(٢٣١)، وربما توحيد النظر نحو الملك الاله نرام سين، تيمنا به وتبجيلا، والانقياد خلفه دون النظر الى الوراء. وقد تركت هذه المسلة اثرا كبيرا في رؤية الآخرين اعلاميا ونفسيا لما لها من دلالات فكرية ومعنوية، لاسيما الابعاد السياسية والدينية التي عكستها هيئة واطلالة الملك الاله نرام سين الحربية والالهية، انعكست بالتالي على رؤية الملوك والحكام المعاصرين واللاحقين للعصر الاكدي بتصوير شخصياتهم وتخليد انتصاراتهم ضمن منحوتات بارزة لاسيما على سفوح الجبال، وهم بهيأة وانتصاب مشابهة باغلب معالمها لهيئة الملك نرام سين في هذه المسلة^(٢٣٢).

الاستنتاجات:

١. سعى العراقي القديم الى توثيق الاحداث والانجازات التاريخية منذ اقدم العصور
التاريخية
رغبة منه في تخليد الحدث وتوثيقه ليبقى خالدا عبر الزمن باثارة ودلالاته، حبا بروح التاريخ وتخليدا لاثاره لاسيما الانجازات الملكية، حفاظا على الهوية الوطنية والعقائدية وصولا الى مستوى الخلود المعنوي بترك ذكريات خالدة عن اهم الاحداث

٢. وثق الملوك والحكام حملاتهم الحربية كانجازات عظيمة، وخلدوها في مجموعة من المشاهد الفنية المعبرة عن تفاصيل الحدث القتالي، التي تصور انتصاراتهم وهزيمة اعدائهم، لتتجلى فيها معاني وصور القوة، السلطة، الشجاعة والاقتدار يقابلها ذلة ومهانة الاعداء، لتصبح سجلا وثائقيا واضح المعالم للجميع .

٣. تخليد الذكرى وصولا الى الخلود المعنوي عبر الزمن من خلال استخدام هذه الرؤية الفلسفية وتوظيفها بشكل صوري فني مبدع خلاق لترك مؤثر حسي ونفسي لا يزول عند المشاهد والمتطلع، معتمدا على قدراته الابداعية الفنية لايخرج مشهدا مصورا بلمسة جمالية لزيادة التأثير والابهار، لذلك كانت هناك خطوات واضحة من التقدم الفني في فن العراقي القديم عبر العصور، باستخدام قوة المشهد بشكل واضح وكبير مع قوة الكلمة .

٤. استخدام شكل ونوع مبدع ومتميز من النماذج الفنية وهي المسلات المتميزة بمساحتها الكبيرة والمناسبة لنحت المشاهد عليها عبر مفهوم سردي قصصي معبر عن الرؤية الكاملة لصاحب الحدث، للتعريف باحداث كثيرة ضمن مشاهد متعددة، وهذه قوة المشهد التي تترك تاثيرها اكثر من قوة الكلمة كونها ثابتة عبر الزمن ومرأى للجميع وفي كل وقت غير مقتصرة بحدود او زمن، فضلا عن مساحتها وحجمها التي اتاح تصوير المشاهد على اربعة اوجه ان لم يكن وجهين او وجه واحد، فضلا عن اقامتها من مادة الحجر القوية مما يساعد على عدم دمارها او اندثارها لتبقى خالدة باحداثها.

٥. استخدام الدور الاعلامي من خلال هذه المسلات لايصال المفاهيم المطلوبة لكل شرائح المجتمع داخليا، ولكل من حكام وملوك المناطق والاراضي التابعة لسلطة الملوك العراقيين، ويعد العراق القديم هو الاسبق في استخدام مسلات النصر الحربية في الشرق الادنى القديم، كنموذج فني اعلامي وثائقي تاريخي .

٦. استطاع الباحثين من خلال هذه المسلات، رسم التطور الفكري والفلسفي آنذاك، كعلاقة الانسان مع الالهة، في ميدان السلم والحرب، فضلاعن الكثير من العناصر المادية الاخرى والتي لها علاقة قريبة بالحرب والقتال من اساليب وصنوف الجيش باسلحته، خططه، تنظيماته وازيائه، فضلاعن نهاية الاعداء المأساوية والتعامل معهم في ساحة الحرب .

7. Abstract:

8. Thought in the old Iraqi Was distinguished by renewal and creativity in the implementation of his vision philosophical, through the use of artistic elements to deliver these insights to everyone, most eloquent images and most effective in the spirit of the viewer, to leave the purpose for which it is intended to, especially for targets media and publicity as well as to perpetuate important events that the Kings have accomplished. In order to review the values and images heroism and valor and strength enjoyed by the king and his armies in order to leave the horror and dread in the hearts of the enemies and all of vested in him in attack, and the stelae best way invented by ancient Iraqi for these concepts, to become a large plate made of the strongest stone materials to ensure immortal, and to be a way for all fixed media across all times, carried along

with it the concepts and visions of many thought of old
Iraqi.

الهوامش :

(1) Eric M. Meyers, The Oxford Encyclopedia of Archaeology in Ancient Near East, vol.5, Oxford, 1997, p.79.

(2) Ibid, p.80 .

(3) هالة عبد الكريم الراوي، المسلات الملكية في العراق القديم دراسة تأريخية- فنية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب - جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص ٨-١١ .

(4) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، ب ت، ص ٧٦٠.

(5) Eric M . Meyers, Op. Cit, p.79 .

(6) Ian Shaw and Robert Jameson, A Dictionary of Archaeology, U.S.A, 1999, p.438 .

(7) Barbara Ann Kipfer, Dictionary of Artifacts, Blackweel Publishing, 2007, p. 217 .

(8) E.Ebeling und E.Meissner , Reallexikon der Assyriologie(RLA), B.10, Berlin, 2003, pp. 4-6 .

(9) CAD, M:c,1, p. 286.

(10) B. Hubner, A . Reizammer, Sumerisch Deutsches Glossar, Germany, 1980, p, 205 .

(11) The Assyrian Dictionary, Chicago, (CAD), 1960, N:a, pp. 364-6 .

(12) Kathryn E. Slanski, " Classification, Historiography and Monumental Authority: The Babylonian Entitlement narûs (kudurrus)", Journal of Cuneiform Studies (JCS), Vol. 52, 2000, p. 99 .

(13) Ann Perkins, "Narration in Babylonian Art", American Journal of Archaeology(AJA), Vol. 61, No.1, 1957, pp. 55-56.

(14) Ibid, p. 55 .

(15) Ibid, p. 59 .

(16) CAD, N:a, p. 367.

(١٧) طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج١، ط٢، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٦، ص٤٦٣ .

(18) Rene Labat, "Elam and Ancient Persia", The Cambridge Ancient History(CAH),Vol. 2/2, 1975, p.486.

(19) P.R.S Moorey, Ancient Mesopotamian Materials and Industries, Indiana,1999,pp.21-25 .

(٢٠) حول المزيد من اراء الباحثين لتحديد هذه المنطقة ومناطق اخرى مهمة مثل دلمون وملوخوا التي ذكرتها الكتابات المسمارية . ينظر:

سليمان سعدون البدر، منطقة الخليج العربي خلال الالفين الثاني والاول قبل الميلاد، الكويت، ١٩٧٨، ص١٠٩-١٢٣ .

(21) Wolfgang Heimpel,"A first step in the diorite question", Revue d'Assyriologie et d'archéologie orientale (RA), Vol. 76, No. 1 (1982), pp. 65-67 .

(٢٢) فرج بصمه جي، "مسلة صيد الاسود من الوركاء"، مجلة سومر، ج١، ١٩٤٩، ص٥٣ .

(٢٣) المصدر نفسه ، ص٤٩ .

(٢٤) انطون مورتكارت، الفن في العراق القديم، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٥، ص٣٦ .

(25) Margaret R. Burson, Encyclopedia of Ancient Egypt, U.S.A, 2002, p. 388 .

(26) J.B.Pritchard (ed);The Ancient Near Eastern Text Relating to the Old Testament (ANET), 3rd (ed) , Princeton,1969, p. 232 .

(27) Ibid, p. 234, 255 .

(٢٨) محمد بيومي مهران، مصر والشرق الادنى القديم، ج٢، ط٤، الاسكندرية، ١٩٨٨،
ص٩-٢٩.

(٢٩) صموئيل نوح كريم، السومريون، ترجمة فيصل الوائلي، الكويت، ١٩٧٣، ص٤٤٩-
٤٥١.

(30) D.D Luckenbill ,Ancient Records of Assyria and Babylonia (ARAB),
Vol.1, Chicago, 1926, p. 17 .

(31) ANET, p. 276 .

(32) Ibid, p. 277 .

(33) A.Kirk Grayson, The Royal Inscriptions of Mesopotamia-Assyrian
periods (RIMA), Vol.3, Canada, 1996, p.10.

(34) ARAB,1, p. 293 .

(35) D.D Luckenbill, "Annals of Sennacherib", Oriental Institute
Puplications (OIP), Vol,2, 1924, p. 66.

(36) ARAB, 2, p. 227 .

(٣٧) طه باقر، المصدر السابق، ص٢٥٤ .

(٣٨) المصدر نفسه، ص٢٥٥-٢٦٤ .

(٣٩) تعرف بقاياها الان باسم تل المقيّر، حوالي ١٥ كم جنوب غرب مدينة الناصرية، ينظر :

قحطان رشيد صالح، الكشف الاثري في العراق، بغداد، ١٩٨٧، ص ٢٥٣ .

(٤٠) طه باقر، المصدر السابق، ص٢٧٨.

(٤١) جورج رو، العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٨٩ .

(42) Julian Reade, "The Royal Tombs of Ur", in Joan Aroz, Art of the
First Cities : The Third Millennium B.C. from the Mediterranean to
Indus, New York, 2003, p. 97.

(43) S. L, Woolley, The Royal Cemetery, (Ur Excavations 2), Oxford,
1934, p. 266 .

- (44) Donald P. Hansen, Treasures From the Royal Tombs of Ur, Pennsylvania, 1998, p. 45 .
- (45) J.N. Postagat, Early Mesopotamia, Routledge, 1994, p. 146.
- (46) S. L, Woolley, Op.Cit, p. 267 .
- (47) Ann Perkins, Op.Cit, p. 56 .
- (48) S.N. Kramer, History Begins at Sumer, Philadelphia, 1956, p. 207 .
- (49) S. L, Woolley, Op.Cit, p. 270.
- (50) Donald P. Hansen, Op.Cit, p. 45.
- (51) S. L, Woolley, Op.Cit, p. 270.
- (52) Ibid, p. 270 .
- (53) Julian Reade, Op.Cit, p. 97 .
- (54) Ann Perkins, Op.Cit, p. 57 .
- (55) Julian Reade, Op.Cit, p. 100 .
- (56) تعرف بقاياها الان باسم تلّول الهبة ، تقع في ناحية الدواية/ قضاء الشطرة/ محافظة الناصرية، حوالي ١٦ كم شرق الشطرة، ينظر : قحطان رشيد صالح، المصدر السابق ، ص٢٦٦.
- (57) حول تارخة سنين حكم الملوك لاسيما للعصر السومري القديم والعصر الاكدي، ينظر : جون اوتس، بابل تأريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلي، بغداد، ١٩٩٠، ص ٣٠٣ .
- (58) صموئيل نوح كريم، المصدر السابق، ص ٧٠-٧١ .
- (59) Peeter Espak, " The Emergence of the Concept of Divin Warfare and Theology of War in the Ancient Near East", Central and Eastern European Online Library, issue 14, 2011,(www. Ceeol.com), p. 119 .
- (60) Vaughn E. Crawford, "Inscriptions from Lagash, Season Four, 1975-76", (JCS), Vol.29, No.4, 1977, p.192.
- (61) Ibid, no.4, p. 193 .

(٦٢) تلو هي الاسم الحديث لمدينة كرسو، وهي احدى مقاطعات مدينة لكش الرئيسة، ١٦ كم شمال شرق الشطرة ، ينظر : قحطان رشيد صالح، المصدر السابق، ص ٢٦١ .

(63) Vaughn E. Crawford, Op.Cit, p. 194.

(64) Peeter Espak, Op.Cit, p. 119 .

(٦٥) مدينة اوما (تل جوخة)، حوالي ٥٠ كم شمال غرب مدينة لكش، على نهر الغراف، ينظر: طه باقر، المصدر السابق، ص ٣١٧ .

(66) Peeter Espak, Op.Cit, pp. 119-20, // Vaughn E. Crawford, Op.Cit, pp.196-7 .

(67) William J . Hamblin, Warfare in the Ancient Near East to 1600B.C, Routledge, 2006, p. 51.

(٦٨) انطون مورتيكارت، المصدر السابق، ص ٤١-٤٢ .

(69) Peeter Espak, Op.Cit, p. 120 .

(٧٠) صموئيل نوح كريم، المصدر السابق، ص ٧١ .

(71) Eva Strommenger, The Art of Mesopotamia, London, 1964, p. 28.

(٧٢) من الضروري الاشارة الى ان تعيين الفترات الزمنية لتاريخ حكم ملوك وحكام بلاد سومر ما قبل العصر السرجوني هي مجرد تخمين من قبل الباحثين استنادا الى بعض الدراسات الفنية والتاريخية، بسبب غياب التاريخة باسماء السنين(صبيغ الاحداث) حتى العصر الاكدي وغياب الجداول لفترات الحكم التعاصرية ما بين الملوك . حول المزيد ينظر .

Douglas R. Frayne, The Royal Inscriptions of Mesopotamia Early Periods, Presargonic Period (2700-2350 BC) , (RIME/1), Canada, 2008, pp. 125-6 .

(73) Marie T . Barrelet , Peut-On Remettre en Question la "Restitution Materielle de la Stele des Vautours" (JNES)Vol. 29, No. 4, 1970, pp. 249-58 .

(74) Ernest de Sarzec, Decouvertes en Chaldee : premier volume texte, Paris, 1884, pp. 94-9.

(75) Marie T . Barrelet , Op.Cit, p. 233 .

(76) Ibid, p. 234 .

(77) Charles Gates, Ancient Cities, Routledge, 2003, p. 41 .

(٧٨) انطون مورتيكارت، المصدر السابق، ص١٤٧ .

(٧٩) يعد نكرسو الاله الرئيس في مدينة لكش والاله الحامي لها، ومعنى اسمه سيد كيرسو(تلو)، المدينة التي تعد مقر عبادته لاسيما في معبد الخمسين المخصص له، يمثل في احدى صفاته الها للخصب والنماء والعطاء، ومن صفاته المهمة التي تظهر في النصوص هي دوره كاله للحرب او الاله المحارب، وقد عُيِدَ لاحقا بشكل الاله ننورتا لا سيما منذ العصر البابلي القديم، بتشابه كل منهما في الوظائف وسلسلة الانساب والاحداث، وشعار الاله كما يظهر في المسلة هو طير الامدكود في الاكديّة (im-dugud) ومعناه (قوة العاصفة) وانزو(inzū) في السومرية، وهو حيوان مركب من نسر براس لبوة، وهو يعتلي ممسكا بمخالبه اسدين رابضين الى جهة اليمين واليسار بشكل متنافر، ليمثل شعارا لاله العاصفة بقوتها ورعيدها، فامتداد جناحيه يشيران الى امتداد الغيوم المتراصة وسرعته وسيطرته في السماء، ورأس اللبوة يشير الى صوت العاصفة كزئير الاسد، تم تصوير هذا الطائر كشعار مع الاله نكرسو غالبا كهذه المسلة ومسلة وحلم كوديا(امير لكش في سلالتها الثانية)، فضلا عن ان الاله نكرسو هو من قضى عليه عندما سرق هذا الطائر الواح القدر من الاله انليل . حول المزيد ينظر : د . ادزارد، قاموس الالهة والاساطير، ترجمة محمد وحيد خياطة، بيروت، ب.ت، ص١٧١. كذلك

Jeremy Black & Anthony Green, Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, UK,1992, PP.108,138 // Alberto R .W. Green, The Storm-God in the Ancient Near East, U.S.A, 2003, PP. 25-6 .

(٨٠) تعد الشبكة من الاسلحة المميزة برمزيّتها في العراق القديم، تدعى شوش كال بالسومرية (sus-gal)وشوش كالو بالاكديّة(suskallu)، استخدمت لايفاع الشرك بالاعداء، ومن خلال النصوص يظهر انها باحتمال كبير كانت من الاسلحة الالهية، أي نوعا ما اسطورية او مجازية مرتبطة مع الالهة او انصاف الالهة مثل كلكامش، وقد استخدمها الملك سرجون الاكدي لاحقا

في مسلته ربما لدلالات عقائدية تخص نظرية الملك المؤله . ينظر : CAD, Sh/3:a, pp. 382-3

(^{٨١}) فاضل عبد الواحد علي، "المنجزات السياسية والعسكرية في عصر فجر السلالات السومرية"، مجلة المورد، مج ١٦، عدد ٣، ١٩٨٧، بغداد، ص ٢٥.
(^{٨٢}) انطون مورنكارت، المصدر السابق، ص ١٤٧ .

(^{٨٣}) Andre Parrot, Sumer, Traslated by Stuart Gilbert, in Andre Malraux(ed), The Art of Mankind, U.S.A, 1961, p. 136 . // L.W King, A History of Sumer and Akkad, New York, 1910, p. 134-5.

(^{٨٤}) Ann Perkins, Op.Cit, p. 58 .

(^{٨٥}) Jeremy Black & Anthony Green, Op,Cit, p. 140.

(^{٨٦}) Andre Parrot, , Op.Cit, PP. 138-9 .

(^{٨٧}) Ibid, pp, 132-3.

(^{٨٨}) Ann Perkins, Op.Cit, p. 58, no 22. // L.W King, Op.Cit, p. 131-3 .

(^{٨٩}) صموئيل نوح كريم، المصدر السابق، ص ٤٥٠ .

(^{٩٠}) Andre Parrot, Tello: vingt campagnes de fouilles (1877-1933), Paris, 1948, p. 96.

(^{٩١}) Donald P. Hansen, "Art of the Akkadian Dyanasty", in Joan Aroz, Art of the First Cities: The Third Millennium B.C. from the Mediterranean to Indus, New York, 2003, p. 110.

(^{٩٢}) Ann Perkins, Op.Cit, p. 57.

(^{٩٣}) Charles Gates, Op.Cit, p. 41,43.

(^{٩٤}) Thorkild Jacobsen, "Parerga Sumerologica", Journal of Near Eastern Studies(JNES), Vol. 2, No. 2, 1943, pp. 119-120. // William J . Hamblin, Op.Cit, p. 52 .

(^{٩٥}) Ibid, p. 121 .

- (96) Ann Perkins, Op.Cit, pp. 57-8 .
- (97) Donald P. Hansen, 2003, Op.Cit, p. 189.
- (98) C. J . Gadd, "The Cities of Babylonia", (CAH), Vol, 1/2, 1971, p. 118-119.
- (99) Trevor Watkins, "Sumerian Weapons, Warfar and Warriors", Sumer, vol. 39, no.1-2, 1983, p. 100.
- (100) L.W King, Op.Cit, p.43,46 .
- (101) H. F. Lutz, "The Helmet of Eannatum", Journal of the American Oriental Society(JAOS), Vol. 38, 1918,p. 68
- (102) Ibid, pp. 68-9 .
- (103) Ibid, p. 69 .
- (104) Andre Parrot, 1961, Op.Cit, p. 136 .
- (105) Mary Aiken Littauer and Joost Crouwel, "The Vulture Stela and an Early Type of Two-Wheeled Vehicle", (JNES), Vol. 32, No. 3, 1973, pp. 324-327.
- (106) Ann Perkins, Op.Cit, p. 58.
- (107) Henri Frankfort, The Art and Architecture of the Ancient Orient, (5ed) Yale Universty, 1996, p. 71.
- (108) J.B.Pritchard; The Ancient Near Eastern in Pictures Relating to the Old Testament (ANEP), Princeton,1969, p. 283 .
- (109) Andre Parrot, 1961, Op,Cit, p. 133 .
- (110) Ernest de Sarzec, Op,Cit, pp. 97-8
- (111) Amnon Altman, Tracing the Earliest Recorded Concepts of International Law :the Ancient Near East (2500 - 330 BC), USA, 1935, pp. 2-6.
- (112) RIME/I, Op. Cit, p.128.

(113) Daniel A .Foxvog, Cuneiform Digital Library Initiative (CDLI-P222399),[http:// sumerian Shakespeare .com](http://sumerianShakespeare.com)

(114) RIME/I, Op. Cit, pp. 129-30 .

(115) Ibid, p. 131.

(116) CDLI-P222399 .

(117) RIME/I, Op. Cit, pp. 131-2 .

(118) Ibid, p. 133 .

(119) Ibid, pp. 134-8 .

(120) Ibid, pp. 139-40 .

(121) John F.X. McKeon, "An Akkadian Victory Stele", Boston Museum Bulletin, Vol.68, No.354, 1970, p.236

(١٢٢) اسس هذا الملك مملكة قوية واسعة الارحاء، وهي المملكة الاكديّة وعاصمتها مدينة اكد، التي لاتزال مجهولة الموقع، لعدم توفيق التنقيبات لكشفها وهذا ما يؤسف له، الا ان الدلائل تشير الى موقعها في المنطقة الوسطى من العراق القديم، شن الكثير من الحروب في داخل المنطقة لتوحيد انظمتها تحت لوائه وكذلك العديد من الحملات الخارجية على جميع الحدود، حكم هذه المملكة سلالة سرجون الاكديّة فقط، لمدة قرن ونصف من الزمن تقريبا، لتنتهي على يد الاقوام الجبلية الغازية، أي الكوتيين . ينظر: طه باقر، المصدر السابق، ص ٣٦١.

(123) Douglas R. Frayne, Sargonic and Gutian Periods (RIME/2), Toronto, 1933, pp 7-8.

(124) Ibid, p. 27.

(125) Ibid, p. 310.

(126) Lorenzo Nigro, "The Two Steles of Sargon: Iconology and Visual Propaganda at the Beginning of RoyalAkkadian Relief", Iraq, Vol. 60, 1998, p. 85.

(127) Ibid, p. 85.

(١٢٨) تعدّ الالهة انا- عشتار، سيدة السماء، الالهة الحامية للسلالة السرجونية، وهي من آلهة الحرب لاسيما عند الجزريين، بدلالة اهم رموزها، وهو السيف المعقوف بين صولجانين، المنبثقة من كلا كتفيها، مع تاج بثلاث قرون، فضلا عن قدمها التي تطأ اسداً رابضاً، هكذا تُصوّر في اغلب مشاهد لاسيما على الاختتام الاسطواني والالواح الفخارية(التركوتا) ينظر :

A. Green & J. Black, Op.Cit, p . 109

(129) Agnes Spycket, "Illustration de un Texte Hepatoscopique Concernant Sargon de Agade (?)", RA, Vol. 40, No. ¾, 1945-1946, p. 154.

(130) Lorenzo Nigro, Legittimazione e Consenso: Iconologia, Religione e Politica Nelle Stele di Sargon di Akkad, Roma, 1997, pp. 360-1.

(131) Ibid, p. 85.

(132) Ibid, p.91.

(133) Douglas R Frayne (RIME/2), Op.Cit, p. 310.

(134) Lorenzo Nigro, 1998, Op.Cit, p. 86.

(١٣٥) انطون مورتكارت، المصدر السابق، ص ١٥٩ .

(136) Agnes Spycket, Op.Cit p.156.

(١٣٧) الملك لوكال زاكيزي حاكم مدينة اوما الذي قضى على حكم سلالة لكش الاولى، تلقب بملك الوركاء وملك الاقليم (بلاد سومر) بعد احتلاله اغلب المدن السومرية، المنافس الاول للملك سرجون الاكدي لزعامة اولى الممالك في العراق القديم، لانتصاراته انذاك على اغلب المدن السومرية ومنها مدينة كيش، وهو من اصول جزرية استنادا لاسم ابيه بويو المذكور في ثبت الملوك السومريين . ينظر: طه باقر، المصدر السابق، ص ٣٢٣ .

(138) Lorenzo Nigro, 1998, Op.Cit, p. 93.

(139) Alfred S. Bradford, A History of Warfare of the Ancient World, London, 2001, p. 6.

(140) Douglas R Frayne (RIME/2), Op.Cit, p. 10 .

(١٤١) يعد هذا الاله، الاله الحامي او الشخصي للملك سرجون الاكدي، كان يُقرأ سابقا بصيغة A.MAL ، وهو موازي او مطابق لاله الحرب زيابا اله مدينة كيش الحامي، وقد ذكر الاله ايلابا مرات عدة في نصوص الملك سرجون بمعية انتصاراته في الجنوب او على المدن السومرية. ينظر: Edith Porada, "Notes on the Sargonid Cylinder Seal, Ur 364", Iraq, Vol. 22, 1960, pp.119-21 . Lorenzo Nigro, 1998, Op.Cit, p.93

(142) Donald P. Hansen, 2003, Op.Cit, p. 191.

(143) L.W King, Op.Cit, p,220.

(١٤٤) انطون مورتكارت، المصدر السابق، ص١٥٧.

(145) Lorenzo Nigro, Visual role and ideological meaning of the enemies in the royal Akkadian relief, Prague, 1998b, p.285.

(146) Essad Nassouhi, "La Stele de Sargon la Ancein", RA, Vol. 21, No. 1/2 , 1924, pp. 66 .

(147) Lorenzo Nigro, 1998, Op.Cit, p. 98

(148) Ibid, p. 96.

(149) Lorenzo Nigro, 1998b Op.Cit, p.285.

(150) Donald P. Hansen, 2003, Op.Cit, p. 191.

(151) Essad Nassouhi, Op.Cit, p. 68.

(152) Lorenzo Nigro, 1998b, Op.Cit, p. 285.

(153) Lorenzo Nigro, 1998, Op.Cit, p. 98.

(154) Douglas R Frayne (RIME/2), Op.Cit, p. 27.

(155) Lorenzo Nigro, 1998b, Op.Cit, p. 286.

(156) Edmund I. Gordon "Of Princes and Foxes:The Neck-Stock in the Newly-Discovered Agade Period Stele", Sumer, Vol 12, 1965, p. 82.

(157) CAD,sh/2: 2-a, pp.410-11.

(158) Edmund I. Gordon, Op.Cit, p.83.

(159) Donald P. Hansen, 2003, Op.Cit, p. 199.

(160) Lorenzo Nigro, 1998b, Op.Cit, p. 287.

(١٦١) يعد هذا الملك من ملوك الاسرة السرجونية الاقوياء، وهو ابن الملك سرجون الاكدي الاصغر حسب ثبت الملوك السومريين، حكم لتسعة سنين ما بين (٢٢٧٨-٢٢٧٠ ق.م)، ويرجح الباحثين الى ان حياته انتهت من خلال مؤامرة مدبرة من قبل اخيه الاكبر مانشتوسو، وقد واجه بعد توليه العرش تمردا كبيرا من قبل المدن السومرية، منها مدينة ادب (بسماية)، اور، اوما، زبالام (بزوخ شمال اوما) ولكش، وقيامه باسر الالاف منهم وتدمير اسوار المدن المتمردة فضلا عن اسر قادتها وحكامها ومنهم حاكم مدينة ادب مسكيكالا، ولوكال كالزو حاكم مدينة زبالام. ينظر: طه باقر، المصدر السابق، ص٣٦٧-٨. // Douglas R Frayne (RIME/2), Op.Cit, pp. 40-7.

(162) Andre Parrot, Op.Cit, pp. 172-4. // Benjamin R. Foster, "The Sargonic Victory Stele from Telloh", Iraq, Vol. 47, 1985, pp. 15-30.

(163) Ernest de Sarzec, Op.Cit, pp. 198-202.

(164) Andre Parrot, 1948, Op.Cit, pp. 134-5.

(165) I.J Gelb, P.Steinkeller, "Earliest Land Tenure Systems in the Near East: Ancient Kudurrus", OIP ,104, 1991, p. 88.

(166) Ibid, pp. 88-89.

(167) Benjamin R. Foster, Op.Cit, p.29.

(168) L.W King, Op.Cit, p. 249.

(169) A . Westenholz, "The Old Akkadian Period", in W. Sallaberger, Mesopotamien: Akkade-Zeit und Ur III-Zeit, (OBO), 160/3, 1999, p. 43.

(170) Andre Parrot, 1960, Op.Cit, p. 174.

(171) Benjamin R. Foster, Op.Cit, p.22.

(172) Ibid, p. 22.

(173) Ibid, p. 23.

- (174) Ibid, p. 23.
- (175) Donald P. Hansen, 2003, Op.Cit, p. 202.
- (176) I.J Gelb, P.Steinkeller,Op.Cit, p. 90.
- (177) Benjamin R. Foster, Op.Cit, pp . 19–20.
- (178) Ibid, p. 22.
- (179) Ibid, pp. 27–8.
- (180) A . Westenholz, Op.Cit, p. 42,no 132
- (181) L.W King, Op.Cit, pp. 248–9.
- (182) I.J Gelb, P.Steinkeller,Op.Cit, p. 89.
- (183) A . Westenholz, Op.Cit, pp. 42–3. // Lorenzo Nigro, "La Stele di Rimush da Tello el indicazione del rango dei vinti nel Rilievo Accadico", Scienze dell'Antichità, 11, 2001–2003, pp. 71–93.
- (184) Fuad Basmachi, "An Akkadian Stele," Sumer, Vol /10, 1954, p. 116 .
- (185) John F.X. McKeon, Op.Cit, p. 226.
- (186) Ibid, p. 226.
- (187) Fuad Basmachi, Op.Cit, p. 116.
- (188) Edmund I. Gordon, Op.Cit, p, 83.
- (189) Donald P. Hansen, 2003, Op.Cit, p. 204.
- (190) John F.X. McKeon, Op.Cit, pp. 228–9.
- (191) Fuad Basmachi, Op.Cit, p. 117 .
- (192) John F.X. McKeon, Op.Cit, p. 226.
- (193) Ibid, p. 117.
- (194) John F.X. McKeon, Op.Cit, p. 228.
- (195) Donald P. Hansen, 2003, Op.Cit, p, 204, no 1.
- (196) Fuad Basmachi, Op.Cit, pp. 117–8 .

- (١٩٧) طه باقر، المصدر السابق، ص ٣٦٩-٧٢.
- (198) Douglas R Frayne (RIME/2), Op.Cit, pp. 128-9.
- (١٩٩) طه باقر، المصدر السابق، ص ٣٧٠-٧١.
- (200) L.W King, Op.Cit, pp. 244-6
- (201) Douglas R Frayne (RIME/2), Op.Cit, p. 128.
- (202) Donald P. Hansen, 2003, Op.Cit, p, 203.
- (203) Douglas R Frayne (RIME/2), Op.Cit, p. 129.
- (204) Donald P. Hansen, 2003, Op.Cit, p, 204.
- (205) Ibid, p. 204.
- (٢٠٦) انطون مورتكارت، المصدر السابق، ص ١٧٣.
- (207) Donald P. Hansen, 2003, Op.Cit, p, 204.
- (208) William J . Hamblin, Op.Cit, p. 87.
- (209) Horace Abram Rigg, "A Note on the Names Armânum and Urartu", (JAOS) Vol. 57, No. 4, 1937, pp. 416-418.
- (210) Jerrold S. Cooper, "Divine Kingship in Mesopotamia, A Fleeting Phenomenon", in Nicole Brisch(ed), Religion and Power: Divine Kingship in the Ancient World and Beyond, OIS /4, U.S.A, 2008, pp. 261-2.
- (211) Paul Carus,"Naram-Sin's Stele", The Open Court, Vol/18, no 9, London, 1904, p. 563.
- (212) Rene Labat, Op.Cit, PP,485-6.
- (213) Douglas R Frayne (RIME/2), Op.Cit, p. 142.
- (214) L.W King, Op.Cit, p. 251.
- (215) Ann Perkins, Op.Cit, p. 59.
- (216) Douglas R Frayne (RIME/2), Op.Cit, p. 143.
- (217) Paul Carus, Op.Cit, p. 563 .

- (218) Irene J. Winter, On Art in the Ancient Near East, Vol,2: From the Third Millennium B.C,E, Brill, Boston, 2010, pp. 91-2 .
- (219) Charles Gates, Op.Cit, p.54.
- (220) Lorenzo Nigro, 1996, Op.Cit, p. 290.
- (221) Jeremy Black & Anthony Green, Op,Cit, p. 109.
- (222) Donald P. Hansen, 2003, Op.Cit, pp. 206-7.
- (223) Irene J. Winter, Op.Cit, p. 110.
- (224) . Ibid, p. 133.
- (225) Richard A.Gabriel, The Great Armies of Antiquity, U.S.A, 2002, p. 21.
- (226) Lorenzo Nigro, 1996, Op.Cit, p. 290.
- (227) Ibid, p. 296.
- (228) Irene J. Winter, Op.Cit, pp. 109-11 .
- (229) Lorenzo Nigro, 1996, Op.Cit, p. 291.
- (230) Irene J. Winter, Op.Cit, p. 135.
- (231) Lorenzo Nigro, 1996, Op.Cit, p. 291.
- (232) Neilson C. Debevoise, "The Rock Reliefs of Ancient Iran", JNES,Vol. 1/1, 1942, pp. 76-105. // C. J. Edmonds, "Two Ancient Monuments in Southern Kurdistan", The Geographical Journal, Vol. 65, No. 1,1925,pp.63-64.

المصادر العربية :

١. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، ب.ت.
٢. انطون مورتكارت، الفن في العراق القديم، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٥ .
٣. جورج رو، العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤ .
٤. جون اوتس، بابل تأريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلي، بغداد، ١٩٩٠ .

مسلات النصر السومرية والاكديّة اقدم الوثائق الحربية الاعلامية المصورة في الشرق الادنى
القديم: دراسة تحليلية.....

٥. سليمان سعدون البدر، منطقة الخليج العربي خلال الالفين الثاني والاول قبل الميلاد، الكويت، ١٩٧٨ .
٦. صموئيل نوح كريم، السومريون، ترجمة فيصل الوائلي، الكويت، ١٩٧٣.
٧. طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج١، ط٢، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٦.
٨. فاضل عبد الواحد علي، "المنجزات السياسية والعسكرية في عصر فجر السلالات السومرية"، مجلة المورد، مج ١٦، عدد ٣، بغداد، ١٩٨٧ .
٩. فرج بصمه جي، "مسلة صيد الاسود من الوركاء"، مجلة سومر، مج ٥، ج ١، ١٩٤٩.
١٠. قحطان رشيد صالح، الكشاف الاثري في العراق، بغداد، ١٩٨٧ .
١١. محمد بيومي مهران، مصر والشرق الادنى القديم، ج ٢، ط ٤، الاسكندرية، ١٩٨٨.
١٢. هالة عبد الكريم الراوي، المسلات الملكية في العراق القديم دراسة تاريخية- فنية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب - جامعة الموصل، ٢٠٠٣.

المصادر الاجنبية :

1. Agnes Spycket, "Illustration de un Texte Hepatoscopique Concernant Sargon de Agade (?)", RA, Vol. 40, No. ¾, 1945-1946.
2. A.Kirk Grayson, The Royal Inscriptions of Mesopotamia-Assyrian periods (RIMA), Vol.3, Canada, 1996.
3. Alberto R .W. Green, The Storn-God in the Ancient Near East, U.S.A, 2003.
4. Alfred S. Bradford, A History of Warfare of the Ancient World, London, 2001.
5. Amnon Altman, Tracing the Earliest Recorded Concepts of International Law :the Ancient Near East (2500 - 330 BC), USA, 1935.
6. Andre Parrot, Sumer, Traslated by Stuart Gilbert, in Andre Malraux(ed), The Art of Mankind, U.S.A, 1961.

7. Andre Parrot, Tello: vingt campagnes de fouilles (1877-1933), Paris, 1948.
8. Ann Perkins, "Narration in Babylonian Art", American Journal of Archaeology, Vol. 61, No. 1, 1957.
9. A . Westenholz, "The Old Akkadian Period", in W. Sallaberger, Mesopotamien: Akkade-Zeit und Ur III-Zeit, (OBO), 160/3, 1999.
10. Barbara Ann Kipfer, Dictionary of Artifacts, Blackweel Publishing, 2007 .
11. Benjamin R. Foster, "The Sargonic Victory Stele from Telloh", Iraq, Vol. 47, 1985.
12. B. Hubner, A . Reizammer, Sumerisch Deutsches Glossar, Germany, 1980 .
13. Charles Gates, Ancient Cities, Routledge, 2003.
14. C. J. Edmonds, "Two Ancient Monuments in Southern Kurdistan", The Geographical Journal, Vol. 65, No. 1, 1925.
15. C. J . Gadd, "The Cities of Babylonia", (CAH), Vol, 1/2, 1971 .
16. Daniel A .Foxvog, Cuneiform Digital Library Initiative (CDLI-P222399), [http: // sumerian Shakespeare .com](http://sumerian Shakespeare .com).
17. D.D Luckenbill , Ancient Records of Assyria and Babylonia (ARAB), Vol.1, Chicago, 1926 .
18. D.D Luckenbill, "Annals of Sennacherib", Oriental Institute Puplications (OIP), Vol,2, 1924.
19. Donald P. Hansen, "Art of the Akkadian Dyanasty", in Joan Aroz, Art of the First Cities: The Third Millennium B.C. from the Mediterranean to Indus, New York, 2003.

20. Donald P. Hansen, Treasures From the Royal Tombs of Ur, Pennsylvania, 1998 .
21. Douglas R. Frayne, Sargonic and Gutian Periods (RIME/2), Toronto, 1933.
22. Douglas R. Frayne, The Royal Inscriptions of Mesopotamia Early Periods, Presargonic Period (2700–2350 BC) , (RIME/1), Canada, 2008 .
23. Edith Porada, "Notes on the Sargonid Cylinder Seal, Ur 364", Iraq, Vol. 22, 1960.
24. Edmund I. Gordon "Of Princes and Foxes: The Neck–Stock in the Newly–Discovered Agade Period Stele", Sumer, Vol 12, 1965.
25. E. Ebeling und E. Meissner, Reallexikon der Assyriologie (RLA), B.10, Berlin, 2003 .
26. Eric M . Meyers, The Oxford Encyclopedia of Archaeology in Ancient Near East, vol. 5, Oxford, 1997.
27. Ernest de Sarzec, Decouvertes en Chaldee : premier volume texte, Paris, 1884.
28. Essad Nassouhi, "La Stele de Sargon la Ancein", RA, Vol. 21, No. 1/2 , 1924.
29. Eva Strommenger, The Art of Mesopotamia, London, 1964 .
30. Fuad Basmachi, "An Akkadian Stele," Sumer, Vol. 10, 1954.
31. Henri Frankfort, The Art and Architecture of the Ancient Orient, (5ed) Yale Universty, 1996.
32. H. F. Lutz, "The Helmet of Eannatum", Journal of the American Oriental Society (JAOS), Vol. 38, 1918.

33. Horace Abram Rigg, "A Note on the Names Armânûm and Urartu", (JAOS) Vol. 57, No. 4, 1937.
34. Ian Shaw and Robert Jameson, A Dictionary of Archaeology, U.S.A, 1999 .
35. I.J Gelb, P.Steinkeller, "Earliest Land Tenure Systems in the Near East: Ancient Kudurrus", OIP ,104, 1991.
36. Irene J. Winter, On Art in the Ancient Near East, Vol,2: From the Third Millennium B.C,E, Brill, Boston, 2010.
37. J.B.Pritchard, The Ancient Near Eastern in Pictures Relating to the Old Testament (ANEP), Princeton,1969.
38. J.B.Pritchard, The Ancient Near Eastern Text Relating to the Old Testament (ANET), 3rd (ed) , Princeton,1969 .
39. Jeremy Black & Anthony Green, Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, UK,1992.
40. Jerrold S. Cooper, "Divine Kingship in Mesopotamia, A Fleeting Phenomenon", in Nicole Brisch(ed), Religion and Power: Divine Kingship in the Ancient World and Beyond, OIS /4, U.S.A, 2008.
41. J.N. Postgate, Early Mesopotamia, Routledge, 1994 .
42. John F.X. McKeon, "An Akkadian Victory Stele", Boston Museum Bulletin, Vol.68, No.354, 1970.
43. Julian Reade, "The Royal Tombs of Ur", in Joan Aroz, Art of the First Cities : The Third Millennium B.C. from the Mediterranean to Indus, New York, 2003 .

44. Kathryn E. Slanski, "[Classification, Historiography and Monumental Authority: The Babylonian Entitlement narûs \(kudurrus\)](#)", Journal of Cuneiform Studies (JCS), Vol. 52, 2000 .
45. Lorenzo Nigro, "[La Stele di Rimush da Tello el indicazione del rango dei vinti nel Rilievo Accadico](#)", Scienze dell'Antichità, 11, 2001-2003.
46. Lorenzo Nigro, [Legittimazione e Consenso: Iconologia, Religione e Politica Nelle Stele di Sargon di Akkad](#), Roma, 1997.
47. Lorenzo Nigro, "[The Two Steles of Sargon: Iconology and Visual Propaganda at the Beginning of Royal Akkadian Relief](#)", Iraq, Vol. 60, 1998.
48. Lorenzo Nigro, [Visual role and ideological meaning of the enemies in the royal Akkadian relief](#), Prague, 1998b.
49. L.W King, [A History of Sumer and Akkad](#), New York, 1910.
50. Margaret R. Burson, [Encyclopedia of Ancient Egypt](#), U.S.A, 2002 .
51. Marie T . Barrelet , [Peut-On Remettre en Question la "Restitution Materielle de la Stele des Vautours"](#) (JNES) Vol. 29, No. 4, 1970.
52. Mary Aiken Littauer and Joost Crouwel, "[The Vulture Stela and an Early Type of Two-Wheeled Vehicle](#)", (JNES), Vol. 32, No. 3, 1973.
53. Neilson C. Debevoise, "[The Rock Reliefs of Ancient Iran](#)", JNES, Vol. 1/1, 1942.
54. Parrot, [Sumer](#), Traslated by Stuart Gilbert, in Andre Malraux(ed), The Art of Mankind, U.S.A, 1961.

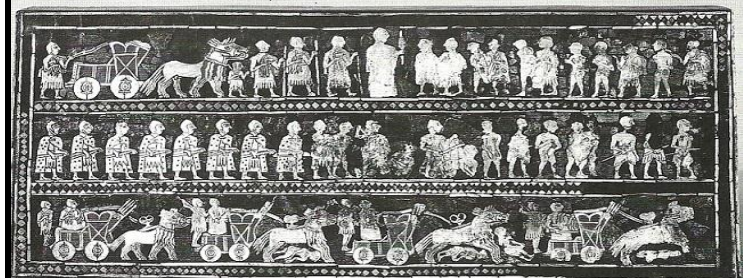
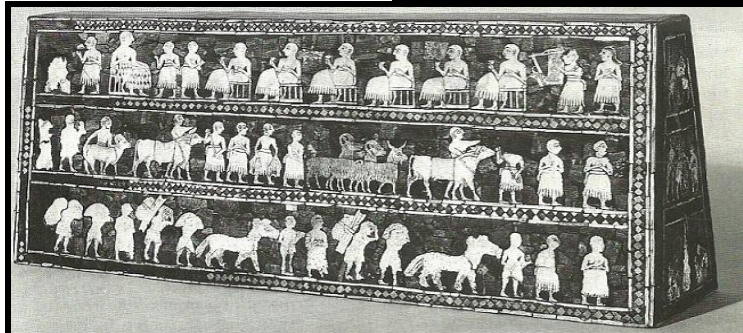
55. Paul Carus, "Naram-Sin's Stele", The Open Court, Vol.18, no 9, London, 1904.
56. Peeter Espak, "The Emergence of the Concept of Divin Warfare and Theology of War in the Ancient Near East", Central and Eastern European Online Library, issue 14, 2011,(www.Ceeol.com) .
57. P.R.S Moorey, "Ancient Mesopotamian Materials and Industries", Indiana, 1999 .
58. Rene Labat, "Elam and Ancient Persia", The Cambridge Ancient History(CAH), Vol. 2/2, 1975 .
59. Richard A. Gabriel, "The Great Armies of Antiquity", U.S.A, 2002.
60. S. L, Woolley, "The Royal Cemetery", (Ur Excavations 2), Oxford, 1934 .
61. S.N. Kramer, "History Begins at Sumer", Philadelphia, 1956 .
62. The Assyrian Dictionary, Chicago, 1960(CAD) .
63. Thorkild Jacobsen, "Parerga Sumerologica", Journal of Near Eastern Studies (JNES), Vol. 2, No. 2, 1943.
64. Trevor Watkins, "Sumerian Weapons, Warfar and Warriors", Sumer, vol.39, no.1-2, 1983 .
65. Vaughn E. Crawford, "Inscriptions from Lagash, Season Four", 1975-76", (JCS), Vol. 29, No. 4, 1977.
66. William J . Hamblin, "Warfare in the Ancient Near East to 1600B.C", Routledge, 2006.
67. Wolfgang Heimpel, "A first step in the diorite question", Revue d'Assyriologie et d'archéologie orientale (RA), Vol. 76, No. 1, 1982 .

الاشكال :



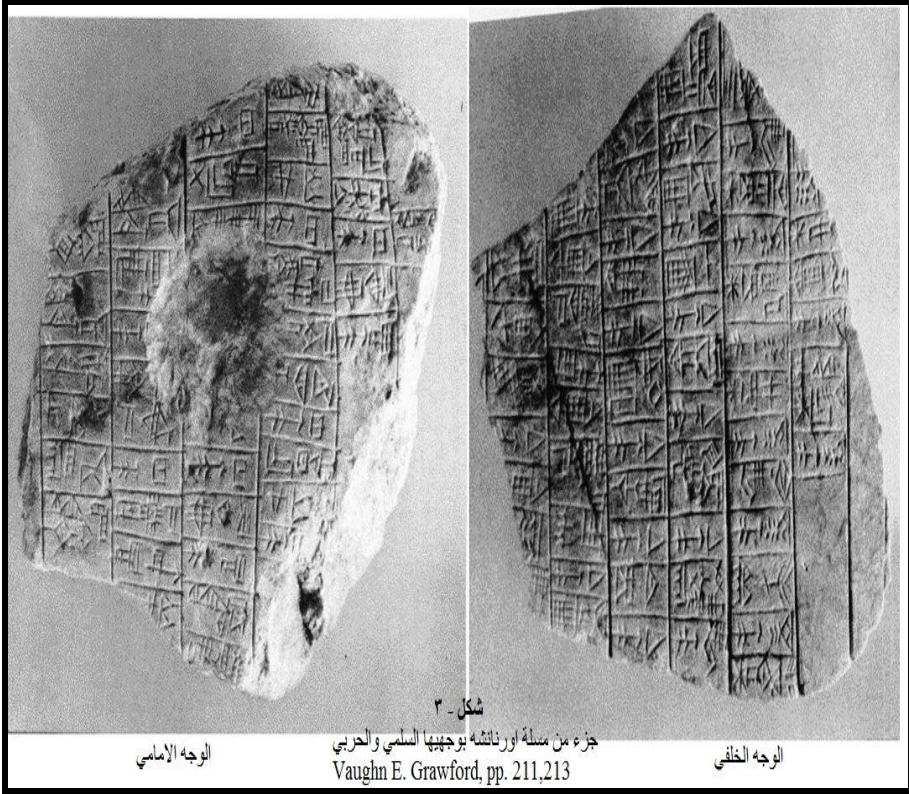
شكل رقم (1)

عن/ انطون مورنكارت، ص 39

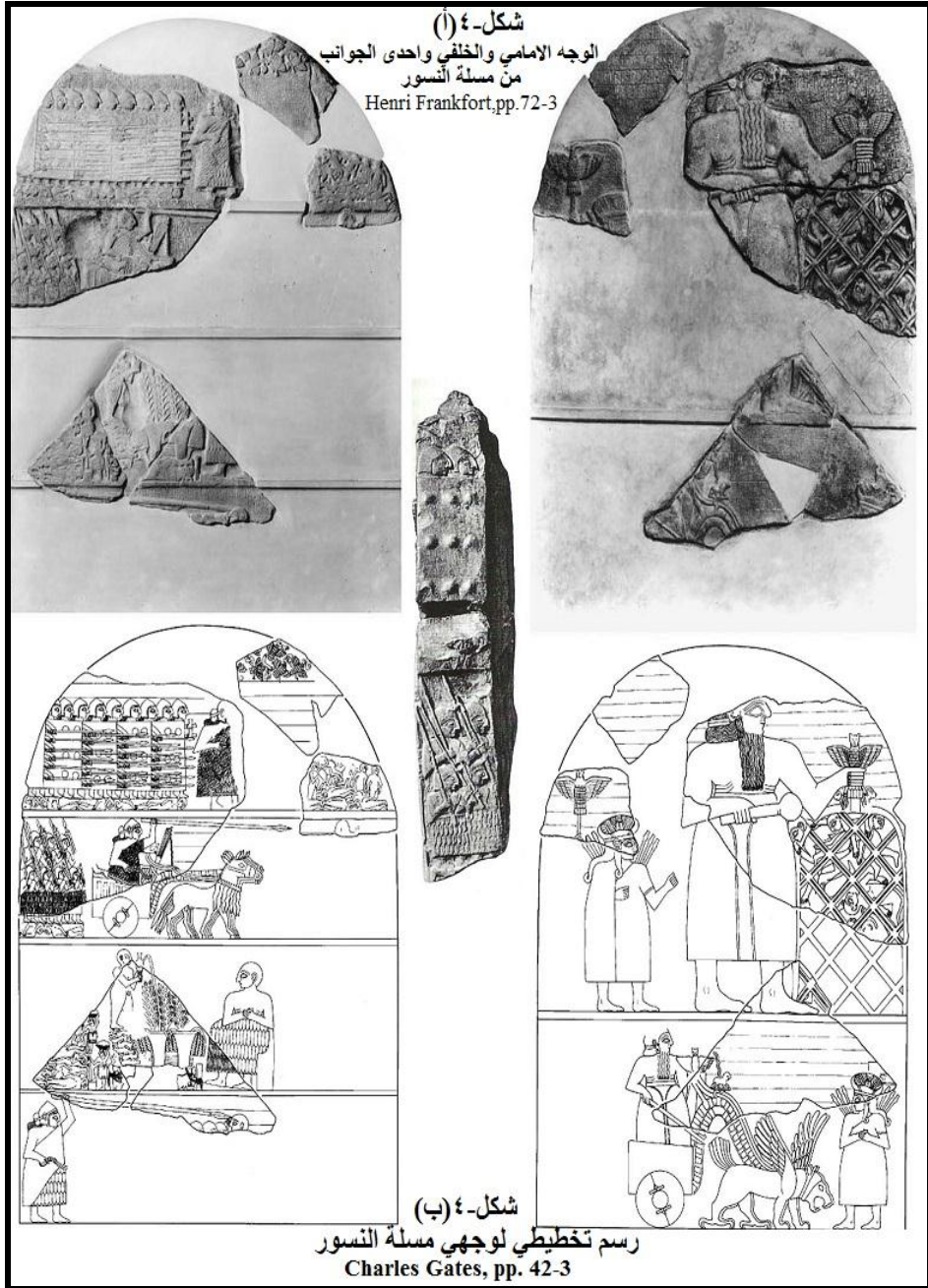


شكل - 2

رأية اور بوجهيها السلمي والحربي
J.N. Postgate, pp. 146,246.



مسلات النصر السومرية والاكديّة اقدم الوثائق الحربية الاعلامية المصوّرة في الشرق الادنى
القديم: دراسة تحليلية.....



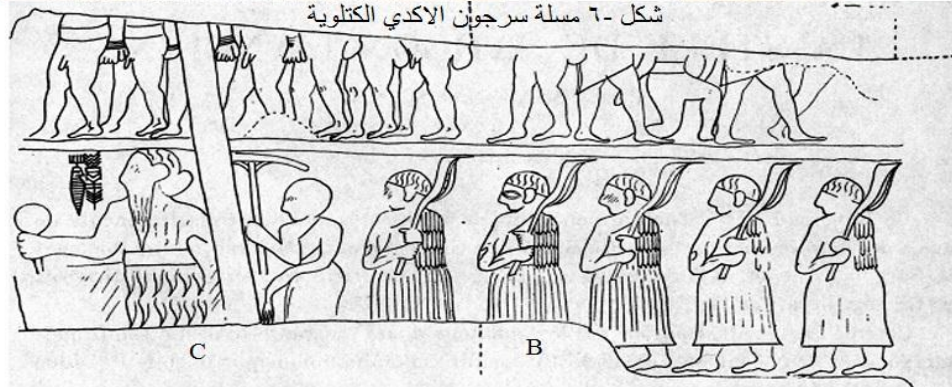


شكل- ٥ مسلة الشبكة لسرجون الاكدي (Sb2)
Lorenzo Nigro, 1997, pp. 379-83.

مسلات النصر السومرية والأكادية أقدم الوثائق الحربية الإعلامية المصورة في الشرق الأدنى
القديم: دراسة تحليلية.....



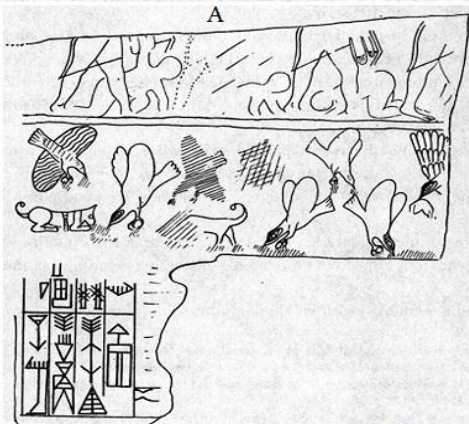
شكل ٦- مسلة سرجون الأكادي الكتلوية



C

B

A

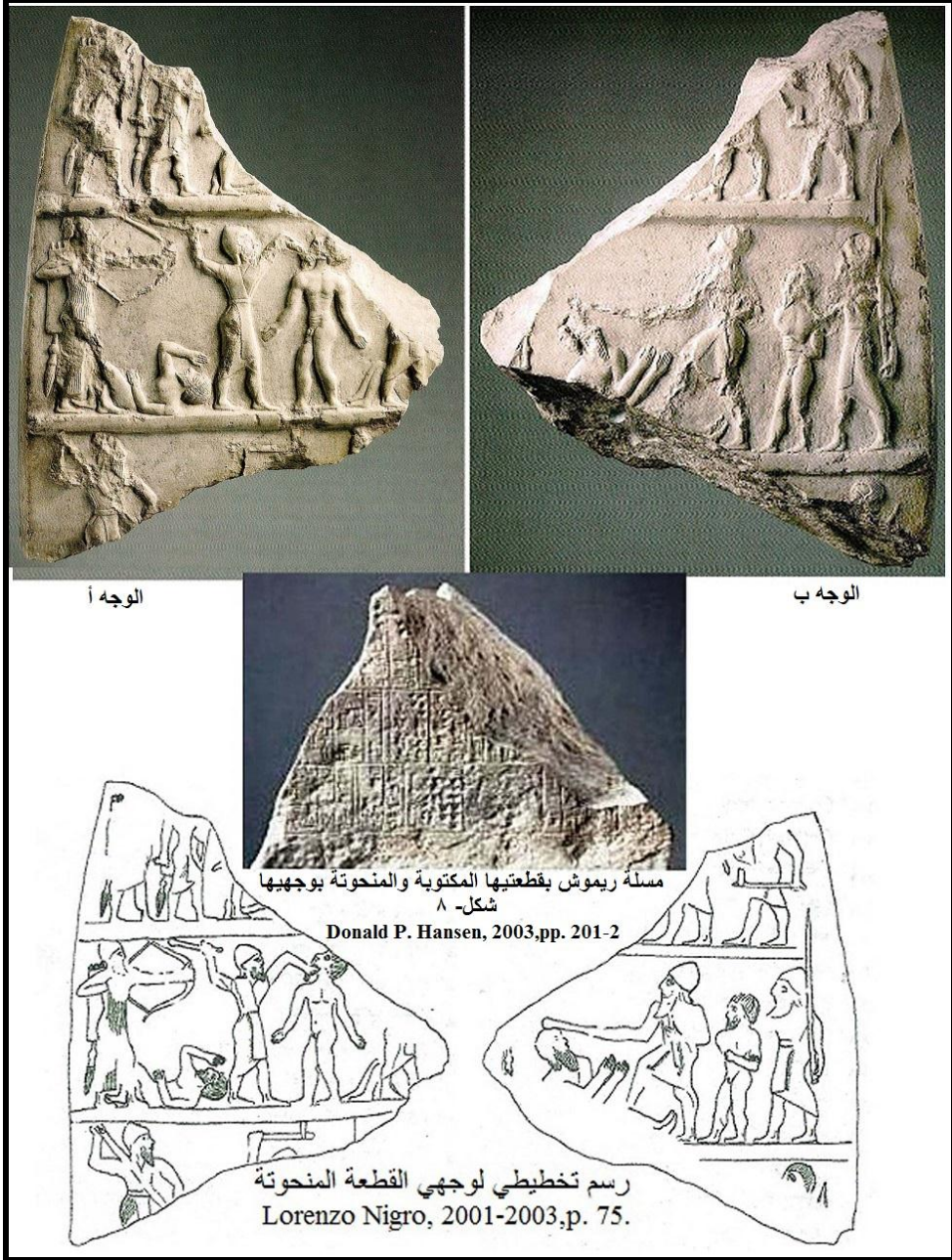


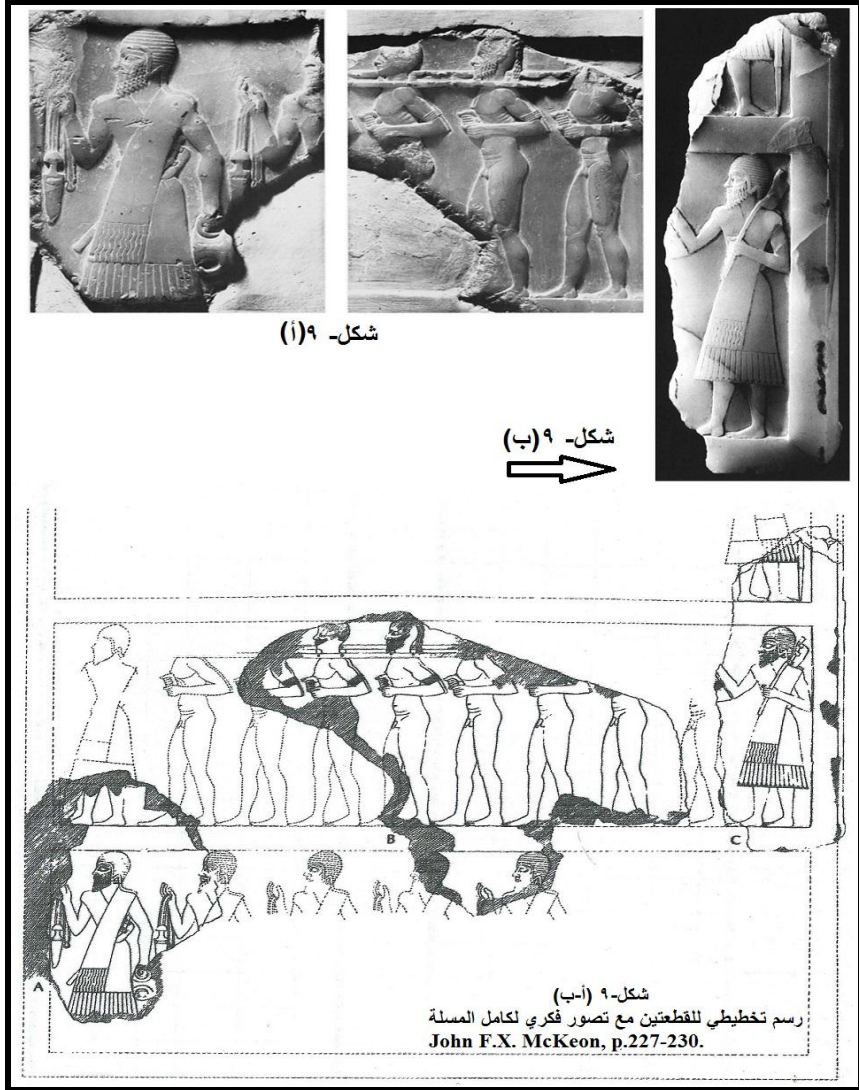
شكل ٦- رسم توضيحي لمسلة سرجون الكتلوية
Essad Nassouhi, pp. 66-68



شكل ٧- مسلة الأسرى
Lorenzo Nigro, 1998, P. 95.

مسلات النصر السومرية والاكديّة اقدم الوثائق الحربية الاعلامية المصورة في الشرق الادنى
القديم: دراسة تحليلية.....





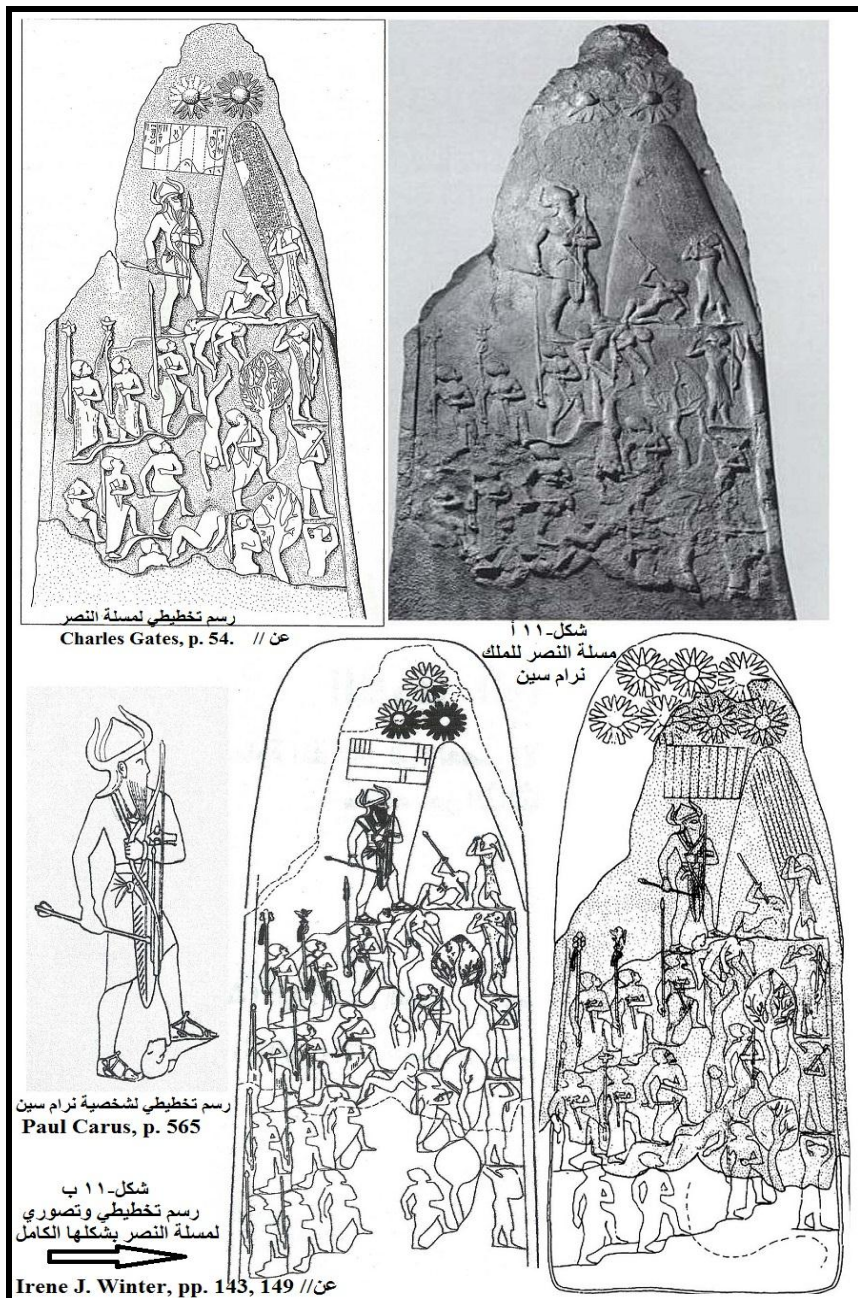


شكل-١٠

شكل-١٠

مسلة بيز حسين للملك نرام سين عن / Donald P. Hansen, 2003, p.203, رسم تخطيطي لمسلة بيز حسين عن // L.W King, p 245

مسلات النصر السومرية والاكديّة اقدم الوثائق الحربية الاعلامية المصوّرة في الشرق الادنى
القديم: دراسة تحليلية.....



موقف القدسي من الاوضاع العامة في سوريا خلال عام ١٩٤٩

م.م ميثم علي نافع

ملخص

ناظم القدسي شخصية سورية وطنية، نشأ في وسط عائلة دينية اكااديمية، مما انعكس ذلك على حياته السياسية التي ميزته عن اقرانه بالنزاهة والاعتدال حتى مع خصومه السياسيين، خط لنفسه طريق مستقيم ولسوريا، ابتداءً من كتابة الدستور الذي يجعل سوريا تسير على القاعدة الصحيحة، وسعى لتخليص الشعب السوري من الانقلابات العسكرية، وما يترتب عليها من تغييرات سياسية واعدامات، لذلك نجده اكد على انتقال سلمي للسلطة عن طريق الانتخابات السلمية التي اقراها الدستور.

تميز ناظم القدسي عن اقرانه السياسيين بانه لم يؤشر عليه تجاوزه على حقوق الوطن والمواطن طيلة حياته التي تجاوزت التسعين عاماً، ولم يستغل اي منصب لأغراضه الخاصة.

Abstract

Nadhim Al-Qudsi was a patriotic Syrian figure, raised which influences his political life. He was distinguished from his moderation was against his political opponents. He drew a straight line for him self and for Syria, starting from writing the constitution which makes Syria take the right basis. He tried hard to save the Syrian people from military opposition which causes political changes and executions. There fore, he affirmed the peaceful transfer through the way of peaceful elections issued by the constitution.

Nadhim Al-Qudsi was distinguishable from their political peers in that he never trespassed other's rights all his life (above go years old). He never exploited his position for his own interest.

المقدمة

يعد الاهتمام بدراسة الشخصيات التاريخية والتي ادت دوراً واضحاً في رسم سياسة بلدانهم من الموضوعات التاريخية الرصينة والخصبة، لما تقدمه من مادة جديدة.

ومن الشخصيات التي اخذت حيزاً في المجال السياسي والتي تناولت حقبة تاريخية مهمة من تاريخ سوريا، كونها تعد من ادق المراحل الزمنية التي مرت فيها سوريا، اذ تميزت هذه الحقبة بالتغيرات السريعة والتناقضات الواضحة، وكثرة الانقلابات والصراعات الدولية التي كانت تريد فرض سيطرتها على المنطقة العربية، لان سوريا تعتبر المفتاح الذي يدخل منه الاستعمار الى المنطقة العربية، لذا راينا ان نسلط الضوء على رجل سياسي بارز في تلك الحقبة الا وهو ناظم القدسي.

قسم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة حيث تناول المبحث الاول موقف ناظم القدسي من الانقلاب العسكري الاول / ١٩٤٩، وتطرق المبحث الثاني الى موقف القدسي من الانقلاب العسكري الثاني / ١٩٤٩، اما المبحث الثالث الذي تناول انتخابات الجمعية التأسيسية عام / ١٩٤٩.

اما الخاتمة التي شكلت ابرز ما توصلنا اليه من استنتاجات من خلال تتبعنا للكتابة البحث.

اعتمدت في كتابة البحث على مصادر عديدة ومتنوعة ابرزها الوثائق العراقية غير المنشورة المتمثلة بتقارير السفارات والمفوضيات والقنصليات الملكية العراقية في دمشق وحلب والقاهرة وبيروت والمحفوظة في دار الكتب والوثائق في المكتبة الوطنية في بغداد، والتي شكلت العمود الفقري لمادة البحث والتي ساعدتنا في كشف ومعرفة الكثير عن التطورات السياسية التي تناولت دور ناظم القدسي وموقفه وتأني اهميتها من كونها اصيلة صادرة من جهة رسمية ونظيف مادة جديدة غاية في الاهمية.

وغطت الصحف العراقية جزءاً من البحث، لانها كانت تظهر الاحداث اليومية التي تمر فيها سوريا، وكانت تعبر عن وجهات نظر مختلفة او متباينة للأحداث اضافة

الى مجموعة من المصادر والمراجع العربية والمترجمة التي احتوت معلومات وتفسيرات مهمة مثل كتاب بيبيروداغوا المترجم وعنوانه (الصراع في سوريا لتدعيم الاستقلال الوطني ١٩٤٥ - ١٩٦٦) وكتاب اخر مترجم عنوانه (الصراع على سوريا دراسة للسياسة بعد الحرب ١٩٤٥-١٩٦٦) لباتريك سيل وكذلك كتاب (صحافة سياسة سوريا في القرن العشرين) لنصوح باييل اما بالنسبة الى الرسائل والاطاريح الجامعية فقد امدت البحث بمعلومات مهمة كانت في صلب موضوع البحث. من الصعوبات التي واجهة الباحث عدم امكانية الحصول على الوثائق السورية وتزداد الصعوبة عند دراسة شخصية ناظم القدسي بسبب قلة وندرة المصادر التي تتحدث عنه.

ارجو التماس العذر ان أخطأت او قصرت فالخطأ والتقصير من صفات الانسان والكمال لله عز وجل.

نبذه مختصرة عن حياة القدسي :-

ولد ناظم تقي الدين بهاء الدين القدسي في مدينة حلب عام ١٩٠٦ من عائلة كريمة يرجع نسبها الى الفاطميين، وهم ينتهون في نسبهم الى الامام الحسن (عليه السلام)، عن طريق جدهم القطب محمد قضيبي البان الموصلي (قدس الله سره) المتوفي ١١٧٤م، وينتهي قضيبي البان عن طريق امه الى الامام الحسين (عليه السلام) ويتضح من هذا ان اسرة بني القدسي في حلب تنتسب الى الامام الحسن (عليه السلام) من جهة الاب والى الامام الحسين (عليه السلام) من جهة الامم فالقراية بين الاسرتين واقعة في الحدود العليا^(١).

تلقى دراسته الابتدائية في احدى المدارس الابتدائية والثانوية في معهد الفرنسيكان في مدينة حلب، انتسب الى كلية الحقوق بدمشق في عام ١٩٢٣، ثم في الجامعة الامريكية ببيروت وتلقى علومه العالية في المعهد العربي - فرع الحقوق بدمشق^(٢). تخرج ناظم القدسي في عام ١٩٢٦ حاملا اجازة الحقوق ومارس مهنة المحاماة واصبح عضواً في نقابة المحامين في مدينة حلب^(٣).

رحل ناظم القدسي الى سويسرا ودخل جامعة جنيف، ونال شهادة الدكتوراه في الحقوق الدولية عام ١٩٢٩، انضم ناظم القدسي الى الكتلة الوطنية في عام ١٩٣٢، وكان

ضمن مجلس الكتلة ومن الموقعين على اقرار نظام الكتلة الوطنية ^(٤) فاز في انتخابات ١٩٤٣، ١٩٤٧ نائباً عن مدينة حلب، عين اول سفير لسوريا عام ١٩٤٤ في الولايات الامريكية واسس السفارة السورية في واشنطن، وشارك في مؤتمر يالطا عام ١٩٤٥ ضد دول المحور، وكان من بين المؤسسين لجامعة الدول العربية، تقلد ناظم القدسي رئاسة مجلس النواب لفترة، واصبح وزيراً للخارجية السورية ورئيس وزراء لمرات، عدة خلال حياته السياسية ومن ثم تم انتخابه رئيساً لجمهورية سورية للفترة ١٩٦١-١٩٦٣ وبعدها عاش في سويسراً والامارات العربية تم الاردن^(٥).

المبحث الاول

موقف القدسي من الانقلاب العسكري الاول ١٩٤٩

كانت الانتكاسة التي لحقت بالأنظمة العربية في حرب فلسطين عام ١٩٤٨، الاثر الواضح على الشعب العربي من المحيط الى الخليج، وقد شعر الجيش السوري بالمرارة والمهانة والاحباط والرغبة في التغير، من ضمن عوامل مهدت لاستيلاء المؤسسة العسكرية على السلطة السياسية في سوريا، لاسيما الاتهامات التي وجهها حسني الزعيم^(٦) الى حكومه شكري القوتلي بالفساد والرشوة وسوء الاحوال الداخلية، كلها ادت بحسني الزعيم الذي كان قائداً للجيش السوري ان يجتمع بعدد من كبار الضباط في مقر قيادته لبحث معهم افضل السبل لإنقاذ الجيش، مما اسفر عن طرح فكرة الانقلاب^(٧) يعد انقلاب حسني الزعيم اول انقلاب عسكري شهدته سوريا في تاريخها المعاصر ففي ليلة الثلاثين والحادي والثلاثون من اذار / ١٩٤٩ تمكن مع مجموعة من الضباط من السيطرة على مقاليد الحكم دون اراقة الدماء، لينهوا به الحكم النيابي الذي شهدته سوريا منذ فتره استقلالها، دخلت بعدها البلاد في مرحلة جديدة تمثلت بالحكم العسكري المباشر^(٨).

بدأ اكرم الحوراني بقراءة البيان الاول للانقلاب جاء فيه :-

(مدفوعين بغيرتنا الوطنية ومتألمين لما ال اليه وضع البلد من جراء افتراءات وتعسف من يدعون انفسهم حكاماً مخلصين لجأنا مضطرين الى تسلم زمام الحكم مؤقتاً في البلاد التي نحرص على استقلالها كل الحرص وتقدم بكل ما يترتب علينا نحو وطننا العزيز غير طامحين الى استلام الحكم بل القصد من عملنا هو تهيئة حكم ديمقراطي صحيح محل الحكم الحالي المزيف واننا لنرجو من الشعب الكريم ان يلجا للهدوء والسكينة مقدماً لنا المعونة والمساعدة للسماح لنا بإتمام مهمتنا التحريرية وان كل محاولة للإخلال بالأمن تظهر من بعض العناصر الهدامة تقمع فوراً دون شفقة او رحمة)^(٩).

عقد النواب اجتماعاً في مبنى وزارة الخارجية بحضور فارس الخوري رئيس مجلس النواب وحضر عدد من النواب يزيد عددهم على الخمسين نائباً، ووقف فارس الخوري مخاطبهم حيث قال " ان الزعيم اتم انقلاباً وهو يريد التفاهم مع المجلس والتعاون معه فما راىكم وانه من الاولى ان نفكر في اهون الشرين واخف الضررين " استهزأ بعض النواب بالعمل الذي قام به حسني الزعيم من اعتقالات، وعد هذا خرقاً للدستور الذي يمثل اعلى سلطة تشريعية في البلاد، كما استاء احد النواب دخول حسني الزعيم مبنى وزارة الخارجية فسمعه يقول " جاء الجنرال " فتأثر حسني الزعيم وامر باعتقاله^(١٠)، وجه حسني الزعيم دعوة الى عدد من النواب للتباحث في تشكيل حكومة مؤقتة، كما وجه دعوة الى ناظم القدسي بعد رفع الاقامة الجبرية عنه، والى سياسيين اخرين استجابوا لدعوته ومنهم معروف الدواليبي واكرم الحوراني والامير عادل ارسلان وفارس الخوري رئيس مجلس النواب، كما دعا جميع الامناء العاملين لدى الوزارات الى مبنى قيادة الجيش وطلب منهم مواصلة تيسير شؤون وزاراتهم، وبين لهم انه يسعى لتشكيل حكومة يرأسها سياسي معروف باخلاصة، وقد لقي الانقلاب تأييداً كبيره من قبل ناظم القدسي والكثير من اعضاء حزب الشعب واوساط من الفئات المتوسطة في المدن^(١١).

عقد مجلس النواب جلسته خاصة في الاول من نيسان ١٩٤٩، حصل حسني الزعيم على تأييد (٧٠) نائباً، دون ان يرتفع صوت معارض حسني الزعيم أو مؤيد لشكري القوتلي، على الرغم من امتناع بعض النواب عن التصويت، واعقب تلك الجلسة فراغ سياسي، ولم يتقدم اي سياسي يعرض خدماته بدلا من حسني الزعيم، اصدر حسني الزعيم في الثاني من نيسان ١٩٤٩، امراً عسكرياً نصب فيه نفسه رئيساً للدولة واصبح يتمتع بكافة صلاحيات السلطتين التشريعية والتنفيذية، وكلف الكفاء في الوزارات لإدارة شؤونها لحين تشكيل وزارة جديدة^(١٢)، قدم شكري القوتلي في ٧ / نيسان / ١٩٤٩ استقالة بخط يده حيث كتب " اقدم الى الشعب النبيل استقالتي من

رئاسة الجمهورية السورية راجيا لها كل قوة ومجد " وفي اليوم نفسه قدم خالد العظم استقالته ايضا ^(١٤).

اعترف العراق في ١٧ / نيسان / ١٩٤٩ بحكومة حسني الزعيم واعتبر هذا الاعتراف بمثابة الخطوة الاولى باتجاه تحقيق الاتحاد مع سوريا، وعلى اثر ذلك ارسل نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي مبعوثين عراقيين الى دمشق لأجراء مباحثات حول توحيد البلدين ^(١٥).

قام حسني الزعيم في ٢٩ / مايس / ١٩٤٩ بحل الاحزاب السياسية، ولكنه وعد بان يسمح للأحزاب فيما بعد باستئناف نشاطاتها، بعد اجراء استفتاء على الدستور الجديد، وقد منع وقمع الحزب الشيوعي، بينما سمح لأخرين من الاحزاب الى ما قبل الاستفتاء في نهاية حزيران ^(١٦).

ويبدو لي ان عملية قمع الحزب الشيوعي وعدم السماح له بممارسة نشاطه السياسي من قبل حسني الزعيم من اجل الحصول على رضا الجانب الامريكي والبريطاني اللذين كانا في صراع مع الاتحاد السوفيتي خوفا من المد الشيوعي للساحة العربية وخاصة سوريا. انتقد ناظم القدسي سياسة حسني الزعيم، عندما اغلق الاخير الحدود السورية مع الاردن والعراق، وهدد بالحرب مع كلا البلدين متهماً اياهما بالعمالة والتجسس لبريطانيا في الشرق الاوسط ^(١٧).

وقد حذر حزب الشعب حسني الزعيم من الوقوع في اخطاء شكري القوتلي بالتزام هذا الجانب او ذلك في الخلافات ما بين الدول العربية ، فكان رد فعل حسني الزعيم هو القيام بسجن قادة حزب الشعب وعلى رأسهم ناظم القدسي ^(١٨). وعد حسني الزعيم بالعمل على اعادة الحياة الديمقراطية وحرية الاحزاب والجمعيات كما جاء في بيانه الاول، ولكنه لم يلتزم بها، مما جعل الاحزاب والقوى السياسية تعيد النظر في مواقفها نحوه، فتحولت عدد من الاحزاب التي ايدته ووقفت الى جانبه في بداية الانقلاب الى صفوف المعارضة، منها حزب الشعب والحزب الوطني وحزب البعث العربي، كما ان

سياسة انحياز حسني الزعيم الى فرنسا والولايات المتحدة الامريكية، والى محور القاهرة- الرياض، كانت السبب المباشر في وفوف الاحزاب ضده، تعرض حسني الزعيم الى ضغوط كبيرة من قبل فئات اولها المعتقلين السياسيين عن طريق المظاهرات التي اجتاحت دمشق والتي تقودها النساء، والثانية من قبل الاوسط البرجوازية والاقطاعية التي كانت تخشى ان يقوم حسني الزعيم بإصلاحات تضر بمصالحها المرتبطة بالمصالح التجارية مع العراق، اما الثالثة فكانت من قبل قادة حزب الشعب الذي يتزعمه ناظم القدسي للتخلص من حكم حسني الزعيم الذي رفض الوحدة مع العراق^(١٩).

ويمكن القول ومن خلال سير الاحداث في فترة حكم حسني الزعيم وقيامه بالتوقيع على خط التابلاين واعترافه بان فرنسا دولة صديقة وتقره الشديد من محور القاهرة - الرياض المدعومتين من الولايات المتحدة الامريكية الى الاردن والعراق والتأكيد عن عدم قيام انقلاب عسكري ضد حسني الزعيم، هذه دلائل تشير الى ان هناك صراعاً قويا بين السياسة الامريكية والبريطانية في سوريا من جهة وقيام حسني الزعيم بانقلابه المدعوم من قبل الادارة الاميركية من جهة ثانية، جعل بريطانيا تعمل على أسقاطه من خلال دعم العراق للعناصر المناوئة له في سوريا، اما حسني الزعيم فكان يسعى بكل الوسائل الى البقاء في الحكم فترة اطول، جميع هذه الظروف سمحت للعقيد سامي الحناوي قيادة الانقلاب الثاني.

المبحث الثاني

موقف ناظم القدسي من الانقلاب العسكري الثاني ١٩٤٩

اعتمد حسني الزعيم في ادارة سياسته الداخلية والخارجية على الاساليب الدكتاتورية التي ولدت الفوضى، فضلا عن الاسباب التي ذكرت سابقاً، مما اثارت حفيظة العسكريين ليقوموا بانقلابهم الذي قاده العقيد سامي الحناوي^(٢٠)، وفي ليلة الرابع عشر من اب / ١٩٤٩ وصلت الى دمشق مجموعة من السيارات الصغيرة بقيادة العقيد سامي الحناوي متوجهة الى منزل حسني الزعيم فاقتحمت المنزل واقتادته، في حين كانت هناك مجموعة اخرى قامت باعتقال محسن البرازي رئيس الوزراء واعتقل في الوقت نفسه المقدم ابراهيم الحسيني قائد الشرطة واستخبارات الجيش^(٢١). تميز هذا الانقلاب عن سابقة بإعدام حسني الزعيم ورئيس وزرائه محسن البرازي^(٢٢)، واكد سامي الحناوي انه سوف يعاقب بشدة كل من يحاول اثارة الفتن والشغب والاضطرابات وفرض رقابة شديدة على البريد والاتصالات وقطعت الاتصالات بالخارج وذكر بضرورة تسليم مقاليد الى رجال السياسة المدنيين^(٢٣).

تميز هذا الانقلاب بانه صراع بين مجموعتين برجوازيتين اقطاعيتين، احدهما تريد التقارب مع محور القاهرة - الرياض المدعوم من قبل الاحتكارات الامريكية الفرنسية، والثانية تزعمتها قيادة حزب الشعب ومنهم ناظم القدسي بالتقارب مع العراق وتحقيق المخططات البريطانية مثل مشروع سوريا الكبرى والهلال الخطيب^(٢٤).

في صباح اليوم الثاني اذاع الزعيم سامي الحناوي بلاغه العسكري الاول :-
" لقد قام جيشكم الباسل يوم الثلاثين من اذار / ١٩٤٩ الماضي لينقذ البلاد من الحالة السيئة التي وصلت اليها من قبل، من سوء الادارة والفوضى والتدهور واخذ الناس يسخرون من الجيش ورجاله، لذا بعد الاعتماد على الله القوي العزيز، عزم جيشكم الباسل الذي لا يريد الا الخير للبلاد ان يخلصها من الطاغية الذي استبد هو ورجال حكومته بمقدرات البلاد"^(٢٥)

ايد ناظم القدسي ومعه حزب الشعب انقلاب الزعيم سامي الحناوي^(٢٦)، وشارك ناظم القدسي في الاجتماع الذي عقده الزعيم سامي الحناوي في دار الاركان لبحث والوقوف على راي الاحزاب ووجهة نظرها في تأليف الحكومة الجديدة^(٢٧). سلم الزعيم سامي الحناوي السلطة رسميا في الخامس عشر من اب / ١٩٤٩ الى هاشم الاتاسي، الذي اذاع فوراً تشكيل الوزارة^(٢٨)، ثم اعلن الزعيم الحناوي ان مهمته الوطنية المقدسة قد انتهت وانه يعود الى عمله في الجيش^(٢٩). صرح ناظم القدسي وزير الخارجية السوري في السادس عشر من اب / ١٩٤٩ ان الحكومة السورية تحترم الاتفاقات الدولية التي عقدت في العهد السابق، وانها ستتعاون مع جميع الدول العربية مؤكداً اخلاص سوريا لميثاق الجامعة العربية وحرصها على وحدة الصفوف، وكانت سياسة التهذئة والتطمين هذه رداً على ما كان ينشره الاعلام الامريكي والفرنسي الذي يصف الانقلاب بانه من صنع ايادي اجنبية^(٣٠).

هنأت الحكومة العراقية الزعيم سامي الحناوي واعترفت بحكومته^(٣١) بينما عبرت الحكومة المصرية عن قلقها لما حصل في سوريا، فأعلنت الحداث ثلاثة ايام ووجهت الصحافة المصرية ووسائل اعلامها لمقتل حسني الزعيم، اما بريطانيا فقد عبرت عن ارتياحها واشادة بقوة الحكومة الجديدة ومساندة الشعب لها، اما الصحف الفرنسية فقد اعتبرتها مؤامرة بريطانية نفذها رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد^(٣٢). اما نظرة الولايات المتحدة الامريكية الى واقع سوريا الجديد بمقدار مصالحها الخاصة، فهي تريد ان تطمأن على تطبيق اتفاقية التابلاين وموقف الحكومة السورية الجديدة من النظام الشيوعي^(٣٣).

اشارت بعض المصادر الاخبارية ان وراء الانقلاب دوافع محلية وعربية ودولية، تتمثل بالأسباب الداخلية ظهور خلافات وصراعات عشائرية، اما العربية فترجع الى موقف نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي،. بعد ان توجه حسني الزعيم نحو محور القاهرة - الرياض والعمل على انتهاء حكمه فضلا عن الصراع الدولي المتمثل بين المصالح الامريكية والفرنسية من جهة والمصالح البريطانية من جهة اخرى^(٣٤).

اعلن سامي الحناوي في السادس والعشرين من ايلول / ١٩٤٩ بأن الجيش سوف يكون بعيدا عن السياسة ولا يتدخل في امور الانتخابات المقبلة، وامر جميع العسكريين ضباطاً وجنوداً بالابتعاد عن الاشتراك في النشاطات الانتخابية، بما في ذلك حضور الاجتماعات والمهرجانات الانتخابية (٣٥)

كلف ناظم القدسي في الثاني عشر من تشرين الثاني / ١٩٤٩، برئاسة وفد سوري بالذهاب الى مقر مجلس جامعة الدول العربية لدراسة السبل الكفيلة لتحقيق التضامن العربي، وقد سبقهم شكري القوتلي الذي يقيم في الاسكندرية بالذهاب الى الامين العام لجامعة الدول العربية بتقديم مذكرة مكتوبة مضمنا رايه حول(ميثاق الضمان الجماعي)، وغايته قطع الطريق امام حزب الشعب في توجيهه نحو قيام الوحدة مع العراق (٣٦).

ابدى وزير الخارجية السوري ناظم القدسي في الرابع عشر من تشرين الثاني / ١٩٤٩، اثناء زيارته لمصر مخاوفه لاحد الضباط العاملين في السفارة الامريكية بمصر عن معلومات توفرت لديه بان مصر كانت لديها الرغبة في استخدام شكري القوتلي اداه ضد الحكم النظام القائم في سوريا، وهذا يتفق مع تقرير القنصلية البريطانية في بيروت بين بان الملك ابن سعود طلب من الرئيس اللبناني بشارة الخوري ايفاد رياض الصلح للاتصال بشكري القوتلي في مصر، من اجل عرقلة اي وحدة بين سوريا والعراق، وهذا ما يتلاءم مع تفكير الرئيس اللبناني الذي كان يرى في الوحدة خطراً على الوضع الخاص الذي يشغله لبنان، ولان قيام اي وحده من هذا النوع ستمنع صديقه القوتلي من العودة مجدداً الى رئاسة الجمهورية او ستمنعه من الدخول الى سوريا نهائياً (٣٧).

قام ناظم القدسي في السابع عشر من تشرين الثاني / ١٩٤٩ اثناء تواجده في مصر بزيارة القوتلي في بيته، وكان اول اجتماع رسمي بمعرفة الحكومة السورية، ودام الاجتماع ست ساعات متتالية، وذكر تقرير القنصلية الامريكية في القاهرة ان نظام القدسي حاول اقناع القوتلي بعدم عرقلة مشروع الوحدة العراقية السورية واعرب القدسي عن خشيتيه من توجه القوتلي للحزب الوطني، لمقاطعه الانتخابات المزمع اجراءها، ثم اجرائها جرى نقاش شديد بين الاثنين عندما وجه ناظم القدسي نقداً مباشراً الى

شكري القوتلي لارتمائيه وخضوعه للملك عبد العزيز بن سعود، وظهر نتيجة اللقاء الخلاف الشديد المستحكم بين الاثنين، رغم كل ما جرى من احداث في سوريا^(٣٨).

وضع شكري القوتلي شرطين لعودته لسوريا هما :-

١- عودة المجلس النيابي الذي حله الزعيم حسني بكامل اعضائه (اعضاء المجلس ايام عهد شكري القوتلي).

٢- طلب مباشر من المجلس العسكري ومن رئيسية سامي الحناوي بعودته الى رئاسة الجمهورية^(٣٩).

وعند عودة وزير الخارجية السوري ناظم القدسي الى سوريا اتخذت الحكومة السورية قراراً بوضع قانون جديد للانتخابات وعدم دعوة المجلس النيابي السابق وذلك لقطع الطريق امام عودة القوتلي لسوريا، وافر القانون الانتخابي وتم تحديد موعد الانتخابات الجمعية التأسيسية في الخامس عشر من تشرين الثاني /١٩٤٩، واعلن الحزب الوطني مقاطعته للانتخابات ولم يبق سوى حزب الشعب، حزب البعث، والحزب العربي الاشتراكي ليخوضوا الانتخابات التي فاز بها حزب ناظم القدسي^(٤٠).

ويتضح لنا ومما ذكر، الدور الكبير الذي قام به ناظم القدسي من زيارته لمصر والمفاوضات والمناقشات التي اجراها مع القوتلي واطلاعه على الاسرار التي كادت توقف العملية السياسية في سوريا وتقف عائقاً امام قيام الوحدة بين العراق وسوريا ومن خلال حياكة المؤامرات الخارجية وتحريك العناصر المؤيدة للقوتلي في الداخل، نجد ان ناظم القدسي قد نجح في ادارة المفاوضات وتكامل عمله بالنجاح من خلال فوز حزب الشعب في الانتخابات الجمعية التأسيسية.

المبحث الثالث

ناظم القدسي وانتخابات الجمعية التأسيسية ١٩٤٩

تعد انتخابات عام ١٩٤٩ من الانتخابات غير العادية في تاريخ سوريا السياسي المعاصر، فقد كان على هذه الجمعية واجبات ثقيلة ومهمة، حيث كانت مكلفة بوضع الدستور الجديد للبلاد، ثم الموافقة عليه، وان قانون الانتخابات الجديد حد من سلطة العائلات الاقطاعية الكبرى وقوتها^(٤١)

اعلنت وزارة هاشم الاتاسي في بيانها الاول انها حكومة مؤقتة هدفها اعادة الحياة الدستورية للبلاد، فاجتمع مجلس الوزراء لدراسة الاقتراح المقدم من وزير الداخلية رشدي الكيخيا بشأن وضع قانون جديد للانتخابات وتردد الوزراء بين رأيين :-

الاول :- رأي المستقلين يقول بأعاده مجلس النواب المنحل ودعوته الى جلسة واحده يمنح فيها الحكومة القائمة السلطات التشريعية، ثم يحل ويعمد الى انتخابات جديدة.

الثاني :- رأي حزب الشعب برئاسة ناظم القدسي يقول ان الدستور لم يعد صالحاً لذلك، يجب وضع دستور جديد من قبل جمعية تأسيسية منتخبة لهذا الغرض فقط، ثم ينتخب مجلس النواب استناداً الى قواعد الدستور الجديد^(٤٢).

كان هدف ناظم القدسي الاصرار على الانتخابات عبر قانون جديد للانتخابات والاصرار على دستور جديد للبلاد عبر جمعية تأسيسية هو استبعاد شكري القوتلي لاستلام منصب رئيس الجمهورية، لهذا اقرت الوزارة المراسيم التي اصدرتها حسني الزعيم ومن ضمنها مرسوم قبول استقالة القوتلي وحل مجلس النواب، ونظراً لنفوذ حزب الشعب في اوساط الحكومة وضباط الانقلاب، فقد نجح في حمل مجلس الوزراء على تعديل قانون الانتخابات على ضوء المشروع الذي قدمه السيد رشدي الكيخيا فاشتترطت هذه المادة (٢٨)^(٤٣) من الدستور ان يكون المرشح حاملاً للشهادة الابتدائية على الاقل او ما يعادلها، وباعتبار الكيخيا وزيراً للداخلية اصدر قراراً بتشكيل لجنة خاصة لأجراء فحوص للمرشحين، نجح فيها باختيار من يرغب قادة

حزب الشعب بترشيحه وفشل فيها معظم رجال العشائر وزعماء الاقضية الذين كانوا الموالين للحزب الوطني (٤٤).

ويمكن القول ان الزيارة التي قام بها ناظم القدسي لشكري القوتلي في مصر، تركت اثرًا واضحًا في نفس القدسي وهو احد قادة حزب الشعب، مما جعل اصرار حزب الشعب على تعديل قانون الانتخابات، وكان القدسي على صواب عندما فعل ذلك.

نشر القانون الانتخابي في بداية ايلول / ١٩٤٩ من قبل وزير الداخلية، اجاز فيه حق الانتخاب لكل الرجال والنساء فوق سن الثامنة عشر، واشترط على النساء ان يكن حاصلات على الشهادة الابتدائية، لكي يحق لهن الانتخاب، وأشار القانون بان موعد اجراء انتخابات الجمعية التأسيسية في الخامس عشر من تشرين الثاني / ١٩٤٩ (٤٥).

ادى ناظم القدسي دوراً فاعلاً وكبيراً في توجيه مرشحي حزب الشعب بالتركيز على الوحدة مع العراق عندما وجد رغبة الشعب السوري في الاتحاد مع العراق، وجعلها محور النشاط الانتخابي مع قرب الخامس عشر من تشرين الثاني / ١٩٤٩ (٤٦).

جرت الانتخابات في الموعد المحدد لها بشكل عادي، وكانت نسبة التصويت غير مرتفعة الا في منطقة حوران حين ادلى بحدود (٨٠%) من الناخبين بأصواتهم وفي منطقة حماة كانت نسبة التصويت (٥٢%)، اما التصويت في دمشق فقد بلغت نسبة (٣٥%) وحلب (٣١%) وادلت (٨٧٠) امراه فقط بأصواتهن في دمشق (٤٧).

لم تنته الانتخابات في الخامس عشر من تشرين الثاني وهو اليوم المحدد لها، لان نسبة المقترحين في جميع البلاد وصلت الى نسبة (٢٠%)، وعليه تقرر تمديد فتح صناديق الاقتراح الى اليوم التالي من اجل الوصول الى النسبة القانونية، ولكن الانتخابات قد انتهت بأغلاق صناديق الاقتراح يوم الجمعة المصادف الخامس والعشرين من تشرين الثاني / ١٩٤٩، لكي تصل الى نسبة (٦٠%) (٤٨).

تميزت هذه الانتخابات بان الصحافة الاجنبية ومعها الوطنيون والسوريون اشادوا بان الناخبين تمتعوا بحرية تامة في مركز الاقتراح (٤٩). وتميزت ايضا، ن هذه الانتخابات

فسحت المجال امام المسيحيين لاختيار مرشحهم بغض النظر عن الحزبية^(٥٠)، اما نواب العشائر فكانت انتخاباتهم على مرحلتين الاولى يتم اختيار النابحين الثانويين من افخاذ وفروع العشائر، ومن ثم يأتي هؤلاء لانتخاب نوابهم في يوم الانتخاب^(٥١).

اسفرت نتائج الانتخابات عن فوز حزب الشعب في حلب بأغلبية ساحقة ففاز ناظم القدسي وحزب الشعب بأكثرية المقاعد في الجمعية التأسيسية الجديدة حيث حصلوا على (٥١) مقعدا من اصل ١١٤، وحصل المستقلون على (٤٠) مقعدا والاسلاميون (٤) مقاعد، وحزب البعث على (٣) مقاعد، وخصص للعشائر (٨) مقاعد، اما الحزب الوطني فقد حصل على (٨) مقاعد^(٥٢).

صدر المرسوم الجمهوري في ١ / كانون الاول / ١٩٤٩ المرقم (٦٤٦) بتسمية وتنشيط اعضاء الجمعية التأسيسية البالغ عددهم (١١٤) نائبا، قدم هاشم الاتاسي استقالة حكومته المؤقتة في العاشر من كانون الاول / ١٩٤٩، وانتخب رئيسا للدولة، وحصلت الوزارة على صلاحية الترشيح لمدة ثلاثة شهور، بينما انتخب السيد رشدي الكيخيا رئيسا للجمعية التأسيسية المكلفة بكتابة الدستور الجديد، وترأس ناظم القدسي رئاسة لجنة كتابة الدستور في الجمعية التأسيسية^(٥٣).

الخاتمة

ناظم القدسي من الشخصيات العربية السورية السياسية الذي نشأ في وسط اسرة دينية اكااديمية، مما اثر ذلك في اسلوب حياته واصبحت شخصيته واضحة المعالم واتجه نحو العمل السياسي، مطالبا باستقلال سوريا من الاحتلال الفرنسي بأسلوب المقاومة السلمية.

كان لاغتصاب لواء الاسكندرونه اثر واضح في حياة ناظم القدسي مما حفزه بالتفكير جديا لتأسيس، وتكوين حزب الشعب تكون قاعدته الجماهير السورية لكي يستطيع من خلال حزية ان يحقق استقلال سوريا والمحافظة عليها من الانحياز الى احد الكتلتين الغربية او الشرقية.

كان القدسي من اكثر رجال الساسة السوريين كفاءة ونزاهة واخلاقا وصدق وامانة، وشهد له خصومه السياسيين بنظافة اليد ونقاء الضمير والابتعاد عن التجاوزات على حقوق الوطن والمواطن وعدم تورطه في انشاء ممارسته العمل السياسي باي نوع من استغلال منصبة لأي غرض كان. وتميز القدسي عن باقي اقرانه السياسيين بانه سكن في بيوت الدولة المتواضعة حتى عندما تولى رئاسة الجمهورية.

توفي ناظم القدسي في السادس من شباط ١٩٩٨ عن عمر يناهز الثالثة والتسعين سنه، وبذلك انتهى دور اخر رئيس جمهورية سورية دستورية شرعية حكمت سوريا، وكان من المؤمنين بتداول السلطة السياسية السلمي، لكي تتخلص سوريا من نظام الانقلابات العسكرية وتنهض وتبقى السلطة بيد اصحاب الكفاءة ومن لهم القدرة على ادارة البلاد، ولكي هذا الامر لم يكن كما اراد، رحم الله القدسي.

الهوامش

1-<http://alqudsi-famly-com/tree/hrintlnterman-phnmode=18scroll=08qction=nr14/7/2014>.

٢- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ج٦، ١٩٩٥ ص٥٥٤، محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة دار الشعب وموسوعة فرانكلين للطباعة والنشر، د.ت، ص ١٨١٧.

٣- جورج فارس، من هو في سوريا، اصدر عن الوكالة العربية للنشر والدعاية في سوريا، مطبعة الف باء، ١٩٤٩، ص٣٥٢.

٤- نصوح بابل، صحافة وسياسة سورية في القرن العشرين، رياض الزائرين للكتب والنشر، لندن، دن، ص٨١.

٥- د.ك.و. ٢٦٤٨/ ٣١١/ البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية العامة في دمشق، تقرير المفوضية الملكية العراقية في دمشق، عن بيان رئيس الوزراء السوري في ٢١/٢١/١٩٤٣ و ٤، ص٤؛ عبد الجبار حسن الجبوري، الاحزاب والجمعات

السياسية في القطر السوري في اواخر القرن التاسع عشر الى سنة ١٩٥٨، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٦٩.

٦- الزعيم : ولد في حلب سنة ١٨٩٤ من اب عربي وام كردية، تلقى دراسته في مسقط راسه ثم انتسب الى الاكاديمية العثمانية في اسطنبول وتخرج برتبة ملازم سنة ١٩١٧ التحق بالجيش العربي وشارك في الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين بن علي، التحق بعد ذلك في عام ١٩٢١ بالقوات الفرنسية في سوريا حارب مع القوات فيشي ضد الحلفاء في سوريا، وبعد انتصار قوات الحلفاء القي القبض عليه واصدرت المحكمة ضده بالاشغال الشاقة لمدة عشر سنوات، وقد اخلي سبيلة بامر من الرئيس شكري القوتلي بعد الاستقلال واعيد للجيش مديراً عاماً للشرطة والامن، ومن ثم قائداً عاماً للجيش والقوات المسلحة. جريدة الزمان، بغداد، العدد ٣٤٨٦، في ١/نيسان /١٩٤٩.

٧- غسان حداد، اوراق شامية في تاريخ سوريا المعاصر ١٩٤٦-١٩٦٦، ط٢، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٩.

Abrahamson,B,Military profession alization and political power,
London,1972,P127

٨- قاسم محمد حمزه، العلاقة السورية التركية ١٩٤٥-١٩٥٨، رسالة ماجستير (غير منشورة) في التاريخ الحديث والمعاصر، مقدمة الى مجلس كلية التربية ابن رشد / جامعة بغداد، ١٩٩٤، ص ٥٧، سحر رضوان عبد الحسين الشكرجي، موقف العراق القومي من سوريا ١٩٤٦-١٩٤٩. رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، مقدمة الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠٠، ص ٥٥.

- ٩- بيبيروداغوغا، الصراع في سورية لتدعيم الاستقلال الوطني ١٩٤٥-١٩٦٦، ترجمة ماجد علاء الدين- انيس المتنبي، مطبعة الصباح، ١٩٨٧، ص٤٤؛ نيكولاس خان دام، الصراع على السلطة في سوريا ١٩٦١-١٩٧٨، (د.م)، (د.ت).
- ١٠- د.ك.و. ٢٦٥٠ / ٣١١ البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية في دمشق، تقرير المفوضية، الملكية العراقية في دمشق الى وزارة الخارجية العراقية، المرقم ١٢٥/١/٦ في ١ نيسان ١٩٤٩، ٧٤و، ص٨٧.
- ١١- د.ك.و. ٢٦٥٠ / ٣١١ البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية في دمشق، تقرير المفوضية الملكية العراقية الى وزارة الخارجية العراقية، المرقم ١٢٥/١/٦ في ١ نيسان ١٩٤٩، ٧٤و، ص٨٨.
- ١٢- محمد رشيد عبود الراوي، التطورات السياسية في سوريا ١٩٤٩- ١٩٥٤، رسالة ماجستير (غير منشورة) في التاريخ الحديث المعاصر، مقدمة الى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد، ١٩٨٥، جوردن ه - توري السياسة لسوريا والعسكريون ١٩٤٥- ١٩٥٨، ط٢، ترجمة محمود فلاحه، دار الجماهير، (د.م)، ١٩٦٩، ص ١٣٤.
- ١٣- غالب العياشي، الايضاحات السياسية واسرار الانتداب الفرنسي في سوريا، (د.م)، (د.ت)، ص ٥٧١؛ نجلة ابراهيم مصطفى حسين الغراوي، الحياة النيابية في سورية ١٩٤٣-١٩٥٤ رسالة ماجستير (غير منشورة)، في التاريخ الحديث والمعاصر، مقدمة الى مجلس كلية ابن رشد / جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص١٢٣.
- ١٤- جوردن ه - توري، المصدر السابق، ص١٣٥.
- ١٥- خالد صبحي احمد الخيرو، السياسة الخارجية العراقية ١٩٤٥-١٩٥٣، مطبعة القادسية، بغداد، ١٩٨٦، ص٢٠٧.
- ١٦- باترك سيل، الصراع على سورية، دراسة السياسة بعد الحرب ١٩٤٥- ١٩٦٦، ترجمة سميرة عبد، محمود فلاحه، ط٧، دار نوار، بيروت، ١٩٦٦، ص١٠٥.

17- al-hawranl, Akrammudhakk rat Akram al-hawranifourvolumesmuktabat al-baduni, cairo, 2000,pp.1010-1015.

١٨- بيبريوداغوفا، المصدر السابق، ص٤٧.

١٩- بيبريوداغوفا، المصدر السابق، ص٤٧ ؛ غسان حداد، المصدر السابق، ص٢٤.

٢٠- سامي الحناوي من مواليد حلب ١٨٩٨، تعلم فيها ودخل المدرسة العسكرية العثمانية في ١٩١٦، وتخرج في تموز ١٩١٧ برتبة ملازم من المدرسة الحربية بدمشق، التحق بالدرك في لواء الاسكندرونة، عين امر سرية للنقل في انطاكية حتى حرب فلسطين ١٩٤٨، حيث رفع الى رتبة مقدم ورفع في انقلاب حسني الزعيم الى رتبة عقيد. نجله ابراهيم مصطفى حسين العزاوي، المصدر السابق، ص١٢٩.

٢١- مصطفى رام حمدان، مذكرات، شاهد على احداث سورية وعربية واستمرار الانفصال، ط٢، دار طلاس، دمشق، ٢٠٠١، ص ٨٤ ؛ نصوح بابيل، المصدر السابق، ص ٣٨١ ؛ غالب العياشي، المصدر السابق، ص٥٩٦.

٢٢- د.ك.و. ٣١١/٢٦٥١ البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية العامة في دمشق تقرير المفوضية الملكية العراقية العامة في دمشق الى وزارة الخارجية العراقية، المرقم ١١/٦/٤١٠، في ١٤/ ايلول / ١٩٤٩، و٤، ص٥.

٢٣- عبد الرحمن عبد الرحيم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر (د.ت)، (د.م) ص٣٠٠؛ وليد المعلم، سوريا ١٩١٨-١٩٥٨ التحدي والمواجهة، مطبعة عكرمة، دمشق، ١٩٨٥، ص١٢٣.

٢٤- صلاح العقاد، المشرق العربي المعاصر، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة، ١٩٧٠، ص٨٧.

٢٥- غسان حداد، المصدر السابق، ص ٤٠-٣٩ ؛ نصوح بابيل، المصدر السابق، ص ٣٨٢.

٢٦- عبد الجبار حسن الجبوري، المصدر السابق، ص ٢٣٨ ؛

Al-hawrami, Akram- mudhkkratAkram al-hawrani four Volumes, muktabat al-baduni, cairo, 2000,PP.1010-1015.

٢٧- نزار كريم جواد الربيعي، حزب الوطني السوري ودورة السياسي، رسالة ماجستير (غير منشورة) في التاريخ الحديث المعاصر، مقدمة الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٨٦.

٢٨- اكرم الحوراني، مذكرات اكرم الحوراني، الجزء الثاني، مكتبة مدبولي، (د.ن)، ص ١٠١٠.

٢٩- د.ك.و. ٢٦٥١ / ٣١١ البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية العامة في مصر، تقرير المفوضية الملكية العراقية العامة مصر الى وزارة الخارجية العراقية العامة في مصر الى وزارة الخارجية العراقية. المرقم ٣٩٣/٢/١، في ١٦ / اب / ١٩٤٩، و ٣٣، ص ٥١.

٣٠- اكرم الحوراني، المصدر السابق، ص ١٠١٧.

٣١- باتريك سيل، المصدر السابق، ص ١٠٧، وليد المعلم، المصدر السابق، ص ٤٩.

٣٢- د.ك.و. ٢٦١٥/٣١١ البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية في انقرة، تقرير المفوضية الملكية العراقية في انقرة الى وزارة الخارجية العراقية، المرقم ت / ٣١٤ / ١، في التاسع والعشرون من اب / ١٩٤٩ و ١٢، ص ١٧-١٨.

٣٣- غسان حداد، المصدر السابق، ص ٣٢-٤٢.

٣٤- المصدر نفسه، ص ٤٣.

٣٥- جوردون هـ - توري، المصدر السابق، ص ١٦٠.

- ٣٦- د.ك.و. ٣١١/٢٦٥١ البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية في حلب، تقرير المفوضية الملكية العراقية في حلب الى وزارة الخارجية العراقية المرقم ١٢٣٤/٨/١ في ١٧/تشرين الثاني / ١٩٤٩، و ٨٣، ص ١١٠.
- ٣٧- يوسف جبران غيث، شكري القوتلي ودورة السياسي (١٩٥٨-١٨٩١)، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) في التاريخ الحديث والمعاصر، مقدمة الى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص ٢٠٧-٢٠٨.
- ٣٨- جوردون هـ - توري، المصدر السابق، ص ١٦٣.
- ٣٩- جوردون هـ - توري، المصدر السابق، ص ١٦٤.
- ٤٠ - يوسف جبران غيث، المصدر السابق، ٢٠٩.
- ٤١- جوردون هـ - توري، المصدر السابق، ص ١٦٠.
- ٤٢- وليد المعلم، المصدر السابق، ص ١٢٤-١٢٥.
- ٤٣- تنص هذه المادة ان التربية والتعليم حقا لكل مواطن والتعليم الابتدائي الزامي وللمزيد ينظر الى الدستور السوري ١٩٥٠.
- ٤٤- وليد المعلم، المصدر السابق، ص ١٢٤-١٢٥.
- ٤٥- بيبيروداغوف، المصدر السابق، ص ٥٠.
- ٤٦- د.ك.و. ٣١١/٢٦٥٢ البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية العامة في حلب، تقرير المفوضية الملكية العقية العامة في حلب الى وزارة الخارجية العراقية المرقم س/١/٨/٢١٥، في ٨/تشرين الاول / ١٩٤٩، و ١٠٧، ص ١١٢.
- ٤٧- جوردون هـ - توري، المصدر السابق، ص ١٦٠-١٦١.
- ٤٨- نجلة ابراهيم مصطفى حسين العزاوي، المصدر السابق، ص ١٣٨.
- ٤٩- جوردون هـ - توري، المصدر السابق، ص ١٦١.
- ٥٠- جريدة القيس، العدد ٣٩٤٣، في ٣١/تشرين الاول / ١٩٤٩.
- ٥١- جريدة القيس، العدد ٣٩٤٨، في ٦/تشرين الثاني / ١٩٤٩.

٥٢- د.ك.و. ٣١١/٢٦٥٢ البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية العامة في حلب، تقرير المفوضية الملكية العراقية العامة في حلب الى وزارة الخارجية المرقم س/١/٨/٢٣٤، في ١٧/ تشرين الثاني / ١٩٤٩، و ٨٤، ص ١١٣.

٥٣- باتريك سيل، المصدر السابق، ص ١١٢.

٥٤- د.ك.و. ٣١١/٢٦٥٢ البلاط الملكي ن المفوضية الملكية العراقية العامة في حلب، تقرير المفوضية الملكية العراقية العامة في حلب الى وزارة الخارجية العراقية، المرقم س/١/٨/٢٤١، ٢٤/ كانون الاول / ١٩٤٩، و ٩٠، ص ١٢٣.

المصادر

اولا- الوثائق العراقية غير المنشورة

١- د.ك.و. ٢٦٤٨ / ٣١١ الملف الملكي، المفوضية الملكية العراقية العامة في دمشق.

٢- د.ك.و. ٢٦٥٠ / ٣١١ الملف الملكي، المفوضية الملكية العراقية العامة في دمشق.

٣- د.ك.و. ٢٦٥١ / ٣١١ الملف الملكي، المفوضية الملكية العراقية العامة في دمشق.

٤- د.ك.و. ٢٦٥١ / ٣١١ الملف الملكي، المفوضية الملكية العراقية العامة في حلب.

ثانيا : المذكرات الشخصية :

٥- اكرم الحوراني، مذكرات اكرم الحوراني، الجزء الثاني، مكتبة مدبولي. (د.ت).

٦- مصطفى رام حمدان، مذكرات، شاهد على احداث سورية وعربية واسرار الانفصال، ط ٢، دار طلاس، دمشق، ٢٠٠١.

ثالثاً:- الرسائل والاطاريح الجامعية

- ٧- سمر رضوان عبد الحسين الشكرجي، موقف العراق القومي من سوريا (١٩٤٦-١٩٤٩)، رسالة ماجستير (غير منشورة) في التاريخ الحديث والمعاصر، مقدمة الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠٠.
- ٨- قاسم مهدي حمزة، العلاقات السورية التركية ١٩٤٥ - ١٩٥٨، رسالة ماجستير (غير منشورة)، في التاريخ الحديث والمعاصر، مقدمة الى مجلس كلية التربية / ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٤.
- ٩- محمد رشيد عبود الراوي، التطورات السياسية في سوريا ١٩٤٩-١٩٥٤، رسالة ماجستير (غير منشورة) في التاريخ الحديث والمعاصر، مقدمة الى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥.
- ١٠- نجله ابراهيم مصطفى حسين العزاوي، الحياة النيابية في سورية ١٩٤٣-١٩٥٤، رسالة ماجستير (غير منشورة) في لتاريخ الحديث والمعاصر، مقدمة الى مجلس كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٠.
- ١١- نزار كريم جواد الربيعي، حزب الوطني السوري ودوره السياسي، رسالة ماجستير (غير منشورة) في التاريخ الحديث والمعاصر، مقدمة الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠٢.
- ١٢- يوسف جبران غيث ، شكري القوتلي ودوره السياسي (١٨٩١-١٩٥٨) اطروحه دكتوراه (غير منشورة) في التاريخ الحديث والمعاصر، مقدمة لى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد، ١٩٩٨.

رابعاً :- الكتب باللغة العربية

- ١٣- جورج فارس، من هو في سوريه، اصدر عن الوكالة العربية للنشر والدعاية في سوريه، مطبعة الف باء، ١٩٤٩.

- ١٤- خالد صبحي احمد الخيرو، السياسة الخارجية العراقية، ١٩٤٥-١٩٥٣، مطبعة القادسية، بغداد ١٩٨٧.
- ١٥- صلاح العقاد، المشرق العربي المعاصر، مكتبة الانجلو المصرية -القاهرة، ١٩٧٠.
- ١٦- عبد الجبار حسن الجبوري، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر السوري في اواخر القرن التاسع عشر الى سنة ١٩٥٨، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.
- ١٧- عبد الرحمن عبد الرحيم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، (د.م)، (د.ت).
- ١٨- غالب العياشي، الايضاحات السياسية واسرار الانتداب الفرنسي في سوريا، (د.م)، (د.ت).
- ١٩- غسان حداد، اوراق شامية في تاريخ سوريا المعاصر ١٩٤٦-١٩٦٦، ط٢، بغداد، ٢٠٠١.
- ٢٠- نصوح بابيل، صحافة وسياسة سورية في القرن العشرين، رياض الزائرين للكتب والنشر، لندن، (د.ت).
- ٢١- نيكولاس فان دام، الصراع على السلطة في سوريا ١٩٦١-١٩٧٨ (د.م) (د.ت).
- ٢٢- وليد المعلم، سوريا ١٩١٨-١٩٥٨، التحدي والمواجهة، مطبعة عكرمة، دمشق، ١٩٨٥.

خامساً : الكتب المعربة

- ٢٣- باتريك سيل، الصراع على سورية، دراسة السياسة بعد الحرب ١٩٤٥ - ١٩٦٦، ترجمة سميرة عبد، محمود فلاح، ط٧، دار نوار، بيروت، ١٩٦٦.
- ٢٤- بيبيروداغوا، الصراع في سورية لتدعيم الاستقلال الوطني ١٩٤٥-١٩٦٦، ترجمة ماجد علاء الدين، انيس المتني، مطبعة الصباح، بغداد، ١٩٨٧.

٢٥- جوردون هـ - توري، السياسة السورية والعسكريون ١٩٤٥-١٩٥٨ ترجمة محمود فلاحه، ط٢، دار الجماهير، بغداد، ١٩٦٩.

سادسا : الكتب الاجنبية

26- Abrahamson , B, Military profession a lization and political power, London,1972.

27- al-hawrani, AkrammudhakkratAkram al-hawrani four volumes muktabat al-baduni,cairo,2000.

سابعا : الموسوعات

٢٨- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء السادس، ١٩٩٥.

٢٩- محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، (د.ت).

ثامنا : الدوريات

٣٠- جريدة الزمان، بغداد، العدد ٣٤٨٦، في ١ / نيسان / ١٩٤٩

٣١- جريدة القبس، بغداد، العدد ٣٩٤٣، ٣١ / تشرين الاول / ١٩٤٩

٣٢- جريدة القبس، بغداد، العدد ٣٩٤٨، في ٦ / تشرين الثاني / ١٩٤٩

تاسعا : الانترنت

33- [http://www/alqudsi-famly-com/tree/hrint/nter man-phnmode=18action=nr,17/7/2014](http://www/alqudsi-famly-com/tree/hrint/nter%20man-phnmode%20=18action=nr,17/7/2014).